معالم
الحضارة الإسلامية في ليبيا



إعداد وتأليف : مجموعة من الأساتذة والباحثين

إشراف: اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم

الدار الدولية

للاستثمارات الثقافية ش.م.م

معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا

إعداد: مجموعة من الباحثين

دار الكتب الوطنية

رقم الإيداع: 2007 - 606

الطبعة الأولى 2008

الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش.م.م

ص.ب: 5599 هليوبوليس غرب/ القاهرة.

بريد إلكتروني: ihci@link.net

International House for Cultural Investments S.A.E

P. O. Box: 5599 Heliopolis West, Cairo, Egypt

E-mail: ihci@link.net

شكر خاص

يتقدم أمين وأعضاء اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم بخالص الشكر لكل من أسهم في إخراج هذا السفر الهام إلى النور، ويخصون بالشكر الأخ/ أمين اللجنة الشعبية العامة للتعليم وأمانة اللجنة الشعبية العامة للتعليم، والأخ/ أمين اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة وأمانة اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة، وكذلك اللجنة العلمية التي أشرفت على التأليف والمتمثلة في أعضاء قسم التاريخ بجامعتي الفاتح وقاريونس، وتأمل اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم أن يسهم هذا الكتاب بدور رائد في الاحتفالية التاريخية بمناسبة اختيار طرابلس عاصمة للثقافة الإسلامية للعام ***1375*** *و.ر./ الموافق* ***2007*** *مسيحي.*



تقديم

هذا سفرٌ نفيس يجتذب أكثر ما يجتذب المنشغلين بربط حلقات التاريخ في سلسلة وعي معرفي وعلمي تستوعب وقائع حركات المجتمعات الإنسانية وتستنبط الظواهر والقوانين الفاعلة والمؤثرة فيها بما يسهم في بلورة حركة تنوير حقيقي لتصحيح مسار النهضة العربية الإسلامية.

ولعل مسألة التأسيس لذاك الوعي المعرفي والعلمي هي من الخطورة إلى حد لا يجوز معها التفلُّت من صرامة التعامل المنهجي مع الحقائق التاريخية والمعطيات المترتبة عليها والمفاعيل المؤثرة على بنيتها، وما دامت تروم إطلاق حركة التنوير فإن الإطلالة على التاريخ ومن ثم سرده من بعد رصده تشترط تقديم الحق على هوى الاعتقاد، وما هو علمي على ما هو أيديولوجي والنظرة الموضوعية على الميل الذاتي أو التفكير المنصاع للرغبات.

إننا إذ نسعى إلى اجتراح نهضة ثقافية حضارية ركيزتها امتلاك المنهج العلمي والمعرفة النقدية، لا نبتغي في سياق ذلك إنكاراً للتراث، قد لا نشترط على المنهج تجريد ذاك التراث من هالة القداسة ولكننا نأبى في المقابل تجريد البحث والباحثين من حرية النقد البناء، أو حرمانهم من نقد ما قد يعتور التراث من هنات أو نقائص، أو ما قد تتضمنه بعض صحائفه من صور لا تبدو مشرقة، فالنقد والمنهج العلمي أهم بكثير في صناعة النهضة من الاحتفاظ بـ "تابو" على أمل أن يكرس هذا التابو مُتخيِّلا إيجابياً ما يستقر في الضمير العام للأمة.

ونحن نؤمن بأن التراث الذي خلفته لنا الحضارة الإسلامية هو من الثراء والعمق والقوة إلى الحد الذي يؤهله أن يفيدنا في تعزيز عملية إعادة بناء الفكر والمعرفة التي نحتاجها ونستحقها في آن، وإذ لا نجد لأنفسنا موضعاً بين المنكفئين على التراث المشتغلين به باعتباره ثقافتهم الأولى والأخيرة، فإننا في نفس الوقت لا نبتغي الانقطاع عن التراث، إذ إن التقدم باتجاه المستقبل يشترط عدم الانفصال عن الحاضر الذي هو النتاج الطبيعي الوحيد للماضي، ونحن نريد للأصالة أن تقودنا إلى المعاصرة لا أن تقف في مواجهة الحداثة ولقد كانت للمسلمين، وللعرب في القلب، منهم حقبة مجيدة ومستنيرة ومُشعّة أشرقت فيها حضارتهم على الدنيا، وفي تلك الحقبة توَحد في الوعي العربي والإسلامي مفهومان: الأول هو وحدة الحضارة العربية الإسلامية أو دار الإسلام، من حيث هي وحدة عقيدية وتشريعية وقيمية وثقافية مستندة إلى أسس تاريخية ومعنوية حقيقية ومشهودة في حياة العرب والمسلمين، والثاني هو وحدة الدولة العربية الإسلامية في شكلها السياسي، ولكن المفارقة أن هذه الوحدة بين المفهومين التي تشكلت في الوعي العام لم تنفصم، بل ولازالت ترابط في زوايا الوجدان الشعبي للعرب والمسلمين رغم الانفصال الحادث بينهما على أرض الواقع.

حضارة بهذه القوة ويقطع أثرها الأحقاب مسافراً عبر الزمان، هي موضوع السفر الذي بين أيدينا، وتحرّي وتوصيف معالمها في ليبيا يأتي في محاولة لسبر بعض من ذلك الأثر الهائل. لقد لعبت ليبيا القديمة دوراً بارزاً في كل من التاريخ الإسلامي والجغرافيا الإسلامية، وكان تحريرها، الذي يُحبذ المثقفون أن يسموه فتحاً، مُنطلقاً فعلياً لتحرير الساحل الجنوبي للمتوسط بالكامل، البحر الذي كان الإمبراطور أغسطس ذات يوم قد حقق حلم أسلافه بتحويله إلى بحيرة رومانية، ونحن نصر على أن الوصول العربي الإسلامي إلى برقة أوائل العام الهجري "22" كان تحريراً، لأن الأهالي لم يتصدوا لابن العاص وإنما على العكس آزروه في حملته ضد الحاميات الرومية في برقة وعلى طول الساحل الليبي، منذ أن اتخذ من المرج عاصمة جديدة لبرقة بدلاً من طلميثة منطلقاً بعد ذلك في اكتساح عظيم لقواعد الروم على طول خط التحصينات القديم الذي كان الإمبراطور سبتموس سويروس قد أقامه حول المدن الليبية لاحتجاز القبائل الليبية على "حافة الصحراء" كما كتب الصادق النيهوم في موسوعة "تاريخنا"، وبعد إجدابيا انقسم جيش التحرير الإسلامي إلى قسمين، الأكبر بقيادة ابن العاص نفسه اندفع حتى طرابلس، والثاني بقيادة عقبة بن نافع توغل في الصحراء جنوباً وبرفقته بُسر بن أبي أرطأة ومعهما "4000" جندي. لقد قطع قادة التحرير الإسلامي المسافات البعيدة التي قطعوها في الزمن العادي نفسه الذي كانت تقطعه القوافل التجارية، مما يعني أنهم لم يواجهوا أية مجابهة من الليبيين، وإنما على العكس من ذلك فقد كان عبورهم للأراضي المأهولة بمراكز تجارية مزدهرة في زلة وسكونة وهون وودان عبوراً لاقوا فيه دعم القبائل ضد قواعد قوات الاحتلال الروماني في الساحل، هذه الأرضية الممهدة أمام الإسلام هي التي شجعت ابن العاص أن يستأذن الخليفة عمر في مواصلة السير نحو أفريقية "تونس" واثقاً من أن خطوط إمداده عبر الأراضي الليبية مأمونة، وكان ذلك يحدث بعد عقود مديدة من السيطرة الرومانية على ليبيا، كان جند الروم فيها معزولون داخل حامياتهم لا يجرؤون على التوغل في العمق خشية تعرضهم لهجمات الليبيين.

إذن فقد أتاح تحرير ليبيا للإسلام أن ينتشر غرباً، وهو الانتشار الذي هيّأ لاحقاً التمدد الإسلامي شمالاً باتجاه الأندلس، بل إن تحرير ليبيا كان الخطوة الأولى التي مهدت الطريق أمام انتشار الإسلام جنوباً نحو وسط وغرب أفريقيا، فقد انتقل عقبة بن نافع إلى منطقة سرت ورابط فيها القسم الأكبر من جيش التحرير الإسلامي، واقتطع هو قوة صغيرة من ذلك الجيش توغل بها نحو ودان ومنها زحف جنوباً مخترقاً فزان، ومنها إلى بلاد النيجر فدخل مدينة قصر خاور عاصمة إقليم كوار.

ولعل التطور المعماري الديني والمدني على حد سواء منذ التحرير الإسلامي يتجلى في الزوايا والأسبلة والأضرحة والمدارس القرآنية، صور نقلها المؤرخون والرحالة الجغرافيون كابن حوقل في

"صورة الأرض " والبكري في "المسالك والممالك" منذ القرن الخامس لوفاة الرسول الكريمﷺ، ولقد نقل المؤرخون والرحالة لاحقاً أنه كانت على الحدود الشمالية الغربية لنيجيريا الحالية مدينة اسمها "تادمكة" أي مكة الجديدة، وكانت مركزاً هاماً لطرق القوافل التي تنقل البضائع والسلع بين برقة ومملكة غانا، وهذه العلاقات التجارية كانت لها أثرها في دخول ملوك أقصى الغرب الإفريقي في الإسلام.

لقد أحيت الثورة الدور الإسلامي لليبيا بعد كمون دام قروناً، وعقب انطلاقها بشهور بدأت تباشير ذاك الإحياء، لقد أطلقت ليبيا الحوار الإسلامي المسيحي في ندوات هامة وعما قليل تأسست جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي راكمت مع السنين منجزات عظيمة وثماراً طيبة، وانتشرت كليات تؤهل الدعاة تابعة لها، وضمن الإسهام الليبي في الدعوة إلى الإسلام حفلت جولات وزيارات القائد معمر القذافي عبر غرب ووسط وشرق وجنوب أفريقيا بالعمل الجاد واللقاءات المباشرة بالجماهير، وعلى يديه اعتنق الإسلام المئات بمن فيهم قساوسة وسلاطين وأناس عاديون كما أَمَّ القائد ملايين المسلمين في صلوات عدة.

ولقد اهتمت الثورة بكتاب المولى العزيز أيما اهتمام، فعملت على طباعة ملايين النسخ من المصحف الشريف بشتى القراءات والخطوط، وعلى توزيعه في أقطار الدنيا كما اهتمت بتدريس علومه وأنشأت له إذاعات لنشره والتعريف به.

واهتمام الثورة بإحياء دور ليبيا الإسلامي تقاطع مع اهتمامها ورعايتها لإحياء التراث الإسلامي ذاته، وهكذا نشأت الزوايا وانبعثت المنارات التي تُدرس فيها العلوم الدينية وتتلقى فيها الناشئة الهدي الديني القائم على خطاب يجمع ولا يفرق، ينير ولا يستغلق، هدي مستمد من إسلام بلا تعصب مذهبي، وهي إحدى الدعوات التي انبرى لها قائد الثورة منذ سني الثورة الأولى، لاستعادة الإسلام إلى مشربه السمح الأول، إسلام بلا مذهب.

إنه دور يليق بليبيا بتاريخها وإسهامها التليد، وهي التي يزدان الكثير من ثراها بقبور الصحابة الأماجد، ففي درنة وحدها قبور "70" صحابياً جليلاً، هو دور كان يبحث عمن ينفض عنه تراب السنين، وبالثورة جاء من يستعيد ومن يعيد ليبيا إلى ذاتها وذلك أن اكتشاف الذات وتشخيص خصوصيتها ومعرفتها معرفة صحيحة هي كلمة السر في الثورة على واقع التشرذم والتشظي والانقسام والاستلاب واللحاق بمراكز جذب حضاري خارجي لا ننتمي إليها ولا تنتمي إلينا، غير أننا نريد محاورتها من موقع الحرية والندية والتفاعل لا الانفعال.

د. المبروك القايد

الفصل الأول

تاريخ ليبيا القديم

التعريف بجغرافية ليبيا:

د. الصديق محمد العاقل

في عجالة مخططة ومحددة كان لابد وأن يأتي موضوع التعريف بليبيا جغرافياً، وإظهار بعض مظاهرها الحضارية القديمة، وموضوعاً منثوراً، لا يتعرض إلا لبعض العموميات التي يمكن أن ترسم صورة إجمالية للبلاد وتطويرها، ونترك للقارئ أن يحسن ويجمل هذه الصورة بقراءة بقية فصول الكتاب التي لا شك وأنها تفصل وتتعمق في تاريخ البلاد وعلاقاتها عبر الزمن.

التسمية:

لقد استخدم اليونانيون القدماء كلمة ليبيا ليشيروا بها إلى شمال أفريقيا جنوب البحر المتوسط، من النيل شرقاً وحتى المحيط الأطلسي غرباً بما في ذلك الظهير الصحراوي والواحات. هذا الاسم اشتق في الغالب من اسم لقبيلة عاشت فوق أراضي برقة، وهي الجزء الشرقي من ليبيا الحالية، منذ الألف الثانية قبل الميلاد، وهناك دلائل أثرية تشير إلى درجة كبيرة من التجانس للإقليم المذكور فيما يتعلق بالأصل والثقافة، فاكتشافات التنقيب الأثري في كل من الجزائر وطرابلس تعود في العموم إلى الألف الثاني والثالث قبل الميلاد، وأظهرت خصائص مميزة فيما يتعلق بغطاء الرأس، والملابس، والحلي، والطقوس الدينية، وهي كذلك تلاحظ على قطع الآثار الفنية للمصريين القدماء وعبر الزمن تقلص مفهوم هذا الاسم ليصبح مخصوصاً لرقعة من الأرض محددة تقع في الوسط الشمالي من القارة الإفريقية، وهو ما يُطلق عليه الجماهيرية العربية الليبية.

الموقع:

للتعريف بموقع ليبيا الجغرافي يمكن القول بأن الأراضي الليبية تمتد من شواطئ البحر المتوسط الجنوبية وحتى حدود كل جمهورية تشاد والنيجر في الجنوب، وإلى خط الحدود مع جمهورية مصر العربية وجزء من الحدود الشمالية الغربية لجمهورية السودان في الشرق، أما من الناحية الغربية فهي تشترك في حدودها مع كل من جمهوريتي تونس والجزائر. هذا من الناحية الجغرافية أما من الناحية الفلكية فهي تغطي رقعة أرضية من اليابس تمتد فيما بين خطي طول 9، 25 درجة شرقاً، وبين دائرتي عرض 45 - 18°، 33 درجة شمالاً[1].

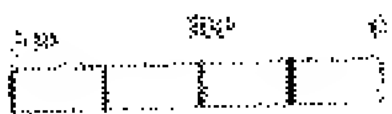
(1) د. محمد المبروك المهدي، 1990، جغرافية ليبيا البشرية، ط2، جامعة قاريونس، بنغازي، ص9.

خارطة ليبيا الطبيعية

طرابلس
مصراته
بنغازى
الجبل الأخضر
سرت
الجبل الغربي
الحمادى الحمراء
غدامس
جبل السوداء
أدهان أوباري
سرير كالنشو
صحراء ربيانة
الهروج الأسود
العوينات
غات
الكفرة
سرير تيبستي

طرق القوافل

مقياس الرسم



وتطل ليبيا على البحر المتوسط بساحل يبلغ حوالي **1900** كيلو متر، وبذلك فلها أطول السواحل على جنوب البحر المتوسط، وعلى وسط هذا الساحل يمتد خليج سرت أكبر خلجان الشمال الأفريقي الذي يمتد لمسافة تزيد عن **500** كيلو متر.

ومن خلال الموقع الفلكي فإن معظم الأراضي الليبية تقع في النطاق الشمالي للصحراء الأفريقية الكبرى، ولا يستثنى من ذلك سوى المرتفعات الشمالية وبعض السهول الساحلية المطلة على ساحل البحر.

لقد ساعد موقع البلاد على البحر المتوسط في التواصل مع الحضارات القديمة التي ازدهرت حول هذا البحر، والتي أثرت تأثيراً مباشراً على ليبيا من جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ومن بين تلك الحضارات كل من الحضارة المصرية القديمة، والحضارة الإغريقية، والحضارة الفينيقية، والحضارة الرومانية، ولا تزال بقايا مدن وآثار أغلبها قائم حتى الآن، شاهدة على نمو وازدهار تلك الحضارات. فلقد أسس الإغريق اليونانيون مملكة لهم على أراضي الساحل الشمالي الشرقي من ليبيا وسموها "بنتابوليس" أي إقليم المدن الخمس.

عليه يمكننا القول: إن ليبيا كنز من الكنوز الغنية بمعالم تاريخية مهمة، خاصة إذا نظرنا إلى المدن الأثرية القديمة والتي لا يزال الكثير من أركانها قائماً وشاهداً على ازدهارها. وتشير الحفريات إلى أن الإنسان استوطن وكان موجوداً منذ بداية عصر البلايستوسين عندما كانت الظروف المناخية للصحراء الليبية تختلف كثيراً عما هي عليه في الوقت الحاضر، خاصة فيما يتعلق بالتساقط المطري، وتوفر المياه الصالحة للاستعمال. ولقد وجدت الكثير من الشواهد التي تدل على سيادة مناخ العصر المطير في مناطق الصحراء الليبية خلال أوائل البلايستوسين والتي من بينها بقايا ثمار وأغصان لأشجار متحجرة، وكذلك وجود الكثير من الأودية الجافة التي يدل حجمها على أنها نحتت بكميات وفيرة من المياه، ولا يمكن أن تنحتها مياه التساقط الحالية، تلك الظروف الرطبة جعلت منها بيئة صالحة لقيام حياة نباتية وحيوانية وبالتالي وجود الجنس البشري. لقد جمعت شواهد تدل على أن صحراء اليوم كانت آهلة بشتى أنواع الحياة، حتى تغيرت ظروفها المناخية واتجهت نحو الجفاف، فقَلَّ ماؤها وأصبحت بيئة طاردة، فهجرها الحيوان والإنسان، ولم يبق إلا الشواهد التي تدل على وجودهم خلال الأيام الغابرة.

ففي وسط الصحراء تشهد بقايا مدينة جرمة، الواقعة في الإقليم الجنوبي من ليبيا الحالية، على حركة استيطانية نشطة، فقد عثر على الكثير من مخلفات الجرمنت التي تعود إلى عام **900** قبل الميلاد وما بعده حتى القرن الثالث الميلادي. ويعد الجرمنتيون خبراء اختراق الصحراء مما جعلهم يتميزون بالقدرة على اصطياد الفيلة والزراف والنعام التي كان لها وجود في المناطق الجنوبية. كما اشتهر الجرمنتيون باستخدام العربات التي تجرها الخيول، وكانت لهم طرق عبر المنطقة تصل إلى غدامس وتاسيلي والهوجار ومرتفعات أدار.

وفي المناطق الساحلية فلقد أسس بنو كنعان "الفينيقيون" مدينة طرابلس في الألف الأولى قبل الميلاد ولقبوها "أويا"، وهي إحدى المدن الثلاث التي استوطنوها كموانئ لحركتهم التجارية. وإلى الشرق منها أسست مدينة لبدة عند مصب وادي لبدة، حيث أقيمت على أنها مركز تجاري يؤمه الفينيقيون الذين يجوبون بسفنهم البحر المتوسط من سواحل سوريا الحالية وحتى سواحل إسبانيا، وذلك منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وتعد لبدة من المدن التاريخية العظيمة بما تحويه من مخلفات أثرية مهمة.

ولقد بلغت مدينة لبدة أوج ازدهارها وتقدمها إبان حكم الإمبراطور "سبتموس سيفيروس" المولود بها عام 146 ميلادية وأصبح إمبراطوراً لها عام 193 ميلادية. ويوجد اليوم بمدينة لبدة متحف تاريخي يضم العديد من التحف والكنوز التي عثر عليها إلى جانب تمثال برونزي لإمبراطورها سبتموس سيفيروس.

أما مدينة بنغازي فقد تأسست عام 446 قبل الميلاد، وهي إحدى المدن الخمس التي ازدهرت خلال العهد الإغريقي على الجزء الشمالي الشرقي من ليبيا، وكانت تدعى في العهد الإغريقي "يوهسبريدس"، ثم أصبح اسمها بنغازي خلال العصر الإسلامي.

وإلى الشرق منها أسست مدينة شحات التي عرفت قديماً باسم "قورينا" وهي أشهر المدن الخمس التي أقامها المهاجرون الإغريق في ليبيا وذلك عام 631 قبل الميلاد، وازدهرت فيها العلوم والفلسفة وبلغت أوج ازدهارها في القرن الرابع قبل الميلاد، كما انتعشت الزراعة والتجارة، فارتفع محصولها من الزيتون والقمح والكروم، وكان ميناؤها أبو لونيا "سوسة" من المرافئ المهمة والذي عن طريقة كانت تتم المبادلات التجارية للمنتجات الليبية والإغريقية، ولقد كان نبات السلفيوم الطبي ذو القيمة الكبيرة، من المحاصيل التي لعبت دوراً اقتصادياً كبيراً ونتيجة لأهمية هذا النبات فلقد وضعت صورته على النقود إبان تلك الفترة.

لقد كان لمجيء الإغريق والرومان واستقرارهم بالبلاد آثار اجتماعية واقتصادية، ولقد اهتم الرومان بالنشاط الزراعي وشجعوه حتى إنهم حولوا ليبيا إلى مركز لتموين روما بالمنتجات الزراعية وخاصة الحبوب والقمح وأطلقوا عليها مخزن غلال روما. ولقد لعبت المدن والأراضي الليبية دوراً كبيراً في التبادل التجاري بين المدن الأوروبية ودواخل القارة الإفريقية عن طريق تجارة القوافل والتي كان من أهم طرقها التي تنطلق من شمال ليبيا:

1- طريق بنغازي، أوجلة، الكفرة، أبشة واداي.
2- طريق طرابلس، سوكنه، مرزق، القطرون، بلْما، بحيرة تشاد.
3- طريق طرابلس، الجبل الغربي، سيناون، غدامس، غات، أغاديس، زندر، كانو (انظر الخريطة السابقة) [1].

(1) د. دنيس كورديل، طرق القوافل الرئيسية الرابطة بين ليبيا وبلاد السودان خلال القرن التاسع عشر، نقلاً بتصرف، مجلة تاريخ أفريقيا، 18: 1، 1977.

ولا شك في أن الموقع الجغرافي للبلاد بين دول المشرق والمغرب إضافة إلى استواء سطحها واعتدال مناخها جعل منها مركزاً استراتيجياً للتواصل الجوي بين العالم الغربي والأفريقي.

وبانتهاء الحرب بين تركيا وإيطاليا بمعاهدة أوشي أكتوبر 1912، أعطى السلطان التركي الاستقلال "الحكم الذاتي" لليبيا مع الاحتفاظ بحق تعيين الحاكم. لقد كافح الليبيون ضد الإيطاليين ونظامهم الاستعماري، وعند دخول إيطاليا الحرب العالمية الثانية ركزت بقاءها على المدن الساحلية وبعد هزيمة دول المحور في الحرب ودخول الإنجليز من مصر، أصبحت ليبيا تحت الانتداب البريطاني. وبانتهاء الحرب العالمية الثانية كُلفت الأمم المتحدة بالنظر في مستقبل ليبيا، حيث قررت أن تصبح البلاد دولة مستقلة قبل 1952/1/1. وقد أعلن استقلال ليبيا في 1951/12/24 كنظام اتحادي لثلاث ولايات هي طرابلس، وبرقة، وفزان[1]. وفي عام 1963 أعلن عن قيام النظام الاتحادي تحت حكومة موحدة وعاصمة واحدة هي طرابلس، كما قسمت البلاد من الناحية الإدارية إلى عشر محافظات. وفي الفاتح من سبتمبر 1969 استبعد النظام الملكي بثورة الفاتح التي أعلنت عن قيام النظام الجمهوري الاشتراكي، والذي تغير إلى النظام الجماهيري وهو النظام الشعبي لإدارة الحكم.

التضاريس:

ليبيا جزء من الهضبة الأفريقية العظيمة لذلك فلها صلة جغرافية بدرجات متفاوتة مع كل من مصر وتونس والجزائر والمغرب، والعنصر الجغرافي الرئيسي هو تكوينات جندوانا القاعدية أو السفلية، وهي عبارة عن كتل ما قبل الكمبري من الشست والجرانيت المغطاة بترسبات من الترب والكثبان الرملية القديمة أو الحديثة التي ترجع إلى الزمن الرابع، ولقد أمكن تمييز المظاهر الرئيسية التالية:

أ - المرتفعات الشمالية:

يمكن تمييز كتلتين من المرتفعات في شمال البلاد وهي مرتفعات الجبل الأخضر ومرتفعات الجبل الغربي. فالجبل الأخضر يظهر على شكل هضبة تمتد لمسافة تزيد عن 300 كيلو متر ولها إشراف مباشر على البحر المتوسط، ويتكون الجبل الأخضر من ثلاثة مستويات، الأول على ارتفاع 280 مترا وتمثله مدينة المرج، والثاني على ارتفاع حوالي 600 متر وتمثله مدينة البيضاء، والثالث أعلى من 600 متر تمثله منطقة سيدي الحمري[2].

أما مرتفعات الجبل الغربي فهي تمتد من الحدود الغربية للبلاد مع البلاد التونسية وحتى رأس المسن بالقرب من مدينة الخمس شرقي طرابلس، وتدعى بأسماء محلية مختلفة مثل جبل نفوسة وجبل

---

(1) جامعة شيكاغو، 1973، الموسوعة البريطانية/ الناشر ويلم بنتون، مجلد 13، 1066.

(2) د. محمد المهدوي، 1990، مصدر سابق، ص 26.

ترهونة، وتمتد بطول يقرب من 500 كيلو متراً، وشمال هذه المرتفعات ينحصر سهل الجفارة الذي يعد من أهم المناطق الزراعية شمال غرب البلاد.

أما في وسط ليبيا وجنوبها فتظهر مجموعة من المرتفعات الجبلية مثل جبال تبستي وتاسيلي وتومو والعوينات وجبال السوداء والهروج، وهي عبارة عن كتل متفرقة تعرضت عبر الزمن لعوامل التعرية، كما تغطى أجزاء منها بصخور بركانية تشير إلى حدوث اضطرابات خلال الأزمنة الغابرة.

2- منطقة السهول:

يعرف السهل بأنه رقعة من الأرض مستوية في عمومها تصلح للاستعمال في أغراض الزراعة والرعي وغيرها، وإذا تجاوزنا واعتبرنا أن الأراضي التي تقترب ارتفاعها من 200 متر فوق سطح البحر هي أراضٍ سهلية، فإننا نلاحظ أن مثل هذه الأراضي لها وجود فوق الأراضي الليبية، متمثلة في رقعة تشبه المثلث إلى الشمال من الجبل الغربي وهو ما يدعى "سهل الجفارة". أما إلى الشرق من مدينة الخمس فإن هذه المناطق تتسع إلى الجنوب، وأما إلى الجنوب والجنوب الشرقي من خليج سرت فإنها تغطي مساحات شاسعة لتصل إلى مسار الدائرة العرضية 26 درجة شمالاً وهي تشمل مساحات كبيرة من الغطاءات الرملية. أما شمال الجبل الأخضر فإن مثل هذه السهول لا تتمثل إلا في شريط ساحلي ضيق وذلك بسبب الانحدار السريع للحافة الشمالية للجبل الأخضر نحو البحر المتوسط ولا تترك مجالاً واسعاً لتكوين مثل تلك السهول. والجدير بالذكر أن معظم النشاط الزراعي والرعوي في ليبيا يتوطن فوق أجزاء محدودة نسبياً من هذه الأراضي حيث تتوفر التربة الصالحة والمياه العذبة.

3- المنطقة الصحراوية:

إذا ما استثنينا الشريط الساحلي وإلى حد ما بعض الواحات المتناثرة بالمنخفضات الصحراوية، فإن سطح الأراضي الليبية يغلب عليه الطابع الصحراوي سواء أكان الرملي أم الصخري أم الحصوي، وتغطي ما يقرب من 90% من مساحة البلاد. فالصحراء الصخرية هي عبارة عن هضبة متوسطة الارتفاع تنحدر تدريجياً من مرتفعات الجنوب نحو خليج سرت. ومن أشهر الحمادات، أي الصحراء الصخرية كل من الحمادة الحمراء، وحمادة مرزق. أما الصحراء الحصوية فيمثلها سرير كلانشو الذي يمتد شمال منخفض الكفرة، وأما الصحراء الرملية والتي تدعى بالعروق أو الأدهان فهي تغطي مساحات كبيرة من الصحراء الليبية سواء كان في شرق البلاد أم في غربها. كما تنتشر بعض الأحواض الصحراوية ممثلة في كثير من المنخفضات التي تشغلها الواحات مثل جالو وأوجلة والجغبوب وغدامس والكفرة وغيرها. هذا وينتشر الكثير من الوديان التي تنصرف عبرها مياه الأمطار القليلة نسبياً، فمنها ما ينصرف إلى الشمال وينتهي عند البحر المتوسط مثل وادي الشاطئ ووادي الحياة "الآجال" وبرجوج وغيرها والتي تنتشر فيها بعض الواحات وأقيمت فيها بعض المشاريع الزراعية الهامة.

الظروف المناخية:

يوصف المناخ في الأجزاء الشمالية من ليبيا بأنه حار جاف صيفاً دافئ ممطر شتاءً، وإن كان هذا الوصف لا يتحقق إلا في مناطق محدودة من الساحل الليبي القريب من البحر المتوسط والأجزاء المرتفعة في كل من الجبل الأخضر والجبل الغربي، أما الصفة الغالبة للمناخ الليبي فهي المناخ الصحراوي الذي يتصف بارتفاع درجة حرارة في العالم وهي 136 درجة فهرنهيتية أو 58 درجة منوية[1].

عليه فإن المناطق الشمالية المتأثرة بمناخ البحر المتوسط هي مناطق الإنتاج الزراعي وبالتالي فهي مناطق جذب للسكان الذين استوطنوا فظهرت المدن الكبيرة وطرق الاتصال المختلفة فنمت وازدهرت حضارات مختلفة عبر الزمن. أما الأجزاء الجنوبية والتي تقع تحت تأثير المناخ المداري فهي مناطق صحراوية يرتفع فيها المدى الحراري اليومي والفصلي وبذلك فهي مناطق طرد سكاني إلا في بعض المنخفضات التي توفرت فيها المياه فجذبت سكان الصحراء للاستقرار في بعض الواحات الجميلة. وفيما بين هذا وذاك توجد مناطق الانتقال أو الاستبس، وهي مناطق رعوية تزدهر فيها الحشائش عند سقوط الأمطار وبذلك فهي مناطق رعي للرعاة وحيواناتهم.

ويعد المطر من العناصر المناخية الأساسية والمهمة والمؤثرة في توزيع السكان واستقرارهم، وتحديد أنواع الغطاء النباتي والحيوانات بالمناطق المختلفة. وأمطار ليبية شتوية في عمومها متباينة زمانياً ومكانياً وذلك لتأثرها المباشر بمرور المنخفضات الجوية المتجهة من غرب البحر المتوسط إلى شرقه، كما وأنها تؤثر مباشرة على الشريط الساحلي ومناطق المرتفعات الشمالية وقد تصل كميتها إلى 500 مللم أو أكثر سنوياً في بعض مناطق الجبل الأخضر، بينما لا تتجاوز كميتها 10 ملليمترات سنوياً في أغلب الأراضي الجنوبية للبلاد. وعليه يمكن القول بأنه في ليبيا تتمثل أربعة أنماط من المناخات وهي: النمط الأول وهو مناخ البحر المتوسط والذي يتمثل في أجزاء متفرقة من الشريط الساحلي وتأثيره يتسع ويضيق حسب معدل تأثير الأعاصير الشتوية. أما النمط الثاني فهو مناخ المرتفعات الشمالية وهو يدخل ضمن النمط الأول إلا أن أمطاره أعلى وخاصة في منطقة الجبل الأخضر ولذلك فإنه جعل من هذه المنطقة أرضاً صالحة لنمو بعض أنواع أشجار الغابات، مثل البلوط والبطوم والصنوبر وغيرها من الشجيرات والحشائش. أما النمط الثالث وهو مناخ الاستبس أو المناخ الانتقالي فإنه يسود في مناطق أقل مطراً من النوعين السابقين ويستمر جنوباً حتى خط مطر 25 مللم. وأخيراً النمط الرابع فهو المناخ الصحراوي وشبه الصحراوي وهو يتمثل في معظم مساحة البلاد، وهو إقليم يتصف بالقحولة، حيث يترفع فيه المدى الحراري، ولذلك فإن الحياة النباتية والحيوانية تكاد تنعدم في هذه المناطق، إلا في بعض مناطق الواحات المنتشرة في مناطق جنوب النمط السابق من المناخ.

---

(1) د. جلن، تريوارتا، مقدمة للمناخ، ط4، ماكروهيل، نيويورك/ ص 55.

السكـــان:

لقد استوطنت الأراضي الليبية قديماً قبائل مختلفة عبر الزمن والتي منها قبائل الليبو والتحنـو والمشواش والجرمنت ويرجح أن الظروف المناخية كانت زمن استيطانهم تختلف عما هي عليه اليوم من حيث الرطوبة وتوفر المياه، وكما سبقت الإشارة فإن أفواجاً من الفينيقيين والإغريق والرومان قدموا واستوطنوا أماكن مختلفة من البلاد حيث أقاموا مدنهم التي لا تزال بقاياها تشير إلى ازدهار حضاري كبير كما قدمت إلى ليبيا هجرات متوالية من قبائل بني سليم وبني هـلال العربيـة في طريقها إلى بلاد المغرب، واستوطنت أفواج منهم بعض مناطق البلاد، ومن ثم فقد اخـتلط الـدم والنسل وخاصة في أماكن استقرار أفراد تلك القبائل وتشكلت منهم ومن السكان القدامى عناصر سكان ليبيا. ولقد تطور عدد السكان في ليبيا مع مرور الزمن وتحـسن الأحـوال الاقتـصادية والاجتماعية والصحية خاصة بعد الخلاص من فترة الاستعمار الإيطالي.

جدول رقم (1) تطور أعداد السكان في ليبيا (1)(2)

سنة التعداد	عدد السكان
1954	1.008.873
1964	1.564.369
1973	2.290.734
1984	3.321.059
1995	4.389.739
2006	5.323.991

ومن الجدول رقم (1) نجد أن عدد سكان ليبيا ازداد من **1.008.873** نسمة في عام **1954** إلى **5.323.991** في عام **2006**. فقد بلغت نسبة الزيادة في هذه الفترة الزمنية وهي **52** عامـاً مـا مقداره **389%** وهي نسبة عالية، وقد يرجع سببها إلى التحسن في أحـوال المعيـشة والوضـع الصحي للسكان، أو التهرب من التسجيل في التعداد الأول من قِبَل السكان.

ويتأثر توزيع السكان في ليبيا، والذين يتركزون في الشريط الساحلي، بظروف المناخ السائد، وتوفر المياه الصالحة للاستخدام المنزلي أو الزراعي، كما ساعد في توطنهم توفر بعض الحرف والمهن التي تتوافر عادة حول المدن الرئيسية مثل طرابلس وبنغازي ومصراته وغيرها. لذلك نجد التركـز الأكبر لسكان ليبيا كان حسب تعداد **2006** في كل من شعبية طرابلس، حيث بلغ عدد سـكانها **1.065.405** نسمة، وشعبية بنغازي **670799** نسمة، وفي شعبية مصراته **550938** نسمة، فأصبح

(1) الهيئة العامة للمعلومات، النتائج الأولية للتعداد العام للسكان، 2006، ص4.
(2) أمانة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان، 1973، ص1.

نصيب هذه الشعبيات الثلاث ما يقرب من 43% من مجموع السكان، ويرجع ذلك لتوفر سبل الحياة الكريمة سواء في المجال الزراعي أو في الصناعي أو في الحرفي أو في الخدمات.

ولقد أثرت عدة عوامل على الأحوال المعيشية لسكان البلاد منذ بداية القرن العشرين ومن أبرز تلك العوامل، النقص الحاد في الموارد الطبيعية، والأثر السيئ للحروب التي قامت على أراضي البلاد بين قوى خارجية، ثم نقص وقلة الأفراد المؤهلين، كل هذا وغيره مثل الأمية والفقر والمرض، وقف عائقاً أمام تقدم البلاد، ونتيجة لصعوبة الأحوال الجغرافية، إلى بداية الستينيات من القرن العشرين، وغياب أي استغلال للمصادر المعدنية، فإن مستوى معيشة السكان بقي أقل من مستوى معيشة سكان الدول المجاورة. ولكن بعد الاكتشاف الكبير لمواقع إنتاج النفط والتي بدأت عام 1961 فإن الدخل المادي للدولة أثر على مستوى دخل السكان ومعيشتهم وقد لوحظ نشاط كبير في مجال الإنشاء والتعمير فظهرت الطرق المعبدة والمدن الحديثة والموانئ البحرية والجوية، وبذلك انبعث نشاط في الأحوال الاقتصادية للمجتمع.

أما فيما يخص الإنتاج الزراعي والذي لا يكفي حاجة الاستهلاك المحلي، فإن إنتاجه يعتمد في الغالب على الزراعة البعلية حيث تنتج كميات من الحبوب مثل القمح والشعير والذرة، كما تنمو بعض الأشجار مثل النخيل والزيتون وبعض أشجار الفاكهة وخاصة الحمضيات واللوزيات إضافة إلى الخضروات في الجزء الشمالي من البلاد وخاصة في المناطق توفر المياه الجوفية التي تسحب لأغراض الزراعة. ولقد تأثر الإنتاج الزراعي سلباً منذ بداية الستينيات من المنصرم وذلك لتوفر مواقع العمل ذات الدخل الأوفر بمناطق إنتاج البترول، أما النشاط الرعوي فلا يزال يمثل نشاطاً مهماً في بعض مناطق البلاد.

موارد المياه:

لا شك في أن توفر عنصر المياه من أهم شروط قيام الحياة واستمرارها في أية بقعة فوق سطح الأرض، وفوق الأراضي الليبية كغيرها نجد أن هذا العنصر يلعب الدور الرئيسي لتحديد أماكن توطن الإنسان ونشاطاته المختلفة. ولقد ظهرت ونمت الحضارات القديمة في مواطن توفر المياه الصالحة للاستخدام مثل حضارة بلاد الرافدين والحضارة المصرية القديمة اللتين ازدهرتا بفضل توفر كميات هائلة من مياه الأنهار.

وحيث إن الأراضي الليبية تصنف ضمن المناطق الصحراوية لوضوح صفة الجفاف وانخفاض معدلات التساقط لذلك فإن مشكلة توفير الكميات المطلوبة للاستهلاك من المياه كانت ولا تزال عائقاً أمام النشاط الإنتاجي للسكان، خاصة وأنها تعتمد كلياً على مياه الأمطار فإن تساقطها يتركز على مناطق الشريط الساحلي وإن كانت الكمية تتأثر بموقع المكان وبُعده عن ساحل البحر

المتوسط فنجد أغزر المناطق أمطاراً توجد في الجبل الغربي وحول طرابلس ثم في الجبل الأخضر ومنطقة بنغازي، حيث يتجاوز المعدل السنوي للأمطار 400 مللم وقد يصل في بعض المناطق إلى 600 مللم.

ومع ذلك فإن كميات المياه الساقطة لا تلبي الطلب السنوي للتبخر والنتح مما أحدث عجزاً يفوق 1000 مللم سنوياً، ولذلك فإن مياه الأمطار لا تسهم إلا في إنتاج بعض المحاصيل الزراعية وخاصة الشتوية.

أما المياه الجوفية والتي تستخرج عن طريق حفر الآبار وقليلاً عن طريق العيون فإنها تشكل الداعم الرئيسي للحياة الاقتصادية في البلاد، فعليها يعتمد السكان لسد استخداماتهم المترلية وفي توفير احتياجات مزارعهم ومصانعهم. وهذا النوع من موارد المياه سواء أكان متجدداً عن طريق تساقط الأمطار أم غير متجدد، فإنه يشكل ما نسبته 95% من الاستهلاك السنوي لهذا العنصر، وحيث إن هذا النوع من الموارد المائية متوفر بكميات هائلة في جنوب البلاد فإن العمل جار على نقل كميات منه عن طريق النهر الصناعي إلى المناطق الشمالية لسد العجز واستخدامه في الأغراض المترلية والزراعية.

قائمة المصادر والمراجع

1- أمانة التخطيط. مصلحة الإحصاء والتعداد، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان، 1973.

2- د. المهدوي، المبروك محمد. جغرافية ليبيا البشرية، جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1990.

3- الهيئة العامة للمعلومات النتائج الأولية للتعداد العام للسكان، 2006.

4- بازامه، محمد مصطفى. بنغازي عبر التاريخ، دار ليبيا، بنغازي، 1968.

5- د. ترايوارتا، جلن. مقدمة للمناخ، ط4، ماكروهيل، نيويورك، 1968.

6- جامعة شيكاغو. الموسوعة البريطانية، وليم بنتون، مجلد 13، شيكاغو 1973.

7- د. كورديل، دنيس. طرق القوافل الرئيسية الرابطة بين ليبيا وبلاد السودان خلال القرن التاسع عشر، نقلاً بتصرف، مجلة تاريخ أفريقيا، 18: 1، 1977.

- ليبيا في العصر الفينيقي:

د. عبد الحفيظ فضيل الميار

وردت تسمية ليبيا ولأول مرة في نقيشة ترجع إلى الألف الثانية ق.م في عهد الدولة القديمة في مصر[1]، وهذه التسمية كانت تطلق على إحدى المجموعات الليبية التي كانت تنتشر مضاربها غرب دلتا نهر النيل[2]، ويبدو أن استعمال هذه التسمية كمدلول جغرافي على سكان ليبيا استمر خلال العصر الفينيقي والروماني حيث وردت تسمية "أرض اللوبيين" في في نقيشة بونية ترجع إلى القرن الأول في عهد البر وقنصل الروماني لوكيوس إيليوس لاميا (17/15م) عثر عليها في معبد الإله الليبي آمون الذي أقامه وكرسه أحد الأثرياء الليبيين في موقع الحيجية بقرية الخضراء في ترهونة[3]، والمقصود بأرض الليبيين هنا ولاية شمال أفريقيا الرومانية التي يشكل إقليم المدن الثلاثة (لبدة الكبرى، ويات، صبراتن) أجزاء منها، والتي تمتد حدودها شرقاً حتى مذبح الأخوين فلايني (**Arae Philaenorum**) (رأس العالي)[4].

وأن التأثير الفينيقي البوني وحسبما يتوفر من أدلة الآن اقتصر على الجزء الغربي من ليبيا، أما الشرقي فقد وقع تحت الاستعمار الإغريقي بوقت مبكر، وعليه فستشمل هذه الدراسة منطقة النفوذ البوني "القرطاجي" الممتد من مذبح الأخوين فلايني[5] شرقاً (حسبما ورد في دستور بطليموس الأول الخاص بالمدن الخمس) وحتى تنيناي (**Tininai**) 10كم جنوب صقافس، غرباً.

ووفقاً لما أورده بوليبيوس[6] في حديثه عن الاتفاقية الأولى بين روما وقرطاج فإن هذه المنطقة تتطابق مع إقليم الأمبوري، ويشكل البحر الأبيض المتوسط الحد الشمالي للإقليم، ويتميز هذا البحر بسهولة الإبحار فيه وهو ما هيأ عملية التواصل الحضاري بين شعوب البلدان المطلة على شواطئه، ومن الجنوب امتدت الحدود لتشمل أرض الجرمنت. وخلال القرن الثالث الميلادي أطلق مصطلح "طرابلس" على إقليم المدن الثلاث (لبدة الكبرى، ويات، صبراته)[7]. وخلال فترة

---

(1) Hoscher, W. Liber und Egypter, Hambwrg, 1937, p.24; Bate, O. the easter n Libyans, London, 1914, p. XIX ff.

Herodotus, II, 16-17(2)

IPT67(3)؛ لمزيد عن المعلومات، انظر: عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2001؛ وهكذا نرى أن تسمية إقليم أفريقيا الرومانية بأرض اللوبيين استمرت خلال العصر الفينيقي والروماني وليس كما اعتقد البعض؛ رجب الاترم، محاضرات في تاريخ ليبيا، ص 12، إن استخدام هذه التسمية خلال هذا العصر اقتصرت على الإقليم الشرقي من ليبيا (برقة).

.Bel. Lug, 79; Merighi, A. 1940, Tripolitania Antica Vol. 1. p p . 30-370 (4)

.Sallust. Bel. Iug. 79 (5)

Polybius, III. 23.2 (6)

.Solinus, 27.8, H A. 18.3;(7) CIL, 8,216542;16543-11105; Eutrobius. 8.18

الإمبراطورية الرومانية المتأخرة امتدت حدود الإقليم لتشمل جزيرة جربة وقابس[1]. إن دراسة تاريخ الإقليم تستوجب دراسة موقعه الجغرافي ومناخة وطبيعة تكوينه، لما لذلك من تأثير على البيئة التي لها دور فاعل ومؤثر في فكر الإنسان وحضارته، حيث شكل أسلوب حياته وثقافته. والإشارات الواردة في المصادر القديمة[2] تدل على أن طبيعة الإقليم كانت مشابهة لما هي عليه الآن: حيث يوجد سهل ساحلي يمتد بين الشاطئ الجنوبي للبحر المتوسط والسلسلة الجبلية التي تشمل غريات، يفرن، ترهونة، مسلاته، ويقع جنوب هذه السلسلة هضبة صحراوية مرتفعة تشمل الحمادة الحمراء تمتد نحو الجنوب حيث تصل في الجنوب الغربي إلى العرق الشرقي الكبير، وفي الجنوب الشرقي تقطعها أودية سوف الجين، وزمزم، والمردوم، وبئر دير والبي الكبير والشطاف.

وفيما يتعلق بحالة المناخ في الإقليم فإن الشواهد الأثرية تدل على حدوث تغير تدريجي نحو مناخ أكثر جفافاً بعد فترة العصر المطير **40.000 – 20.000** ق.م، ويبدو أن ذلك استمر حتى عام **2000** ق.م، حيث شكل التاريخ الأخير بداية الجفاف الحالية، ذلك إن أغلب علماء الجغرافيا والمورفولوجيا يعتقدون بعدم حدوث أي تغيير مهم بعد هذا التاريخ[3]، وبصورة عامة فإن كمية الأمطار التي تنزل في الإقليم قليلة وهي تتفاوت من منطقة إلى أخرى، ولا توجد سوى مساحة صغيرة بين ويات والخمس يصل فيها معدل سقوط الأمطار (**300** مم في السنة) وهو لا يكفي لإنتاج معدل كبير من الحبوب لأغراض تجارية والذي يحتاج إلى (**400** مم في السنة) [4].

أصل سكان (الشمال الأفريقي):

تشير الأدلة الأثرية والتاريخية إلى الأصل العربي لسكان الشمال الأفريقي، ذلك أن الزيادة في عدد سكان الجزيرة العربية، ولأنها منطقة طاردة بسبب الجفاف وشح الموارد الاقتصادية فيها اضطر سكانها إلى التوجه إلى المناطق الخصبة المجاورة في موجات متتالية، رغبة منهم في تحسين أحوالهم الاقتصادية وظروف معيشتهم.

هذا ويمكن القول إنه بسبب الجفاف وازدياد التصحر خرجت من هذه المنطقة هجرات تتألف من عناصر سامية، في وقت مبكر منذ آلاف السنين قبل بداية العصر التاريخي. ومن بين هذه الهجرات تلك التي اتجهت نحو الغرب سالكة طريقين أحدهما باب المندب والسودان ومصر وشمال

---

(1) Tabula Peut, VII.1.

(2) Corippus, Joh.2.15-62.2. 79-80'; strabo. Geog.; VII.318; XVII. 3.30; Lucan, Bel. CIV. Ix, 320 Herodot. Iv. 198; IV. 175; pliny, Nat. Hist. 5.2.6;

ولزيادة المعلومات حول المصادر التي تتحدث عن هذا الموضوع راجع: عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص 22 وما بعدها.

(3) Baker, G.W.W. 'Eari Y Agiculttne and Economic change In Norh Africa' in Allan, J. A. 1981, p.31045; 1989 From Classification to Interpretation Libyan Prehistory 1964-1989' Lib. Stud. 20: p.31-43.

(4) Despios, J – 1964, L, Afrique du Nord, Vol.I. Ob 1, Afrique Blanche (Francaise) 3rd . edit. Paris, P. 99.

أفريقيا، والآخر عن طريق شبه جزيرة سيناء وجنوب مصر العليا وشمال السودان إلى أن استقرت في الصحراء الكبرى الأفريقية التي كانت أمطارها غزيرة وتربتها خصبة حين وصول هذه الهجرات إليها حوالي الألف السادسة ق.م، وكما هو معروف فإن هؤلاء الوافدين جلبوا معهم ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومارسوا مهنة الزراعة واستئناس الحيوان. ومنذ الألف الرابعة ق.م، حدث تغير في المناخ وأخذت منطقة الصحراء الكبرى في التحول والجفاف وهذا ما ترتب عليه الرحيل من هذه المنطقة إلى الشمال، حيث يتوفر الماء والكلأ والظروف الملائمة للعيش ومن ثم الانتشار في هذه المنطقة الممتدة من البحر الأحمر وحتى المحيط الأطلسي.

ويرى بعض الباحثين أن هذه المجموعات التي استقرت في الشمال الأفريقي خلال العصر الحجري الحديث لم تكن الوحيدة التي جاءت إلى هذه المنطقة وإن هناك هجرات أخرى من الشام والجزيرة العربية وصلت إليها منذ العصر الحجري الحديث وحتى نهاية العصور القديمة، وهو ما نجم عنه اختلاف اللهجات، وذلك على الرغم من وحدة الأصل التي أكدها هيرودوتس[1].

إن ظهور التمحو في الرسوم (شكل 2) التي عثر عليها في المعابد المصرية ببشرة بيضاء وشعر وعيون زرقاء دفع البعض إلى القول بأنهم ينحدرون من أصول أوروبية، إلا إن الأدلة الأثرية والأدبية تثبت بطلان هذا الادعاء، ذلك أن هذه الصفات ظهرت في رسوم تمثل أشكالاً بشرية ملونة ترجع إلى الألف السادس ق.م، عثر عليها في مواقع بهضبة الأكاكوس استطاع موري أن يتبين فيها ملامح سكان البحر المتوسط[2]، وقد ربط البعض بين أصحاب هذه الرسوم من سكان الصحراء والليبيين التمحو[3]. وقد أكدت الاكتشافات الأثرية على الأصل الليبي لهذه القبائل ذلك أن الصفات التي تتميز بها ظهرت في مناطق مختلفة من الشمال الأفريقي مثل رسوم الأشخاص التي عثر عليها في جبال تاسيلي (بالجزائر)، كما أشار هيرودوتس إلى وجود ليبيين لهم مثل هذه

---

(1) Herodotus, II , 32;
لزيادة المعلومات عن أصل الليبيين ينظر: Bates, O. The Eastern Libyans, London, 1914, p39-72;
Desanges, J; Catalogue des Tribus Africans de I, Aniquite Africaines Classique a I, Ouest du Nil, Dakar, 1962

- دي سانجس، ج. البربر الأصليون (تاريخ أفريقيا العام، ج2) جين افريك، اليونسكو، 1985، ص 43.
- كذا مصطفى كمال عبد العظيم، دراسات في التاريخ الليبي القديم، الطبعة الأهلية، بنغازي، 1966، ص 6 وما بعدها.
- كذا مختار العرباوي، البربر عرب قدامى، المركز القومي للثقافة العربية، الرباط 1993، ص 33-143.
- كذا محمد علي عيسى، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم، من خلال المكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية، الجديد للعلوم الإنسانية، العدد 3، 2000، ص38.

(2) موري، ف، فن وحضارات ما قبل التاريخ في الصحراء في ضوء كشوف هضبة الأكاكوس (الصحراء الليبية) ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي، 1968، ص 38.

(3) بازامة، محمد مصطفى، تاريخ ليبيا في عصور ما قبل التاريخ، ج 1، منشورات الجامعة الليبية، 1973، ص 107.

الصفات في كل من برقة وسرت وطرابلس[1] وهو ما دفع البعض إلى القول بأن التمحـو هـم الليبيين[2].

يعتقد بعض الباحثين أن الليبيين القدماء ينحدرون من امتزاج ثلاثة عناصر سكانية وفدت من الشرق واستقرت في الشمال الأفريقي وهم أصحاب الحضارة العتيرية وأصحاب الحضارة القفصية وسلالة العصر الحجري الحديث[3]، وهذه الحضارات هي كغيرها من حضارات ما قبل التـاريخ التي قامت في الشمال الأفريقي الضبعانية والوهرانية التي أظهرت الاكتشافات الأثرية على أن لها أصولاً شرقية جاءت من جنوب غرب آسيا[4]. ومنذ الألف الخامسة ق.م بدأت جماعـة العـصر الحجري الحديث وأغلبهم من الصحراء الكبرى في المجيء إلى شمال أفريقيا واستمر ذلك حتى بداية العصور التاريخية القديمة، حيث ظهرت المجموعات الليبية مثل التمحـو والليبيـو والمـشواش في النصوص المصرية القديمة[5].

ويمكن أن نستخلص مما سبق أن سكان شمال أفريقيا ينحدرون من أصول شرقية خاصة مناطق الشام والجزيرة العربية وأن لهم صفات جنس البحر المتوسط وليس بمتزنجين وهـو مـا أكدتـه الاكتشافات الأثرية وهم أسلاف الليبيين الحاليين[6].

وقبل الدخول في موضوع وصول الكنعانيين الفينيقيين إلى الشمال الأفريقي يجدر بنا أن نلقي نظرة على الأوضاع في ليبيا خلال الفترة التي تسبق الاستعمار الفينيقي لإقلـيم المـدن الـثلاث والإغريقي برقة. الواقع إن الأرض الليبية مازالت صامتة تماماً فيما يتعلق بتاريخ ليبيا خلال هـذه الفترة ذلك أن المخلفات الأثرية تقدم في العادة معلومات عن أماكن الاستقرار وعادات الـدفن وممارسة الشعائر الدينية، إلا أنه بالنسبة لشمال أفريقيا لا تتوفر معلومات كافية، نظراً لضآلة الآثار المادية التي خلفها الليبيون القدماء مقارنة بما تركه الإغريق والرومان في المنطقة، وهذا بطبيعة الحـال جعل الباحث في تاريخ ليبيا في هذه الفترة يلجأ إلى مراجع أولية وإلى النقائش أو افتراض تـشابه بـين المجتمعات الريفية والقبائل الليبية في الماضي القريب والذين لا يزالون يستخدمون الأساليب والمعـدات القديمة وبين أسلافهم الليبيين القدماء.

إن غياب الأدلة الأثرية وعدم توفر المعلومات الكافية الخاصة بتاريخ الفترة التي تسبق وصول الفينيقيين هو الذي دعى أحد الباحثين[7] إلى القول بأن تاريخ ليبيا قبل هيرودوتس يجب ألا يسمى

(1) محمد مختار العرباوي، المرجع السابق، ص 153 – 154.
(2) دي سانجس، جيان، المرجع السابق، 1985، ص 439.
(3) المرجع نفسه، ص 432 – 433؛ محمد العرباوي، المرجع السابق، ص 106 – 110.
(4) Mc Burney, C.B.M, Libyan Role in Prehistory, L I H, 1968, pp. 4-5,28.
وعن الحضارة الوهرانية راجع: جيان دي سانجس، المرجع السابق، ص 432؛ محمد العرباوي، المرجع السابق، ص 106-110.
(5) دي سانجس، المرجع السابق، ص 432.
(6) فارن فبريسيو موري، ليبيا في التاريخ، بنغازي، 1968، ص 38 – 39.
(7) Bates O, op. cit. p.218.

تاريخاً بالمعنى المعروف، فمصادر تلك الفترة لا تتحدث إلا عن صراعهم مع جيرانهم المصريين، وهي عبارة عن تسجيلات لانتصارات الفراعنة عليهم. ولا يجد الباحث في التاريخ الليبي في تلك الفترة مناصاً من الرجوع إليها والاستفادة منها، ويعتبر مؤلف بيتس "الليبيون الشرقيون" من الأعمال المهمة التي تناولت موضوع القبائل الليبية، وكذلك الدراسة التي أعدها جيان ديسانجس وضمنتها بيانات مهمة عن أسماء القبائل الليبية وتفرعاتها والمصادر الأولية والثانوية التي استقت منها معلومات وكذلك المواقع التي كانت تنتشر فيها مضارب هذه القبائل.

قسم هيرودوتس سكان شمال أفريقيا إلى مجموعتين من القبائل إحداهما تعيش في شرق بحيرة (تريتونيس) وهم بدو رحل يمارسون مهنة الرعي والأخرى في غربها تشتغل بالزراعة واستئناس الحيوان (شكل 3)، ومن بين الجماعات القبلية التي تردد ذكرها في المصادر القديمة أمكن التعرف على أربعة منها هي: النسامونيس، المكاي، الجرمنت، واللوتوفاجي[1].

الفينيقيون في ليبيا:

أطلق الإغريق على الكنعانيين من سكان الساحل اللبناني وشمال فلسطين اسم الفينيقيين (**Phoenikes**) وهي تعني اللون الأرجواني (**Purple**) نسبة إلى الشهرة التي عرف بها هذا البلد في صناعة الأصباغ والملابس الأرجوانية اللون، وردت هذه التسمية عند الشاعر الإغريقي هوميروس حيث وصف الفينيقيين بالمهارة في ركوب البحر والصناعات اليدوية[2].

ويبدو إن استعمال تسمية الفينيقيين مأخوذ عن نصوص موكنية (**Mycenaean**) ترجع إلى النصف الثاني من الألفية الثانية ق.م، وهذه التسمية تشمل شعوب المنطقة التي شغلها الفينيقيون شرقاً وغرباً ولا تخص الشرق فقط. وتجدر الإشارة هنا إلى مرحلتين الأولى فينيقية بحتة في الغرب وهي التي جاءت مباشرة بعد سيطرة قرطاج حوالي **550** ق.م، والثانية تسمية البونقيين (**Poini**) تطلق على القرطاجيين للدلالة على شعب وثقافة هذه المدينة، وهي تسمية لاتينية مشتقة من كلمة فينيقيين.

وفي أفريقيا احتفظ السكان المنحدرون من أصول فينيقية بهذا الاسم، حيث يذكر القديس أوغسطين في حديثه عن سكان الريف أنه إذا سئل أحدهم عن أصله أجاب بأنه كنعاني[3]. ويذكر هيرودوتس أن الفينيقيين هاجروا من موطنهم في الخليج الفارسي حوالي **2300** ق.م[4]، أما استرابو فيخبرنا أنه كان يوجد معابد ومدن على الخليج الفارسي تشبه مدن ومعابد الفينيقيين، وبليني بدوره ذكر ذلك[5].

---

(1) حول هذه المجموعات ومواقعها راجع:
Bates. O. op. cit, p.53;
عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص 39 – 60.
Desanges; j, 1962, Catalogue des Tribus Africaines Classiques a I, Ouest du Nil Dakar.
(2) Homer, Il6. Il290; od. 13.272.ff.14.288 ff.5.
(3) Augustine, Pl, xxxv, col. 2096.
(4) Herodotus, l,l; vll. 89.
(5) Strabo, XVI, 3,4; Pliny, IV, 36.

ويعتقد بعض الباحثين أنهم جاءوا من موطنهم في شبه الجزيرة العربية ومن بلاد اليمن وحضر موت بالتحديد ويستدلون على ذلك بحمل الفينيقيين لأسماء مركبة مثل عبد ملكارت (أي عبد الإله ملكارت) وعبد أشمن (أي خادم الإله أشمن) وأن جميع الأسماء التي من هذا النوع هي من أصل يمني[1].

وتشير المصادر إلى أن التجارة كانت أساس النشاط الاقتصادي في المرحلة الأولى من التوسع الفينيقي الممتد من القرن العاشر ق.م، وأن المعادن خاصة الثمينة منها كانت محل اهتمامهم ومحط أنظارهم، وتشير التوراة إلى تجارة الفينيقيين البرية والبحرية، حيث جاء فيها أن من بين واردات الفينيقيين الفضة والرصاص والحديد والقصدير من أسبانيا والرقيق والنحاس والأواني من أيونيا والكتان من مصر، ويتحدث هيرودوت عن متاجرة الفينيقيين في توابل بلاد العرب وجلبهم المواد الخام إلى فينيقيا وتصدير الخشب والقمح والزيت والخمر، بالإضافة إلى منتجاتهم الصناعية مثل الملابس والأصباغ، والصناعات المعدنية والأخشاب اللازمة لصناعة السفن، كما كانوا يجلبون الذهب والعاج والجلود من أفريقيا[2]، وهذه بطبيعة الحال تحتاج إلى البحث عن أسواق وإقامة محطات تجارية في المواقع الملائمة لرسو السفن حتى يمكن الاتصال بالسكان المحليين ومزاولة النشاط التجاري.

ومن أقدم المستعمرات التي أقامها الفينيقيون في غرب البحر المتوسط مدينة قادش (في إسبانيا) عتيقة (عنابة حالياً)، قرطاج (تونس) [3]، ومن بين المستوطنات الفينيقية الأخرى التي أنشأها الفينيقيون في الشمال الأفريقي لبدة الكبرى (**Leptis Magna**) التي يذكر سالوست (القرن الأول م.) أنه أسسها مهاجرون من صيدا كانوا قد أخرجوا من مدينتهم بسبب نزاعات داخلية بينما يذكر آخرون أنه أنشأها صوريون[4]، أما الشاعر سيليوس ايتاليكلوس فيخبرنا أن مستوطنين من صور أنشؤوا لبدة وصبراته، بينما أنشأ ويات مهاجرون فينيقيون من صقلية بالاشتراك مع بعض الليبيين[5].

ويرى ديفيتا (**Divita**) أن تأسيس المدن الثلاث (لبدة الكبرى وويات وصبراته) إن لم تكن قرطاج قد قامت به فلابد وأنه تم تحت إشرافها وبمساعدتها[6]، ومع ذلك فإنه الأدلة الأدبية

(1) محمود الأمين، الكنعانيون الشرقيون، محاضرات الموسم الثقافي 1979 – 1980، إعداد محمود عبد السلام الجفائري، نشر مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1969، ص 10-12.
(2) سفر حزقيال 27/ 1، 3؛ محمد بيرمي مهران، المدن الفينيقية، تاريخ لبنان القديم، ص 272.
(3) ذكر هيرودوت إن الفينيقيين كانوا يبيعون بضائعهم بالذهب الذي يحصلون عليه من الليبيين (IV, 196).
(4) Sallust, Jug. 78
(5) Silius Italicus, Punica III, 256; Pliny, Nat. Hist, V76.
(6) Divita. A, 1968, 'La Date Di Fondazione di Leptis Di Sabrtha Sulla Base Deli Indigine Archaeologica e L. Eparchia Cartaagine D, Africa' , Hommages a , M.Renard III col Latomus 103, 1969, p.196-202

والنقشية تتفق مع الأدلة الأثرية في إرجاع تأسيس لبدة إلى القرن السابع ق.م، كما أسلفنا وهو ما جعل إمكانية إنشائها من قبل الفينيقيين أمراً مقبولاً، أما بالنسبة لويات وصبراته فإن المخلفات الأثرية التي عثر عليها في هاتين المدينتين لا تسمح لنا بالذهاب إلى أبعد من القرن الخامس ق.م.

وفيما يتعلق بسياسة قرطاج تُجاه المدن الثلاث، فقد انتهجت هذه المدينة سياسة استعمارية تهدف إلى منع هذه المدن من الاتصال بالعالم الخارجي وفرض العزلة عليها واحتكار التجارة الخارجية، الأمر الذي أدى إلى هذه المدن من مصدر دخل مهم، وهي لم تكتف بذلك، بل فرضت عليها ضرائب باهظة، ويقدم لنا المؤرخ تيتوليفيوس صورة عن حجم هذه الضرائب النقدية التي كانت تدفعها لبدة إلى قرطاج في القرن الثالث ق.م، ومقدارها "تالنت" في السنة[1]، ويرى بعض الباحثين إن هذه الجزيرة كانت تدفعها المدن الثلاث وليست لبدة وحدها، وإنها كانت عاصمة الإقليم معتمدين في ذلك على ما قاله هذا المؤخ من أن لبدة كانت أهم مدن الإقليم، إلا إننا نعتقد أن هذه المدينة كانت تدفع الجزية لوحدها وإنها لم تكن عاصمة لإقليم المدن الثلاث، ذلك أن تيتوليفيوس لم يذكر أن لبدة كانت العاصمة، كما أنه لا يتوفر دليل وجود وحدة تربط مدن الإقليم، وإنما كان لكل مدينة أراضيها الخاصة، ويدل على ذلك الحرب التي وقعت بين لبدة وويات عام 70م، بسبب النزاع على الحدود والتنافس الاقتصادي[2].

كانت المدن الثلاث تتمتع باستقلال ذاتي شأنها في ذلك شأن المستعمرات الفينيقية القرطاجية الأخرى في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وطالما استمرت هذه المدن في دفع الجزية فإن قرطاج لا تتدخل في شؤونها الداخلية إلا في حدود ضيقة[3]. أما إذا تقاعست عن دفع الضرائب المفروضة فإنها ستتخذ نفس الإجراء الذي اتخذته أمها صور في عهد ملكها حيرام الثاني الذي أرسل حملة تأديبية إلى مدينة عتيقية (عنابة حالياً) عندما تقاعست عن دفع الإتاوات السنوية المفروضة عليها[4].

وقد سمحت قرطاج للبدة بامتلاك سفن تجارية لنقل البضائع والمسافرين، حيث كانت ترسل إلى قرطاج إمدادات كبيرة من المواد الغذائية وكذلك تقديم الجنود وقت الحرب ويدل على ذلك تكرار أسماء مجموعات ليبية في الجيش القرطاجي[5].

وقد منعت قرطاج المدن الليبية من الاحتفاظ بقوات عسكرية، حيث تكفلت العاصمة بالدفاع عنها عند الحاجة أسوة بالمستعمرات الفينيقية الأخرى في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، بعد أن حلت محل أمها صور عقب وقوع الأخيرة تحت السيطرة البابلية في القرن السابع ق.م.

---

(1) Livy. T. XXXIV. 62.

(2) Tacitus, Hist. 50.

(3) Markoe, Peoples of the Past, Phoenicians, British Museum Press, London, 2000, p.90.

(4) عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص 117.

(5) Polybius, 23.2

ويذكر المؤرخ سالوست أنه كان للبدة الكبرى قوانينها ومؤسساها الدستورية الخاصة، وكان التشريع والقضاء والإدارة في أيدي قلة من أثرياء المدينة، ويبدو أن النظام السياسي فيها كان مماثلاً لما هو موجود في قرطاج، ويدل على ذلك نقيشة[1] بونية عليها في حمامات الإمبراطور هادريان العامة في هذه المدينة جاء فيها ذكر لوظائف حكام تماثل وظائف نضرائهم في قرطاج، ومن هؤلاء الحكام الشفطم وهي تعني في اللغة الفينيقية القاضيان (أو الحاكمان) والشفطان كان يجري انتخاهما سنوياً من أرستقراطية المدينة ووظيفتهما من أهم الوظائف، وهي تأتي في أعلى السلم الإداري[2].

وفي العادة تؤرخ بسنة حكمها كما هو واضح من نقوش لبدة الكبرى[3] ويبدو أن المولد لم يكن الأساس الوحيد لاختيار هذين القاضيين في قرطاج، وإنما يتم انتخاهما سنوياً، على أساس الثروة والجاه والنفوذ[4]، وعملية الانتخاب هذه ربما كانت من قبل المجلس الشعبي، كما أن إعادة الانتخاب كانت ممكنة.

وإلى جانب القاضيين يفترض أنه كان هناك مجلس شيوخ ومجلس شعبي في لبدة، وهما ربما كانا صورة مصغرة لمجالس قرطاج الشعبية، حيث يصف أرسطو النظام الحكومي القرطاجي بأنه يتألف من اثنين من الحكام (الشفطم) ومجلس شيوخ من ثلاثمائة عضو، ومجلسين آخرين منتخبين، وهما مجلس المائة وأربعون، ومجلس الثلاثين، وهما يتكونان من أكثر أفراد المجتمع ثراء ونفوذاً ويسيطران على أجهزة الدولة، وقد استمر العمل هذا النظام حتى زوال قرطاج، ويذكر أرسطو أن خمسة أعضاء من مجلس الشيوخ كانوا في وظيفة الجنرالات الخمسة كان يتم انتخاهم من الشفطم من قبل مجلس الشعب، وكان من واجب الجنرالات الخمسة انتخاب أعضاء المحكمة[5].

والواقع أن النظام القرطاجي لا يختلف كثيراً عن النظام الإغريقي (النظام الثلاثي في أثينا) والنظام الروماني (قنصلان) مجلس الشيوخ ومجلس العامة، وقد يدل هذا على أن النظم السياسية القرطاجية كانت في الأساس عبارة عن عملية ملاءمة بين الميراث الفينيقي وخصائص البيئة التي احتكوا بها في الغرب[6]، حيث نجد الثنائية في الأشخاص ومدة السنة المحددة لوظيفة الشفطم (الحاكمين) ولوظيفة القنصلية الرومانية كلها تعكس هذا التواصل الحضاري.

---

(1) IPT 17.

(2) يذكر المؤرخ الروماني ليفي (XXVIII, 37,. Livy3) أن القائد القرطاجي ماجون عندما أراد دخول قادس بجيشه طلب من القاضيين في هذه المدينة السماح له بذلك، مما يدل على أن سلطتها كانت أعلى سلطة في المدينة.

(3) IPT 17.

(4) Aristotle, Politics, II 8, 2-9

(5) Ibid. 8, 5, 3.

(6) Markoe, G. op. cit. p. 88 ff.

وقد ورد في نقائش لبدة الكبرى أسماء موظفين كبار يدعون محازيم وكانوا جباة للضرائب والرسوم الجمركية ويدخل في نطاق عملهم مراقبة الأسعار وتوفير السلع التموينية في الأسواق[1]، وكانت قرطاج تبعث بموظفين لتولي الإشراف على جباية الضرائب والرسوم الجمركية ولمراقبة نشاط الموظفين وخاصة فيما يتعلق بعلاقاتهم بالأجانب الذين كانوا تهتم العاصمة القرطاجية بمراقبة نشاطهم داخل الإقليم[2]. هذا وبالنسبة للنظم السياسية في مدن الإقليم الثلاث، فإنه بالنظر لوقوع هذه المدن تحت السيطرة القرطاجية ولوجود وظائف الحكام في مدينة لبدة[3] تماثل وظائف حكام قرطاج، فإن هذا يبعث على الاعتقاد في وجود تشابه في تكوين وواجبات المجالس الشعبية في المدن الفينيقية الليبية والعاصمة قرطاج.

وبالنسبة لسكان المدن الفينيقية الساحلية نجد قدماء المؤرخين يشيرون إلى سكان المنطقة الممتدة من سرت حتى المحيط الأطلسي على أنهم من الليبيين الفينيقيين وقد أطلق الإغريق هذه التسمية في الأصل على سكان السهول الساحلية الواقعة بين قرطاج وبيساكينا، وحدد سترابون بدقة مواطن الليبيين الفينيقيين بين الطرق الجنوبي لخليج سرت الصغير وكيفالاي (قرب مصراته)، وهم بذلك كانوا يشكلون غالبية سكان مدن إقليم طرابلس الساحلية لبقى (لبدة الكبرى) صبراتن (صبراته)، ويات (طرابلس)، جيغيش (بوقارا)، وتكابي (قابس)[4].

وتشير الأدلة إلى أن الفينيقيين الليبيين كانوا يشكلون العنصر الغالب في المدن الساحلية الثلاث وليس النازلين الأجانب، ذلك أن الطابع الفينيقي للمدينة تؤكده الاكتشافات الأثرية الحديثة التي عثر عليها في المدن، ففي لبدة تدل النقائش[5]، على أن أرستقراطية هذه المدينة وحكومتها هم من عنصر الليبيون ــ فينيقي، وأنه كان هناك هيئتان بارزتان في المدينة وهما (الادرا)[6] أو (الادرنم) وتعني السادة، والثانية عم (الشعب) والشعب هو مصدر السلطات.

وبناء على ما جاء في مخطوطة كاليقاري فإن الهيئة الأولى "ادرنم" تعتبر أعلى طبقة في السلم الاجتماعي الفينيقي[7]، وأفراد هذه الطبقة هم من أثرياء المدينة وأصحاب النفوذ الذين لهم حق في تقلد الوظائف العليا مثل الشفطم (الحكام) ومن بين حكام لبدة الذين ورد ذكرهم في نقائش هذه المدينة الشفطم ومساعدوهم (المحزم)[8].

---

(1) IPT 17, 3, 5; IRT, p. 599 ; Elmayer, A. F. in lib Stud. Vol. 15, 1984, p. 93

(2) Romnelli, P. Leptcis Magna, op. cit. p. 9.

(3) IPT, 17.

(4) من المؤرخين الذين أشاروا إلى مواطن عنصر الليبيو فينيقي هم:
Diod, XX. LV4; T. Livy. XX22; XXV 40; Strabo, X V II. 3. 19; Ptolemy. IV. 3.6.

(5) IPT 17.

(6) IPT 27 - 7

(7) Schiffman, in CCP,P 34.

(8) IPT 17.

وهذا يؤكد غلبة العنصر الفينيقي في هذه المدن وظهوره على بقية العناصر الأخرى وإلى دعم السياسة القرطاجية، وأيضاً يؤكد الطابع الفينيقي لهذه المدن الاكتشافات الحديثة التي تتعلق بدور العبادة حيث عثر على معبد للإله شاد راب والإله ملك عشترت الفينيقيين في ميدان لبدة، وهما الإلهان الحارسان لهذه المدينة وجد فيه نقيشة باللغة البونية مكرسة لهذين الإلهين[1]. وفي ويات عثر على معبد توفيت في مقع الغيران في الضاحية الغربية لهذه المدينة[2]. وفي صبراته عثر على توفيت غربي مركز المدينة وكذلك حوض رخامي مكرس للإله بعل ساتورن، وهو يحمل نقشاً مكرساً للإله بعل باللغة البونية[3]. ولا شك أن وجود هذه المعابد واستمرارية استخدام اللغة البونية يدل ولا شك على غلبة العنصر الفينيقي في مدن الإقليم[4].

المعلومات التي في حوزتنا عن الأوضاع الاجتماعية في هذه المدن قليلة إلا أن قرب هذه المدن من قرطاج العاصمة، وخضوعها لسيطرتها وارتباطها بها وتعرضها لتيار الحضارة القرطاجية لابد وأن يكون لذلك تأثير حضاري في جميع مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وعليه فقد لا تختلف الأوضاع الاجتماعية في هذه المدن عن تلك الموجودة في قرطاج، حيث يصنف السكان في الأخيرة إلى ثلاث طبقات: أحرار، نصف أحرار وعبيد.

ويتبين من حديث ديودوروس الصقلي وجود فوارق طبقية في تركيبة المجتمع في المدن الساحلية، فهو يذكر أن الفينيقيين الذين يسكنون قرطاج وعنصر الليبيو ـ فينيقي الذي يسكن المناطق الساحلية لهم نفس الحقوق والواجبات، وهو أمر أكده بوليبوس[5] من خلال حديثه عن الاتفاقية المبرمة بين هنبعل وفيليب ملك مقدونيا، والمعروف أن الطبقة الأولى من سكان قرطاج يتمتعون بجميع الحقوق حسبما يذكر أرسطو[6] مثل الإعفاء من الضرائب والتجنيد، كما يحظون باحترام الدولة، وكان الحال كذلك بالنسبة لسكان المدن الساحلية من عنصر الليبيو فينيقي فهم يتمتعون بنفس الحقوق ويمثلون مصالح قرطاج في المناطق الأخرى[7].

أما الطبقات الشعبية الدنيا فقد كان وضعها مماثلاً لوضع مثيلاتها في قرطاج حيث فرض عليها التجنيد الإجباري ودفع الضرائب الباهظة. وعلى أية حال فإن التنظيم المدني والسياسي في المدن الفينيقية الليبية كان مقارباً لما هو موجود في قرطاج وأن مجتمع المدينة في الإقليم كان يتألف من الطبقات التالية:

---

(1) IPT3.

(2) Taborelli, L. LeStele Neo Puniche Da Osi Di Gheran, Karthago XXIII, 19995,P.31-41.

(3) Rosi and Garbini, Nouvi Documenti Epigrafici Della Tripolitania Romana, LA 13 14 (1976-1977), P.7-20.

(4) لزيادة المعلومات حول "استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس خلال العصر الروماني" مقالتنا منشورة في مجلة آفاق التاريخة، العدد الأول (1998)، ص 93 – 124.

(5) Polybius. VII, 9. 15.

(6) Polybius. II, 4.8.

(7) Livy XX I,IL, 13, LXI,15.

1- طبقة السادة: وهي تتألف من أثرياء الطبقة الأرستقراطية من عنصر الليبيو ــ فينيقــي في المدن الثلاث وهي في قمة الهرم الاجتماعي في المدن الفينيقية، وتتمتع بجميع الحقوق مــع الإعفاء من الضرائب والتجنيد، ولها الحق في تقلُّد الوظائف وهي متميزة عن طبقة الأحرار.

2- طبقة الأحرار: وتتكون من الليبيين الفينيقيين الذين يسكنون المدن الساحلية، وهي مثــل أفراد الطبقة الأولى من سكان قرطاج يتمتعون بجميع الحقوق ومعفــون مــن الــضرائب والتجنيد.

3- طبقة نصف الأحرار: وربما يقصد بهم الليبيون المقيمون في نطاق المدينة وهم لا يتمتعون بجميع حقوق المواطنة ويدفعون الضرائب ويجندون إجبارياً.

4- طبقة العبيد: وهم المحرومون من جميع الحقوق.

وبالإضافة إلى هذه العناصر يوجد عنصر الأجانب حيث دلت الاكتشافات الأثرية على وجوده في المدن الفينيقية ــ الليبية الثلاث، فقد عثر على قبور دلت أسماء أصحابها على أنهم من الأجانب ومن غير الليبيين الفينيقيين وعثر على عبادات أجنبية مصرية وإغريقية فارسية، كما عثر على معابد لممارسة الشعائر الخاصة بهذه العبادات، وبما أن المعلومات الموجودة لدينا تتحدث عن قرطاج كبلد له حضارة عريقة تحترم الحريات الأساسية باستثناء المشاركة في قرارات الدولة، وهذا يبعث علــى الاعتقاد بأن حرية العبادة كانت مكفولة بالنسبة للأجانب في مدن الإقليم كغيرهم من العناصــر الأجنبية التي كانت تعيش في المستعمرات القرطاجية الأخرى، حيــث يــذكر ديــودورس[1] أن القرطاجيين سمحوا للجالية الإغريقية في موتيا (بصقلية) بحرية العبادة وبمحاكمهم الخاصة.

ونستخلص مما سبق أن قرطاج منحت مدن الإقليم استقلالاً ذاتياً واسعاً وتركت للبدة الكبرى حرية التصرف في شؤونها الداخلية والاحتفاظ بحكامها وقوانينها مع وجود طبقة الأدرن (السادة) على غرار ما كان موجوداً في قرطاج، كما سمحت لها بحرية العبادة، حيث كانت تمارس في هــذه المدينة عبادة الإلهين الفينيقيتين ملك عشترت والكون أرض دون غيرهــا مــن مــدن الــشمال الأفريقي[2]. وهذا يبعث على الاعتقاد بأن ويات وصبراته كانتا تتمتعان باستقلال ذاتي وتحتفظان بقوانينهما وحكامهما على غرار لبدة الكبرى، وفيما يتعلق بالنشاط الاقتصادي لسكان الإقليم فقد كانت الزراعة في المركز الأهم نظراً لوقوع المستوطنات الثلاث في مناطق زراعية خصبة، خاصــة ويات ولبدة الكبرى، ومع أن هذه المدن نشأت كمراكز تجارية (امبوري)، إلا أن سيطرة قرطــاج عليها واحتكارها للتجارة البحرية جعل هذه المدن توجه اهتمامها إلى الزراعة واستغلال الأرض[3]،

---

(1) Bondi. S.F, Diritti Fondamentali Della Persona E Liberta Religiosa, Att Del Vcolloquio Giuridico (8-10 Mars 1984), . Roma, P. 217-221, Ribichini, 1995, C PP, P. 330.

(2) احتفاظ لبدة بحكامها وقوانينها: Sallust Lug78
الشفطم IPT17، الإدرا (السادة) IPT27 الإله ملك عشترت IPT 31 الإله الكون أرض IPT 16.

(3) Longerstay, M. op. Cit. p. 836.

وعم عن ذلك توسع كبير في مجال الزراعة وغرس الأشجار، وحظيت زراعة الزيتون وكروم العنب باهتمام القرطاجيين في شمال أفريقيا[1] واشتهرت لبدة بوفرة إنتاج الزيتون الذي كان بمثابة العملة الصعبة لهذه المدينة[2].

وقد أدخل الفينيقيون طرقاً جديدة في المجال الزراعي وتوجيه الإنتاج مثل التركيز على محصول واحد وغير ذلك من الطرق والأساليب الزراعية التي تناولها العالم القرطاجي ماجون في بحثه الذي ترجمه الرومان إلى لغتهم لمعرفة ما تضمنه من معلومات مهمة والاستفادة منها، وذلك بإقامة صهاريج عثر على آثارها في بعض مناطق الإقليم مثل لبدة الكبرى والجبل الغربي[3]، وأيضاً بناء السدود التي أشار سترابون إلى أحدها عند مصب وادي كعام[4]، كما أدخلوا تحسينات على الأدوات والمعدات الزراعية مثل استبدال السكة الخشبية للمحراث الذي كان يستخدمه الليبيون بسكة حديدية[5].

إن التوسع الذي حدث في أراضي المدن الساحلية وامتدادها إلى الجنوب يعود إلى استيعاب قبائل الجبل ومنطقة مادون الصحراء مثل قبائل المكاي والجيتولي. ويدل انتشار اللغة والثقافة الفينيقية في هذه المناطق على أن التوسع في استصلاح الأراضي وتهيئتها للزراعة قد تم على أيدي الليبيين ـــ الفينيقيين وقبل وقوع إقليم المدن الثلاث تحت النفوذ الروماني، ويدل على ذلك الجزية الباهظة التي فرضها يوليوس قيصر على لبدة الكبرى بعد انتصاره في معركة ثابسوس والبالغة حوالي ثلاثة ملايين رطل من زيت الزيتون[6]. وقد أدى الاهتمام بالزراعة والتوسع في استصلاح الأراضي وتطوير وتحسين المعدات الزراعية المستخدمة إلى زيادة الإنتاج الزراعي، وإلى تمتع المدن بازدهار اقتصادي جعلها من أغنى المدن في الشمال الأفريقي عند استيلاء الرومان عليها.

وخلال العهد الفينيقي استمر الاهتمام بتربية الأغنام في إقليم المدن الثلاث وحتى فترة متأخرة، فقد كانت الأغنام تقدم كقرابين إلى الآلهة لاسترضائها ورغبة في مساعدتها، حيث دلت الاكتشافات الأثرية على وجود بقايا هذه القرابين في معابد الآلهة الفينيقية (التوفيت) التي عثر على بعضها في أماكن مختلفة من الإقليم مثل رأس المنفاخ (غربي صبراته) والغيران (غربي ويات)[7]. وإلى جانب الزراعة والرعي أقام الليبيون الفينيقيون بعض الصناعات أهمها:

---

(1) Caes, Bel. Afr. 97; Mattingly, P. 1988D. 'Olea Mediterranean', in JRAI: 153-61

(2) روستفتزف، م. تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ج1، ت/ زكي علي ورفيقة، مطبعة مصر، دار النهضة العربية، 1957، ص 381.

(3) طه باقر، لبدة الكبرى، مصلحة الآثار طرابلس، ص 21-88.

(4) دي سانجس. جيان، البربر الأصليون، (تاريخ أفريقيا العام ج2)، جين افريك، اليونسكو، 1985، ص 434.

(5) المرجع نفسه والصفحة.

(6) Caes. Bel. Afr.97.

(7) Rossi, M. and Garbiai. G,op. Cit. P7-19

1-صناعة زيت الزيتون: وهو يعتبر دعامة أساسية في اقتصاد مدن الإقليم الثلاث، ولازالت آثار معاصرة منتشرة في الإقليم بكثرة.

2-صناعة الخمر حيث نجد سترابون يشير إلى أن قبائل النسامونيس الليبية كانت تقوم بتهريب الخمر ومبادلته بالسلفيوم القورينائي في سوق كاراكس (قصر الزعفران)[1].

3-صناعة الخوابي (Amphorae) التي عثر على عدد كبير منها في الإقليم.

وبعد ضم مسنسن (ماسيسا) لإقليم المدن الثلاث إلى المملكة النوميدية حوالي 160 ق.م خرجت هذه المدن من عزلتها حيث أصبحت لديها علاقات تجارية أوسع مع بلاد الإغريق والرومان وبقية بلدان حوض البحر المتوسط[2]. بالنسبة للواردات فإن الأدلة تشير إلى استيراد الفخار، وذلك لتوفير الاحتياجات اللازمة من الجرار الفخارية (Amphorae) التي كانت تستخدم في نقل المواد المراد تصديرها من منتجات إقليم الامبوري مثل الزيت والخمر ومنتجات السمك. وتشير الأدلة الأثرية إلى أن برنيق (بنغازي) كانت تتعامل مع كريت وبلاد اليونان والجزر اليونانية، بينما المدن الفينيقية تتعامل مع المناطق التي تقع غربها من الشمال الأفريقي، حيث كانت تسد حاجتها من أواني ومعدات الطهي الفخارية باستيرادها من منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط مثل تونس وصقلية وإيطاليا[3].

وبداية من القرن الخامس أخذت المدن الفينيقية في إقليم طرابلس في التعامل مع بلاد الإغريق حيث ظهرت في صبراته دلائل على استيراد فخار إغريقي، ذلك أن أعمال الحفر التي أجريت في موقع هذه المدينة كشفت عن مخزون جرار فينيقية وأواني فخارية إغريقية ترجع إلى الفترة من أواخر القرن السادس ـــ القرن الخامس ق.م. وخلال القرن الخامس ق.م، اتسع نطاق التعامل مع بلاد الإغريق ذلك أن وفرة الفخار الأثيني قد تدل على وجود علاقات تجارية مع أثينا. وتشير الأدلة إلى أن استيراد المنتجات الإغريقية وخاصة الفخار الأثيني استمر حتى الربع الأخيرة من القرن الرابع ق.م، بالنسبة للمناطق الخاضعة لقرطاج في الشمال الأفريقي[4].

هذا ويمكن القول بأنه عثر في مناطق مختلفة من الإقليم على شواهد أثرية تدل على عمليات استيراد واسعة قامت بها مدن الإقليم من البلدان المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال العهد القرطاجي، ففي المقبرة البونية التي تم اكتشافها تحت مسرح لبدة الكبرى عثر على مجموعة

---

(1) Strab. XVII, 3.20

(2) Kenrick, P.M, 1986, 'Excavations at Sabratha' 1948-1951, London, p. 312-318

(3) Fulford. M.G, 1989,' To East and West: the Mediterrauean Trade of Cyrenaica', Lib. Stud. 20: 181.

(4) Ibid. P. 182 – 186.

من الأواني الفخارية من النوع الإيطالي المعروف بالكمباني يرجع تاريخها إلى القرن الرابع والثالث ق م[1]. وفي مقبرة الحرشة (غربي الزاوية) عثر على طبق ومصباح من الفخار المطلـــي بـــاللون الأسود من طراز يوناني شائع في إقليم كمبانيا بجنوب إيطاليا يرجع تاريخه إلى القرن الرابع[2].

ويمكن أن نستخلص أن الأدلة الأثرية التي عثر عليها حتى الآن في مناطق مختلفة من الإقليم تدل على وجود علاقات تجارية بين مدن الإقليم وبلدان حوض البحر المتوسط وقد يدل هذا على تمتع هذه المدن باستقلال اقتصادي نسبي تحت السيطرة القرطاجية. وفيما يتعلق بانتشار الديانة الفينيقية في الإقليم، فإنه على الرغم من وفرة الأدلة التي تشهد على دخول الدين في جميع شؤون الحيـــاة، فإن الدلائل الوثائقية الخاصة بالعقائد الدينية قليلة فإذا بدأنا بالنقائش فهي رغم أنها تذكر أسمـــاء الآلهة فإن كلما يمكن معرفته بعض الإشارات عن الأضاحي النذرية المقدمة إليها، وكما هو الحال في الشرق فإنه يصعب في بعض الأحيان التأكد من اسم الإله ببساطة مجرد لقب الآلهة مثل (بعـــل أو ملك). وتعتبر النقائش الإغريقية أو اللاتينية من المصادر التي تساعدنا في التعرف على الآلهة، وعلى تصور عام عنها، فنجد بعض الأسماء التي تدل على صفات عائلية مثل حيملك (حيملك) و (أمـــة بعل) خادمة بعل، وبنتبعل (ابنة بعل) وعريسة بعل (حبيبة بعل) وتدل العلاقة بين الإله واتباعه على الخضوع مثل (عبد ملكارت) (خادم ملكارت)، وقر ملكارت (تابع ملكارت)، ونجد ما يدل على إيمان عميق بأن ما يناله الإنسان يتوقف على رغبة الآلهة مثل إشمن حانو (إشمن قد منح)، وملكارت عزر (ملكارت قدم العون)، وملكارت شمع (ملكارت سمع أو استجاب).

ويوجد مصدر آخر لمعرفة الآلهة الفينيقية البونية التي جرت عبادتها في الإقليم، وذلك عن طريق معادلتها بالآلهة الإغريقية والرومانية، ففي نهاية العصر الهيلينستي وفي مدينة لبدة نجد الإله شاد رفا (**Shadrafa**) يعرف باسم شادرافا/ ليبر باتر وملك عـــشترت هرقـــل (**Hercules**)[3]. وفي صبراته جرت مطابقة الإله الفينيقي[4] القرطاجي بعل حمون بالإله الروماني ســـاتورن (**Saturn**) وهذه المطابقة قد تساعد على معرفة هذا الإله الفينيقي أو ذاك، إلا إنها في بعض الأحيان تجعل من الصعب معرفة في ما إذا كان الحديث يدور عن شخصية فينيقية أو يونانية أو عبادة رومانية، والآثار المصورة تفيد في معادلة الآلهة أو التمييز بينها، غير إنها قليلاً ما تصور بأشكال مشابهة لها، ولا شك أن هذا قلل من الإمكانيات التي توفرها الرسوم.

---

(1) محمود الصديق، أبو حامد وآخرون، أخبار أثرية، ليبيا القديمة، مجلد 11-12، (1974-1975)، ص 44-54.
(2) طه باقر، 1968، أخبار أثرية، ليبيا القديمة، 5 (1968)، ص 58-59.
(3) Broquier – Redde, Temple et Cultes de Tripolitaine, Paris, 1992, P.81-6 et 88-91.
(4) Rossi, M. Garbini, Q.' Nouvi documenti epigfici, DellaTripolitania Romana' LA 13-14 (1976-1977), P.7-4.

وهكذا فإن الأدلة متوفرة لتكوين تصور عام عن الديانة الفينيقية في الإقليم، إلا أن أنه لا يتيسر لنا معرفة كل شيء عن هذه الآلهة، فنحن نستطيع أن نجمع معلومات عن أسماء الآلهة وأنواع خاصة من العبادة، ولكن لا نستطيع الحصول على معلومات عن عمل الآلهة وأساطيرها.

وإذا نظرنا إلى مجمع آلهة الأمبوري نجد أنه يحوي عناصر فينيقية قرطاجية، نتيجة طبيعية لظروف تاريخية ناجمة عن نقل هذه الآلهة من الشرق إلى الغرب الفينيقي أدت إلى تطورات واختلافات، كما أنها وإلى حد كبير كانت متأثرة بالبيئة الليبية التي استقر فيها الفينيقيون في الشمال الأفريقي.

وبالنظر إلى ندرة المصادر الأدبية التي تتحدث عن المعتقدات الدينية للفينيقيين فقد تم الاعتماد إلى حد كبير على النقائش، حيث جاءت أغلب معلوماتنا عن طريق النقائش الإهدائية المكتوبة باللغة الفينيقية الجديدة أو اللاتينية التي يرجع أقدمها إلى القرن الثاني ق.م، فبالإضافة إلى أن الأدلة الأثرية مكنتنا من التعرف على المواقع التي كانت تمارس فيها العبادات مثل أماكن العبادة المفتوحة التوفيت والمعابد. أظهرت لنا النقائش أن العبادات التي كانت تمارس في مدن الإقليم تختلف من مدينة إلى أخرى، فالآلهة التي تعبد وتبجل في لبدة قد لا تكون نفس الآلهة التي تعبد وتبجل في صبراته وويات[1].

ومن بين أركان مجمع الآلهة (**Pantheon**) القرطاجي المبجلين لدى الفينيقيين الليبيين من سكان الأمبوري نجد الآلهة تانيت التي تحدث عنها أبوليوس واصفا إياها بأنها أعظم الآلهة وأم كل حي وآلهة الخصب وإله قمري في وقت واحد وهي الآلهة الوحيدة التي عبدها العالم تحت أسماء وأشكال متعددة وطقوس مختلفة[2]، فهي تعادل عند الفينيقيين الآلهة (عشترت)، وعند الإغريق الآلهة ارتميس والرومان الإلهة ديانا (أو كايليستس أو فينوس)[3].

وفي العادة تظهر الآلهة تانيت في صورة زخرف يتكون من نصب وقرص شمس مقسوم بذراع بصورة أفقية وهو ربما يكون تطوراً عن عنخ (**Ankh**) المصري الذي هو عبارة عن صليب على شكل حرف (**T**) في أعلاه عروة، وهو يرمز إلى الحياة عند القدماء المصريين، وهذه العلامة ترمز إلى الآلهة في تطورها إن لم يكن في بداياتها، حيث تظهر بخلع الصفات البشرية عليها (شكل **4**)، ويظهر على نصبها صولجان ملتف حول حيتان وفي أعلاه جناحان، وكذلك الهلال المقلوب إلى أسفل ومعه قرص الشمس، ورمز اليد اليمنى المفتوحة، والمرفوعة إلى أعلى ربما كان له علاقة بهذه الآلهة، فمن الواضح أن المقصود منها هو جلب الخير والحماية[4]، وهي تمثل شكلاً من أشكال التمائم لازالت موجودة في البلاد العربية ومنها ليبيا، حيث ترسم عند مدخل البيت، والغرف لجلب البركة والحماية من عين الحسود، ورموز الإله عند الكنعانيين هي رمز لقوته الدينية. وفي

Broquier-Redde, op. cit. p.263. (1)
Apuleius, Metamorphoses, XI.257 (2)
Augustine de CIV. De113.(3)
Harden, D. op. Cit . p. 88 – 99; Moscati, S. 1968, p. 139. (4)

لعادة تظهر إلى جوار الآلهة تانيت صور مثل (الرمان) السمكة، اليمامة (Dove) ونخلة، وهو ما يؤكد صفتها كآلهة للخصوبة.

ويرى بعض الباحثين أن الرموز التي تمثل الآلهة تانيت والتي عثر عليها في منطقة الجبل الغربي، وفي منطقة ما دون الصحراء لا تدل على عبادتها في هذه المناطق[1]. وبسبب عبادة هذه الآلهة في قرطاج وعدم وجود أي دليل على عبادتها في صور فقد دفع ذلك البعض إلى القول بأن هذه الآلهة ليبية وأنه حدث تغير كبير في الديانة السامية في قرطاج خلال القرن الخامس ق.م، وهي الفترة التي فسح فيها المجال أمام الإله بعل حمون والآلهة تانيت الملقبة المقدمة على بعل (Pene Ball) إلا أنه ورد اسمها إلى جانب اسم الإلهة عشترت في نقش فينيقي، عثر عليه في ساربتا (قرية الصرفند – جنوب صور) يرقى تاريخه إلى القرن السابع ق.م[2]. وعليه يمكن القول بأن تانيت فينيقية وأن الهجرات الكنعانية المبكرة جلبتها معها إلى شمال أفريقيا خلال الألف الثاني ق.م[3].

ومن بين الآلهة الفينيقية التي جرى تبجيلها في لبدة الإله ملك عشترت والإله شادرافا وهما الإلهان الفينيقيان الحارسان لمدينة لبدة الكبرى[4] وشادرافا عند الفينيقيين هو إله الخصب والعالم السفلي كما يدل اسمه على أنه إله الشفاء، وجرت عبادة الإله ملك عشترت في لبدة، أما الإله شادرافا فقد جرت عبادته في كل من لبدة وصبراته ووويات وجيغيش (بوقارا). وقد استمرت عبادة الإلهين ملك عشترت وشادرافا حتى نهاية القرن الثاني ق.م، وبداية القرن الأول ق.م، والإله الفينيقي الكون أرض ورد اسمه في نقيشة[5] عثر عليها في لبدة وهو يماثل إله الينابيع العذبة، وتمت معادلته بإله البحر نبتون (Neptune)، وقد استمرت عبادة هذا الإله حتى القرن الثاني الميلادي، ولعدم وجود ما يدل على عبادة هذا الإله وكذلك الإله ملك عشتارت في شمال أفريقيا باستثناء لبدة وهو ما يبعث على الاعتقاد بأن هذه المدينة قد جلبت عبادة هذين الإلهين من أمها صور (Tyre) كما قد يدل على الاستقلال الذاتي الذي تمتعت به لبدة في ظل السيطرة القرطاجية وأيضاً يدل على الخصوصية في ديانة الإقليم في العصر القرطاجي[6]. وفي ويات جرت عبادة الإله الفينيقي رشف (Reshef) إله الصاعقة والنار والضوء السماوي والذي جرت مطابقته بالإله الإغريقي أبولون (Apollo)[7].

---

(1) Longerstay y, M. Op.Cit.P. 842.

(2) J. B.Pritchard, Recovering Sarepta A Phoenician City, New Jersy 1978, P. 104-108:
I(dem, The Tanit Inscraption From Sarepta dans Phoenzien in West, p. 83 – 93.

(3) Ibid.p.104-108.
كذا أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي قرطاج، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1993، ص ص 93 – 95.

(4) IPT 31.

(5) IPT 18.

(6) Moscati, S. 1968. the World of the Phoenicians, p37; Longerstay, M.op.cit, P.852.

(7) Moscati, M.1968, op. cit. p. 37.

إن الأدلة المتوفرة لدينا عن الآلهة الفينيقية التي كانت تعبد في المدن الثلاث (لبـــدة الكـــبرى ويات، وصبراته) تعود إلى الفترة الممتدة من القرن الثالث ق.م، وحتى نهاية القرن الثاني ق.م، وهي الفترة الممتدة من العصر الهيلينستي وحتى الفترة الرومانية.

وفيما يتعلق بالمعابد الخاصة بالآلهة الفينيقية في إقليم المدن الثلاث فهي مماثلة لما كانـــت عليـــه المعابد الفينيقية في صور مثل معبد عمريت، حيث نجد الأسس العامة في بناء المعابد العتيقة ظاهرة في معبد الإله ملك حرث في لبدة (شكل 5)، فهو مشيد على دكة من الحجري الجيري رمادي اللون مجلوب من رأس الحمام وهو موجه نحو الجنوب الغربي باتجاه الميدان، ويبلغ ارتفاع الدكة حـــوالي مترين، ويجد سلم أمامي يؤدي إلى داخل المعبد وهو محاط بأعمدة من طراز أيوني مقامـــة علـــى العاصمة الأمامية للدكة، أما قديس الأقداس فينها تمتد لتغطي عرض الدكة بينما يقل عمقه عـــن طول الدكة، ويوجد باب يؤدي إلى المقدس المستطيل الشكل. وفي التوراة ورد ذكر لنوع آخر من المعابد يسمى التوفيت (Tophet) قرب بيت المقدس، وهو المكان الذي كانت تقدم فيه الأضاحي البشرية من الأطفال "ملك أدم" (Molk Adm) أي الأضحية البشرية كقربان للآلهة[1]، وقد اشتق هذا الاسم من اسم مكان في وادي حينوم (Hinnom) قرب بيت المقـــدس في فلـــسطين، حيث كان الأطفال يقدمون على شرف الإله بعل[2]. وقد وجد هذا النوع من المعابد (التوفيـــت) في إقليم المدن الثلاث، حيث عثر على اثنين منها أحدهما في رأس المناخ قرب صبراته، والآخـــر في الغيران (10كم غرب ويات)، وهي خاصة بتقديم القرابين إلى الإله بعل حمـــون والإلهـــة تانيـــت (المقدمة على بعل).

ويبدو أن السحر كان له دور في اعتقادهم في الحياة الأخرى، وقد يدل على ذلك استخدامهم للتمائم (Amulettes) التي عثر عليها بين الحاجيات الجنائزية الموضـــوعة في المقـــابر الفينيقيـــة بالإقليم، فوضع التمائم والتماثيل الصغيرة مع الميت في قبره هو لحمايته مـــن الأرواح الـــشريرة. وتقام المقابر الفينيقية في العادة في الطبقة الصخرية وعلى مقربة من المدن الثلاث وتحـــت ســـطح الأرض، وقد عثر على العديد من هذه المقابر في المدن الساحلية وضواحيها في كـــل مـــن لبـــدة الكبرى، ويات وصبراته ومن دراسة بقايا الجثث وطريقة الدفن والمـــواد والحاجيـــات الأخـــرى الموجودة داخل المدافن الفينيقية التي تم اكتشافها في الإقليم تبين أن سكان المدن كـــانوا يـــدفنون موتاهم في المقابر التي يرجع تاريخها إلى فترة أقدم، وأن طريقة طقس حرق جثث الموتى عثر علـــى آثارها في المقابر التي ترجع إلى فترة متأخرة منذ القرن الأول ق.م[3].

---

(1) لمزيد من المعلومات عن التوفيت راجع:
Moscati, S. The world of the Phoenicians. P. 140, 142, 149, 152, 244.

(2) 2kings, 23, 10.

(3) لمزيد من المعلومات عن المقابر الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث راجع:
- محمود الصديق أبو حامد، أخبار الحفريات الأثري، مجلة ليبيا القديمة، مجلد11-12، (1974-1975)، ص44-54.
- دليل مدينة طرابلس منذ الاستيطان الفينيقي حتى العهد البيزنطي، طرابلس: 1978، ص 63 وما بعدها.
- عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ص 236-247.

وبدل حرق الجثث على تأثر الفينيقيين الليبيين بالثقافة الرومانية، وأن حمل التوابيت لأسماء صممه بونية ولاتينية وإغريقية قد يدل على الطابع الجنسي المختلط وأن المقبرة لم تكن لعائلة واحدة.

هذا وتؤكد الأدلة على انتشار الثقافة البونية في الإقليم، ففي القرن الأول نجد سالوست يتحدث عن لغة سكان لبدة بأنها بونية، وفي القرن الثاني الميلادي نجد أبوليوس يشير إلى ثقافة ابنه بالتبني (سكينيوس بودينس من ويات) المحدودة، وتعييره بأنه غير قادر على التحدث باللاتينية باستثناء كلمات إغريقية قليلة، وأنه لا يفهم سوى اللغة البونية. على الرغم من أنه ابن لعائلة ثرية، وهو ما يدل على تخلفه. ومثلما هو الحال بالنسبة لعمه أميليانوس سيكنيوس الذي وصفه أبوليوس بأنه ريفي ساذج تعوزه الثقافة (**Doctorina**)، ولا يتحدث الإغريقية على الإطلاق[1]، وهو ما يعني أنه كان مثل ابن أخيه لا يجيد سوى اللغة البونية. وقد يظن أن ما قاله أبوليوس هو مجرد القدح في أعدائه والحط من قدرهم، إلا أن هناك حقيقة واقعة وهي أنه يوجد تحت قشرة الحضارة الرومانية الممثلة في المعمار والقانون جماعات من السكان تعيش في ويات وصبراته متعددة اللغات والثقافة. وكانت اللغات المحلية مثل الليبية والبونية واسعة الانتشار مثل اللاتنية[2]، والنقوش التي عثر عليها في الإقليم تكشف بجلاء عن تعدد اللغات، ففي نقوش لبدة الكبرى ورد أسماء بونية مثل اديعل بن بعل شليك حفيد أنو بعل، وفي ويات وردت أسماء ليبية مثل ستدين (**Stiddin**)، ووردت في النقوش أسماء مر ومنه مثل أبوليوس ماكسيموس من بن جوزال حفيد جوراث وزوجته تاتوبرا، غير أن أبناؤه كانوا يسمون بودنس وسيفيروس (**Sevreus**) وماكسيموس، وتوجد أسماء مختلفة الثقافة مثل البيوس كينيثو (**Ulpius Chinitiu**) وهو رجل ثري ينحدر من أصول محلية، وقد كافح في سبيل تكوين ثروته وإثبات هويته في المجتمع واستطاع أن يقيم لنفسه قبراً فخماً (**Mausoleum**). ومن الواضح أن مجمع طرابلس الروماني كان يغمره فيض ثقافي وأن اللغتين اللاتينية والإغريقية كانتا اللغتان اللتان يفهمها القلة من الوافدين[3]. وعليه فإن المعلومات المتوفرة تشير إلى استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية البونية العميقة في العصر الروماني، وأن آثار هذه الثقافة واضحة في لغة الإقليم، وهو ما يؤكد النقوش البونية التي عثر عليها في مواقع مختلفة من الإقليم، ويرجع البعض منها إلى الفترة الرومانية مثل النقش[4]، المكرس للإله الليبي آمون في المحيجيبة (في القرية الخضراء ــ ترهونة) والذي يرقى إلى أوائل عصر الإمبراطورية الرومانية (**17/16م**) وفي سرت عثر على نقش[5] يرجع تاريخه إلى القرن الرابع الميلادي، وفي أم الجرم[6]، قصر العزيز

---

(1) Apuleius, Apology, 98.8

(2) Bradly, K.' Law Magic and Culture in the Apology of Apuleius Phoenix = La No. 2, Summerete 1997, Classical Association of Canda, P. 214-215.

(3) Stiddin: IRT 236; Iddibal: IRT 30 : Apuleius, Maximas: CIL VIII 22758; Ulpius Chinitiu; IRT 859.

(4) irt76.

(5) IRT855.

(6) IRT906.

(وادي المردوم)[1]. وفي القصبات عثر على نقش[2] يتعلق بعملية تأجير أو بيع مزرعة يملكها حانو بن موتنو التي كانت تمتد من وادي النخيل، وذلك عن طريق المزاد العلني ففي الثلاثين من شهر أكتوبر وهو تاريخ إبرام العقد دفع خمسة أكياس من التمر، وذلك كضمان بعد توقيع الاتفاقية، وإلى أن تؤول الحقوق بعد هذا على ابنه بالتبني، وفي تلك الأثناء أطلق طيوراً صناعية داخل حدود المزرعة، والأسماء الواردة في هذا النقش[3]: دوناتو وحانو بن ارشه هي أسماء بونية، وقد تكررت في نقوش بونية أخرى من لبدة الكبرى[4].

وبالإضافة إلى ورود الأسماء البونية في النقوش فإن استعمال اللغة البونية في تحرير الوثائق الخاصة، بالاتفاقيات والتعاقدات يدل على انتشار اللغة والثقافة البونية في منطقة مسلاتة كغيرها من مناطق الإقليم الأخرى.

وفي منطقة الجبل الغربي وردت أسماء بونية مثل بعل شليك سوبات (**Subath**) وميثمبعل وحانو وفي حوض سوف الجين عثر على نقائش وردت فيها أسماء بونية مثل ارشم، بودعشترت، أديبعل حنبعل[5].

ومن دراسة النقوش البونية التي عثر عليها في الإقليم تبين كثرة الأسماء الليبية وقلة الأسماء البونية وذلك بالرغم من انتشار الحضارة البونية في هذه المنطقة، وقد يعود السبب في ذلك إلى أن عدد من يحملها من أفراد الأسماء الليبية خاصة الثرية منها، كانوا قلة، وكذلك عدم إرسال المدن الفينيقية الليبية لمعمرين من عنصر الليبيو الفينيقي إلى المناطق الجنوبية من إقليم المدن الثلاث، حيث لا يتوفر دليل على استقرارهم هناك فهم كانوا معنيين باختيار مواقع على الساحل تصلح لرسو السفن، وتمكنهم من الاتصال بالأسواق الخارجية لتصريف بضائعهم وجلب المواد الخام. أن حمل البعض لأسماء بونية لا يدل بالضرورة على أنهم من عنصر الليبيو ـــ فينيقي كما يعتقد جود تشايلد[6]، وإنما قد ينحدرون من أصل ليبي، ومن القبائل الليبية التي تنتشر مضاربها في منطقة الحدود الطرابلسية الرومانية التي وردت أسماؤها في المصادر التاريخية والنقوش التي عثر عليها في الإقليم. وتشير الأدلة الأثرية المتمثلة في بقايا المزارع المفتوحة (**Opus Africanum**) التي كانت قد أقيمت على النمط الفينيقي في منطقة الجبل الغربي والمناطق الداخلية من الإقليم مثل أحواض أودية سوف الجين، زمزم، المردوم، أنطار أم الجرم، العمود، وكذلك المقابر والفخار المكتشف في

---

(1) IRT893.

(2) IRT 86.

(3) Idem.

(4) حول ترجمة هذا النقش راجع:

Elmayer, A.F,1997, Tripolitnia and the Roman empire, op. cit. p.315.

(5) IPT17.12.

(6) جود تشايلد، دراسة ليبية، 1991، المرجع السابق، ص 126.

هذه الأماكن والتي تشير إلى أن عملية الاستقرار كانت قد بدأت خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين[1]، والنقوش التي عثر عليها في وادي العمود تعود إلى هذه الفترة ورد فيها أسماء بونية منها ليبيون[2].

وهذه النقوش تدل على أن سكان المناطق الجنوبية من الإقليم من الليبيين الذين تأثروا بالحضارة الفينيقية، حيث استخدموا اللغة الفينيقية في الكتابة وحملوا أسماء بونية[3]، فمن بين الأسماء الستة عشر الواردة في نقوش وادي العمود يوجد ثلاثة أسماء بونية فقط هم حانو، بود عشترت وأرشم، ونسبة عدد الأسماء البونية إلى عدد الأسماء الليبية ضئيل وهو يدل على أن سكان هذه المناطق هم من أصول ليبية. واسم أرشم الذي ورد في نقوش وادي العمود هو اسم بوني تكرر في نقش من لبدة الكبرى[4]، وهو المحز (Mhz) حانو بن أرشم الذي كان على ما يبدو يشغل منصب مسئول الرياضة العامة في حكومة هذه المدينة، والذي يدل اسمه على أنه ينحدر من أصل فينيقي، بينما أرشم الذي ورد اسمه في نقوش مقبرة وادي العمود ينحدر من أصول ليبية فوالده مصوكن وجده عمر بن جطيط (قطيط) الذي ينتسب إلى عائلة المصلي وأمه زوط التي تنسب إلى عائلة (أو: عشيرة) النعلي، وهذه الأسماء عربية ليبية ولازالت مستعملة حتى الآن، وربما يدل هذا على الأصول العربية لسكان ليبيا.

ولا شك أن الثقافة الفينيقية — القرطاجية كان لها تأثيرها في المنطقة من إقليم المدن الثلاث (لبدة الكبرى — ويات — صبراته) (Emporia) ثم انتشرت في المناطق الداخلية عن طريق الأهالي. أن آثار هذه الثقافة واضحة في لغة الإقليم، وهذا ما تؤكده النقوش الفينيقية التي عثر عليها في أماكن مختلفة مثل نقش معبد الإله الليبي آمون في المحجيبة (القرية الخضراء) ترهونة ونقش مقبرة وادي العمود ونقش المسرح بلبدة الكبرى (8ق.م)[5].

وبعد الاحتلال الروماني للإقليم استعملت اللغة الفينيقية (البونية) في آن واحد مع اللغة اللاتينية، وأخذت هاتان اللغتان شكلاً رسمياً، حيث ظهرتا على أبنية بعض المنشآت الاجتماعية في لبدة الكبرى مثل معبد روما وأغسطس والمسرح والسوق الكبير[6].

---

(1) Brogan, O. First andSecond Century Settlement in the Triplitanian Predesrt, in LIII 1968,21-30.

(2) Livy della Vida, le Iscrazioni neo – Pumiche Di Wadi El-Amud, LAI (1964), p.57-63.

(3) عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ص 388، 389.

(4) عبد الحفيظ فضيل الميار، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية، المرجع السابق، ص 102-109.

(5) لمزيد من المعلومات حول انتشار اللغة والحضارة الفينيقية في جنوب إقليم المدن الثلاث، راجع مقالتنا المنشورة في مجلة آفاق تاريخية: استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس خلال العصر الروماني، مجلة آفاق تاريخية، العدد الأول، 1998، ص 101-123.

(6) IPT 24; Romanilli, p.' La Tripolitania Nel Quaderini Dell Archologia in LIT, 1968, P 278.

وتجدر الملاحظة أن استعمال هاتين اللغتين بشكل رسمي في إقليم المدن الثلاث دون غيره من أقاليم شمال أفريقيا في العهد الروماني هو أمر يدعو إلى التساؤل، ويرى البعض أن السبب في ذلك يعود إلى الانتشار الواسع للغة الفينيقية في عمق الإقليم وإلى عظمة مدينة لبدة الكبرى التي ترجع إلى مركزها البحري والتجاري[1].

ويرى بعضهم أن اللغة الفينيقية قد استعملت بصورة رسمية في عهد الأباطرة الرومان الثلاثة، أغسطس، تبريوس، ودومشيانوس، وأن النقوش المكتوبة باللغتين اللاتينية والفينيقية والمكتشفة في لبدة الكبرى تظهر لآخر مرة في عهد الإمبراطور الأخير، ولم تحل اللاتينية محل الفينيقية في كتابة النصوص إلا في القرن الثاني الميلادي[2].

وتشير الأدلة الأثرية إلى أنه خلال العصر الروماني ومنذ القرن الثاني الميلادي بدأ في كتابة اللغة البونية بحروف لاتينية، حيث عثر على ختم على شكل بلاطة يحمل نقشاً بونياً لاتينياً وجد في حمامات هادريان بلبدة الكبرى، وقد ترجم ليفي ديلافيدا هذا النقش على النحو التالي:

Felioth Ia Dem Sy Rogate Yamani

صنعت في معمل سير وقات يماني[3]، وهذا النوع من النقوش عثر عليه في أماكن مختلفة من إقليم المدن الثلاث، والنقوش البونية اللاتينية هي عبارة عن مجموعة من النصوص المهجنة وهي خليط من الكلمات البونية اللاتنية، حيث يتضمن البعض منها عبارات مثل (**Avo-sano**)[4] البونية بدلاً من (**Vixit Annis**) والتي تعني عاش ... سنة.

وبالرغم من أن لغة هذه النصوص بونية وبالإمكان ترجمة البعض منها، إلا أنها لا تعطي معلومات كافية، حيث اقتصر أغلبها على اسم الميت الراقد تحت الحجر وعمره واسم من بني له قبر.

ويمكن استخلاص بعض النتائج البسيطة عن التاريخ الثقافي أو السياسي للفينيقيين الليبيين وأن حقيقة اكتشاف هذه النقوش الفينيقية دعى البعض إلى القول بأن سكان المناطق الداخلية من إقليم طرابلس جاءوا من أصول فينيقية مختلطة، ولكن ثقافتهم ولغتهم كانت فينيقية، وهم كانوا قد استقروا في تلك المناطق منذ القرن الأول الميلادي وقبل إقامة القلاع الرومانية في الجنوب لتغطي منطقة الحدود قبل العهد السيفيري[5]. ومهما يكن فإن الأدلة تشير إلى أن سكان المناطق الجنوبية من الإقليم هم من الليبيين الذين تأثروا بالحضارة الفينيقية واستخدموا اللغة البونية في الكتابة وهو ما يؤكده أسماؤهم الليبية وتمسكهم بدياناتهم المحلية[6].

---

(1) Romanelli, P. 1968, La Tripolitania' in Lih, p. 133- 142

(2) Millar, F. Locol Culttre in the Roman empir; jrs 58(1968), p. 126-134.

(3) Levi Della, Vida, 1963, Sulle IScrizione, Latino Libicha, Della Tripolitania, Oriens Antiquus ii; 65-94.

(4) عبد الحفيظ فضيل الميار، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية، المرجع السابق، ص 239 – 240.

(5) Divita, A. 1964, Limes Romano di Triplitania, LA I: p65.

(6) عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، الرجع السابق، ص 394.

ولا شك أنه بوصول الرومان الذين مدوا نفوذهم داخل إقليم المدن الثلاث جعل الليبيين في المناطق الجنوبية في اتصال مباشر مع الحضارة الرومانية، فضلاً عن أن السياسة الرومانية عملت على نشر اللغة اللاتينية والتي أصبحت اللغة الرسمية في المراسلات الإدارية والمحاكم والمجالس حتى يستطيعوا استخدامها في المعاملات الرسمية، والمشاركة في الحياة العامة واستعمال اللغة الفينيقية واللغة الليبية كلغة حديثة، أما الأهالي من سكان المناطق الجنوبية فقد ظلوا يجهلون اللغة اللاتينية مدة طويلة[1].

هذا ويمكن القول بأن عدم انتشار اللغة اللاتينية في المناطق الداخلية قد يرجع إلى عدم وجود مستعمرات عسكرية، فضلاً عن قلة عدد المستوطنين الرومان في إقليم طرابلس أدى إلى الاستمرار في استخدام اللغتين الليبية والفينيقية والاكتفاء بكتابة الأخيرة بالحروف اللاتينية. وقد عثر في منطقة الحدود على العديد من النقوش البونية المكتوبة بالحروف اللاتينية والتي أطلق عليها تسمية النقوش البونية اللاتينية وهذه النقوش لها أهمية خاصة حيث ألقت مزيداً من الضوء على تاريخ هذه المنطقة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، والنظم العسكرية والإدارية، فقد بينت هذه النقوش أن سكان منطقة الحدود هم من الليبيين وأن من يقيم منهم في بيوت المزارع المحصنة المقامة في المنطقة جنوب حافة الجبل الغربي وحتى خط القلاع الرئيسية الثلاث (بونجيم ـ القريات الغربية ـ غدامس) أطلق عليهم الرومان تسمية الجنتيليز (**Gentiles**) والتي تعني باللغة اللاتينية رجال القبائل، أما من يقيم منهم خارج هذه المنطقة أطلقوا عليهم البربر (**Barbari**) والتي تعني الأجانب وهم من الليبيين غير الخاضعين لسلطة الحكومة الرومانية[2]. وأظهرت النقوش البونية في هذه المنطقة طبيعة العلاقة بين السلطات الرومانية والقبائل التي تنتشر مضاربها داخل منطقة الحدود حيث كانت تمنح مشائخها رتبة تريبوس (**Tribunus**) وهي رتبة عسكرية عالية، وكذلك إسناد مهمة الإشراف على شئون الإدارة والعدالة[3]، وهذا ما أكدته نقوش أضرحة مشائخ هذه القبائل في مقبرة بئر دريد[4] (شكل 6).

إن الأدلة الأدبية تقدم لنا صورة عن انتشار هذه اللغة في شمال أفريقية الرومانية، بينما الدليل الوثائقي كالعملة مثلاً فهو محدود جداً، ذلك أن العملة التي عثر عليها في مدن الإقليم والتي سكتها كل من المدن الثلاث وهي مدن حرة (**Civitas Librae**) استمر ظهورها من بداية عهد الإمبراطور أغسطس حتى منتصف القرن الأول الميلادي(*). والأدلة الأثرية بدورها تؤكد على

(1) شارل أندريه جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، تر/ محمد مزالي ورفيقه، الدار التونسية للنشر 1969، تونس، ص 248؛. Elmayer. A. F. Tripolitania and the Roman Empire, 1997, p.365.

(2) IR T 889; Elmayer, A.F. The Centenaria of Roman Tripotiania Lib. Stud . 15 (1984). P. 77-84.

(3) Eimayer, A. F. Tripolitania and the Roman Empire, 1997, P. 366-366

(4) IRT 886
عبد الحفيظ فضيل الميار، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية، المرجع السابق، ص 353-55.

(*) يرى جنكيز أنه لا ينبغي أن يعول كثيراً على ما تقدمه العملة من أدلة خاصة وأن صدورها كان لفترة قصيرة ثم اختفت في أوائل الإمبراطورية، عملية الاختفاء ليست ظاهرة تخص هذه المدن وحدها، وإنما هي عامة وربما

مواصلة سكان المدن لنشاطهم الحضاري ويدل ذلك على وجود العديد من الآثار ذات الطابع الفينيقي يرجع تاريخها إلى العهد الروماني[1]. وتؤكد الأدلة الأثرية على أن استعمال اللغة الفينيقية لم يكن قاصراً على الحياة الخاصة، وإنما في مظاهر عامة معينة، وهو ما يدل على حيوية وقوة هذه الأمة واستمرار الثقافة الفينيقية في إقليم المدن الثلاث حتى بعد الاحتلال الروماني، وكذلك الاحترام الذي أظهره الحكام الجدد تجاه العادات المحلية والمؤسسات الفينيقية التي استبدلوها بعاداتهم وتقاليدهم وقوانينهم الرومانية[2].

ولم يتم الاستبدال بإجراءات عنيفة، وإنما بالتدريج وعن طريق التسرب والاستيعاب، وهذا التعايش بين اللغتين اللاتينية والفينيقية واستمرارية استخدام الأخيرة ليس كلغة حديث، وإنما في الكتابة أيضاً لم يحدث في إقليم طرابلس، وهذا إن دل عل شيء فإنما يدل على أنه في بداية عهد الإمبراطورية الرومانية كان عدد السكان الفينيقيين كبيراً وكان لهم ثقافتهم الخاصة وإيمانهم باستقلالهم الوطني الذاتي، ومثل هذا الإيمان والاعتقاد وجد الاعتراف من قبل الحكومة الرومانية المركزية[3].

وعليه فإن حضارتين فينيقية ورومانية عاشت جنباً إلى جنب في سلام طيلة عدة قرون، وإلى جانب اللغة بقيت بعض العناصر الأساسية للحضارة الفينيقية في العصر الروماني مثل الدين ومؤسسات معينة وعادات، حيث تسجل النقائش البونية بعض المؤسسات السياسية مثل الشفطم (القاضيان) والمحزم، الذين استمر ظهورهم في النقوش حتى القرن الثاني الميلادي. يبدو أن هذه المؤسسات أخذت في الاختفاء تدريجياً لتحل محلها المؤسسات الرومانية عندما أصبحت لبدة الكبرى بدرجة مستعمرة عام **109**م في عهد الإمبراطور تراجان[4]، وكان الشفطم ومساعدوهم المحزم من أغنياء الطبقة الأرستقراطية في المدن وكانوا حكاماً أو قضاة ينتخبون سنوياً. ومن الوظائف الأخرى التي ظهرت في نقش من لبدة الشحم (**Shhm**) (**IRT319**) وهو المسؤول عن الشؤون الزراعية، كما تسجل النقائش البونية وظائف أخرى خاصة بالشؤون الدينية مثل ادرعزوم (**Adr Azrm**) (**IPT21; 27**) وهي تعني المسؤول عن الشؤون الدينية وتعادل باللاتينية عند الرومان (**Praefectus Sacrorum**) (**IRT319-321-322**)، وكذلك ادركوهيم

جاءت نتيجة لسياسة المراقبة المالية التي تتبعها الدولة في غرب الإمبراطورية وذلك من أجل إيجاد عملة موحدة تصلح للتداول في جميع أنحاء الإمبراطورية.
Jenkins. G. 'Some Ancient Coins of Libya', Lib. Stud. 1973, P. 35.

(1) Bartoccini 1927, in Africa Italiana 1:232; CfIRT 852.

(2) Levi Della Vida, Riv. Tripol. 3 (1927) p.912.

(3) Levi Della Vida, Riv. Tripol. 3 (1927) p.912.

(4) عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ص 348.

Drkhnm) (IPT 21:27) وهي تعني الكاهن الأعظم وتعادل باللاتينية (Pontfex Maximus) [1] وهو المشرف على الشؤون الدينية، وهناك طبقة أخرى وهي الذباح (Zbh) (IPT 27.3) وهي تعني كاهن خاص بتقديم الأضاحي إلى أحد الآلهة وهي تعادل باللاتينية مصطلح فلاميني (Flamine)[2].

وهذا بطبيعة الحال لا يعني اتخاذ إجراءات غريبة أو استبدال للمؤسسات التقليدية حيث لا يحجم عن ذلك أي اختلاف في جوهره سواء في التكوين أو التنفيذ عن المؤسسات الموجودة في المدينة الفينيقية القديمة، وإنما مجرد تغيير في الأسماء[3].

وظهر التأثير الروماني في الصناعة اليدوية الفينيقية الليبية، فقد جاءت النماذج المحلية تقليداً لنماذج مزخرفة مثل تلك التي كانت منتشرة في روما، حيث تغير المظهر الخارجي لجرار لبدة بسبب التأثير الروماني، ذلك أنه عثر في مقابر (قصر الجلدة) على لقيات محلية الصنع رومانية الطراز مثل جرار حفظ رفاة الموتى[4]. لم يقتصر تأثير الحضارة الرومانية في حضارة الإقليم على الجانب الاقتصادي والسياسي في المدن الفينيقية الليبية، بل تجاوزه إلى الناحية الدينية، وقد جرى حل الاختلاف بعملية المطابقة بين الآلهة (Syncretism) حيث عبدت الآلهة الفينيقية الرئيسية تحت أسماء آلهة رومانية مثل الإله الفينيقي ملك عشترت التي جرت معادلته بالإله الروماني هيركيوليس والإله شادرافا بالإله الروماني ليبير باتر، وظهر التأثير في الناحية الثقافية، ذلك أنه حدث تغيير في عملية الدفن المعتادة عند الفينيقيين الليبيين التي استمرت حتى القرن الأول ق.م، ثم بدأت بعد هذا التاريخ ممارسة طريقة الدفن بطقس الحرق[5]، ويبدو أن عادة الحرق هذه جاءت بتأثير إغريقي روماني[6].

فظهر تأثير الحضارة الرومانية في ثقافة السكان المحليين حيث حمل البعض منهم أسماء رومانية بدلاً من البونية أو الليبية مثل قايوس بن حانو من أرستقراطية لبدة (IRT 338) وماكرينوس وأسماء مقبرة بئر دريدر جنوب الإقليم (IRT 338) وكذلك انتشار بعض المصطلحات الرومانية في الحياة العامة، والخاصة كبنتنا ريوم (Centinarium) (IRT886) وديناريوس (IRT906)، كما جرى تصميم شواهد هذه القبور التي تحمل نقائش جنائزية على الطريقة الرومانية، كما وأنه اعتباراً من القرن الثاني الميلادي أخذ في كتابة اللغة البونية بالحروف اللاتينية، ويجد هذا تأكيداً له

---

(1) Levi Della, Vida, G..in Afr. Ital. 6(1935), P106-107: Diso, P.116no.15.
وقد ورد في النقائش البونية القرطاجية مصطلح رب كوهنم (RB Khnm) وهو ما يعادل ادركوهم (Ader Khnm). Ighid, P. 106-107

(2) IPT 15; p.71.

(3) Elmayer. A, F. 1997, Tripolitania and the Roman Emapire, p. 179.

(4) Divta- Evrard. G. et' la Ipogeo dei Flavi leptis Magna Presso Gsr Gelda' LA2 (1996), P.85-132.

(5) محمود الصديق أبو حامد وآخرون، أخبار أثرية، المرجع السابق، ع 11 ـ 12 (1974 – 1975)، ص 47.

(6) Divta – Evrard, G. LA2 (1996), P.89.

في النقائش البونية اللاتينية التي عثر عليها في مناطق مختلفة من الإقليم[1]، وبانتشار الثقافة الرومانية في إقليم المدن الثلاث أخذ السكان في الكتابة باللغة اللاتينية، ويدل على ذلك النقائش اللاتينية التي عثر عليها بالمقبرة الشمالية الخاصة بالليبيين في قرزه، والتي ترقى إلى القرن الثالث والرابع الميلادي[2].

وبالرغم من كل المحاولات التي قامت بها روما لنشر حضارتها وفرض لغتها على السكان، إلا أن الشواهد الأثرية تنهض دليلاً على استمرارية بعض مظاهر الحضارة البونية في ليبيا خلال العصر الروماني، ففي المدن الساحلية استمر استعمال اللغة الفينيقية البونية كلغة رسمية والتي ظهرت في النقائش الثنائية باللغتين اللاتنية والبونية التي عثر عليها في لبدة[3]، كما دلت هذه النقائش على استمرارية المؤسسات الفينيقية في العهد الروماني في الإقليم وتطويرها لتوائم المؤسسات الرومانية علاوة على إيجاد مسميات ومصطلحات جديدة لتتناسب مع الوظائف الرومانية[4].

وهذا ويمكن القول بأنه على الرغم من المظهر الروماني الخارجي للمدن الفينيقية الليبية، إلا أن الحضارة الفينيقية الليبية استقرت في مدن الإقليم تحت قشرة رومانية خارجية[5]. وهكذا نرى أن روما وإن أنهت قرطاج عسكرياً وسياسياً فإنها لم تعمل على محو الثقافة الفينيقية، فعلى الرغم من أن الطبقات الحاكمة والأسر الثرية في الأراضي التي كانت تابعة قرطاج، والتي يعتبر إقليم المدن الثلاث إمداداً لها إلى الشرق كانت تتكلم اللغة اللاتينية، إلا أن عامة الشعب استمرت في استعمال اللغة الفينيقية حتى فترة متأخرة من العصر الروماني، حيث نجد القديس أغسطس ينصح رجال الدين أن يتعلموا اللغة الفينيقية إذا أرادوا نشر الديانة المسيحية[6] وتشير الأدلة إلى استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية في ليبيا حتى نهاية العهد البيزنطي ومجيء العرب المسلمين إلى شمال أفريقيا، وقد نجد هذا تأكيداً له في ما ذكره القديس أوغسطين (**Augustine**) عن أهمية اللغة البونية وأيضاً في النقائش البونية اللاتينية التي ترجع إلى فترة متأخرة من العصر الروماني مثل نقائش مقبرة تريبونات – بئر دريدر الخاصة بمشائخ القبائل الليبية التي كانت تنتشر مضاربها في تلك المنطقة في جنوب الإقليم.

وهذه النقائش كما أسلفنا تشير إلى السياسة التي اتبعها الرومان تجاه القبائل الليبية، وهي تتمثل في تخويل مشائخ هذه القبائل سلطة عسكرية بمنحهم رتبة تريبونوس، وكذلك الإشراف على تسيير شؤون الإدارة والعدالة في مناطق قبائلهم، وذلك بهدف الحصول على ولاء زعماء هذه القبائل وضمان تعاونهم مع السلطات الرومانية.

---

(1) لمزيد من المعلومات عن النقائش البونية اللاتينية التي تم اكتشافها في إقليم المدن الثلاث راجع: عبد الحفيظ فضيل الميار، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية، المرجع السابق، ص 201.

(2) Brogan, O. and Smith, Girza, op. Cit, P.123-135.

(3) IRT599 = IPT27.

(4) Longer Stay, M.CCP, op. Cit. P. 884.

(5) Benabou ,M. la Resistance Africaine a la Romanisation, Paris, 1976, p.511-550.

(6) Augustine Epist, p.201-203.

هذه السياسة أدت إلى وجود تعاون بين الطرفين وتأمين طرق القوافل التجارية من الغارات التي يشنها رجال القبائل الليبيين على هذه القوافل، حيث ترتب على ذلك ازدهار تجارة القوافل ورخاء تمتعت به مدن الإقليم، ولكن السلام والاسترخاء الذي ساد أفريقيا خلال فتـــرة الإمبراطوريـــة الرومانية المتأخرة في عهد جستنيان وجوستينو الثاني عجل في الواقع بالانهيار التام في المقاطعـــات الأفريقية على حد قول بروكوبيوس[1]، وقد مهد هذا إلى مجيء العرب المسلمين إلى شمال أفريقيا. وبالرغم من المحاولات التي بذلها الإمبراطور هرقل، إلا أن ذلك لم يوقف التفكك والانهيار الـــذي أصاب الإمبراطورية البزنطية. وفي عام 643م جاء العرب المسلمون بقيادة عمرو بن العـــاص إلى ليبيا حيث لم تواجههم أية مصاعب، وفي سهولة سيطروا على الشمال الإفريقي رافعين راية الإسلام وناشرين العدل والمساواة.

---

(1) Procopius, Hist. 18.

قائمة المختصرات

Afr.Ital: Africa Italiana

BICS: Bullen of Classical Studies, University of London.

C P P: La Civilizations Phoenicinne Et Punique (edit. By Krings, V.), E.J. Brill, 1995.

JOAS: Journal of the American Oriental Society.

IPT; Levi Della Vida G.and Amdasi Guzzo M.G., Iscrizioni Puniche della Tripoltania (1927 – 1967), Rome 1987.

IRT: J.M.Reynolds and J.B. Ward – Perkins Inscriptions of Roman Triipolitania, 1952.

LA: Libya Antiqua.

Lib. Stud: Libyan Studies.

LH: Libya in History, Benghazi, 1968.

MDAIR: Damaszener Hittilungen Dautshes Archaology Institut.

RCL: Rend. Cont. AC.Linc.

M DAIR: Mitteilungen des Dutchmen Archaologishen institutes Romische Abeilung.



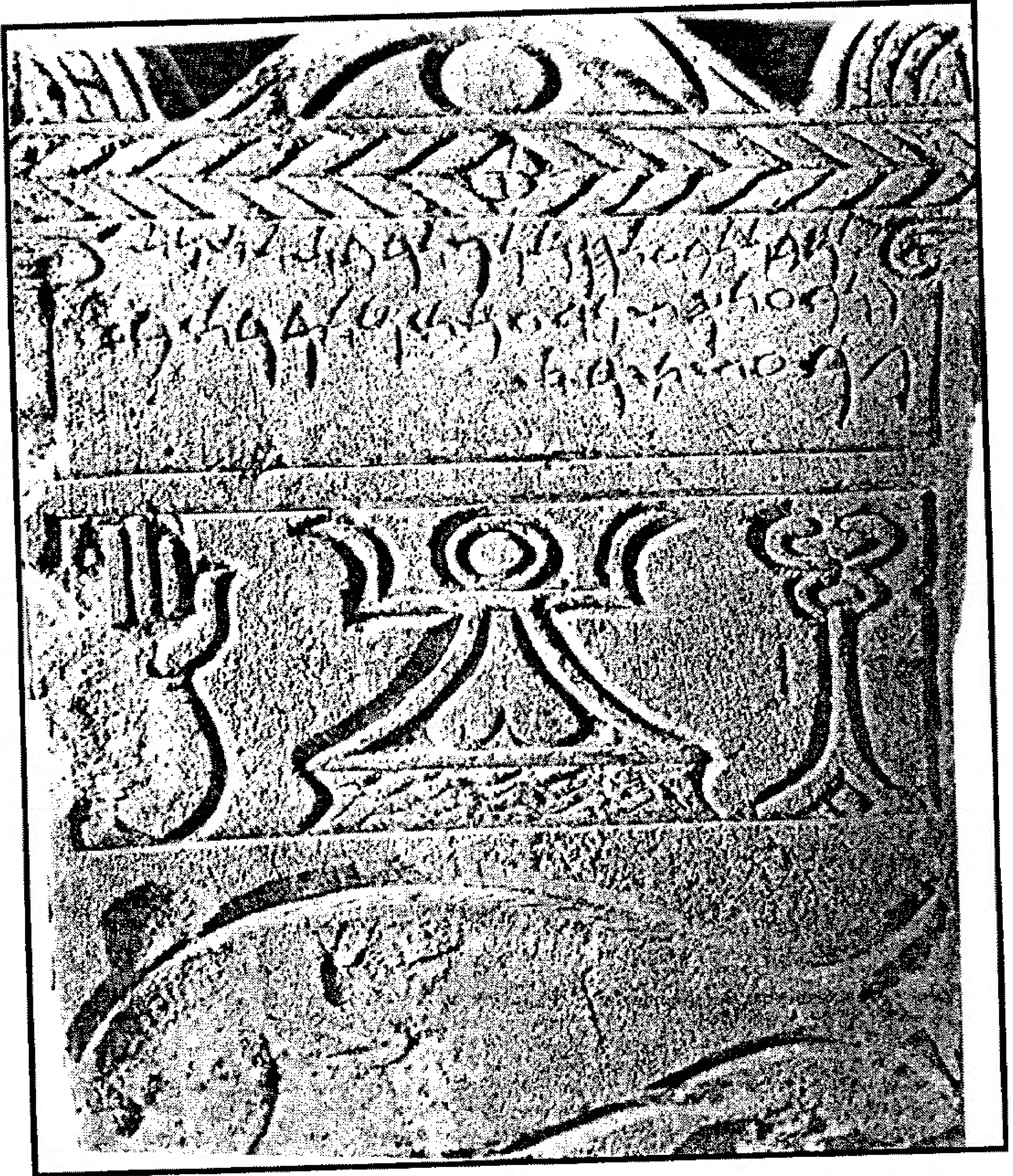
شكل رقم (1)

نقيشة معبد الإله الليبي آمون في قرية الخضراء - ترهونة

عن (IPT 67)

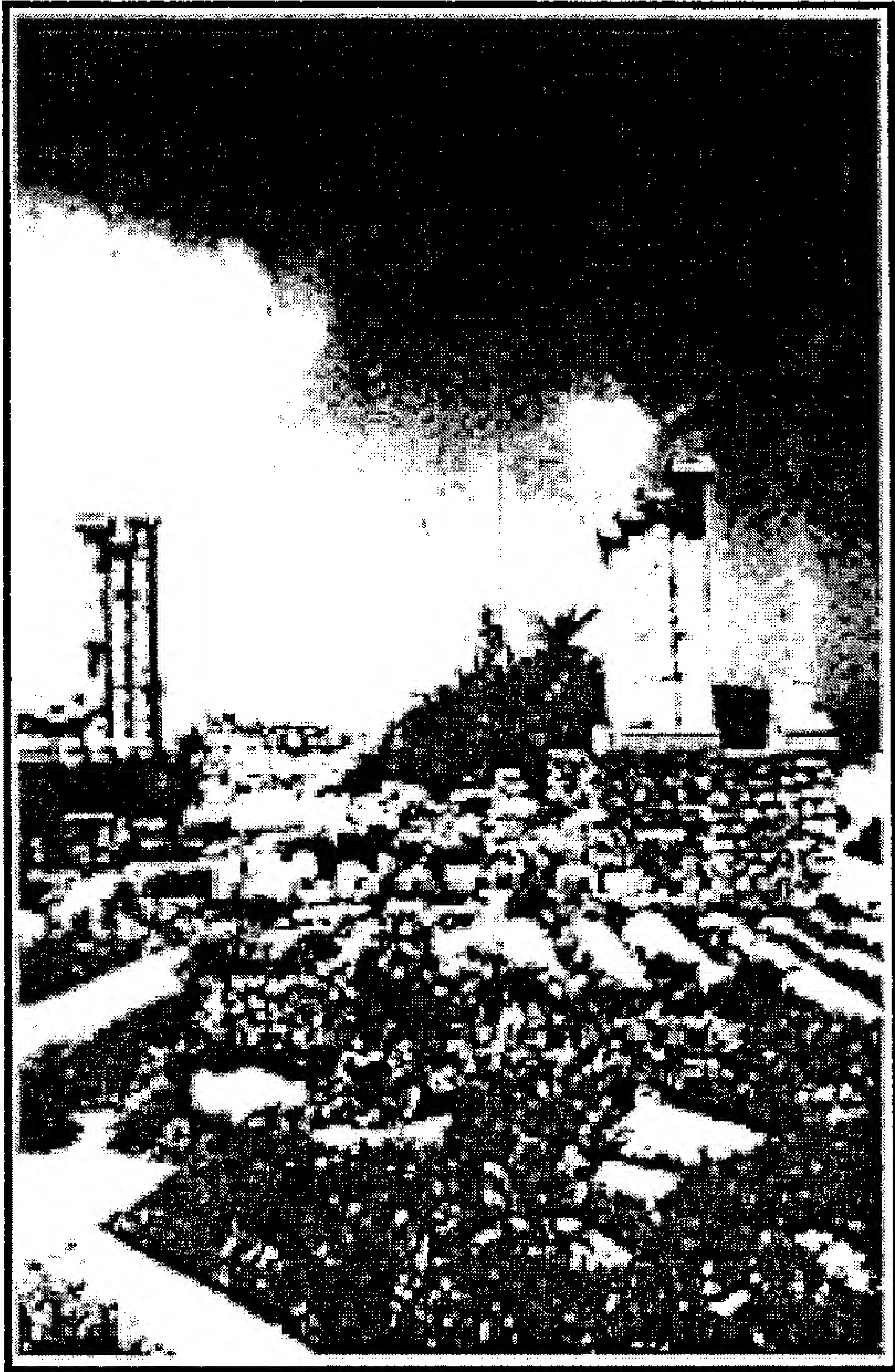
شكل رقم (2) رسوم التمحو

عن (Bates,O 1914,P.119 pla.3)



شكل رقم (6) رموز الآلهة تانيت

عن (Moscati,S.1968,P.136)



شكل رقم (5)

معبد الإله ملك عشترت في لبدة الكبري

عن (Brouquier- Redde 1992,P.90 fig. 41)

1. *IVLIVS NASIF*
2. *TRIBUNUS BYM*
3. *SIR ABAN BYN*
4. *JYEIHAN RIRA*
5. *CHAN B(AL)MSA*
6. *RASTHIE VY MYSY*
7. *RTHIM BAL SEM RM*
8. *SABSI BEN MYCNE*
9. *I SABSY(V)FATHSY BY*
10. *N AABSM(UN)(R)OSA L*
11. *VN(SN)...*

شكل رقم (6)

نقيشة ضريح الشيخ جوليوس ناصف

عن (IRT 886)

الفصل الثاني

تاريخ ليبيا الإسلامي

أولاً: الفتح العربي الإسلامي لليبيا:

د. سالم عبد الله الزناتي

عرفت بلاد المغرب منذ القدم بأسماء مختلفة، فكان الإغريق يسمون القسم الشمالي منها باسم (ليبو) أو ليبيا بينما كانوا يطلقون اسم بلاد الأحباش السود على الجزء الصحراوي. أما لفظ إفريقية Africa فقد أطلقه الرومان على الإقليم الذي يقابل اليوم الجزء الشمالي الشرقي من الجمهورية التونسية ويشمل قرطا جنة وما حولها حتى نوميديا غرباً (الجزائر الحالية)، ولفظ إفريقية مشتق من كلمة افري Aphri التي أطلقها الفينيقيون على سكان أوتيكا Utica وقرطاجنة ثم عممه اليونان بعد ذلك فأطلقوه على سكان بلاد المغرب من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلسي.

وكان يعرف باسم إفريقية القنصلية Risalafrica Proconsu وهو الاسم الذي عرب فيما بعد إلى إفريقية وأطلقه العرب بادي ذي بدء على كل ما يلي إقليم طرابلس غرباً.

أما المغرب فيشمل كل ما يلي مصر غرباً حتى المحيط الأطلسي وتتوسطه إفريقية وبذلك يمكننا أن نقسم بلاد المغرب العربي إلى أربعة أقسام على النحو التالي:

1- برقة وطرابلس: وهما أول كور المغرب من جهة الشرق ويدمجها بعض المؤرخين في إفريقية وبعضهم يفصلها عن المغرب. ولكن الغالب أن برقة وطرابلس كانتا جزءاً لا يتجزأ من المغرب العربي الإسلامي.

2- إفريقية: وهي الولاية الشرقية من مجموع بلاد أطلس وهي البلاد التي تمتد من خليج سرت الكبير شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً وسماها العرب لذلك بالمغرب الأدنى لأنها أقرب إلى بلاد العرب ودار الخلافة بالحجاز والشام وتمت من طرابلس شرقا حتى تاهرت غربا وقاعدتها مدينة القيروان.

3- المغرب الأوسط: ويمتد من تاهرت شرقاً حتى وادي ملوية وجبال تازة غرباً وقاعدته مدينة تلمسان.

4- المغرب الأقصى: ويمتد من وادي ملوية شرقاً حتى مدينة آسفي الواقعة على المحيط الأطلسي غربياً وجبال درن جنوباً وسمي بذلك لأنه أبعد أقسام بلاد المغرب العربي الإسلامي عن دار الخلافة الإسلامية في الحجاز والشام[1].

---

(1) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة (الأسكندرية، 1982م) ص39، 40.

هناك صعوبات كبيرة تعترض الباحثين في كتابة تاريخ الفتح العربي الإسلامي للمغرب العربي بصفة عامة والفتح الإسلامي لليبيا بصفة خاصة، إذ إن ما ورد في معظم المصادر العربية من أخبار — على قلتها — غير دقيقة وينقصها الترابط، ويشوبها الغموض، نتيجة احتوائها على روايات خرافية ذات طابع أسطوري، انتقلت إليها من مصادر مختلفة من حيث الزمان والمكان، يرجع أقدمها إلى عصر متأخر كثيراً عن حوادث الفتح. ولهذا فعلى الباحث في هذه الفترة ضرورة الصبر والتروي في مقابلة الروايات بعضها ببعض وغربلتها مما يشوبها من غموض وخرافات وأساطير وبذل الجهد للتوفيق بين المعلومات المتناقضة من حيث الترتيب الزمني واستخلاص الحقائق التاريخية منها. ويرجع سبب هذا الغموض والتباين في أخبار الفتح الإسلامي للمغرب إلى عدة عوامل منها: أن الأخبار كانت تنقل شفاهاً قبل أن تدون، مما جعل هذه الأخبار عرضة للتحوير والتبديل أثناء تناقلها على ألسنة الرواة قبل تدوينها. هذا بالإضافة إلى الحيز وعدم الموضوعية من بعض الرواة والمؤرخين، ومنها إطلاق العرب العنان لخيالهم الخصب في تصويرهم للأحداث التاريخية[1].

ولقد واجه العرب المسلمون صعوبات عديدة عند فتحهم لبلاد المغرب، فاستغرق فتحهم لهذه البلاد نحو سبعين عاماً، بينما استغرق فتحهم للشام والعراق وفارس ومصر أقل من عشرة أعوام، ويرجع سبب ذلك إلى ثلاثة عوامل أولهم: عامل جغرافي ناشئ من طبيعة بلاد المغرب الجبلية ووعورة مسالكها؛ وثانيهم: عامل اجتماعي وهو مترتب عن النعرة القبلية؛ وثالثهم: عامل نفسي نتج عن ذلك من تكتل وتضامن القبائل المغربية ضد الفاتحين[2].

وينقسم سكان المغرب إلى ثلاث طوائف على النحو التالي:

1- الروم: وهم البيزنطيون.

2- الأفارق أو الأفارقة: وهم بقايا شعب قرطاجنة وأخلاط من المستعمرين اللاتين والأهالي الذين تأثروا بالحضارة الرومانية والبيزنطية وكانوا يدينون بالطاعة والولاء لأسيادهم البيزنطيين ويعملون لديهم بالزراعة.

3- الأهالي: وهم سكان بلاد المغرب الأصليين وأطلق عليهم وكان الرومان يعتبرونهم أعاجم وأطلقوا عليهم اسم البربر. وقد ظهر هؤلاء في التاريخ منذ ثلاثة آلاف سنة تحت اسم ليبو[3].

واستطاع بعض المؤرخين المحدثين التغلب على هذه الصعاب وتوصلوا إلى معالجة تاريخ فترة

---

(1) سعد زغلول عبد الحميد، فتح العرب للمغرب بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية. مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد 16 سنة 1962م، ص 40؛ ليفي بروفنسال، نص جديدة عن فتح العرب للمغرب، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مج2، سنة 1954، ص 193.
(2) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب، ص 41، 42.
(3) نفس المرجع، ص 47، 48.

الفتح بطريقة علمية منظمة عن طريق مقابلة النصوص، واستخلاص الحقائق الثابتة من سياق الروايات الأسطورية فظهرت أبحاثهم النقدية القيمة مثل الدراسة النقدية القيمة التي قام بها أ.د. سعد زغلول عبد الحميد لمخطوط (فتوح مدينة إفريقية) للواقدي المعنونة بـ (فتح العرب للمغرب بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية) بمجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية سنة **1962 – 1963**م.

إن الوثائق التاريخية وحدها لا تكفي لكتابة تاريخ ليبيا الإسلامي وتعتبر الآثار الإسلامية في ليبيا الباقية، سواء الثابتة منها كالعمائر، أو المنقولة كالتحف والنقود، من أهم المصادر التي يعتمد المؤرخون عليها في كتاباتهم عن تاريخ ليبيا الإسلامي، لأن الآثار تعتبر سجلاً تاريخياً حياً للأعمال التي قام بها القادة والولاة والأمراء في العصور الإسلامية المختلفة ودليلاً مادياً وشاهداً على الحضارة العربية الإسلامية في ليبيا. عليه سوف يتم الاعتماد على الآثار الإسلامية للاستعانة بها في دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية في ليبيا.

روايات الفتح الإسلامي لليبيا:

انفرد ابن عذاري بالإشارة إلى أن عمرو بن العاص وجه عقبة بن نافع الفهري إلى برقة وزويلة فافتتحهما حيث قال: وجه عقبة بن نافع الفهري إلى زويلة وبرقة فافتتحهما، ثم توجه عمرو بنفسه إلى برقة فصالح أهلها [1].

وهذا النص يعني أن عمرو بن العاص قد أرسل عقبة بن نافع على رأس سرية للاستطلاع فقط وليس للفتح تمهيداً لقيامه بفتحها بنفسه. في حين أفادنا ابن أبي دينار قائلاً: ولما فتح عمرو بن العاص مدينة مصر والإسكندرية بعث عقبة بن نافع إلى برقة وزويلة وما جاورها من البلاد، فصارت تحت ذمة الإسلام، وسار عمرو فغزا مدينة طرابلس وفتحها [2].

ومن الطبيعي أن يفكر عمرو بن العاص في فتح برقة وطرابلس بعد أن استكمل فتح مصر لعاملين اثنين هما:

1- العامل الأول: أن ليبيا تقع على حدود مصر الغربية وكان لابد لعمرو بن العاص بعد أن استكمل فتح مصر من القيام بفتح برقة وطرابلس لتأمين حدود مصر الغربية من خطر الروم. والانطلاق من ليبيا لفتح إفريقية وبلاد المغرب.
2- العامل الثاني: هو رغبة عمرو بن العاص في الاستمرار في سياسة الفتوحات الإسلامية نحو الغرب انطلاقاً من ليبيا وهو أمر دل عليه وقائع خط سير الفتوحات الإسلامية في فلسطين ومصر وبرقة وإفريقية والمغرب والأندلس وجنوبي فرنسا.

---

(1) ابن عذاري، أبو العباس أحمد، البيان المغرب في أخبار المغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال وكولان ج1 (بيروت، 1983م) ص1.
(2) ابن أبي دينار القيرواني، المؤنس في فتح أفريقية وتونس، ص 23،22.

ويبدو أن عمرو بن العاص قد اطمأن إلى المعلومات الاستطلاعية التي قدمها له عقبة بن نافع الفهري عن برقة، فعجل بفتحها وقد ساعد على ذلك أن أهل برقة كانوا ساخطين على البيزنطيين بسبب حكمهم الجائر وكثرة المظالم وتعسفهم في جباية الضرائب ويبدو أنهم أرادوا التخلص من الحكم البيزنطي وهذا ما يفسر لنا مبادرتهم بتقديم فروض الولاء والطاعة بسرعة للجيش الإسلامي.

قاد عمرو بن العاص الجيش الإسلامي لفتح برقة، غير أن أهل برقة قدموا فروض الولاء والطاعة مختارين دون حرب أو قتال ففتحها ابن العاص صلحاً، وقد وافق أهلها على دفع جزية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار. وأن عمراً كتب لهم بذلك كتاباً.

وقيل إن عمراً أدرج في كتابه لأهل برقة قائلاً: إن عليكم أن تبيعوا أبناءكم وبناتكم فيما عليكم من الجزية [1].

واستبعد إحسان عباس إدراج مثل هذا القول في العهد لأن الروح العامة التي كانت تملي شروط الجزية ــ وخاصة في عقود الصلح ــ لم تكن تفترض بيع الأبناء والبنات وإنما تقدر أن يكون في ما يقدم في الجزية بعض العبيد ــ كما حدث في صلح النوبة مثلاً ــ وكثيراً ما كان بعض الناس آنذاك ما يتقدمون طائعين مختارين بتقديم أبنائهم وبناتهم تطوعاً وإذا كان الأمر كذلك فلا حاجة لإدراج هذا النص في العقد.

وما أن أتم عمرو بن العاص فتح برقة حتى شرع في فتح طرابلس، تمهيداً لغزو إفريقية وقد جهز جيشين أحدهما تحت قيادة عقبة بن نافع الفهري وتوجه في حملة إلى فتح داخل البلاد حيث الواحات الداخلية التي تتواجد بها بعض جيوب المقاومة في قلب البلاد وأهم هذه الواحات واحة فزان والتي لو أهمل شأنها، لقطع عليه أهلها خط الرجعة وتمكنت هذه الحملة من الوصول إلى زويلة وفتحها.

ونجح عقبة بن نافع في مهمته، وأصبحت المنطقة الممتدة ما بين برقة وزويلة في أيدي المسلمين وبذلك ضمن عمرو بن العاص إخضاع هذه الواحات الداخلية التي كانت تهدد سلطان المسلمين على المدن الساحلية. وفي الوقت الذي كان فيه عقبة بن نافع يفتتح فزان، كان عمرو بن العاص يغزو إقليم طرابلس. فبدأ بمدينة سرت ثم سار انطلق عمرو بن العاص بالجزء الأكبر من الجيش الإسلامي نحو طرابلس سنة 22هـ ففتح في طريقه أجدابية صلحاً على أن يدفع أهلها خمسة آلاف دينار وقد أسلم الكثير من أهل أجدابية في هذا الفتح [2].

ثم سار عمرو بن العاص بعد ذلك في طريقه غرباً متجهاً إلى طرابلس ففتح مدينة سرت ثم زحف بقواته على مدينة لبدة فوجدها خراباً واستسلم أهلها له طائعين. ثم واصل ابن العاص سيره

---

(1) ابن عبد الحكم، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر (بيروت، 1996م) ص294.

(2) إحسان عباس، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا للنشر والتوزيع (بنغازي، 1967م) ص21.

غرباً حتى أدرك مدينة أطرابلس فوجدها مدينة محصنة محاطة بسور من جميع الجهات ما عدا الجهة الشمالية التي تطل على البحر التي كانت فيه مراكبهم ومنه تتلقى طرابلس الإمدادات. ويذكر ابن عبد الحكم أن عمرو: نزل على القبة التي عن الشرف من شرقيها فحاصرها شهراً لا يقدر منهم على شيء [1].

اتفق أغلب المؤرخين على أن جماعة من جند عمرو بن العاص فاجؤوا الروم من جهة ساحل طرابلس حينما انحسرت عنها مياه البحر واستولى المسلمون بذلك على المدينة وذكر ابن عبد الحكم نقلاً عن عثمان بن صالح بأنه: خرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر عمرو بن العاص متصيداً في سبعة نفر فمضوا غربي المدينة حتى أمعنوا عن المعسكر ثم رجعوا فأصابهم الحر فأخذوا على ضفة البحر وكان البحر لاصقاً بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور وكانت سفن الروم شارعة في مرساها إلى بيوتهم. فنظر المدلجي وأصحابه فإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ووجدوا مسلكاً إليها من الموضع الذي غاض البحر منه فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبروا فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم. وأبصر عمرو وأصحابه السلة (السكة) في جوف المدينة فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم فلم تفلت الروم إلا بما خف لهم من مراكبهم وغنم ما كان في المدينة[2].

ويستبعد الدكتور حسين مؤنس قصة التكبير في فتح طرابلس ويعتقد أن رواة فتح مدينة طرابلس قد اختلط عليهم الأمر، فوضعوا في هذا الفتح ما وضعوه في فتح حصن بابليون بمصر، الذي تشبه روايته رواية فتح مدينة طرابلس، وقد استند في ذلك إلى أن ابن عبد الحكم كتب تاريخ هذا الفتح بعد مرور قرنين ونصف من هذه الحوادث، كما استند إلى أن الكثير من المصادر أشارت إلى أن عمراً قوتل حتى افتتح مدينة طرابلس عنوة [3].

وقال ابن عذاري إن أهل مدينة طرابلس استغاثوا بقبيلة نفوسة إذ كانوا قد تنصروا مثلهم بتأثير من الروم. وتفسر هذه الرواية لنا سر اهتمام عمرو بن العاص بإرسال قوة من الجيش — في أثناء محاصرته لمدينة طرابلس — إلى مدينة ودان وذلك لمشاغلة قبيلة نفوسة ومنعها من تقديم العون لمدينة طرابلس المحاصرة. وفي أثناء امتناع مدينة طرابلس على عمرو بن العاص ومقاومتها لحصاره ظلت مدينة صبراته أيضاً، فلما سقطت مدينة طرابلس أرسل عمرو خيلاً كثيرة ليلاً وأمر قائده بالسير بسرعة بحيث يصلها الجيش مصبحاً وأهلها غافلون، وقد فتحوا أسوار مدينتهم لتسريح مواشيهم فسهل ذلك فتحها عليه [4].

---

(1) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص295.
(2) نفس المصدر، ص 295، 296.
(3) حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، (القاهرة، 1959م) ص62.
(4) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص296.

ثم ترك عمرو بن العاص لبسر بن أرطأة وعقبة بن نافع مهمة فتح بعض الجيوب الصغيرة ــ على حد تعبير الدكتور إحسان عباس ــ لذلك فقد افتتح بسر مدينة سرت وودان وفرض على أهل ودان 360 رأساً من الرقيق. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا بقوة ماذا حدث بعد أن فتح عمرو بن العاص برقة وطرابلس وفتوحات عقبة بن نافع وبسر بن أرطأة؟ وهل رجع عمرو بن العاص وصاحباه إلى مصر؟ من الصعب أن نتصور ترك البلاد دون مفارز من الجيش الإسلامي ويبدو أنه قد تمهل في العودة إلى مصر وترك صاحبيه عقبة وبسر لتمشيط بعض جيوب المقاومة وفتحها. وظلت برقة أيام عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي السرح بعده مطمئنة إلى الشروط المعقودة، حتى أنه لم يكن يدخلها صاحب خراج وإنما يبعث أهلها بالجزية في وقتها المحدد وكان استقرار الأحوال فيها عوناً كبيراً على تقدم الأعمال الحربية في المغرب أما مدينة أطرابلس فهي حسب الروايات لم تحافظ على عهدها كما فعلت شقيقتها برقة [1].

تم فتح برقة والقسم الشرقي من منطقة طرابلس ولم يتدخل جريجوريوس لمقاومة الجيش الإسلامي لأن إقليم طرابلس الممتد ما بين مصر وصبراته لم يكن تابعاً له رسمياً، ــ وهذا يفسر موقفه السلبي من الفتح الإسلامي لهذه المناطق ــ وكان هذا القسم يضم جزيرة جربة **Meninex** وجرجيس **Girgis** وقابس وكانت انتصارات المسلمين في برقة وطرابلس وفزان وزويلة وودان قد وصلت إليه، فاحتاط لنفسه وبادر بتحصين البلاد فيما يلي صبراته تعزيزاً للدفاع عن إفريقية واستعداداً لملاقاة المسلمين [2].

وناقش الدكتور إحسان عباس رواية المالكي صاحب كتاب رياض النفوس أن الجيش الذي سار مع عبد الله بن أبي السرح فتح إفريقية تحصن منه أهل مدينة أطرابلس والتي تقول: فلما فصلنا من مصر تقدمت سرية فوصلت طرابلس وإذا ثم مراكب قد أرست فشدوا عليهم فأقاموا ساعة ثم استأسروا فكتفوا وهم مائة، حتى لحقهم ابن أبي سرح فقتلهم وتحصن أهل طرابلس ولم يعرضوا لنا ولم نهاجمهم وأخذنا ما في السفن فكانت هذه أول غنيمة أصيبت [3].

أن ابن أبي السرح لم يحاسبهم على ذلك لأنه كان في عجلة من أمره وقد اطمأن بأن سبب تحصنهم لم يكن للحرب والقتال ولكنه كان ناتجاً من الشعور بالخوف على أنفسهم من ردة فعل الجيش الإسلامي.

وأنني مع الدكتور إحسان عباس فيما ذهب إليه لأن ابن أبي السرح لا يمكنه الذهاب إلى إفريقية ويترك منطقة طرابلس دون تأمين مؤخرة جيشه بترك منطقة معادية له الأمر الذي يضع

---

(1) إحسان عباس، تاريخ ليبيا، ص 23، 25.
(2) السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير: العصر الإسلامي، دار النهضة العربية (بيروت، 1981م) ص150، 149.
(3) المالكي، أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله، كتاب رياض النفوس، تحقيق: حسين مونس، ج1 (القاهرة، 1951م)، ص10.

الجيش الإسلامي بين فكي كماشة ويقطع خطوط مواصلاته ويمنع وصول الإمدادات إليه ويقطع خط الرجعة عليه.

وخلاصة القول أن ليبيا — التي تم فتحها على يد عمرو بن العاص وقادته عقبة بن نافع وبسر بن أرطأة — بقيت هادئة مستقرة زمن عبد الله بن أبي السرح (25 — 35 هـ).

ولكن هذا الاستقرار ما لبث أن تزعزع بعد ذلك إذ انشغل المسلمون في المشرق بمقتل عثمان والصراع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وتم إهمال شؤون ليبيا وإفريقية ولذلك اضطر عمرو بن العاص في ولايته الثانية على مصر (38 -43هـ) إلى أن يرسل جيوشاً لتلك المنطقة من جديد عندما انتفضت.

ولعل طول غياب الجيوش الإسلامية عن مناطق ليبيا الداخلية قد شجع أمراءها على عدم تأدية الجزية المفروضة وبسبب المشاكل التي واجهها الجيش الإسلامي في المناطق الساحلية، فكان لابد من حملة جديدة تؤكد ما بداه الفتح الأول، وعهد بالأمر إلى عقبة بن نافع الفهري الذي كان على دراية تامة بليبيا والمغرب ليخوض جولته الثالثة التي يتولى فيها عقبة الأعمال الحربية في المغرب. وكانت مدينة ودان من المدن التي انتفضت وامتنعت عن أداء الجزية التي فرضها بسر بن أرطأة في الفتح الأول فسار عقبة إليها بقوة قوامها أربعمائة فارس وأربعمائة بعير وثمانمائة قربة ونزل بمغمداش برفقة كل من بسر بن أرطأة وشريك بن سمي المرادي وبعد أن خضعت له ترك قسماً من جيشه فيها تأميناً لعدم انتفاضها مرة أخرى واستخلف على الجيش عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي. وسار نحو ودان ففتحها وجدع أذن صاحبها بعدما عاهده حتى لا يحارب العرب مستقبلاً [1].

وبعد ودان سار إلى مدينة جرمة ودعا أهلها إلى الإسلام فأجابوه ثم قصد قصور فزان فافتتحها الواحد بعد الآخر وقد استغرقت مهمته هذه خمسة أشهر وصل فيها إلى عاصمة كوار وبعد عودة عقبة بن نافع من مهمته إلى مغمداش قاد الجيش الإسلامي متوجهاً إلى فتح إفريقية مجانباً الطريق الأعظم وفي طريقه افتتح بقية المناطق الغربية من ليبيا وبعث خيلاً إلى غدامس فافتتحها وسار من بعدها متقدماً نحو قفصة [2].

ويبدو أن عمرو بن العاص قد حاول فتح بعض الحصون الواقعة غربي مدينة صبراته، ولكنها استعصت عليه لمناعتها، فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره بفتوحاته ويستأذنه في فتح. إفريقية حيث هون عليه أمر فتحها الذي أصبح سهل المنال بعد فتح ليبيا ولتأمين حدود ليبيا الغربية من الروم فقال له: إن الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين أفريقية إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل [3].

وقد رد عليه الخليفة عمر بن الخطاب قائلاً: لا أنها ليست بإفريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت [4].

---

(1) إحسان عباس، تاريخ ليبيا، ص28، 29.
(2) نفس المرجع، ص 29.
(3) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص 297.
(4) نفس المصدر، 297.

وهذا يدل على أن دقة معلوماته واهتمامه بجنوده والحيطة والحذر التي كان يتبعها الفاروق عمر في كل القرارات التي كان يتخذها مراعياً المصلحة العليا للمسلمين وعدم اتخاذ أي خطـوة غـير محسوبة النتائج.

وفي هذه الفترة كان الفتح الإسلامي لمنطقة برقة وطرابلس وودان وفزان أكثر رسـوخاً إذ لم نسمع بأن سكان هذه المناطق قد تأثروا بثورة كسيلة أو بمقتل عقبة بن نافع سنة 63 هـ ـ وبهذا قد خرجت ليبيا مؤقتاً ـ عن حركات المقاومة وأصبحت ليبيا مركزاً نقطـة انطـلاق للجـيش الإسلامي نحو الغرب لإخضاع الثورات في إفريقية وتحولت إلى ملاذ آمن للتراجع عند الضرورة. حتى إنه لما قتل عقبة بن نافع واستطاع كسيلة أن يحتل القيروان وخرجت إفريقية من يد المسلمين، انسحب زهير بن قيس البلوي الذي كان عقبة قد خلفه في القيروان إلى برقة منتظراً رأي الخليفة بدمشق [1].

وكانت أحوال الدولة الأموية في المشرق تنذر بالتصدع إثر وفاة زيد بن معاويـة ونـشوب الحرب بين القيسية واليمنية في معركة مرج راهط سنة 64 هو اندلاع ثورة عبد الله بن الـزبير في الحجاز والفترة العصيبة والمشكلات التي عاصرها مروان بن الحكم وورثها ابنه عبد الملك الـذي نهض لتسويتها باقتدار والتي كان من بينها مشكلة ضياع الجهود التي بذلتها الجيوش الإسلامية في المغرب.

ورغم كثرة الأعباء والمشاغل التي واجهت الخلافة الأموية في المشرق رأى الخليفة عبد الملـك بن مروان بثاقب نظره أن إعادة الهيبة للجيوش الإسلامية في إفريقية أمر لا يمكن إرجاؤه، فبعـث الإمدادات إلى زهير في برقة وطلب منه أن يحارب كسيلة ويثأر لعقبة بن نافع، وقاتل زهير كسيلة وانتصر عليه في موقعة ممس سنة 69 هـ ثم عاد إلى برقة [2].

وقد عللت الرواية بأن أسباب عودته تكمن في أنه رأى ملكاً عظيماً بإفريقية فأبى أن يقيم فيه خوفاً على نفسه من الفتنة لأنه كان من رؤساء العابدين وكبراء الزاهدين وأنه لم يأت لإفريقية إلا للجهاد في سبيل الله ورفع راية الدين ولذلك اعتبر أن مهمته انتهت بقتل كسيلة وتخليص المسلمين من الأسر.

وانتهز الروم غياب زهير عن برقة وذهابه لقتال كسيلة في إفريقية ـ وكـان حـسان قـد استخلف عليها إبراهيم بن النصراني ـ الذي هرب منها وتركها تواجه مصيرها المحتوم ليحتلـها الروم ويفسدوا فيها.

فهاجم الروم برقة ووصف ابن الأثير ذلك فقال: وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسير زهير من برقة إلى إفريقية لقتال كسيلة، فاغتنموا خلوها، فخرجوا إليها في مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية وأغاروا على برقة فأصابوا منها شيئاً كثيراً وقتلوا ونهبوا، ووافق ذلك قدوم زهير من إفريقية إلى برقة [3].

---

(1) إحسان عباس، تاريخ ليبيا، ص 29.
(2) إحسان عباس، تاريخ ليبيا، ص29، 31.
(3) ابن الأثير، علي بن أحمد بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، ج4، (القاهرة، 1357هـ) ص92.

وطلب عبد العزيز بن مروان والي مصر من زهير بن قيس البلوي بنجدة برقة وطرد الروم منها فأخذ زهير يجمع الناس حوله فلم يجتمع له إلا سبعون رجلاً من أصحابه وحمل بهم علـــى الـــروم فاستشهدوا جميعاً [1].

وعند عودة زهير إلى برقة هب لنجدة أهلها فأرسل عسكره إلى ساحل برقة فلما أشرف على الروم هاله كثرتهم فتردد في مهاجمتهم لقلة جنده واضطر إلى مهاجمتهم مكرهاً استجابة لـــصيحات استغاثة الأسرى المسلمين فقتل زهير ومن معه سنة 69 هـــ. وباستشهاد زهير بن قيس البلوي في برقة اضطربت بلاد المغرب واشتعلت فيها نار الفتن واندلع الصراع بين القبائل المغربيـــة علـــى الزعامة وقد توافق ذلك مع انشغال الخليفة عبد الملك بن مروان بالقضاء على الثورات والفتن التي كادت تعصف بالخلافة الأموية في المشرق. وكان الخليفة عبد الملك بن مروان يعتقد أن إفريقية لا يمكن أن تفتح فتحاً منظماً ثابتاً إلا إذا أعد جيشاً ضخماً مسلحاً بكل أنواع الأسلحة والمعـــدات، ولم يكن ذلك مهيئا له وهو يقاتل في جبهات متعددة، فلما فرغ من القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير في الحجاز، أخذ يستعد لحسم الأمور في المغرب. وذكر المالكي أن الخليفة عبد الملـــك بـــن مروان قد جهز جيشاً تحت قيادة حسان بن النعمان الغساني عدته ستة آلاف مقاتل [2].

وقد اختلف المؤرخون في تاريخ سير الحملة إلى إفريقية فبينما جعلها ابن عبـــد الحكـــم ســـنة 73هـــ نجد ابن الأثير وابن خلدون قد جعلاها سنة 74هـــ في حين حددها ابن عذاري في ســـنة 78هـــ. ويرجع سبب هذا الاختلاف إلى خلط المؤرخين بين حملتي حسان الأولى ســـنة 74هـــــ والثانية سنة 78هـــ [3].

اختار الخليفة حسان بن النعمان قائداً على جيوش إفريقية وأمره في البداية بالإقامة مع جنده في مصر إلى حين فأقام بها بعض الوقت حتى انتهت الخلافة الأموية من مشكلة ابن الزبير، فكتب إليه الخليفة يأمره بالسير إلى إفريقية وقال له: إني قد أطلقت يدك في أموال مصر فأعط من معك ومن رد عليك وأعط الناس واخرج إلى بلاد إفريقيا على بركة الله وعونه [4].

وخرج حسان إلى إفريقية في جيش هائل لم يسبق أن دخل المسلمون إفريقية جيش بمثل هـــذا العدد وكان هدف حسان بالدرجة الأولى محاربة الروم في عاصمتهم قرطاجنة وسار حسان حـــتى وصل إلى ترشيش [•].

(1) إحسان عباس، تاريخ ليبيا، ص29، 30.
(2) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب، ص156.
(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص34.
(4) المالكي، كتاب رياض النفوس، ص34.
(•) ترشيش هو الموضع القديم لمدينة تونس ولما افتتحها المسلمون وعمروها سموها تونس.

الواقعة على شاطئ البحر [1] وحاصر حسان المدينة حصاراً شديداً من جهة البر، ويبدو أنه نجح في حصارها من ناحية البحر حتى يمنع وصول الإمدادات إليها، حتى افتتحها، وفر معظم من كان بها من الروم في مراكبهم إلى صقلية وأسبانيا وتم القضاء على البقية الباقية منهم.

وقام حسان بهدم المدينة وقطع عنها المياه حتى يمنع استغلالها من العدو مرة أخرى [2].

ثم جمع الروم شتاتهم مرة أخرى وانضم إليهم بعض الأهالي الموالين لهم وتجمعوا في بلاد صطفورة [*].

وتمكن زهير بن قيس البلوي من هزيمة الروم وتشتيت جموعهم ثم عاد إلى القيروان [3].

ثم تأهب حسان لمواجهة المشكلة الثانية حيث تصدى في وادي مسكيانة سنة 75هـ لقوات كبيرة كانت تقودها داهية بنت ماتية بن تيغان ملكة جبل أوراس وتلقي حسان هزيمة قاسية وتم أسر نحو ثمانين رجلاً من أصحابه فقرر على أثرها الرجوع إلى برقة بعد أن استخلف رجلاً على إفريقية يدعى أبو صالح [4].

وكانت الداهية قد أسرت بعد انتصارها على المسلمين في وادي مسكيانة نحو ثمانين رجلاً من أشراف العرب أفرجت عنهم بعد انسحاب حسان من إفريقية واستثنت منهم خالد بن يزيد العبسي فقط لإعجابها بشجاعته ووسامته فقامت بتبنيه ولداً لها [5].

وكان حسان على اتصال دائم بخالد بن يزيد وكانت الرسائل تتبادل بينهما سراً إذ كانا يحرصان على إخفائها عن عيون الداهية ورجالها إما في شقق الخبز أو في القرابيس، وقد استفاد حسان استفادة عظيمة من تلك المعلومات الاستخباراتية التي زوده بها خالد بن يزيد في معرفة أخبار الداهية وكشف خططها الحربية.

أقام حسان بن النعمان في برقة منتظراً الإمدادات من الخليفة عبد الملك بن مروان لاسترداد إفريقية فأسس هناك قصوراً حملت اسمه وكانت انطابلس ولوبية ومراقيا إلى حد أجدابية من عمله. وكان حسان أثناء إقامته ببرقة يلح على الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بأن يمده بجيش كبير ليستعيد به إفريقية ويحتفظ بها المسلمون نهائياً ولكن الخليفة رأى ألا يغامر مرة أخرى في المغرب حتى ينتهي من القضاء على المشاكل التي تواجه الخلافة وأهمها القضاء على الأزارقة والخوارج.

---

(1) المالكي، كتاب رياض النفوس، ص31.
(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص35.
(*) ذكر الإدريسي أن إقليم صطفورة يتصل بأرض قرطاجنة من جهة الغرب وهو إقليم كبير به ثلاث مدن هي بالترتيب من الشرق إلى الغرب: أشلونة ونينجة وبنزرت (راجع الإدريسي ص114).
(3) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب، ص157.
(4) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص76.
(5) المالكي، كتاب رياض النفوس، ص34؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص36.

وبذلك تفرغ الخليفة من جديد لشؤون المغرب ووجه لزهير الإمدادات المطلوبة فزحف بها إلى إفريقية والتقى بجيش الداهية سنة 82هـ وهزمها هزيمة ساحقة[1].

ويمكننا أن نقسم عملية الفتح الإسلامي لليبيا إلى ثلاث مراحل كما يلي:

أولاً: مرحلة الغزو السريع بين عامي (**21 – 78هـ**) على يد عمرو بن العاص وعقبة بن نافع وبسر بن أرطأة وسمي بن شريك المرادي.

ثانياً: رد الفعل والعودة إلى المقاومة بين عامي (**30 – 41هـ**).

ثالثاً: مرحلة ترسيخ وتثبيت الفتح بين عامي (**41 – 49هـ**)[2].

وقد عمل أربعة من أكبر القادة على نشر الدين الإسلامي في بلاد المغرب عامة وفي ليبيا على وجه الخصوص هم: عمرو بن العاص الرجل الذي جمع بين الدهاء السياسي والنبوغ العسكري وكان عقبة بن نافع في تدينه وسيرته الطيبة مثالاً طيباً لأثر الإسلام في نفوس معتنقيه عقبة بن نافع الذي وضع حجر الزاوية في كيان إفريقية الإسلامية ببناء القيروان وأصبحت بذلك ولاية ليبيا الإسلامية همزة الوصل بين مركزين إسلاميين كبيرين هما الفسطاط والقيروان، ويمثل خليفته زهير بن قيس البلوي صورة المرابط أو المجاهد في سبيل الله والزاهد في الملك والسلطان، أما الشيخ الأمين حسان بن النعمان فقد تميز عنهم جميعاً بأعماله التنظيمية التي لم يتح لعمرو بن العاص أن يؤديها بإفريقية كما أداها بمصر فدون الدواوين ونظم الإدارة في القيروان ووضع نواة الأسطول الإسلامي في إفريقية الإسلامية حين بني دار صناعة السفن بتونس وساوى حسان أهل المغرب بالعرب في الإعطيات وأذهلهم في الجيش الإسلامي وكانت هذه السياسة سبباً في وحدة وتماسك المجتمع الإسلامي في بلاد المغرب واندماجه مع العرب الفاتحين وسيكون الخروج عن روح هذه السياسة عاملاً في كثير من الانتفاضات التي حدثت هناك فيما بعد[3].

---

(1) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب، ص 160 – 162.
(2) إحسان عباس، تاريخ ليبيا، ص 32 – 34.
(3) نفس المرجع، ص 35، 34.

قائمة المصادر والمراجع

1- ابن الأثير، علي بن أحمد بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، ج4 (القاهرة، 1357هـ).

2- ابن عبد الحكم، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري دار الفكر (بيروت، 1996م).

3- ابن عذاري، أبو العباس أحمد، البيان المغرب في أخبار المغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال وكولان ج1 (بيروت، 1983م).

4- المالكي، أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله، كتاب رياض النفوس، تحقيق: حسين مؤنس، ج1 (القاهرة، 1951م).

المراجع

1- إحسان عباس، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا للنشر والتوزيع (بنغازي، 1967م).

2- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 1982م).

3- السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير: العصر الإسلامي، دار النهضة العربية (بيروت، 1981م) ص150، 149.

الدوريات

1- سعد زغلول عبد الحميد، فتح العرب للمغرب بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية. مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد 16، سنة 1962، 1963م.

2- ليفي بروفنسال، نص جديد عن فتح العرب للمغرب، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامي بمدريد، مج2، سنة 1954م.

ثانياً: تاريخ ليبيا عقب الفتح العربي الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس عشر

د. بشير رمضان التليبيسي

ليبيا عقب الفتح العربي الإسلامي.

يمكننا أن نفترض أن الفتح العربي الإسلامي قد انتهى تماماً في ليبيا وتجاوزها إلى جميع بلاد المغرب والأندلس، مع نهاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، وقد لاحظنا أن الفاتحين لم يلقوا عناءً كبيراً في فتح ليبيا واعتناق أهلها العقيدة الجديدة وبخاصة عند قيام حسان بن النعمان بتطبيق مبدأ المساواة بين الفاتحين وسكان البلاد، الذين ثاروا بعد ذلك في فرص عديدة بسبب سوء الإدارة وسوء تصرف بعض الولاة، الذين لم يلتزموا العدل، ولم يسيروا في الناس سيرة حسنة.

وتتسم هذه الفترة في خطوطها العريضة بكشف النقاب عن الدور الذي قامت به ليبيا في سلسلة الأحداث التي تعاقبت على المنطقة، وهو دور ارتبط إلى حد كبير بالمعارضة والانتفاض والثورة والميل إلى الاستقلال والشعور بالكيان الخاص، وخوض تجارب الانصهار والتفاعل مع التيارات السياسية والمذهبية التي عمت منطقة بلاد المغرب.

ويكفي أن نشير هنا إلى نموذج من الثورات الأولى التي صاحبت قيام الدولة العباسية (132هـ/750م). وبخاصة ثورة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الذي استولى على طرابلس سنة (140هـ/ 757م) وأمر والي العباسيين بمغادرتها، واتخذها قاعدة للزحف منها إلى القيروان والقضاء على سوء إدارة قبيلة ورغمة في القيروان سنة (140هـ/757م) [1]. وقد استطاع أبو الخطاب أن يهزم ورغمة ويستولى على القيروان، ويجعل عليها عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية فيما بعد.

وبطبيعة الحال فإن الخلافة العباسية في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور لم تقف أمام هذه الأحداث التي طالت نفوذها في طرابلس كتوفة اليدين، وقدرت تماماً الخطورة التي تشكلها هذه الثورة على الوجود العباسي في طرابلس وبلاد المغرب عموماً. ولذا فإن الخليفة أبا جعفر المنصور قد أرسل حملات متتالية لم تستطع إخماد الثورة إلا بعد انقسام أتباع أبي الخطاب واختلافهم عليه.

لم تكن ثورة أبي الخطاب إلا بداية لسلسلة من الثورات التي شهدتها المنطقة، ونجد لها تفسيرات في عدد من المصادر التاريخية التي تركز على طبيعة المنطقة وخلفياتها التاريخية دون الحديث عن أثر التيارات الفكرية والمذهبية التي بلغت قمة ازدهارها في هذه الفترة من العصر العباسي.

---

(1) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، 1/ 71.

ليبيا في عهد الأغالبة:

بالرغم من المحاولات الجادة التي قام بها خلفاء الدولة العباسية لبسط سيادتهم على المدن الليبية وما يليها فإنهم قدروا صعوبة ذلك فاضطروا في عهد هارون الرشيد أن يكتفوا بتبعية طرابلس وإفريقية لهم تبعية اسمية، وسلموا أمرها إلى بني الأغلب سنة (184هـ/800م). وأصبحت طرابلس ضمن أملاكهم، وقد حاول مؤسس هذه الدولة إبراهيم بن الأغلب (184 197/ 800 812م) أن يحافظ على ولاء أهل طرابلس له فكان يغير الولاة أملاً في إرضائهم[1]، ولكن ذلك لم يؤد إلى استقرار الأوضاع بها، بالرغم من العناية والرعاية الخاصة التي أحاط بها الأغالبة مدينة طرابلس، وتولوا أمر الدفاع عنها. والمحافظة عليها بكل السبل والوسائل، فعينوا على ولايتها شخصيات مهمة من أسرة الأغالبة من بينهم عبد الله بن الأغلب الذي خلف أباه إبراهيم مؤسس دولة الأغالبة، فقد كان موجوداً بطرابلس يخمد توارثها ويتولى حكمها عندما بلغه نبأ وفاة والده وبها أرسلت إليه البيعة وعاد إلى القيروان[2].

ويرجع عدد من الباحثين كثرة الثورات بطرابلس في عهد الأغالبة إلى الضيق والتبرم من حكمهم وسوء إدارتهم للمدينة، وكذلك المنافسة القوية من جانب الرستميين ولعل أهم الثورات التي شهدتها مدينة طرابلس أثناء الحكم الأغلبي كانت ثورة أهل طرابلس سنة (186هـ/ 802م). الذين تنادوا بتنحية الوالي الأغلبي سفيان بن المضاء وإعادته إلى القيروان، وقد حاول الوالي التصدي لهذه المحاولة ومقاومتها، إلا أنه أدرك استحالة ذلك فاحتمى هو ورجاله بالمسجد، ولكنه هوجم، وقتل أصحابه، وأعطى الأمان شريطة أن يغادر إلى القيروان، وقد قام الثوار بتنصيب إبراهيم بن سفيان التميمي غير أن أحوال المدينة لم تستقر، وبلغت أخبارها إلى الأمير الأغلبي الذي أعد جيشاً توجه إلى طرابلس، فأخمدت الثورة وأقر إبراهيم بن سفيان التميمي إرضاءً لأهل طرابلس الذين اختاروه[3].

وبالرغم من اختيار أهل طرابلس للوالي إبراهيم بن سفيان التميمي فإنهم عادوا للثورة عندما تولى أمر طرابلس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب سنة (196هـ/ 811م). إذ حاصروه في داره ثم أعطوه الفرصة للخروج من المدينة، وعند خروجه إلى ضواحي طرابلس أخذ يجند الناس ويحفزهم بالانضمام إليه، فدفع للفارس أربعة دراهم وللراجل درهمين فاستطاع أن يحشد أعداداً كبيرة من الناس، وسار بهم إلى طرابلس حيث جرت المعركة عند مشارف المدينة في مواجهة الجند الثائر، وقد انتصر عبد الله ودخل المدينة وعفا عن خصومه وأعلن الأمان[4].

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/ 121.
(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 95.
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 5/ 121.
(4) أحمد بك النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ص 62.

وقد توالت الثورات بين الحين والآخر في طرابلس، فعندما عُزل عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب، وولي سفيان بن المضاء ثارت هوارة، وخربت المدينة بالرغم من خروج جند الأغالبة لملاقاة جموع هوارة [1].

وقد عبر إبراهيم بن الأغلب عن أهمية طرابلس بالنسبة لدولته عندما أعد جيشاً قوامه ثلاثة عشر ألف فارس، تحت قيادة ابنه عبد الله لإنقاذ المدينة واستخلاصها من أيدي قبيلة هوارة ونجح في ذلك، وجدد ما هدم من سورها، لكن هوارة لم ترض بالهزيمة فاستنجدت بالرستميين حيث أمدها عبد الوهاب بن رستم بقوة كبيرة جعلت عبد الله يبذل جهداً كبيراً في الدفاع عنها فأغلق باب زناته وركز المعركة عند باب هوارة الذي عُرف فيما بعد باسم باب عبد الله بهذه المناسبة، وفي أثناء المعركة جاءت الأخبار من القيروان بوفاة إبراهيم بن الأغلب، وأنه عهد بالإمارة من بعده إلى ابنه عبد الله الذي قام بمصالحة هوارة على أن يكون داخل السور والساحل البحري الغربي للأغالبة وما عدا ذلك من المدينة يكون تابعاً لعبد الوهاب بن رستم.

وبطبيعة الحال فإن حصول الأغالبة على منطقة الساحل يبين الدور الإيجابي الذي لعبته طرابلس ونواحيها الداخلية في فتح صقلية سنة (212 هـ/ 827م). بالرغم من تكتم أغلب المصادر عن هذا الدور الذي يتضح بمرور الزمن من خلال ردَّة فعل الصقلية والمسيحية نحو طرابلس.

ظل اهتمام الأغالبة بمدينة طرابلس طيلة فترة حكمهم فقد ولوا عليها أفراداً بارزين من الأسرة الأغلبية، منهم: عبد الله بن محمد بن الأغلب... الذي كان أديباً شاعراً، طالباً للحديث والفقه. ولي طرابلس ثم نقله محمد بن أحمد بن محمد الأغلب (أبو الغرانيق) (250 – 261هـ) إلى صقلية ثم أعاده إلى طرابلس مرة أخرى.

ومنهم أيضاً محمد بن زيادة الله بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب، ولي طرابلس واشتهر بحسن السيرة فضلاً عن كونه شاعراً، وخطيباً، حتى أن الخليفة العباسي المعتضد بالله أرسل إلى الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد يقول: إن انتهيت عن أخلاقك هذه، وإلا فسلم العمل الذي بيدك لابن عمك محمد بن زياد الله! [2]. وكان ذلك سبباً في قتل الأمير إبراهيم لابن عمه محمد والي طرابلس.

وعلى كل حال فإن آخر الولاة الأغالبة كان أحمد بن عبد الله بن الأغلب، وهو أخو زيادة الله بن الأغلب آخر أمراء الأغالبة (290 – 296هـ/ 902 – 908م)، وقد اعتبره بعض المؤرخين مسؤولا عن الإهمال والتهاون في أمر عبيد الله المهدي أثناء مروره من طرابلس في طريقه إلى سجلماسه وهو مؤسس الدولة الفاطمية [3].

وبطبيعة الحال فإن طرابلس لم تكن هادئة تماماً خلال عهد الأغالبة، وإن كانت قد شهدت بعض الاستقرار في عهد بعض الولاة المصلحين الذين أثروا في حياتها الثقافية والدينية على وجه الخصوص.

---

(1) المصدر نفسه، ص 63.
(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 129.
(3) خليفة التليسي، حكاية مدينة، ص 45.

وقد شهدت طرابلس أواخر حكم الأغالبة حملة العباس بن أحمد بن طولون الذي خرج عن حكم والده، وحاول سنة (265هـ/ 878م). تسيير حملة إلى برقة وطرابلس ومنها إلى أفريقية، ويتحدث ابن عذاري عن ثورة العباس بن أحمد بن طولون فيقول إنه قدم إلى مدينة برقة في ثمانمائة فارس وعشرة آلاف راجل من سودان أبيه على خمسة آلاف جمل... يريد إفريقية والتغلب عليها وإخراج بني الأغلب منها وحمل مع نفسه من بيت مال مصر 800 حمل ديناراً ذهباً... وحمل معه عبد الله أحمد بن محمد الكاتب مكبلاً لأنه أظهر الامتناع عن الخروج معه، وكان قد أشار عليه أن يؤخر التقدم إلى طرابلس[1]. ولسوء تدبير العباس بن أحمد بن طولون فإن حملته لم تحقق أهدافها ولم تصل إلى القيروان للقضاء على إمارة بني الأغلب، واضطر ابن طولون إلى الرجوع بعد الهزيمة إلى برقة.

ولعل مدينة طرابلس كانت من المدن التي شهدت إسدال الستارة على نهاية الحكم الأغلبي الذي ارتبطت به منذ تأسيسه، فقد حل بها آخر أمراء الأغالبة زيادة الله بن الأغلب هارباً من رقاده، متوجهاً إلى مصر بعد الهزائم التي لحقت به أمام الجيوش الفاطمية، وفي مدينة طرابلس كان توديع زيادة الله في طريقه إلى مصر، بعد أن قتل صاحب البريد عبد الله بن الصائغ الذي تنكر له، ورحل زيادة الله إلى مصر.

لم تكن أحوال برقة بأفضل مما كانت عليه طرابلس بالرغم من عدم سيطرة الأغالبة عليها إلا أن عدداً من الولاة قد تبادلوا على ولايتها، ففي سنة (140 هـ/ 757م). ولي عليها رجل يدعى دياسي[2]. ثم ولّي عليها والي مصر يزيد بن حاتم، عبد السلام بن عبد الله بن هبيرة السبائي[3] ثم تعاقب عليها عدد من الولاة لم يأت المؤرخون على ذكرهم. وفي كل الأحوال فإن برقة لم تكن تابعة للأغالبة منذ تأسيس دولتهم سنة (184هـ/800م). وهو ما ذهب إليه الدكتور إحسان عباس بقوله: إن الخلافة العباسية ظلت تتدخل من خلال والي مصر، في شؤون برقة بينما لا نسمع عن تدخل لبني الأغلب فيها[4].

وبطبيعة الحال فإن تبعية برقة لولاة الدولة العباسية في مصر أو التبعية المباشرة للخلافة العباسية ذاتها قد أدى إلى كثرة الثورات بها، وهي ثورات في مجملها لم يكتب لها النجاح بالرغم من ضراوة بعضها.

ولعل آخر تلك الثورات ثورة العباس بن أحمد بن طولون التي انتهت عقب رجوع صاحبها إلى برقة بعد الهزيمة التي منى بها في طرابلس على يد عمال الأغالبة بها، وبقيت برقة على تلك الحالة حتى قيام الدولة الفاطمية وحملتها على مصر عام (301هـ/ 913م) والتي تحققت خلالها تبعية برقة وطرابلس للدولة الفاطمية.

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 118.
(2) ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والمغرب، ص170.
(3) إحسان عباس، تاريخ ليبيا، ص55.
(4) المرجع نفسه، ص56.

قيام الدولة الفاطمية بإفريقية وأثره على ليبيا:

لعل التغيير الذي حدث بدخول الفاطميين وتأسيس دولتهم في القيروان أولاً قد أدى بسكان المدينتين الكبيرتين طرابلس وبرقة إلى الثورة. فقد بدأ الاضطراب أولاً في طرابلس سنة (298هـ/911م) عندما انتفضت هوارة بقيادة أبي هارون الهواري تساندها بعض الجماعات من زناته ولماية، وضربت حصاراً على مدينة طرابلس، لكن عبيد الله المهدي واجه تلك الانتفاضة بحملة قادها أبو زاكي تمام بن معارك الأجاني، الذي قتل منهم مقتلة عظيمة، وبعث برؤوس القتلى إلى رقادة حيث نصبت بحسب نص ابن عذاري المراكشي [1].

ولكن يبدو أن سكان مدينة طرابلس لم يكونوا راضين عن طريقة الحكم الفاطمي فهبوا بثورة عام (300هـ/ 912-913م). حيث قتلوا الحامية الكتامية واختاروا من بينهم قائداً هو محمد بن إسحق المعروف بابن القرشي، إلا أن الخليفة عبيد الله المهدي وجه ابنه أبا القاسم في حملة برية يسنده أسطول بحري يتكون من خمس عشر سفينة حربية، ومع ذلك فإن أمد هذه الثورة قد استمر شهوراً أظهر أهل طرابلس خلالها ضروباً من البطولة والشجاعة في البر والبحر فقد واجهوا الأسطول الفاطمي بما يملكون من مراكب نجحت في إحراقه والقضاء على من فيه من المقاتلة، ومن ثم سجلوا مفاخرهم كمقاتلين بحريين مهرة.

أما القاسم بن الخليفة فإنه اتخذ طريقاً باتجاه منازل قبائل هوارة فأوقع بها، ثم نزل على طرابلس وشدد عليها الحصار. حتى نفذ قوت أهلها، وأكل الناس الميتة، وأعطيت الأمان، فقبض أبو القاسم على زعماء الثورة وعلى رأسهم محمد بن إسحق، وصحبهم معه إلى القيروان حيث شهر بهم [2]. أما أهل طرابلس فإنه عاقبهم بدفع نفقات الحملة، وترك أمر تعذيبهم ومصادرة أموال الأغنياء منهم إلى قائده خليل بن إسحق وهو من مواليد طرابلس ومن أبناء جندها [3].

وفي حدود هذه الفترة التي ثارت فيها طرابلس ـــ كانت ثورة أهل برقة ضد حكم العباسيين الذين قضوا على حكم الطولونيين في مصر، ويُفهم من بعض الروايات أن الفاطميين كان لهم دور في تدبير الاضطرابات عندما دعموا الأعراب في المنطقة فخرجوا يهاجمون حدود مصر، وذلك تمهيداً لثورة المدينة نفسها والتي انتهت بانتقام العباسيين من أهلها معتبرين ذلك خيانة لهم باعتبار أن برقة ثغر لحماية مصر من الخطر الشيعي المتربص بهم. وأخمدت الثورة دون رحمة أو شفقة، وانتقم من الثوار انتقاماً يدل على الغيظ والتشفي. وعدم قبول أي مبرر لذلك.

---

(1) البيان المغرب، 1/ 225 – 226.
(2) المصدر نفسه، 1/ 234 – 235.
(3) التّجاني، الرحلة، ص 241.

لقد شجعت ثورة برقة عبيد الله المهدي للإسراع في محاولة غزو مصر، ففي سنة (301هـ/913م). أرسل قائده حباسة بن يوسف على رأس حملة إلى المشرق مروراً بمدينة سرت التي دخلها بالأمان دون مقاومة بعد أن فر من كان بها من جند العباسيين، وبعث بخبر ذلك إلى القيروان حيث أعلن من على منابر إفريقية، ثم تابع حباسة تقدمه إلى إجدابيا ومنها إلى برقة التي تشير المصادر إلى أنها كانت ضحية انتقام الفاطميين بعد أن كانت قبل فترة وجيزة فريسة انتقام العباسيين، فقتل من أهلها عددا كبيرا، ثم أغرم الأحياء مغارم ثقيلة بلغ بعضها مائة ألف مثقال في يوم واحد [1].

وربما نستفسر لماذا قام القائد الفاطمي بهذا العمل ضد أهل برقة؟ إذ تشير المصادر إلى أن سبب ذلك يرجع إلى ما لحق بالإمام عبيد الله المهدي من الإهانة عند مروره ببرقة قادماً من مصر، إذ سرقوا ماله وشتموه ولطموه [2]، كما أخذوا كتب آبائه [3].

استطاع حباسة بن يوسف أن يصل إلى الإسكندرية بعد أن هزم جيشاً للعباسيين في حدود برقة ولحق به أبو القاسم بن عبيد الله المهدي واتجه الاثنان نحو الفيوم لكنهما اختلفا فعاد حباسة مخالفاً، وانسحب الأمير الفاطمي أمام قوات العباسيين [4].

وعند عودة أبي القاسم بن عبيد الله المهدي سنة (302هـ/ 914م) مر ببرقة فأظهر أهلها الترحيب به وهنئته بالسلامة، ورد ولي العهد الفاطمي أن رجوعه كان بسبب الانتقام من حباسة بن يوسف على ما فعله بهم، وشجعهم على إصلاح ما هُدم من مدينتهم، وترك معهم حامية من كتامة وعاد إلى إفريقية، ولكن ما أن اقترب الجيش العباسي — الذي كان يتعقبه إلى برقة — حتى قامت الأهالي إلى الحامية الفاطمية فقتلت أفرادها. وأعلنت الثورة.

واضطر عبيد الله المهدي أن يسير الجيوش إلى برقة من جديد بقيادة أبي مدين بن فروخ اللهيصي الذي حاصر المدينة مدة عام ونصف أشد الحصار، ولم تستسلم المدينة إلا بعد أن هلك أغلب أهلها وذلك سنة (304هـ/ 916 – 917م). وهنا تمت معاقبة أهل برقة بمصادرة أموالهم وأرسل زعماء الثورة إلى المهدي الذي أمر بقتلهم [5]، واحتفظ الفاطميون بأبي مدين بن فروخ اللهيصي والياً على برقة حتى وفاته سنة (306هـ/ 919م). وهي السنة التي دخل فيها الجيش الفاطمي إلى مصر للمرة الثانية عبر برقة [6].

وبطبيعة الحال فإن الجهود التي بذلها الفاطميون في غزو مصر مرتين قد جعلت المدن الليبية — كلها تقريباً — تابعة لهم فعينوا لها العمال والجباة والقضاة من الإسماعيلية، وهذا لا يعني أن الأمر قد استتب للفاطميين في كل المدن الليبية، ولكنها ظلت خاضعة لهم مؤقتاً.

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 170.
(2) المصدر نفسه، والجزء والصفحة.
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 6/ 149.
(4) ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 137، وكذلك ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 3/ 173.
(5) المصدر نفسه، 1/ 173.
(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 6/ 161.

أما البوادي فإن الفاطميين قد اكتفوا منها بالركون إلى الدعة والسكينة، ودفع ما هو مقـــرر عليها من الأموال، فإنها عمدت إلى إثارة القلاقل ومهاجمة المدن القريبة منها كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً، ولعلنا نجد ما يعبر عن ذلك فيما قاله المعز لبلكين بن زيري ــ قبل رحيله إلى مـــصر ــ ألا ترفع الجباية عن أهل البادية [1]. ففي سنة (310هـــ/ 922 – 923م) ثارت قبائل نفوســـة مـــن منطقتها الجبلية المنيعة فاعترضتها قوات عبيد الله المهدي بقيادة علي بن سليمان إلا أن أهل نفوسة بقيادة رجل يدعى (أبو بطة) الذي فاجأ القوات الفاطمية وألحق بها هزيمة ثقيلة، وأدى ذلـــك إلى قيام المهدي بإرسال المدد إلى قائد الحملة علي بن سليمان الذي ضرب الحصار على أهل الجبـــل، ولكن دون أن يحقق نتيجة حاسمة [2].

وتحت هذه الظروف اضطرب أمر برقة عام (316هـــ/ 928م)، فأرسل إليهم عبيد الله المهدي ابنه القاسم الذي ضرب عليهم الحصار وهدم سور حصنهم المعروف بأغزر إلا أن المتحصنين فيـــه أحرقوا أمتعتهم وعرقبوا دوابهم ومواشيهم ودافعوا عن أنفسهم دفاع المستميت [3].

وانطلاقاً من مبدأ السياسة الفاطمية التي تقوم على فرض التشيع بين السكان، ومحاولة القضاء على كل معارضة لذلك، فإن الثورة التي أعلنها أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي المعـــروف بصاحب الحمار، الذي كان لاجئاً في مدينة طرابلس، وذلك عند ابتداء أمره، وكان قد خرج من (تقيوس) في بلاد الجريد حيث بدأ دعوته معلماً للصبيان، وكانت سبباً في مقتل عامل الفاطميين في المنطقة بالتحريض ضده، وخشية على نفسه قرر الذهاب إلى الحج، وما أن وصل طرابلس حـــتى تعقبته عيون عبيد الله المهدي بحثاً عنه، فرأى أبو يزيد ألا يكمل مشواره نحو الحج، وعاد إلى تقيوس مستتراً حيث، أخذ عمال المهدي في البحث عنه [4].

وظلت طرابلس آمنة تقبل عمال الشيعة وقضاتهم، وجباتهم فلا تخبرنا النصوص عن اضطراب المنطقة إلا سنة (322هـــ/ 934). وهي السنة التي توفي فيها الخليفة الفاطمي عبيد الله المهـــدي، وولاية ابنه القاسم، ووجدت القبائل المحيطة بمدينة طرابلس في هذا الحدث فرصتها للتخلص مـــن سلطان الفاطميين، فاختاروا رجلاً من العرب يدعى ابن طالوت القرشي، الذي ادعى أنه علـــوي وأنه ابن المهدي فاجتمعت حوله القبائل وصدقته وبايعته، وسار الدعي الجديد بأنصاره الكـــثيرين نحو طرابلس، ولكن نجحت حاميتها الفاطمية بمساعدة أهل طرابلس في رد المهاجمين الذين زعزعتهم الهزيمة، وأضعفت تمسكهم بالدعي فثاروا عليه وقتلوه، وتقربوا برأسه إلى الخليفة الجديد القائم بأمر الله [5].

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص145.
(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 187.
(3) المصدر نفسه، 1/ 192 – 193.
(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص109.
(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 6/ 238.

وانطلاقاً من طموحات الفاطميين التي لم تتوقف طيلة وجودهم ببلاد المغرب فقد جهز الخليفة القائم ابن عبيد الله المهدي حملة بالغ في تجهيزها والإنفاق عليها ــ بحسب رواية ابــن الأثــير ــ وانضم إلى تلك الحملة عددٌ من أتباع الفاطميين وحاميتهم في برقة، وتابعت الحملة سيرها حــتى وصلت إلى الإسكندرية فدخلتها ولكنها ردت على أعقابها عندما استطاعت قوات محمد الأخشيد إلحاق الهزيمة بها [1].

وبطبيعة الحال فإن ما تم تقديمه من أحداث سياسية في العصر الفاطمي يظهر أن الدولة الفاطمية كانت تسعى لبسط سيادتها على جميع البلدان التي تصلها لتحقيق حلمها الكبير الــذي يــسعى الفاطميون لتحقيقه وهو العودة إلى المشرق مركز الخلافة، ومن ثم فإن العباسيين قد أولــوا هــذا الموضوع أهمية خاصة عندما واجهوا الحملات الفاطمية التجريبية لغزو مصر سنوات (301هــــ/ 913م) [2] (306هــ/ 919م). و (322هــ/943م). وكلها لم تحقق حلم الفاطميين وإن مكنت لهم السيطرة على كل المدن الليبية مع اضطراب بين الفينة والأخرى.

لقد حرص الفاطميون على أن يؤسسوا لأنفسهم في طرابلس والمدن الليبية الأخرى مثل سرت وإجدابيا وبرقة كياناً فاعتمدوا على عناصر من أكابر الدعاة من أمثال أبي العباس المخظــوم أخــي الداعية أبي عبد الله الشيعي، وأبي جعفر الخزري، إلا أن بعض المدن الليبية كطرابلس كانت تبدي الضيق والتبرم من نظام الحكم الفاطمي الذي يعتمد المذهب الشيعي ويحارب ما عداه من المذاهب.

ويلاحظ كثير من المؤرخين أنه لم يكن للبلاد الليبية ذكر في الأحداث السياسية التي صــاحبت حركة أبي يزيد على الخلافة الفاطمية خلال عهد الخليفة القائم بأمر الله (322 – 334هــ/ 934 – 946م) وكذلك خلال عهد ابنه المنصور بالله (334 – 341 هــ/ 946 – 953م). أي أثناء الفترة التي شغلتها أحداث ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، بالرغم من أن صدى الثورة كان يتردد فيهــا وبخاصة جهة الجنوب التونسي المتاخم لها. ولكن لما كانت الحرب طويلة نشرت الدمار والخراب في إفريقية، فإن ليبيا وبخاصة مدينة طرابلس كانت ملجأ للنازحين وخاصة من أهل المهدية والقيروان وغيرهما من المدن التونسية ففي سنة (333هــ/ 944 – 945) والتي اشتدت فيها الثــورة علــى الفاطميين وسكان المدن التونسية بصفة عامة فإن أعداداً منهم استقرت في طرابلس بينما استمرت جماعات أخرى في مسيرها وتوزعت على المدن الليبية حتى وصل بعضها إلى مصر[3].

ولا شك في أن ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي إلى جانب العديد من الثورات التي ألمحنا إليها قد أكدت للفاطميين أن بقاءهم في بلاد المغرب عموماً مؤقت دون جدال، ولذا فــإنهم أخذوا يعملون بجدية أكبر مما مضى للعمل على فتح مصر بالرغم من امتداد سلطانهم في معظم بلاد المغرب على عهد آخر خلفائهم المعز لدين الله (341هــ – 365هــ/ 653 – 976م).

(1) المصدر نفسه، والجزء والصفحة.
(2) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 8/ 257.
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 6/ 306.

ومنذ قضاء الفاطميين على ثورة أبي زيد (336هـ/ 947م) أيام الخليفة المنصور بالله إلى ولاية المعز لدين الله (341هـ/ 953م) وحتى انتقال المعز إلى مصر سنة (361هـ/ 972م) لا يوجد ذكر لأحداث مهمة في ليبيا، ولعل ذلك يرجع إلى أن الليبيين وقفوا موقف الحياد من هذه الثورة ولم يستغلوا الموقف الحرج الذي كان عليه الفاطميون، ولذا عرف الليبيون حياة مطمئنة كما عرفوا نوعاً من الرخاء ـــ ربما على حساب البلاد التونسية التي قاست الأهوال جراء تلك الثورة ـــ ففي سنة (345 هـ/ 955م). عمل والي مدينة طرابلس أبو الفتح زيان الصقلبي بتجديد سور المدينة[1]. التي كبرت وزاد اتساعها بسبب كثرة من هاجروا إليها من القيروان والمهدية، كما أثر هؤلاء المهاجرون في نشاط مدينة طرابلس الاقتصادي وبخاصة تلك الموارد التي كانوا يحصلون عليها بفضل الأسطول البحري الذي كان يضم عدداً من السفن الضخمة، وبفضل البحريين الطرابلسيين المهرة فقد حفظ لنا صاحب سيرة الأستاذ جودر نص توقيع للمعز لدين الله بشأن شكوى متولي البحر بالمهدية من أحد أرباب البحر والمراكب الطرابلسيين وهو ابن وسيم الطرابلسي الذي اتهمه لدى المعز بالخيانة في شعير كانت الأوامر قد صدرت بحمله إلى صقلية في مراكب بعض التجار معونة للغزاة [2].

وفي أواخر عهد المعز لدين بإفريقية أصبحت طرابلس مركزاً لإمداد صقلية حيث عين المعز نصير الخازن (أمين الأموال والسلاح) الذي كان يستخلفه المعز بالمهدية والياً لها، فكانت المراكب تأتيه مع أصحاب صقلية من بني الحسن الكلبيين بأموال الجزيرة وغنائم الروم هناك. فينفق منها على صيانة الأسطول ويدفع مرتبات رجاله، ويرسل للخليفة بياناً بذلك، وربما تبقى لديه بعض الأموال، ويرى أن الجبايات التي كانت تصل طرابلس كبيرة جداً حتى بعد رحيل جوهر الصقلي إلى مصر وقد أعرب الخليفة المعز عن أمله في أن يعوض مال طرابلس بعض ما أنفقه جوهر خلال الحملة التي بلغت 24 مليون دينارا [3].

وإذا حاولنا أن نلقي بعض الضوء على بعض المدن الليبية الأخرى فإن مدينة إجدابيا قد عرفت خلال فترة الفاطميين بعضاً من الرخاء، ففي عهد الخليفة الفاطمي الثاني القائم بأمر الله (322 – 334هـ/ 934-943م) أنشئ بها جامع حسن البناء، له صومعة مثمنة بديعة العمل [4] وكذلك تم الاهتمام بقصر الإمارة وهو مركز الحامية الكتامية ونزل به الخليفة المعز لدين الله عند مروره بإجدابيا مثلها في ذلك مثل المدن الليبية الكبرى، وهو ما يبدو طبيعياً إذ إن المعز لدين الله عند

---

(1) التجاني، الرحلة، ص 240.
(2) العزيزي الجودري، سيرة الأستاذ جودر، ص 87 – 88.
(3) المصدر نفسه، ص 118 – 119.
(4) مجهول، كتاب الاستبصار، ص 144.

رحيله إلى مصر (361هـ/ 972م). أقام الطرق بين تونس ومصر مروراً بالمدن الليبية الساحلية ــ فقد حفر الآبار وأنشأ النُزل على طول الطريق وبني له في كل منزلة قصراً[1].

أما مدينة برقة فقد عرفت بدورها ازدهاراً اقتصادياً سمح لواليها أفلح بن الناشب أن يظهر كثيراً من البذل والعطاء، فعندما سأله جودر الصقلي مولى المعز أن يهديه عشرة بعير بعث إليه بعشرين بعيراً[2]، وعندما أمره المعز بأن يترجل للقائد جوهر ــ أثناء عبوره إلى مصر ــ وأن يقبل يده عند لقائه حاول أن يعوض ذلك ببذل مائة ألف دينار على أن يُعفى من هذا الواجب[3].

وقد شهدت برقة أيضاً ــ أواخر العهد الفاطمي ــ وجود طبقة من الموسرين وأصحاب المزاج الرقيق ومحبي مجالس الأنس والشراب، فعندما نزل شاعر المعز لدين الله محمد بن هانئ الأندلسي بالمدينة صحبة المعز استضافه أحد أعيانها مدة قضاها يلهو ويشرب الخمر وفيها كان مقتله عندما عربد عليه بعض من رافقهم في اللهو.

أما موانئ برقة فإن أهميتها بالنسبة للفاطميين لا تقل عن أهمية موانئ طرابلس وبخاصة من الناحية الاستراتيجية العسكرية لوقوعها على الطريق البحري إلى مصر ولإمكان استخدامها لمساعدة مسلمي جزيرة قريطش (كريت) فعندما عجزت الخلافة العباسية ومصر عن مساعدة مسلمي الجزيرة وحمايتهم بعثوا إلى الخليفة المعز يطلبون مساعدته ورأى المعز أن يستثمر هذا الظرف إلى أقصى حد فيتخذ من تدخله في مساعدة أهل جزيرة كريت للتدخل في شئون مصر، ودبر خطة للعمل المشترك بينه وبين الأخشيديين وأرسل ذلك في خطاب رسمي نقله أبو حنيفة النعمان بن محمد الإسماعيلي عبر كتابه المجالس والمسايرات[4]. فحواه أن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله يحث أبا الحسن علي الأخشيد على الجهاد وإمداد أهل كريت بالمراكب، وأكد له تدخل الأسطول الفاطمي لمساعدة أهل جزيرة كريت، وأنه ــ أي المعز ــ يفضل اشتراك الأسطولين الفاطمي والمصري وأعطاه على ذلك المواثيق والعهود، وأن يرسل أسطوله إلى مرسى طبنة من أرض برقة القريبة من كريت، وحدد المعز موعد التقاء الأسطولين المصري والفاطمي في مرسى برقة الشرقي في أول ربيع الثاني من سنة (350هـ). وختم المعز خطابه هذا بقوله أنه سيرسل أسطوله لمساعدة أهل كريت سواء وافق الأخشيد أم لم يوافق.

وبطبيعة الحال فإن كل هذا بين مدى أهمية المدن الليبية ــ الساحلية منها على وجه الخصوص ــ وما تمتعت به من مكانة مرموقة في السنوات الأخيرة ــ على الأقل ــ من عهد الفاطميين، وإن كان ذلك يبدو طبيعياً بالنظر إلى توجه الفاطميين وجهة مشرقية لاسيما في عهد الخليفة الرابع المعز لدين الله.

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص138، حسن إبراهيم حسن، وطه شرف، المعز لدين الله، ص82.
(2) الجودري، سيرة الأستاذ: جودر، ص95.
(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/ 327.
(4) أبو حنيفة النعمان بن محمد المغربي، المجالس والمسايرات، ص445 – 446.

المرحلة الثانية. ليبيا عشية خروج الفاطميين إلى مصر:

عندما فتح جوهر الصقلي مصر وهيأ المعز لدين الله بالرحيل إليها، وحمل معه كل ما يمكن حمله وبخاصة ما خف وزنه وغلا ثمنه، وتنقل في مناطق استسلمت له ولم تعد قادرة على إظهار شعور العداء أو الثورة ضده. ففي طرابلس استقبل الخليفة المعز لدين الله ورحب به أهلها فأقام بها أياماً يقول ابن دينار في ذلك: وصل المعز من قابس يوم الأربعاء عاشر ربيع الأول من السنة المذكورة (361هـ) ودخل طرابلس يوم الأربعاء الرابع والعشرين من الشهر، ورحل عنها يوم السبت لثلاث عشر بقين من ربيع الثاني فوصل إلى سرت في الرابع من جمادي الأولى، ثم رحل عنها ونزل بقصره الذي بني له بإجدابيا ورحل من إجدابيا فنزل بقصره المعروف بالمعزية في برقة [1].

وكان المعز لدين الله يستعد لهذه الرحلة منذ أن غادر جوهر الصقلي إفريقية إلى مصر إذ أمر أن تُحفر الآبار في الطريق إلى مصر لكي يُسقى جيش جوهر الصقلي بالماء، وأمر كذلك ببناء عدد من القصور تصلح لإقامته في عدد من المدن للراحة من عناء الرحلة، وكان الناس يحيطون بموكبه الحافل وآخرون احتشدوا على طرقات المدن للسير في ركابه.

كان اهتمام الفاطميين بطرابلس أن ولوا عليها عدداً من مشاهير القضاة، ومنهم القاضي النعمان ابن محمد صاحب المؤلفات المشهورة في الدعوة الإسماعيلية والتاريخ لأحداثها، وقد كانت له مكانة متميزة في البلاط الفاطمي، كما كان من أهل المشورة والرأي في الشؤون الدينية والدنيوية، ويسجل لنا القاضي النعمان مكانته لدى الخليفة الفاطمي الثالث المنصور بالله (334 – 341هـ/ 946 – 953م). وسيرته في قضاء طرابلس فيما أورده في كتاب المجالس والمسايرات بقوله: لما أرحلني المنصور بالله عن مدينة طرابلس إلى الحضرة المرضية، ووافق وصولي إليها يوم جمعة فخلع علي يوم وصولي وقلدني وأمرني بالسير من يومي إلى المسجد الجامع بالقيروان وإقامة صلاة الجمعة فيه والخطبة، إذ لم يكن بالمنصورية جامع، وأمر جماعة من خاصة بوابي القصر الأعظم بالمشي بين يدي بالسلاح إلى أن صَلّيتُ فانصرفت، ثم خرج توقيعه من غد إلى ديوان الرسائل بأن يكتب لي عهد بالقضاء بمدن المنصورية والمهدية والقيروان وسائر مدن إفريقية وأعمالها، فذكر ذلك وانتشر في الناس، وعلموا امتثالي أيام كنت بطرابلس أمره فيما عهده إليّ في عهد القضاء عليها من إقامة الحق على الشريف والمشروف والعدل بين القوى والضعيف [2].

ولعل من أبرز الشخصيات التي طالعتنا بها المصادر في مدينة طرابلس خلال الحكم الفاطمي هي شخصية أبي العباس خليل بن إسحاق بن ورد، وهو من مواليد مدينة طرابلس ولي مصر وإفريقية كما تولى أمور صقلية. اشتهر عنه كثرة سفكه للدماء وبخاصة عند إرساله لإخماد ثورة أهل صقلية،

---

(1) ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص65.
(2) القاضي النعمان بن محمد، المجالس والمسايرات، ص348.

كما قام بتعذيب أهل طرابلس لاستخراج المال منهم، ويمكن القول أنه كان رجل المهمات الصعبة عند الفاطميين فقد شارك في محاولة إخماد ثورة أبي يزيد بن كيداد، لكن أبا يزيد قبض عليه في القيروان فقتله وصلبه.

ومما يُعرف عن خليل بن إسحاق أنه كان في بداية أمره رجل علم وثقافة وصحبة للصوفية كثير العبادة يرتاد المساجد ثم مال إلى الفاطميين فصار من كبار رجالهم الذين يعتمدون عليهم، ولما كان خليل صاحب مطامح كبيرة فإنه لم يترك وسيلة لاسترضاء الفاطميين فمدحهم بشعره الذي وُصف بالجزالة وقوة السبك وبخاصة تلك الأبيات التي مدح بها الخليفتين المهدي، وابنه القائم تحقيقاً لطموحاته السياسية البعيدة المدى[1]، وينسب إليه التجاني بناء مئذنة الجامع الأعظم بطرابلس[2].

ليبيا في عهد الإمارة الزيرية:

عندما ارتحل المعز لدين الله الفاطمي عن إفريقية مروراً بالمدن الساحلية الليبية ـــ طرابلس سرت ـــ إجدابيا ـــ برقة ـــ ترك على ولاية إفريقية يوسف بن بلقين بن زيري دون أن يعطيه حق الاستبداد بالبلاد بالرغم من الصلاحيات الواسعة التي أعطاها له، إذ جعل إلى جانبه إداريين يتبعون المعز لدين الله مباشرة في مصر مما يؤكد أهمية المدن الليبية باعتبارها جسراً يصل بين مشرق الوطن العربي ومغربه، فعين على ولاية طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامي كما عين زيادة الله بن القديم عاملاً على جباية الأموال وعاملين آخرين على الخراج هما عبد الجبار الخراساني، وحسين بن خلف الموصدي، وهؤلاء جميعاً كانوا يتبعون الخليفة المعز لدين الله مباشرة في مصر[3].

وهكذا يمكن القول إنَّ المعز أنشأ ولاية جديدة تضم طرابلس، وسرت، وإجدابيا فضلاً عن برقة وفصلها عن إفريقية وعين عليها عبد الله بن يخلف الكتامي ولعله أراد بذلك إرضاء كتامه أو جعلها تراقب أعمال بني زيري الصنهاجيين في إفريقية حتى لا يفكر الصنهاجيون بالاستقلال عن الفاطميين في مصر مبكراً على الأقل. لكن يوسف بن بلقين ظل يحمل في نفسه إعادة طرابلس إلى حكمه، ويبدو أنه تمكن من إقناع الخليفة الجديد العزيز بالله (365 – 386هـ) فولاه إلى جانب إفريقية كلاً من طرابلس وسرت وإجدابيا، وما يتبعها من الدواخل[4]. وبهذه السياسة خالف العزيز بالله سياسة والده المعز في فصل طرابلس عن إفريقية، فزادت قوة بلكين بن زيري الذي كان يُظهر الطاعة للفاطميين مجاملة ومراقبة لا طائل وراءها حسب قول ابن الأثير[5].

---

(1) خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة (طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب)، ص49.
(2) التجاني، الرحلة، ص 253.
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 7/ 45.
(4) ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 230، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 7/ 76.
(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 7/ 77.

وبطبيعة الحال فإن الإمارة الصنهاجية ـــ بعد أن ضمت إليها طرابلس ـــ أصبحت قوية لكنها سرعان ما واجهت طموحات جديدة تمثلت في أسرة بني خزرون الزناتيين التي ارتبطت بالصنهاجيين بعلاقات مصاهرة ومصالح متبادلة. لكن هذه المصاهرة السياسية الزيرية ـــ الزناتية. لم تستمر طويلاً وبخاصة خلال عهد الأمير الصنهاجي باديس، ففي سنة (390هـ/ 1000م). تغلب فلفل بن خزرون على مناطق شاسعة ما بين قابس وطرابلس. ودخل طرابلس بمساعدة زناتة وربما ساعدته نفوسة أيضاً.

كانت بوادر النزاع بين الصنهاجيين والفاطميين قد بدأت تلوح في الأفق، وحاولت أسرة بني خزرون أن تستفيد من ذلك النزاع فنجحت في بعض الحالات وأخفقت في حالات أخرى.

ومن ذلك أن الصهانجيين كانوا قد عينوا على طرابلس أميراً من طرفهم يدعى عسيلة بن بكار لكنه خان الصنهاجيين وسلم طرابلس إلى يأنس الصقلي حاكم برقة من قبل الخليفة الفاطمي عام (390 هـ/ 1000م). بدعوى أن ذلك كان بأمر من الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وهو ما ذهب إليه ابن الأثير [1].

وبحسب الظروف التي شهدتها الدولة الصنهاجية فإن على باديس أن يواجه تدخل الحاكم بأمر الله فضلاً عن عصيان فلفل بن خزرون الزناتي. وبدأت باديس يستفسر عن سبب إرسال الخليفة الفاطمي لقوات فاطمية بقيادة يأنس الصقلي، ولما لم يتوصل إلى أسباب أقنعته أرسل جيشاً بقيادة جعفر بن حبيب تمكن من قتل يأنس الصقلي خارج مدينة طرابلس. كل ذلك وفلفل بن سعيد بن خزرون ثائر في المنطقة يراوغ قوات الأمير الصنهاجي الذي كان يتابع تحركاته عن طريق عماله في جهات قابس. ففي (23 رجب 391هـ، 19 يونيه 1001م) وصلت كتب عامل قابس بأن فلفل بن سعيد قد مَّر بقابس متجهاً نحو طرابلس، وعند وصوله إلى طرابلس انسحب القائد الصنهاجي خوفاً من أن يقع بين قوات فلفل خارج المدينة وقوات الفاطميين من داخلها، ويصف ابن عذاري [2] دخول فلفل بن سعيد بن خزرون الزناتي إلى طرابلس بأن والي المدينة فتوح بن علي ـــ وهو من قواد باديس ـــ فتح له أبواب المدينة واستقبله في حين أن الحامية الفاطمية قد طلبت النجدة من مصر، لذا جهز الحاكم بأمر الله (386- 411هـ/ 996 – 1020م) جيشاً، بقيادة يحيى بن علي بن حمدون الأندلسي [3] وبصحبته زيدان الصقلي الذي كان له تدبير شؤون الحملة. ومرَّ الجيش ببرقة

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 7/ 199.

(2) البيان المغرب، 1/ 252.

(3) هو يحيى بن علي بن حمدون الأندلسي فرَّ مع أخيه جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي، إلى الأندلس عقب خروج الفاطميين إلى مصر عام 361هـ، وجرت لهما مع زيري بن مناد الصنهاجي معارك قتل على أثرها، ولكن الحاجب المنصور بن أبي عامل قتل جعفر بن علي غيلةً فهرب أخوه يحيى إلى مصر يطلب النجدة من الخليفة الفاطمي، انظر ابن الأبار، الحلة السيراء، 1/ 305.

حيث كان عليه أن يتزود منها بما يحتاجه، ولكن خزينه برقة كانت خاوية فأصيب يحيى بن علي بخيبة أمل، وكان ذلك سبباً في تمرد الجند عليه. وبالرغم من ذلك فإن الحملة واصلت سيرها فوصلت طرابلس في ربيع الأول سنة (392 هـ/ يناير 1002م). حيث خرج فلفل الذي صارت إليه الأمور، واستقبلها ومنذ البداية اتضح الاختلاف بين القائد الزناتي الذي كان يطمح إلى الاستقلال بطرابلس، وبين الأمير الشرعي الموفد من طرف الفاطميين في مصر والذي شغب عليه رجاله وكادوا أن ينفضوا من حوله لولا ما كان يمنيهم به من وفرة المال في طرابلس.

وبالرغم من الاختلاف الواضح بين فلفل بن سعيد وبين يحيى بن علي الأندلسي فإن الاثنين اتفقا على القيام بعمل مشترك، ففي سنة (393هـ/ 1003م). خرج يحيى بن علي على رأس قواته المصرية وفلفل بن سعيد بأعوانه من زناته وزويلة، وفتوح ابن علي بحامية طرابلس متجهين نحو قابس وضربوا عليها الحصار في منتصف (شعبان/ 19 يونيه). ولما لم يكن الوفاق تاماً بين المتخالفين الثلاثة فقد فشلت جهودهم في السيطرة على المدينة التونسية، وقد رأى يحيى بن علي الذي أفلت زمام الأمور من يده العودة إلى طرابلس[1]، ومنها رجع أدراجه إلى مصر بسبب عدم قدرته على مواجهة الموقف من اختلال عسكره ومضايقة فلفل بن سعيد ورجاه على جيشه[2].

وهكذا وقعت طرابلس فريسة لطموحات الثائر الزناتي الذي أعطى لنفسه الشرعية بعد أن تدخل إلى جانبه قائد الفاطميين وجيشه.

ولم يرض الخليفة الفاطمي بما آلت إليه الأمور في طرابلس وصب جام غضبه على قائده يحيى بن علي الأندلسي وكاد أن يقتله[3] بسبب تركه طرابلس في أيدي زناتة الموالية للأمويين في الأندلس، ولم يقم الحاكم بأمر الله بأي إجراء ضد الأمير الزيري باديس ولا ضد الثائر الزناتي الموالي للأمويين في الأندلس.

وبعد هذه الأحداث المتداخلة في طرابلس انطلاقاً من برقة، فإن فلفل بن سعيد استطاع أن يحتفظ لنفسه بإمارة صغيرة في طرابلس يورثها لأبنائه من بعده، فاتخذ قصراً للإمارة، ودون الدواوين حتى وفاته سنة (400هـ/1009-1010م). وبايعت زناته أخاه ورو من بعده[4].

ووجد باديس في هذا التغيير الفرصة فزحف بجيشه نحو طرابلس، واضطر ورو أمام هذا الهجوم إلى الخروج من المدينة. وقد خرج من بها من الناس لاستقباله والترحيب بمقدمه، ورافقوه حتى استقر بقصر فلفل. ويذكر ابن عذاري أن باديس قد نزل تحت أسوار المدينة واستقبله أهلها بحفاوة كبيرة. وقد نصب خياماً فاخرة وأقام بها، ولكن عاصفة كبيرة نزلت فاقتلعت الخيام وعند ذلك اضطر باديس إلى النزول بقصر فلفل[5].

---

(1) ابن عذاري، البيان، المغرب، 1/ 368.
(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 7/ 218، ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 256.
(3) ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 256، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 7/ 218.
(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 7/ 218، ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 258.
(5) ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 258.

وبطبيعة الحال فإن ورو بن سعيد قد خضع للأمر الواقع وتقدم يطلب ود نصير الدولة باديس فأجابه وعوضه عن طرابلس بحكم نفزاوه وقسطيلية من بلاد الجريد. ولكن بني خزرون ما لبثوا أن اختلفوا فيما بينهم، فقد روي أن خزرون بن سعيد اختلف مع أخيه ورو فقصد إلى باديس سنة (402هـ/1011 – 1012م). فأكرمه ومن معه من فرسان زناته، وأعطاه إحدى المدن ليتولى أمرها[1]، وعلى كل حال فإن طرابلس قد عادت إلى حكم بني زيري بعد أن استقلت زهاء سبع سنوات تحت حكم بني خزرون الزناتيين.

وكان لأحداث طرابلس هذه تأثير على مجريات الأحداث في برقة التي انتزى بها عن الحكم الفاطمي رجلٌ يدعى الوليد بن هشام ويُعرف بأبي ركوة وكان مؤيدوه من قبيلة زناته وهو ما يعتقد أنه سر التأثير بين حركة طرابلس على يد بني خزرون الزناتيين، وجنود هذه الثورة من زناته، وجميع هؤلاء يُعتقد أنهم موالون لبني أمية في الأندلس. ولكن حركة برقة تختلف عن حركة طرابلس بأن القائم بها ينحدر من أصول أموية متخذاً الطريقة التقليدية التي بدأت بها الدعوة الفاطمية في بلاد كتامة، ونجحت في استمالة قبائل زناته التي ساندتها. وصاحب هذه الدعوة الوليد بن هشام من أقرباء الخليفة المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر، ويُقال إنه فرَّ من قرطبة عندما طلبه الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر [2]، وبعد رحلة إلى مصر والحجاز واليمن استقر في برقة حيث اشتغل بتعليم الصبيان، تأسياً بأبي عبد الله الشيعي عند وصوله إلى أرض كتامة قبل قرن من الزمان تقريباً. وسلك الرجل مسلك المصلح الاجتماعي فأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصلح بين القبائل من بني قرة وزناته، ثم انتهز فرصة استيلاء زناته على طرابلس منتهزاً فترة المجاعة التي مرت بها المنطقة، وادعى نسبة الأموي، وأنه الأموي المنتظر لإعادة مُلك بني أمية في المشرق، فجمع الأتباع وأقنعهم بأنه سيزيل ملك الفاطميين في مصر.

وكان من الطبيعي أن تلبي جماعات لواته وزناته هذه الدعوة ونصبوه إماماً عليهم، وعندما شعر بكثرة أتباعه هاجم مدينة برقة وتمكن من دخولها في رجب عام (395هـ/ إبريل 1005م). ولكن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله رد على ذلك بإرسال حملة فشلت في تحقيق أهدافها إذ انهزم الجيش الفاطمي الذي أنهكه الجوع والعطش، وانسحب إلى مصر بعد أن قتل قائده ينال، وعزز هذا النصر صاحب الثورة وأصبح خطره يهدد مصر نفسها، إذ بدأ يكاتب كبار قواد الدولة الفاطمية أمثال الحسين بن جوهر قائد القواد ـــ كما يروي ابن الأثير [3] ـــ ورأى الخليفة الحاكم بأمر الله أن يستعمل الحيلة بعد أن فشلت القوة في الانتصار على هذا الثائر الأموي، إذ يشير ابن

---

(1) المصدر نفسه، 1/ 256.
(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 7/ 234، ابن عذارى، البيان المغرب، 1/ 257 ويقول إن بداية الثورة كانت سنة 397هـ.
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 7/ 235.

عذارى وتؤيده رواية ابن الأثير إلى أن الحاكم بأمر الله أمر بعض كبار رجال دولتـــه بمكاتبـــة أبي ركوة وتشجيعه على مهاجمة مصر، ووعدوه المساعدة أو الانضمام إلى جانبه.

ويبدو أن أبا ركوة قد انخدع بتلك الوعود، ووقع في الفخ الذي نُصب له، فدخل مصر بعدد من السرايا عن طريق الصعيد حيث فاجأه الجيش الفاطمي بمن معه من زناته ولواته، وأوقع به هزيمة نكراء، فتراجع نحو النوبة، وتم القبض عليه وأخذ أسيراً، وحمل إلى القاهرة مشهراً به على جمل ثم قتل في منتصف شوال سنة (**397هـ/ 5 يوليو 1007م**)[1].

وعلى كل حال فإن القضاء على ثورة زناته ولواته بزعامة أبي ركوة قد انتهت قبل انتهاء ثورة زناته بقيادة بني خزرون في طرابلس بسبب تهور صاحبها وضعف قدرتـــه الـــسياسية في معرفـــة إمكانيات أتباعه وأراد أن يحقق في بضع سنين ما استطاع الفاطميون تحقيقه بعد ثمانين عامـــاً مـــن الدعاية الواسعة والحروب المريرة.

ولقد انتهت الأزمة السياسية في ليبيا مع بداية سنة (**400هـ/ 1010م**). وعادت الأوضاع إلى ما كانت عليه أيام خلافة المعز لدين الله الفاطمي، ويوسف بن بلكين وبعودة طرابلس إلى بني زيري بعد أن استقل بها بنو خزرون، وعودة برقة إلى أعمال مصر بعد أن جربت حظها لا في الاستقلال فقط ولكن في فتح مصر كذلك، ولكن العلاقة التي ساءت بين صنهاجة والفاطميين بسبب ما قام به الخليفة الفاطمي في طرابلس وقابس، وعلى ذلك عمل الخليفة الحاكم بأمر الله على استرضـــاء الأمير الصنهاجي فأرسل إليه سفناً تحمل سفارة وهدايا قيمة وسجلا بإضافة برقة إلى أعماله وذلك في سنة (**403هـ/1012-1013م**). وبذلك حقق الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله من خلال هذه السفارة هدفين: الأول، استرضاء الأمير الصنهاجي باديس، والثاني، التخلص من الولاية التي عجز عن ضبطها وألقى مسؤولية ذلك على عاتق الأمير الصنهاجي.

وبالرغم من أن ليبيا قد أصبحت بكاملها تحت سيادة الإمارة الصنهاجية، فإنه كان من الصعب ضبطها بشكل مستمر، وإقامة النظام فيها، فبعد احتماء خزرون بن سعيد بباديس سنة (**402هـ/ 1011 – 1012م**). بعد اختلافه مع أخيه ورو، لذا قام ورو بمحاولة لاسترجاع طرابلس إلى حكم بني خزرون، وضرب عليها حصاراً[2]، ورأى باديس إذكاء نار الفتنة بين خزرون وأخيـــه ورو، فعهد إلى خزرون بحرب أخيه ورو فسار إلى طرابلس سنة (**403هـ/ 1012م**) ليمنـــع ورو مـــن حصارها، وعندما التقى الأخوان فيما بين قابس وطرابلس اتفقا بدلاً من أن يتحاربا فانضم خزرون وأتباعه إلى أخيه ورو واستولوا على طرابلس، وأصبحت علاقتهم بالقيروان علاقـــة اسميـــة، وأن الحاكم الفعلي لطرابلس كان ورو إلى أن مات سنة (**406هـ/ 1016م**)[3].

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 258. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 7/ 237.
(2) المصدر نفسه، 1/ 259.
(3) ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 266.

ولما مات ورو، انقسمت زناته بين مؤيد لأخيه خزرون، ومؤيد لابنه خليفة. وظل أبو عبد الله محمد بن الحسن ثم أخوه عبد الله بن الحسن يحكمان طرابلس باسم بني زيري. وعندما قام الأمير الزيري بقتل محمد بن الحسن سنة (413هـ/ 1022م). بادر أخوه بالانتقام من الزيريين فسلم المدينة لخليفة بن ورو الذي قاوم الحامية الصنهاجية ودخل القصر وطرد أتباع الصنهاجيين، وأعلن تبعيته للخليفة الفاطمي في القاهرة. وأمكنه أن يستفيد من هذه السياسة لتمكين أسرته التي ابتليت هي الأخرى بما ابتليت به الدولة الصنهاجية من الانشقاق العائلي والصراع على السلطة.

ويشير خليفة محمد التليسي[1] أنه في هذه المرحلة تبرز ظاهرة (الدولة المدينة) التي انتشرت في كثير من بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط، وهي ملامح بدأت تظهر بوضوح في مرحلة لاحقة وحتى الفترات التي خضعت فيها أطراف المدينة لسلطة مركزية واحدة، فإنه أصبح تاريخ المدينة تاريخاً للبلاد بأسرها.

وبالرغم من الانقسام الذي حدث في الدولة الصنهاجية فإن بني خزرون قد دبت بينهم الفرقة أيضاً فقامت المنافسة بين خليفة بن ورو، وبين عمه خزرون بن سعيد، ولكن كان التفوق لخليفة الذي أيدته أغلبية زناته، وحيال تفوق خليفة اضطر خزرون إلى المسير إلى مصر يرافقه أبناؤه الثلاثة وهم سعيد، وخليفة والمنتصر[2].

هذا عن طرابلس في أواخر عهد الأمير الصنهاجي باديس. أما برقة فلم يكن حالها بأفضل مما كانت عليه طرابلس، فلم يستطع الصنهاجيون ضبطها، وأن هيبتهم عليها لم تكن أكيدة ففي سنة (405هـ/ 1014م). لم تتردد جماعات عرب برقة عن مهاجمة مركب أميرية كان باديس قد سيرها نحو مصر محملة بالهدايا النفيسة إلى الخليفة الحاكم بأمر الله، واستولى عليها المهاجمون وصادروا كل ما تحمله من نفائس كالسروج المذهبة والأفراس الأصيلة والخز السوسي المذهب[3].

وبطبيعة الظروف التي شهدتها ليبيا منذ تدخل الخليفة الحاكم بأمر الله في طرابلس عام (389هـ/ 999م). إلى وفاة الأمير باديس سنة (406هـ/ 1016م). فإن أحوال البلاد ظلت مضطربة بالرغم من محاولات الإصلاح المبذولة في طرابلس وبرقة.

وعندما تولى المعز بن باديس سنة (406هـ/ 1016م). ازدادت حدة الصراع بين خلافة مصر وإمارة إفريقية سياسياً ومذهبياً فإننا لا نجد ذكراً للمدن الليبية في هذا المجال على الرغم ما يقوله التجاني من أن الفقيه أبا الحسن علي بن محمد بن المنمر الطرابلسي كان أول من أظهر السنة بمدينة طرابلس، وأنه أثناء مقاتل الشيعة في إفريقية سنة (407هـ/ 1016 – 1017م). قام العامة ضدهم

---

(1) خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة، ص51.
(2) أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ص98.
(3) ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 260 – 261.

في طرابلس، وقتلوهم في الوقعة المعروفة بوقعة المشارقة، وذلك بتحريض الفقيه أبي الحسن وعلى يديه [1].

وبطبيعة الحال فإن ليبيا تأثرت بالعلاقات الزيرية الفاطمية، إذ إنه منذ تولي المعز بن باديس والعلاقات مع الفاطميين تسير إلى الأسوأ، واشتد ذلك مع القطعية المشهورة التي أعلنها المعز بن باديس سنة (440هـ/ 1048م)، إذ قطعت الدعوة فعلاً للفاطميين وأحرقت بنودهم ودعى للعباسيين، ولم يكتف الصنهاجيون بذلك فقط بل لعنوا بني عبيد من أعلى المنابر ثم محى أثرهم على العملة في السنة التالية (441هـ/ 1049م). ومنعوا التعامل بالنقود التي تحمل أسماءهم رغم النتائج السلبية الاقتصادية واضطراب التعامل في الأسواق [2].

وعلى الرغم من محاولات رأب الصدع التي قام بها الفاطميون فإن المعز بن باديس لم يلتفت إلى تلك النداءات واستمر في قطع الخطبة [3]. وفي سنة (443هـ/ 1051م). تقرر اتخاذ اللباس الأسود، لون العباسيين شعاراً للصنهاجيين، وقاموا بتوزيع القماش الأسود على القضاة والفقهاء وخطيب القيروان وجميع المؤذنين [4] كان للخطوات التي أقدم عليها الأمير الصنهاجي المعز بن باديس حتى عام (443هـ/ 1051م). صداها في المدن الليبية. ففي طرابلس قام الفقيه أبو الحسن بن المنتصر بتحريض العامة ضد الشيعة واشترك معهم في قتلهم، ثم قطع من الأذان حي على خير العمل وأذن أذان أهل السنة بنفسه بحسب قول التجاني [5] وفي ذات السنة (443هـ/ 1051م). وصلت رسالة إلى القيروان من جبارة بن مختار أمير برقة يُعلن ولاءه وطاعته للمعز، وتفيد هذه الرسالة أنه وأهل برقة أحرقوا المنابر التي كان يخطب عليها للفاطميين، وأحرقوا راياتهم وخلعوا طاعتهم، كما دعوا للخليفة العباسي في بغداد القائم بأمر الله [6].

وعندما يئس الفاطميون من إصلاح ما أفسدته صنهاجة وتبعتها المدن الليبية طرابلس وبرقة، رأى اليازوري وزير المستنصر الفاطمي اتخاذ إجراء يرد به اعتبار الفاطميين، إذ نصح الخليفة الفاطمي أن يطلق أعراب بني هلال وسليم الموجودين في صحراء مصر الشرقية، ووافق الخليفة المستنصر على الفكرة التي تحقق له الانتقام مما قام به الصنهاجيون، فسهل عبور هؤلاء الأعراب، وقلدهم المغرب وكل ما يفتحون وزودهم ببعض المال والسلاح.

---

(1) التجاني، رحلة التجاني، ص 265.
(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 277.
(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان (ترجمة المستنصر)، 5/ 229 – 231.
(4) ابن عذاري، البيان المغرب، 1/، 280.
(5) رحلة التجاني، ص 266، إلا أن التجاني نسب ذلك خطأً لأبي الحسن بن المنمر، سنة 307هـ.
(6) ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 288.

وخرجت هلال وسليم بفروعها من زغبة ورياح والأتبج وعدي، وحرص الخليفة الفاطمي ألا يأمرهم بشيء لأنهم لا يحتاجون إلى توصية [1]. وكان هؤلاء الأعراب كلما وصلوا مدينة تنادوا هذه القيروان، ونهبوها [2]. وقد طاب لهم المقام في برقة التي كانت مفتوحة أمامهم بعد أن تحطمت زناته في المنطقة بعد صراعها الطويل مع صنهاجة ومع الفاطميين [3]، ثم واصلوا مسيرهم عبر الأراضي الليبية حتى وصلوا طرابلس سنة (**446هـ/ 1054 – 1055م**). وملكوا المدينة، وواصلت جموع رياح ومنهم الأثبج وبنو عدي المسير إلى إفريقية فعاثوا فساداً في ضواحيها، ولم يستطع المعز بن باديس الوقوف أمامهم أو ردعهم. وهيمن الهلاليون على إفريقية، واضطر الأمير الصنهاجي المعز ابن باديس للذهاب إلى المهدية.

وهكذا كانت ليبيا تؤدي دوراً محورياً في الأحداث الجسام التي قررت مصيرها ومصير المغرب العربي الإسلامي لزمن بعيد، إذ إن موقعها المتوسط بين إفريقية (تونس) ومصر، واضطراب العلاقات بين حكام القاهرة، وحكام القيروان وطموح الكثيرين في تأسيس كيان لهم في طرابلس وبرقة، قد جعلها تدفع ثمن هذا الصراع الذي انتهى بإنهاك قوى الجميع، وترتب عن ضعف ليبيا أن انكشفت حدود مصر الغربية وحدود تونس الشرقية. وبذلك عملت ثورة برقة الأولى على التمهيد لدخول قوات زناته إلى مصر، كما أدت تورثها الأخيرة إلى إطلاق (بني هلال وسليم) عليها. وكذلك الحال بالنسبة لطرابلس فإنها نتيجة هذا الصراع أن تبددت قوى قبائل زناته، وهواره ولواته، وانفتحت البلاد على مصراعيها أمام بني هلال وبني سليم الذين استقر الكثيرون منهم بها وعربوها واندفعوا يعربون منطقة المغرب كلها.

ويلف الغموض تاريخ ليبيا في السنوات الأخيرة من حكم بني خزرون وذلك بسبب التداخل بينهم وبين الأعراب من بني هلال وسليم، ويذكر أن خليفة بن خزرون ظل يحكم طرابلس حتى عام (**488هـ/ 1095م**). وأنه كان ظلوماً غشوماً فضاقت الناس به وفضلوا عليه مغامراً قدم من المشرق يدعى شاهملك التركي الذي جاء إليها قادماً من مصر، وعند وصوله إلى طرابلس بايعه أهلها أميراً عليهم، ولكن الأمر لم يرض الأمير الصنهاجي تميم بن المعز بن باديس، فأرسل جيشاً استولى على طرابلس وقبض على شاهملك ثم إن محمد بن خزرون بن خليفة تولاها بعده، وقرب إليه شيوخ بني مطروح، وبمحمد بن خزرون بن خليفة انتهت إمارة بني خزرون في طرابلس ولمع نجم بني مطروح في وقت أخذ الأسطول الصقلي يستعد لمهاجمة طرابلس.

ولقد كان من الطبيعي أن يتجه نورمان صقلية لتأدية دورهم في الحركة الصليبية بسبب تأييد البابوية. لها. إذ بالرغم من العلاقات المتوترة بين حاكم صقلية روجار الثاني والبابوية لعدم اشتراكه

---

(1) المصدر نفسه، والجزء والصفحة ويقول إنه أعطى لكل جائز ديناراً.
(2) المصدر نفسه، 1/ 289.
(3) المصدر نفسه، 1/ 288.

في الحملات الصليبية على المشرق، فإن البابوية كانت تنظر بعين الرضا لجهوده في بلاد المغرب، لأنها تلتقي مع أهداف الحروب الصليبية وغاياتها.

وقد عمل روجار الثاني على إنشاء أسطول كبير لتحقيق هدفه في السيطرة على الشمال الأفريقي ومدنه الساحلية على وجه الخصوص، فتعقب العرب أولاً في جزيرة مالطا، ثم استولى على جربة، وصفاقس والمهدية ثم حاصر طرابلس سنة (537هـ/ 1142م). ولكنه لم يستطع اقتحامها بسبب النجدة التي قدمها سكان الدواخل، فهزموا النورمان، واستولوا على أسلحتهم في الحملة الأولى[1].

وفي سنة (540هـ/ 1145م). كانت الحملة النورمانية على طرابلس، استغل خلالها النورمان المجاعة التي واجهت البلاد من جهة، وقيام فئة معارضة لحكم بني مطروح بطردهم بعد هزيمتهم، عندما استغل النورمان بقيادة جرجي الانطالكي تلك الظروف، وشغل الناس بقتاله، وقام المؤيديون لبني مطروح بدعوتهم، لكن الرافضين لهم تركوا ساحة القتال وانشغلوا في قتال المؤيدين لبني مطروح، وتمكن النورمان بذلك من إباحة المدينة واعملوا فيها سلباً ونهباً، وهرب الكثير من سكانها إلى البوادي، وبالرغم من أن طرابلس حظيت في زمن النورمان بحكم ذاتي تحت إمرة بني مطروح، فإن المؤرخين يعتبرون أن ليبيا ظلت تحت حكم النورمان تابعة لصقلية مدة اثنى عشر عاماً تقريباً أي إلى وقت ظهور الموحدين على مسرح الأحداث كقوة مغاربية فاعلة، فتحين الليبيون الفرصة وقاموا بالثورة على النورمان، إذ يذكر التجاني أن النورمان عندما رأوا تغلب الموحدين على مدن المغرب الواحدة تلو الأخرى طلبوا من أئمة المساجد في طرابلس أن يخطبوا من على المنابر بدم الموحدين، لكنهم رفضوا هذا المطلب لأنه يخالف العقيدة الإسلامية[2]. وهو ما يوضح تلك الروح الإسلامية التي تحكمت على الدوام في مشاعر الليبيين، وتفاعلها مع الأحداث العربية الإسلامية الكبرى، ويقظة الشعور الديني الذي انبعث بقوة مع ظهور الموحدين، والذين أصبحوا الأمل في توحيد المنطقة والوقوف في وجه الحملات المسيحية، كما يتبين منها حسن تقدير أهل طرابلس للظرف السياسي المناسب حيث تجمعت لديهم كراهية المحتل إلى جانب حسن تقديرهم للحامية الموجودة، مع الأمل في الدعم الموحدي لهم عند قيامهم بالثورة. وبعد التشاور والتنسيق قام أهل طرابلس، بنصب الأخشاب والحواجز في الطرقات، لتمنع الخيل من الركض بسرعة، ثم أعلنوا الثورة وتنادوا بها، ففزع رجال الحامية وقاموا إلى خيولهم فركضوها، فتعثرت بالحبال والحواجز الخشبية، فأخذوا وذُبحوا وأحرقت منازلهم بالنار سنة (553هـ/ 1158م)[3]. وما كان عبد المؤمن ابن علي يفتح المهدية عام (555هـ/ 1160م). ويطرد النورمان منها حتى وفد عليه رافع بن مطروح، على رأس وفد من وجوه طرابلس فتلقاهم بالبر والإكرام، وثبت ابن مطروح على طرابلس حتى أدركته الشيخوخة، فكانت مدة ولايته الأولى والثانية حوالي أربعين عاماً.

---

(1) حسن أحمد محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر، ص150. خليفة التليسي، حكاية مدينة، ص54.
(2) التجاني، رحلة التيجاني، ص242.
(3) المصدر نفسه، والصفحة.

ويعتبر ابن مطروح بحسب وصف خليفة التليسي له ـــ من الشخصيات التي عرفت بالسداد والحكمة والصلاح، واستطاع أن يحقق لليبيا فترة طويلة من الاستقرار والازدهار الاقتصادي، الذي كان له تأثير على حياة السكان بمدينة طرابلس خاصة وليبيا عامة [1].

ويتضح من خلال التغيير الحاصل أن ليبيا ظلت تحت سيادة الموحدين مع احتفاظها بحكم ذاتي.

وبطبيعة الحال فإن ليبيا قد تأثرت بالجو الثقافي الذي بعثه الموحدون في عموم بلاد المغرب كما ازدهرت العلاقات الاقتصادية مع الدول الأوربية المطلة على البحر المتوسط وبخاصة المدن الإيطالية.

لم تدم فترة الاستقرار التي شهدتها ليبيا فترة طويلة من الزمن حتى ظهر مغامر يدعى بهاء الدين قراقوش، وكان من جند صلاح الدين الأيوبي، حاول بمبادرة فردية أو بتحريض من صلاح الدين الأيوبي أن يجرب حظه في الاستيلاء على إفريقية، وأن يضمها إلى أملاك صلاح الدين في مصر، فزحف على المناطق الداخلية، عبر سيوه، أوجله ثم زويلة حيث قضى على دولة بني خطاب وأعلن الدعوة لصلاح الدين الأيوبي في المساجد، وأعانه في بسط سيادته على طرابلس بني رياح وبني دباب واستولى عليها سنة (579هـ/ 1183م) واحتل قابس وبعض المدن التونسية [2]. وفي ذات الوقت ظهر إسحاق الميورقي من أسرة بني غانية المطالب بملك المرابطين. وقد أدت هاتان الحركتان بالسلطان الموحدي إلى النهوض بنفسه للقضاء عليها، وقد أفلح في ذلك عندما هزمها في منطقة الحامة بتونس، وعادت قابس وقفصه وتوزر وطرابلس إلى سلطان الموحدين. وبالرغم من تمكن قراقوش من مساعدة ابن غانية من احتلال طرابلس، ولكنهما تخاصما وتقاتلا وهزم قراقوش، ولكن ياقوت الذي تركه قراقوش على طرابلس قاوم ابن غانية مقاومة باسلة، ولم تستسلم المدينة إلا بعد أن حاصرتها سفن ابن غانية، وحصل سكانها على الأمان ونفي ياقوت إلى ميورقة، وأقام ابن غانية تاشفين بن غازي على طرابلس [3].

واستطاع ابن غانية أن يسيطر على إفريقية وطرابلس لمدة عشر سنوات تقريباً، ثم زحف الناصر الموحدي على إفريقية وطرد منها أنصار ابن غانية فثار أهل طرابلس مستغلين خروج ابن غانية إلى منطقة الجبل، ولكن ابن غانية عاد إلى طرابلس ودمرها. ويتفق المؤرخون على أن الدمار الذي حصل للمدينة يعود إلى هذه الفترة بعد الازدهار الذي شهدته خلال حكم بني مطروح.

---

(1) خليفة التليسي، حكاية مدينة، ص55، الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح الإسلامي في ليبيا، ص311، ويقول إن توليه رافع بن مطروح كانت من أهل طرابلس.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 9/ 152.

(3) التجاني، رحلة التجاني، ص245.

وعندما عادت طرابلس إلى السلطة الموحدية عُين عليها عبد الله بن إبراهيم بن جامع [1] وعندما آلت الخلافة الموحدية إلى الناصر الموحدي تمكن من إخماد ثورة ابن غانية نهائياً فنصب لولاية إفريقية، أبا محمد عبد الواحد الحفصي نائباً عنه، وظل الحفصيون يحكمون باسم الموحدين حتى تاقت أنفسهم إلى الاستقلال فأعلنوا ذلك في عهد الأمير أبي زكريا الحفصي سنة (725هـ/ 1325م) الذي أعلن نفسه أميراً للمؤمنين [2].

ليبيا في عهد الحفصيين:

أصبحت طرابلس جزءاً من الدولة الحفصية، وكان لها دور بارز في الأحداث السياسية التي شهدها عصرهم، إذ يذكر التجاني أنه كان يعيش بطرابلس سنة (639هـ/ 1241م)، المدعو يعقوب ابن أبي يعقوب يوسف بن محمد الهرغي الذي نقم على الأمير الحفصي لقيامه بقتل وزيره الجوهري الذي كان صديقاً له، وحاول إثارة ثورة في طرابلس لكن أغلب أهلها لم يقتنعوا بالثورة خشية عواقبها فأبلغت الإمارة الحفصية التي اتخذت التدابير بقتله، ونفذ الحكم فيه وفي أعوانه وعلقت جثثهم بباب هوارة، وأرسلت رؤوسهم إلى تونس [3].

ويبدو أن سكان طرابلس قد ضاقوا ذرعاً بالثورات التي عاصروها أيام قراقوش، وابن غانية، وأحبوا حياة الاستقرار التي بدأت طلائعها تبدو مع قيام الدولة الحفصية، فنشطت حركة التجارة البحرية، وفي ظل الاستقرار أيضاً ظهر عدد من الأعلام الذين اشتهروا في ليبيا وتونس [4].

وخلال العهد الحفصي فإن الليبيين لم يهملوا مدنهم فقد قاموا بتحصين طرابلس وترميم سورها وأقاموا حامية في طرابلس للدفاع عنها وقت الحاجة، وكان أغلبهم من مجريس وكان موطنهم جنزور كما يشير إلى ذلك التجاني بقوله: أجناد مرسومون في ديوان العطاء، كلهم من أهلها قد عدوا هنالك جنداً لمن يلي طرابلس، ورسم لهم عطاء يقبضونه من خراج طرابلس فكانوا يذيقون الأعراب شراً، ويكفون عنهم فساداً كثيراً وضراً [5].

وبطبيعة الحال فإن الفراغ السياسي بين فترة وأخرى في طرابلس يشجع على ظهور مغامرين يحاولون الاستيلاء عليها، وبخاصة من عرب الضواحي الذين ضاقوا بسطوة رجال مجريس وحظوتهم لدى الحاكم الحفصي، فسعى مرغم بن صابر الدباني من قبيلة المرغمة لدى السلطان الحفصي حتى منحه ظهيراً بملك قرية جنزور التي اتخذها قاعدة للانطلاق منها لتوسيع نفوذه، وبخاصة عندما

---

(1) البرغوثي، تاريخ ليبيا الإسلامية، ص 382.

(2) الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص332.

(3) التجاني، رحلة التجاني، ص243 – 244، حسن سليمان محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر، ص155.

(4) من أمثال هؤلاء الأعلام القاضي أبو عمران موسى بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي: استقر في قضاء طرابلس حتى سنة 658هـ. ثم استدعاه السلطان الحفصي ليتولى قضاء تونس وظل بها حتى توفي سنة 660هـ. فكانت مدة قضائه بطرابلس تزيد عن ثلاثين سنة وفي تونس مدة 20 عشرون سنة، انظر، التجاني، رحلة التجاني، ص 256.

(5) التجاني، المصدر السابق، 216 – 217.

تحالف مع طموح آخر لُقب بالدعي، كان قد ثار بجهات طرابلس، وحتى يستطيع المغامران تحقيق أهدافهما، فقد اتجه صابر بن مرغم إلى سلطان مصر المنصور بن قلاوون للحصول على دعمه، إلا أن السلطان المملوكي اعتذر بسبب أنه كان يخوض حرباً ضد المغول، وقد اتفق الحليفـان علـى حصار طرابلس، وكان واليها محمد بن عيسى الهنتاتي الملقب (عنق الفضة) ولكنهما انهزمـا أمـام أسوار المدينة فاتجها نحو الدواخل إلى المايا وزواره ونفوسه ونفزه ثم قابس وأخيراً تـونس، حيـث هرب سلطانها وتخلى الجيش عنه وانضم إلى الدعي الذي سيطر على تونس، وعين على طـرابلس صابر بن مرغم ولقبه بأبي الوفاء تقديرا منه لوفائه وما تحقق من نتائج، غير أن صابر بن مـرغم لم ينعم بهذه الولاية طويلاً إذ استعاد الحفصيون سلطانهم على تونس بقيادة أبي حفص عمر بـن أبي زكريا في (683هـ/ 1284م). وعينوا على طرابلس محمد بن عيسى الهنتاتي.

وفي أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، قام أحد المغامرين ويدعى عثمان بن أبي دبوس بمحاولة لإعادة سلطان الموحدين فاستعان بالملك الأراغوني ببرشلونة، فأمـده بالسـفن والجنود، وأطلق له صابر بن مرغم الذي كان قد أسره الصقليون سـنة (682هـ/ 1283م). واشتراه ملك أراغون للاستفادة منه في الوقت المناسب، وأرسله رفقة عثمان بن أبي دبوس، وقـد حاول مرغم ابن صابر وعثمان بن أبي دبوس حصار طرابلس، ولكنهما فشلا ورجـع الأسـطول والجنود المسيحيون أدراجهم وبقي عثمان بن أبي دبوس بضواحي طرابلس أمـيراً علـى عـرب الجواري، حيث دعاه أحمد ابن الليل إلى ثورة جديدة ضد الحفصيين في تونس، لكنها منيت بالفشل فعاد عثمان بن أبي دبوس إلى طرابلس ومنها إلى المغرب.

لا شك أن موقع طرابلس كان له أهمية للسلطنة الحفصية باعتباره عمقاً استراتيجياّ للسلطة في تونس، ولذا فإن السلطان عبد الواحد الحفصي زارها عام (612هـ/ 1215م) وأمـر بتحـصين المدينة، ورفع سوراً أمام أسوراها عُرف باسم الستارة من جهة الشرق. كما اهتم السلطان أبـو عبد الله بتجميل المدينة [1].

ولعلنا نجد فيما أورده التجاني وصفاً حقيقياّ لمدينة طرابلس باعتباره ينقل إلينا وصفاً حيـاّ لمـا شاهده بالمدينة عند زيارته لها بقوله: ورأيتهم قد شرعوا في حفر خندق متسع يرومون أن يـصلوه بالبحر من كلا جانبي البلد، وابتدأ حفره من الركن الذي بين القبلة والمشرق وعارضهم في حفره هنالك موضع يعرفونه بالرملة وهو حقف رمل متسع لاصق إلى جانب السور ولا يزالـون أبـداً يتكلفون نقله من ذلك الموضع فإذا جهدوا جهدهم في حملة ورميه في البحر أعادته الـريح كمـا كان [2].

(1) التجاني، رحلة التجاني، ص240.
(2)المصدر نفسه، ص 238.

ويبدو أن أهالي طرابلس قد حاولوا الحد من التهديدات التي يقوم بها المغامرون بين الفينة والأخرى من البحر أو من البر عند تهديد العربان وإفشال تلك المحاولات، وذلك بأمرين: الأول، هو الإجراء الوقائي الدفاعي المتمثل في تجديد سور المدينة واستمرار ترميمه حتى يتصل بالبحر. والثاني ـــ جعل طرابلس تنطلق منها القوة لمهاجمة المناطق الأخرى بدلاً من أن تظل ساكنة تتلقى الهجمات [1].

ويبدو أن الأمر الثاني قد تحقق للطرابلسيين سنة (**709هـ/ 1309م**). لإنقاذ السلطة الحفصية من النزاع على السلطة، ذلك أن أبا يحيى زكريا بن أحمد اللحياني قد نزل طرابلس عقب عودته من الحج عام (**708هـ/ 1308م**). وبايعه أهلها وشجعوه على طلب أمر الدولة الحفصية لنفسه، وكثر أتباعه وتحقق له الأمر فاستولى على تونس عام (**711هـ/ 1311م**). لكن عهده لم يطل لعله بسبب شيخوخته وتخلي أنصاره عنه، ومداهمة أمير قسنطينه له، فجمع الأموال ولجأ إلى طرابلس لعله أراد أن يجعلها قاعدة للعودة إلى تونس، إذا سمحت الظروف، ولكنه قرر بعد ذلك الذهاب إلى الإسكندرية وحل ضيفاً لدى السلطان المملوكي حتى توفي.

وبطبيعة الحال فإن طرابلس قد احتفظت لنفسها بالاستقلال تحت أسرة محمد بن عمران الذي لم يرض بالتبعية للحفصيين لا بل إنه تحالف مع أحد الأمراء المنشقين عن السلطة الحفصية ويدعى أبا ضربة لاسترجاع تونس واستطاعا بالفعل بمعاونة القبائل العربية من بني كعب الاستيلاء عليها ولكن الأمر لم يطل إذ عاد لحكم تونس الأمير أبو بكر الحفصي وطردهما منها حيث استقر أبو ضربة في تلمسان ورجع ابن أبي عمران إلى طرابلس حتى اضطر لمغادرتها سنة (**724هـ/ 1324م**).

طرابلس بين بني ثابت وبني مكي (724 – 803 هـ/ 1324 – 1400م):

جاءت إمارة بني ثابت بن عمار في طرابلس بعد الغزوة الهلال بثلاثة قرون تقريباً، وهي بلا شك مدة كافية لاندماج هؤلاء البدو وتحولهم إلى حياة الاستقرار (الزراعة) وأصبحت الأسترالتي تنتمي إلى هؤلاء تعتمد في وضعها الاجتماعي على أساسين هما: الثروة ونقاء النسب العربي [2] وتأتي أسرة بني ثابت وفقاً لتلك الخصائص فهم عرب من قبيلة الجواري من وشاح بن عامر بن دباب بن مالك ابن سُليم استقروا في طرابلس وبعض ضواحيها مثل تاجوراء وزواغه وجنزور منذ وصول القبائل الهلالية إلى ليبيا وبلاد المغرب. وفي مطلع القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي كانت أسرة بني ثابت قد استقرت بمدينة طرابلس ومارست التجارة فحازت الثراء فضلاً عن النسب العربي النقي بحسب اعتقادهم.

---

(1) عبد اللطيف البرغوثي، تاريخ ليبيا الإسلامي، ص 396.
(2) إحسان عباس، تاريخ ليبيا، ص205.

فأصبح لها مكانة مرموقة في طرابلس، والواقع أن هذه الأسر العربية قد هيأت لها الثروة والنسب العربي فزاد ذلك في تقوية طباعها في عدم الخضوع للسلطان، ولذلك فإنها كانت دائماً مصدر إزعاج للسلطة المركزية في تونس فضلاً عن طرابلس التي استبدوا بضواحيها في حين استبد بنو مكي [من المحاميد] بقابس وبنو ثابت بطرابلس[1].

ولذلك اغتنم أهل طرابلس فرصة طردهم لأبي عبد الله بن أبي عمران، واختاروا من أسرة بني ثابت رجلاً يدعى ثابت بن محمد بن ثابت بن عمار وأصبح أميراً سنة (724هـ/ 1324م). حتى وفاته سنة (730هـ/ 1329م). ولا تأتي المصادر على ذكره أو التعريف به وبأعماله. وقد ولي بعد وفاته ابنه محمد (730 – 750هـ/ 1329 – 1349) الذي غزا جربه وضمها إلى طرابلس وظلت تابعة له إلى أن تولى السلطة الحفصية بتونس عمر بن أبي بكر الحفصي سنة (747هـ/ 1346م). فأرسل إليها جيشاً بقيادة أخيه الفضل الذي حاصر المدينة فتخلى عنها ابن ثابت وقفل راجعاً إلى طرابلس[2].

وانتهز محمد بن ثابت فرصة زحف أبي الحسن المريني على تونس سنة (748هـ/ 1347م). فعاضد الحفصيين حتى استولوا على تونس فأقروه على طرابلس.

ظل محمد بن ثابت حاكماً لطرابلس حتى وفاته عام (750هـ/ 1349م). فخلفه ابنه ثابت (750 – 770هـ/ 1349 – 1368) بموافقة الأمير الحفصي الجديد إبراهيم بن أبي بكر الحفصي وتشير المصادر إلى أن ثابت الثاني كان شاباً غراً أحاط نفسه بمظاهر الملك وتصرف تصرف الملوك، وأحاط نفسه بحاشية. وفي عهده فكر الجنويون في غزو طرابلس مستغلين ازدهارها الاقتصادي، فأعدوا لها اسطولاً يكفي لتحقيق غايتهم في احتلالها، واتخذوا الحيلة وسيلة لذلك، ففي (10 ربيع الأول 755هـ/ 1354م). تسلل الجنويون ليلاً وتسلقوا أسوار المدينة فجراً فنهبوا ما بها من أموال واقتادوا أعداداً كبيرة من أهلها أسرى إلى جنوه. وقد تدخل حاكم قابس أبو العباس أحمد بن مكي ليفتدي أهل طرابلس فجمع المبلغ الذي اتفق عليه وقدره خمسون ألف دينارا ذهباً. فسلموا له طرابلس بعد أن مكثوا فيها حوالي خمسة أشهر، وتشير بعض الروايات إلى أن الأمير أبا عنان المريني أرسل المال إلى ابن مكي فاعتذر عن أخذه[3]. فعقد له أبو عنان على طرابلس فتولاها واتخذها عاصمة لإمارته وبقي أميراً عليها إلى أن توفي عام (755هـ/ 1354م).

وقد تولى أمر طرابلس ابنه عبد الرحمن بن أحمد بن مكي الذي وُصف بسوء التدبير والاستبداد فكرهه الناس وسئموا حكمه. وأمام هذه الأوضاع فقد وجد أبو بكر بن محمد بن ثابت الفرصة سانحة للعودة إلى طرابلس محاصراً لها بأسطوله، ونزل رجاله إلى البر واتصلوا بسكان الضواحي

(1) البرغوثي، تاريخ ليبيا الإسلامي، ص400.
(2) الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص348.
(3) الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص352.

والبوهم على عبد الرحمن بن مكي، ثم اقتحموا المدينة وقبضوا على ابن مكي وتركوه ليلتحق بعمه في مدينة قابس، أما أبو بكر بن ثابت فإنه راسل السلطان الحفصي أحمد بن محمد (772 – 792هـ/ 1370 – 1394م) وقدم له الهدايا من المتاع والرقيق فقبلها وأقره على طرابلس، فظل عليها حتى وفاته سنة (792هـ/ 1390م) فخلفه على ولايتها ابن أخيه، علي بن عمران بن محمد بن ثابت [1].

وقد تميزت هذه الفترة الأخيرة من ولاية بني ثابت على طرابلس بالصراع على السلطة بين أفراد الأسرة حتى أن بعضهم اضطر للاستعانة بالسلطان الحفصي أحمد بن محمد ليساعده على التخلص من علي بن عمران فاستجاب له وأرسل معه جيشاً بقيادة ابنه عمر سنة (794هـ/ 1392م). الذي حاول اقتحام طرابلس، ولكنه عجز عن ذلك فاضطر لمحاصرتها سنة كاملة دون جدوى، وعندها رجع الجيش الحفصي بعد أن تم الاتفاق على أن يدفع أهل طرابلس غرامة إلى قائد الحملة الحفصي ودُفعت تلك الغرامة سنة (795هـ/ 1319م). مقابل رحيل الجيش الحفصي.

ويبدو أن المنافسة داخل أسرة بني ثابت قد استمرت، إذ استنجد يحيى وعبد الواحد ابنا عم علي ابن عمران بالسلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز الشهير بعزوز (796 – 837هـ/ 1394 – 1433م) فأمدهما بجيش، وسار معهما سنة (800هـ/ 1398م) حيث استولى على طرابلس وتتحدث المصادر عن حملات تالية قام بها السلاطين الحفصيون، إما لتغيير الحاكم، أو لجباية ضرائب، وهي في مجملها محاولات يائسة للاحتفاظ بطرابلس، وكانت آخرها حملة السلطان الحفصي على طرابلس عام (863هـ/ 1459م). والتي وصلت إلى تاورغاء. وبانهيار الدولة الحفصية، فإن طرابلس قد شكلت حكماً ذاتياً أشبه بنظام جمهوري فقد كان لطرابلس مجلس شورى يرأسه شيخ، وقد تبادل على حكم طرابلس عدد من هؤلاء الشيوخ أولهم الشيخ منصور وآخرهم الشيخ عبد الله (898هـ/ 1492م) الذي ظل يحكم المدينة حتى هاجمها الأسبان عام (916هـ/ 1510م). حيث نفوه وأهله إلى جزيرة بالرمو ثم أعادوه بعد استقرارهم في المدينة في محاولة لاسترضاء السكان.

وفي كل الأحوال فإن نقص المعلومات عن هذه الفترة دليل علي الاضطراب الذي ساد المدينة في محاولاتها للاستقلال، فنجحت حيناً حتى كادت أن تشكل خطراً على الممالك المجاورة لها، وفشلت في أحيان أخرى مما أدى في نهاية الأمر إلى ضعف أوضاعها الدفاعية وأصبحت عرضة للأطماع من البر والبحر، وعلى كل حال فقد كانت طرابلس حاضرة حضوراً تاماً في صياغة تاريخ منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط وأحداثها بأسرها.

---

(1) عبد اللطيف البرغوثي، تاريخ ليبيا الإسلامي، ص403.

المصادر والمراجع

أولاً. المصادر:

ابن الأبار، أبي عبد الله محمد: كتاب الحلة السيراء، حققه وعلق عليه، حسين مؤنس، الجزء الأول، الطبعة الأولى، 1963.

ابن الأثير، أبي الحسن علي ابن بي الكرم: الكامل في التاريخ، الأجزاء، 5، 6، 7، 8، 9، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، 1980.

ابن تغري بردي، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في أخبار مصر القاهرة، الجزء الثالث، القاهرة، 1933.

ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، المجلد الأول، 1968.

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن أعين: فتوح مصر والمغرب والأندلس، القاهرة، 1961.

ابن عذاري، محمد بن عذاري المراكش، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول، تحقيق ومراجعة، ج.س. كولان وأ. ليفي بروفسال، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1400هـ/ 1980م.

الأنصاري، أحمد بك النائب: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس ـ ليبيا، (د.ت).

التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد: رحلة التجاني، قدم لها، حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1981.

الجوذري، أبو منصور العزيزي: سيرة الأستاذجوذر، تحقيق، محمد كامل حسنين، محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954.

الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، الجزء الثامن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة، 1409 هـ/ 1989.

مجهول المؤلف، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق، سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، 1958.

المقريزي، تقي الدين أحمد: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق، جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948.

النعمان، محمد بن محمد المغربي: المجالس والمسايرات، تحقيق، الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، محمد البعلاوي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1978.

ثانياً. المراجع:

البرغوثي، عبد اللطيف محمود: تاريخ ليبيا الإسلامي، من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، منشورات الجامعة الليبية، دار صادر، بيروت ـ لبنان، 1972م.

التليسي، خليفة محمد: حكاية مدينة طرابلس الغرب لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، الطبعة الثانية، 1985م.

الزاوي، الطاهر أحمد: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، الناشرون، دارف المحدودة، الطبعة الثالثة، لندن، 1985م.

عباس، إحسان: تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، دار صادر، بيروت ـ لبنان، 1387هـ/ 1967م.

محمود، حسن سليمان: ليبيا بين الماضي والحاضر، سلسلة الألف كتاب (426)، الناشر مؤسسة سجل العرب، 1962م.

الفصل الثالث

تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر

د. محمد عمر مروان

تمهيـد:

لقد تعرضت في هذا الفصل إلى مرحلة تاريخية هامة من تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، وهي مرحلة مليئة بالأحداث المتعاقبة تحتاج إلى مجلدات لكي يفي الباحث حقها، ولكن ضيق المساحة المخصصة رغم تجاوزها أجبرتني على التركيز وباختصار شديد على أحداث رأيت أنها أهم من غيرها، فتطرقت إلى مباحث عدة بدءاً بالاحتلال الأسباني لطرابلس، وفرسان القديس يوحنا (فرسان مالطا)، ومجيء العثمانيين إليها، وتولي الأسرة القرمانلية الحكم بها، وعودة العثمانيين مرة ثانية لحكمها، والاحتلال الإيطالي لها، وأثر الحربين العالميتين الأولى والثانية على الأوضاع في ليبيا، ثم الإدارات العسكرية بها، والاستقلال والحكم الملكي، ثم ختمت تلك المباحث بآخرها وهو قيام ثورة الفاتح من سبتمبر 1969م.

أولاً. الاحتلال الأسباني لطرابلس 1510م:

اتسع اضطهاد المسلمين في أسبانيا خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر خاصة بعد زواج الملك فرديناند (Ferdinand) ملك آراجون بالملكة إيزابيلا ملكة قشتالة عام 1469م، اللذان قررا توحيد أسبانيا وأخذا على نفسيهما عهداً بطرد العرب المسلمين منها، وكان لهما ما أرادا، حينما سقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين بأيديهما في 2 يناير من عام 1492م، وبُدِء بملاحقة المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية إلى أن تم إخراجهم منها.

لم يكتف الأسبان بذلك بل استمروا في ملاحقتهم في الشمال الأفريقي، فوضعت خطة للاستيلاء على سبتة ومليلة ووهران وبجاية وطرابلس. والتي بُدء في تنفيذها في شهر سبتمبر بقيادة دييجو القرطبي (Corddon diego deobe)[1]، فقد تم الاستيلاء على المرسى الكبير الذي يقع بالقرب من وهران.

كانت العمليات الأسبانية بتحريض ومباركة الكاردينال خمينس (Ximenes). وكان ضعف الدولة الحفصية سببا في الانتصارات المبدئية التي حققها الأسبان على المسلمين، مما شجع الملك

---

(1) شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، نقلها عن الفرنسية وحققها بمصادرها العربية ووضع مقدمتها النقدية، د. محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي ط3، 1994م، ص73.

فرديناند Ferdinand على إرسال الأسطول الأسباني بقيادة بيترو دي نافارا (di Navarro pedro)، واحتلال بجاية في يناير 1510م[1]، وفي مايو من نفس العام عقد اتفاقية مع حاكم تونس محمد بن أحمد الحفصي، أعلن الأخير فيها تبعيته للملك فرديناند[2].

إن ما وضع من عمليات عسكرية لملاحقة المسلمين، وضربهم في عقر دارهم راجع إلى خطة وضعت تسير وفق ما رسم لها، بل وأحسن من ذلك بكثير، نتيجة للتنافس العثماني الأسباني، أو بمعنى آخر نتيجة للصراع الإسلامي المسيحي.

وحول الحملة الأسبانية التي سيرت إلى طرابلس، فقد اختلف بعض المؤخين حولها وربطت بين الحقيقة والخيال فقد أورد بعض المؤرخين من أمثال الرحالة العياشي، وابن غلبون، وأحمد النائب وغيرهم، بأن طرابلس كانت تنعم برفاهية العيش، وأمن الحياة وقوة الاقتصاد، نتيجة اشتغال سكانها بالتجارة والصناعة، وأنها مرتبطة بعلاقات تجارية مع الدول الأوربية بالتجارة، فذكروا أن سفينة مسيحية محملة بالسلع التجارية رست بميناء طرابلس حيث اشترى حمولتها تاجر طرابلسي واحد، ودفع ثمنها نقداً، ثم نزل تجار تلك السفينة إلى المدينة لشراء بعض السلع فاستضافهم أحد السكان في بيته، وقدم لهم ما لذ وطاب من الطعام الذي أبهرهم، وطحن ياقوتة درها على الطعام، ثم جاء لهم ببطيخة، لم يكن يملك سكيناً لقطعها، فاستغرب أولئك من رخاء المدينة ووفرة ثروتها وقلة سلاحها، وهذا مما حفز أولئك التجار إلى نقل ذلك إلى مليكهم، الذي سارع وأرسل أسطوله لاحتلالها.

إلا أن هذه القصة بعيدة عن الحقيقة، لأنه لا يعقل أن تاجراً غنياً جهز مائدة لضيوفه المسيحيين كلفته الشيء الكثير، لا يملك سكيناً في بيته، كما أن المدينة خالية تماماً من قلاعها ودفاعاتها.

أما فيما يتعلق بالغزو الأسباني لطرابلس فإن النية مبيتة مسبقاً لاحتلالها بدليل أن بعض التجار الجنوبيين الذين يتعاملون مع طرابلس قد أخطروا تجارها قبل شهر من وصول الحملة بضرورة أخذ الحيطة للمقاومة، كما نصحوهم بوضع ممتلكاتهم المنقولة في مأمن، مما جعل السكان يحتاطون لذلك[3].

إذن فطرابلس هي من ضمن المخطط الأسباني الذي وضع مسبقاً للأسباب التالية:

1- موقع طرابلس الإستراتيجي الذي يمكن أن يكون مركز تموين للحملات القادمة من الغرب إلى الشرق.

2- أهميتها الاقتصادية وسيطرتها على التجارة الصحراوية، وكذلك التجارة بين الشرق والغرب.

3- الفراغ السياسي الذي كانت تعيشه طرابلس وبرقة فهي منشطرة إلى قسمين، إقليم برقة والذي يخضع إلى دولة المماليك بمصر، وإقليم طرابلس الذي كان خاضعاً إلى الحكم الحفصي الضعيف بتونس.

---

(1) نفس المرجع والصفحة.

(2) إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، تعريب خليفة محمد التليسي، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1974م، ص140.

(3) شار فيرو، مرجع سابق، ص76.

4-الصراع الديني الذي تقوده أسبانيا ضد المسلمين، فباحتلالها طرابلس يمكنها من الوصول إلى الشرق لضرب المسلمين في المراكز الإسلامية المتقدمة والقضاء عليهم نهائياً.

وعموماً بالرغم من أن تلك الغزوات تبلورت ظاهرياً في شكل حروب دينية، إلا أن جذورها وأصولها اقتصادية واجتماعية.

وقد وصف المؤرخ مارمول (Marmol) في كتابه أفريقيا أن طرابلس تحظى بموقع إستراتيجي هام جعلها تتبوأ مراكز تجارياً متقدما، وحلقة وصل بين تجار مالطا والبندقية وصقلية مع مدن جنوب الصحراء، الأمر الذي أكسب سكانها ثروات هائلة نتيجة اشتغالهم بالتجارة والصناعة[1].

وعليه يتضح أن عملية احتلال طرابلس وُضع بناء على خطة مدروسة مسبقة يؤكد ذلك رسالة وجهها الملك فرديناند إلى قائده بيترو دي نا فارا مؤرخة في شهر مايو 1510م، ومما جاء فيها: ... بالعمل فوراً على طحن ألف كيس من القمح ... وستستكملون في نفس الوقت فطائر البشماط المصنعة من بعض هذا الدقيق، وهي مئونة تكفي ثمانية آلاف رجل لمدة خمسة عشر يوماً على الأقل.... نظراً لنقص الطعام في بلنسية حالياً فإنني قد كاتبت فارقاس (Vargas) خازن مدينة مالقة، وطلبت منه على الخصوص أن يبعث إليكم حال تسلمه لمكتوبي كل المؤن التي في إمكانه الحصول عليها حتى تتزودوا بها في أسرع وقت.. وإن شاء الله سيتمكن الأسطول عند وصوله إلى صقلية من استكمال تموينانه، وذلك أن نائب ملك هذه المملكة قد أخبرني كتابياً بأن كل شيء جاهز... لكي تتمكنوا من الرحيل إلى طرابلس... وفي حالة احتلالنا لهذه الأخيرة يجب علينا أن نعمرها برمتها بالنصارى....[2]. وعلاوة على المؤن أُعد 120 مائة وعشرون سفينة بحرية، كما انضم إليها سفن أخرى من مالطا، حيث كان على ظهر تلك السفن خمسة عشر ألف جندي أسباني، وثلاثة آلاف من الإيطاليين[3].

غادر الأسطول صقلية إلى مالطا للتزود بالماء، كما انضم إليه منها عدد من المقاتلين والمرشدين الذين لهم دراية بطرابلس وسواحلها، إذا فهي قوة مسيحية أوربية. وهذا يؤكد أن هذه الحملة كانت إحدى الحملات الصليبية المتتابعة على أرض العرب والإسلام. وقد غادرها في 20 يوليو، ووصل شواطئ طرابلس ليلة 25 يوليو 1510م. وكان لعامل المباغتة أثر كبير في تحقيق النصر من الجانب المسيحي.

وقد ذكر بترو دي نافرا قصة احتلال المدينة في رسالة له أرسلها إلى نائب الملك بصقلية بتاريخ 29 يوليو أي بعد أربعة أيام من احتلال القلعة، ذكر فيها موعد وصول الأسطول إلى المدينة، وهو 25 يوليو حيث تم إنزال (6000) جندي إلى البر، قام نصفهم بمهاجمة المدينة، وبقى النصف الآخر لحماية المهاجمين، وسرعان ما استولوا على الأبراج والحصون، وتمكنوا من فتح الباب الذي دخل

(1) نفس المرجع، 75.
(2) شارل فيرو "مرجع سابق" ص74.
(3) اتوري روسي، مرجع سابق، ص141

منه جنود الحملة، حيث لاقوا مقاومة عنيفة من قبل الطرابلسيين قتل فيها عدد كبير من الجانبين، وهذا ما يؤكد أن المدينة لم تكن خالية من الأسلحة كما ورد في بعض الروايات.

وقد وصف القائد في رسالته عدد القتلى بقوله [كان هناك عدد كبير من الموتى بين صفوف العرب، وهم من الكثرة بحيث لا تجد موطئاً لقدمك إلا فوق الجثث، ويقدر عدد القتلى بين العرب بحوالي خمسة آلاف، أما الأسرى فهم أكثر من ستة آلاف، أما قتلى المسيحيين فقد كانوا أعدادا قليلة..[1]. وبالرغم من التقليل من عدد قتلى المسحيين ــ وهذا ما يفعله القادة المنتصرون بالتقليل من خسائرهم، والتضخيم من خسائر العدو ــ إلا أن ذلك يعكس حجم المقاومة التي أبلاها سكان طرابلس.

وقد قدر شارل فيرو عدد القتلى بستة آلاف طرابلسي ألقيت جثثهم في المواجل أو في البحر، بينما أحرق بعضها، كما تم أسر خمسة عشر ألف شخص من بينهم حاكم المدينة عبد الله بن شرف[2].

وأعتقد أن هذه الأرقام مبالغ فيها، لسبب أن المدينة لا تستطيع أن تستوعب تلك الأعداد من السكان، علاوة على من فر منهم أثر الهجوم المسيحي.

كان لصدى هذا الحدث ردود فعل على المستوى الإسلامي والمسيحي، أما إسلامياً، فعلى المستوى الرسمي فإن موقف حكام الدول المجاورة لطرابلس كمصر وتونس كان ضعيفاً لأنهما غير قادرين على تخليصها من الاحتلال الأسباني. أما على المستوى الشعبي فقد قام جمع من المغاربة بالإسكندرية بإضرام النار في فندق كان يملكه أسبان، وفي تونس قرر العرب ومشايخهم قتل جميع المسيحيين المتواجدين بها لولا تدخل حاكمها بالحيلولة دون ذلك[3].

أما على المستوى الأوربي المسيحي فقد استقبل النبأ بفرحة عارمة فقد دعا مندوب البلاط البابوي في بولونيا فرانشيسكو اليدوسي (**francesso alidosi**) المسيحيين إلى التظاهر تعبيراً عن فرحتهم بالنصر. كما تبادل ملوك أوربا التهاني مع ملك أسبانيا، وكانت أشهر تلك التهاني والتي عكست الأبعاد الدينية لتلك الحرب، تلك التهنئة التي وصلت الملك الكاثوليكي فرديناند من قبل المرشد الأكبر في جزيرة رودس أمريكوي أمبواز (**emerico de amboise**) هنأه بهذا النصر، وأخبره بالانتصار الذي أحرزه أسطوله على الأسطول المصري في نهاية أغسطس من نفس العام في خليج الأياس (**laiazzo**)، وقد حثه على مواصلة حملاته ضد الشمال الإفريقي حتى مصر، على أمل أن يتمكن من ضم قواته إليه[4]. لخدمة الله في هذه المهمة السامية (**meritoria impressa serviz a dias en tan**)[5].

---

(1) اتوري روسي، مرجع سابق، ص142.
(2) شارل فيرو، مرجع سابق، ص77.
(3) اتوري روسي، مرجع سابق، ص147.
(4) عمر الباروني، الأسبان في طرابلس، ص45.
(5) نفس المرجع والصفحة.

لقد رغب دي نافرا تأمين حدوده الغربية بعد احتلاله طرابلس، فجهز جيشاً قدر باثني عشر ألف مقاتل بهدف غزو جربة وتونس، ولكن خطته باءت بالفشل، بعد أن فقد (3000) ثلاثة آلاف مقاتل[1] ومات في المعركة الكثير من النبلاء الأسبان والقواد الكبار[2].

أما الوضع الداخلي بالمدينة، فبعد الاحتلال الصليبي لها والوحشية والجرائم التي اقترفت مع سكانها جعلها تخلو تماماً من سكانها العرب، حيث فر عدد كبير منهم إلى ضواحي المدينة. ويذكر أحمد النائب أنه: لم ينج من أهلها إلا من تسور ليلاً، وانحاز المسلمون إلى تاجوراء، وجبال غريان، ومسلاته[3].

لقد اتخذ المجاهدون من تاجوراء مركزاً للمقاومة، فشنوا منها هجوماً على القلعة عام **1511**م، وكادت أن تسقط المدينة بأيديهم، لولا المساعدة التي قدمها بترو دي نافرا للمحاصرين المسيحيين وقائدهم دييجو، الذي أسرع لنجدتهم من جزيرة لمبيدوزا، حيث قام بتفجير لغماً كبيراً أرهب المجاهدين مما جعلهم يفكون حصارهم.

وخلال هذه السنة ضمت طرابلس إلى نيابة صقلية، حيث تنازل حاكم طرابلس الأسباني الدون خايمي ريكيزنس (**don jayme de requesens**) عن منصبه إلى دون غيلليم دي مونكاد (**don guiliem de moncade**) شقيق نائب الملك. وقد قام المحتلون بالعديد من التحصينات الدفاعية لتفادي هجمات المجاهدين المتكررة، فهاجموا ضواحي المدينة جنزور والماية، وبعض المناطق المجاورة الأخرى، وأخضعوها لسلطتهم، وفرضوا عليهم إتاوات ضريبية. إلا أن المصادر التاريخية تؤكد أنهم لم يتمكنوا من احتلال تاجوراء وضمها لسلطتهم، بل ظلت مركزاً للمقاومة[4].

لقد سعى المحتلون الأسبان إلى تعمير المدينة بالمسيحيين الأوربيين، بناء على توصية الملك فرديناند، إذ وزع منشوراً في كاتانيا بتاريخ **6** أكتوبر **1511**م، حفز فيه نائب الملك في صقلية هوجو دي مونكادا (**hugo de moncada**) الراغبين بالسفر إلى طرابلس بمنحهم الأراضي الزراعية، وإعفائهم من الضرائب، وتبرئتهم من التهم الجنائية والمدنية[5]. وبازدياد عدد المسيحيين بطرابلس، كثر عدد اللاجئين الفارين من المدينة إلى تاجوراء، وانضموا إلى صفوف المقاومة بها.

وقد وصف ابن غلبون هذه الحرب بقوله: {وشغل الناس بحرب الأسبان عن أعمالهم، ومتابعة نشاطهم في الزراعة والصناعة والتجارة، فعم الخراب والفقر العباد والبلاد، وكانت الحرب سجالاً

---

(1) شارل فيرو، مرجع سابق، ص 80 – 82.
(2) عمر الباروني مرجع سابق، ص57.
(3) المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، بدون تاريخ، ص 185.
(4) شارل فيرو، مرجع سابق، ص84.
(5) اتوري روسي، مرجع سابق، ص153.

بينهم وبين الطرابلسيين، فلا العرب أمكنهم أن يقتحموا المدينة على الأسبان لحصانة سورها، ولا الأسبان أمكنهم أن يجلوا العرب عن تاجوراء} [1].

لقد حاول الأسبان التضييق عسكرياً على تجاوراء، فتوالت الهجمات البرية والبحرية عليها ولكثرتها عرف مسرح الأحداث والعمليات العسكرية بشط الأسبان حتى يومنا هذا.

لم يستطع الأسبان تحقيق أي نصر على المجاهدين بسبب الهجمات المضادة، علاوة على الحصار والعزلة الاقتصادية التي فرضها المجاهدون عليهم بالمدينة، وللخروج من هذا المأزق وبأمر من الملك [شارل الخامس] عام (1520م)، أصدر نائبه في صقلية أمراً بإطلاق سراح الأمير الطرابلسي عبد الله بن شرف الأسير لديهم، وبإقامة الأمير بالمدينة سيعود إليها سكانها الفارين، وفعلاً نجح هذا الإجراء إلى حد ما إذ سرعان ما عادت 500 خمسمائة أسرة إلى المدينة [2]. إلا أن الأمير لم يدم بقائه طويلاً، إذ سرعان ما ضاق بالأسبان، والتجأ إلى المجاهدين بتاجوراء.

وخلال الاحتلال الأسباني لطرابلس بدأ نجم الأخوين عروج وخير الدين بربروسا يظهر في سماء البحر الأبيض المتوسط، وأصبح أسطولهما يرهب السفن الأسبانية والأوربية، فاستطاع عروج أن يهدد طرابلس عام 1515م، وأن يحتل الجزائر ويتولى حكمها، وبعد موته خلفه أخوه خير الدين الذي أصبح تحت الحماية العثمانية عام 1518م [3] إلى العاصمة استانبول.

إن شهرة خير الدين بربروسا في غرب البحر المتوسط، وانتصاراته التي حققها على الأساطيل الأوربية خاصة الأسبانية منها، شجع المجاهدين بتاجوراء على الاستنجاد به لمساعدهم في طرد القوات الغازية من طرابلس، وربما هو الذي أوحى إليهم بإرسال وفد إلى السلطان العثماني سليمان القانوني بالسماح له بمساعدهم لطرد المحتلين، حيث غادر الوفد تاجوراء عام 1520م [4].

وقد كانت الدولة العثمانية تمثل أكبر قوة إسلامية خلال هذه الفترة، وكان من الطبيعي أن تتجه أنظار المجاهدين الليبيين إليها كمنقذ لها من أي تدخل أجنبي، وفي هذا الإطار أكد أحد البحارة العثمانيين ويدعى الريس محمد بيري أن سكان طرابلس قد سبق وأن طلبوا المساعدة من السلطان العثماني قبل الاحتلال الأسباني أثناء زيارته لطرابلس حيث قال: [زرت مدينة طرابلس مع عمي الريس كمال ومعنا ثلاث سفن ملك لنا خرجنا بها من إستانبول بأمر من سلطانها. وفي أثناء إقامتنا بميناء طرابلس قدم الناس عريضة إلى عمي الريس كمال يطلبون فيها من السلطان

---

(1) عبد الرحمن بن غلبون، التذكار فيم ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، تحقيق الطاهر الزاوي، ط2 1967م الناشر مكتبة النور، طرابلس ليبيا، ص 111 -119.

(2) اتوري روسي، مرجع سابق، ص 155.

(3) شارل فيرو، مرجع سابق، ص 86.

(4) أحمد النائب، مصدر سابق، ص

إرسال حاكم من طرفه لحكم البلاد، ولكننا لم نكد نصل إلى شواطئ إيطاليا في طريق عودتنا حتى علمنا أن الأسبان أرسلوا ستين سفينة محملة بالجند واحتلوا المدينة][1].

لقد اختلفت المصادر التاريخية حول قصة الوفد الذي استنجد بالعثمانيين، فـالبعض أنكرهـا خاصة المؤرخين الأجانب، واعتبروا وضع طرابلس من ضمن الاستراتيجية العثمانية المتنامية، ومـا نصرة إخوانهم في الدين إلا ستار لذلك[2]. بينما أكدها المؤرخون العرب كابن غلبـون، وأحمـد النائب الذي ذكر... ولما تفاقم الخطب على أهل طرابلس واستفحل أمر ما نزل بهم مـن فتنـة الأسبانيول ومغالبتهم على حاميتها وطلوعهم على أهلها بسوم الخسف، انتدب جماعة من أهلـها سكنة تاجوراء ووفد وفدهم إلى دار السعادة العلية مستنجدين بالخلافة الإسلامية وكان ذلك سنة (926هـ) ستة وعشرين وتسعمائة[3] وقد قابل ذلك الوفد السلطان العثماني سليمان القـانوني وشرحوا له ما حل ببلادهم من غزو، وما فعل المسيحيون بهم، وبذلك وافق على نجدتهم[4]. ورغم عدم حسم هذه القضية، إلا أنه ليس غريباً أو مستبعداً أن يستنجد العربي المسلم في طرابلس بأخيه المسلم في الشرق، أو بالسلطان العثماني الذي كان يمثل خليفة المسلمين في ذلك الوقت، وهـذا الأمر يحدث في كل زمان ومكان. ومع ذلك فإن الاستراتيجية العثمانية تتطلب ضرورة الـسيطرة على طرابلس، وقد اتخذ ذلك الوفد ذريعة لتحقيق هدفهم الاستراتيجي.

---

(1) نقلاً عن كتاب عمر بن إسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795 – 1835م، الناشر مكتبة الفرجاني طرابلس ليبيا 1966م، ص19.

(2) ن. إ. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، منتصف القرن السادس عشر ـ مطلع القرن العشرين، ترجمة عماد حاتم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ليبيا، 1991، 1991/ ص26.

(3) أحمد النائب، مصدر سابق، 186.

(4) نفس المصدر، ص 187.

ثانياً. طرابلس وفرسان القديس يوحنا[1] 1530 - 1551م:

شكلت طرابلس معضلة سياسية، واقتصادية لدى الملك شارل الخامس، خاصة بعد استفحال الصراع بين الساسة الأوربيين، وانشغاله بما عرف بالحروب الإيطالية، واكتشاف العالم الجديد، وعدم إمكانية القضاء على مقاومة المجاهدين بتاجوراء، بذلك أراد التخلص منها بطريقة تليق به كملك يحظى بمكانة مرموقة بين المسيحيين، ووجد فرصته الكبرى عندما طلب منه البابا كلمنت السابع راعي هيئة فرسان القديس يوحنا والساعي إلى تطويرها دينياً وعسكرياً، والأب فيليب فيليير أن يقتطع للمنظمة جزيرة مالطة وقوزو لتكون مركزاً لشن الغارات على البلاد العربية والإسلامية[2]. وقد قبل الملك شارل الخامس هذا الطلب مشترطاً أن تتعهد المنظمة بالدفاع عن طرابلس، التي كانت تكلف خزينته اثنى عشر ألف دوكات سنوياً [3]. وقد ذكر الفرسان في مذكرة أرسلوها إلى الملك شارل الخامس اتضح فيها مدى حقدهم على المسلمين، وأنهم قبلوا الجزيرتين مالطة وقوزو، إذ إنهم لم يجدو مكانا ملائما يتخذوه مركزاً لهم ليعلنوا الحرب التي لا هوادة فيها على المسلمين[4]. وقد وقع الملك وثيقة التنازل عنهما في قلعة فرانكو (franco castel) بتاريخ 23 مارس 1530م[5] ومما جاء في هذه الوثيقة.. ونحن نتنازل ونمنح بكامل الإرادة الحرة المرشد الأكبر.. والمنظمة المعروفة باسم القديس يوحنا المقدسي إقطاعاً نبيلاً دائماً حراً مشمولاً بالإعفاء كلاً من المدينة والقلعة والجزر التابعة إلينا في طرابلس ومالطة وقوزو مع جميع البقاع التابعة لها. [6].. وفي يونيو 1530م تسلم غاسبري ذي سانغوسا (gaspare (de sanguessa) مقاليد الحكم بطرابلس كأول حاكم لتلك المنظمة بها، وبذلك تخلص الملك من معضلة كانت ترهقه مالياً وسياسياً ومعنوياً طيلة عشرين سنة. وقد اعتبر بعض المؤرخين مثل فيرتو (vertot) أن طرابلس قدمت للديانة النصرانية هدية مسممة [7].

بدأ الفرسان تنظيم دفاعاتهم، ومحاولة الهجوم على الضواحي كتاجوراء وجنزور، وسرعان ما خضعت الأخيرة للمنظمة خوفاً على مصالحها التجارية، بينما استمرت الحرب مع تجاوراء، خاصة

---

(1) كان فرسان القديس يوحنا في بادي الأمر عبارة عن منظمة خيرية في القدس تساعد الحجاج المسيحيين إلا أنها تحولت أثناء الحروب الصليبية إلى منظمة عسكرية تهتم بمعالجة الجرحى أثناء الحروب وعندما فتح صلاح الدين الأيوبي القدس طردهم منها، فلجأوا إلى مدينة عكا، ثم أخرجوا منها أيضاً عام 1219م فنزحوا إلى جزيرة رودس، وكونوا بها مملكة مسيحية تحت رعاية البابا، ثم طردهم منها العثمانيون عندما استولوا على الجزيرة عام 1522م.

(2) عمر الباروني، مرجع سابق، ص79.

(3) المرجع والصفحة نفسها.

(4) عبد الرحمن بن غلبون، ص 116 – 117.

(5) كوستانزيو برنيا، كرابلس من 1510 إلى 1850م، تعريب خليفة محمد التليسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته ليبيا، 1985م، ص20.

(6) اتوري روسي، مرجع سابق، ص 160.

(7) . شارل فيرو . مرجع سابق، ص88.

عندما وصلها القائد خير الدين كرمان كموفد من قبل خير الدين بربروسا لتنظيم دفاعات المجاهدين.

لقد دخل في الصراع إلى جانب الفرسان باي تونس مولاي الحسن الذي تولى الحكم عام 1526م وهو حليف قوي للأسبان، ووطد علاقاته مع المنظمة بطرابلس، وعقد معهم معاهدة حسن جوار، خاصة بعد احتلال الجزائر من قبل خير الدين بربروسا وازدياد نشاطه البحري، وإرسال قائده خير الدين كرمان إلى تجوراء واستيلائه على سفينتين حربيتين بكل رجالهما تتبعان منظمة الفرسان[1]، مما زاد خوفه من أن يطمع الأخير من احتلال تونس، إذا ما احتل طرابلس، مما جعله يتحالف مع منظمة الفرسان ويقرر مهاجمة تاجوراء، حيث حاصرها مدة أربعة أشهر، ولم يتمكن من فتحها، بالرغم من المساعدات التي وصلته من المرشد الأكبر بمالطة لتكرار هجومه على المدينة في شهر جماد الأول عام 938هـ/ يناير 1532م[2]. ولم يفك حصاره هذا إلا بعد أن احتل خير الدين بربروسا لمدينة صفاقس في شهر أبريل من نفس العام[3].

واجه الفرسان صعوبات جمة بطرابلس.. ونحن نبدي اهتماماً دائماً بتدعيم هذه القلعة وتزويدها بالجنود وكافة الأشياء الضرورية متكبدين في ذلك نفقات باهظة، وإرهاقاً كبيراً للمنظمة[4]..، مما اضطر قادهم بطرابلس طلب المزيد من المساعدة من مرشدهم الأكبر، والملك شارل الخامس، ونائبه في صقلية، والبابا في روما، لترميم القلعة ومحاولة صد الهجمات المتكررة من قبل المجاهدين بتاجوراء[5].

---

(1) المرجع السابق، ص87.
(2) ـ ابن غلبون ـ مصدر سابق، ص121.
(3) المصدر السابق، والصفحة نفسها.
(4) اتوري روسي، مرجع سابق، ص169.
(5) ـ عمر الباروني، مرجع سابق، ص101.

ثالثاً: العثمانيون في طرابلس 1551 – 1711م:

أصبحت طرابلس من أولويات السياسة العثمانية واستراتيجيتها، وبالسيطرة عليها تستكمل السيطرة البرية من الشام شرقاً حتى الجزائر غرباً، وبالتالي السيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط. ولتنفيذ تلك السياسة استجاب السلطان العثماني للوفد التاجوري وعجل بتحقيق ذلك، وكلف معه مراد آغا، الذي نزل بتاجوراء مع مجموعة من الأتراك، وأخذ على عاتقه تنظيم المقاومة، غير أن ما توفر لديه من قوات كانت غير كافية لطرد منظمة الفرسان من المدينة[1]، لذلك طلب المدد من الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا، ودرغوت باشا، حيث وضعت خطة مزدوجة برية وبحرية للهجوم على القلعة[2]، وتضييق الحصار عليها خاصة في الأيام 9، 10، 11 من شهر أغسطس، مما أربك قادة المنظمة بسبب الضعف العام الذي كانت تعانيه، وجعل قادتها يسعون إلى التفاوض مع القائد العثماني للمحافظة على أرواحهم وممتلكاتهم، وعدم استرقاقهم، والاتفاق على العودة بهم إلى مالطة[3]. وقد تمكن المجاهدون والقوات العثمانية من الدخول إلى القلعة في 16 أغسطس 1551م، وأصبح مراد أغا أول وال عثماني بها. وقد قام بالعديد من الإصلاحات بتاجوراء منها بناء الجامع الكبير، وألحق به مدرسة، وعمل الملاحة والسبالة.

تحسرت المنظمة على ضياع طرابلس فسعت في محاولات متكررة لاستردادها فقامت بحملة في 8 أغسطس عام 1552م ضد مدينة زواره بهدف الحصول على موطأ قدم يعوضها عن طرابلس، وكذلك حملة [1559 – 1560م]، ضد طرابلس بأمر من الملك فليب الثاني، والتي شاركت بها الدول الأوربية المسيحية مجتمعة تحت قيادة جيو فاني ذي كاردونا (Giovanni di cardona) قدر عدد أفرادها بثلاثين ألف رجل، وانتهى بها المطاف إلى جزيرة جربه بفعل العوامل الجوية، وكذلك حملة عام 1589م، وحملتي 1639م، 1642م على ميناء طرابلس، ولكن تلك الحملات باءت كلها بالفشل بل وبكوارث كبيرة على المهاجمين[4].

وبمرسوم من السلطان العثماني سليمان القانوني تولى درغوت باشا حكم طرابلس في ربيع الثاني 960هـ/ مارس 1553م[5]. وقد عمل على إخضاع المناطق التابعة إلى طرابلس كبنغازي وفزان، كما حاول فرض سيادته على الجنوب التونسي ليؤمن حدوده الغربية[6]. وقد تطلبت منه تلك

---

(1) احمد النائب، مصدر سابق، 188.
(2) كستانزيو برنيا، مرجع سابق، 43.
(3) نفس المرجع، ص 46 – 43.
(4) اتوري روسي، طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا، ترجمة خليفة محمد التليسي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ليبيا ط2، 1985م ص 80 – 81.
(5) ابن غلبون، مصدر سابق، ص132.
(6) المصدر سابق، ص 134.

الأعمال أموالاً طائلة مما جعله يفرض ضرائب فادحة على الأهالي، ألبت عليه القبائل الكبيرة مثل أولاد سليمان، والمحاميد، وزعماء الجبل وغيرهم، والذين كانوا في حالة تمرد دائم ضده [1]. ويعتبر أول من وضع النواة الأولى للأسطول الطرابلسي الذي تكون من 36 قطعة حربية، تمكن من المشاركة بها في حصار مالطة بتاريخ 18 مايو 1556م، حيث استشهد بها، ونقل جثمانه إلى طرابلس، ودفن بمسجده [2]. وفي عهده منحت طرابلس درجة أيالة [3].

وبعد استشهاده تولى حكم طرابلس ولاة ضعاف مما مكن.. الجند على أمر البلد فلم يكن لوليها من قبل السلطان تصرف.. [4]، ونظراً إلى جشع الولاة وطمعهم واهتمامهم بجمع الأموال بأية طريقة، جعل الإنكشاريون [5] يطمعون في المشاركة في السلطة ليتسنى لهم جمع ما يمكن جمعه من الثروة لصالحهم، وذلك عن طريق الديوان، وأن الولاة الموفدين من قبل الأستانة ظلوا يحكمون اسمياً، خاصة خلال الفترة 1595 – 1612م حيث غيبوا تماماً عن الحكم بسبب ضعفهم، وأن السلطة الفعلية أصبحت بأيدي الإنكشاريين [6] الأمر الذي جعل الأهالي يتذمرون من الأوضاع التي ألمت بهم، ويتبنون أية فكرة للقيام بالثورة بسبب المآسي الاقتصادية والاجتماعية التي سببها لهم الوضع القائم.

إن الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي يعيشه الأهالي، وكان مهيأ لقيام ثورة يحي بن يحيى السويدي بتاجوراء التي كانت على الدوام قاعدة للثورات، والذي سرعان ما التف حوله الأهالي من مختلف المناطق، وكادت هذه الثورة أن تقوض الحكم التركي وتقضي عليه، لولا خيانة شيخ قبيلة بني نوير لقائدها يحى السويدي باتفاقه مع الوالي العثماني على ذلك، تمكناً من القضاء على هذه الثورة في شخص قائدها [7].

---

(1) اتوري روسي، مرجع سابق، ص192.
(2) أحمد النائب، مصدر سابق، ص210.
(3) محمود ناجي، طرابلس الغرب، 149.
(4) ابن غلبون، مصدر سابق، 143.
(5) تشكلت في الأصل عن طريق الديوشرمة، أي أطفال النصارى من كافة الشعوب المفتوحة من قبل العثمانيين، حيث يربونهم تربية إسلامية عسكرية تحت اسم قارقول. وقد أطلق السكان اسم كور أغلى عليهم. وينتخب أغوات الإنكشارية من بينهم رئيساً يلقب [الداي] وأصبحت إدارة طرابلس بيد هؤلاء، وكثيراً ما كانوا يقومون بثورات ضد الولاة والدايات. كما أن هؤلاء كان أغلبهم من الأتراك والعناصر المسيحية الحديثة العهد بالإسلام لا يرتبطون بالولاية إلا حرصاً على مصالحهم، ولا يطيقونهم الأهالي والقبائل والأعيان إلا كرهاً لأنهم لا يرون فيهم سوى صورة الاستغلاليين، وكانوا مضطرين إلى تحملهم والصبر عليهم في صمت، وأن يقبلوا بهم وهم على هذا الوضع القوي كوسيلة لحفظ الأمن والنظام بين المدينة والداخل. ويمكن القول أنهم خليط يعود إلى أكثر من مئة بلد. بروشين، مرجع سابق، وشارل فيرو، مرجع سابق، اتوري روسي، مرجع سابق.
(6) كوستانزيو بارنيا، مرجع سابق، ص87.
(7) أحمد النائب، مصدر سابق، ص222.

ورغم القضاء على تلك الثورة إلا أن الانتفاضات والثورات لم تنته بل زادت حدة بفعل ازدياد ظلم وتعسف العثمانيين للأهالي، الأمر الذي جعل بعضهم يفكر بالاستنجاد وطلب المعونة من قبل هيئة منظمة فرسان القديس يوحنا التي طردت من طرابلس، فهم أخف حدة ووطأة من العثمانيين[1]. وقد حاول الوالي صفر داي القضاء على ثورة فزان وزعمائها عام **1611م**، واستمر بإنزال مظالمه بأهل تاجوراء الأمر الذي جعلهم يشتكوه إلى السلطان العثماني أحمد خان ويوضحون له أن من أسباب ثوراتهم المستمرة تلك المظالم التي يقترفها الولاة ضدهم، مما أقنع السلطان بشكواهم وأرسل معهم عام **1024هـ/ 1614م** سفينتين حربيتين إلى طرابلس، وما أن صعد الوالي صفر داي لاستقبال قائدهما حتى ألقى القبض عليه وأعدم على مشهد من مبعوثي تاجوراء[2].

استمرت السيطرة على الجهاز العسكري من قبل الدايات والإنكشارية، وقادة الأسطول وكذلك الجهاز السياسي في البلاد ــ الديوان، الذي يضم كبار القادة والعلماء وصاروا يملون إرادتهم على الوالي الذي أصبح دوره اسميا فقط.

وقد استطاع محمد باشا الساقزلي بذكائه وحنكته أن يقضي على سيطرة أولئك الإنكشاريين، وقام ببعض التنظيمات، ففرض الضرائب على الأهالي، ووضع رسوماً جمركية على الصادرات والواردات، وأن يقضي على الثورات التي اعترضت حكمه، وأن يحتل أوجلة بقيادة قائده عثمان باشا الساقزلي[3]، الذي خلفه في حكم طرابلس، بل زاد من الضرائب ففرض ثلاثة في المائة على بيع العقارات، وعشرة في المائة على بيع الرقيق وبذلك قام جنود البحرية بتمرد ضده عام **1083هـ** مما حسسه بالخطر، فسمم نفسه وانتحر.

ومن الأحداث المهمة في عهد سلفه الداي بالي شاوش (**1672 – 1675م**)، محاصرة قلعة طرابلس من قبل باي تونس، ولولا مساعدة القبائل الداخلية له لفك الحصار عنها، لنجح باشا تونس في احتلالها[4].

وعليه ظلت الأيالة تعيش حالة عدم استقرار وانعدام الأمن نتيجة تولي ولاة ضعاف غير مؤهلين، فتولي التارزي، والقهوجي، والحداد، والإسكافي، وغيرهم هذا المنصب، مما جعلهم ألعوبة في أيدي القادة، ولم يدم حكم بعضهم إلا أياماً معدودة إما عزلاً أو قتلاً، وهذا الوضع شجع الإنكشاريين بالتحرش والتعرض إلى الأساطيل الأوربية بحجة الجهاد ضد المسيحيين، لكن الحقيقة غير ذلك، فقد استغلت كوسيلة للإثراء السريع، الأمر الذي جعل الأيالة تتعرض باستمرار لهجمات الأساطيل الأوربية، فحاصرها الأسطول الإنجليزي عام **1655م** بقيادة الجنرال بلاكه (**blaka**)، وبتاريخ **12** أغسطس **1658م** وصلت ثماني سفن إنجليزية بقيادة يوحنا ستواكس

---

(1) شارل فيرو، مرجع سابق، ص133.

(2) المرجع نفسه، ص141. وكذلك اتوري روسي، ص147.

(3) أحمد النائب، مصدر سابق، ص232 ـ 235.

(4) بروشين، مرجع سابق، ص72.

(jeans toakkes)، لعقد اتفاقية صلح، وقد نجح في عقدها مع الداي عثمان باشا الساقزلي، وقبل مغادرة الأسطول طرابلس ترك صامويل توكر (toker samuel) قنصلاً لبلاده، وقد جددت تلك المعاهدة في 18 أكتوبر 1662م[1]. وقد فشل الأميرال الهولندي رويتر (ruyter) في أغسطس 1662م بعقد اتفاقيات مماثلة للاتفاقيات التي عقدت مع تونس والجزائر[2]. وفي عام 1675م هاجم الأسطول الإنجليزي المدينة بقيادة سيرجون ناربورج، وفي ليلة 24 يناير 1676م عاد مرة أخرى على أثر استيلاء البحرية الطرابلسية على سفينة إنجليزية وأفرغوا حمولتها في درنة، وأصبحت سواحل طرابلس تحت رحمة الأسطول الإنجليزي، وضربت المدينة في 26 يناير، مما أجبر الداي إبراهيم في 15 مارس 1676م على توقيع اتفاقية صلح نصت على إطلاق جميع الأسرى الإنجليز دون دفع أية فدية، وتقديم تعويض قدره ثمانون ألف دينار، والتهديد بتوقيع عقوبة تكون أشد قسوة في المستقبل[3]. وأيضاً حاصرها في 19 يونيو 1685م بقيادة الماريشال ديستري، أسفر عن عقد صلح بتاريخ 27 يونيو 1685م ومما جاء في بنوده، إطلاق سراح جميع الأسرى المسيحيين دون دفع فدية، وإعادة البضائع التي سلبت أو التعويض عنها، وأن تسلم طرابلس بعض الرهائن لضمان استمرار الصلح[4].

إن الهدف من تلك الهجمات المتكررة على طرابلس هو محاولة إخضاع المدينة إلى النفوذ الإنجليزي، إلا أن حكام طرابلس لم يلتزموا بتلك الاتفاقيات التي عقدت بالقوة وسرعان ما يتم اختراقها، لأن الالتزام بها يعد تنازلاً عن أحد الموارد الهامة للإيالة.

سعت الدول الأوربية إلى تطبيق امتيازاتها التي تحصلت عليها في الدولة العثمانية على إيالة طرابلس، وبذلك عملت على عقد اتفاقيات منفردة معها، فنجحت فرنسا على أيام شريف داي بتعيين أول قنصل لها عام 1630م يدعى دومولان، ثم تبعتها الدول الأوربية الأخرى، إلا أن العلاقات ظلت تعكرها بعض الأعمال البحرية التي يقوم بها بحارة طرابلس بين الفترة والأخرى ضد السفن الفرنسية، وبذلك تعرضت المدينة إلى قصف الأسطول الفرنسي مراراً، فعلى سبيل المثال حاصرها أيام 19 – 22/يونيو1685م، ثم بدأ في قصفها، وقد وصف الرحالة المغربي أحمد بن ناصر الذي صادف مروره إلى الحج هذا القصف بقوله: .. فلما كان بعد صلاة العشاء، ليلة السبت ضرب الكفرة دمرهم الله بمدافعهم فرأينا من ذلك ما لم نره قط ولا سمعنا به. ترى البارود يخرج من بخش المدافع فإذا بكورة محمرة تحكي الشهب خرجت منه، فصعدت، ثم يرمون بأخرى وترتفع أكثر من الأولى، ثم تتدلى هابطة فإذا وقعت في الأرض سمع لها صوت هائل تصم منه الآذان فتنصدع في الموضع الذي وقعت فيه وتتفرق فلا تقع على بناء إلا وهدمته ولا على شجرة إلا

(1) شارل فيرو، مرجع سابق، ص157.
(2) المرجع السابق، ص164.
(3) بروشين، مرجع سابق، ص247.
(4) شارل فيرو، مرجع سابق، ص، 207.

وقلعتها... وما خرج مدفع من مدافع إلا وظننا أنه يقع علينا وأكثر ما يقع بالمدينة أو البحر أو قرب المدينة أو البحر.[1]. وبهذا الحصار والقصف استطاع الفرنسيون إطلاق سراح 1200 أسير أوربي، وإلزام الداي دفع 400 ألف فرنك كتعويض، ووقعت اتفاقية مكونة من ثلاثين مادة كانت جلها. لصالح الفرنسيين، وإرسال تسعة أشخاص من طرابلس كرهائن لضمان سريان مفعول تلك الاتفاقية.

ونلاحظ من الاتفاقية التي عقدت بين إنجلترا وطرابلس في 6 أبريل 1699م، والتي تتكون من 21 مادة ظلت سارية المفعول لمدة أربعين سنة، أن معظم بنودها تمس السيادة الداخلية للإيالة، فعلى سبيل المثال نصت المادة الثانية على أنه إذا رغب التجار الإنجليز الذين يركبون السفن الإنجليزية التي ترسو في ميناء طرابلس في بيع بضائعهم فلا يحق للجمارك جباية رسم يزيد على 3% من قيمة البضاعة، والمادة التاسعة نصت على أنه إذا توفى أحد الإنجليز في طرابلس الغرب فتؤول ممتلكاته إلى القنصل العام، ولا يجوز الاعتراض على ذلك، والمادة العاشرة نصت على أنه إذا كان على التاجر دين مستحق للآخرين وتوفى دون أن يترك ما يسدد هذا الدين، أو ابتعد عن الولاية هرباً من الدائنين، فلا يحق لأحد أن يطالب بتسوية هذا الدين من القنصل العام أو التاجر من مواطنيه [2]. وبذلك كان التنافس الأوربي في طرابلس خاصة الإنجليزي الفرنسي منه حول الحصول على الامتيازات القنصلية والنفوذ السياسي بها سبب في تعكير العلاقات المتبادلة بين تلك الدول، كما كان له تأثير على الأحداث التي عصفت بالإيالة[3]، وحول ذلك ذكر ابن غلبون بقوله: [..فمن يومئذ تقوى أمر الإفرنج في البلد وعلاء شأنهم واشترطوا في صلحهم ذلك أموراً لا يلتزم بها مؤمن، يوقن بلقاء الله ووعده منها دخول طغيانهم كائناً ما كان..] [4].

ويضيف أحد الأوربيين المقيمين بالمدينة وصفاً للأوضاع السياسية بالولاية خلال الفترة 1687 – 1691م بقوله [لقد وصلتُ إلى طرابلس في 18 سبتمبر 1686م، إنها جمهورية أكثر منها مملكة، وقد تقلد الجزارون والإسكافيون أعلى المناصب... وحكومة الداي هكذا يسمون الحاكم — حكومة دائمة — ولكن من المعتاد ألا تزيد فترة الحكم للداي الواحد عن سنة، وفي وسع أي سكران أن يثير المدينة ضد الداي إذ لم يعد يروق لهم .. لقد حضرتُ مقابلة للداي وقبلت يديه وهو كان يحترف صناعة الصابون] [5]، وهذا يدل على الضعف العام الذي كانت عليه الأيالة.

(1) نقلاً عن كوستانزيو برنيا، مرجع سابق، ص190.
(2) كوستانزيو برنيا، مرجع سابق، ص206.
(3) بروشين، مرجع سابق، ث 255.
(4) ابن غلبون، مصدر سابق، ص187.
(5) كوستانزيو برنيا، مرجع سابق، ص200.

ويذكر أحمد النائب أن عثمان الدارغوتلي تولى الحكم وهو أحد أصناف باعة القهوة بسوق الترك[1].

وقد تعاقب على حكم طرابلس خمس وعشرون داياً خلال مائة وسبع سنوات، اتسمت فترة حكمهم بالاضطرابات وفقدان الأمن، ورغم نزعتهم الاستقلالية إلا أنهم لم يستطيعوا تأكيد ذلك عن الدولة العثمانية.

إلا أن أولئك الحكام قد أهملوا الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وتطوير التحصينات الدفاعية للإيالة، وسعوا إلى الإثراء السريع بأية طريقة، وهذا الوضع خلق تدمراً بين الأهالي، وترك هوة دفاعية كبيرة شجعت الأسطول الأسباني خلال شهر يونيو **1682**م على حصار المدينة، لإجبار الداي والديوان لقبول شروطه، وذلك بفتح قنصلية أسبانية، والسماح للرعايا الأسبان بحرية التنقل داخل الإيالة، وأنه إذا ما اقترف أحدهم جرماً يحاكم أمام محكمة القنصلية الإسبانية[2].

وقد حاول محمد شايب العين إلغاء تلك الاتفاقية للحد من امتيازات القنصل الأسباني، إلا أنه عدل عن محاولته تحت ضغط الأسطول الأسباني[3].

واستطاع في ديسمبر **1704**م خليل بك التصدي لهجوم تونسي قوامه **18** ألف مقاتل بقيادة بك تونس إبراهيم شريف، وقد استطاعت تلك القوات احتلال ضواحي طرابلس، ومحاصرة القلعة، إلا أنها انسحبت دون قيد أو شرط بسبب انتشار وباء قاتل بين الجنود في أواسط رمضان **1116**هـ[4].

لقد توالى على حكم طرابلس خلال المدة [**1701 – 1711**م] تسعة ولاة اهتم معظمهم بأعمالهم الخاصة والسعي وراء الإثراء السريع، وتركوا حالة الفوضى تعم البلاد دون البحث عن حلول لها. هذا الفراغ السياسي تطلب ظهور شخصية قوية تنقذ البلاد من الوضع الذي تعيشه.

---

(1) أحمد النائب، مصدر سابق، ص271.
(2) بروشين، مرجع سابق، ص 75.
(3) أحمد النائب، مصدر سابق، ص 266.
(4) المصدر نفسه، ص280.

رابعاً. طرابلس تحت حكم أسرة القرمانلي 1711 – 1835م:

في أواخر الحكم العثماني الأول **1551 – 1711**م ازداد الصراع على السلطة حدة بين الإنكشاريين، فقد تعاقب على الحكم خلال ستة أشهر أربعة دايات[1]، انعكس ذلك على الوضع الاقتصادي والاجتماعي بالإيالة. ويمكن أن نرجع ذلك إلى ضعف الدولة العثمانية وانهيار تنظيماتها الإدارية والعسكرية خلال هذه الفترة، مما جعل الكثيرين من قادة الجند يستأثرون بالسلطة دون الرجوع أو التقيد بأوامر الباب العالي.

واستمرارا لذلك الصراع أبعد الداي ابن الجن من منصبه، وحل مكانه محمود أبو ميس أحد كتبة الديوان الذي اعتبره بعض القادة والزعماء مغتصباً للحكم. وقد ظل أبو ميس يحكم مدة خمسة عشر يوماً حاول خلالها التخلص من الشخصيات التي كان يخشاها، وعلى رأس هؤلاء أحمد القرمانلي.

وقد ذكر ابن غلبون أن الداي أبو ميس... أرسل أحمد القرمانلي إلى غريان ليغدر به هناك، لما توسم فيه النباهة والصلاحية للملك دونه[2]... أما أحمد النائب فقد وصف أبو ميس بالطيش واللؤم، وأنه أراد أن يتخلص من أقوى شخصية كان يخشاها.. ثم بعث أحمد بك القرمانلي أحد أعيان الجند إلى غريان بكتابه، وأوعز فيها للعامل بقتله، فشعر أحمد بك بذلك والتجأ إلى أعين الديوان، فعقدوا مجلسا واتفقوا فيه على عزله وولاية أحمد بك القرمانلي[3].. حيث عمل على التخلص من العنصر التركي موظفين وضباطاً بالأيالة، وذلك بإقامة وليمة فاخرة دعاهم إليها، قتل كل من حضرها، ووصل عدد من تخلص منهم [300] ثلاثمائة ضابط، وبالتالي بقى على قيد الحياة من لم يحضر، وفر إلى الأستانة[4].

حاولت الدولة العثمانية السيطرة على طرابلس أثر تلك الاضطرابات خوفاً من أن تطمع إحدى الدول الأوربية وتحتلها، وذلك بتعيين خليل باشا واليا عليها، حيث قدم على رأس أسطول إلى طرابلس حاملاً فرماناً بتوليته، إلا أن أحمد القرمانلي أعاق نزوله إلى المدينة، فالتجأ إلى ناحية زواره والنزول بها، حيث تم قتله وهو في طريقه إلى قلعة طرابلس.

لقد استهجنت الدولة العثمانية هذا الموقف وأرسلت جانم خوجة للتحقيق في مقتله، إلا أن أحمد القرمانلي طوق مهمته[5]. وبدأ يسعى لدا الباب العالي للحصول على منصب الباشا، بإغداق الهدايا على السلطان وحاشيته، وقد نجح بعد سنوات في ذلك بعد أن حضي بفرمان التولية من

---

(1) اتوري روسي، مرجع سابق، ص274.
(2) ابن غلبون، مصدر سابق، ص208.
(3) أحمد النائب، مصدر سابق، ص284.
(4) اتوري روسي، ص277.
(5) أحمد النائب، مصدر سابق، ص295.

السلطان أحمد الثالث في شهر مارس 1722م، وبذلك أرسى دعائم حكم له ولأسرته، استمر فترة 125 سنة، من 1711 – 1835م، كانت مليئة بالأحداث الداخلية والخارجية.

وتحولت طرابلس خلال هذه الفترة إلى مملكة وراثية ذات شخصية شبه مستقلة لا ترتبط مع الدولة العثمانية إلا من الناحية الشكلية. وأهم ما يميز هذه المرحلة إدخال اللغة العربية في المعاملات الرسمية.

ووطد أحمد القرمانلي أركان حكمه الذي استمر (34) أربعة وثلاثين سنة، بالتصدي للثورات التي قامت ضده في تاجوراء وترهونة ومسلاته، وغيرها من المدن، حيث بلغت أكثر من عشرين انتفاضة، تمكن من القضاء عليها بسبب قيامها منفردة زماناً ومكاناً، كما قضى على نفوذ جنود الإنكشارية الذين كانوا يتدخلون في شؤون الحكم ويساهمون في عدم استقرار الأيالة، وتوجه إلى بناء أسطول قوي استطاع أن يواجه به أساطيل الدول الأوربية الكبرى، وجعلها تسعى إلى عقد معاهدات معه ومع أبنائه من بعده، ودون الرجوع إلى الدول العثمانية، وهذا يؤكد استقلالية طرابلس عن السلطة المركزية، والواقع أنه .. إذا كان عقد مثل هذه المعاهدات يعطينا فكرة صادقة عن مدى تطور القوة البحرية لطرابلس ومركزها في حوض البحر المتوسط، فإنه كذلك يرينا مدى ما وصلت إليه أيالة طرابلس من استقرار ومظهر للسيادة الخارجية لأن هذه المعاهدات التي عقدت بين طرابلس وإنجلترا وغيرها تمت دون علم السلطان[1]. وقد اعتبر أحمد النائب استقلال طرابلس عن الدولة العثمانية تهورا خاصة بعد عقد المعاهدات مع الدول الأخرى دون علمها[2]، واعتبرت فترة حكمه من أحسن الفترات في العهدين القرمانلي والعثماني على السواء.

وبعد موته منتحراً في 5 نوفمبر 1745م، خلفه في الحكم ابنه الأصغر محمد الذي سار على خطى سياسة والده الداخلية والخارجية، فعمل على بناء علاقات طيبة مع فرنسا قدر الإمكان، واستمرت الدول الأوربية بدفع إتاوات سنوية لضمان سلامة سفنها في البحر المتوسط. وقد اعتبر بعض حاشيته خاصة قادة البحرية تلك المعاهدات تنازلاً منه لتلك الدول، وبذلك أصبحوا يخالفون أوامر الباشا ويخترقون تلك الاتفاقيات بالاستيلاء على السفن الفرنسية، والإنجليزية، مما جعله يقع في مشاكل حربية واقتصادية مع تلك الدول كلفت الإيالة الشيء الكثير. وكثيرا ما قام أولئك القادة بثورات ومؤامرات ضده مثل المؤامرة التي قادها نائب قائد الأسطول في 20/ يوليو 1752م لكن سرعان ما قضى عليها[3].

---

(1) مصطفى بعيو، دراسات في التاريخ الليبي، مكتبة الإسكندرية، 1953م، ص108.
(2) المنهل العذب، مصدر سابق، ص295.
(3) كوستانزيو برنيا، مرجع سابق، ص229.

وخلال عام 1754م انتقلت السلطة إلى ابنه علي الذي لم يتجاوز عمره العقد الثاني، كان يتصف بضعف الشخصية، لذلك استأثر الإنكشاريون به. كما قام الطامعون بالسلطة بثورات ضده بهدف استرداد مراكزهم التي فقدوها.

وقد وصف القنصل الفرنسي انج ذي جاردان (ange de gardane) الوضع في طرابلس أيام علي القرمانلي، بأنه ضعيف الشخصية، لا يفقه في شؤون الدولة شيء، وأن كافة المناصب القيادية سيطر عليها الأعلاج، وأن وضع البلاد الاقتصادي سيئ مما جعل مدن الدواخل تعيش حالة غليان، وحشدت الهمم للقيام بالثورة حتى من داخل الأسرة الحاكمة [1].

كما شجع هذا الوضع العام قادة البحرية القيام بالعديد من الأعمال الحربية ضد أساطيل الدول الأوربية، مما جعلها تهاجم المدينة وتفرض اتفاقيات مجحفة في حق الأيالة. فعلى سبيل المثال تدل الاتفاقية التي عقدها والده مع إنجلترا بتاريخ 9 شوال 1164هـ/ 1751م على مدى ضعف شخصية الباشا، وخضوعه للنفوذ الأجنبي، كما نصت المادة الرابعة من تلك الاتفاقية أن للتجار الإنجليز في طرابلس حق بيع البضاعة الواردة من الخارج في دار القنصلية، ليتمكن القنصل من تحصيل الضرائب منهم، في حين نصت المادة الثالثة عشر على عدم تحصيل رسوم جمركية عن البضائع التي يحضرها التجار الإنجليز لبيعها في طرابلس، والمادة الرابعة عشر نصت على أن الغنائم التي تأخذها سفن الإنجليز من أعدائها وتأتي لتبيعها في طرابلس لا تأخذ الحكومة عليها عوائد. ويلاحظ من هذه الاتفاقية وغيرها أنها حرمت الخزينة مبالغ مالية كبيرة كانت تساهم في نفقات الحاكم إلى حد كبير [2].

لقد سعى علي باشا إلى عقد اتفاقيات مع الدول الأوربية الأخرى بعيداً عن الدولة العثمانية، وأحياناً ضد سياستها رغم ارتباط الأيالة الشكلي بها، وذلك مقابل حصوله على مبالغ مالية سنوية نظير سلامة سفنها في البحر المتوسط، إلا أن هذا الوضع انعكس على حالة الأيالة الداخلي إذ قلت الأعمال البحرية ضد السفن الأوربية وبالتالي قلت الموارد الاقتصادية الأمر الذي أعجزه عن دفع رواتب جنده [3]، وبالتالي فإن بحارته كانوا غير راضين عن تلك المعاهدات التي عقدها، لأنها حرمتهم من العوائد التي كانت تعود عليهم من جراء أعمالهم البحرية.

إن أهتم ما يميز عهد علي القرمانلي انتعاش العلاقات بين طرابلس والبندقية وذلك بفضل السفارة الناجحة التي قام بها عبد الرحمن آغا البديري في عام 1764م حيث تمكن من عقد اتفاقية معها، والتي صودق عليها في أبريل من عام 1765م [4].

(1) شارل فيرو، مرجع سابق، ص319.
(2) وثيقة رقم 2 ملحقة بكتاب عمر بن إسماعيل، مرجع سابق ص374.
(3) بروشين، مرجع سابق، ص13
(4) اتوري روسي، مرجع سابق، ص299.

إن ازدياد نفوذ الإنكشارية، والوضع الاقتصادي السيئ، وانعدام الأمن كل ذلك أعجز الباشا على إدارة شئون الحكم، مما جعل الصراع على السلطة يزداد حدة بين أطراف متعددة منها أبناء الباشا أنفسهم حسن ولي العهد، وأحمد، ويوسف، خاصة بين الأول والأخير، وقد وجدها الأخير فرصة للتخلص من أخيه حسن حينما حاولت والدهما الصلح بينهما، فقتله في 20 يوليو 1790م[1].

هذا الوضع المتردي الذي عاشته الأيالة أقلق السلطان العثماني وتخوف من أن تقع الأيالة فريسة لإحدى الدول الأوربية كفرنسا أو إنجلترا، مما جعله يحذر باشا طرابلس من أن الأيالة لازالت تخضع لسلطته المركزية بالآستانة، وأنه سيعيد احتلالها إذا ما أحس بخطر يداهمها[2].

إن كثرة المتنافسين على السلطة، وعجز الباشا من السيطرة على الحكم خلق فراغاً سياسياً مما جعل أحد المغامرين يدعى علي برغل [علي الجزائري] أن يتمكن من الاستيلاء على طرابلس في 29 يوليو 1793م، وقد اعترف به أعضاء الديوان. ووصفته المس توللي بالباشا المزيف، لأنه زيف فرمان السلطان العثماني[3]، يؤكد ذلك تقرير الصدر الأعظم الذي جاء فيه أنه.. بعد أن استولى على القلعة وطرد الوالي، وأظهر فرمانه الذي زيفه وأعلن أنه مأمور من قبل الدولة العثمانية.[4]، ويتضح من ذلك التقرير أن الصدر الأعظم كان يساند المغتصب معنوياً لاحتلال الأيالة، إذا أوضح أن كافة مصاريف الحملة كانت على نفقته الخاصة، وقد نجح في ذلك مما جعل على القرمانلي يغادر الأيالة هارباً إلى تونس في 30 يوليو 1793م[5].

لقد حاول ابني علي القرمانلي أحمد ويوسف تناسي خلافتهما وتوحيد جهودهما ضد الغاصب للعرض، إلا أنهما لم يستطيعا تحقيق نصرا عليه، ولذلك لحقا بوالدهما، والذي عجل بالقضاء على هذا المغامر أمران ابتزازه للأهالي، بفرضه الضرائب الباهظة عليهم، وثانياً قراره بمد حدود سلطته بطرابلس غرباً، بعد استيلائه على جربة، ومحاصرته صفاقس، الأمر الذي أقلق باي تونس حمودة باشا وجعله يعجل بتجهيز جيشاً قوامه (30000) مقاتل تحت إمرة مصطفى خوجة، وحدد له مهمة مزدوجة، الأولى تحرير ما احتله علي برغل من الأراضي التونسية، والثانية طرده من أيالة طرابلس وإعادة الأسرة القرمانلية إلى سابق عرشها. وقد نجحت القوة التونسية في تحقيق هدفها، وذلك بفراره في 19 يناير 1795م حاملاً معه ما خف وزنه وغلا ثمنه[6]، تاركاً خزينة الأيالة فارغة تماماً.

---

(1) مس توللي، مصدر سابق ص 398 – 403.
(2) بروشين، مرجع سابق.
(3) المس توللي، مصدر سابق، ص576.
(4) وثيقة رقم 4 ملحقة بكتاب عمر بن إسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795-1835م، مكتبة الفرجاني، طرابلس ليبيا، ص385.
(5) شارل فيرو، مرجع سابق، ص356.
(6) كولا فولايان، مرجع سابق، ص38.

ومباشرة تنازل علي القرمانلي على الحكم إلى ابنه أحمد الذي لم يدم على سدته إلا شهوراً، حيث استطاع شقيقه يوسف أن يقصيه من منصبه بالخديعة في 11 يونيو 1795م [1].

لقد واجه يوسف باشا الكساد الاقتصادي، وفراغ الخزينة، بالمطالبة بالمستحقات السنوية المفروضة على الدول الأوربية، كما جدد أسطوله البحري الذي تمكن من مضاعفة دخله، مما جعل الدول الأوربية تخشاه وتسعى إلى تجديد وعقد معاهدات معه للسماح لسفنها بالإبحار سالمة مقابل إتاوات سنوية [2].

في الحقيقة تعد الإتاوات والأعمال البحرية من المصادر الهامة لخزينة الباشا، فعلى سبيل المثال ما دفعته هولندا والسويد والدنمارك من إتاوات سنوية بلغت (18000) دولار، وإذا ما تباطأت تلك الدول عن الدفع تتعرض أساطيلها إلى عقوبات قاسية، وما تم أسره من السفن الدنماركية خلال عام 1815م بلغ 600000 دولار، كما دفعت هولندا في نفس العام (60000) دولار، أثر تجديد اتفاقياتها معه [3].

ويتضح من تلك المبالغ أنها تعد مورداً هاماً لخزينته، والتي في إمكانها حل معظم مشاكله لو أحسن التصرف فيها، إلا أن تلك الموارد لم تدم بسبب الوجود البحري الإنجليزي في البحر المتوسط، والذي أصبح هاجسه القوي يعيش تحت تهديده من حين إلى آخر، وكثير ما ألزمه بدفع غرامات مالية رغم عدم أحقية بعضها.

أيضاً سعت الولايات المتحدة الأمريكية كغيرها من الدول للحصول على تلك الامتيازات في طرابلس، مقابل مبالغ ضئيلة فرضها الباشا، الأمر الذي أدخله في مواجهات حربية معها ميزت عصره، توسط فيها داي الجزائر للصلح بينهما. وفي رسالة من يوسف باشا إلى حاكم الجزائر أوضح له فيها أن الدولة الأوربية قدرت قوته البحرية، وسعت إلى الصلح معه عدا أمريكا لهذا طلب منه ألا يتدخل في الصراع بينهما بقوله: .. كل الملل عرفت قدرة قوتنا وحيثيتنا، مازالوا الأمريكان يجب أن يفهموا قوتنا ونوقفهم عند حدهم.. [4] وفي 14 يناير 1801م أعلن الحرب ضدها، وبتاريخ 8 ديسمبر 1801م زاد الصراع حدة حينما تحصل الرئيس الأمريكي جيفرسون (jeferson) على موافقة الكونجرس بإعلان الحرب على طرابلس [5]، عرفت في المصادر بحرب السنوات الأربع 1801 — 1805م.

تمكنت البحرية الطرابلسية في شهر يونيو 1802م من أسر السفينة الأمريكية فرانكلين، وفي 21 أكتوبر 1803م تم أسر السفينة فيلادلفيا أكبر سفن الأسطول الأمريكي بكامل طاقمها المتكون من 307 بحار، واعتبر هذا النصر كارثة حلت بالبحرية الأمريكية. وإزاء الانتصارات التي حققتها بحرية الباشا، وباقتراح من إيتون قنصلها بالإسكندرية قررت تغيير إستراتيجيتها باحتلال طرابلس براً،

---

(1) عمر بن إسماعيل، مرجع سابق، ص77 — 79.
(2) المرجع نفسه، انظر الوثائق بالملحق في هذا الكتاب.
(3) كولا فولايان، مرجع سابق، ص94.
(4) وثيقة رقم 12 ملحقة بكتاب عمر بن إسماعيل، مرجع سابق، ص401 — 402.
(5) بروشين، مرجع سابق، ص 183.

حيث استخدمت شقيق يوسف المخلوع أحمد القرمانلي واجهة لتنفيذ سياستها ووعدته بإعادته إلى العرش [1]، فاحتلت درنة.

وأمام الأحداث المستجدة سارع يوسف باشا إلى عقد اتفاقية صلح معها، تضمنت عشرون مادة كانت كلها تخدم المصالح الأمريكية [2]، مما جعلها تنسحب من درنة.

وفي الوقت الذي كانت علاقاته سيئة مع أمريكا، حرص على إبقائها جيدة مع فرنسا، واتضح ذلك من المساعدات التي قدمها لنابليون بونابارت خاصة بعد تدمير أسطوله في خليج أبي قير بالإسكندرية، وبذلك زادت الضغوط عليه من قبل الدولة العثمانية، والأسطول الإنجليزي لدفعه باتخاذ موقف عدائي منه ومن فرنسا، إلا أنه ظل صديقاً وفياّ له.

لقد اهتم يوسف باشا بالأسطول والتجارة كموردين رئيسيين له، وقد احتكر لصالح نفسه تجارة المواشي مع مالطا، والتي عادت عليه بأرباح كثيرة استمرت حتى الحرب الطرابلسية الأمريكية، حيث دخل التجار المالطيين كمنافسين له باعتبارهم رعايا إنجليز تطبيقاً لاتفاقية **1751**م، وبذلك شاركوه في أرباحه التي انخفضت انخفاضاً كبيراً، اضطرته إلى زيادة الضرائب على بعض المشروبات الكحولية، الأمر الذي رفضه قنصل إنجلترا، واعتبره مخالفاً للاتفاقية المعقودة بينهما، ولتحقيق ذلك أرسلت أسطولها لمحاصرة طرابلس، وإجباره على إلغاء قراره بزيادة التعريفة الجمركية [3].

تبنت إنجلترا في مؤتمري فينا **1815**م، واكس لاشابيل **1819**م، الوقوف ضد الأعمال البحرية التي يقوم بها الأسطول الطرابلسي ضد السفن الأوروبية، واسترقاق المسيحيين، ونتيجة لذلك كُلفت كل من فرنسا وإنجلترا بوضع ذلك القرار موضع التنفيذ. وفي **18** أكتوبر **1819**م قدم الأسطولان الإنجليزي والفرنسي إلى طرابلس لإبلاغ يوسف باشا بأوامر أوربا الذي وجه إليهما التزاماً رسمياّ حول ذلك [4].

وتنفيذاً لذلك القرار تقلصت موارد الباشا المالية، خاصة بعد أن فرضت عليه فرنسا بعد احتلالها للجزائر مباشرة وبالقوة توقيع معاهدة في **11** أغسطس **1830**م.

عرفت بمعاهدة التجارة والملاحة [5]، وكانت كل موادها ضد الباشا. فنصت المادة الأولى أن يقدم الباشا اعتذاراً لقنصل فرنسا، والمادة الثالثة منها تنص على إلغاء الاسترقاق وعتق كافة الأسرى الموجودين حينئذ، أما المادة الرابعة نصت على تشكيل لجنة لحصر الأسطول، وعدم السماح له بإضافة أية قطعة جديدة، حيث كان يتكون من ثمانية عشر سفينة مختلفة الأحجام والأنواع، وكان على ظهرها **60** مدفع هاون، **18** مدفع كبير، **83** مدفع، وأن بها **128** قاعدة مدفع مجهزة يمكن أن تضاف إلى قوة الأسطول [6]. كما منعت عليه تلك المعاهدة قبول الهدايا

---

(1) كوستانزيو برنيا، مرجع سابق، ص250.
(2) وثيقة رقم 13 ملحقة بكتاب عمر بن إسماعيل، ص403.
(3) كولا فولايان، مرجع سابق، ص92.
(4) شارل فيرو، مرجع سابق، ص403.
(5) وثيقة 32 ملحقة بكتاب عمر بن إسماعيل، مرجع سابق، ص
(6) ملحق المعاهدة، بالمرجع السابق، ص452.

القنصلية تحت أي اسم من الأسماء. ونتيجة لضغط الأساطيل الأوربية على أيالة طرابلس، تدني دخلها ولم يغط مصاريف الباشا إلا بصعوبة، نتيجة حياة البذخ التي عاشها وحاشيته، وبذلك التجأ إلى الاستدانة[1] من التجار الأجانب، حيث قدرت ديونه بـ (250000) جنيه استرليني لتجار أوربا، ومثلها ديون لمحمد علي باشا حاكم مصر[2]. بينما أرجع بعض المؤرخين الأسباب الرئيسية لديون الباشا وأزمته المالية إلى العمالة المالطية التي استقدمت بواسطة وارنجتون القنصل الإنجليزي لغرض بناء دفاعات جديدة حول المرسى، والتي تجاوزت نفقاتها مبالغ طائلة لا قدرة لخزينة الأيالة ومواردها لتسديدها، مما اضطره إلى الاستدانة لسداد تلك النفقات[3].

فشل الباشا في الحلول التي وضعها لحل أزمته المالية وسداد ديونه، منها على سبيل المثال تخفيض قيمة عملته مرارا، حتى وصل معدل التضخم 200%[4]. وتنازل عن كثير من أملاكه وأملاك الأيالة، من بينها عدد من مقررات القنصليات مقابل مبالغ بسيطة، كما منح امتيازات ولأمد طويل بمقابل تافه شريطة قبض مستحقات الامتياز فوراً، ولكن كل ذلك لم يكفيه لسداد ما عليه من مصاريف والتزامات[5].

لقد ضغط القنصل الإنجليزي على الباشا بالمطالبة بالديون المستحقة لرعاياه، وحينما عجز عن سداد ذلك قدم الأسطول الإنجليزي بقيادة ديونداس (dundas) في شهر يوليو 1832م الذي وجه إليه إنذاراً يدفع بموجبه مائتي ألف قرش خلال ثمانية وأربعين ساعة، وأصر القائد الإنجليزي على موقفه بالرغم من توسلات يوسف باشا بالعدم[6]. وأمام هذا الوضع قدم القنصل الفرنسي شوبيل احتجاجاً إلى الباشا يحذره من مغبة سداد ديون الإنجليز قبل الانتهاء من سداد ديون الرعايا الفرنسيين أولاً[7].

أن الضغوطات المتزايدة على الباشا من قبل قناصل الدول التي لها ديون لرعاياها عليه اضطرته إلى فرض المزيد من الضرائب الإضافية على الأهالي حتى من المعفيين منها، حيث فرض على كل مزرعة ثلاثة ريالات، مما جعلهم يرفضون ذلك ويعجلون بقيام الثورة ضده. وأرجع (أحمد القليبي)[8] أسباب الثورة إلى أنه .. لما أفرط في ظلم العباد وخراب البلاد والسعي بالفساد كبيع المدافع ـــ وتفريغ الخزينة ـــ وتركيب الدين عليه في غير ضرورة أحوجته، لا لمرتب عسكر، ولا لدفع عدو، ولا نحو ضرب الجزية في كل عام على أهل البلاد من حاضر وباد، مما أوجب خلعه ونبذ كلمته هو وولده[9].

---

(1) أحمد النائب، مصدر سابق، ص333.
(2) كولا فولايان، مرجع سابق، ص132.
(3) شارل فيرو، مرجع سابق ص 403.
(4) كولا فولايان. ص144.
(5) إسماعيل كمالي، وثائق عن نهاية الأسرة القرامانلية عربها وعلق عليها محمد مصطفى بازامة، دار لبنان 1965م، ص 82.
(6) شارل فيرو، مرجع سابق، ص422.
(7) نفس المرجع، ص 423.
(8) أحمد القليبي تونس كان وكيل تونس بطرابلس، اشتغل كاتباً ليوسف باشا، وجابيا للضرائب. انظر رسائل أحمد القليبي بين طرابلس وتونس.
(9) على مصطفى المصراتي، رسائل أحمد القليبي بين طرابلس وتونس والدار العربية للكتاب، رسالة من أحمد القليبي إلى محمد بيت المال بتاريخ 1 رجب 1250هـ، ص70.

نتيجة لتلك الإجراءات المالية أعلنت الثورة عليه بالساحل والمنشية في 28 يوليو 1832م وطالبوا بخلعه وتعيين حفيده الباي محمد، وكان إلى جانب تلك الثورة الفئة المتضررة من تلك القرارات. وقد وصف القليبي القائمين بالثورة بالمنافقين، وبأهل الفتن، وأن تلك الثورة تعد محنة من الله [1].

لقد حاول يوسف باشا السيطرة على الموقف بإلغائه الإجراءات المالية التي اتخذها، كما طلب مساعدة الدولة العثمانية، وحاكم تونس إلا أنه فشل في ذلك، وازدادت الثورة لهيباً خاصة بعد عودة القنصل الإنجليزي، واستقراره ببيته بالمنشية، وهذا يعني تأييده للثوار ومساعدهم. أما قنصل فرنسا ــ وهذا انعكاس لصراع الدولتين فرنسا وإنجلترا ــ وبقية القناصل فبقوا بالمدينة ووقفوا إلى جانبه [2].

تألفت قوات الثوار من خمسة آلاف رجل، بينما قوات يوسف التي لا تتعدى نصف ذلك العدد[3]. حيث استمرت هذه الحرب فترة طويلة وذكر القليبي بقوله: .. وهذا لا يمكن مع أن الحرب أكلت خيار ناسكم وكبارهم واحد بعد واحد.. فقل لي رعاك الله من مات فيها اليوم هذا الثالث سنة من مشاهيرها [4].

وباشتداد الأزمة، وضعف يوسف باشا حيالها، اضطر إلى التنازل عن الحكم إلى ابنه علي في 16 أغسطس 1832م. وفي رسالة من على القرمانلي إلى السلطان العثماني بتاريخ 26 شوال 1250 هـ/ 1834م ذكر له فيها أنه مستمر في محاربة أولئك البغاة رغم مساعدة الإنجليز لهم، ومحاصرة القلعة براً وبحراً [5].

وبالفعل سئم كلاً الفريقين هذه الحرب وأراد الخروج منها بأية طريقة ففي رسالة من أهالي المنشية إلى السلطان العثماني محمود الثاني بتاريخ 18 شعبان 1250هـ/ 1834م ذكروا له فيها أهم لا يقبلون بحكم علي القرمانلي، وأهم خاضعون إلى الدولة العثمانية [6]، وهذه دعوة منهم إلى الدولة العثمانية بالعودة إلى حكم طرابلس المباشر ثانية وفي تقرير من محمد شاكر أفندي الذي قدم إلى طرابلس لتثبيت علي القرمانلي في السلطة، وإقناع الطرف الثاني بحكمه، ورغم فشله إلا أنه ذكر في هذا الصدد أن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والأمنية بالأيالة سيئة جداً، ويطلب من الحكومة المركزية إرسال قوة بحرية لمحاصرة الساحل والمنشية لمنع دخول المساعدات إليها [7].

---

(1) نفس المرجع، ص98.
(2) كوستانزيو بارينيا، مرجع سابق، ص282.
(3) إسماعيل كمالي، مرجع سابق ص84.
(4) على مصطفى المصراتي، مرجع سابق، ص70.
(5) عمر بن إسماعيل، مرجع سابق، وثيقة رقم 44، ص480.
(6) المرجع السابق، وثيقة رقم 59، ص 510.
(7) نفس المرجع، وثيقة رقم 45، ص482.

الحكم العثماني الثاني المباشر بطرابلس 1835 – 1911م:

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة **1830**م شجع بعض الدول الأوربية على التفكير باحتلال تونس وطرابلس، وأمام الوضع المتردي بالأيالة، خافت الدولة العثمانية أن يطرأ الطرابلس ما طرأ للجزائر، لذا سارع السلطان العثماني بإرسال أسطول يتكون من (22) اثنين وعشرين قطعة حربية بقيادة مصطفى نجيب باشا، الذي وصل ميناء طرابلس في **26** محرم **1250**هـ/ **26** مايو **1835**م، وكان يعتقد كلا الفريقين أن ذلك الأسطول قادم لمساندته. وبخطة معدة موفقة احتل الجنود المواقع الدفاعية الهامة بأمر من علي باشا القرمانلي اعتقاداً منه أنهم جاؤوا لمساعدته ضد المتمردين بالمنشية، وما أن استقر لهم الوضع حتى ألقى القبض عليه وقُرأ فرمان بإنهاء حكمه، وحكم أسرته الذي دام قرن وربع في طرابلس، وعودة الأيالة إلى الحكم العثماني المباشرة مرة ثانية.

أراد الوالي الجديد محمد نجيب أن يرسخ الحكم العثماني، ويفرض سلطاته على مناطق الأيالة المختلفة، إلا أن ذلك لم يتحقق بسبب انفراد الزعماء المحليين بحكم مناطقهم، فعبد الجليل سيف النصر يحكم منطقة مترامية الأطراف تمتد من سرت شمالاً وحتى جنوب فزان، وعثمان الأدعم على رأس مصراته، وأحمد المريض بترهونة، وغومة المحمودي بالجبل... إلى غير ذلك. وظلوا على ذاك الحال رغم النداءات المتكررة من قبل الوالي بضرورة الخضوع والاعتراف بالسلطة الجديدة، ولعل الرفض كان بسبب تخوفهم من فقدان امتيازاتهم التي تمتعوا بها أيام السلطة السابقة، ومنها على سبيل المثال:

1- سيطرة تلك القبائل على طرق القوافل التي تمر عبر أراضيها تعود عليهم بمردود مادي كبير.

2- عدم اعتماد السلطة الجديدة على الزعماء بجمع الضرائب من مناطقهم، وهذا يفقدهم الكثير.

ورغم استجابة الشيخ غومة المحمودي لنداءات الوالي وقدومه في يوليو **1835**م على رأس وفد من أتباعه إلى مركز الولاية لتقديم ولائه واعترافه بالسلطة الجديدة، إلا أنه ما أن غادر الوفد طرابلس حتى ألقى القبض عليه وأودع السجن، مما كان سبباً جوهرياً لقيام العديد من الثورات ضد السلطة في طرابلس التي استمرت لسنوات[1]. كما أنه أصدر عملة جديدة حملت اسمه دون الرجوع إلى السلطة المركزية[2] كلفته منصبه في **8-9-1835**م وعين بدله محمد رائف باشا الذي واجهته أولى الثورات ضد الحكم العثماني الثاني بمدينة تاجوراء التي غدت بؤرة المقاومة ضد الإدارة العثمانية الجديدة بالإضافة إلى مركزها الاقتصادي الذي حرم السلطة مورداً اقتصادياً هاماً، وبذلك هاجمت المدينة في **31-1-1836**م حيث سقط ما يزيد على (**500**) قتيل من أهلها، هذه الوحشية استثارت زعماء القبائل ضد السلطة العثمانية في الأيالة[3]، رغم إطلاق سراح غومة من سجنه والسماح له بالعودة إلى وطنه.

---

(1) محمد ناجي، مرجع سابق، ص190.

(2) سجلات محكمة طرابلس الشرعية، السجل رقم (4).

(3) بروشين، مرجع سابق، ص267.

إن القوات العثمانية المتواجدة بطرابلس كانت لا تكف للسيطرة عليها مما جعل الوالي محمد رائف باشا يطلب من الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) ضرورة إمداده بقوات جديدة وصلته في 22-6-1836م قدرت بثلاثة آلاف جندي تحت قيادة طاهر باشا، والتي خلقت نوعاً من الريبة والخوف لدى فرنسا حول مهمة تلك القوات، معتقدة أنها ستوجه إلى تونس والجزائر مما جعلها ترسل أسطولها لزيارة تونس وطرابلس لمعرفة الأمر، لكن قائد القوات العثمانية أكد أنه لا علاقة لمهمته بشكوك فرنسا [1].

لقد حُفِزَ طاهر باشا فيما إذا حقق انتصارات على الزعماء الطرابلسيين، بتعيينه والياً على طرابلس، مما جعله يضرب بشدة حركة الثورة، الأمر الذي خلق نوعاً من التحالفات القبلية ضده، إذ تم الاتفاق بين عبد الجليل سيف النصر وغومة المحمودي على توحيد جهودهما لصد القوات العثمانية، ثم انضم إليهما عثمان الأدغم، وأحمد المريض [2].

بدأت القوات العثمانية الهجوم على مصراته وتمكنت من السيطرة عليها، وفتحت الطريق المؤدية إلى فزان، وبعد استراحة قصيرة توجهت إلى ترهونة التي التجأ إليها عثمان الأدغم حيث ألقي القبض عليه ونفي إلى الأستانة [3]، ونتيجة للانتصارات المتلاحقة التي حققها، عين طاهر باشا واليا على طرابلس. وأثناء حكمه عمل على تقريب الزعامات إلى السلطة، فعين غومة مديراً على غريان، كما أرسل أسطوله بقيادة أحمد باشا إلى تونس في محاولة منه إعادتها إلى الحكم العثماني، كما قدم مساعدات إلى حاكم قسنطينة محرضاً إياه ضد الفرنسيين [4].

طمح الوالي طاهر باشا في أن يحقق نصرا على غومة المحمودي وقارب منه حينما دب الخلاف بين زعماء قبيلة المحاميد، وازداد حدة لدرجة أن الفريق المناوئ لغومة أبلغ الوالي أن الجبل ينضوي تحت الراية العثمانية، وحال سماع غومة ذلك عمل على ضم الناهضين للسلطة لصفه، واستطاع بذلك أن يحقق انتصارات على العثمانيين [5]. كما اصطدم الوالي مع قناصل الدول الأجنبية عندما حاول رفع الضريبة الجمركية من 3% إلى 10%، ونتيجة لتلك الهزائم والضغوطات أقالته الحكومة المركزية بتاريخ 24-5-1837م وعين حسن باشا والياً متبعاً سياسة تختلف عن سلفه، إذ عمل على مصالحة الزعماء، وأجرى محادثات مع عبد الجليل، وغومة كزعيمين مستقلين لفزان والجبل الغربي شريطة أن يدفع الأول للدولة العثمانية خمسة وعشرون ألف قرش سنوياً، ويدفع الثاني ثمانية آلاف، ونظراً لحاجة الوالي الملحة إلى المال اضطر إلى مطالبتهما بتسديد ديونهما المستحقة من الماضي، مما أثار القائدين وشيوخ بعض القبائل الأخرى ضده [6].

---

(1) شارل فيرو، مرجع سابق، ص360.
(2) اتوري روسي، مرجع سابق، ص359 – 362.
(3) بروشين، مرجع سابق، ص270.
(4) نفس المرجع ص273.
(5) المرجع نفسه، ص272.
(6) المرجع نفسه، ص274.

وفي 30-8-1838م تولى عشقر باشا الحكم، وأهم ما يميز حكمه أنه تخلص من القيادات التي اعتقد أنها تثير الفتن مثل محمد شلبي بيت المال، كما اعترف بعبد الجليل وغومة المحمودي وأقرهما على حكم المناطق المسيطرين عليها شريطة أن يدفعا الضريبة السنوية المقررة عليهما [1].

لقد استغل عبد الجليل، وغومة ضعف الدولة العثمانية، وبدآ في تحركاتهما نحو طرابلس، وسرعان ما استوليا على العديد من المناطق حتى أصبحت معظم مناطق الولاية تحت سيطرتهما. ورغم محاولة الولاة المصالحة مع الزعامات إلا أن حالة الحرب تهدأ حيناً، وتشتعل أحياناً أخرى خاصة حنيما تضغط حكومة الأيالة على القبائل بدفع الضرائب، لذلك هزم عبد الجليل في عديد المواقع كمسلاته والخمس، بينما حقق غومة انتصارات في مواقع عديدة.

وبعد إخماد حركة محمد على التوسعية، واستقرار الوضع بالدولة العثمانية، انصرف اهتمام السلطان العثماني عبد المجيد إلى القضاء على الثورة بطرابلس وذلك بتحويل جزء من القوات العثمانية المتواجدة في الشام بقيادة أحمد باشا.

وقد واجه العثمانيون الثورتين منفردتين حيث ركزت القوات العثمانية هجومها على المناطق التي سيطر عليها عبد الجليل، وحققت انتصارات كبيرة عليه مما اضطره إلى الانسحاب ناحية الدواخل، بينما حقق غومة انتصارات باهرة على العثمانيين في وادي الخير. وقد حاول أحمد باشا الانتقام منه إلى أن غومة غادر إلى الجبل، وبالتالي توجهت الحملة إلى ترهونة ولحقت بها خسائر فادحة [2].

لقد تمكن العثمانيون وبتواطؤ من طرف إنجلترا باستدراج عبد الجليل إلى الساحل، حينما أقنعه القنصل الإنجليزي (وارنجتون) بضرورة اللقاء معه بحجة التوسط بينه وبين السلطة في طرابلس، وحينما حضر عبد الجليل على رأس قوة قليلة لم تستطع الدفاع عنه أمام القوة العثمانية التي كانت تراقبه وتحاصره، حيث قتل العدد من أتباعه في أوائل يونيو 1842م بمكان يعرف بقارة عبد الجليل[3].ذكر أحمد النائب ذلك بقوله: .. وتواقعوا ودارت بينهم حروب شديدة اختل فيها مصاف عبد الجليل وقتل الكثير من صناديد رجاله ولاذ بالفرار ولم يجد إليه سبيلا فلجأ لجبل صغير هنالك يعرف بالقارة مفلول الجناح عفواً باليأس فأحاطت به العساكر من جميع جوانبه وحوصر سبعة أيام، ثم صار الظفر به والقبض عليه وعلى أخيه سيف النصر وقتلا وبعث برأسه إلى طرابلس[4].

واستحدث أثناء ولاية محمد أمين باشا 1842 – 1847م نظاماً إدارياً جديداً وذلك بتقسيم الأيالة إلى ألوية وأقضية ومديريات، ووضع على رأسها موظفين موالين للسلطة العثمانية حتى

---

(1) اتوري روسي، مرجع سابق، ص364.
(2) بروشين، مرجع سابق، ص 277.
(3) اتوري روسي، مرجع سابق، ص365.
(4) أحمد النائب، مصدر سابق، ص 347.

يتمكن من ضرب من يقف ضدها، وخلال هذه الفترة قدم غومة إلى مركز الولاية معلناً الطاعة للدولة العثمانية خشية أن يواجه مصير عبد الجليل فأعلن الطاعة بقوله: .. اشهدوا عليّ يا أهل المشورة الخيرية أني بذلت نفسي ومالي وإصلاح نفسي بقدر طاقتي في خدمة الدولة العلية وطاعتها مادامت على قيد الحياة.. [1]. ورغم الاستقبال الجيد الذي حضي به إلا أنه سرعان ما ألقي القبض عليه ونفي إلى طرابزون بالبحر الأسود وفي رسالة موجهة إلى الوالي محمد أمين باشا جاء فيها: .. أما عن الشيخ غومة ورفاقه فقد أكدنا على والي طرابزون المشير عبد الله بأن يشدد الحراسة عليهم وبطول مكوثهم في المنفى ستنقطع أخبارهم وتسكن الفتن [2].

إن الأعمال الوحشية التي اقترفها القادة الأتراك في عهد الوالي محمد أمين باشا ضد الأهالي والزعامات، أجبرت العديد منهم للهجرة إلى البلاد المجاورة كتونس، والجزائر، ومصر، وقد قدر قنصل فرنسا عدد أولئك المهاجرين بثمانين ألف شخص [3].

وخلال حكم أحمد عزت باشا حدثت مشكلة بين طرابلس وفرنسا، أساسها هروب جنديين فرنسيين من الجزائر قدما إلى طرابلس وأعلنا إسلامهما، مما دعا القنصل الفرنسي بالمطالبة بهما، وحينما لم يجد استجابة لمطلبه قدم أسطولاً فرنسياً بقيادة دي لاسوس (**de lassus**) مهدداً أنه خلال أربعة وعشرون ساعة يجب تسليم الجنديين أو الحرب، وبتوسط من قنصل أسبانيا اضطر نائب الوالي بالاستجابة لذلك وتسليمهما [4].

لقد عمل الوالي أحمد عزت على تعزيز قواته حتى وصلت إلى 24 قطعة مدفعية، وزاد من أفراد الجيش، وضاعف عدد الحاميات، مما دفع القنصل الفرنسي بللسير دي رينود (**e. pellissier de reynaud**) أن يطلب في سبتمبر 1855م تبريراً حول تلك الحشود العسكرية، وحصل على رد مراوغ، جعله يصرح بأن فرنسا لن تسمح بتغيير الأوضاع القائمة في تونس [5]. وفي عهده أيضاً فرضت الحكومة المركزية ضريبة عرفت بالمعونة العمومية جبيت بثلاثة أضعاف ما قرر لها، ونتيجة لذلك التجأ في شهر سبتمبر 1852م أكثر من ألفين مواطن إلى قنصليات إسبانيا وفرنسا وإنجلترا هاتفين برفع الجور عنهم من قبل العثمانيين، والذين نصحوا بضرورة تقديم شكاوى إلى الباب العالي [6]، ونتيجة لذلك أصبح الوضع في طرابلس مهيأ للانتفاضة في أية لحظة.

---

(1) إقرار من الشيخ غومة المحمودي إلى الوالي يعلمه فيه استسلامه وخضوعه للدولة العثمانية بتاريخ 24 رجب 1258هـ/ 1842م وثيقة رقم 69 ملحقة بكتاب عمر بن إسماعيل، مرجع سابق ص 535.

(2) الوثائق العثمانية المجموعة الأولى، ترجمة محمد الأسطى، إعداد خليفة الدويبي، وهي عبارة عن رسالة إلى الوالي محمد أمين باشا حول فرار ميلود رفيق غومة من منفاه بطرابزون، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التارخية، وثيقة رقم 2، ص28.

(3) شارل فيرو، مرجع سابق، ص461.

(4) محمد ناجي، مرجع سابق، ص195.

(5) اتوري روسي، مرجع سابق، ص369.

(6) شارل فيرو، مرجع سابق، ص475.

وخلال انشغال الدولة العثمانية في حرب القرم عام 1855م/ 1271 هـ انتهز غومة المحمودي الفرصة، وفر من منفاه بطرابزون إلى تونس، ثم انتقل إلى الجبل الغربي[1]، إذ سرعان ما أعلن الثورة من جديد التي التف حولها أهالي الجبل، وحين خشي الوالي مصطفى نوري أن يستشري لهيبها، سارع في 26-6-1855م بالزحف على رأس حملة بهدف القضاء على الثورة في عقر دارها، إلا أن غومة ألحق هزيمة كبيرة بالجيش العثماني[2].

لقد حاول غومة المحمودي التصالح مع السلطة مراراً، إلا أن طلباته قوبلت بالرفض، مما اضطره للذهاب إلى باي تونس راجياً منه التوسط لدى الوالي والباب العالي ليمنحاه عفواً[3]. وسرعان ما انتقل الجيش العثماني من وضع الدفاع إلى الهجوم، وضيق الخناق على الثائر غومة ومحاصرته في وادي أوال وتم قتله في العاشر من رمضان 1274هـ/ 26 مارس 1858م[4].

وبالقضاء على أكبر ثورتين واجهت الحكم العثماني الثاني، انصرف بعض السولاة إلى محاولة تطوير الأيالة والقيام ببعض الإصلاحات بمبادرات فردية فعلى سبيل المثال اهتم محمود نديم باشا بغرس أشجال الزيتون، وفي عهده تحولت طرابلس من أيالة إلى ولاية بفرمان سلطاني، كما أسست مطبعة طبعت بها صحيفة طرابلس الغرب عام 1283هـ/ 1886م وهي أول صحيفة تصدر باللغة العربية، كما طبق الإصلاح الإداري بناء على قانون الولايات الصادر عام 1864م حيث أقر تقسيم الولاية إلى وحدتين إداريتين هما: ولاية طرابلس ومتصرفية بنغازي، وقسمت الولاية إلى متصرفيات وقائمقاميات ومديريات وضعت على رأسها موظفين موالين لها، وحددت رواتبهم والتي تتحملها ميزانية الدولة. ورغم النظام القضائي الذي أدخل في الولاية، إلا أن جهود السلطة الحاكمة في وضع القوانين موضع التنفيذ باءت بالفشل، وقد ظل تطبيقها محصوراً بالمدن الساحلية الكبيرة، بينما المناطق الداخلية ظل العرف العشائري هو السائد بين السكان. أما رعايا الدول الأجنبية فقد خضعوا إلى قوانين الامتيازات الأجنبية، فالمحاكم القنصلية هي التي لها الحق بالنظر في القضايا المختلفة لرعاياها. كما طبق قانون الأراضي الصادر عام 1864م وقد ساعد هذا القانون على تدعيم السلطة، وإنعاش الحياة الزراعية في الولاية. وأسست على عهد الوالي علي رضا منطقتي البومبة وطبرق وبني بهما قصرين للحكومة، ووزع الأراضي على الأهالي وأعفاهم من الضرائب في محاولة منه لتعميرهما[5]. أما الوالي حافظ باشا فأنشأ المصرف الزراعي، وألغى الامتيازات التي تمتع بها علية القوم، وطائفة القول أغلية، وأنشأ مدرسة الفنون والصنائع، ومدارس ابتدائية بمناطق الولاية المختلفة، ودار للمعلمين. وعلى عهد الوالي مصطفى باشا، سعت الولايات

(1) أحمد النائب، ص362.
(2) بروشين، مرجع سابق، ص289.
(3) أحمد النائب، مصدر سابق، ص364.
(4) محمد احمد الطوير، مقاومة الشيخ غومة المحمودي للحكم العثماني في إيالة طرابلس الغرب 1835 – 1858م، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس ليبيا، ص291.
(5) أحمد النائب، مصدر سابق، ص378.

المتحدة الأمريكية بالحصول على موطأ قدم في طرابلس، وحاول قنصلها الضغط في هذا الاتجاه إلا أن محاولاته باءت بالفشل.

وخوفاً من التوسع الفرنسي بطرابلس بعد احتلالها تونس عام 1881م عمل الوالي محمد نظيف على إقامة معسكرات على طول الحدود مع تونس لحفظ الأمن والدفاع ضد القوات الفرنسية إذا ما فكرت في احتلال طرابلس.

والحقيقة أن التنافس الأنجلو فرنسي ازداد حدة منذ احتلال فرنسا للجزائر عام 1830م لذلك سعت إنجلترا إلى العمل على التوسع في أفريقيا عن طريق طرابلس، وقد أخذ (وارنجتون) قنصلها بطرابلس على عاتقه العمل على إبطال تجارة الرقيق بالولاية كستار ومنفذ لتحقيق تلك السياسة، مع السعي لدى الباب العالي بالموافقة لفتح قنصليات لدولته في مناطق متعددة من الولاية، خاصة المناطق الداخلية كغدامس ومرزق... وغيرهما وتحقق ذلك حينما سمح لها بفتح قنصلية في مرزق عام 1843م وعين (قاليوفي) نائباً للقنصل بها، ورغم أنه قدم لمحاربة تلك التجارة، إلا أن الرحالة الذين زاروه أشاروا إلى تورطه فيها [1]. كما كثفت إنجلترا من بعثاتها العلمية إلى أفريقيا عبر طرابلس، بهدف جمع معلومات اقتصادية واجتماعية عن الأماكن التي يزورونها لمعرفة كيفية التعامل مع شعوبها بعد احتلالها [2].

إن هذا المد الأوربي قوبل بالرفض من بعض الطرق والحركات الصوفية التي رفضت التعامل معه لغرض إثبات هويتها، ومن تلك الطرق التي ظهرت بالمنطقة الحركة السنوسية، والتي وجدت في طرابلس الغرب الفراغ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني ملاذاً لإثبات ذاتها، فوقفت ظاهرياً موقف العداء ضد الحضارة الغربية ورفض كل ما هو أجنبي، وحاولت التعامل مع الزعامات الذين وجدوا عن طريقها الوسيلة للإثراء السريع والدفاع عن مصالحهم الطبقية بفضل المد الديني الذي تنتهجه.

إن الوضع العام الذي كانت تعيشه طرابلس الغرب، والممارسات المجحفة من سلب ونهب واعتداء على الحريات والنظرة المتعالية من العثمانيين للأهالي خلق ضغوطات أفرزت حركات نادت بالإصلاح التحديث في الولاية، كما نادى بعضها بضرورة إثبات القومية العربية كهوية لسكانها ووجوب وقوفها نداً للقومية التركية.

وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر لقيت فكرة البعث القومي العربي انتشاراً في البلاد العربية، وهي كانت مرتبطة بفكرة القومية العربية، وزادت الصحوة الاجتماعية بازدياد النشاط

---

(1) أغلب الرحالة الذين زاروا مرزق من أمثال جيمس ريتشاردسن، والرحالة ناختجال وغيرهما أكدوا تورط قاليوفي في تلك التجارة.

(2) انظر على سبيل المثال كتاب رحلتان عبر ليبيا من منشورات دار الفرجاني، وكذلك كتاب ترحال في الصحراء لجيمس رتشاردسن من منشورات جامعة قاريونس.

الثقافي وبعث اللغة العربية ظهور الأدب العربي الحديث، وانتشار أفكار التنوير، واستحداث أسس الفكر الاجتماعي التي أصبحت مناقضة للنظم التقليدية والتي أثارها التعرف على التقدم العلمي الأوربي.

إن تلك الأفكار لم تكن بعيدة عن طرابلس الغرب برغم تواضعها، وعدم تأثيرها في مجتمع تقليدي بحث، وأن الأفكار القومية لم تلق انتشاراً مع حاملي الأفكار المعادية للاستعمار، إلا أن تزايد خطر الاستعمار الأوربي أجبرهم على اتخاذ موقف المصالحة مع أفكار الجامعة الإسلامية للدولة العثمانية، تلك الجامعة التي أخذت مع بداية القرن العشرين تفقد توجهها المعادي للاستعمار.

وبعد الاحتلال الفرنسي لتونس 1881م والإنجليزي لمصر عام 1882م، وضعف الدولة العثمانية وعدم مساعدتها للبلدين أيقن ممثلي الانبعاث العربي بولاية طرابلس أنه يجب العمل دون انتظار أية مساعدة من الدولة العثمانية. وخلال عام 1883م التقى مجموعة من الشباب قدر عددهم بالعشرة أسسوا جمعية سرية، وضعوا لها ميثاقا وبرنامجا، واتخذوا لها مقراً، وكان من أولويات أهدافها حث السكان على الوقوف متحدين في وجه الخطر الأوربي. وقد أطلق على برنامجهم تسترا (فوائد ونصائح خيرية)[1]. فقد أوضحت الفائدة الرابعة عشر.. لا يتم حسن حال الوطن إلا بعد إصلاح المكاتب الأهلية وإدخال كافة أطفال الأهالي فيها بالطريقة الجبرية كما هو جاري في فرنسا وغيرها[2]..

وتشير محاضر التحقيق إلى أن المؤسسين الفعليين لهذه الجمعية ثلاثة أشخاص كانوا تحت تأثير أفكار رواد النهضة العربية ومنظريها من أمثال جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي وهؤلاء هم:

أحمد النائب الأنصاري الذي كان يشغل رئيس بلدية طرابلس وعلى علاقة وطيدة مع الوالي أحمد راسم، وكان من المثقفين القلائل بالولاية وهو صاحب كتاب المنهل العذب.

أما الشخص الثاني فهو حمزة ظافر المدني ارتبط مع أحمد النائب بعلاقات المصاهرة، وكان قائماً على زاوية الأسرة والمدرسة التابعة لها بطرابلس.

أما الشخصية الثالثة إبراهيم سراج الدين قدم من المدينة المنورة حديثاً، زار العديد من البلاد كالهند ومصر وتونس والجزائر، كان واسع الثقافة. امتهن بيع الكتب، وقد انسجم مع زميليه وطرح عليهما فكرة إنشاء تلك الجمعية التي بدأت نشاطها باستخدام أسلوب لم يكن معهوداً من قبل لنشر أفكارها وهو استغلال خطبة الجمعة فقد أعدت بعض الخطب وكلف إمام جامع الناقة

(1) د.م.ت.ط، محاضر التحقيقات مع المتهمين في هذه القضية.
(2) نفس المصدر، ملف إبراهيم سراج الدين.

بإلقائها يوم الجمعة حيث لاقت استحساناً من قبل المتلقين، لأنهم سمعوا كلاماً لم يألفوه من قبل. وبانكشاف نشاط هذه الجمعية لدى السلطة، وقلق قناصل الدول بطرابلس منها، بدأ وضع أعضاؤها تحت المراقبة الأمنية وكتابة التقارير عنهم والتي لا شك فيها أنها تقارير مبالغ فيها مما عجل بالسلطات من إلقاء القبض عليهم، وبعد التحقيق معهم حكم على أحمد النائب، وحمزة المدني بالنفي إلى إستانبول، أما إبراهيم سراج الدين فحكم عليه بالإعدام [1].

ورغم أن الحركة لم تعمر طويلاً، إلا أن أفكارها ظلت لها تأثير لسنوات، حيث جاء فيما بعد سليمان الباروني وهو يعد من أوفر رجال النهضة العربية شهرة في طرابلس، فقد انتقل لتلقي العلم بين مصر والجزائر، وبعد عودته ألقي القبض عليه وأدخل السجن بتهمة الإعداد لمؤامرة فصل طرابلس عن حاضرة الدولة العثمانية، إلا أن السلطات سرعان ما أطلقت سراحة ولكن وضع تحت المراقبة مما اضطره للسفر إلى مصر حيث أصدر صحيفة الأسد الإسلامي، ورغم إغلاق هذه الصحيفة إلا أنه واصل نشاطه الثقافي باعتباره أحد المفكرين لحركة النهضة العربية في ولاية طرابلس الغرب [2].

لقد شارك القوميون الطرابلسيون بالدرجة الأولى في نشاط الخلايا المنظمة الرائدة للشبان الأتراك (جمعية الاتحاد والترقي) حيث ظهرت أولى خلايا هذه الجمعية في طرابلس والخمس وجادو.. وغيرها من مدن طرابلس، وكان سليمان الباروني ممثلاً لهذه الأخيرة.

وقد استفاد القوميون من حرية الصحافة، فأصدروا العديد من الصحف وصلت قبل العدوان الإيطالي إلى 12 صحيفة. ومن أهمها صحيفة الترقي التي تصدر أسبوعياً في ألف نسخة، وصحيفة العهد الجديد صاحبها محمد علي الباروني وهو قومي من أنصار الإصلاح، وقد تجمع حولها الشبان ذوي الثقافة العلمانية. وصحيفة الكشاف لصاحبها محمد أحمد النائب. وبعد إعلان دستور الشبان الأتراك صدرت صحيفة أبي قشة في 1200 نسخة لصاحبها الهاشمي أبو قشة التونسي الذي هاجر إلى طرابلس، وقد اتبع الأسلوب النقدي الهزلي في مواضيعها حيث نوقش على صفحاتها التوسع الاقتصادي والسياسي للاستعمار الأوربي. وفي عام 1910م صدرت صحيفة المرصاد لفضح السياسة الاستعمارية الأوربية في شمال أفريقيا، وغيرها من الصحف الأخرى.

وجهت تلك الصحف انتقادها إلى النشاط الإيطالي المتزايد بالولاية، ولموظفي السلطة بها وعلى رأسهم الوالي حسن حسني 1909 – 1910م الذي كان مؤيداً للأنشطة والتوسعات والطموحات الاستعمارية الإيطالية بطرابلس.

---

(1) نفس المصدر، محاضر التحقيقات ومنطوق الحكم.
(2) بروشين، مرجع سابق، ص367.

خامساً: الاحتلال الإيطالي لولاية طرابلس الغرب 1911م:

لا يختلف الاحتلال الإيطالي لليبيا بشكل عام عن الغزو الأوربي للبلاد العربية وإن اختلفت الوسائل والأدوات التي سلكتها كل دولة تجاه الدول التي رغبت في استعمارها، فموقع طرابلس الإستراتيجي الذي يربط بين الشمال والجنوب جعلها محط أنظار الدول الأوربية لتنفذ من خلالها إلى أوساط أفريقيا.

لقد أسهم الرحالة الإيطاليون بدور هام وخطير في التمهيد للغزو الإيطالي، حيث قدم العديد منهم إلى طرابلس كالدكتور أ. شرفيللي (**A. cervilli**) وديلا شيلا (**d. della cella**)، وكامبيرو مانفيردو (**camperi manfreedo**) وغيرهم[1]. وقد لُخص نشاط أولئك الرحالة في تقرير أعده أنتوني كاكيا بقوله: .. وعلى الرغم من قرب هذه البلاد منا، والمصالح التجارية واللأركيولوجية التي جب أن تمثلها لنا فقد كان عدد الإيطاليين الذين جعلوها هدف رحلاتهم أقل بكثير من عدد الألمان والإنجليز والفرنسيين، إننا نضيع وقتنا وأنفسنا بالثرثرة بينما يعمل غيرنا ويكد [2].

وأمام هذا التنوير وضعت الدولة العثمانية حدا للتغلغل الإيطالي في طرابلس بالسماح لبعثات الدول الأوربية الأخرى بزيارة الولاية وفتحت لهم الباب على مصراعيه لخلق توازن معها حتى لا تدعي إيطاليا بحقها بالانفراد بالإقليم.

وحسب تقرير القنصلية الإيطالية لعام **1881**م ذكرت فيه أن الجالية الإيطالية بطرابلس لا تتعدى المائة وخمسون عائلة معظمهم من توسكانيا (**toscana**)، ونابولي (**napoli**) [3]. وبعد الاتفاق الودي في أبريل عام **1904**م، والذي حددت فيه الدول الأوربية نصيب إيطاليا في الممتلكات العثمانية كثر عدد تلك الجالية حيث وصفها الرحالة كامبيرو بأنها قوية لها مؤسساتها الثقافية والتجارية والصناعية [4].

لقد أكدت إيطاليا تواجدها اقتصادياً داخل طرابلس حينما فتحت فرعاً لمصرف روما (**banco di roma**) عام **1905**م[5]، وإن كانت أعماله لم تبدأ إلا في عام **1907**م[6]، ولم تمض ثلاث سنوات على عمله بطرابلس حتى بلغ حجم استثماراته مائتي وخمسة وأربعون مليون ليرة إيطالية

---

(1) اتيليو موري، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا، تعريب خليفة محمد التليسي، دار الفرجاني، طرابلس 1971م، ص90-100.

(2) ليبيا خلال الاحتلال العثماني 1835-1911م، دار الفرجاني طرابلس ليبيا، 1975م، ص174.

(3) د.م.ت.ط.، محفوظات القنصلية الإيطالية، تقرير القنصلية لعام 1881م.

(4) خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية للكتاب، طرابلس تونس 1974م. ص200.

(5) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، دار الفتح، بيروت 1970م، ص31.

(6) عقيل البربار، نشاط مصرف روما، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، السنة الرابعة العدد الثاني، ص239.

بالإضافة إلى المصانع كعصر الزيوت، وطحن الغلال. وقد كفت صحيفة الترقي الأبعاد الخطيرة للمصرف الذي يحاول خداع الأهالي بحقيقة أعماله [1].

وقد أكد العديد من الباحثين على دور المصرف في تحريض حكومته بالإسراع باحتلال طرابلس، وذلك عن طريق الصحف التي يمتلكها مثل إيطاليا (**giornale di ltalia**) وصحيفة الصباح (**mattino**)[2].

لم تتصدى الدولة العثمانية للتغلغل الإيطالي بطرابلس، بينما وقف بعض الأهالي والولاة كرجب باشا، وإبراهيم باشا بتحريض السكان على عدم بيع الأراضي لمصرف روما، مما جعل الحكومة الإيطالية تسعى جاهدة إلى إبعاد المناوئين لسياستها في طرابلس.

لقد تزامن التمهيد السلمي لاحتلال طرابلس مع سعيها للحصول على موافقة الدول الأوربية بالسماح لها بالإقدام على تلك الخطوة، وكان لها ذلك بعد اتفاقات مع تلك الدول [3].

وبعد أن استكملت إيطاليا استعداداتها الدبلوماسية قررت احتلال طرابلس بالقوة، فوجهت إنذارا للحكومة العثمانية بضرورة التخلي عن طرابلس موقع من قبل وزير خارجيتها سان جوليانو بتاريخ 27 سبتمبر **1911**م. فردت الحكومة العثمانية على الإنذار ما نصه. إن طرابلس الغرب ولاية عثمانية لا يتخلى عنها الباب العالي بأي حال من الأحوال، والطليان المقيمون بها لا خطر عليهم البتة ولا لزوم إلى إرسال جنود إيطالية إليها فإن حماية الطليان فيها من واجبات الحكومة العثمانية، كما أنه لا خوف على مصالح الطليان التجارية [4]. وعلى أثر ذلك أصبحت طرابلس محاصرة من قبل الأسطول الإيطالي الذي بدأ بقصفها يوم 3 أكتوبر **1911**م، واستمر حتى الخامس منه، ثم بدأت القوات في النزول، حيث قدرت القوات الإيطالية في مرحلتها الأولى **1732** جنديا وسرعان ما توزعت في الأماكن الاستراتيجية خاصة حول مصادر المياه، ثم دعمت بقوات برية يومي **11**، **12** أكتوبر بقيادة كانيفا.

ورغم المقاومة العنيفة التي خاضها المجاهدون في معارك عديدة مثل معركة شارع الشط والهاني.. وغيرها، إلا أنه ما إن انتهى شهر أكتوبر من نفس العام، حتى تم احتلال معظم المدن الساحلية. وعلى أثر تلك الانتصارات للإيطاليين أصدرت مرسوماً ملكيا في **1911/11/5**م بضم طرابلس وبرقة إلى التاج الإيطالي. وفي الوقت الذي لاقى هذا المرسوم ارتياحاً في الأوساط الإيطالية، قوبل بالرفض والاستنكار من قبل الليبيين والأتراك. لأنه كان يهدف إلى الضغط على تركيا ووضعها أمام الأمر الواقع بالتنازل على ليبيا [5]، إلا أن ذلك زاد المجاهدون إصراراً على مواصلة القتال

---

(1) د.م.ت.ط.، جريدة الترقي، العدد 191 لسنة 1908م ص1 العمود الأول.

(2) محمد عبد الكريم الوافي، الطريق إلى لوزان، دار الفرجاني، طرابلس 1977م ص47.

(3) وليم. س. اسكيو، أوربا والغزو الإيطالي لليبيا، نقله إلى العربية ميلاد. أ. المقرحي، منشورات جامعة قاريونس بنغازي ليبيا 2003م، ص41-46.

(4) الطاهر الزاوي، مصدر سابق، ص55.

(5) باولو مالتيزي، ليبيا أرض الميعاد، تعريب عبد الرحمن العجيلي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1980م، ص249.

رغم كثافة الهجمات على مواقعهم مما أجبرهم على التراجع حتى عين زاره التي تم احتلالها في 4 ديسمبر 1911م وبالتالي انسحب المجاهدون إلى الجنوب ووصف أحد المراسلين المعارك بقوله. إن القتال حول مدينة طرابلس قبيل نهاية العام المنصرم كان يمثل في الواقع معركة واحدة طويلة استمرت من السادس من أكتوبر وحتى الرابع من ديسمبر عندما تمكن الطليان من الوصول إلى عين زاره [1].

لقد حاولت إيطاليا قطع خطوط إمدادات المجاهدين التي كانت تصلهم من المناطق الداخلية كترهونة وغريان، إلا أن المجاهدين ألحقوا خسائر فادحة بقواتها وأجبروها على التراجع إلى عين زاره.

عمت حركة المقاومة كل البلاد وتحسن أداؤها على كافة جبهات القتال خاصة مع بداية عام 1912م بوصول المساعدات العربية والإسلامية عن طريق تونس ومصر، الأمر الذي رفع من معنوياتهم، وتحسن مستوى تدريبهم، وضاعفوا من تصديهم للقوات الإيطالية، واقتحامهم لمعسكراتها في العديد من المناطق التي قامت بها معارك في قرقارش حول طرابلس، والمرقب بالخمس، والمفصل بطبرق، وسيدي عبد الله بدرنة، والنخلتين ببنغازي.

لقد أكد صمود وتصدي المجاهدين بوضوح فشل القوات الإيطالية في تحقيق أهدافها، الأمر الذي جعلها تغير من استراتيجيتها العسكرية خارج ولاية طرابلس، فكثفت هجماتها على الموانئ اليمنية في البحر الأحمر، واحتلت بعض الجزر التركية في بحر إيجة، وهددت الموانئ التركية نفسها، وحاولت غلق المضايق المائية لتثير الدول صاحبة المصلحة للتدخل بالضغط على تركيا وجرها إلى طاولة المفاوضات [2]. أما على المستوى الداخلي فقد أقرت من جديد وأكدت على مرسوم الضم في 28 فبراير 1912م، كما حاولت تدعيم موقفها العسكري في طرابلس وحركت قواتها في اتجاهات مختلفة محاولة منها تحقيق بعض الانتصارات لتظهر أمام تركيا أنها قادرة على التصدي داخل الولاية وخارجها، إلا أن كافة التحركات قوبلت بهجمات مضادة [3].

لقد رضخت تركيا إلى الضغوط الإيطالية والدولية وأجبرتها على الجلوس إلى طاولة المفاوضات وعقد صلح أوشي لوزان معها تم بموجبه تنازل تركيا عن ليبيا، وانسحابها من ميدان القتال على أثر ذلك أصدر السلطان محمد رشاد فرماناً يقضي بمنح طرابلس حكماً ذاتياً في 16 أكتوبر 1912م، قبل يومين من توقيع الاتفاق بينهما. وبهذا الاتفاق اعترفت الدول الأوربية بالسيادة الإيطالية على ليبيا بمجرد نشر بنوده [4].

---

(1) فرانسيس ماكولا، حرب إيطاليا من أجل الصحراء، مشاهدات المراسل الحربي البريطاني مع الإيطاليين في طرابلس، ترجمة عبد المولى صالح الحرير، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 1991م، ص163.

(2) ز.ب. ياخيموفتش، الحرب التركية الإيطالية 1911-1912م ترجمة هشام صالح التكريتي، منشورات الجامعة الليبية كلية الآداب 1970م، ص144.

(3) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال، مصدر سابق، ص159.

(4) باولو مالتيزي، ليبيا أرض الميعاد، مرجع سابق، ص489.

ونتيجة للصلح، وانسحاب القوات التركية من طرابلس بعد عقد مؤتمر العزيزية 21-10-1912م ضم الزعامات وقائد القوات التركية نشأت باشا، نوقش فيه استمرارية الجهاد من عدمه، لتباين الآراء، قسم يرى ضرورة الاستمرار في التصدي للغزاة وتحقيق الاستقلال الذي نص عليه المرسوم السلطاني، وكانت حجتهم ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وقسم ثان رأى ضرورة السير في العملية السلمية والعيش مع الإيطاليين، وكانت حجتهم أن تركيا الدولة التي تملك جيشاً وأسلحة عجزت عن مقاومة الإيطاليين وعليه فعملية المقاومة مجازفة بالشعب الليبي. وقد استغل الإيطاليون هذا الانقسام باستخدام سياسة فرق تسد، ومحاولة استقطاب بعض الزعامات التي تسير في هذا الاتجاه[1].

أما الوضع في المنطقة الشرقية (برقة) فقد رأى القائد التركي أنور باشا ضرورة التصدي للعدوان الإيطالي، كما سمح للضباط الأتراك الذين لا يرغبون في مواصلة القتال بالعودة إلى تركيا، واستمر على رأس المقاومة حتى سلم القيادة لأحمد الشريف، الذي التف حوله زعماء المنطقة، واستطاع أن يسد الفراغ السياسي والعسكري الذي تركه أنور باشا، عكس المنطقة الغربية التي تعددت فيها الزعامات، مما كان له أثر واضح على سير حركة الجهاد.

لقد عملت جبهة الرفض في المنطقة الغربية على عدم الاستسلام للعدو الإيطالي بل واصلت التصدي له، وأخذت على عاتقها تنفيذ المرسوم السلطاني الذي صدر بمنح ولاية طرابلس استقلالها وذلك بإصدار المناشير وتوزيعها، والاتصال بالدول الأوربية للحصول على اعتراف بذلك، كما كثفت الجبهة هجومها على المناطق التي استسلمت للإيطاليين مما زاد من قوتها الأمر الذي خشيه الإيطاليون، مما جعلهم يعدون العدة للقضاء على المقاومة، وتم لهم ذلك في معركة جندوبة 23 مارس 1913م التي خسرها المجاهدون، حيث حقق الإيطاليون على أثرها سيطرة كاملة على المنطقة الغربية.

وعلى أثر هذه المعركة انقسم المجاهدون إلى ثلاثة أقسام، قسم هادن العدو واستسلم له، وفريق ثان هاجر إلى تونس وعلى رأسه سليمان الباروني ومحمد سوف وقسم ثالث آثر الانسحاب نحو القبلة بقيادة محمد بن عبد الله اليوسفي[2].

وواصل الجيش الإيطالي بقيادة العقيد مياني زحفه لاحتلال فزان وذلك لحماية قواته بالجبل، وقد اصطدمت تلك القوات بالمجاهدين في العديد من المعارك مثل معركة الشب 10-12-1913م، معركة أشكدة 13-12-1913م، ومعركة المحروقة 24-12-1913م والتي من نتائجها استكانة بعض المجاهدين للعدو، وقسم انسحب إلى رمله الزلاف انتظاراً للانقضاض عليه، وفريق ثالث هاجر بعيداً عن ساحة المعارك.

---

(1) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال، مصدر سابق، ص162.
(2) المصدر نفسه، ص177.

ورغم انتصارات العدو المتلاحقة إلا أن المجاهدين بعد هزيمتهم في المحروقة اتبعوا أسلوباً جديداً لمواجهته، حيث بدأوا ينتشرون في مجموعات صغيرة تتجمع بالقرب من الأماكن التي يحتمل أن يتواجد بها، وقد استطاعوا بها مفاجأته في العديد من الأماكن، وقطع خطوط إمداداته وتحقيق انتصارات عليه كانت سبباً في تأجج لهيب الثورة من جديد، تمكن المجاهدون بعدها من تحقيق نصر كبير في معركة القاهرة بسبها 28-29 نوفمبر 1914م، والتي كانت سبباً في خروج الإيطاليين من فزان [1].

أما برقة فالوضع اختلف فيها عن طرابلس فالمجاهدون خضعوا لقيادة واحدة تمثلت في شخص أحمد الشريف الذي يدين له الجميع بالولاء، وأنه رفض الاستسلام للعدو، وواصلت قواته تصديها له، مما جعل القوات الإيطالية تكثف من عملياتها العسكرية فنجحت في احتلال بنينة، وأبو مريم، والأبيار، وطوكرة، وجردس العبيد (الأحرار)، إلا أن تلك الانتصارات لم تؤثر في معنويات المجاهدين بل كانوا يهاجمونه ويحققون عليه انتصارات، مثل معركة سيدي كريم القرباع 1913م التي تعد من المعارك الحاسمة، التي تكبد فيها الجيش الإيطالي خسائر فادحة في الجنود والعتاد وأعطت المجاهدين قوة معنوية كبيرة جعلتهم يواصلون العمليات الحربية منتهجين فيها أسلوب حرب العصابات مما أربك قواته.

لقد تأججت ثورة أخرى تزامنت مع ثورة فزان شملت منطقة جنوب غرب طرابلس، نالوت ـ غدامس استطاع المجاهدون فيها تحقيق انتصارات على قوافل إمدادات العدو وثكناته، وألحقت به خسائر فادحة في الأرواح والعتاد والمؤن، وقد برز في تلك المواجهات العديد من الزعامات الذين كانوا يوجهون ويقودون المجاهدين من أمثال: خليفة بن عسكر، وأحمد بن غريبي، وعلي القريد وغيرهم كثير.

أراد العقيد مياني الثأر لهزيمته في معركة القاهرة بسبها وتقليص انتشار قواته في مناطق محددة، فجهز حملة انطلقت من مصراته وترهونة، وبني وليد ومسلاته، وقماطه، وزليطن، وساحا الأحامد تألفت من جنود إيطاليين وإرتريين، ومجندين ليبيين بقيادة زعماء القبائل، جُهزت تجهيزاً عسكرياً كاملاً، وقد التقت تلك القوات بالمجاهدين في 28-29 أبريل 1915م عند القرضابية بالقرب من سرت، وخلال المعركة انقلب المجندون الليبيون ضد القوات الإيطالية باتفاق مسبق مع المجاهدين مما أربك العدو، وسبب في هزيمته، وقتل عدد كبير من جنوده وضباطه منهم إصابة مياني بجرح في يده وعنقه [2]. وقد أثبتت هذه المعركة وحدة الصف الوطني من الشرق والغرب وأن الكفاح ضد الإيطاليين هدفه، كما اعتبرت هذه المعركة نكسة للعدو الذي انحسر وجوده بعدها في نقاط ساحلية محددة، كالخمس وطرابلس وزواره، نتيجة لحركة التطهير التي قادها المجاهدون ضد القوات الإيطالية المتواجدة في المناطق المختلفة [3].

---

(1) أحمد مدلل ـ الموقف الوطني وأثره في عملية التقهقر الإيطالي من قاهرة إلى القرضابية نوفمبر 1914 – أبريل 1915م، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911 ـ 1943م الجزء الثاني، تأليف مجموعة من الأساتذة، ص128 – 133.

(2) أحمد مدلل، مرجع سابق، ص 147 - 156.

(3) الطاهر الزاوي جهاد الأبطال، مصدر سابق ص 214 – 225.

استغل الأتراك انتصارات المجاهدين لضرب قوات الحلفاء في مصر خلال الحرب العالمية الأولى، حيث أصدر السلطان العثماني فرماناً بتعيين أحمد الشريف نائباً له في شمال أفريقيا، وخوله العديد من الصلاحيات[1]. وطُلب منه مهاجمة القوات الإنجليزية من الخلف في مصر، رغم محاولة القيادة الإنجليزية الاتصال به، وأمنته بالاعتراف به سياسياً مقابل تغاضيه عن ذلك. فقد كان أحمد الشريف أصلاً غير راض على ضرب القوات الإنجليزية لسبب أن الأراضي المصرية كانت المصدر الوحيد لتموينات العسكرية والغذائية ومما قاله في هذا الصدد: .. وأني أصرح لك بأنه لا سلاح ولا مال ولا أرزاق كافية لدينا وأنا ليس فيّ أن أحارب الإنجليز.[2]، إلا أن الضغوط التركية جعلته يهاجم القوات الإنجليزية في شهر نوفمبر 1915م بإصدارها أوامر باسمه دون علمه فوجد نفسه متورطاً في الحرب معها، التي تمكنت من هزيمته وطرد المجاهدين من مصر. وكان من نتائج تلك الهزيمة انقطاع الإمدادات بسبب محاصرة الحدود المصرية من قبل الإنجليز، وعدم السماح له بالعودة إلى برقة، وتوقف حركة الجهاد ضد الإيطاليين في برقة 1915 – 1923 واستلام قيادة جديدة للمنطقة الشرقية هادنت واعترفت بالعدو، وهو إدريس السنوسي.

لقد أُستقطب إدريس من قبل القوات الإنجليزية في مصر أثناء ذهابه لأداء فريضة الحج والعودة منه على ظهر سفينة إيطالية حيث قابل في مصر الملك حسين كامل، ورجال الحماية البريطانية مثل المندوب السامي هنري مكماهون، والقائد العام جون ماكسويل، واللورد كتشنر، وغيرهم. ولعل أثناء اللقاءات معه أقنعوه بالوقوف ضد سياسة ابن عمه التركية، وحثه على عدم مهاجمة القوات الإنجليزية في غرب مصر، ومهادنة الإيطاليين، مقابل الاعتراف بزعامته. وأثناء لقائه بابن عمه أظهر له عدم رضاه على قيامه بأعمال حربية ضد القوات الإنجليزية في مصر مما كان سبباً في خلافهما على أثره توجه إدريس إلى الجبل الأخضر ومنه إلى غرب برقة، وقد ساعدته الظروف التي مرت بها المنطقة خلال 1916 – 1917م على نمو سلطاته مما اضطر ابن عمه أحمد الشريف إلى ترك القيادة له، حيث اتخذ من مدينة إجدابيا عاصمة له[3].

كان إدريس مرناً في تعامله مع الإنجليز والإيطاليين حيث عقد معهم عدة اتفاقيات، كالرجمة، وعكرمة، والزوتينة، نصت كل بنودها لصالح العدو، فعلى سبيل المثال نص البند الثالث من اتفاقية الزوتينة الموقعة في 14 أبريل 1917م على. أن السيد محمد إدريس يتعهد بأنه عندما يصبح الاتفاق معمولاً به يحيط علم الحكومة الإيطالية بمواقع قوات أدواره، وإذا تألفت قوة مسلحة غيرها بدون مسوغ، فيكون للحكومة الإيطالية كل الحق في مهاجمتها[4].

---

(1) الطيب الأشهب، برقة العربية أمس واليوم، القاهرة، ص312.
(2) محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي القاهرة 1954م، ص165.
(3) افانز برتشارد، السنوسيون في برقة، ترجمة عمر الديراوي أبو حجلة، دار الفرجاني، طرابلس 1968م، ص 206 وما بعدها.
(4) سامي حكيم، حقيقة ليبيا، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1970م ص339.

ومما جاء في مقدمة اتفاقية الرجمة . بما أن الحكومة الإيطالية قد عرفت بالتجربة عناية السيد محمد إدريس السنوسي في السعي معها وراء راحة البلاد ورفاهية أهلها وانتظام شؤونها ورقيها فإنها تمنحه رتبة الأمير السنوسي [1].

ومن الأحداث الجارية ونصوص تلك الاتفاقيات، يتضح أن إدريس لم يقم بإطلاق رصاصة واحدة ضد العدو، بل من الواضح أنه كان مهيئاً مسبقاً للتفاوض نظير الاعتراف به كأمير للمناطق المسيطر عليها وتحت الراية الإيطالية.

وكما في المنطقة الشرقية حاولت تركيا استغلال الموقف وإصدار فرمان سلطاني بتعيين سليمان الباروني واليا على طرابلس، الذي عمل على إعادتها إلى الحظيرة العثمانية، والمصالحة بين الزعماء، والتعريف بالقضية الليبية في الخارج.

وقد اتسمت هذه المرحلة بالجمود في العمليات العسكرية وذلك لانشغال إيطاليا بعملياتها العسكرية في أوربا أثناء الحرب العالمية الأولى، وبذلك هدأت حدة المعارك في كل من مصراته وترهونة وبني وليد، وانحسرت في المنطقة الغربية بقيادة سليمان الباروني.

ومع نهاية الحرب العالمية الأولى بدأ الزعماء يفكرون في إنشاء هيئة، أو مؤسسة تملأ الفراغ السياسي الذي تركه العثمانيون فكانت الجمهورية الطرابلسية.

الجمهورية الطرابلسية نوفمبر 1918م:

اعتبرت أول جمهورية في تاريخ العرب الحديث والمعاصر جاءت فكرة تأسيسها بعد سقوط تركيا في الحرب العالمية الأولى وتوقيعها اتفاقية الهدنة مع الحلفاء في **31** أكتوبر **1918**م [2]، وفي **10** صفر **1337** هـ / **16** نوفمبر **1918**م اجتمع زعماء طرابلس بمسجد المجابرة بمدينة مسلاتة لتنفيذ فكرة إنشاء حكومة وطنية، حيث لاقت نجاحاً كبيراً وسميت بالجمهورية الطرابلسية، وانتخب رمضان السويحلي، وسليمان الباروني، وعبد النبي بلخير، وأحمد المريض أعضاء لها [3]. كما انتخب مجلساً للشورى يتكون من أربعة وعشرين عضواً برئاسة الشيخ محمد سوف يمثلون مختلف المناطق، وانتخب مجلساً شرعياً لها [4]. واختيرت العزيزية مركزاً لها.

لقد أبلغ مجلس الجمهورية قناصل الدول الأجنبية بقرار الإنشاء، أما البلاغ الموجه إلى الحكومة الإيطالية ونقله وفد برئاسة مختار كعبار طلب فيه من القيادة الإيطالية وقف جميع العمليات العسكرية والاعتراف بحكومة الجمهورية كدولة مستقلة، الأمر الذي رفضته الحكومة الإيطالية، وبذلك أصبحت المواجهة حتمية خاصة بعد أن استمالت إيطاليا إليها قائد قوات المجاهدين عبد القادر الغناي الذي كان في صفها، مما مكن الإيطاليون من احتلال المنطقة الممتدة بين زواره

(1) المرجع نفسه، ص343.
(2) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال، مصدر سابق، ص321.
(3) نفس المصدر، ص323.
(4) نفس المصدر، ص325.

وطرابلس في أول يناير 1918م وخاض المجاهدون ضدها معارك كبرى أهمها معركة جنزور 2يناير 1919م، ومعركة رأس الغولة 8-10 فبراير 1919م، مما أجبر الحكومة الإيطالية إلى التفاوض مع الطرابلسيين في يوم 10 مارس 1919م تعمد الزعماء عدم حضور هذا الاجتماع محاولة منهم للعب بأعصاب العدو بحيث يكونوا متهيئون نفسياً أثناء بدء المفاوضات ويرضخون لمطالب المجاهدين [1].

وقد عقد أول اجتماع في 3 أبريل بمكان عرف بخلة الزيتونة استمر لعدة أيام تمخض عنه وقف العمليات العسكرية بين الجانبين، ووضع القانون الأساسي الذي وافق عليه الطرفان في أول يونيو 1919م [2]. وقد اعتبر بعض الإيطاليون ذلك القانون استسلاماً غير مشروط من قبل حكومتهم [3]. أما على المستوى المحلي واحتفالاً بهذا الاتفاق فقد دخل الزعماء صحبة قواتهم إلى طرابلس في أول سبتمبر 1919م. مستقبلين بالزغاريد والأهازيج بالقول: (ينصر جيش الجمهورية * اللي خلا الطليان رعية) [4].

وفي 30 سبتمبر 1919م أسس حزب الإصلاح الوطني الذي كان يهدف إلى المحافظة على حقوق الطرابلسيين كما جاء في القانون الأساسي، والتعجيل بتنفيذه، والعمل على نشر التعليم بكل الوسائل، ومحاولة التطوير الاقتصادي، وأنشأ هذا الحزب صحيفة اللواء الطرابلسي التي كانت منبراً ولسان حال الحزب [5].

حاولت إيطاليا التسويف حول تنفيذ القانون الأساسي، وعملت على إثارة الفتن بين الزعماء المحليين كما قال عمر المختار. فليعلم كل مجاهد إذا أن غرض الحكومة الإيطالية الوحيد هو إثارة الفتن والشقاق وحبك الدسائس بيننا للقضاء على نضالنا وتضامننا وتراص صفوفنا وتفكيك وحدتنا لكي يستطيع التغلب علينا بسهولة [6]. وقد نجحت الحكومة الإيطالية بجر رمضان السويحلي إلى استئناف العمليات العسكرية ضدهم من جديد، ومحاولة تقسيم الزعامات إلى قسمين قسم شرقي تتزعمه مصراته، وغربي بقيادة ترهونة [7]، وتأليبهم على بعض مما سبب في قيام حرب أهلية، مثل الحرب الجهرية التي حدثت بالجبل، وكذلك الحرب بين عبد النبي بلخير ورمضان السويحلي راح ضحيتها الأخير في 24-8-1920م، وبذلك تطلب الأمر القيام بمبادرة صلح وتجاوز الخلافات بين الزعامات، فكان مؤتمر غريان، الذي تقرر فيه انتخاب أعضاء للقيام بالإصلاح بين الزعماء المتخاصمين خاصة في منطقة الجبل الغربي، وعلى أثر ذلك انتخبت حكومة وطنية أطلق عليها (هيئة

---

(1) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص340.
(2) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال ص353. انظر نص القانون الأساسي من ص 360 – 369.
(3) مصطفى هويدي ـ الجمهورية الطرابلسية، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ليبيا 2000م، ص 175 – 177.
(4) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال مصدر سابق، ص372.
(5) نفس المصدر، ص 379.
(6) انزو سانتاريلي وآخرون، عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي لليبيا، ترجمة عبد الرحمن سالم العجيلي تقديم عقيل البربار، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1988م، ص191.
(7) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال، ص 391.

الإصلاح المركزية) متكونة من أحمد المريض رئيساً، واثنى عشر عضواً، وعبد الرحمن عزام مستشاراً لها [1]. وشكل وفد أسندت له مهمة السفر إلى روما لمطالبة الحكومة الإيطالية بتنفيذ قرارات مؤتمر غريان [2]، إلا أن الوفد لم يوفق في ذلك ورجع إلى طرابلس.

حاولت هيئة الإصلاح تحقيق بعض قرارات مؤتمر غريان حيث بويع إدريس أميراً على طرابلس وبرقة في مؤتمر سرت في أواخر عام 1921م وذلك بتناسي المؤتمرون خلافاتهم، وضرورة العمـــل على توحيد جهودهم في سبيل المصلحة الوطنية، مما جعل القيادة الإيطالية تقوم بتحركات عاجلة لقطع الطريق أمام وضع قرارات ذلك المؤتمر موضع التنفيذ، فقامت بالهجوم على قصر أحمد في 26 أبريل 1922م وبذلك تجددت حركة المقاومة في مختلف المناطق من طرابلس رغم انعقاد مفاوضات فندق الشريف في مارس 1922م الذي أصر فيه المجاهدون على تمسكهم بتوحيد الرئاســة بـين طرابلس وبرقة [3]، الأمر الذي لم يقبله الإيطاليون، مما كان سبباً في انقطاع المفاوضات واستئناف العمليات العسكرية في المنطقة الغربية.

ورغم البيعة التي قدمت لإدريس من قبل هيئة الإصلاح المركزية وقبلها مغتبطاً إلا أنه فــر إلى مصر في 2 جماد الثاني 1341هـ/ 21 ديسمبر 1922م تاركاً بلاده لمصيرها المجهول حيث وكــل أخيه الرضا على الشئون المدنية والسياسية، وعمر المختار على الشؤون العسكرية، ممـا أضـعف الروح المعنوية للمجاهدين، واشتدت المعارك عليهم بحيث شملت الهجمات الإيطالية كافة المناطق أو ما عرف بعمليات خط عرض 29 درجة شمالاً [4].

وعلى أثر سفر إدريس السنوسي قاد المقاومة في المنطقة الشرقية عمر المختار الذي اســتقطب حوله المجاهدين، والذي نظمهم على هيئة أدوار، ارتبط كل دور بالنظام القبلي والعشائري، وبذلك ضمن استمرار تعويض الفاقد من المجاهدين، وتدفق التموين عليه من الداخل بعد إغلاق الحــدود المصرية [5].

إن أسلوب القتال الذي اتبعه عمر المختار سبب عقداً للإيطاليين خاصة بعد انــضمام كــبرى القبائل إليه وحقق انتصارات باهرة عليهم باعتماده حرب العصابات الذي اعتمد نظــام المباغتــة والانسحاب، وهذا يتطلب معرفة بطبيعة الأرض الجغرافية.

---

(1) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال، ص424.
(2) نفسه، ص427.
(3) نفسه ص445.
(4) المبروك الساعدي، عمليات خط عرض 29 شمالاً، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي 1911-1943م الجزء الثاني، مجموعة من الأساتذة، منشورات جامعة الفاتح، ومركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس ليبيا، 1984/ 249-281.
(5) عقيل البربار، حركة عمر المختار في الجبل الأخضر 1923 – 1931م، المرجع نفسه ص283- 296.

بدأ الإيطاليون يقدمون إغراءات لبعض الزعامات بضرورة التعاون معهم وهذا الأسلوب ركن له بعضهم مما كان نكبة عليهم مثل ما حدث للهادي كعبار الذي سلم لهم غريان، ثم أعدم شنقاً في مدينة مصراتة، وما حدث له حدث لغيره، ويذكر محمد فكيني بقوله. وحتى أولئك الذين استسلموا قد انتهى بعضهم إلى المشنقة وأعدم البعض الآخر بالرصاص وآخرون ألقي بهم في غياهب السجون، وصودرت جميع أملاكهم[1]. كما حاولت استمالت عمر المختار إلا أنه رفض ذلك ولم يكن أمامه إلا تحرير البلاد. ورفض شروطاً استسلامية وقعها الحسن الرضا الذي انضم هو ورفاقه إلى جنب الإيطاليين وأطلق عليهم المجاهدون بدور الدقيق[2].

عملت القيادة الإيطالية على الفصل بين العرب المستسلمين وأقرباء المجاهدين في الجبل الأخضر وأدوار المقاومة، وذلك بترحيلهم إلى مناطق صحراوية منعزلة ووضعتهم في معسكرات تحيط بها أسلاك شائكة عرفت بالمعتقلات، وكان الهدف محاصرة المجاهدين اقتصادياً وعزلهم اجتماعياً، وأنشأت لهذا الغرض العديد من المعسكرات العقابية كمعتقل العقيلة، والبريقة، وسلوق، والمقرون. وغيرها، وفي شهر سبتمبر 1930م بدأت في نقل المواطنين وحشرهم في تلك المعتقلات، فعلى سبيل المثال وضع في معسكر العقيلة وحده ما يزيد على 80 ألف مواطن تعرضوا للجوع والأمراض الفتاكة[3]، ويصف الشاعر الشعبي رجب بوحويس حياته وزملائه بهذا المعتقل بقوله:

ما بي مرض غير دار العقيلة & وحبس القبلة & وبعد الجبا من بلاد الوصيلة
ما بي مرض غير حد النكاد & وشوية الزاد & وريحة اللي مجبرة بالسواد
ما بي مرض غير فقد الرجال & وفنية المال & وحبسة نساويننا والعيال
ما بي من مرض غير قول اضربوهم & ولا تصنعوهم & وبالسيف في كل شيء خدموهم[4].

أما الشاعر الشعبي جلغاف بوشعراية الذي اعتقل في معسكر سلوق واصفاً المأساة بقوله:

محابيس في نقطة سلوق بقينا & لا نعجة لا ناقة تحوش علينا
في نقطة سلوق غبنا& م القل ع الصاحب الداني هننا & وين ما قرب غادي يقحز منا
ينكر كما حيوان فات جنينة
لا هن مواجع ناطقين بهن & ولا هن جرايم فاعلات يدينا[5].

لقد استطاعت القوات الإيطالية بسياسة المعتقلات الضغط على المجاهدين خاصة بعد احتلالها الكفرة في 19 يناير 1931م وبذلك تمكنت من خلق طوق كامل عليهم من جميع الجهات، وأمام

---

(1) رودولفو جراتزياني، نحو فزان، ترجمة طه فوزي، مكتبة صايغ القاهرة 1976م، ص 425.
(2) الطاهر الزاوي، عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني، نشر المدار الإسلامي بيروت ط2، 2004م، ص132-135.
(3) نفسه، ص148.
(4) رجب بوحويش، ديوان الشعر الشعبي، إعداد علي سليمان الساحلي، وسالم الكبتي، الجزء الأول ط2 منشورات جامعة قاريونس، 1976م، ص229.
(5) جلغاف بوشعراية، نفس المرجع، الجزء الثاني 1998م ص80.

هذا الوضع العسير لعمر المختار ورفاقه استطاع الصمود أمام هجمات العدو حتى ألقي القبض عليه، وهو في ساحة الوغى بعد جرحه يوم 11 سبتمبر 1931م بمنطقة سلنطة بالجبل الأخضر، حيث نقل إلى بنغازي، وشكلت يوم 15-9-1931م محكمة عسكرية صورية لمحاكمته بحكم صادر مسبقاً من الإدارة السياسية وهو الإعدام شنقاً الذي نفذ فيه يوم 4 جماد الأول 1350هـ/ 16-9-1931م.

لقد أثر استشهاد عمر المختار على حركة المقاومة التي لم تعمر طويلاً هاجر على أثرها المواطنون إلى مناطق مختلفة مثل مصر، وتونس، والشام، والعراق، وتركيا، كما لاقت هذه الحادثة ردود فعل دولية خاصة في العالم العربي والإسلامي، ورثاه العديد من الشعراء مثل أمير الشعراء أحمد شوقي وباستشهاد عمر المختار وانتهاء حركة المقاومة أعلن الحاكم العام الإيطالي بادوليو في 24 يناير 1932م.. أنه للمرة الأولى وبعد عشرين سنة من نزولنا بهذه الأرض قد تم احتلال المستعمرتين طرابلس الغرب وبرقة وتهدئتهما [1].

ليبيا والحرب العالمية الثانية 1939 - 1945م:

حرك قيام الحرب العالمية الثانية الشعور الوطني لدى المهاجرين الليبيين بسعيهم للمشاركة إلى جانب القوات المناهضة لإيطاليا شريطة إعلان استقلال بلادهم. رغم ظهور بعض الخلافات بينهم حول تحقيق ذلك الهدف، فمهاجرو برقة تمسكوا بإمارة إدريس السنوسي دون قيد أو شرط، وأن الوحدة تتم على هذا الأساس بين الإقليمين، بينما رأى الطرف الآخر أن الواجب يحتم عليهم العمل على استقلال ليبيا بكاملها أولاً، وتبقى صيغة الحكم تقرر فيما بعد بين الفريقين.

حاول زعماء الفريقين تناسي خلافاتهما والبحث عن إيجاد صيغة للعمل المشترك بينهما للوصول إلى تحقيق الهدف المنشود، ودعوا إلى عقد مؤتمر بالإسكندرية في 20 – 23 أكتوبر 1939م تقرر فيه إسناد الزعامة إلى إدريس شرط أن تعين لجنة مشتركة من الجانبين لتقديم المشورة له، وقد أيدت جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي من دمشق تلك القرارات [2].

وبعد دخول إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا في 10-6-1940م عملت بريطانيا على جر الليبيين إلى صفها، واشترطوا عليها التعهد باستقلال بلادهم بعد نهاية الحرب، إلا أنها رفضت ذلك.

وقد مهدت بريطانيا مع إدريس إلى عقد مؤتمراً في القاهرة في 8 أغسطس ضم المهاجرين الليبيين بمصر، ولم يحضره أحمد السويحلي، وطاهر المريض، ولم يوقعا على قراراته لأنهما أرادا من ذلك

(1) خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ص88.
(2) جلال يحيى، المغرب الكبير الفترة المعاصرة، دار النهضة العربية بيروت، 1980م، ص283.

حصولهما على وعد قاطع من قبل بريطانيا باستقلال بلادهم قبل أن يلقوا بثقلهم في الحرب إلى جانبها، وقد أسفر المؤتمر على عدة قرارات منها:

1- الثقة في دولة بريطانيا لتخليص ليبيا من الاستعمار الإيطالي.

2- إعلان الإمارة السنوسية ووضع الثقة التامة في الأمير المبايع له.

3- خوض الحرب إلى جانب الجيوش البريطانية [1].

نشأ عن رفض تلك القرارات ظهور الكتلة الوطنية وعدم اعترافها بزعامة إدريس بحجة أنه غرر بمواطنيه بالقتال إلى جانب البريطانيين دون تعهدهم باستقلال ليبيا كاملاً، وأنه لم يستشر اللجنة الاستشارية المشكلة في مؤتمر الإسكندرية. كما اقترح إدريس بناء على التفويض الذي منح له في مؤتمر القاهرة ما يلي:.

1- تمنح بريطانيا إقليم برقة استقلالاً داخلياً، على أن يتولى حكمها أمير مسلم تقبل به حكومتها.

2- كما تتولى بريطانيا الشؤون المالية والحربية في ليبيا وحمايتها.

وعقب احتلال القوات البريطانية بنغازي بقيادة ويفيل **Wevell** لم تقم إمارة سنوسية كما كان متوقعاً من قبل بعض الزعماء، بل شكلت إدارة عسكرية إنجليزية في برقة بتاريخ **11-11-1942**م لإدارتها حتى نهاية الحرب، كما زحفت القوات البريطانية ناحية طرابلس وأقامت بها إدارة عسكرية أخرى منفصلة بتاريخ **12-12-1942**م، والتي أمرها الجنرال مونتجمري بتصريف الشؤون التشريعية والقضائية. وقد أظهرت هذه الإدارة أنها ستدير المنطقة على أساس القانون الدولي، إلا أن الواقع أظهر عكس ذلك حينما منحت الولايات المتحدة الأمريكية قاعدة في طرابلس، كما أن الإدارتين العسكريتين في كل من بنغازي وطرابلس عملتا على إقامة الحواجز الجمركية لغرض خلق هوة كبيرة بين الشعب الواحد.

أما المنطقة الجنوبية فقد احتلت من قبل قوات فرنسا الحرة باتفاق مع بريطانيا وامتد نفوذها إلى خط عرض **28** درجة شمالاً وخط **18** درجة شرقاً، ووصلت تلك القوات إلى غدامس ودرج وسيناون، واتفقا على أن تدير القوات الفرنسية تلك المنطقة على غرار إدارة الصحراء الجزائرية، حيث ضمت غات للمنطقة العسكرية بجنوب الجزائر، وألحقت غدامس بالمنطقة العسكرية الجنوبية لتونس، وهذا التصرف يعكس أطماع فرنسا التاريخية بالمنطقة. ولم ينته شهر يناير من عام **1943**م حتى تم تطهير الأراضي الليبية من جيوش المحور، إلا أن ذلك لم يغير شيئاً من الوضع حيث استبدل استعمار باستعمار أسوأ منه، وأصبح مصير ليبيا متعلقاً بمصير المستعمرات الإيطالية السابقة التي بحث أمرها في مؤتمرات دول الحلفاء وكان آخرها مؤتمر بوتسدام (**botsdam**)، **1-12** أغسطس

---

(1) نفس المرجع، ص284.

1945م الذي كان من ضمن قراراته تشكيل مجلس الخارجية من الدول الأربع الكبرى، وقد اقترح الأعضاء فيما يخص ليبيا [1]. وخاصة أمريكا ضرورة وضع ليبيا تحت وصاية دولية تمتد لفترة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أعوام. وطالب مندوب الاتحاد السوفيتي بطرابلس ليصل من خلالها إلى بحر دافئ، إلا أن الدول الغربية الأردن. أما فرنسا فقد عارضت الوصاية السوفيتية والإيطالية على طرابلس وطالبت بتعديل الحدود الليبية في الغرب والجنوب ورغبت أن تكون لها السيادة على الساحل الليبي الغربي حتى مدينة الخمس لتكون لها منفذاً بحرياً لأفريقيا الفرنسية.

وفي 25 أبريل 1946م اجتمع المجلس مرة أخرى اقترحت فيه بريطانيا منح ليبيا استقلالها، ويوضح تقرير لجنة التحقيق الرباعية التي شكلها المجلس المذكور بعد أن زارت ليبيا من مارس وحتى مايو 1948م أن سكان برقة يودون الاستقلال تحت إمارة إدريس، بينما كان سكان طرابلس يؤيدون استقلالها ليبيا بالكامل، أما فزان فهم راضون على إدارتها من قبل فرنسا، بحكم أن تلك الإدارة حكمت فزان من خلال أسرة سيف النصر.

وخلال تلك المرحلة تدخلت الجامعة العربية بعد تشكيل اللجنة الرباعية باستدعاء الكثير من زعماء البلاد، وانتهى الرأي معهم في مارس 1947م على تشكيل هيئة تحرير ليبيا ووحدتها، واجتناب المسائل الغير متفق عليها. حولت القضية الليبية إلى الأمم المتحدة في أبريل 1949م، وفي هذه الأثناء اقترح بيفن وزير خارجية بريطانيا وسيفورزا وزير خارجية إيطاليا بأن تتولى الأخيرة الوصاية على طرابلس تحت إشراف مجلس استشاري يضم مصر وبريطانيا وفرنسا وأمريكا، وأن تترك برقة لبريطانيا وفزان لفرنسا [2]. إلا أن هذا المشروع فشل بسبب رفض الليبيين له وقيامهم بالعديد من المظاهرات التي اجتاحت كل المدن الليبية للتنديد به. وفي اجتماع للجمعية العامة للأمم المتحدة في مايو 1947م لمناقشة تلك المقترحات، قام الوفد الليبي الذي حضر تلك المناقشات بجهود مكثفة لإحباط ذلك المشروع، وخلال جلسة 21 نوفمبر 1949 للجمعية العامة وبأغلبية كبيرة تقرر حق ليبيا في الاستقلال في مدة لا تتجاوز شهر يناير 1952م، على أن يجتمع مندوبون عن أقاليم ليبيا الثلاث في جمعية وطنية لوضع دستور البلاد، وتعيين الحكومة، وأن تعين الأمم المتحدة مندوباً عنها وتختار مجلساً مساعداً له يتكون من عشرة أعضاء يمثلون حكومات مصر وفرنسا وإيطاليا وباكستان وبريطانيا وأمريكا وممثلاً عن كل إقليم وعضو عن الأقليات [3]. وتنفيذاً لهذا القرار عينت الأمم المتحدة (أدريان بلت) مندوباً لها في ليبيا الذي وصلها في 18 يناير 1950م.

ورغم تصريح أدريان بلت لصحيفة الأهرام القاهرية في 11-12-1950م بقوله: .. إنني سأتمسك بقرار هيئة الأمم كدستور لا أحيد عنه لأحقق استقلال ليبيا ووحدتها.. [4]، إلا أنه عمل

---

(1) سامي حكيم، حقيقة ليبيا، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1970م ص26.
(2) سامي حكيم، مرجع سابق، ص33.
(3) نفس المرجع، ص47.
(4) جريدة الأهرام، الصادرة في 11-12-1950م.

على إرساء قواعد الانفصال بين أقاليم ليبيا الثلاث، والتي لاقت معارضة من مندوبي مصر وباكستان في المجلس. والذي انبثقت اجتماعاته المكثفة على تشكيل لجنة الواحد والعشرين، بواقع سبعة أعضاء عن كل إقليم، وبما لا يتناسب مع عدد السكان.

لقد توصلت تلك اللجنة إلى:

1- تشكيل الجمعية الوطنية من ستين عضواً، بواقع عشرين عضوا عن كل إقليم.
2- وأن يكون تمثيلهم بطريق الاختيار.
3- وأن يكون أول اجتماع لها بمدينة طرابلس في 25-11-1950م[1].

وفي أواخر أكتوبر قدم أدريان بلت إلى الجمعية العامة تقريره الأول حول ليبيا، وبعد مناقشته أصدرت الجمعية العامة في 18-11-1950م قراراً حول ذلك جاء فيه:

1- قيام جمعية وطنية تأسيسية تمثل الشعب الليبي في وقت لا يتجاوز أول يناير 1950م.
2- أن تنشىء الجمعية حكومة مؤقتة لليبيا في ميعاد لا يتجاوز أول أبريل 1951م.
3- أن تقر دولتا الإدارة بنقل السلطة تدريجياً إلى الحكومة المؤقتة، ويتم التسليم نهائيا في موعد أقصاه يناير 1950م[2].

وقد شُكلت الجمعية الوطنية من 60 عضواً، وعقدت أول اجتماع كما كان مقرراً لها، وبعد عدة اجتماعات اختارت أن يكون الحكم ملكياً واختير إدريس ملكاً، كما شكلت لجنة لوضع الدستور. وفي اجتماع لاحق لها شكلت الحكومة المؤقتة الاتحادية، وأعلن عنها في يوم 29 ــ مارس 1951م، كما قامت حكومات محلية في الأقاليم الثلاث[3].

الاستقلال: أعلن عن استقلال ليبيا في 24 ديسمبر 1951م أمام الوزارة المؤقتة ومندوب الأمم المتحدة في ليبيا، والممثلين الدبلوماسيين وأعيان من الأقاليم، وأن الدستور الذي أصدرته الجمعية الوطنية أصبح ساري المفعول. وبدأ الملك يصدر المراسيم الملكية بتشكيل الحكومة الاتحادية، والاستعدادات لانتخابات مجلس النواب، وتعيين ولاة الأقاليم الثلاثة... وغيرها من المراسيم الملكية التي خضعت لشروط وضعتها بريطانيا أمام إدريس السنوسي منها:

1- حظر التنظيم السياسي.
2- عدم تشكيل الحكومة من عناصر مناوئة لبريطانيا.
3- إقصاء العناصر الوطنية عن وظائف الدولة.
4- الاستعانة بالخبراء البريطانيين في المجالات الاقتصادية، وتعيين خبير مالي بريطاني له حق الإشراف على الشؤون المالية والاقتصادية.
5- المحافظة على الامتيازات الأجنبية، ورعاية حقوق اليهود، والمستوطنين الإيطاليين... وغيرهم في ليبيا.

---

(1) سامي حكيم مرجع سابق، ص47 وما بعدها.
(2) نفس المرجع والصفحات.
(3) نفس المرجع، ص80.

6- السماح للقوات البريطانية والأمريكية بالبقاء بالبلاد وفي أية جهة تمليها الضرورة الدفاعية وذلك بمقتضى معاهدات تبرم فيما بعد [1].

وبذلك ضمنت بريطانيا لنفسها حق السيطرة على الاقتصاد الليبي، وإبقاء القوات العسكرية بها، مع عدم إتمام وحدتها. ومن هنا يمكن القول أن الاستقلال الذي تحصلت عليه البلاد كان استقلالاً ناقصاً ومزيفاً، خاصة بعد توقيع الاتفاقية العسكرية مع بريطانيا بتاريخ 29 يوليو **1953م** والتي اقتضى بموجبها بقاء القوات البريطانية في قواعد عسكرية داخل التراب الليبي، وأن لحلفائها حق استعمالها.

والذي منح ذلك الحق هو إدريس السنوسي أثناء زيارته لندن في شهر يونيو **1949م** بدعوة من حكومتها، وأشيع أن اتفاقاً عقد بينه وبين السلطات البريطانية عرف باتفاق الجنتلمان أذاعت نصوصه جريدة الثورة بالجزائر يوم 25 يونيو **1964م** جاء فيه: .. أن تحتفظ بريطانيا وأمريكا بقواعد عسكرية بمقتضى اتفاقات تبرم بعد إعلان الاستقلال والاستفادة بعدد من المستشارين الإنجليز في أجهزة الدولة، وبعدد آخر من الضباط الإنجليز في الجيش والبوليس [2].

أما فيما يتعلق بالمعاهدة الأمريكية فإنها ترجع إلى عام **1943م** حينما سمحت بريطانيا للقوات الأمريكية الجوية بإنشاء مطار الملاحة كما سبق ذكره، وقد وُقْعت الاتفاقية مع ليبيا يوم الإعلان عن الاستقلال في 24 ديسمبر **1951م**، وأقرها مجلس الشيوخ أواخر سبتمبر **1954م**، وهي مؤلفة من 27 مادة منحت بموجبها أمريكا حق السيطرة الكاملة على الأجواء والمياه الإقليمية الليبية مع إعفاء القوات الأمريكية من الرسوم الجمركية، وعدم سريان القانون الليبي على أفراد تلك القوات. وبالمثل ارتبط النظام الملكي بمعاهدة مع فرنسا [3].

ورغم أن ليبيا اعتبرت حسب قرار الأمم المتحدة دولة مستقلة ذات سيادة وانضمت إلى عضويتها وعضوية الجامعة العربية، إلا أن الواقع غير ذلك فبقايا الطليان الفاشيست لازالوا يسيطرون على الحياة الاقتصادية بها وأن الليبيين ما هم إلا عمالاً، علاوة على القواعد البريطانية والأمريكية وهي دول داخل الدولة الليبية لأن قوانينها لا تسري عليها، وظلت تعمل ضد البلاد العربية وتوجه منها ضربات لها مثل ما حدث أيام العدوان الثلاثي على مصر في 2 أكتوبر **1956م**، وحرب يونيو **1967م**، واستمرت كذلك حتى اجتثت بفضل ثورة الفاتح من سبتمبر **1969م** [4].

استغلت الدول الاستعمارية ضعف شخصية الملك وعملت ضد قيام دولة ليبية موحدة، فعملت على ترسيخ النظام الاتحادي الذي توزعت فيه السلطات بين الحكومة الاتحادية، والحكومات المحلية (طرابلس ــ برقة ــ فزان) وقد قوبل هذا النظام بمعارضة شعبية شديدة، فوجود أربع حكومات

---

(1) نفس المرجع، ص112-118.
(2) سامي حكيم، مرجع سابق، ص103.
(3) المرجع نفسه، ص153، 140.
(4) السجل القومي، المجلد الأول، ص 127.

في بلد صغير كليبيا يخدم بالدرجة الأولى المصالح الاستعمارية، كما أنه خلق هوة كبيرة بين أبناء الشعب الواحد، وبذلك بدأت مصالح الحكومات المحلية تتضارب بعضها ببعض. ورغم التعديل الدستوري الذي جرى في 27 – أبريل 1963م والذي ألغي بموجبه النظام الاتحادي ليحل محله النظام الوحدوي، إلا أن مروجي الانفصال ظلوا كما هم عليه.

لقد سيطرت بريطانيا بالكامل على الملك وحاشيته في السلطة التنفيذية، يلاحظ ذلك من تعاقب ثلاثة عشر وزارة على الحكم طيلة عمر النظام الملكي الذي استمر حوالي سبعة عشر سنة أي بمتوسط سنة وثلث لكل وزارة، على سبيل المثال بعضها لم يستمر في الحكم إلا شهران 18 فبراير 1954 – 11 أبريل 1954م، والأخرى خمسة أشهر يونيو 1967 – أكتوبر 1967م، ويرجع السبب إلى اصطدامها أحياناً مع المصالح الغربية كأمريكا وبريطانيا، أو نتيجة خلافات بين أعضائها بسبب مصالحهم الخاصة، وبذلك أهملت تطوير البنية التحتية، وعدم الاهتمام بالأوضاع الاجتماعية والتعليمية والصحية والاقتصادية.. وغيرها.

وكذلك فإن السلطة التشريعية فهي الأخرى كانت ضعيفة فأعضاء مجلس النواب يصلوا المجلس عن طريق تزوير الانتخابات، ولذلك كانت بريطانيا والملك والحاشية يحكمون البلاد استناداً لمصالحهم الخاصة، والقائمة على الاستغلال ونهب ثروات البلاد، وكانت آفاق الإصلاح محدودة والقمع شعارها، وظل الشعب مكبلاً حتى قيام ثورة الفاتح من سبتمبر 1969م.

ثورة الفاتح من سبتمبر 1969م:

بدأت إرهاصات الثورة في شخص قائدها في وقت مبكر، حيث تشكلت نواتها في داخله خلال حياته التعليمية، منذ أن بدأ حفظ القرآن الكريم على يدي الفقيه جبريل الفاخري، وانتقاله إلى مدرسة سرت الابتدائية، ثم دراسته المرحلة الإعدادية بمدينة سبها، والتي اعتبرت من أهم المراحل التاريخية التي ساهمت في انشطار النواة وتشكيل فكرة. فقد تأثر بما كان يجري على الساحة العربية من تأميم قناة السويس، إلى الاعتداء الثلاثي على مصر، يقول العقيد معمر القذافي:.. إن العدوان الثلاثي كان أول حدث سياسي جعلنا نعرف على الأقل خريطة الوطن العربي والاستعمار والعدوان، وجمال عبد الناصر [1]..، وحرب التحرير الجزائرية، وجريمة الانفصال الوحدوية بين قطري الجمهورية العربية المتحدة في 28 سبتمبر 1961م، والتي جعلته ينظم مظاهرة وحدوية في 5 أكتوبر 1961م ندد فيها بجريمة الانفصال، والتي عكست شخصيته الوحدوية، أصدر على أثرها والى فزان قراراً بتاريخ 29 أكتوبر 1961م بحرمانه من الدراسة بمدارس الولاية، انتقل على أثره إلى مدرسة مصراتة الثانوية حيث تحصل منها على الشهادة الثانوية عام 1963م.

---

(1) قصة الخلية الأولى، حديث أجرته الإذاعتين المسموعة والمرئية الليبية مع أعضاء الخلية الأولى شارك فيه معمر القذافي، السجل القومي. المجلد الثامن 1976-1977م، ص493.

وخلال دراسته الثانوية عمل على تنظيم تشكيل مدني سري لمحاولة دراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي آلت إليها البلاد، وسرعان ما قرر الانـضمام إلى الكليـة العسكرية الذي تمكن من خلال وجوده بها من تشكيل الجناح العسكري لتنظيمه المـدني عـرف بتشكيل الضباط الوحدويين الأحرار، وتعيين لجنة مركزية له، والتي اعتبرت مسئولة عـن كافـة المسائل التنظيمية فيما بين أعضاء الحركة، والتي كانت تتم في سرية وانضباطية تامتين أيام العطلات الرسمية والدينية، حيث تمكن ذلك التنظيم من القيام بـالثورة في الفـاتح مـن سـبتمبر 1969م فالمظاهرات التي اجتاحت البلاد خلال الفترة ما بين 1964- 1967م كانت كافية للتعجيل بالثورة ويشير معمر القذافي إلى الأسباب التي عجلت بقيامه بقوله: .. لقد قامت الثورة لاعتبارات قومية وشعبية وإنسانية.. ويشير إلى عوامل أخرى هي الفقر، والنظام، واضطهاد الشعب، ونقص المسكن الملائم، وارتفاع نسبة الأمية التي كانت تزيد على 90%، وعدم توفر الخدمات الطبية، علاوة على دخول الملك في أحلاف مع بريطانيا وأمريكا [1].

لقد بدأ في تنفيذ تلك المبادئ، وبعد أشهر معدودة دخلت الثورة في مفاوضات الجـلاء مـع بريطانيا وأمريكا لطرد قواهما عن الأراضي الليبية، وفي افتتاح المفاوضات مع بريطانيا 8 ديسمبر 1969م قال معمر القذافي.. إن حرية ليبيا لازالت ناقصة مادام هناك جندي أجنبي فوق أرضها.. وأن مبدأ الحرية وضعته ثورة الفاتح من سبتمبر في مقدمة مبادئها. [2]. وفي خطابه بمناسبة جـلاء القوات الأمريكية ذكر. إن الشعب الليبي يطالب بالجلاء التام الناجز الآن وهو يملك بكل تأكيد حق الدفاع عن نفسه وإرادة تحقيق حريته فوق أرضه لأنه قادر على أن يتحول إلى جيش مقاتـل قوامه مليون ونصف مليون مقاوم. [3]. وقد انتهت تلك المفاوضات بجلاء القوات البريطانية في 28 مارس 1970م، والقوات الأمريكية بتاريخ 11 يونيو 1970م. واستكمالاً للحرية تم طـرد بقايـا الطليان الفاشيست في 7 أكتوبر 1970م، وبهذه الانتصارات المتلاحقة وفي مدة وجيـزة تحققـت الحرية الكاملة على كامل التراب الليبي.

أما على الوضع الاجتماعي فإنه بدأ في تطبيق المبدأ الثاني الاشتراكية، وهو مفهوم يختلف عـن غيره من المفاهيم الاشتراكية السائدة حينئذ، فهو يعني المشاركة الجماعية في الإنتاج، والعدالـة في التوزيع، ويوضح معمر القذافي ذلك بقوله: إذا كانت روسيا هي النموذج الصحيح للاشتراكية، فإن اشتراكيتنا تختلف عنها.. فالاشتراكية والشيوعية نظامان مختلفان.. وبذلك ترجم هذا المبدأ إلى برامج متعددة، فحق الملكية الخاصة مكفول، والاستغلال محظور، وهي تتيح الفرص المتكافئة لكل

---

(1) هنري حبيب، ليبيا بين الماضي والحاضر، ترجمة شاكر إبراهيم، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، 1981م، ص99.
(2) خطاب معمر القذافي في افتتاح مفاوضات جلاء القوات البريطانية، السجل القومي المجلد الأول، ص127.
(3) """""""""""""""الأمريكية، """""""""""""""" 162.

فرد لتحقيق أحلامه، وعلى هذا الأساس أقامت الثورة المشاريع الزراعية والصناعية العملاقة، علاوة على المشاريع الخدمية في مجال التعليم والصحة والمواصلات لتحقيق ذلك الهدف.

كما عملت الثورة في سبيل تحقيق الهدف الثالث، وهو تحقيق الوحدة العربية لقناعة قائدها بأنه لا مجد ولا قوة ولا انتصار ولا عزة للعرب بدون وحدهم، وأن تلك الوحدة يجب أن تقوم على قوة شعبية بعيداً عن القوى والمناورات السياسية، وتنبع من الشعب الواعي بضرورة الوحدة العربية. فخاضت ثورة الفاتح من سبتمبر العديد من التجارب الوحدوية بداية من اتحاد الجمهوريات العربية، واتفاق دول ميثاق طرابلس، إلى قيام دولة الوحدة، والاتفاقيات الوحدوية في كل من جربة، وحاسي مسعود، ووجدة.. وغيرها، إلا أن كل تلك الاتفاقيات باءت بالفشل لأنها جاءت وفق قرارات سياسية، ولم تنبثق من الشعب العربي.

لم تكتف ثورة الفاتح بتلك الإنجازات الكثيرة في مدة قصيرة بل استمرت كل يوم تأتي بجديد على المستوى المحلي والعربي والقاري والدولي. ففي الاحتفال بالعيد السادس للثورة قال العقيد معمر القذافي.. إن المرحلة الانتقالية للثورة هي التي يكتمل خلالها بناء المجتمع الجديد.. وهذا يعني إتمام التشييد الأساسي من مساكن وموانئ وطرق ومناهج وملكات بشرية متخصصة وزراعة وصناعة وتعليم ومستشفيات وكهرباء.. هذا من الناحية المادية أما من الناحية المعنوية فلابد.. وضع القواعد الأساسية للحكم الديمقراطي الشعبي...[1]، وبعد سنتين من هذا الخطاب استلمت الجماهير سلطتها حينما أعلن عن قيام السلطة الشعبية في 2-3-1977م فأصبحت الجماهير تمتلك سلطتها وثروتها وسلاحها، وأنها تقرر في مؤتمراتها الشعبية ولجانها تنفذ.

أما على المستوى العربي فقد حملت شعار الوحدة العربية كهدف لها كما سبق وأن ذكرت، كما رفعت على عاتقها قضية تحرير الشعوب العربية من الرجعية العربية والاستعمار، وساندت القضية الفلسطينية بالمال والسلاح. وعلى المستوى القاري فقد ساندت شعوب القارة الأفريقية في سبيل التحرر من الاستعمار، فمدت جبهات التحرير الأفريقية بالمال والسلاح، وسعت إلى خلق فضاءات إقليمية تنافس الفضاءات العالمية فكان الاتحاد المغاربي، وفضاء دول الساحل والصحراء، ثم طورت تلك الفضاءات تطوير منظمة الوحدة الأفريقية بإعلان الاتحاد الإفريقي في 9-9-1999م وإنشاء المؤسسات التابعة له والكفيلة بتحقيقه.

أما على المستوى الدولي فقد سعت الثورة منذ قيامها إلى مساعدة الشعوب المستعمرة بالتخلص من الاستعمار فعلى سبيل المثال ذكر معمر القذافي حول القضية الأيرلندية بقوله: لأن هذا الشعب

---

(1) خطاب معمر القذافي في العيد السادس لثورة الفاتح من سبتمبر بطرابلس بتاريخ 25 شعبان 1395 هم 1775م.

أصبح حراً ولابد أن يساهم في قضية حرية الإنسان.. وعليه فقضية الشعب الأيرلندي هي مأساة إنسانية وهي إحدى قضايا الحرية في العالم.. وأن وقوف الشعب الليبي مع شعب أيرلندا لا يعتبر عدواناً على الشعب البريطاني وعلى الجزيرة البريطانية، ولكنه يعتبر وقوفاً مع طالبي الحرية في جزيرة أيرلندا.. وهو موقف حق وموقف إيجابي إذا كنا أحراراً[1].

كما سعت ليبيا إلى تصوير الأمم المتحدة ومجلس الأمن بها الذي يعبر عن آراء الدول الكبرى، فطالبت ليبيا بإلغاء حق النقض باعتبار الجمعية العامة هي الممثل الوحيد لشعوب العالم،.وهي التي من حقها فرض القرارات الدولية الملزمة أو غير الملزمة.

هذا قليل الفيض مما قامت به ثورة الفاتح من إنجازات هيئتها للمواطن الليبي والعربي والعالمي في سبيل العيش الحر الكريم.

مما سبق يمكن القول إن ليبيا مرت بفترات تاريخية متلاحقة خلال الفترة **1510**- وحتى الوقت الحاضر كانت مسرحاً لمعارك في فترات متعاقبة، بسبب طمع الكثير من الدول بالسيطرة عليها، كما أن الصراع على السلطة من أطراف مختلفة لم يهدأ ولم تسترح يوماً إلا مع قيام ثورة الفاتح من سبتمبر **1969**م.

(1) خطاب القائد معمر القذافي في الاحتفال بالذكرى الثانية لجلاء بقايا الطليان الفاشيست بتاريخ 7 أكتوبر 1972م. السجل القومي المجلد الرابع. 1972 – 1973م ص 65.

الفصل الرابع

تاريخ ومعالم الحضارة والعمران في ليبيا

أ. سعيد علي حامد

تمهيد:

شيدت فوق الأرض العربية الليبية مجموعة من المدن سواء في الفترات العربية الكنعانية (الفينيقية) أم في الفترات اليونانية والرومانية، وقد استمرت الحياة في كثير من تلك المدن بعد الفتح العربي الإسلامي لليبيا سنة 22هـ/ 643م. بينما أضحت بعضها مدناً أثرية لا حياة فيها. وأسس العرب المسلمون عدة مدن أخرى بها. وفيما يلي:

أولاً: أهم المدن العربية الإسلامية في ليبيا:

مدينة طرابلس الإسلامية:

تعتبر مدينة طرابلس من المدن القديمة التي أسسها الفينيقيون في الألف الأولى قبل الميلاد، وقد ظلت تابعة للمدينة الفينيقية قرطاجة في تونس من القرن السادس إلى سنة 146 ق.م. حيث حكمها النوميديون إلى حين سقوطها في أيدي الرومان سنة 46ق.م. وظل الرومان يحكمونها من هذا التاريخ إلى أن سقطت في يد الوندال سنة 439م، وفي سنة 543م تمكن البيزنطيون من الاستيلاء عليها وظلت خاضعة لحكمهم إلى أن تمكن القائد العربي عمرو بن العاص من فتحها سنة 23 هـ ــ 643م، وهذه السنة تعتبر نقطة تحول حاسمة في تاريخ طرابلس إذ جاء العرب المسلمون ينشرون مبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية وأصبحت طرابلس أحد الرباطات التي انطلق منها العرب المسلمون لفتح باقي الشمال الإفريقي.

وقد عني بالكتابة عن مدينة طرابلس الكثير من الكتاب الرحالة العرب الذين زاروا المدينة، ونذكر هنا الاسم العربي الصحيح لمدينة طرابلس هو (أطرابلس) فهذا هو الاسم الذي سميت به منذ سنة 23هـ أول ما فتحها العرب فقد جاء في جواب عمرو بن العاص الذي كتبه إلى الخليفة عمر ابن الخطاب في المدينة بعد أن فتح مدينة شروس عاصمة جبل نفوسه إذ ذاك قوله: إن الله قد فتح علينا أطرابلس، وليس بينها وبين إفريقيا إلا تسعة أيام.

وقد ذكرها الكثير من الكتاب والرحالة العرب القدماء باسم أطرابلس إلا أنه مع استمرار الزمن حذفت الألف وبقيت طرابلس. ففي كتاب البلدان لليعقوبي وصف المدينة في القرن الثالث الهجري بقوله "أطرابلس مدينة قديمة جليلة على ساحل البحر عامرة آهلة" [1]. وذكرها كل من خرداذبة في كتابه المسالك والممالك، وقدامة في كتابه الخراج والكرخي في كتابه المسالك

---

(1) اليعقوبي. كتاب البلدان. عن كتاب ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات. ص11.

والممالك، أما ابن حوقل فقد وصفها في القرن الرابع الهجري في كتابه صورة الأرض بقوله: فأما أطرابلس فكانت قديماً من عمل إفريقية.. وهي مدينة بيضاء من الصخر الأبيض على ساحل البحر خصبة حصينة كبيرة ذات ربض صالحة الأسواق، وكان لها في ربضها أسواق كبيرة فنقل السلطان بعضها إلى داخل السور، وهي ناحية واسعة الكور كثيرة الضياع والبادية.. وبها من الفواكه الطيبة اللذيذة.. وبها الجهاز الكثير من الصوف المرتفع وطيقان الأكسية الفاخرة الزرق، والكحل النفوسية والسود إلى مراكب تحط ليل نهاروترد بالتجارة على مر الأوقات من بلد الروم وأرض المغلب بضرورة الأمتعة والمطاعم.. وأهلها قوم مرموقون من بين من جاورهم بنظافة الأعراض.. ورباطات كثيرة ومحبة للغريب أثيرة ذائعة، ولهم في الخير مذهب من طريق العصبية لا يدانيهم أهل بلد، إذا وردت المراكب ميناءهم عرضت دائماً لهم الريح البحرية فيشتد الموج لانكشافه ويصعب الإرساء فيبادر أهل البلد بقوارهم ومراسيهم وحبالهم متطوعين، فيقيد المركب ويرسى به في أسرع وقت بغير كلفة لأحد وغرامة حبة ولا جزاء بمثقال [1].

كما وصفها المقدسي في نفس القرن في كتابه أحسن التقاسيم بقوله: وأطرابلس مدينة كبيرة على البحر مسورة بحجارة وجبل، ولها باب البحر وباب الشرق وباب الغرب، شربهم من آبار وماء مطر كثيرة الفواكه والأنجاص والتفاح والألبان والعسل واسمها كبير [2].

أما البكري صاحب كتاب المسالك والممالك فيصف المدينة وأهلها في أواخر القرن الخامس الهجري بقوله: فإن أهل أطرابلس أحسن خلق الله معاشرة وأجودهم معاملة وأبرهم بغريب.. وتسمى مدينة أطرابلس أيضاً مدينة أناس، وعلى مدينة أطرابلس سور صخر جليل البنيان، وهي على شاطئ البحر ومبني جامعها أحسن مبنى ولها أسواق حافلة جامعة وحمامات كثيرة فاضلة، وبأطرابلس مسجد يعرف بمسجد الشعاب مقصود.. وفيها رباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون، أهمها وأشهرها مسجد الشعاب، ومرساها مأمون من أكثر الرياح [3].

أما في منتصف القرن السادس الهجري فقد وصف الإدريسي مدينة طرابلس في كتابه نزهة المشتاق بقوله: ومدينة أطرابلس مدينة حصينة عليها سور وحجارة وهي في نحر البحر بيضاء حسنة الشوارع متقنة الأسواق وبها صناع وأمتعة يتجهز بها إلى كثير من الجهات، وكانت قبل هذا مفضلة العمارات من جميع جهاتها كثيرة شجر التين والزيتون وبها فواكه جمة ونخل إلا أن العرب أضرت بها وبما كان حولها من ذلك وأجلت أهلها، وأخلت بواديها وغيرت أحوالها وأبادت أشجارها وغورت مياهها، واستفتحها الملك رجار في سنة 540 فسبى حرمها، وأفنى رجالها وهي

(1) ابن حوقل. صورة الأرض. ص.ص 71، 72.
(2) المقدسي. أحسن التقاسيم. ص224. عن كتاب ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات. ص26.
(3) البكري. المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. ص7.

الآن في طاعته، ومعدودة في جملة بلاده وأرض مدينة أطرابلس عديمة المنال في إصابة الــزرع ولا يدري أن على معمور الأرض مثلها في ذلك، وهذا مشهور معلوم [1].

نلاحظ أن الإدريسي قد أشار إلى أن العرب أضرت بالمدينة وبما حولها وهو يقصد هنا هجــرة قبائل بني سليم وبني هلال إلى إفريقيا الشمالية، وكان حدوث هذه الهجرة نتيجة للــصراع بــين الفاطميين الشيعيين والزيريين حكام المغرب السنيين فقد أراد الخليفة الفاطمي القضاء على حكــم أسرة بني زيري في المغرب، فشجع تلك القبائل على الهجرة إلى شمال إفريقيا وحثهم على القضاء على المعز بن بلكين، ولقد أضرت هذه الهجرة بمدينة طرابلس وذلك لما أحدثه المهــاجرون مــن تخريب إلا أنها كانت ذات نفع كبير إذ إنها جلبت إلى المغرب عنصراً قوياّ وكبيراً من العرب الذين كان لهم الأثر الواضح في تعديل التكوين السلالي والوضع اللغوي في المنطقة، وقد هز هذا العنصر الوافد العنصر البربري الغالب بل قضى عليه في بعض الأحيان، وأثر تــأثيراً واضــحاً في النظــام السياسي للمنطقة [2].

أما ملك صقلية الذي استولى على طرابلس سنة 540هـــ فقد استمرت المدينة تابعة له حــتى سنة 553 هـــ حيث قام فيها أهل البلد بثورة على حكمه واستطاعوا طرد الحامية التي بها، وأعلن الأهالي الاعتراف بسيادة الموحدين.

أما صاحب كتاب الاستبصار في القرن السادس الهجري يقول: فأول مــدن إفريقيــة علــى الساحل مدينة أطرابلس. وهي مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر، والبحر يضرب في ســورها، وسورها من حجر جليل من صنعة الأولين. وقيل إن تفسير أطرابلس 3 مدن، وقيل مدينة اياس.

وبها سوق حافلة وحمامات كثيرة وبساتين في شرقها، وهي كثيرة الفواكه جمة الخيرات، وأكثر أهلها تجار يسافرون براّ وبحراً، ولهم سمح في تجاراتهم، وهم أحسن الناس معاملة.. وداخل ســورها بئر يعرف ببئر أبي الكنود، يقال إنه من شرب منه يحمق فهم يعيرون به، يقال للرجل منهم إذا أتى بما يلام عليه، لا عتب عليك لأنك شربت من بئر أبي الكنود [3].

يذكر الطاهر أحمد الزاوي في كتابه "معجم البلدان" الليبية بأن مدينة طــرابلس في العهــد التركي سميت (طرابلس الغرب) لأن الترك كانوا يحتلون طرابلس الشام فاضطروا إلى أن يضيفوها إلى الغرب تمييزاً بين البلدين، أما قبل العهد التركي فكانت تسمى طرابلس بــدون إضــافتها إلى الغرب [4]. إلا أننا نلاحظ أن ياقوت الحموي في كتابه. معجم البلدان في النصف الأول من القرن

(1) الإدريسي. المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق. ص162.
(2) انوري روسي. ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911. ص82.
(3) مؤلف مجهول. الاستبصار نشر وتعليق سعد زغلول. الدار البيضاء: الدار النشر المغربية. ص110.
(4) الزاوي. معجم البلدان الليبية. ص28.

السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي) يضيف صفة الغرب إلى طرابلس في عدة مواضع في كتابه وهذا يخالف ما ذكره المؤرخ الطاهر الزاوي في كتابه المذكور.

في أواخر القرن السابع الهجري وصف القزويني مدينة طرابلس في كتابه آثار البلاد وصفاً نقله عن الكتاب السابقين له ولم يأت بأي جديد في وصفها. إلا أن الرحالة ابن رشيد السبتي الذي قام برحلته في أواخر القرن السابع الهجري (685) وزار خلالها مدينة طرابلس فيصفها بقوله: فرأينا بلداً حسناً وناساً فضلاء... وبها مدينة حسنة الوضع رائقة الصنع، والمدينة بجملتها حسنة البناء ومتسعة الشوارع حتى كأنها تحاكي شيئاً من وضع الأسكندرية، اجتزت تلك الليلة التي أقمنا بها، بعد المغرب بشارعها الأكبر ولم أكن عرفت المدينة، فنفحني نسيم عاطر، كأنه باكرة ماطر، فخلت نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل، فألفت نحو تضوعه متنشقاً ذلك النسيم، وعهدي بالمتنسم العطر عهد قديم فألفيت عن يسار المار بابا شارعاً، لما حوله من الأبواب فارعاً، فتوقفت انتشق ذلك العرف إلى أن تعرفت أنها مدرسة فأقدمت على الدخول تحكيماً في الإذن للعرف، فوافيت وسطها روضة مخضلة من خيري أحمر، قد استوى على سوقه، وناصى بعضه ببسوقه وقد علل بالسقى شجرة فأينع وتفتح زهرة فاسكمل واستجمع فأقمت بها ساعة أتعلل بذلك النسيم [1].

وابن رشيد لم يذكر اسم المدرسة ولا موقعها في المدينة، لعل المدرسة هي المستنصيرية التي تحدث عنها الرحالة التجاني.

أما الرحالة العبدري الذي قام بزيارة طرابلس أثناء رحلته التي بدأها سنة 688 هـ من المغرب فإنه يتحامل على المدينة وأهلها ويصفها بصفات تخالف وصف الكتاب والرحالة الذين زاروا المدينة قبله وبعده فيقول العبدري في رحلته: ثم وصلنا إلى مدينة طرابلس، وهي للجهل مأتم وما للعلم بها من عرس، أقفزت ظاهراً وباطناً، وذمها الخبير بها سائراً وقاطناً، تلمع لقاصدها لمعان البرق الخلب، وتربة ظاهراً مشرقاً والباطن قد قطب. اكتنفها البحر والقفر، واستولى عليها من عربان البر ونصارى البحر النفاق والكفر، وتفرقت عنها الفضائل تفرق الحجيج يوم النفر، لا ترى بها شجراً ولا ثمراً، ولا تخوض في أرجائها حوضاً ولا نهراً، ولا تجتلي روضاً يحوي نوراً ولا زهراً، بل هي أقفر من جوف حمار، وأهلها سواسية كأسنان الحمار، ليس على ناشئ منهم فضل لذي شيبة، ولا لذي الفضل بينهم هيبة، ترى أجساماً حاضرة والعقول في عقل غيابات الغيبة، وملابس يلبسها ليلبس بها من ملابس العيوب العيبة إلى بخل لو مازج ماء البحر جمد، وخالط الهواء سكن في آذار ركد [2].

ولم يثن العبدري إلا على مبنى الجامع والمدرسة وقوس ماركوس أوريليوس فيقول: ولم أر بها ما يروق العيون، وسما عن أن يقوم بالدون، سوى جامعها ومدرستها فإن لهما من حسن الصورة

(1) ابن رشيد السبتي. ملء العيبة. عن كتاب ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات. ص 118.
(2) العبدري. رحلة العبدري. ص771.

نصيباً، ومن إتقان الصنعة سهماً مصيباً، وما رأيت في الغرب مثل مدرستها المـذكورة لـولا أن محاسنها مقصورة على الصورة.. ولم أر بأطرابلس أثر عناية سوى ما تقدم ذكره إلا قبة باب بحر من بناء الأوائل في غاية الإتقان ونهاية الإحكام مبنية من صخور منحوتة في نهايـة العظـم، منقوشـة بأحسن النقش مرصوفة بأعجب الرصف [1].

تُرى ما دفع الرحالة العبدري ليتحامل على مدينة طرابلس وأهلها؟

يذكر محمد الفاسي في مقدمة تحقيقه لرحلة العبدري بأنه: لما وصل إلى طرابلس وشاهد مـن أهلها ما كانوا عليه من التأخر على ما قال، صار أسفه غضباً فأطلق للسانه العنان [2]. وحاول ابن عبد السلام الناصري أن يدافع عن طرابلس ضد تحامل العبدري ملتمساً لها الأعذار في الظـروف التاريخية وغاية ما يجاب به العبدري أنه أثر بعض الفتوحات دخلها قبل أن يقـوى سـاعد أهـل الإسلام فيها فكانت إذ ذاك ما به وصفها على أن الرجل قد يرد البلد على جناح طائر على مـا أعلم من حال الركاب فلا يشتفي من خبرها [3].

وكان الناصري هذا قد مر بطرابلس في رحلته إلى الحج 1211 هـ وقد تحمس لها ودافع عنها ـ والحقيقة أن الفترة التي زار العبدري خلالها طرابلس كانت فترة اضطرابات وفتن وثورات فقد حاول أحد أمراء الموحدين ويدعى عثمان وهو ابن أبو دبوس آخر أمراء الموحدين استعادة ملكـه الذي أفل، وكان عثمان هذا ضيفاً على ملك أرغوان في برشلونة فقدم الأرغوان سفناً وجنـوداً وأطلقوا سراح قائد عربي يدعى مرغم بن صابر وكان أسيراً بصقلية وبعثوه رفقة عثمـان الـذي وصل إلى طرابلس وحاول الاستيلاء على المدينة بواسطة المسيحيين والعرب الذين جمعهم مـرغم (688 هـ) 1289 – 1290م ولكنهما فشلا في هذه المحاولة وتخليا عن الحصار، ورجعت السفن بعد أن أنزلت عثمان ومرغماً بسواحل طرابلس، حيث أخذا يجوبان المنطقة ويجمعان الخراج مـن الأهالي وبهذه الطريقة جمعا المال اللازم لدفع أجرة المسيحيين لقاء المساعدة التي قدموها لهما.

أما الرحالة التجاني الذي زار مدينة طرابلس أثناء رحلته في البلاد التونسية وطرابلس من سنة 706 هـ فإنه يصفها بقوله: ولما توجهنا إلى طرابلس وأشرفنا عليها كاد بياضها مع شعاع الشمس يغشى الأبصار فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء. وخرج جميع أهلها مظهرين الاستبشار رافعين أصواتهم بالدعاء، وتخلى والي البلد إذ ذاك عن موضع سكناه وهو قصبة البلد فترلنا بهـا. ورأيت آثار الضخامة بادية على هذه القصبة، غير أن الخراب تمكن منها، وقد باع الولاة أكثرها فما حولها من الدور التي تكتنفها الآن إنما استخرجت منها، ولها رحبتان متسعتان، وفي الخارج منها

---

(1) المصدر السابق. ص82.
(2) محمد الفاسي. رحلة العبدري. المقدمة (ر).
(3) ينظر خليفة التليسي. طرابلس كما يصفها الرحالة الذين مروا بها في العهد القرمانلي. صحيفة الأسبوع الثقافي (العدد 128) سنة 1976م.

المسجد المعروف في القديم بمسجد العشرة لأن عشرة من أشياخ البلد كانوا يجتمعون فيه للمشورة فيدبرون أمر البلد وذلك قبل تملك الموحدين لها، فلما تملكوها ارتفع ذلك الرسم، وزال عن المسجد ذلك الاسم.

ويصف التجاني حمامات طرابلس بقوله: ودخلت حمام البلد وهو المجاور للقصبة فرأيت حماماً صغير الساحة إلا أنه قد بلغ من الحسن غايته، وتجاوز من الظرف نهايته، وكان هذا الحمام من منافع القصبة فبيع من جملة ما بيع منها، وهو الآن محبس على بعض المساجد، وبالبلد حمامان آخران غيره إلا أنهما في الحسن دونه. ثم يصف شوارع مدينة طرابلس بقوله: فلم أر أكثر منها نظافة ولا أحسن اتساعاً واستقامة ، وذلك أن أكثرها تخترق المدينة طولاً وعرضاً من أولها إلى آخرها على هيئة شطرنجية. ويصف أسوار طرابلس بقوله: ورأيت بسورها من الاعتناء، واحتفال البناء، ما لم أره بمدينة سواه، وسبب ذلك أن لأهلها حظاً من مجباها، ويصرفونه في رم سورها وما تحتاج إليه من مهم أمورها، فهم لا يزالون أبداً يجددون البناء فيه.

ويتحدث التجاني عن تاريخ أسوار المدينة فيقول: واحتوى عمرو على المدينة فهدم سورها وارتحل عنها ثم جدد بناء سورها من جهة البر على يد عبد الرحمن بن حبيب المتغلب على إفريقيا في آخر دولة بني أمية سنة اثنين وثلاثين ومائة، وتأخر بناؤه من جهة البحر إلى ولاية هرثمة بن أعين على إفريقيا من قبل الرشيد سنة ثمانين ومائة فهو الذي ابتناه على يد تقته زكرياء بن قادم، ثم زاد في إتقانه ورفع بنائه من جهة البر والبحر معاً أبو الفتح زيان الصقلبي متولي طرابلس عام خمسة وأربعين وثلاثمائة. ويحيط بهذا السور الآن فصيل آخر أقصر منه على العادة في ذلك يسمونه الستارة ولم يكن في القديم وإنما أمر ببنيانه الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبو حفص أيام وصوله إلى طرابلس في شهر شعبان من سنة أربع عشرة وستمائة، رأيت هذا مكتوباً على باب من أبواب الستارة ويعرف بباب عبد الله ولم يصلوا الستارة حين بنوها بالبحر وإنما انتهوا بها إلى الباب الأخضر وبينه وبين البحر فسحة فأتمت بالبناء أيام مقامنا بطرابلس [1].

ويذكر التجاني أن أهالي طرابلس معتنون بترميم أسوار المدينة ويصرفون جزءاً من مجباها عليها وهم دائماً ما يجددون البناء فيها، وذكر التيجاني أبواب المدينة ومنها الباب الأخضر (وهو باب زناتة) وباب ستارة ويسمى أيضاً باب عبد الله (وهو يطابق باب المنشية) ثم باب هواره وهو بالسور القديم ثم باب البحر وهو الذي يؤدي إلى الميناء.

وذكر التجاني أهم مساجد طرابلس وهو مسجد عمرو بن العاص ومسجد العشرة مقابل القصبة ومسجد الشعاب ومسجد خطاب وهو خارج المدينة ناحية الشرق على البحر ومنها المسجد المعروف بالجدود ويعرف أيضاً بمسجد الجدة لأن إحدى جدات بني الأغلب ولاة إفريقيا

---

(1) التجاني. ص. ص 239، 240.

بنته والجامع الأعظم (جامع الناقة) الذي بناه بنو عبيد ومسجد المجاز وذكر أن مساجد البلد لا تحصى كثرة وهي تكاد تنهاز الدور عدة.

كما أشار التجاني إلى أنه قد زار بخارج المدينة بين شرق وشمال قبر الشيخ الصالح أبي محمد عبد الوهاب القيسي وكان أهل طرابلس يعظمونه كثيراً. ويقول ايتوري روسي في كتابه ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ويحتمل ألا يكون المسجد الحالي الموجود بباب البحر قائماً في عهد التجاني وإلا لوجب أن يتحدث عنه كمسجد لا كضريح ويذكر الخروبي من القرن السادس عشر المسجد[1].

ومصلى البلد وهو الذي تقام فيه صلاتا العيدين كان يوجد عند زيارة التجاني جانب البلد بين جنوب وشرق منه، أما المصلى القديم فقد كان في الجانب الغربي وقد بناه عبد الله بن أبي مسلم وخليل بن إسحاق سنة ثلاثمائة وموضع المصلى القديم يعرف في عهد التيجاني بالعيون سمي بذلك لأن عيون ماء عذبة ينصرف ماؤها إلى البحر – ويرجح ايتوري روسي أن يكون هذا الموضع هو المكان الواقع غربي طرابلس بين السور والمقبرة اليهودية، ولا يزال يعرف بالعيون بسبب المياه النابعة من الأرض المنصرفة إلى البحر.

وأشار التجاني في رحلته إلى المدرسة المستنصرية ويذكر أن بناءها كان على يد الفقيه أبي محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا، وذلك بين سنتي 655 – 658 هـ وهي تقع بالقرب من القوس الروماني ووصفها التيجاني بقوله: (من أحسن المدارس وضعا وأظرفها صنعاً) وقد تم دمارها في القرن السادس عشر أثناء الغزو الإسباني لمدينة طرابلس.

كما وصف القوس الروماني وذكر بعض الشيوخ والعلماء الذين كانوا في المدينة.. وقد لاحظ الرحالة التجاني في ضواحي طرابلس كثرة المحارس والمساجد وذكر أن هذه المحارس تقع في المرتفعات الحصينة وهي تصلح لمراقبة الأعداء الزاحفين عن طريق البر والبحر وينسب بناؤها إلى الأغالبة (القرن العاشر الميلادي) الذين شيدوها على طول سواحل إفريقيا والمغرب ويلحق بها في العادة مسجد وقد زالت عنها فيما بعد الوظيفة الدفاعية لتصبح مجرد أماكن للعبادة.

وذكر ابن بطوطة في رحلته أنه قد بقي مدة بمدينة طرابلس وكان قد عقد بصفاقس على بنت لبعض أمناء تونس فبنى عليها بطرابلس وكان ذلك سنة 726هـ. ولعل ذلك شغله عن الحديث عن طرابلس وشيوخها وأحوالها.

أما الرحالة العياشي فيصف مدينة طرابلس في أواخر القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) بقوله: وهي مدينة مساحتها صغيرة، وخيراتها كثيرة، ونكايتها للعدو شهيرة ومآثرها جليلة، ومعايبها قليلة، أنيقة البناء، فسيحة الفناء، عالية الأسوار، متناسبة الأدوار، واسعة طرقها،

---

(1) روسي. ليبيا منذ الفتح العربي. ص.ص 106، 107.

سهل طروقها، إلى ما جمع لأهلها من زكاء الأوصاف، وجميل الإنصاف. وسماحة على المعتاد زائدة، وعلى المتعافين على أنواع العبرة عائدة، لا تكاد تسمع من واحد من أهلها لغواً إلا سلاماً، ولو لمن استحق ملاماً، سيما مع الحجاج الواردين ومن انتسب إلى الخير من الفقراء العابدين، فإنهم يبالغون في إكرامهم، ولا يألون جهداً في أفضالهم عليهم وأنعامهم، ولهذه المدينة بابان، باب إلى البر، وباب إلى البحر، لأن البحر يحيط بكثير من جهاتها. والحصن الذي فيه الأمير متصل بالمدينة من باب البر بينه وبين البحر [1]. وذكر العياشي في رحلته أفاضل أهل طرابلس وعلماءها ممن لقيه ووصف مراكب الجهاد التي أعدها الوالي للجهاد ضد المسيحيين وأثنى عليه لجهاده وحسن معاملته للحجاج وترفقه بهم. وأثنى العياشي على أهل مدينة طرابلس وسماحتهم وحسن خلقهم وحسن تعاملهم مع الحجاج وتزويدهم بما يحتاجونه من زاد. ويذكر أنه نزل في غرفة علوية على باب المسجد المسمى بجامع الحاج إبراهيم بأقصى المدينة قرب ضريح الولي سيدي سالم المشاط ويذكر العياشي أنه كانت في مدينة طرابلس فيما مضى. مزارات كثيرة لكثير من أكابر الصالحين ولا يعرف منهم الآن إلا قليل كسيدي سالم المشاط صاحب المسجد الجامع الذي بأقصى المدينة وقبره يزار [2]. ويذكر العياشي السبب في اختفاء كثير من قبور الصالحين مرجعه إلى أن البلد قد تداولته أيدي المسلمين والنصارى مراراً عديدة.

أما الرحالة الحشائشي الذي زار طرابلس 1313هـ (1895م) وألف عن رحلته كتاباً أسماه (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)، فقد استعرض في كتابه تاريخ المدينة وما بها من علماء وقد استند في ذلك لنصوص نقلها من الرحالة العرب السابقين وخاصة الرحالة التجاني.

ويذكر الحشائشي عن أهل طرابلس أنهم لا يميلون إلى الغرباء في أول الأمر إلا أنهم بعد ذلك إذا عاشروا الغريب أكرموه واعتبروه كأنفسهم وأورد بيتين من الشعر للفقيه أبي الحسن:

لأهل طرابلس عادة ... من البرتنسي الغريب الحميما

حللت بها مكرهاً ثم إذا ... أقمت بها أبدلوا الهاء ميما

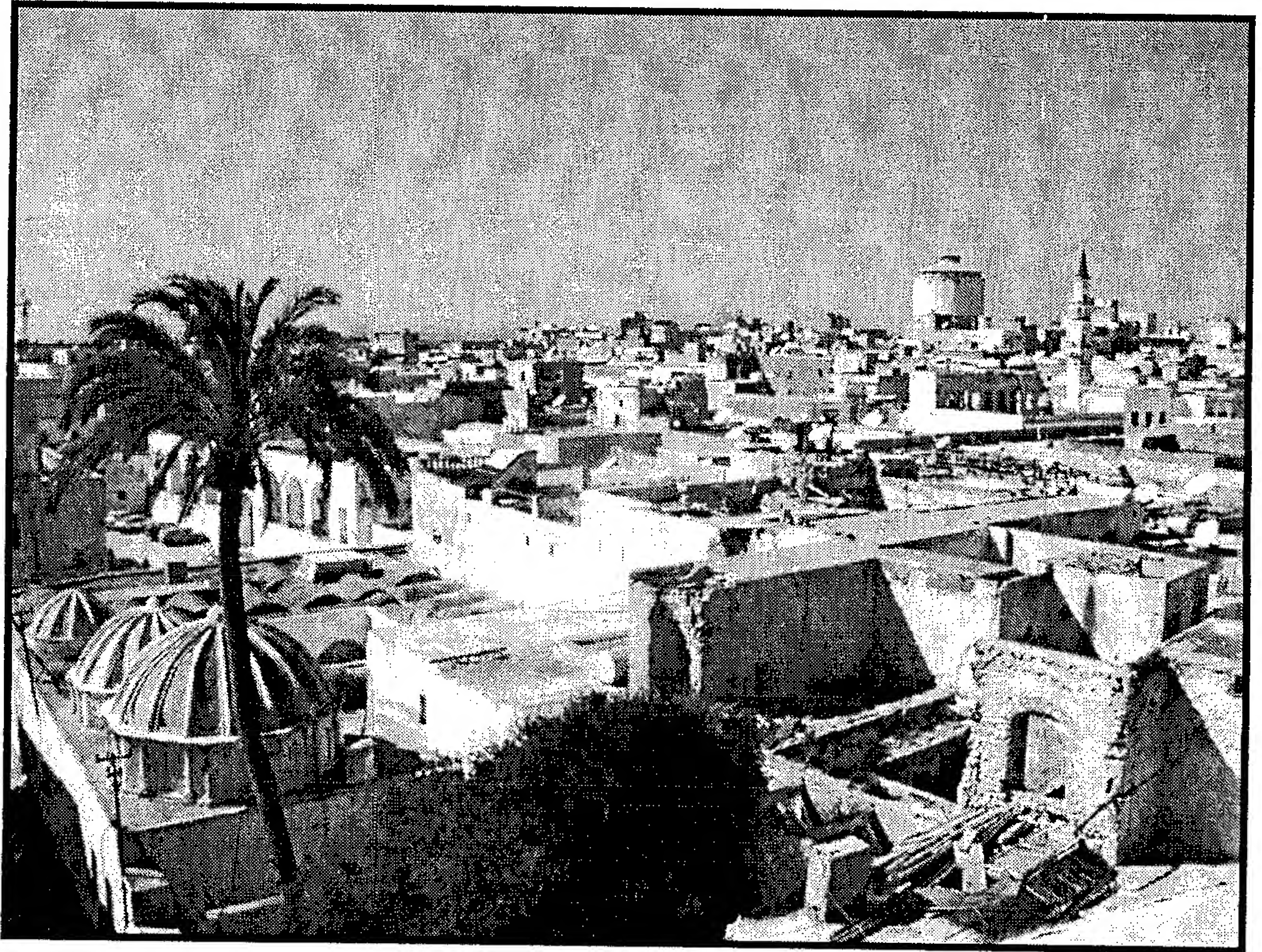
ويصف الحشائشي طرابلس بقوله: والبلد القديم بناؤه على الشكل العربي المعروف عندنا بتونس إلا أماكن الإفرنج فإنها على الشكل الأورباوي [3].

---

(1) العياشي. ماء الموائد. ص60.
(2) المصدر السابق. ص65.
(3) الحشائشي. جلاء الكرب عن طرابلس الغرب. تحقيق علي مصطفى المصراتي. بيروت، 1965 ص66.

ويصف نعيم وخيرات طرابلس بقوله: أما لحوم البلد وفواكهًا وغلاتها فجميعها طيبة فيها من كل ما خلق الله لعباده من أصناف النعيم بثمن متهاون [1]. ويذكر الحشائشي الحامية العسكرية التركية في طرابلس ويصف حالة مرسى المدينة وذكر ما تستورده من أوربا.

لقد شهدت مدينة طرابلس اعتباراً من سنة 1862م سلسلة من الإصلاحات والإنجازات العمرانية كتأسيس المدارس الصناعية والفنية وإنشاء المستشفيات والمحاكم والفنادق والأسواق واستحداث شوارع خارج أسوار المدينة والمطاعم ومد المدينة بالمياه العذبة.



جزء من مدينة طرابلس وتظهر قباب مدرسة عثمان باشا

دور السكن:

يطلق في ليبيا على المترل كلمة الحوش. ويتكون الحوش عادة في المدن القديمة من مدخل على هيئة عقد يؤدي إلى ممر يطلق عليه السقيفة ثم ينعطف يميناً أو يساراً وهو ما يعرف بالمدخل المنكسر، وهو يؤدي غرضين: أولهما يوفر الخصوصية لأهل البيت، فيحجب الجدار المواجه للمدخل أعين المارة عنهم. وثانيهما يعمل كمصد للرياح والأتربة.

(1) المصدر السابق. ص68.

ويتميز البيت العربي الليبي بوجود الفناء أو وسط الحوش الذي تفتح عليه أبواب الحجرات والنوافذ، فالدور الأرضي بالحوش عادة لا توجد به نوافذ تفتح على الطريق باستثناء طاقة صغيرة للمرحاض للتهوية. ويستخدم وسط الحوش لتوفير الإضاءة لكل الحجرات والمنافع الأخرى، وفي الأغراض المعيشية المتنوعة، فهو يعتبر منطقة منفعة جماعية في حالة تقسيم المنزل أو تسكنه أكثر من أسرة، وكل هذه الميزات حتمت استمرارية استخدامه في التكوينات المعمارية الإسلامية بالمدينة الإسلامية، بل إنها دفعت إلى تطوير استخدامه وظيفياً وجمالياً ليتناسب وحياة الأسرة المسلمة التي تقضي معظم أوقاتها داخله وخصوصاً النساء [1]. وتوجد ببعض بيوت الأثرياء بالمدينة نافورات مياه لتعطي للبيت نوعاً من التفرد والجمال وتساهم في تلطيف الحرارة في فصل الصيف ولجلوس أفراد الأسرة.

وتتميز البيوت الكبيرة في مدينة طرابلس بوجود حجرة تسمى (دار القبو) وهي عبارة عن حجرة مستطيلة في طرفيها سدتان خشبيتان تستخدم إحداهما للوالدين والأخرى للأبناء، ويستخدم أسفلهما لغرض التخزين. بينما يستخدم الفراغ الذي يتوسطهما للاستقبال والمعيشة.

إن الظروف التاريخية التي مرت بها مدينة طرابلس من فتن وثورات واحتلال لم يبق لها دور سكن متميزة ترتقي تاريخياً إلى الفترة الإسلامية المبكرة. إن المنازل الطرابلسية القديمة القائمة في وقتنا هذا تتوزع زمنياً ما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر، باستثناء منزل واحد بناء على كتابة على لوحة من القيشاني.. تشهد بسنة بنائه (1228هـ/ 1813م) مع اسم الخزاف (يوسف الخميري) فإننا غير قادرين على تحديد تاريخ تشييدها بكل دقة. لكنه من الممكن الاستنتاج (بالنسبة لجمعيها أو معظمها) وبصفة خاصة يمكن ترتيب التسلسل الزمني لتشييدها وفي ذلك تساهم المذكرات التاريخية المتعلقة بتلك المنازل وبالأخص مقارنة الأشكال المعمارية والزخارف الموجودة بها التي توجد بالمساجد في المدينة حيث إننا نعرف تاريخ إنشائها الأكيد [2].

ولم يغفل المعمار الليبي الجانب الزخرفي في البيوت المميزة، وكان أغلب الزخارف تتمثل في الزخارف النباتية والهندسية المنفذة على البلاطات القيشانية التي صنعت بعضها محلياً واستورد بعضها من تونس، فزخرف بها أفنية تلك البيوت ومداخلها، بينما الزخارف المنفذة على الحجر في أفاريز المداخل وأبواب الحجرات. ومن أهم الدور السكنية في مدينة طرابلس القديم؛ ما يأتي:

1- حوش الحريم: يقع بشارع الأربع عرصات بناه يوسف باشا القرمانلي باشا طرابلس من 1895. إلى 1832م. وعرف الحوش بهذا الاسم لأنه بني لسكنى حريمه، وهو يتكون من طابقين ويمتاز بكبر مساحته وطرازه الإسلامي، ووجود نافورة في فنائه. وظفه مشروع المدينة القديمة بطرابلس ليكون معرضاً تاريخياً للأزياء والتقاليد الشعبية.

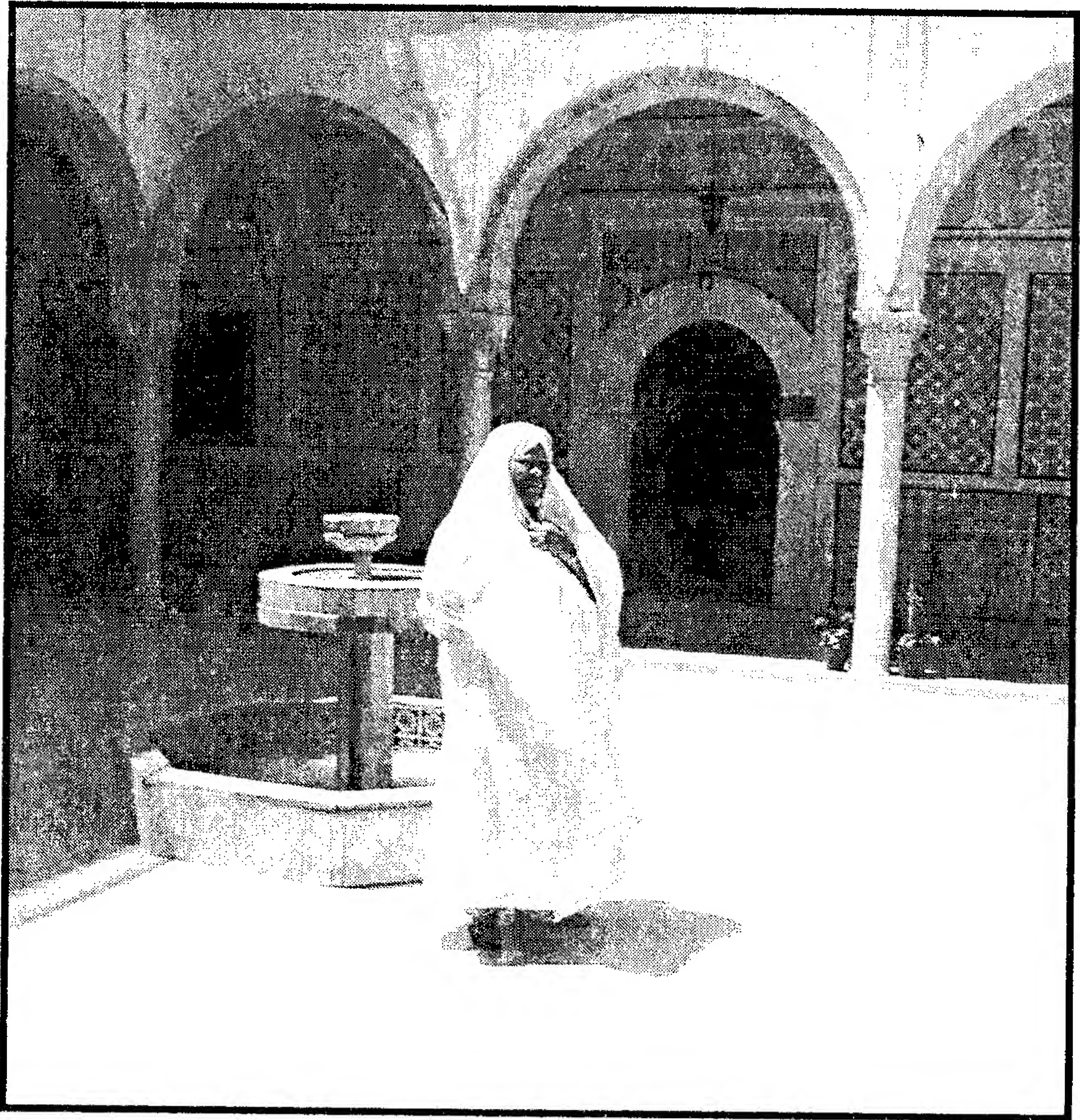
---

(1) محمد عثمان عبد الستار. المدينة الإسلامية. ص341.

(2) بيترو رومانيللي، منازل عربية قديمة بطرابلس. ترجمة فؤاد الكعبازي. مجلة آثار العرب، العدد 2، مارس 1991م. طرابلس: مصلحة الآثار ومشروع إدارة وتنظيم المدينة القديمة. ص10.

2-حوش قرجي: يقع بشارع الأربع عرصات رقم (39) شيده مصطفى قرجي وهو من أعيان طرابلس في بداية القرن الثامن عشر كان صهراً ليوسف باشا القرمانلي حاكم طرابلس (1895 – 1832م) وشغل منصب رايس المرسي، وهو الذي بنى الجامع الذي ينسب إليه جامع قرجي سنة 1834م. شيد الحوش من طابقين ويمتاز بجمال مدخله وهو على هيئة عقد، بأعمدته، وتوجد بالدور الأول مزولة شمسية.

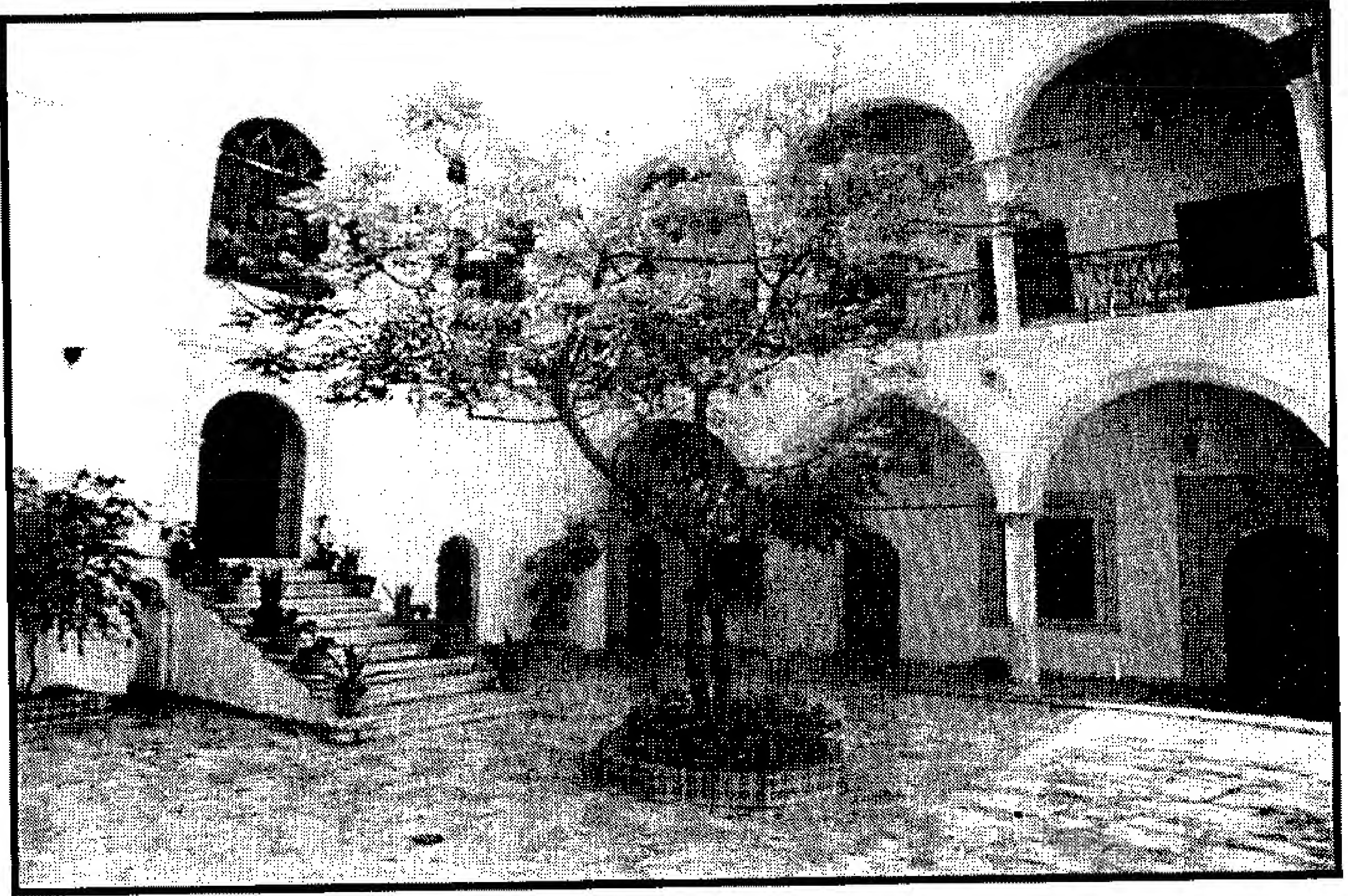
3-حوش الباشورات: يقع بشارع جامع الدروج رقم (40) يرجع بناؤه إلى العهد القرمانلي وهو مكون من طابقين كان بيتاً للضيافة في ذلك العهد. وفي العهد الإيطالي عرف باسم دار القاضي لأنه كان مقراً للمحكمة الشرعية.



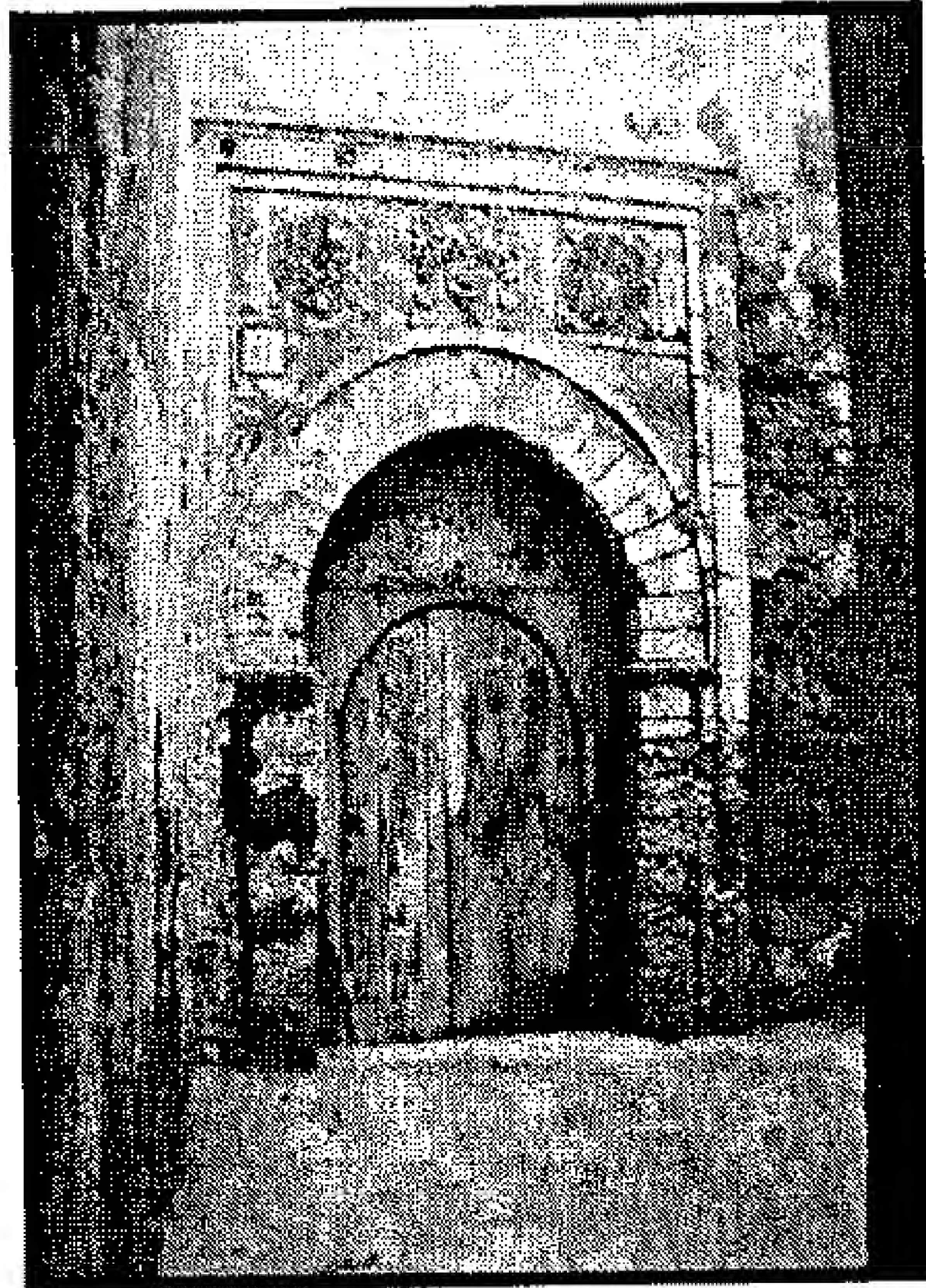
حوش الحريم

4-حوش محسن: شيد في بداية القرن التاسع عشر سكنه الشيخ محسن (شيخ البلد) وهو يتكون من طابقين وفي الطابق الأول به ثلاثة لوحات قيشانية كتب على إحداها اسم الخزاف يوسف الإخميري.

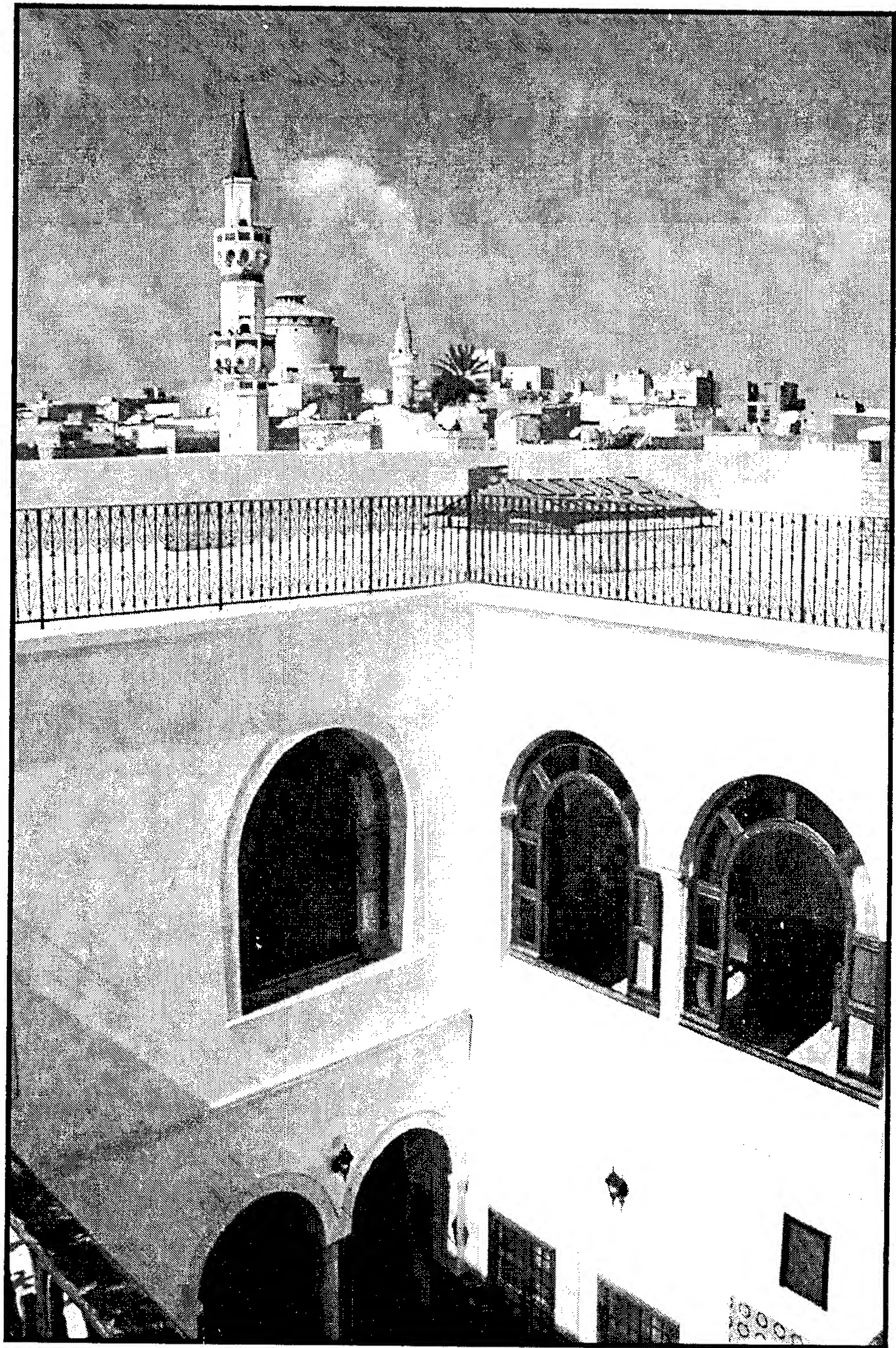
5–حوش المكنى: يقع في زنقة المكني رقم 27 المتفرعة من شارع كوشة الصفار وكان ملكاً للمكني وهو من أعيان مدينة طرابلس عينه يوسف باشا حاكماً لفزان ويتميز الحوش بغنائه بالأقواس والأعمدة ملحق به حوش صغير وحمام بخاري صغير بني على طراز الحمامات التركية.



القنصلية الإنجليزية



حوش الزمرلي



كما توجد مجموعة أخرى من البيوت المميزة مثل حوش الزمرلي، حوش الِبي محمود، حوش حواء علجية وغيرها. وقد تم إحصاء البيوت المميزة في المدينة القديمة في فترة الاحتلال الإيطالي فوجد أنها تزيد عن عشرين بيتاً وهناك مجموعة من البيوت استعملت كمقار للقنصليات الأجنبية ومن أهمها:

1-القنصلية الإنجليزية: تقع القنصلية بشارع الأكواش بمنطقة باب البحر ويرجع إنشاء البيت إلى سنة **1744**م وقد استعمل كمقر للقنصلية الإنجليزية حتى سنة **1940**م ملحق به اسطبل وقد قام مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة بترميمه وصيانته ووظف ليكون مكتبة عامة باسم بيت عبد الخالق نوجي للثقافة.

2-القنصلية الفرنسية: وتقع بزنقة الفرنسيس بمنطقة باب البحر ويعود البيت الذي تشغله إلى بداية القرن السابع عشر، وظل مقراً لها من سنة **1630**م. إلى بداية الحرب العالمية الثانية، ويتميز البيت بعقوده وبالبلاطات القيشانية والأعمال الخشبية المحفورة وبوجود دار القبو وملحق به اسطبل. قام مشروع إدارة وتنظيم المدينة القديمة بطرابلس بأعمال الصيانة والترميم له ووظفه كفضاء ثقافي تحت اسم دار حسن الفقيه حسن للفنون.

الحمامات:

أشاد الكثير من الرحالة بحمامات مدينة طرابلس ومن أشهرها:

1- حمام درغوث: وقد شيده إسكندر باشا سنة **1604** إلا أنه اشتهر بحمام درغوث نظراً لمجاورته لجامع درغوث وهو على طراز الحمامات التركية، ولازال يؤدي وظيفته كحمام.

2- الحمام الكبير: بناه الوالي عثمان باشا (**1649 – 1672**) ويقع بسوق الحرارة ويمتاز بقبته الكبيرة.

3- حمام الحلقة: يقع بزنقة النسى (النساء) المتفرعة من طريق الحلقة وهو يعود إلى العهد العثماني الثاني واشتهر باسم حمام النسى لوقوعه في سوق صبابيط (أحذية) النساء كما عرف باسم شيخ البلد وحمام باقي ولازال يؤدي وظيفته كحمام.

الفنادق:

الفندق هو الخان والخان لفظة فارسية أو تركية وتعني في الفارسيات الحانوت، أما في اللغة التركية فتعني دار العمل وقد اشتهرت مدينة طرابلس منذ الفترة الإسلامية المبكرة بفنادقها فقد أشار الكثير من الرحالة العرب إلى فنادقها وكثرتها ويتكون الفندق عادة من طابقين يتم الدخول إليه عن طريق باب ضخم يسمح بمرور جمل محملاً وبالباب باب صغير يطلق عليه (باب بو خوخة) يستخدم من قبل النزلاء ثم سقيفة وفناء للفندق تفتح عليه حجرات الطابقين ويستغل هذا الفناء في تخزين البضائع وفي عمليات البيع والشراء ومن أهم الفنادق بمدينة طرابلس:

1- الفندق الكبير (الباشا): شيده عثمان باشا سنة 1654 ويقع بسوق الترك وكان به مئة غرفة كان مبيتاً للجند الإنكشارية حوره الإيطاليون وأزالوا غرفة ووظفوه ليكون سينما باسم سينما البولتيامي تعرف حالياً باسم سينما النصر.

2- فندق الزهر (قرجي): يقع في شارع سوق المشير بناه مصطفى قرجي واشتهر باسم فندق الزهر لأنه كان مخزناً تجمع فيه أزهار البرتقال والليمون والحناء والعطر وتصدر إلى تركيا، وهو يعود إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر.

3- فندق بن زكرى (القرقنى): ويقع بتقاطع سوقي العطارة والصياغة بني سنة 1856 وكان من أملاك عائلة القرقني ثم آل إلى عائلة بن زكري.

4- فندق زميت (الضفايري): ويقع بمنطقة باب البحر، توجد على يمين مدخله لوحة رخامية بها ثمانية أسطر وبها تاريخ 1183 هـ (1769) وقد أجريت عليه أعمال الصيانة والترميم مؤخراً ووظف ليكون فندقاً سياحياً.

ويوجد بطرابلس العديد من الفنادق الأخرى منها؛ بنت السيد، ميزران، أبو دلغوسة، النجار وغيرها ومعظمها مستغل الآن من قبل الحرفيين.

الأسواق:

تعود نشأة مدينة طرابلس إلى موقعها كمركز تجاري فهي من أهم المدن بين القيروان والأسكندرية ونقطة اتصال بين بلدان شمال البحر الأبيض المتوسط ودول ما وراء الصحراء وتدل كتابات الرحالة العرب الذين مروا بطرابلس على ازدهار الحركة التجارية بها فابن حوقل والتيجاني أشاروا إلى أن المراكب تحط بها وترد بالتجارة على مر الأوقات وأشار الرحالة مارمبر الذي زار طرابلس في القرن 16 ميلادي إلى أنها كانت أهم ميناء يتوجه إليه القادمون لإيواء التجار ومن أهم أسواق مدينة طرابلس من مالطا والبندقية وصقلية [1]. وترتب على ذلك أن أنشئت بها مجموعة من الأسواق والفنادق، من أهم أسواق مدينة طرابلس ما يأتي:

1- سوق الربع أو الرباع: أنشأه الوالي عثمان باشا (1649 - 1672) وعرف أيضاً بسوق العرب لمواجهته لسوق الترك وهو مخصص لبيع الأردية الحريرية والملابس التقليدية.

2- سوق الترك: أنشأه محمد باشا شايب العين 1688 وكانت تباع به البضائع الشرقية والغربية.

3- سوق الحرير: أنشأه محمد باشا شايب العين وهو متفرع من سوق الترك وكانت تصنع به الأردية الحريرية وكان الحرير يستورد من إيطاليا واليونان والصين.

كما تضم مدينة طرابلس مجموعة من الأسواق تسمى باسم الحرف التي تزاول فيها كسوق الحرارة (الأقمشة والحرير) وسوق الصياغة (للذهب والفضة) وسوق العطارة (للتوابل والعطور)

---

(1) مارمول. إفريقيا ترجمة محمد حجي وآخرون. الجزء الثالث. ص21.

وسوق القزدارة (القصدير) وتصنع فيه القدور النحاسية وتبيض بالقصدير وبعض الأواني الأخرى والأهلة التي توضع فوق المآذن وغيرها (*).



سوق الرباع



مدينة سرت القديمة (سلطان):

تقع مدينة سرت القديمة (سلطان الحالية) أو كما تعرف عند سكان المنطقة المدينـــة (تـــصغير مدينة) إلى الشرق من مدينة سرت الحديثة بنحو 55كم، عند خليج سرت، وهي تتوسط مدينـــة بنغازي وطرابلس. وقد شيدت سرت القديمة في العصور الوسطى على أنقاض أو بـــالقرب مـــن المدينة الرومانية المسماه (أتشينا)[1]. ويبدو أن هذه المدينة الرومانية قد قامت على أنقاض المرفـــأ البحري البونيقي (كراكس).

(*)عن أسواق طرابلس ينظر ـ سعيد علي حامد. التجارة والأسواق في طرابلس قبل التاريخ. مجلة ثرات الشعب. سنة 11 العدد 4 طرابلس 1991 – 1992. ص.ص 113 إلى 133.

(1) جود تشايلد. مدينة سلطان. حولية ليبيا القديمة. تصدرها الإدارة العامة للآثار والمتاحف والمحفوظات التاريخية بليبيا. العدد الأول. 1964م. ص106.

افتتح القائد عمرو بن العاص سرت سنة 22هـ/ 643م، ولم يجد عناء في فتحها، ويبدو أنها كانت مدينة صغيرة وتعود أهميتها إلى القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين.

إذ أشار المؤرخ اليعقوبي وهو من أهالي القرن الثالث الهجري في كتابه البلدان، إلى المراحل التي تفصل أجدابية وسرت، وهي خمس مراحل، وأشار إلى القبائل التي تقطن بالمنطقة، وعلى الرغم من أنه وصف مدينة أجادبية وذكر بها مسجداً وجامعاً وسوقاً فإنه لم يعط معلومات عن مدينة سرت، مما يدل على أنها لم تكتسب تلك الأهمية التي لدى مدينة أجدابية في تلك الفترة.

لقد جاد علينا ابن حوقل بوصف فيه بعض التفاصيل، في كتابه صورة الأرض الذي كتبه في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بقوله: وسرت مدينة ذات سور صالح كالمنيع من طين وطابية.. ولها من وجوه الأموال والغلات والصدقات من سائمة الإبل والغنم مما يزيد على حال أجدابية ومالها في وقتنا هذا، وبها نخيل تجتني أرطابها وليس بها من القسب والتمر ما تذكر حاله لأن نخيلهم بقدر كفايتهم، ولهم أعناب وفواكه وأسعارهم صالحة على مر الأوقات.. وهي على غلوة سم عن البحر في مستواة من رمل، وترد المراكب أيضاً عليها بالمتاع وتصدر عنها بشيء منه كالشب السرتي، فإنه بها عزيز كثير، وبالصوف أيضاً[(1)]. ومن خلال وصف ابن حوقل الذي يبدو أنه زار مدينة سرت في منتصف القرن الرابع الهجري/ منتصف القرن العاشر الميلادي، أنها شهدت نمواً وتطوراً، وأصبحت مدينة تجارية مزدهرة ترد عليها المراكب، وحالها يزيد على حال مدينة أجدابيا.

لقد أولى (الفاطميون) اهتماماً كبيراً بمدينة سرت، لأنها معبرا إلى مصر وبموقعها في خليج سرت الذي يتميز بصعوبة مناخه وقلة المدن الآهلة به. مما جعل منها إحدى أهم القواعد العسكرية التي أولاها الخلفاء الفاطميون الأوائل اهتمامهم لتحقيق حلمهم في فتح مصر وقد فشلت ثلاث محاولات قام بها الخلفاء الفاطميون الثلاثة الأوائل. وأدرك الفاطميون أن فتح مصر يتطلب تجهيز الجند والمؤن والمياه، وإقامة القواعد العسكرية على طول الطريق من المهدية إلى مصر[(2)]. ولما تولى الخليفة المعز لدين الله سنة 341هـ/ 952م بادر بتذليل تلك الصعوبات، وقد أشار الوزير الأديب الأندلسي الشهير: لسان الدين بن الخطيب أن المعز أقام حصناً على كل ثلاثين ميلاً على الطريق الممتدة بين المهدية ومصر، وحدد المقريزي تاريخ حفر الآبار وبناء الحصون كان في عام 335هـ/ 965م.

ولعل الفاطميين أولوا اهتماماً كبيراً لمدينة سرت في هذه الفترة إذ هي مدينة في مفازة توفر لهم الإقامة الجيدة وهي كثيرة الغلات وبها من سائمة الإبل والغنم... ولها أعناب وفواكه وأسعار صالحة على مر الأوقات، ومن المحتمل أن ركب المعز استقر بسرت لفترة من الزمن للراحة أثناء رحيله من المغرب إلى القاهرة المعزية.

---

(1) ابن حوقل. صورة الأرض. ص70.

(2) Abbas Hamdani. Some aspects of the history of Libya during the Fatimid period – P342.

خلف المعز لدين الله على إفريقية بلكين بن زيري الصنهاجي (362 – 373هـ) وأمر عماله بطاعته. فأصبح سلطان الزيريين. على كل ما كان للعبيديين في المغرب سوى طرابلـ... سرت وأجدابية، فإن المعز استثناها من ولاية بلكين[1]. بالرغم من أن الأخير كان يطمـ... صبح تلك المدن تحت نفوذه. ولقد تمكن من أن يضم طرابلس ونواحيها في سنة 367 بإنعـ... ـن الخليفة الفاطمي العزيز نزار بن المعز (365 – 386هـ). وبذلك أ... ـعة سرت وطرابلس إلى القيروان بدلاً من القاهرة.

لقد خضعت سرت فيما بعد لحاكم طرابلس والأقاليم التابعة ...، فلفول بن سعيد بن خزرون الذي انتهج سياسة الوقيعة بين الفاطميين وبني زيري، ويمكن القول أن استقلال منطقة سرت تحت حكم بني خزرون قد بدأ عام 391هـ/ 1001م، وأصبحت منطقة طرابلس وسرت وأجدابية تجاهد للبقاء مستقلة عن القيروان في الغرب وعن القاهرة وبرقة في الشرق[2]. على أن هناك صراعاً بين بني خزرون والزيريين حول السيادة في المنطقة وكان الفاطميون يقفون إلى جانب بني خزرون ضد بني زيري الأمر الذي جعل منطقة سرت في انحياز إلى الفاطميون. يمكن القول أنه بعد سنة 450هـ أصبح اهتمام الفاطميين متجهاً نحو شرق البحر الأبيض المتوسط، وبذلك فقدوا اهتمامهم بشمال إفريقية، والاستقلال الحقيقي لليبيا وبقية منطقة الشمال الإفريقي عن الخلافة الفاطمية تؤرخ منذ الآن[3]. كان للقطيعة بين المعز باديس والخلافة الفاطمية أثرها الكبير على مدينة سرت وبقية مدن الشمال الإفريقي، فعندما قام المعز بإعلان القطيعة مع الفاطميين في مصر والاعتراف بالخلافة العباسية في بغداد. أجاز الخليفة الفاطمي المستنصر بناء على نصيحة وزيره اليازوري القبائل العربية من بني هلال وسليم النيل، مشجعاً أمراءهم بالجوائز الكبيرة وأعطى لكل واحد من عامتهم بعيراً وديناراً، وكان الوزير اليازوري يرمي من ذلك التخلص من حكم بني زيري بضربهم بتلك القبائل التي تعيش في شرق النيل ويفهم ذلك من قول الوزير: فإن صدقت المخيلة في ظفرهم بالمعز وصنهاجة كانوا أولياء الدعوة، وعمالاً بتلك القاصية، وارتفع عدوانهم عن ساحة الخلافة، وإن كانت الأخرى فلها ما بعدها وأمر العرب البادية أسهل من صنهاجة الملوك. وراق هذا الرأي للخليفة فخاطب تلك القبائل بقوله: قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الأبق فلا تفتقرون[4].

لقد حمل الكثير من المؤرخين العرب كابن الأثير صاحب الكامل في التاريخ وعبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب في تلخيص أخبار المغرب وابن خلدون في كتابة العبر ومن اعتمد على كتبهم من المؤرخين العرب المحدثين وكذلك المستشرقين أمثال غويته في كتابه ماضي شمال إفريقيا

---

(1) ابن خلدون. كتاب العبر. ج4. ص51.

(2) عباس حمداني. تاريخ مدينة سرت. ص26.

(3) Hamdani. Some Aspects. P. 342.

(4) ابن خلدون. العبر. 4. ص62.

وجوليان في كتاب، تاريخ إفريقيا الشمالية ــ حملوا القبائل العربية المهاجرة بني هلال وسليم الفوضى وأعمال التخريب في برقة وطرابلس وإفريقية، فافتتحت أمصارها واستباحتها فخربت المدينة الحمراء (برقة) وأجدابية وسرت وزحفت على إفريقية كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلى أتوا عليه حتى وصلوا إلى إفريقية سنة 443 [1].

إن الهجرة الهلالية لم يكن لها كبير تأثير على مدينة سرت فتدهور مدينة سرت لم يكن بسبب الهجرة الهلالية وإنما كان بسبب فقدانها دورها الرئيسي الوحيد الذي حدده لها الفاطميون [2]. بأن تكون مدينة عسكرية محصنة في طريقهم إلى مصر، ثم أصبحت المدينة بعد ذلك مسرحاً للصراع والفتن بين القوى التي تريد بسط نفوذها على المنطقة، كما أن هناك سببين أساسيين يمكن إضافتهما إلى الصراع الفاطمي الزيري المشار إليه وكان لهما انعكاساتهما على المنطقة:

السبب الأول: التغير المفاجئ في تجارة الفاطميين من البحر الأبيض المتوسط إلى المشرق في القرن الحادي عشر.

السبب الثاني: أن تطور مدينة سرت يعود للفاطميين قبل نزوحهم إلى مصر، من أجل استغلالها كقاعدة تساهم في فتحهم مصر، وعندما تم ذلك لم تعد سرت تشكل لهم تلك الأهمية فأهملوها [3].

ثم كان تأثير هجرة قبائل بني هلال وسليم على الأوضاع الاقتصادية عامة وانعدام الأمن مما أدى إلى هجرة الكثير من السكان للمنطقة تدريجياً.

وفي هذه الفترة يمر الرحالة البكري (476هـ/ 1083م) فيصفها بقوله: وهي مدينة كبيرة على سيف البحر، عليها سور طوب وبها جامع وحمام وأسواق، ولها ثلاثة أبواب قبلي وجوفي وباب صغير إلى البحر ليس حولها أرباض ولهم نخل وبساتين وآبار عذبة وجباب كثيرة، ذبائحهم المعز ولحمانها عذبة طيبة، ليس يوكل بطريق مصر أطيب من لحومها [4]، ويفهم من وصف البكري أن مدينة سرت مازالت مدينة كبيرة إلا أنها ليست لها أرباض حولها، ويمكن القول أنها تقلص نموها وانكفت داخل أسوارها وقل عدد سكانها.

وقد زاد تدهور مدينة سرت في منتصف القرن السادس الهجري/ أوائل القرن الثاني عشر للميلاد، فالجغرافي الإدريسي (ت. 561هـ/ 1116م) يقول: بين مدينة سرت والبحر ميلان، وعليها سور تراب وما استدار بها رمل، وبها بقايا نخيل ولا زيتون بها وبها كثير من شجر التوت وبقايا شجر التين كثير. غير أن العرب تأتي على أكثر ذلك بإفسادها.. وكان لهم أعناب وفواكه إلا أنها قد تلفت في وقتنا هذا ولم يبق بها شيء إلا ما كان في بطون الأودية ورؤوس الجبال [5].

---

(1) المصدر السابق. ج6. ص31.
(2) جيزا فيهر فاري وآخرون. حفريات سرت. 1977 – 1981 (مخطوط) ترجمة مصطفى الترجمان ص164.
(3) عباس حمداني. تاريخ مدينة سرت (بحث ضمن كتاب حفريات مدينة سرت). ص.ص 37، 38.
(4) البكري. ص6.
(5) الإدريسي. عن كتاب ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات. ص 46.

ويورد ياقوت الحموي (ت 626هـ) في كتابه معجم البلدان نصاً مقتبساً بالكامل عن الرحالة البكري. أما ابن سعيد المغربي (ت 685 هـ/ 1286م) فيشير في كتابه بسط الأرض بقولـه: وفي شمال زويلة مدينة سرت وهي من القواعد القديمة المذكورة في الكتب وعلى ألسنة المـارة، وقـد خربها العرب ولم يبق منها إلا قصور يسكنها أتباعهم، وكذلك جهاتها على الطريق قصور لجـيران العرب الذين يحرثون حولها [1].

وهذا ما يؤكده الرحالة محمد العبدري الذي مر بسرت خلال رحلته الذي بدأها من المغـرب أواخر سنة 688 هـ فيذكر "لاحت لنا في البيداء قصور سرت، وهذا الاسم يُطلق على عـدة قصور بينها مسافة أولها يسمى الشبيكة وهي أعمرها في هذا الوقت. وآخرها يسمى المدية. وأكثر ما يطلق اسم سرت عليها، وحكمها كلها حكم القفار. قلما يعمرها إلا الأعراب ومن ليس بـه عبره. وقد ذكرها البكري في مسالكه أن سرت مدينة كبيرة على ساحل البحر لها نخل وبـساتين. ولا وجود لشيء مما ذكر، إلا أن يكون مما غبر ودثر" [2].

لعل المدية التي أشار إليها العبدري هي التي يطلق عليها أهالي المنطقة حالياً اسم (المدينة) تصغير مدينة فربما سقطت النون لتصحيف، فالرحالة أبو سالم العياشي يشير في رحلته إليها فيقول: مررنا بمعطن يقال له المدينة تصغير مدينة على ساحل البحر، ثم بآخر يقـال لـه أم الـسلطان [3]. وأم السلطان هذه تحمل اسم سلطان الآن وهي إلى الشرق من مدينة سرت القديمة بنحـو 5 كيلـو مترات.

ومن حديث العبدري نلاحظ أن سرت فقدت أهميتها فهي قليلة السكان وأن سكانها موزعون على عدة قصور، ويشير أنه لا يوجد بها نخل والتمر إليها مجلوب من بلاد أوجلة وهو جل عيشهم بها.

لقد دلت نتائج الحفريات التي قامت بها مصلحة الآثار بين عامي 1962 – 1966، أو تلك التي قامت بها جمعية الدراسات الليبية البريطانية بالاشتراك مع مصلحة الآثار الليبية بين سنتي 1977 – 1981 على أهمية مدينة سرت في القرنين الثالث والرابع الهجريين. فقد أظهرت هذه الحفريـات الكثير من معالم المدينة إذ اكتشفت أسوار المدينة وأبوابها وحصونها التي أشار إليها الرحالة العرب واكتشف المسجد الجامع بها والذي يعود تاريخ بنائه إلى الفترة العباسية المبكرة، وتدل الحفريات أن تاريخ إعادة بنائه يرجع في أغلب الأحوال إلى السنوات الأولى من عهد الخليفة الفاطمي الرابـع

(1) ابن سعيد. بسط الأرض. عن كتاب ليبيا في كتب الجغرافية. ص80.
(2) العبدري. ص78.
(3) العياشي. ص10.

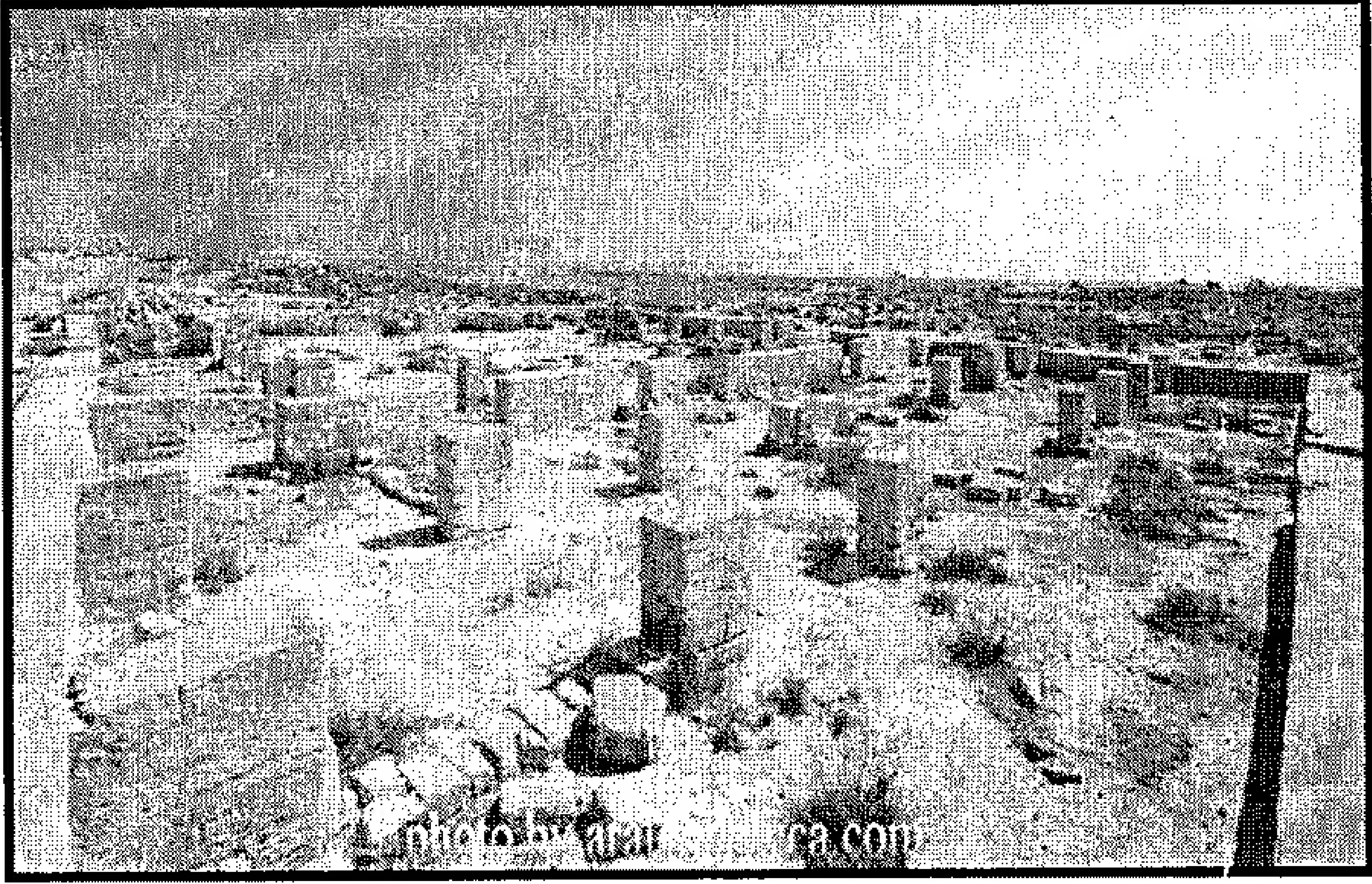
المعز لدين الله ــ إذ تم العثور خلال الحفريات بموقع مسجد سرت على قطعة نقود من عهد المعز لدين الله الفاطمي [1].

وقد بلغت مقاييس المسجد 31م/ 41م، وحددت مساحة مدينة سرت بنحو 184003م^2 وبلغ طول سورها 1650 متراً [2]. لقد نتج عن هذه الحفريات العثور على الآلاف من الكسر الفخارية المصقولة وغير المصقولة فضلاً عن بعض الأواني الكاملة من الفخار غير المصقول، بالإضافة إلى عدد كبير من كسر الحديد والبرونز والزجاج، ويلاحظ على بعض منها زخرفة. وعثر على كميات كبيرة من مخلفات صهر الحديد والزجاج الأمر الذي يشير إلى صناعة هذه المواد محلياً، كما عثر في الموقع نفسه على بقايا فرن يرجح أنه فرن زجاج وبجواره كميات كبيرة من مادة الكالسية، وعثر على قطع عملة تعود إلى أوائل العهد الفاطمي بل عثر على شواهد تعود إلى زمن العباسيين والأغالبة [3]. كما عثر على صنج زجاجية تعود إلى الفترة الفاطمية.

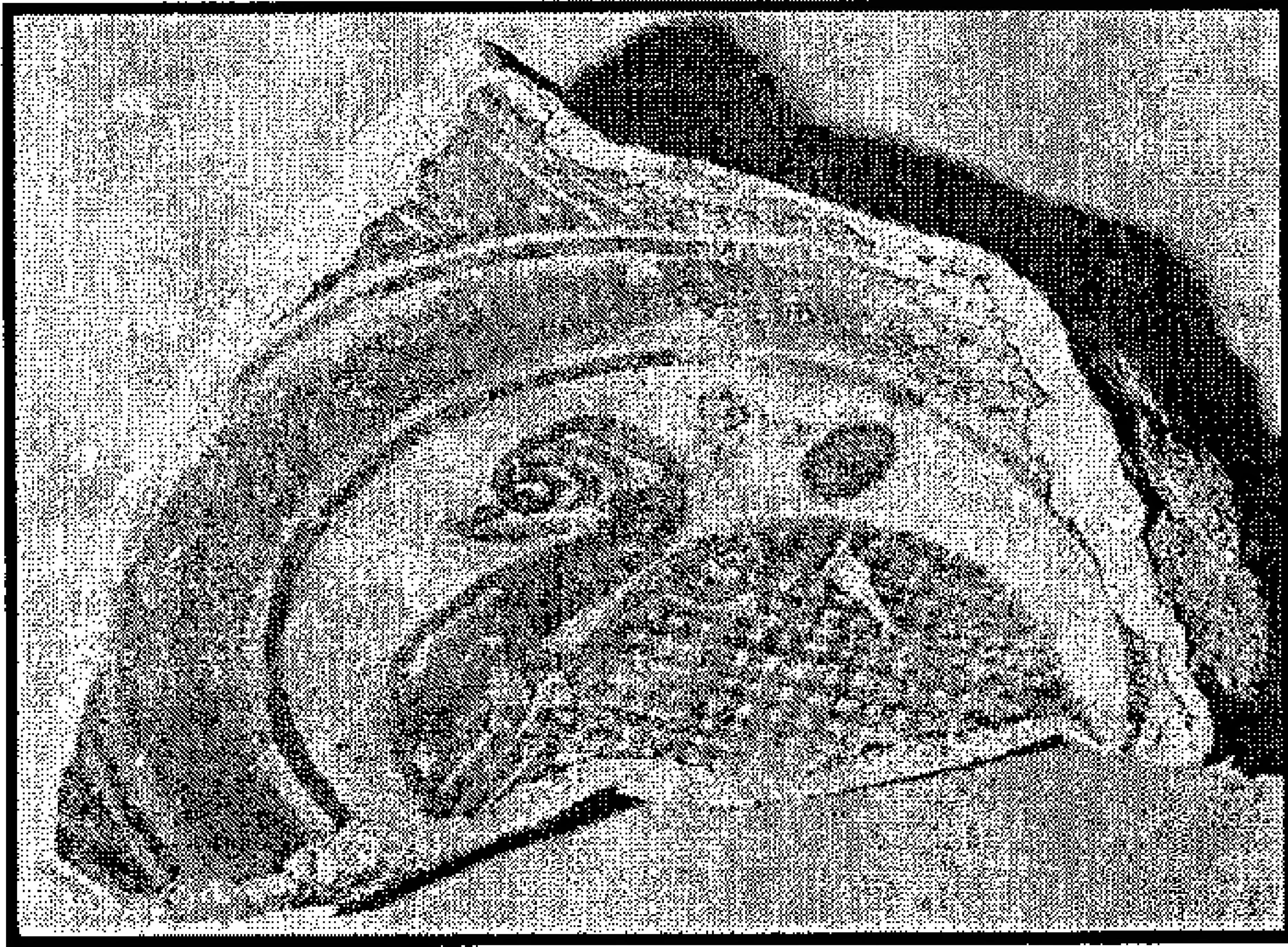
لقد كانت سرت مدينة مزدهرة ومركزاً تجارياً تمارس فيه بعض النشاطات الصناعية، وكل هذا كان ممكناً بسبب تمتعها بميناء خاص عند البحيرة الضحلة المتصلة بالبحر القريب منها، وكذلك كانت الحياة متيسرة بفضل توفر المياه بالمدينة عن طريق صهاريج جمع مياه الأمطار، وبعض الآبار، وكانت حولها بساتين بالفواكه والخضروات. وكانت عامرة كثيرة الأسواق ترد عليها المراكب وتنطلق منها القوافل إلى الجنوب عن طريق ودان كما كانت واقعة على الطريق الشمالي الذي تعبره قوافل التجار وركبان الحجيج، وبعد منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد تأثرت سرت بالصراعات الدائرة في المنطقة، وتخلى الفاطميون عن اهتماماهم بإفريقية وحولوا تجارهم نحو الشرق ثم كانت الهجرة الهلالية وتأثيراها السلبية على المنطقة كما أصاب المنطقة في أواخر القرن السابع الهجري جفاف لعدم نزول المطر، فأجدبت بلداها وعم الغلاء والقحط، وكان جفافاً عاماً أصاب بلاداً كثيرة منها مصر والحجاز، وتلاحقت الكوارث.. (سنة 702هـ) بزلزال امتد حتى تونس ووصل مراكش، وكانت آثاره في الخراب كثيرة وقد شملت منطقة برقة والمناطق الأخرى وجعلت أهلها من الجوع والقحط يموجون في الفتنة. ويصف الرحالة سرت بعد هذه الفترة ومنهم الحسن الوزان المشهور بليون الإفريقي في رحلته التي وصل فيها إلى الأراضي الليبية سنة 1518 فيصفها بقوله: مدينة عتيقة.. ومهما يكن من أمر فهي الآن خربة ... فلا يشاهد بها سوى آثار صغيرة من الأسوار [4].

---

(1) عباس حمداني. ص21.
(2) محمد مصطفى. حفريات سرت القديمة. مجلة ليبيا القديمة العدد 3، 4. ص. ص154.
(3) عباس حمداني. ليبيا في التاريخ ص 162، 163.
(4) الحسن بن محمد الوزان. وصف إفريقية ج. 2 ص155.



الجامع الفاطمي بسرت



قطعة فخار من مدينة سرت (القرن الرابع الهجري)

أما الرحالة مارمول الذي ألف كتابه (إفريقيا) في بداية النصف الثاني من القرن الخامس عشر فيشير إلى سرت بقوله: نشاهد بقايا مدينة كبيرة على تخوم أوجلة، تسمى سيرت والتي يظهر البرابر (الفينيقيون) هم الذين بنوها قديماً، وقد أعاد الرومان بناءها بعدما دكوا أطلالها البربرية مرة أخرى... ومازالت بعض أطلالها قائمة اليوم[1].

(1) مارمول كربخال. إفريقيا. ص191.

لعل الحفريات التي ستجرى ستكشف عن المزيد من معالم مدينة سرت القديمة في فترة ازدهارها خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر للميلاد.

مدينة أجدابية:

تقع مدينة أجدابية على الطريق الساحلي على بعد نحو 170 كم جنوب مدينة بنغازيكان موقع أجدابية في العصر الروماني عبارة عن مركز حربي. وقد افتتحها القائد عمرو بن العاص صلحاً سنة 22هـ/ 643م.

نالت مدينة أجدابية عناية الكثير من الجغرافيين والمؤرخين والرحالة العرب الذين دونوا عنها الكثير من المعلومات. فاليعقوبي (المتوفى سنة 284هـ) يصفها في كتابه البلدان بقوله: وهي مدينة عليها حصن وفيها جامع وأسواق قائمة.. ولها أقاليم وساحل على البحر المالح على مقدار ستة أميال من المدينة وترسو به المراكب [1]. أما ابن حوقل في كتابه صورة الأرض الذي كتبه سنة 366هـ. فيصفها بقوله: مدينة أجدابية على صحصاح من حجر في مستواه، بناؤها بالطين واللآجر وبعضها بالحجارة، ولها جامع نظيف. ويذكر أن أميرها له من وراء ما يقبضه للسلطان لوازم على القوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان. وهي أيضاً قريبة من البحر المغربي فترد عليها المراكب بالمتاع والجهاز وتصدر عنها بضروب من التجارة. وأكثر ما يخرج منها الأكسية المقاربة وشقة الصوف وشرب أهلها من ماء السماء [2].

وقد أثنى البكري على مدينة أجدابية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وذكر بأنها مدينة كبيرة في صحراء، أرضها صفا وآربارها منقورة في الصفا طيبة الماء، وبها عين ماء عذب ولها بساتين لطاف ونخل يسير، وليس بها من الأشجار إلا الأراك. وبها جامع حسن البناء بناه أبو القاسم بن عبيد الله، له صومعة مثمنة بديعة العمل. وحمامات وفنادق كثيرة وأسواق حافلة مقصودة وأهلها ذو يسار.. وهي راخية الأسعار كثيرة التمر يأتيها من مدينة أوجلة أصناف من التمور [3].

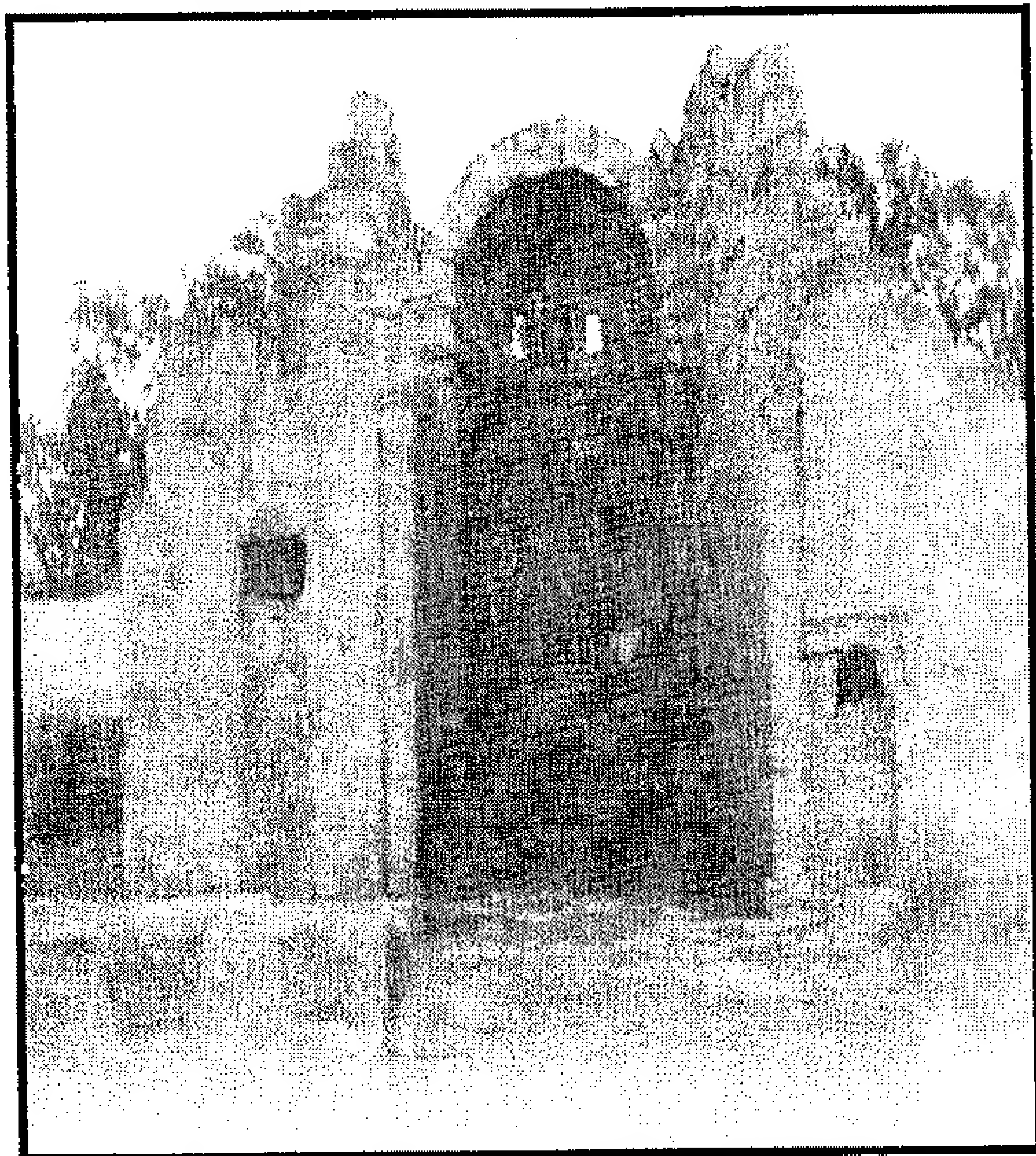
لقد تدهورت أحوال أجدابية بعد القرن الخامس الهجري فالإدريسي يذكر أنها كان لها سور فيما سلف، وأما الآن فلم يبق منها إلا قصران في الصحراء. ويشير الرحالة محمد العبدري في رحلته في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، إلا إنه ليس بها إلا قصر مائل في خلاء من الأرض لا ماء جار ولا شجرة واحدة وهذا القصر بني للخليفة المعز لدين الله الفاطمي عند انتقاله من إفريقية إلى مصر ونزل به من سنة 362هـ.

لقد ازدهرت مدينة أجدابية ونمت بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقية ويرجع ازدهارها إلى أهمية موقعها فهي تقع على طريق القوافل والحج الشمالي كما أنها كانت نقطة انطلاق القوافل إلى بلاد السودان عبر أوجلة، وقد اهتم بها الفاطميون لأهمية موقعها الذي بفضله يمكن تأمين طرق التجارة بين مصر والمغرب.

---

(1) اليعقوبي. كتاب البلدان. عن كتاب ليبيا في كتاب الجغرافية والرحلات. ص9.
(2) ابن حوقل صورة الأرض. ص70.
(3) البكري. ص5.

ولا زالت المدينة تحتفظ ببعض المعالم الأثرية كالقصر الفاطمي وآثار لجامع يذكر الرحالة العياشي أنه وجد هناك مسجداً قديماً الهدم ووجد تاريخ بنائه منقوشاً سنة ثلاثمائة.



القصر الفاطمي لمدينة أجدابية

مدينة بنغازي:

تقع بنغازي على ساحل البحر الأبيض المتوسط وتبعد عن طرابلس بنحو **1050** كم إلى الشرق، وهي من المدن القديمة، وكانت تعرف باسم يوسبريدس عندما شيدها المهاجرون الإغريق سنة **446** ق.م. تقريباً، وعرفت باسم برنتيشي (برنيق) في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد. واسم بنغازي حديث نسبياً، فقد عرفت به منذ سنة **1450**م. عندما أقام بها الوالي الصالح (سيدي غازي) الذي توفى بها، ودفن في مقبرة سيدي اخريبش الإسلامية، وكان أول من استوطن بها تجار من طرابلس.

استولى الأتراك العثمانيون على بنغازي سنة **1578**م. في سنة **1638** أرسل محمد باشا الساقزلي باشا طرابلس قائده عثمان باي لاحتلال منطقة برقة... حيث بنيت قلعة في بنغازي بينما سار عثمان في المقاطعة الجديدة لجمع الضرائب[1]. وقد بنيت القلعة بأحجار بناء سابق، ولابد أنه قديم... وقد تم تشييده من جديد سنة (**1842**) على تفصيلته السابقة نفسها. ولم يختف إلا في

(1) r.g. Goodchild. Benghazi The Story of a City. Libya: The General Administration of Tourism. 3rd. Ed. 1970. P.21

السنوات الأولى من القرن العشرين[1]. وقد وصف الأخوان بيتشي القصر سنة 1822 والذي يقيم فيه بي بنغازي بأنه يأخذ شكل مربع أقيمت أبراج دائرية على ثلاثة من زواياه، أما الزاوية الرابعة المواجهة لمدخل الميناء فقد أعدت خصيصاً لحريمه[2].

ثم آلت بنغازي إلى القرمانليين (1711 – 1835م.) وكانت من أهم المدن في طريق الحج فمنها يتزود الحجاج المغاربة بالمؤن وهم في طريقهم إلى الحج. إذ كانت تقع على طريق الحج الشمالي، ويخرج منها طريق إلى المناطق الصحراوية وهو طريق القوافل الذي يصل إلى وادي، فمن بنغازي يأخذ هذا الطريق مساراً نحو أجدابية وأوجلة والكفرة ومنها عبر صحراء تبستي إلى واداى (تشاد) والسودان ومدة السفر بهذا الطريق تتغير حسب المواسم فتستغرق الرحلة به بين 8- 10 شهور.

وقد ساهم ميناء بنغازي في ثرائها، فهو يمثل ملجأ ممتازاً للبواخر لأنه يتمتع بحماية لا توجد في المنطقة فالرحالة الحشائشي يصفه بقوله: فموقع المرسى من الناحية الغربية من البلد، والبحر يحف بالبلد من الجهة الغربية والجوفية بحيث أن الشمس إذا غربت تسقط بالبحر، ولها منظر عجيب عند غروبها فيه لأنني لم أشاهده قبل ذلك[3]. ويصف أحوالها الاقتصادية ومناخها ويذكر أن أهلها لهم همم عالية وسيرة مرضية متولعون بحب الاطلاع على أحوال غيرهم من أمم المشرق والمغرب فرأيت لهم عزماً عظيماً وتولعاً بحب قراءة الصحف[4].



الجامع العتيق ببنغازي

(1) أندريه لاروند. برقة (قورينائية) بعيني أسير فرنسي. ترجمة جمعة المحفوظي. تراث الشعب. العدد 1، مسلسل 54، 2006م. ليبيا: المركز الوطني للمأثورات الشعبية. ص99.
(2) الأخوان بيتشي. ص2005.
(3) الحشائشي. جلاء الكرب عن طرابلس الغرب. ص88.
(4) المصدر السابق. ص 89.

وتعد بنغازي إحدى أهم المدن الليبية التي ما تزال تحتفظ بالكثير من الشواهد الأثرية التي تعود فلفترة الاستيطان الإغريقي منذ القرن الخامس قبل الميلاد، كما تحتفظ بالكثير من المساجد الأثرية التي تعود لفترات مختلفة إضافة إلى أسواقها القديمة وبعض بيوتها العتيقة.

مدينة برقة الإسلامية (المرج الحديثة):

تقع مدينة برقة الإسلامية (المرج الحديثة) على مسافة 100 كم تقريباً شمال شرق مدينة بنغازي. وقد أسست مدينة برقة في عهد أركسيلاوس الثاني رابع ملوك مدينة قوريني الذي حكم بين سنتي 554 – 544ق.م. وقد افتتحها العرب المسلمون سنة 22هـ/ 643م وأطلق اسم برقة على إقليم قورينا، وكانت في الفترة الأولى من الفتح العربي الإسلامي تنعم بالأمن والاستقرار وأهل برقة في حالة ميسورة من العيش إذ لم يكن يدخلها جابي خراج، وكانوا يبعثون بأموال الخراج إذا حان الوقت، وقد نسب إلى عبد الله بن عمرو بن العاص قوله: لولا مالي بالحجاز لنزلت برقة، فلا أعلم منزلاً أسلم ولا أعزل منها.

أصبحت مدينة برقة في العهد الإسلامي مركزاً تجارياً وعاصمة للمنطقة. وقد عني بوصفها كثير من الجغرافيين والرحالة العرب، فذكرها اليعقوبي في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي في كتابه البلدان بقوله: مدينة برقة في مرج متسع وتربة حمراء شديدة الحمرة وهي مدينة عليها سور وأبواب حديد وخندق، أمر ببناء السور المتوكل على الله، وشرب أهلها ماء الأمطار يأتي من الجبل في أودية إلى برك عظام عملتها الخلفاء والأمراء لشرب أهل مدينة برقة، وحوالي المدينة أرباض يسكنها أخلاط من الناس... بين مدينة برقة وبين ساحل البحر المالح ستة أميال [1].

ويذكر ابن حوقل صاحب كتاب (صورة الأرض) بأن برقة مدينة وسط ليست بالكبيرة الفخمة ولا بالصغيرة الزرية ولها كور عامرة وغامرة.... وأرضها حمراء خلوقية التربة .... وهي أول منبر ينزله القادم من مصر إلى القيروان، بها من الغرباء في كل وقت ما لا ينقطع طلاباً لما فيها من التجارة، وعابرون عليها مغربين ومشرقين ذلك أنها تنفرد في التجارة بالقطران الذي ليس بكثير من النواحي كهو، والجلود المجلوبة للدباغ في مصر والتمور الواصلة إليها من جزيرة أوجلة، ولها أسواق جادة حارة من بيوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق الواردة من المغرب. وشرب أهلها من ماء المطر بمواجن يدخر بها، وأسعارها بأكثر الأوقات فائضة بالرخص في جميع الأغذية [2]. وقد تراجعت هذه التجارة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فيذكر الإدريسي في كتابه (نزهة المشتاق) بأنها في هذه الفترة عامرها قليل وأسواقها كاسدة، وكانت فيما سلف على غير هذه الصفة. ويذكر ابن سعيد (ت. 685هـ) صاحب كتاب بسط الأرض مدينة برقة بأنها كانت قاعدة البلاد البرقية فخربها العرب ويقال لها ليوم مدينة المرج [3]. ويرجع سبب ذلك لتعرضها لهزة عنيفة في منتصف القرن الخامس

(1) اليعقوبي. البلدان. عن كتاب ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات. ص8.
(2) ابن حوقل. صورة الأرض. ص69.
(3) ابن سعيد. بسط الأرض. عن كتاب ليبيا في كتب الجغرافية. ص82.

الهجري أودت بازدهارها وقلة عمرانها وكساد تجارتها فعلى أثر القطيعة المذهبية والسياسية بين المعز بن باديس أمير إفريقية الزيري والخلافة الفاطمية في مصر أطلق الخليفة الفاطمي المستنصر بالله قبائل بني هلال وسليم على بلاد المغرب وأباحها لهم، وترتب عن ذلك أن دمرت مدينة برقة ومنذ ذلك الحين أخذ اسمها في الذبول وطويت صفحة خالدة من تاريخ المدينة.

لقد كان لموقع مدينة برقة كملتقى لطريق الحج الشمالي وطريق القوافل الأثر الكبير في ازدهارها وكانت تجارة القوافل الصحراوية تغذي هذه المدينة عبر أجدابيا وترتبط بواحة سيوة عن طريق المخيلي ــ مرسى لك كما أنها كانت ترتبط بدول البحر المتوسط بميناء طلميثة الذي يبعد عنها بنحو 20كم والذي كان صالحاً لرسو السفن في بعض الفترات من السنة.

كانت برقة في الفترة الإسلامية المبكرة عاصمة الإقليم وأكبر مدنه واتخذها العرب قاعدة إسلامية لهم قبل تأسيس القيروان، وقد سكت بها عملة عربية إسلامية برونزية، فقد نشر لافو في كتابه (دليل المسكوكات الإسلامية) فلسا ضرب في برقة (المرج) يحمل المأثورات الآتية:

محمد	لا إله
رسول	إلا الله
الله	وحده

بسم الله ضرب هذا الفلس ببرقة

وهو لا يحمل تاريخاً وقد أرجعه لافوا إلى الفترة العباسية، أما ووكر فقد أرجعه إلى الفترة الأموية[1].

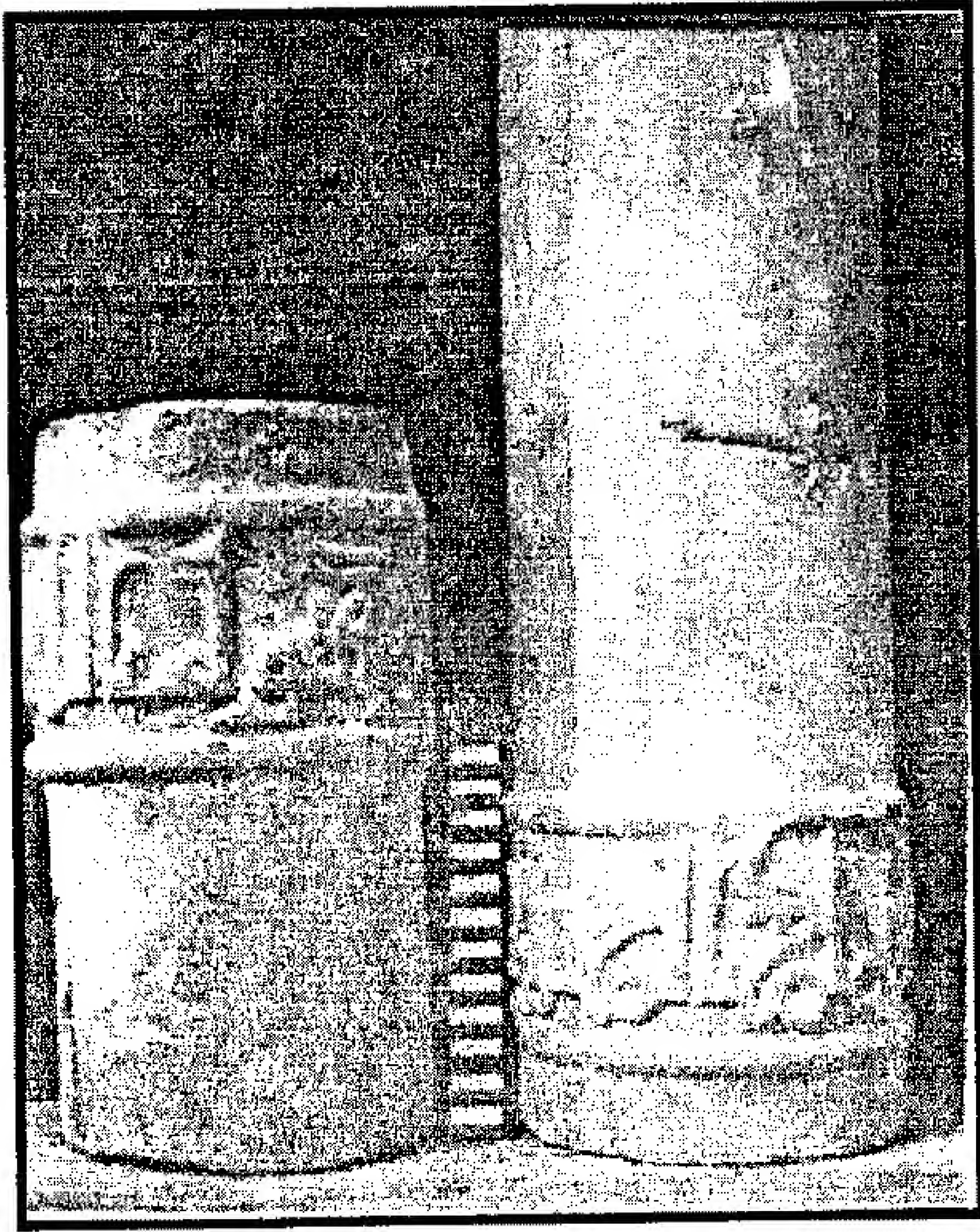
كما عثر على العديد من اللقيات العربية الإسلامية بها منها الكثير من الدينارات العربية الإسلامية التي ضربت في مدن مختلفة.

وعثر بمدينة برقة على مجموعة من شواهد القبور، وللأسف فإن معظمها مكسور وغير كامل، ومن أهمها شاهد قبر مكتوب بالخط الكوفي البارز الزخرفة، نهايات حروفه بأنصاف الأوراق وإن كانت ليست بكثرة، ويتميز هذا الشاهد عن غيره من الشواهد السابقة بأن ذكر فيه مكان وفاة صاحبه. وكان في برقة (المرج) إلا أننا لا نجد التاريخ كاملاً بسبب تحطم الشاهد ووجود التاريخ المئوي في الجزء المفقود. وقد أمكن قراءة: .. وفاته ببرقة في جمادي... من سنة ثنتين وثمانين.. ومن المرجح أن تاريخ هذا الشاهد (282هـ) وذلك لما نراه في الشاهد من حيث إنه كتب بالخط البارز. وزخرفت نهايات حروفه وزخرف الإطار المحيط بالكتابة وهذه .. انتشرت انتشاراً كبيراً في القرن الثالث الهجري(9م)[2].

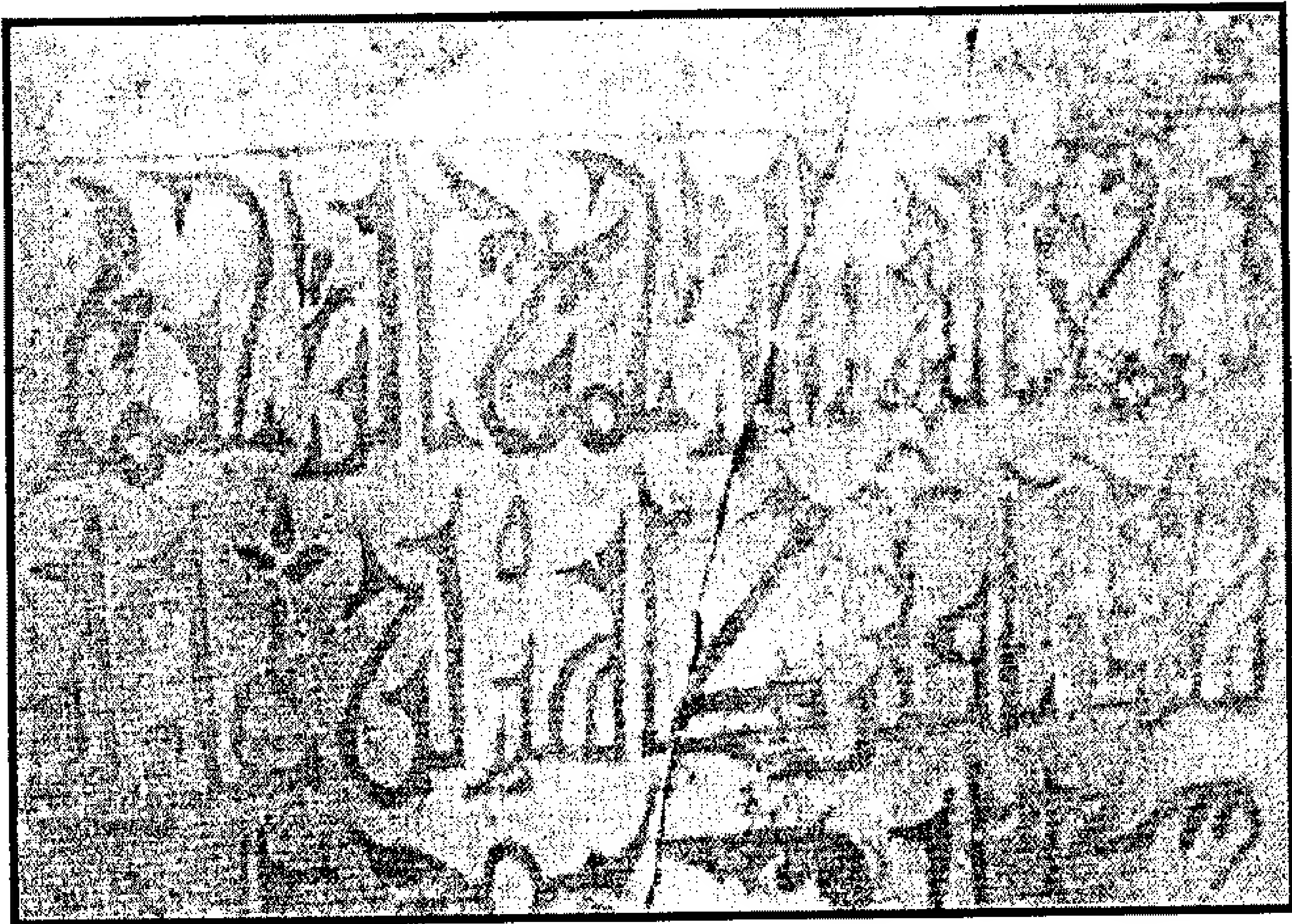
---

(1) سعيد علي حامد. المسكوكات العربية الإسلامية في ليبيا. مجلة آثار العرب، العدد 2، (مارس، 1991م) طرابلس، منشورات مصلحة الآثار ومشروع المدينة القديمة بطرابلس. ص95.

(2) سليمان محمد بالحاج. شواهد قبور إسلامية من برقة. مجلة ليبيا القديمة، المجلد الخامس. 1968م. منشورات مصلحة الآثار، طرابلس ليبيا. ص14.



عمودان رخاميان عليهما كتابة عربية



شاهد قبر نقش بالخط الكوفي المورق عثر عليه بمدينة برقة

كما عُثر على مجموعة من الكتابات التذكارية كتبت بالخط الكوفي على الحجر بحروف بارزة ومزهرة النهايات جميلة الخط، إذ عثر على ثلاثة أجزاء من شريط كتابي من الحجر كان في الغالب يحف بصحن أو واجهة المسجد الذي أنشئ في هذه المدينة.

شكل 1– امر به....

شكل 2– ... تميم ال

شكل 3– ... قوافي المر....

لعل تميم هذا هو معد أبو تميم وهو الاسم الأصلي للخليفة الفاطمي المعز لدين الله (341– 365هـ)[1].

واكتشفت بعض معالم أسوار المدينة والخندق الذي كان يحيط بها والذي أشار إليه بعض المؤرخين والرحالة العرب. ولقد ضرب زلزال مدينة برقة (المرج الحالية) في سنة 1963 أثر على معالمها العربية القديمة.

مدينة درنة:

تقعد مدينة درنة على شاطئ البحر وتبعد عن مدينة بنغازي بنحو 300 كيلو مترا إلى الشمال الشرقي. وهي مدينة على الطراز العربي، بنيت على مكان مدينة درنيس القديمة. وكانت غير مسورة، وبعد الاحتلال الإيطالي أحاطوها بسور من الناحية الغربية. ويشقها نهر يجري ماؤه من الجنوب إلى الشمال ويبتدئ جريانه من وادي الضحاك بقرب الظهر الأحمر وكلما انحدر إلى الشمال أضيفت إليه عيون أخرى إلى أن يمر بعين منصور قرب المدينة، وهي من أكبر العيون التي تمد هذا النهر[2]. ولم تشر كتب الفتوح العربية الإسلامية إليها، وقد جاءت الإشارة إليها في كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم عند حديثه عن زهير بن قيس البلوي فذكر أنه خرج حتى إذا كان بدرنة من طبرقة من أرض أنطابلس لقى الروم وهو في سبعين رجلاً.. وكان مقتل زهير وأصحابه.. في سنة ست وسبعين[3].

يشير ابن سعيد إلى برقة ويذكر أن: من جبالها ينزل نهر درنا ويصب في البحر المالح ولم أر في جميع بلاد برقة على طولها نهراً غيره وفي جنوبيه الصحراء المقفرة. وتقع درنا حيث الطول 46 درجة والعرض 35 درجة و 17 دقيقة، وكانت من مدن برقة المذكورة فخربها العرب. وهي الآن محسوبة من قصور العرب التي تأوي إليها اليهود، وكلهم على جزيتهم[4].

---

(1) المرجع السابق. ص18.

(2) الطاهر أحمد الزاوي. تاريخ الفتح العربي في ليبيا. القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، 1963م. ص33.

(3) عبد الحكيم. فتوح مصر وإفريقية. ص202.

(4) ابن سعيد. بسط الأرض. عن إحسان عباس، محمد نجم. ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات. ص83.

إن مدينة درنة كانت من مدن برقة العامرة الآهلة رغم عدم الإشارة إليها من كثير من الرحالة أمثال العبدري والتجاني وابن بطوطة فمن المعلوم أن المنطقة ما بين برقة والأسكندرية كانت متصلة العمارة... وقد جاء الإسلام وغالبها عامر ثم لم تزل عمارقما تضعف إلى أن خرج عرب هلال من مصر أواخر الرابعة وأوائل الخامسة فخربوا البلاد واستولوا على القرى فأفسدوها وخلت البلاد من يومئذ (1). وقد أورد الرحالة العياشي في رحلته أن مدينة درنة على ساحل البحر بها مرسى بينها وبين التميمي مسافة يوم ونصف من غربيه، وكانت خالية منذ أزمان إلى أن عمرها الأندلس قرب الأربعين والألف، ولم يزالوا بها إلى أن بطروا فأنشبوا الحرب بينهم وبين أمير طرابلس، فأخرجهم منها صاغرين بعد وقعة قتل فيها مئون من أشرافهم، وهي الآن في طاعته وفيها عامله المستولى عليها وعلى عرب الجبل الحاج محمود. ويصف العياشي مرساها ومعاش أهلها بقوله: ومرسى هذه المدينة عجيب، تنزل به السفن الجائية من الأسكندرية ومن طرابلس ومن بر الروم سيما جزيرة كندية فإن بينها وبين درنة مسافة يوم في البحر فإنها في مقابلتها، والمعاش في هذه المدينة متيسر كثير لجمعها بين البادية والحاضرة (2).

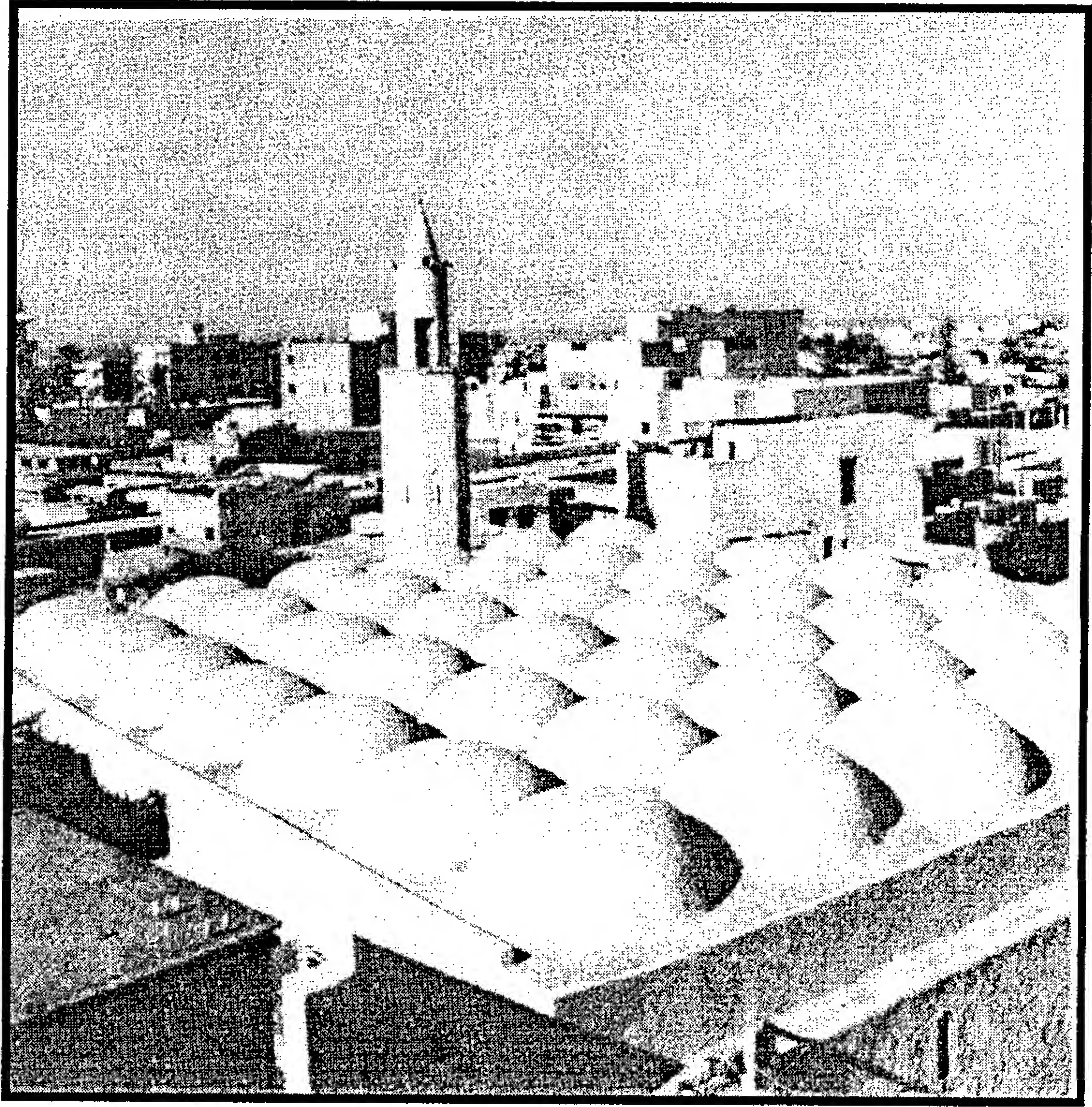
ويبدو أن الطاهر الزاوي في كتابه معجم البلدان الليبية استند في تأسيس مدينة درنة على العياشي، فقد أشار الزاوي أن أول من أسس مدينة درنة الحالية الأندلسيون الذين نزحوا إليها سنة **1040هـ/ 1630م**.

تمكن عثمان باشا الساقزلي من احتلال درنة قرب سنة **1662**. وكان سكان سرت والجبل الأخضر يخضعون بصورة ظاهرية لعثمان، وكانت سلطة العثمانيين في الواقع محدودة بعدد من المراكز الساحلية... وكان الناس يدفعون الضرائب... وكان لدرنة أيضاً حاكم موفد من طرابلس، وكانت لها صلات تجارية كبيرة مع الأسكندرية وكريت (كانديا) (3).

استغل أهل درنة المشاكل التي عصفت بطرابلس بعد قتل عثمان الساقزلي **14** ديسمبر **1672م**. والصراع على السلطة بها فقاموا بمحاولة لطرد الأتراك فطلب محمود بك (حاكم درنة) دعماً من طرابلس، فأرسلت إليه قوة تتألف من ثلاثمائة إنكشاري عن طريق البحر، ومئتين وخمسين فارساً عن طريق البر، تمكن بواسطتها من إقرار الأمن والنظام (4).

---

(1) العياشي. ص103.
(2) نفس المصدر. ص 109.
(3) ايتوري روسي. ليبيا منذ الفتح العربي. ص233.
(4) المرجع السابق. ص246.



الجامع الكبير بدرنة

وقد أشار ابن ناصر الدرعي في رحلته إلى درنة بقوله: ودرنة هذه قاعدة الجبل الأخضر، مدينة على شاطئ البحر بينها وبين كندية مسيرة يوم في البحر. ودرنة مدينة كبيرة فيها كثرة المياه والجنات والفواكه والأعناب، وفيها سواني ذوات أنواع من الثمار. وبها أسواق وفنادق، وأمر المعاش فيها سهل، والعمارة فيها كثيرة... لما تأهب الحجاج من أهل درنة بما قدر لهم من المسير أخذوا يملأون قربهم وأخذوا من ماء الوادي العذب الفرات ما يقوم بهم ويكفيهم... [1]. وينقل ما أورده العياشي عن درنة. أما الرحالة المنالي فيذكر مررنا بواد فوجدناه يجري من السيل المنحدر من الجبل فملأنا القرب منه ماء [2]. ثم يأتي الرحالة الورثلاني سنة 1766م. فينقل عن العياشي. وفي مدينة درنة مقبرة الصحابة التي تضم رفات الصحابي زهير بن قيس البلوي الذي استشهد بها مع سبعين من الصحابة في أواسط سبعينيات القرن الأول الهجري، وقد اشتهر منهما اثنان:

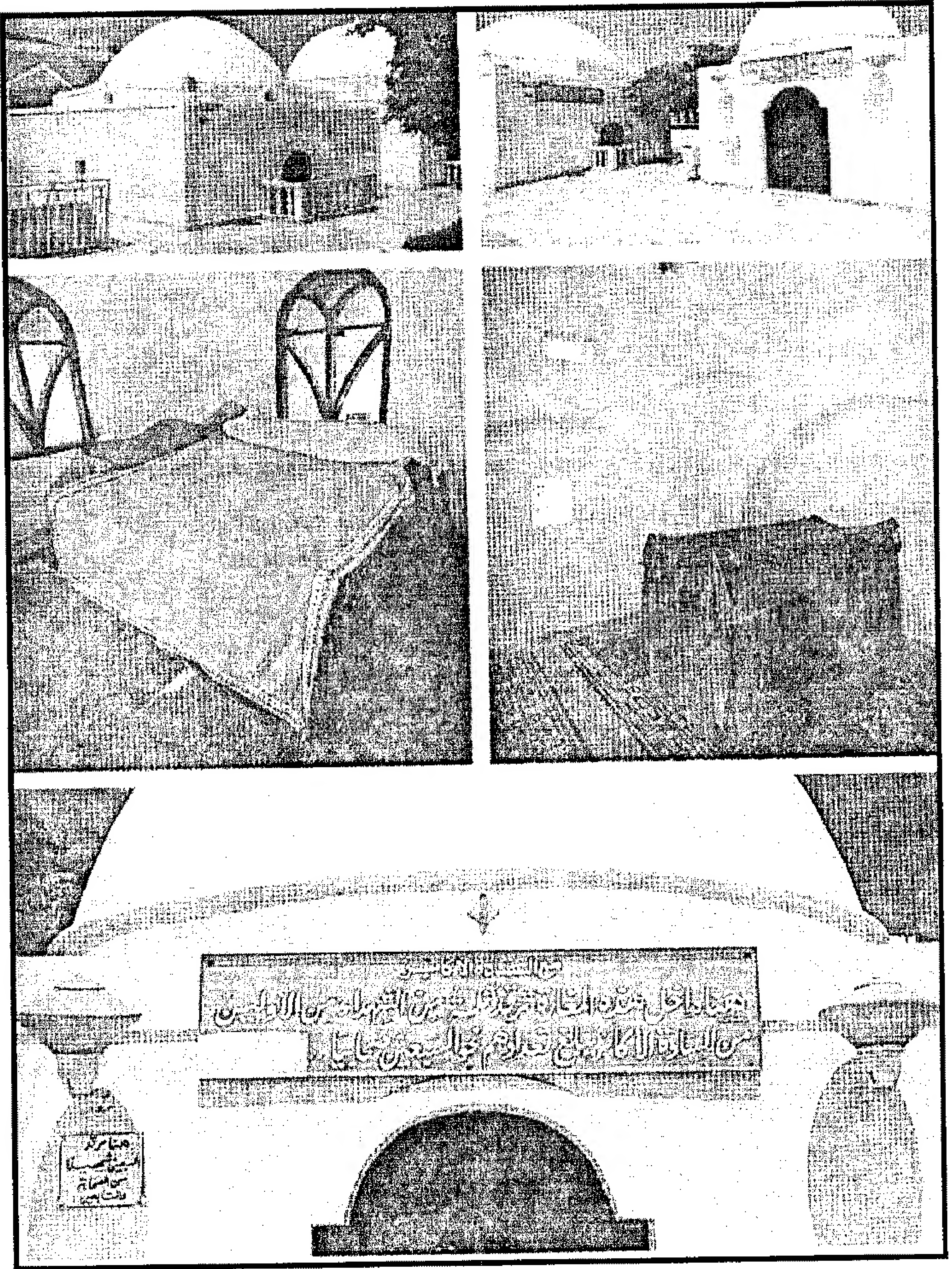
1- أبو منصور الفارسي، واشتهر بين الأهالي باسم (سيدي منصور) وتذكر بعض الروايات أنه كان قاضي الجيش.

2- عبد الله بن بر القيس، ويعرف بين الأهالي بـ (سيدي الزوام).

---

(1) ابن ناصر الدرعي. الرحلة الناصرية. عن علي فهمي خشيم. الحاجية. ص.ص 88 – 89.

(2) المنالي. الرحلة المنالية. عن الحاجية. ص126.



أضرحة الصحابة بدرنة

وتوجد أضرحة خاصة لكل منها، إضافة إلى ضريح الصحابي زهير بن قيس، بينما دفن بقية الصحابة بمقبرة اشتهرت بجبانة الصحابة.

وأهم المعالم الإسلامية بدرنة مسجد الجرابة 966هـ/ 1558م. ومسجد المسطاري حوالي 982هـ/1574م. والمسجد العتيق الذي بناه محمد باي بن محمود في سنة 1081م. ويبدو أنه انتهى من بنائه واستكمال ملحقاته سنة 1101هـ/ 1689م وقد اشتهر باسم الجامع الكبير لضخامته وكثرة قبابه التي بلغت42 قبة. وهو أكبر جامع من النوع الليبي تفخر به برقة وقد أقيم في برقة في وقت هجر الفن المعماري جميع مدن الشق الشرقي من البلاد الليبية. وتجدر الإشارة أن القرب النسبي من مصر لم يكن كافياً لفرض التصورات المعمارية المصرية على بُناته متواضعي الخبرة والذين لم يكن في متناولهم نماذج أمكنهم الاحتذاء بها حين كلفهم محمد باي بتشييد مسجد على جانب من الأهمية [1].

مدينة شروس:

تقع مدينة شروس بجبل نفوسه، وهو جبل عال منيف يكون نحو ثلاثة أيام في أقل من ذلك [2]. يمتد من منطقة النقازة نحو 100 كم شرق طرابلس إلى ترهونة ومنها إلى غريان حتى يصل نالوت ومنها يستمر في الأراضي التونسية. وتوجد مدينة شروس عند الوادي المسمى باسمها وهو واد شديد العمق، يتكون أعلاه من عدد من الفروع تلتقي حول مدينة شروس في منطقة متسعة، ثم ينحدر إلى الشمال محصوراً بين الجبال، فيكون ما يشبه عنق قارورة كبير تنبع في أنحاء منه عيون وآبار. وكان دائم الخضرة، كثير الشجر [3].. ويمكن الوصول إليها عن طريق طرابلس العزيزية قصر الحاج وقبل الوصول إلى الجوش بنحو 8 كم يتفرع منه طريق إلى اليسار إلى تندميره ومنها يمكن الوصول إلى شروس التي تبعد عنها بنحو 8كم إلى الجنوب الشرقي منها.

افتتحها القائد عمرو بن العاص سنة 23هـ/643. بعد فتحه مدينة صبراته، وكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة يستشيره في فتح إفريقية، فلم يأذن له بذلك، وعجلت التهديدات البيزنطية بعودة ابن العاص إلى مصر، ولم يترك أية حامية بطرابلس أو شروس وكانت عملياته بهما تمهيداً لفتح لاحق.

ذكر الكثير من الجغرافيين والرحالة العرب مدينة شروس، فابن حوقل يشير أن شروس في وسط الجبل وفيها مياه جارية وكروم وأعناب طيبة وتين غزير، وأكثر زروعهم الشعير وإياه يأكلون، وإذا خبز كان أطيب طعماً من خبز الحنطة، ولشعيرهم لذة ليست لخبز من أخباز الأرض [4].

أما البكري صاحب المسالك والممالك فيصفها في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري بقوله: وأم قرى جبل نفوسة هي مدينة شروس وهي كبيرة آهلة جليلة أهلها أباضية ليس بها جامع

---

(1) غاسبري ميسانا. المعمار الإسلامي في ليبيا. تعريب على الصادق حسنين. بيروت: دار الجيل، طرابلس - ليبيا: دار الرواد، 1998م. ص138.
(2) ابن حوقل. صورة الأرض 92.
(3) علي يحيى معمر. الإباضية في موكب التاريخ. الحلقة الثانية الإباضية في ليبيا. القاهرة: مكتبة وهبة، 1964م. ص181.
(4) المصدر الأسبق. ص.ص92، 93.

ولا في ما حولها من القرى، وهي أزيد من ثلاثمائة قرية آهلة لم يتفقوا على رجل يقدمونه للصلاة بهم وبين مدينة طرابلس ومدينة شروس خمسة أيام[1].

نقل كل من صاحب كتاب الاستبصار القرن السادس الهجري وياقوت الحموي صاحب كتاب معجم البلدان (ت. 626هـ) ما ورد عند البكري، وإن أضاف ياقوت بأن اسمها سروس (يجوز أن يكون فعولاً من سرس الرجل إذا صار عنيناً لا يأتي النساء، وسروس ربما قيل بالشين المعجمة في أوله[2].

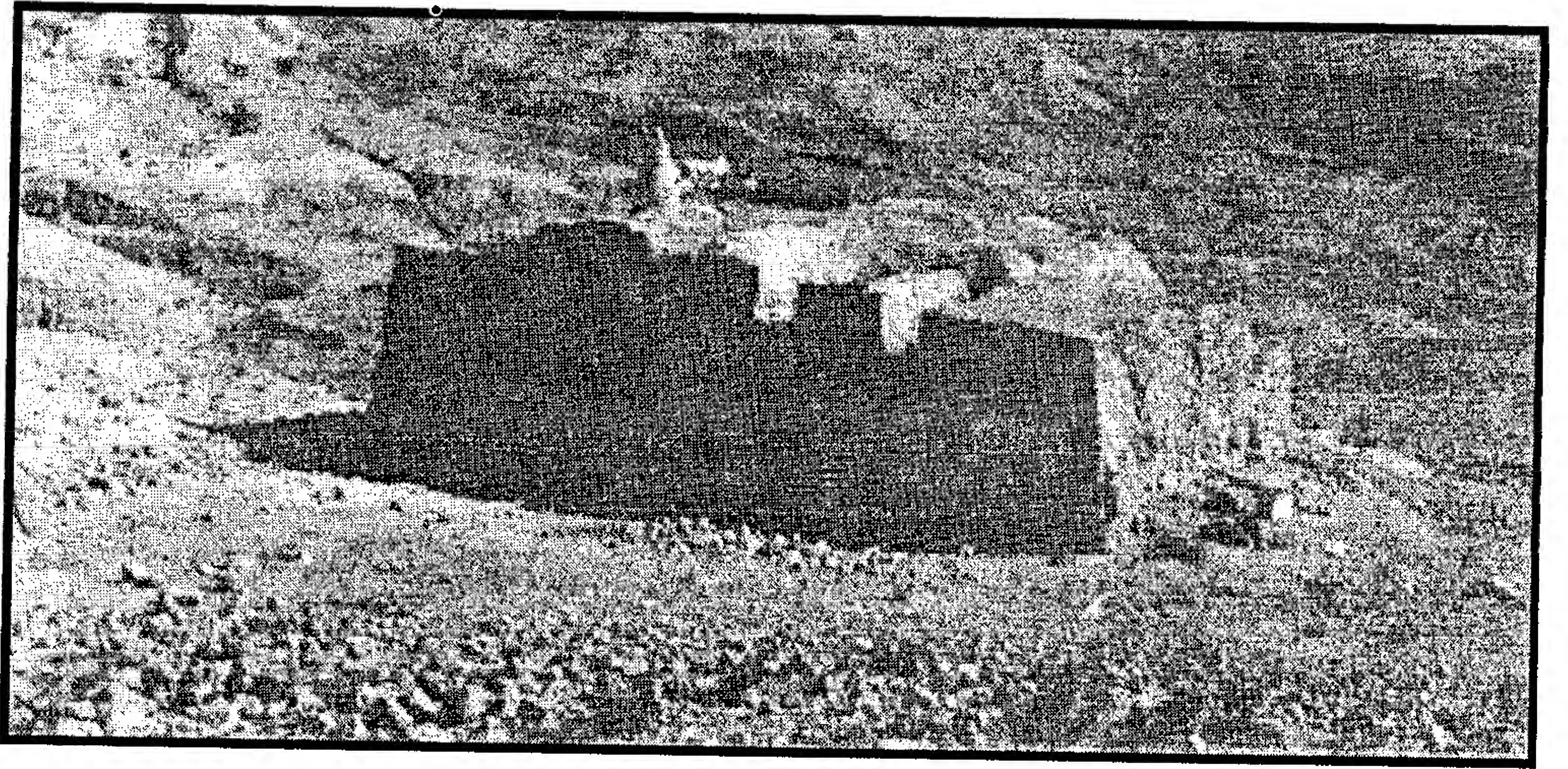
لقد كانت شروس عاصمة لجبل نفوسة وأكبر مدنه، وقد وقعت فتنة بين شروس وتندميرة[3]. التي تبعد بنحو 8 كم وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري. ويذكر الشماخي بأنه وقع حرب بين أهل ويغو... وأهل شروس سبعة أعوام[4]. ويرجح أن هذه الحرب كانت في نهاية القرن الرابع أو بداية القرن الخامس الهجري.

ويبدو أن منطقة جبل نفوسة استطاعت، في القرن الحادي عشر، مزاولة نشاطها التجاري بكل طمأنينة، والنأي بنفسها عن الصراعات بين المطالبين بالعرش الزيري، كما تمكنت من الابتعاد عن نزوح الهلاليين[5]. إلا أن المنطقة بما فيها مدينة شروس تعرضت لأطماع المغامرين فقد تعرضت سنة 599هـ لهجوم شنه المغامر يحيى بن غانية الذي استغل انشغال الموحدين في حرب ضروس في الأندلس وثبت أقدامه في طرابلس وتونس ثم أراد إخضاع جبل نفوسه لسيطرته فشن عدة غارات أسفرت عن حرق وتخريب كثير من قرى الجبل، وصمدت له مدينة جادو وعجز عن اقتحامها فحرق ما حولها من مزارع وحدائق، ثم حاول الاستيلاء على مدينة شروس إلا أنه عجز نظراً للمقاومة التي أبداها الأهالي. ولا نستبعد أن تكون هذه الغارات قد أضرت كثيراً بالحياة الاقتصادية والعمرانية لمدينة شروس.

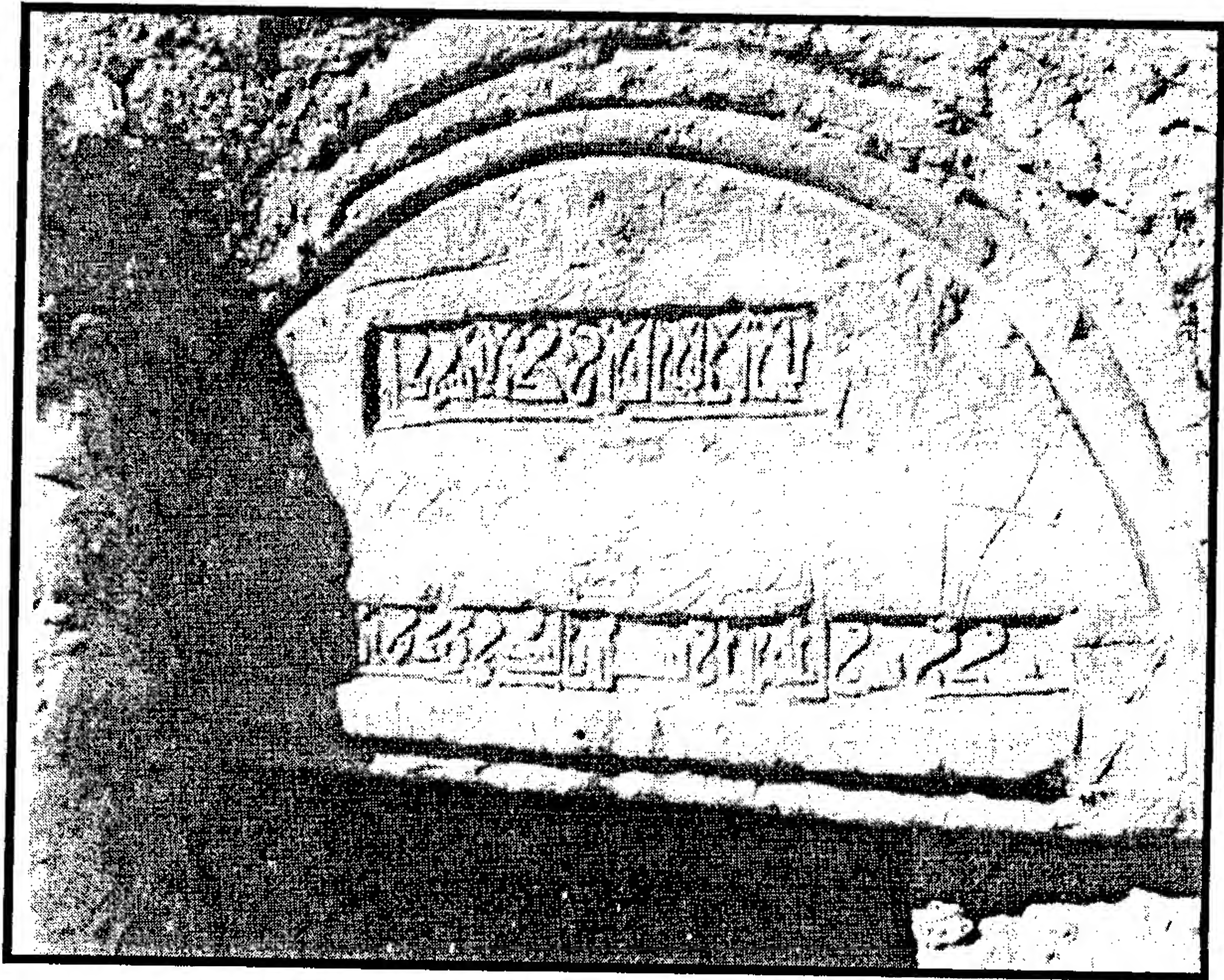
كانت مدينة شروس مركز إشعاع منذ الفتح الإسلامي فقد كونت مدرستها الكبيرة العامرة بأقسامها الداخلية وقصدها الدارسون حتى من تونس والجزائر. أما الآن فلم يبق من المدينة سوى معالم أثرية أهمها المسجد المسمى بمسجد (أبو معروف) وهو يعود للقرن الثالث الهجري، وأبو معروف بن جواد أحد الأعلام الذين حكموا مدينة شروس وما حولها من قرى، وله في النوازل رالأسئلة المعضلات أجوبة كاشفة أشكال المشكلات[6]. والمسجد مبني على الطراز الإسلامي به بعض الزخارف وبه آيات قرآنية كتبت بالخط الكوفي الجميل. وتطلق الأجيال الأخيرة من أهالي الجبل على مدينة شروس اسم مؤسس الجامع فيقولون لها خربة أبي معروف.

---

(1) البكري. ص9.
(2) ياقوت الحموي. معجم البلدان. عن كتاب ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات. ص71.
(3) الشماخي. كتاب السير. ص2004.
(4) المصدر. السابق 284.
(5) جاك تيري. تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى. ص409.
(6) الشماخي. كتاب السير ص200.



جامع أبي معروف بشروس



كتابة عربية كوفية بشروس

مدينة أوجلة:

أوجلة إحدى الواحات العربية الليبية، وهي واحدة صغيرة تبعد عن مدينة أجدابية بنحو 200كم جنوباً. تقع واحة أوجلة في حوض صغير في القسم الشمالي من المنخفض الكبير حوالي خط طول 21° شرقاً ويمتد هذا الحوض في اتجاه شمال شرقي — جنوبي غربي تقريباً بشكل زجاجة عنقها ناحية الشرق وينخفض سطح الحوض بنحو 30 متراً عن الأرض المحيطة به. ويوجد في وسطه

واد محدد تحديداً واضحاً يطلق عليه اسم وادي نخفوش ويطلق عليه في قسمه الجنوبي اسم دويـــل الثعلب حيث يتسع مجراه نوعاً ما، وتمتد حول حوض أجلة في جميع الاتجاهات مـــساحة واســـعة سطحها مستو أو مموج تموجات خفيفة [1]. وتغطي المنطقة المحيطة بأوجلة بالرمال والحصى (السرير) فهي بقعة خضراء محاطة بالصحراء وتندر بها الأمطار فمعدل سقوطها فيها يتـــراوح بـــين 10 – 25مللم سنوياً، وتستمد الواحة مياهها من الطبقة القريبة من السطح [2]. وكانت في الثلاثينيات من القرن العشرين لا يتجاوز عمق المياه السطحية ثلاثة أو أربعة أمتار أما الآن فإن مياهها قد غارت وتصل إلى عمق ثلاثين متراً فأكثر. يتألف سكان الواحة من جماعات ترجع إلى أصول مختلفة كمـــا تؤكد الروايات المتوارثة والعناصر المنضمة إليها حديثاً [3]. ويذكر أهـــالي أوجلـــة أن الأواجلـــة يرجعون إلى أصل واحد وقبيلة واحدة تنقسم إلى أربعة بيوت إضافة إلى بعض العناصـــر الوافـــدة والتي استوطنت الواحة. وأغلب السكان يحترفون الزراعة وقليل منهم يشتغل بالتجارة، ويتميزون بالكرم والطيبة وحسن الخلق والمعاملة.

أشارت النقوش المصرية القديمة حوالي 1200 ق.م إلى سكان المنطقة ومن بينهم الناســـامونيون وهي قبيلة كبيرة كانت منتشرة ما بين بنغازي وخليج سرت ويمتدون في الداخل إلى واحة أوجلة.

يشير المؤرخ الإغريقي هيردوت الذي عاش في القرن الخامس ق.م أن قبيلة الناسامونيين كانت تترك قطعانها في الصيف على الساحل وترحل إلى مكان في الداخل اسمه أوجلة (Augila) لجـــني محصول التمر. وفي أوجلة تنمو أشجار النخيل بأعداد وحجوم كبيرة وهي جميعها من النوع الذي يثمر التمور [4]. وهذه أول إشارة ترد عن الواحة وتحدد اسمها القديم الذي ما تزال تحتفظ به.

لعبت أوجلة دوراً تجارياً مهماً في تاريخها القديم خاصة بعد أن أسس المستوطنون الإغريق مدينة قوريني سنة 631 قبل الميلاد ثم شقيقاتها وعرفت بالمدن الخمس في منطقة الجبل الأخضر فازدهرت حركة التبادل التجاري بين الشمال والجنوب وكانت أوجلة الوسيط في هذه الحركة فمنها كانت تصل بضائع الشمال إلى أواسط إفريقية عن طريق الواحات التي تقع في وسط الصحراء الكـــبرى كما تصل بضائع الجنوب إلى الساحل عن طريق أوجلة.

الفتح الإسلامي:

افتتح القائد العربي عقبة بن نافع واحة أوجلة سنة 22هـــ/ 642م ونشر بها الإســـلام. ومـــن خلال كتب الجغرافيين والرحالة العرب يمكننا تتبع أخبار مدينة أوجلة. فابن حوقل صاحب كتاب صورة الأرض وصفها في القرن الرابع الهجري بقوله جزيرة أوجلة.. وهي ناحية ذات نخيل عظيمة وغلات من التمر جسيمة، ويليها وقتنا هذا رجل من ناحية صاحب برقة، ولم يكن مالها الـــداخل

---

(1) عبد العزيز طريح شرف. جغرافية ليبيا. الأسكندرية: مؤسسة الثقافة، 1962م. ص146.
(2) المرجع السابق. ص357.
(3) دي أوغسطيني. سكان ليبيا. ترجمة خليفة التليسي. ليبيا ـ تونس: الدار العربية للكتاب ج2. 1990. ص218.
(4) علي فهمي خشيم. نصوص ليبية. طرابلس: مكتبة الفكر، 1967 ص217 – 218.

على خزانة السلطان في جملة مال برقة. فلما ضمت إلى برقة غزر مالها وكثر وزادت الحال في ذلك[1]. ووصفها البكري في القرن الخامس الهجري بقوله: وهي مدينة عامرة كثيرة النخيل، وأوجلة اسم الناحية، واسم المدينة أرزاقية. وأوجلة قرى كثيرة فيها نخل وشجر كثير وفواكه وبمدينتها مساجد وأسواق [2].

وذكر الإدريسي في القرن السادس الهجري أن مدينة برقة يصلها من أوجلة الجلود البقرية والتمور ويقول: إن مدينة أوجلة مدينة صغيرة متحضرة فيها قوم ساكنون كثيرو التجارة وذلك على قدر احتياجهم واحتياج العرب. وهي في ناحية البرية يطيف بها نخل وغلات لأهلها، ومنها يدخل إلى كثير من أرض السودان نحو بلاد كوار وبلاد كوكو، وهي في رصيف طريق الوارد عليها والصادر كثير، وأرض أوجلة وبرقة أرض واحدة ومياهها قليلة وشرب أهلها من المواجل [3]. ووصفها ياقوت الحموي صاحب كتاب معجم البلدان بقوله أوجلة بالفتح ثم السكون وفتح الجيم ولام وهاء ـ مدينة في جنوب برقة نحو المغرب ضاربة إلى البر. ثم ينقل ما أورده البكري في كتابه المسالك والممالك.

وذكر ابن سعيد صاحب بسط الأرض بأن مدينة أوجلة وهي جزيرة في تلك الرمال وعمارة في تلك الصحاري، فيها ماء ونخل تحت خفارة هيب، وهي حيث الطول 45 درجة و 55 دقيقة والعرض 27 درجة و 52 دقيقة وفي سمت عرضها مدينة سنتريه[4]. وقد عاش ابن سعيد في القرن السابع الهجري.

كانت مدينة أوجلة قبل منتصف القرن الرابع الهجري تدار من قبل حاكم من أهلها ثم أصبحت تتبع صاحب برقة قبيل عصر ابن حوقل الذي ذكر أنها منذ أن ضمت إلى برقة غزر مالها وكثر [5]. ولعل مرجع ذلك إلى ازدهار في الحركة التجارية واستتباب الأمن بالمنطقة التي خضعت لحاكم واحد. في منتصف القرن السادس الهجري غزاها قراقوش الملقب بالمظفري ـ لأنه مملوك المظفر ـ وبالناصري لأنه كان يدعو للناصر صلاح الدين فأخذ من صاحب أوجلة عشرين ألف دينار فرقها في أصحابه وعشرة آلاف دينار لنفسه وسار منها إلى غيرها ثم بلغه موت صاحب أوجلة فعاد إليها وحاصر أهلها، وقد امتنعوا عليه حتى أخذها عنوة وقتل من أهلها سبعمائة رجل وغنم منها غنيمة عظيمة[6]. وكان غزو قراقوش لها في سنة 571هـ أو 573 هـ على رأي المقريزي في كتابه السلوك أما التجاني فيذكر في رحلته أن تلك الأحداث كانت في سنة 569 هـ ويجعل ابن واصل الحموي صاحب كتاب مفرج الكروب خروج قراقوش سنة 568هـ.

---

(1) ابن حوقل. صورة الأرض ص70.
(2) البكري. ص12.
(3) الإدريسي. نزهة المشتاق. عن كتاب ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات. ص50.
(4) ابن سعيد. بسط الأرض. عن كتاب ليبيا في كتب الجغرافية. ص81.
(5) ابن حوقل. ص70.
(6) ابن غلبون. التذكار. تحقيق الطاهر الزاوي، طرابلس: مكتبة النور، الطبعة الثانية 1967. ص161.

ويبدو من المبالغ التي أخذها قراقوش والغنائم التي غنمها من أهل أوجلة أنهم كانوا يعيشون في حياة رغده وبحبوحة من العيش وأن أوجلة في تلك الفترة كانت تشهد فترة ازدهار اقتصادي ومرجع ذلك للنشاط التجاري إذ إنها كانت محطة للقوافل ومركز لتجارة الصحراء فضلاً عن محاصيلها الزراعية المتمثلة في التمور التي كانت تصدر إلى خارج المنطقة فضلاً عن زراعة بعض الخضروات لاكتفاء أهلها. وقعت أوجلة في بداية القرن السابع عشر الميلادي تحت سيطرة أحمد بن عبد الهادي الذي تمكن في السابق من السيطرة على الجبل الأخضر ودان له بذلك أهله.

وفي هذه الفترة زار الرحالة ابن مليح صاحب كتاب أنس الساري والسارب **1040هـ – 1043هـ/ 1630 – 1633م** وترك لنا وصفاً دقيقاً لمدينة أوجلة إذ يقول بأنها: بلدة رحبة المسعى كثيرة المرعى، أحدقت بها أجنات من الجوانب تسقي بالدواب، زرعها كثير وخيرها غزير، تجلب لها الأرزاق من الأقطار والآفاق، كثيرة اللحوم والسمن والشحم يجلب لها من الجبل الأخضر من برقة تأتي القوافل منها كثير، أهلها سماح الوجوه، وبياها يشبه بناء المغرب في الشكل ولها بابان أحدهما لناحية المشرق، والآخر لناحية المغرب وأعذب آبارها، بئر بباب البلد، منها يسقون لأن غيرها لا يشبهه في الطعم، فكانت الإقامة بها سبعة أيام، وكان أميرها حينئذ غائباً بناحية برقة في بعض طاعته[1].

إن هذا الوصف رغم دقته إلا أنه ينحو نحو الإيجاز فرغم مكوث ابن مليح بأوجلة لمدة سبعة أيام فإنه لم يمدنا إلا بهذه المعلومات وهي تتعلق بالناحية الاقتصادية والازدهار الذي تشهده الواحة، وأن بناء الواحة يشبه بناء المغرب ولعل مرجع ذلك تشابه المناخ ومواد البناء فضلاً عن التأثيرات الحضارية في مجال العمارة في المنطقة الصحراوية التي روعي في تصميمها ملاءمتها للظروف المناخية في المنطقة، ويشير ابن مليح أن أوجلة والجبل الأخضر كانا تحت حاكم واحد وهو كما يذكر المؤرخ ابن غلبون في كتابه التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أعيان أحمد بن عبد الهادي[2].

إننا نلتمس العذر للرحالة ابن مليح في إيجازه ولعل مرجع ذلك أن الرحالة كانوا يهتمون بالناحية الاقتصادية والبضائع التي ترد وتصدر عن البلد، وكذلك مواطن الماء فهذه زاد المسافرين، كما يهتمون بالنواحي الأمنية كاستتباب الأمن بالمنطقة وسيطرة الحاكم وعدم وجود قطاع طرق أو لصوص. فالرحالة يأتون على جناح طائر كما يقولون فيهتمون اهتماماً كبيراً بتلك النواحي أكثر من غيرها.

في ولاية محمد باشا الساقزلي **1631 – 1649م** قام عثمان داي الساقزلي باحتلال مدينة أوجلة بعد أن غدر بحاكمها أحمد بن عبد الهادي[3] وبأهلها فقبض عليه وسجنه وجعل يتتبع تجار البلد ويسلب أموالهم ويسجنهم، ويسجن النساء كل من لها مال حتى تؤديه وبالغ في نهب أموالهم حتى نهب أقراط الصبيان من آذانهم وهي لا يزيد وزن الواحدة منها عن مثقال ولم يترك فيها ذهباً ولا

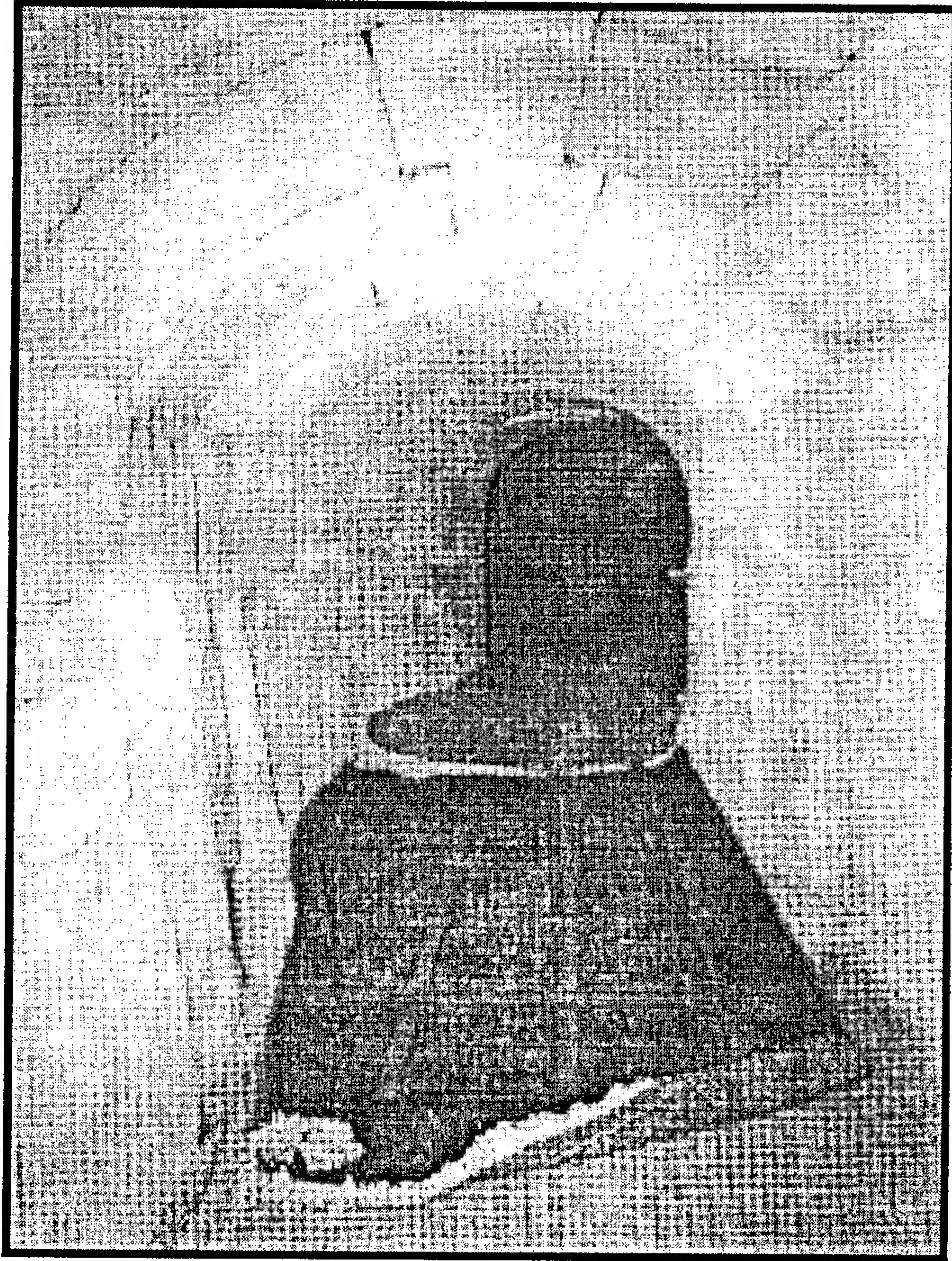
---

(1) ابن مليح، أبو عبد الله بن أحمد القيسي. أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعالم. تحقيق محمد الفاسي. فاس: منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، 1968. ص35، 36.

(2) يورد شارل فيرو في كتابه الحوليات الليبية رواية تختلف عن ما أورده ابن غلبون، ويذكر فيرو أن اسم الحاكم سالم.

(3) المرجع السابق نفسه.

فضة إلا أخذه وجمع ما فيها من رقيق وقيد الشيخ أحمد وأتى به وبنسائه وحريمه وبنيه وإخوته ومن له به تبع إلى حضرة محمد باشا وكان ما جمعه من فضة شيئاً كثيراً فضرب ذلك محمد باشا سكة زنة كل قرميل نصف درهم وأجراه في الصرف بأربعة طرانش[1]. وبذلك خضعت مدينة أوجلة لحاكم طرابلس.



مقام عبد الله بن أبي سرح

أهم المعالم الأثرية بأوجلة:

مسجد عبد الله بن سعد بن أبي سرح:

يذهب أهل أوجلة إلى القول أن مسجد عبد الله بن سعد من أقدم المساجد إذ شيد في النصف الأول من القرن الأول الهجري وهو ينسب للصحابي عبد الله بن سعد وكان أخاً لعثمان بن عفان

---

(1) ابن غلبون التذكار. ص. ص162، 163.

في الرضاعة وتذهب الروايات المتوارثة في أوجلة إلى أن دفنه بها وأن الذي اكتشف قبره هو الشيخ أحمد الزروق في النصف الأول من القرن التاسع الهجري. مع أن الكثير من المصادر العربية (أسد الغابة، الاستيعاب) تذكر أنه توفى ودفن بمقابر قريش بعسقلان بفلسطين. يحاول الأستاذ محمد بازامه أن يوفق بين هاتين الراويتين فيصل إلى احتمال هو أن يكون عبد الله بن سعد قد غادر عسقلان متخفياً بحراً إلى برقة حيث استقر بواحة أوجلة حتى أدركته المنية، إذ أراد عبد الله بمسلكه هذا أن يعتزل الفتنة وهو يعرف مناطق الشمال الإفريقي ويحيط بأوفقها له في عزلته من الصراع، وهذه الواحة التي يوجد بها ضريحه أكثر مناسبة لمن يرغب العزلة والانزواء عما يدور في مصر وفي غيرها من بلاد الإسلام[1]. إن بناء المسجد الحالي لا يعود لفترة مبكرة، وقد قامت مصلحة الآثار في نهاية تسعينيات القرن العشرين بالكشف عن الضريح وإشهاره.

الجامع العتيق بأوجلة:

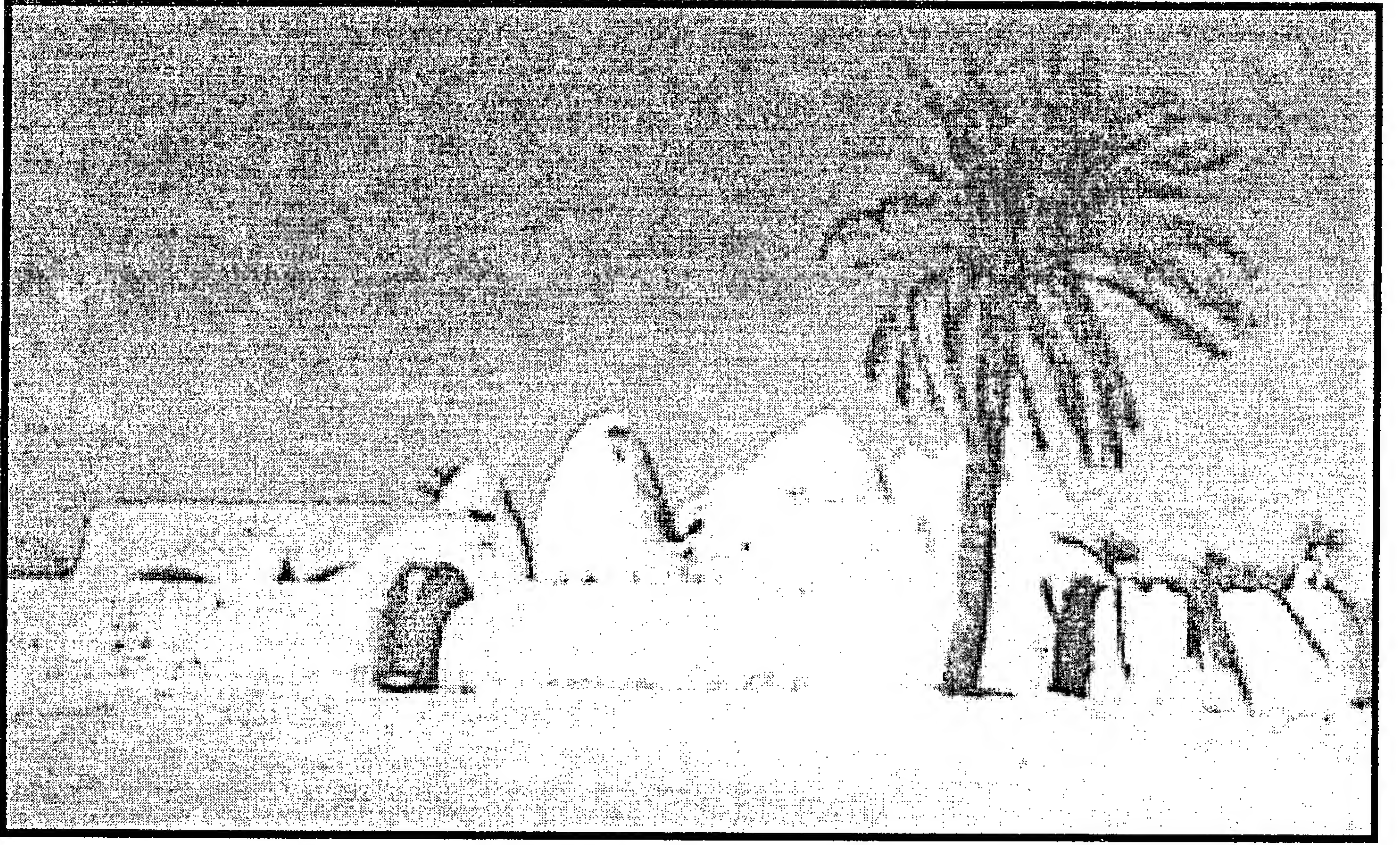
لقد اكتسب هذا المسجد ميزة خاصة إذ تميز بمعماره الفريد وهو يرجع إلى القرن الثاني عشر، وقد خضع لعدة عمليات ترميم ولم يبق من معالمه الأصيلة إلا الرواقان الرابع والخامس. لقد أدت العوامل الجوية وخاصة سقوط الأمطار إلى تصدع الجامع وقد نتج عن هذا عدم إقامة الصلاة به[2]. وفي بداية الثمانينيات من القرن العشرين قامت مصلحة الآثار بترميم الجامع.

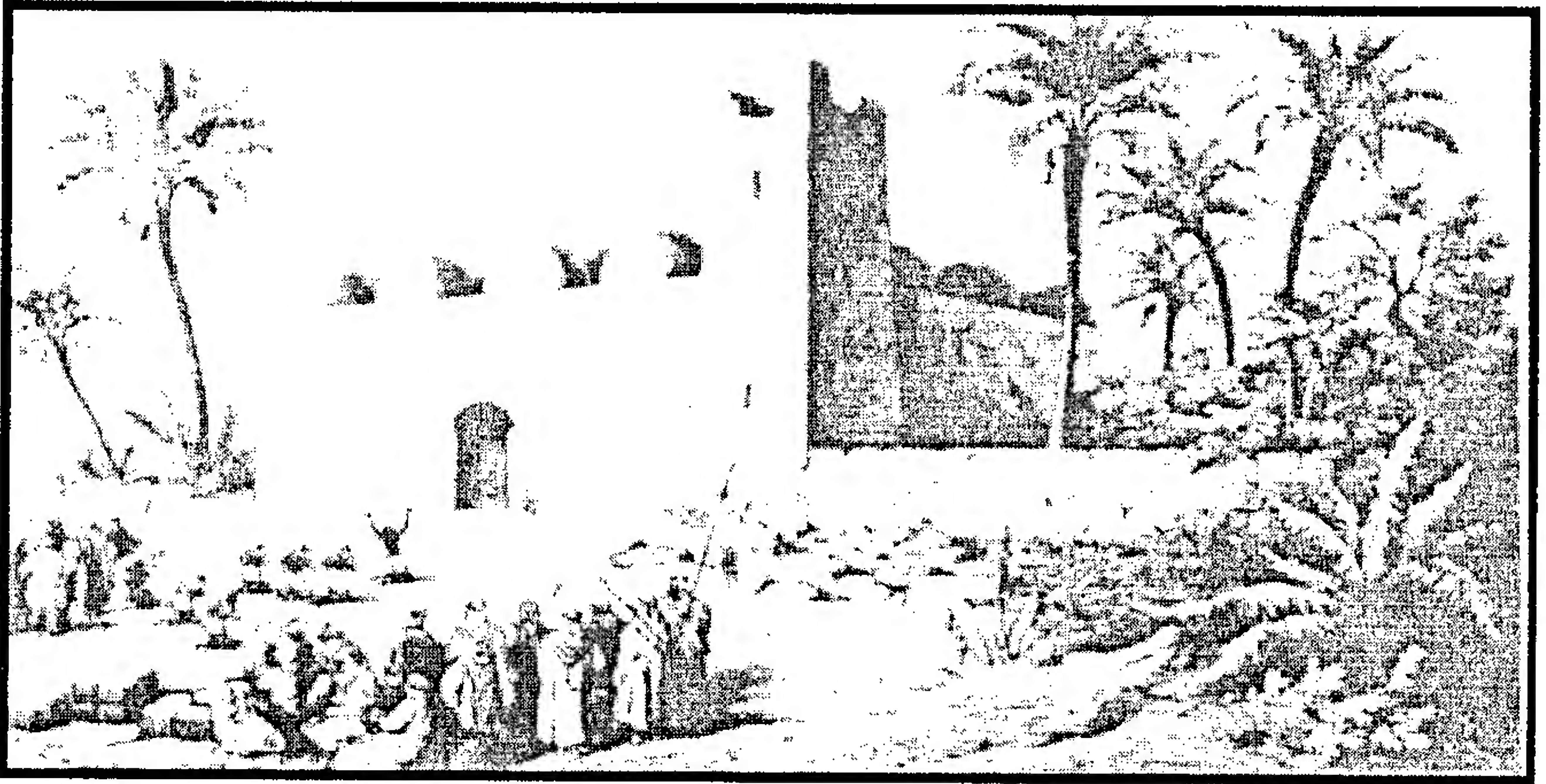
إن بناء المسجد العتيق بقبابه المخروطية المستوحاة من طرز العمارة الصحراوية الإفريقية يجعله متميزاً وفريداً من نوعه في ليبيا ويلاحظ على أسلوب البناء استعمال الحجر الجيري في بناء أقواس وقباب وجدران هذا المسجد فضلاً عن استخدام الملاط الطيني في بناءه كما يلاحظ أنه تم قطع الحجارة المستعملة للبناء بطريقة دقيقة وذات أبعاد منسقة، كما استعملت جذوع النخل بعد حفرها كقنوات لتصريف مياه الأمطار من سطح المسجد.

إن مسجد عبد الله بن سعد أقدم تاريخاً من الجامع العتيق ولكن يصح إن يقال أن ثمانمائة عام أو أكثر قد مرت على بناء الجامع العتيق وأن الرواقين الرابع والخامس هما أقدم عهداً ويعودان إلى عصر تأسيس المسجد[3]. ومازالت مدينة أوجلة تعتمد في حياتها الاقتصادية على إنتاج أنواع مختلفة من التمور وتصديرها وهو المورد الذي اشتهرت به منذ القرن الخامس قبل الميلاد.

---

(1) محمد مصطفى بازامه. ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين. طرابلس: دار الفكر ، د.ت. ص187.
(2) مصلحة الآثار. بعض المواقع الإسلامية في ليبيا. طرابلس: منشورات مصلحة الآثار، 1976. ص29.
(3) المرجع السابق. ص29.





جامع أوجلة كما رسمه الرحالة رولفس **1878**. عن كتاب رحلة عبر أفريقيا

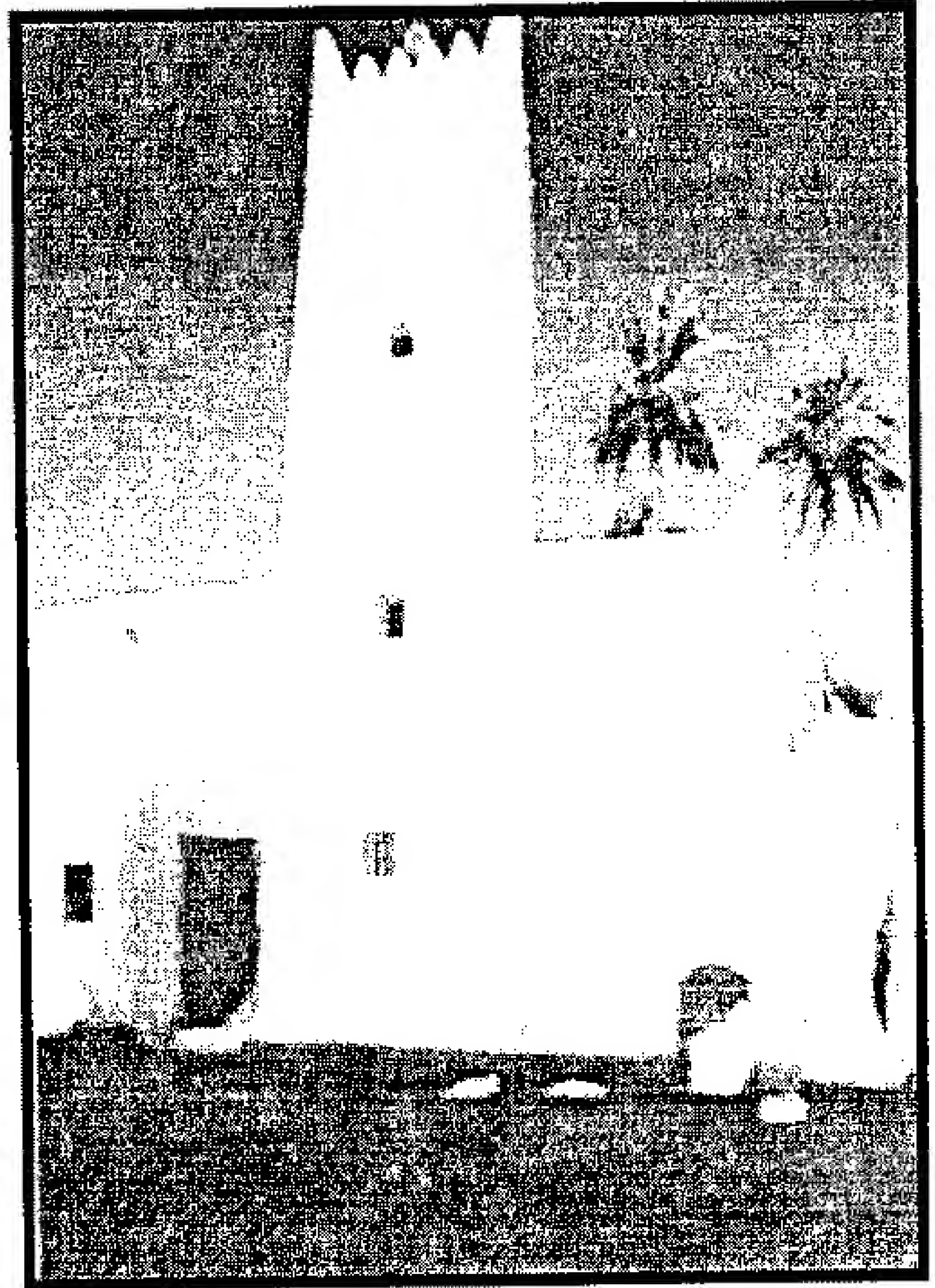
مدينة غدامس:

تقع غدامس إلى الجنوب الغربي من طرابلس بنحو **600**كم، ويمر بها خط طول **94**° شرقاً وخط عرض **306**° شمالاً، وهي تقع عند نقطة حدودية تتلاقى فيها حدود كل من تونس والجزائر مع الحدود الليبية. وتدين غدامس في نشأتها لوجود عين ماء غنية منذ القدم هي عين الفرس وإلى وجود بئرين كبيرين في الحافة الصخرية التي تفصل منطقة العرق الرملي التونسي في الغرب عن الحمادة الحمراء في الشرق [1].

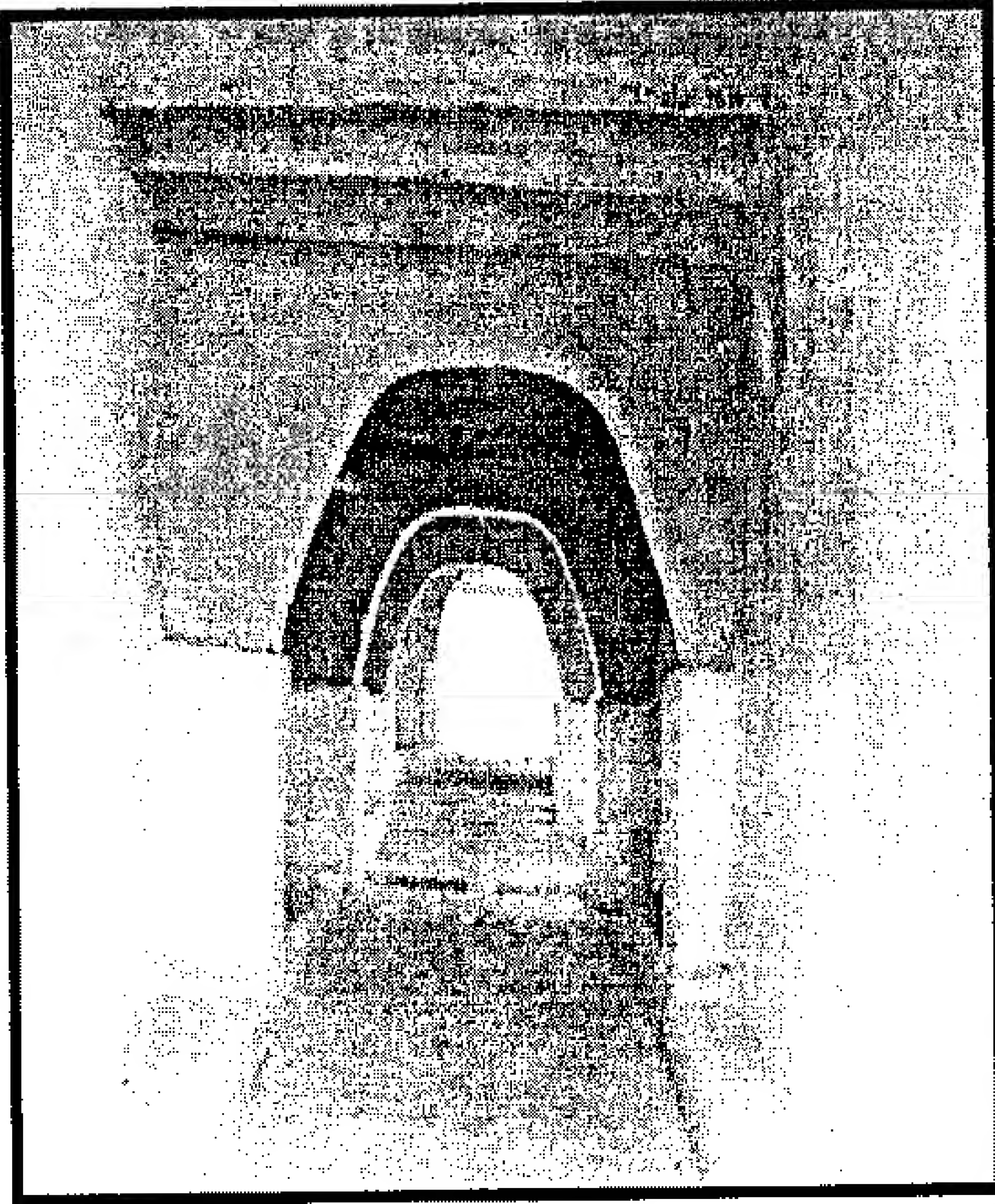
(1) عبد العزيز طريح شرف. جغرافية ليبيا. ص476.

وتصنف غدامس كإحدى مناطق الاستقرار الصحراوية، فمتوسط مطرها السنوي يقل عن ثلاثين مللم، وتتميز منطقة غدامس بمناخ جاف متطرف تستحيل معه صور الحياة لولا تفجر المصدر المائي الباطني المتمثل في عين الفرس والتي كانت السبب في استمرار الحياة في غدامس ويتم توزيعه بقدر متعارف عليه بين سكانها بواسطة القادوس.

وإذا حاولنا أن نتعرف على نشأة غدامس كواحة فإنه يمكن القول أنها مدينة أزلية كما أشار إلى ذلك الكثير من الجغرافيين والرحالة العرب وأن نشأتها تسبق نشأة مدينة قرطاج التي أسسها الفينيقيون سنة 814ق.م. وقد عرفت باسم سيداموس أو كيداموس، احتلها الرومان سنة 19 ق.م على يد القائد الروماني كورنيليوس بالبوس إلا أن التواجد الروماني لم يستمر في تلك الفترة ولعل استقرار حامية عسكرية رومانية بغدامس يعود إلى بداية القرن الثالث للميلاد. وقد افتتحها العرب المسلمون بقيادة عقبة بن نافع سنة 42هـ/ 662م.



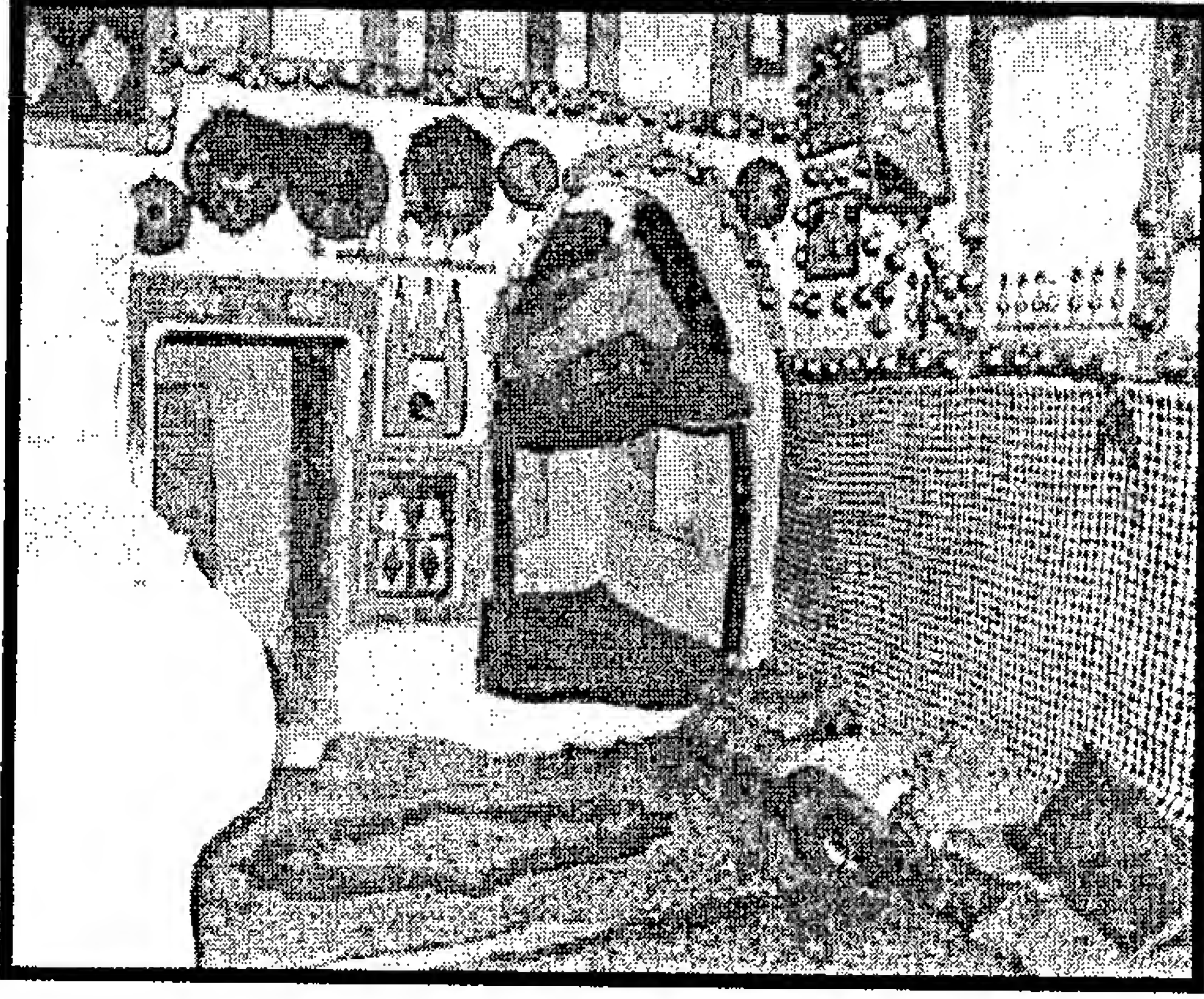
أحد جوامع غدامس



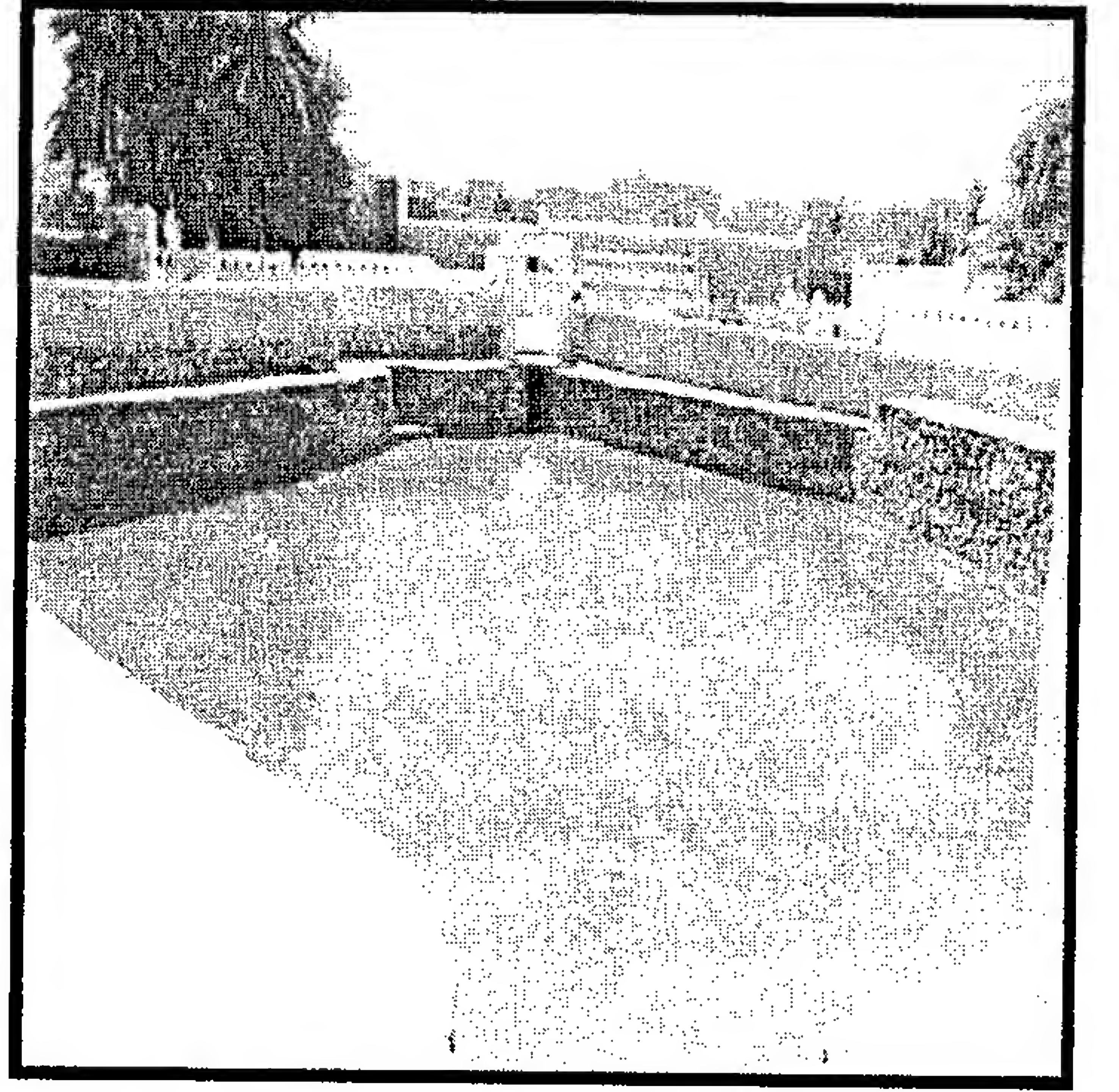
أحد شوارع مدينة غدامس

وصف الكثير من الجغرافيين والمؤرخين والرحالة العرب مدينة غدامس، ويعود الفضل في أول وصف لغدامس للمهلبي الذي جاء في كتاب أبي الفدا (تقويم البلدان) فذكر أنها مدينة في الصحراء جنوب الجريد على طريق السودان عبر كانم، وهي مدينة مهمة كثيرة السكان، ويذكر المهلبي العين التي ستكون بعد ذلك مصدر دهشة وإعجاب كل الرحالة. ويشير إلى أن فيها آثار مبان رومانية وأن تقسيم المياه يتم وفق قواعد معروفة من الجميع [1].

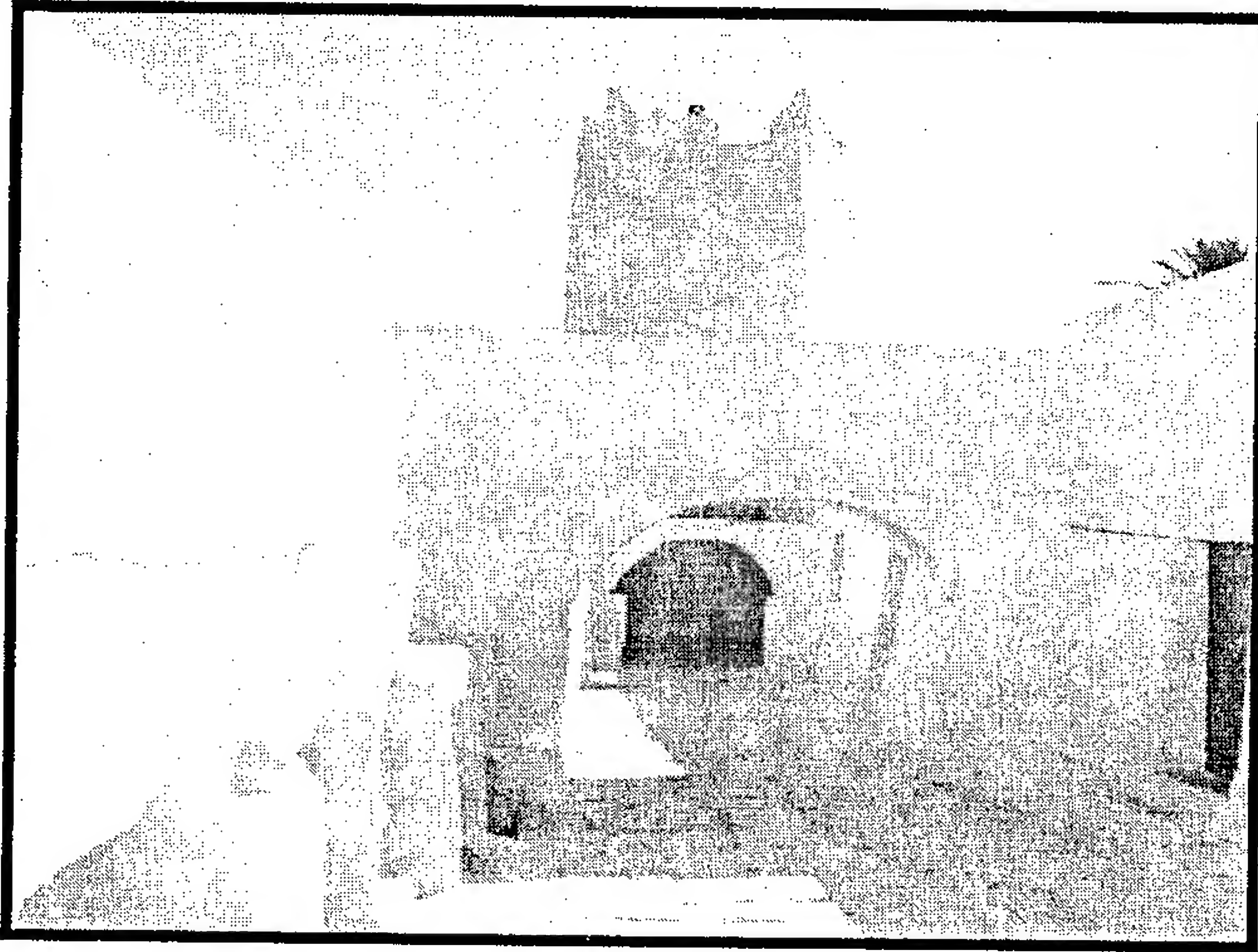
(1) جاك تيري. تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى. ص436.



قاعة معيشة في بيت غدامس تقليدي



عين الفرس



مئذنة بمدينة غدامس

وصفها صاحب كتاب الاستبصار في القرن الثاني عشر للميلاد بقوله: مدينة لطيفة قديمة أزلية، وإليها ينسب الجلد الغدامسي. وبها دوامس وكهوف كانت سجوناً للملكة الكاهنة التي كانت بإفريقية، وهذه الكهوف من بناء الأولين، فيها غرائب من البناء والأزاج المعقودة تحت الأرض ما يحار الناظر إليها إذا تأملها، تنبئ أنها آثار ملوك سالفة وأمم دارسة، والكمأة تعظم بتلك البلاد حتى تتخذ منها اليرابيع والأرانب أجحاراً [1].

أما ياقوت الحموي فيذكر في كتابه معجم البلدان بأنه تدبغ فيها الجلود الغدامسية، وهي من أجود الدباغ لا شيء فوقها في الجودة، كأنها ثياب الخز في النعمة والإشراق. وفي وسطها عين أزلية

(1) الاستبصار. ص.ص 145، 146.

وعليها أثر بنيان عجيب رومي يفيض الماء فيها، ويقسمه أهل البلدة بأقساط معلومة لا يقدر أحد أن يأخذ أكثر من حقه وعليها يزرعون[1].

ويذكر الرحالة العربي الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي في كتابه وصف إفريقيا أن أهل غدامس وحدهم يستطيعون اختراق الصحراء التي تتاخم شمالاً مفازات فزان وبرقة إلى تخوم مفازة بورنو. الأرض شديدة الجفاف في هذه الناحية... ذلك لأنهم أصدقاء لبرداوة، يأخذون من فـــزان المؤن والثياب وغير ذلك مما هو ضروري للسفر[2].

لقد كانت مدينة غدامس على غاية الأهمية في العصر الوسيط، إذ كانت تمثل بوابة الـــصحراء ونقطة الاتصال بين السودان من جهة وإفريقية ومصر من جهة أخرى، وكانت مزدهـــرة بفـــضل التجار والحجيج وكانت متكونة من عدة أحياء بعضها لبني ورتاجن والبعض الآخر لبني وطـــاس المتصاهرين مع الأسرة المالكة في المغرب الأقصى[3].

كان الميجر لينج أول أوربي تطأ قدماه أرض غدامس في العصر الحديث، وكان ذلـــك ســـنة **1826** إلا أن مذكراته التي كتبها لم تصل إذ فقدت بعد مقتله وهو في طريقـــه إلى تمبكتـــو. وأول مذكرات كتبها رحالة أوربي وصلت إلينا هي مذكرات الرحالة جيمس ريتشاردسن الذي حـــل بغدامس سنة **1846** والتي أوضح فيها أن عدد سكان غدامس أكثر قليلاً من ثلاثة آلاف نـــسمة وأعطى معلومات عن سورها ومزارعها وبيوتها.

يرجع ثراء أهل غدامس إلى اشتغالهم بتجارة القوافل إذ كان معظم أهلها تجاراً وأهلها موقعها المميز الذي كان على الطريق المؤدي إلى بلاد ما وراء الصحراء، فكانت بمثابة الميناء الذي تلتقـــي فيه قوافل التجار والحجاج القادمون من تمبكتو وغيرها من مدن ما وراء الصحراء في طريقهـــا إلى طرابلس وإفريقية والإسكندرية والقاهرة والأراضي المقدسة وقد عرفت غدامس باســـم جـــوهرة الصحراء لأن القوافل تقصدها من مفازات وصحاري مقفرة فتجد الماء والخضرة والإقامـــة مـــع حسن المعاملة والحديث إذ كان معظم أهالي غدامس يتحدثون بعدة لغات ولهجـــات ســـائدة في المناطق التي يتعاملون معها.

خلال القرن التاسع عشر، تدهورت أوضاع غدامس الاقتصادية لمجموعة من العوامل كان على أهمها إلغاء تجارة الرق وتحول طرق تجارة القوافل عنها، وضعف مردودها الاقتصادي، إضـــافة إلى احتلال فرنسا للجزائر سنة **1830** ثم احتلالها لتونس سنة **1881**، مما حد من نشاط تجارة القوافل وحركتها الواردة والمنطلقة منها.

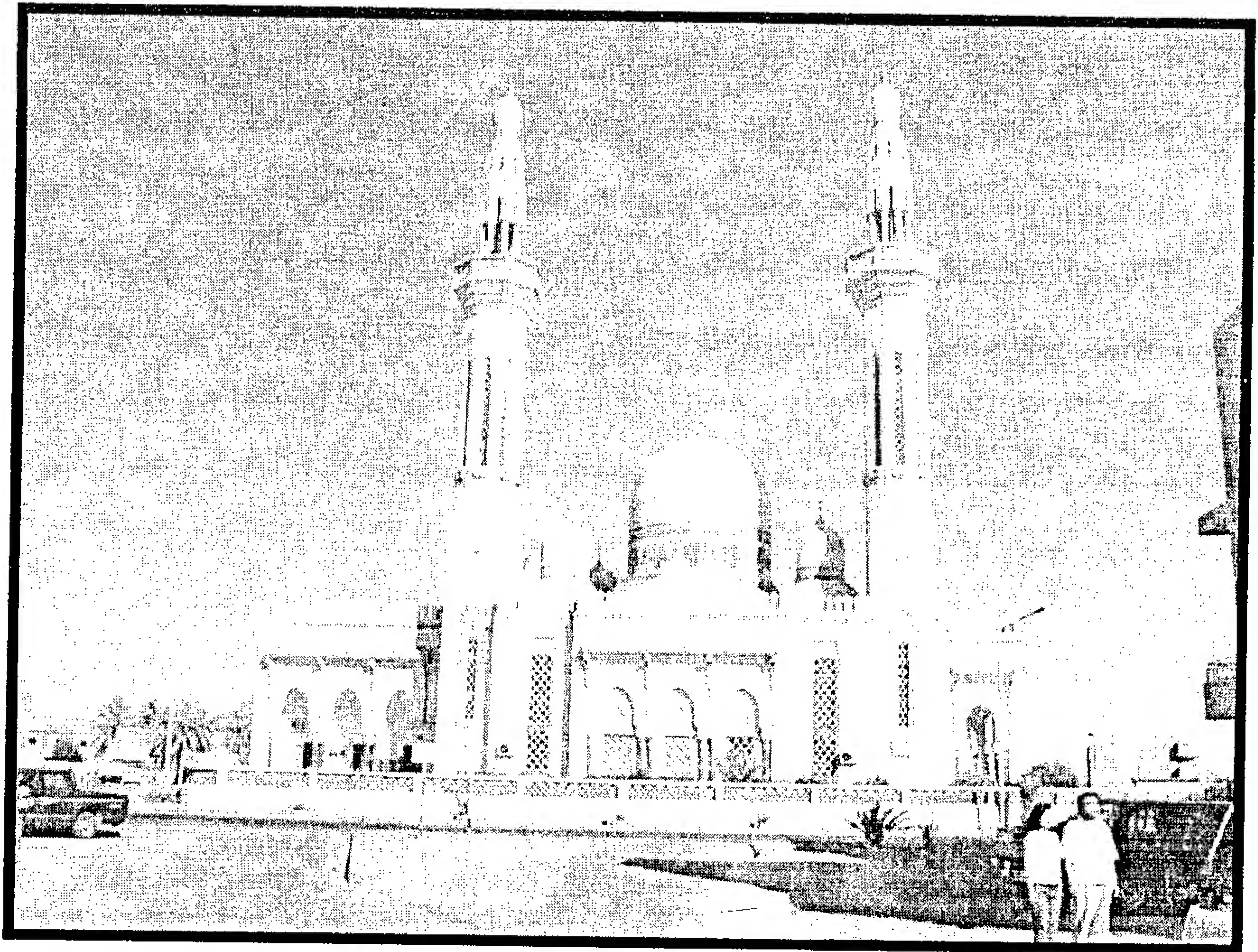
(1) ياقوت الحموي. معجم البلدان. عن كتاب ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات. ص74.
(2) الحسن الوزان. وصف إفريقيا. ج.2. ص154.
(3) روبار برنشفيك. تاريخ إفريقية في العهد الحفصي. نقله إلى العربية حمادي الساحلي. بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1988. ص355.

ولا تزال غدامس تحتفظ بالعديد من الآثار العربية الإسلامية المتمثلة في جوامعها ومدارسها القديمة كما تتميز بغناها المعماري فقد شيدت وسط منطقة صحراوية وراعى أهلها الظروف البيئية لذلك عمدوا إلى أن تكون أغلب طرقها مسقوفة مع وجود فتحات متعددة ومتباعدة للإضاءة والتهوية، إضافة إلى كونها متعرجة بما لا يسمح للتيارات الهوائية المحملة بالأتربة بالتعمق في وسطها ويلاحظ استخدام العقود بكثرة بها، وبعضها عقود حاملة وبعضها الآخر استخدمت لأغراض جمالية.

ويحيط بغدامس سور به عدة أبواب، في مواجهتها بعد عدة أمتار جدران المباني التي تبدو وكأنها استخدمت كمصدات للرياح ثم تلتف الطرق بعد ذلك.

شيدت الدور السكنية في مدينة غدامس بالطين إذ يوضع في قوالب خشبية ويترك في الشمس ليجف ومعظمها لا يتجاوز ارتفاعها عشرة أمتار، ومداخل البيوت تتصل بسقيفة ومدخل منكسر ليوفر الخصوصية لأهلها، وبه عدة درجات تؤدي إلى قاعة الجلوس التي زخرفت برسومات هندسية متداخلة يغلب عليها اللون الأحمر، وعلقت على الجدران أواني وأطباق صفر نحاسية صغيرة ومجموعة من المرايا التي تساعد على توزيع أشعة الشمس المنعكسة عليها والتي تتسلل من خلال فتحة في وسط السقف. وتحيط بالقاعة عدة حجرات وكوات تستعمل للتخزين، ويوجد سلم يؤدي إلى المطبخ وإلى السطح الذي يعد عالم المرأة الغدامسية فبواسطته يمكنها أن تتصل بجاراتها.

إن العمارة المحلية الإسلامية في مدينة غدامس تكون في مجموعها نسيجاً معمارياً مكثفاً ومترابطاً ومتناسق التخطيط يتلاءم وطبيعة المناخ السائد بها إذ يوفر لأهلها الدفء في فصل الشتاء، واعتدال درجة الحرارة في فصل الصيف كما يلبي حاجات سكانها ويتمشى مع تقالديهم وعاداتهم.



جامع حديث في مدينة غدامس الجديدة

مدينة زويلة:

تقع مدينة زويلة إلى الشرق من مزرق بنحو 140كم وإلى الجنوب الشرقي من مدينة سبها وتنصل بها بطريق يبلغ طوله بنحو 160كم. وهي من مدن فزان القديمة، افتتحها العرب المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وبيان ذلك أنه بفتح عمرو بن العاص برقة بعث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وفتحها سنة 22هـ/ 643م. وبهذه الفتوحات في المناطق الداخلية من ليبيا مهد عقبة لنشر الإسلام في مناطق بعيدة عن الساحل، وأرسل ابن العاص كتاباً إلى الخليفة ابن الخطاب يقول فيه: إن من بين زويلة وبرقة سلم كلهم، حسنة طاعتهم، وقد أدى مسلمهم الصدقة، وأقر معاهدهم الجزية، وأنه قد وضع على أهل زويلة ومن بينه وبينها ما رأى يطيقونه، وأمر عماله جميعاً أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها في الفقراء ويأخذوا الجزية من الذمة فتحمل إليه بمصر. وأن يؤخذ في الاعتبار من أراضي المسلمين العشر ونصف العشر من الصلح صلحهم[1].

ويبدو أن عقبة أقام في برقة وزويرة منذ فتح المدينتين حتى تعيينه حاكماً لإفريقيا سنة 70 – 671ف وشكلت برقة وزويلة مقام الولاية[2]. وأعاد عقبة بن نافع فتح مدينة زويلة في حملته سنة 49هـ بعد أن نقض أهل زويلة العهد الذي قطعوه، ثم توغل فيها في عمق الصحراء الليبية وفتح مدنها وقلاعها وكورها حتى بلغ فيها أقصى أطرافها المعروفة، ثم كر عائداً إلى زويلة التي ربما كان سلك إليها طريق القطرون، ومن زويلة عاد إلى معسكره بغدامس، بعد غياب خمسة أشهر[3]. قضاها في جهاد لنشر الإسلام في الصحراء الليبية.

تعد مدينة زويلة إحدى المدن الليبية التي تزخر بالآثار الإسلامية حيث عثر على سكة عربية إسلامية، ضربت في مدينة زويلة في العهد الفاطمي. وسميت زويلة بعد الفتح العربي الإسلامي بلد الأشراف كما سميت بزويلة بني الخطاب وعبر عنها بعض المؤرخين بزويلة السودان، احترازاً عن زويلة إفريقية التي بناها عبيد الله المهدى قرب تونس، وكانت زويلة السودان عاصمة فزان قبل مرزق، وصفها كثير من الجغرافيين والرحالة العرب والأجانب وأثنوا عليها وعلى منتجاتها.

وصف اليعقوبي مدينة زويلة في كتابه البلدان في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بقوله: ووراء ذلك بلد زويلة مما يلي القبلة وهم قوم مسلمون... كلهم يحجون البيت الحرام ويخرجون الرقيق من الميريين والزغاويين والمرويين وغيرهم من أجناس السودان لقربهم منهم وهم يسبونهم، وبلغني أن ملوك السودان يبيعون السودان من غير سبي ولا حرب، ومن زويلة الجلود الزويلية وهي أرض نخل ومزدرع ذرة وغيرها بها أخلاط من أهل خراسان ومن البصرة والكوفة[4].

---

(1) البلاذري. فتوح البلدان. ص264.
(2) جاك تيري. تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى. ص460.
(3) البرغوتي. تاريخ ليبيا الإسلامي. ص22.
(4) اليعقوبي. البلدان. عن كتاب ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات. ص10.

لقد استفادت زويلة من موقعها الجغرافي المميز، لذلك لم تعد تجارة الرقيق الأسود مصدر الثراء الوحيد لسكان زويلة. عند حديثه عن منجم الذهب السوداني ــ الذي لا يحدده ــ يقول الإصطخري إنه لا يوجد منجم آخر يماثله في وفرة الذهب ونقائه، ويقول بوقوعه بين زويلة وسجلماسة[1]. مما جعلها لا تتوقف عن التطور والنمو. ففي نهاية القرن العاشر أصبحت مدينة كبيرة على حدود السودان[2]. وكان أهلها والذين يعيشون بجوارها أغنياء بالذهب والحيوانات.

أما البكري صاحب كتاب المسالك والممالك فيصف مدينة زويلة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري بقوله: وهي مدينة غير مسورة في وسط الصحراء وهي أول حد بلاد سودان وبها جامع وحمام وأسواق يجتمع بها الرفاق من كل جهة منها، ومنها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم، وبها نخيل وبساط للزرع يسقى بالإبل... وين زويلة ومدينة أجدابية أربع عشرة مرحلة ولأهل زويلة حكمة في احتراس بلدهم، وذلك أن الذي عليه نوبة الاحتراس منهم يعمد إلى دابة فيشد عليها حزمة حطب كبيرة من جرايد النخل تنال سعفها الأرض ثم يدور بها حوالي المدينة، فإذا أصبح من الغد ركب ذلك المحترس ومن يتبعه على جمال السروج وداروا بالمدينة فإن رأوا أثراً خارجاً من المدينة اتبعوه حتى يدركوه أينما توجه لصاً كان أو عبداً أو أمة أو بعيراً. وزويلة من أطرابلس بين المغرب والقبلة، ويجلب من زويلة الرقيق إلى ناحية إفريقية وما هنالك. ومبايعاتهم بثياب قصار حمر[3].

بهذا يوضح البكري أهمية زويلة إذ إنها أول حد بلاد السودان وبها أسواق يجتمع بها الرفاق والتجار من كل جهة منها، ومنها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم، فهي إذن ملتقى طرق القوافل وهي عامرة بأسواقها التي يتردد عليها التجار إضافة إلى أن بها نخيلاً وبساطاً للزرع يسقي بالإبل وهذه هي مقومات المدن التجارية المزدهرة.

في القرن السادس الهحري/ الثاني عشرة للميلاد ذكرها الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق بقوله: بناءها عبد الله بن خطاب الهواري وسكنها هو وبنو عمه في سنة 306هـ وهي منسوبة إلى هذا الرجل وبه اشتهر اسمها وهي الآن عامرة. وقال أيضاً: ومدينة زويلة ابن الخطاب في صحراء، وهي مدينة صغيرة وبها أسواق ومنها يدخل إلى جمل من بلاد السودان. وشرب أهلها من آبار عذبة، وبها نخل كثير، وثمرها حسن، والمسافرون يأتونها بأمتعة من جهازها وجملة من أمور يحتاج إليها[4].

أما صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار فوصفها في القرن السادس الهجري بقوله: مدينة كبيرة قديمة أزلية في الصحراء، تقرب من بلاد كانم وهي من السودان... وهي مجتمع الرفاق وإليها يجلب الرقيق، ومنها يخرج إلى بلاد إفريقية وغيرها من البلاد[5].

---

(1) تيري. تاريخ الصحراء الليبية. ص468.
(2) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(3) البكري. ص.ص 10، 11.
(4) الإدريسي. نزهة المشتاق. عن: كتاب ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات. ص100.
(5) كتاب الاستبصار. ص146.

أما في القرن السابع الهجري فينقل القزويني صاحب كتاب آثار البلاد وأخبار العباد ما ورد عند البكري. وكتب ابن سعيد في كتابه بسط الأرض في النصف الثاني من القرن السابع الهجري واصفاً زويلة: بلاد فزان وهي أيضاً جزائر نخل ومياه، ولها مدن وعمائر أكثر من ودان. والجميع الآن في طاعة ملك الكانم. وقاعدة فزان مدينة زويلة[1]. وأشار ابن مليح في رحلته أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعراب. بين سنتي 1630 – 1633م. إلى زويلة بقوله: يُحكى أنها كانت مدينة عظيمة كثيرة النخيل وفيها مزارات وآثار تدل عليها ويذكر أن دفات أبوابها هي القائمة على باب زويلة أحد أبواب مصر، وسميت بذلك[2].

وكتب الرحالة الألماني فريدرك هورنمان الذي قام برحلته من القاهرة إلى مرزق (1797 – 1798) عن مدينة زويلة يقول: يطلق على زويلة بلد الشريف ولكنها في سالف الأزمان كانت مركزاً هاماً، ويبدو أن محيطها السابق كان يبلغ ثلاثة أضعاف المحيط الحالي. وقد أخبرني بعض أقرباء الشريف أن زويلة كانت منذ بضعة قرون مقراً للسلاطين والملتقى العام للقوافل، وأصبحت الرحلة إلى فزان من ذلك الحين تسمى الرحلة إلى سهلة من قبل القادمين من بورنو.

ويزودنا هورنمان بوصف للمدينة فيذكر أنها شيدت على مساحة يبلغ محيطها ميلاً تقريباً، ومنازلها، كما في أوجلة، تتكون من طبقة واحدة يدخل النور إلى غرفها من الأبواب فقط. وتوجد قرب وسط المدينة آثار بناء عال من عدة طبقات جدرانه سميكة جداً. ويقال بأنه كان قصراً فيما مضى. وهناك خارج المدينة قرب السور الجنوبي مسجد قديم، لم تنل منه عوامل الزمن إلا قليلاً ومازال ماثلاً يدل على عظمة زويلة القديمة. ويضم المسجد في وسطه قاعدة راسعة تلتف حولها أقواس عالية، ووراءها ممر واسع وله مداخل تؤدي إلى غرف متنوعة تتبع المسجد وتبدو على بعد قريب من المدينة أبنية قديمة شديدة الارتفاع، هي قبور للشرفاء الذين سقطوا في المعارك في أزمنة تعرضت فيها البلد لهجوم الكفار. وتعتبر المناطق المحيطة بزويلة مستوية السطح خصبة التربة تغذيها مياه وفيرة وتتسع بساتين النخيل وتمتد إلى مسافات كبيرة. ويبدو أن سكانها يتوجهون للزراعة عناية تفوق عناية غيرهم من سكان المناطق المجاورة[3].

وكتب الرحالة الإنجليزي جون فرانسيس ليون في مذكراته من طرابلس إلى فزان والذي زار مدينة زويلة في بداية العشر الأواخر من شهر ديسمبر سنة 1818 عما شاهده في مدينة زويلة فيقول: بلغنا زويلة، وعلى اليمين واليسار نجد أكوام الحطام بالقرب من الأسوار، وعلى منطقة مرتفعة كان رجالات المدينة وهم الشرفاء في انتظار قدومنا للترحيب. وأوصلنا الرجال إلى منزل

---

(1) ابن سعيد. بسط الأرض. عن كتاب ليبيا في كتب الجغرافية. ص80.
(2) ابن مليح. أنس الساري والسارب. ص35.
(3) لمزيد من الوصف ينظر: فريدريك هورنمان. رحلة فريدريك هورنمان من القاهرة إلى مرزق. (كتاب رحلتان عبر ليبيا). طرابلس: مكتبة الفرجاني. 1974م.

فخم... إن كل سكان زويلة تقريباً من البيض، وهم شرفاء، ولا يتزاوجون مع الآخرين، وهم يعتزون بنسبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وهم بدون شك أكثر أهل فزان كرماً وهدوءاً ووقاراً، ويكشف مظهرهم عن ذوق سليم. ويمضي ليصف الأطلال التي خارج المدينة التي كثر الحديث عنها بعد رحلة هورنمان والتي لم يرها هورنمان نفسه، ولم يسمع عنها... فيما عدا بنائين أو ثلاثة من الطين بناها العرب الأوائل ولعل أعظم هذه الآثار من وجهة نظر (الشرفاء) هو المسجد العتيق، ويقع على بعد نصف ميل غربي المدينة. وهو عبارة عن مبنى مستطيل كبير بني منذ زمن بعيد، على الرغم من أنه عربي الطراز دون شك. والحوائط مبنية بإتقان، لا يعرفه الناس الآن، شيد من الطوب وتغطية طبقة من الطين. وفي الطرف الشمالي الغربي تنتصب مئذنته، وهي متهدمة تماماً لكنها مازالت مرتفعة بحيث تشرف على مشهد عريض للمنطقة المحيطة. ويبلغ طول المسجد من الداخل حوالي 35 قدماً، ويبلغ عرضه 90، وهي دون شك مقاييس هائلة إذا قيست ببنايات العرب وعلى الرغم من أبعاد هذا المسجد، فالسقف لا يعتمد على أعمدة أو حوائط داخلية. أما اليوم فقد سقط السقف تماماً، ولا يمكن التكهن من أي مادة كان مصنوعاً ويوجد به قبلتان ثبت إحداهما في جدار داخلي، والأخرى بنيت في حائط رئيسي وعلى هيئة منبر، وربما بنيت ليخاطب منها الإمام الحشود التي تتجمع في فناء المسجد. وهي عادة شائعة في رمضان، وفي الميلاد وفي الأعياد الدينية الأخرى.

ويصف الرحالة ليون قبور أسرة بني الخطاب التي تبعد عن المدينة بنصف ميل ناحية الشرق فيقول بأنها خمسة مبان. ونقف المباني كل يواجهة الآخر، وبينها يمتد ممر عرضه ثلاثة أو أربعة أقدام. والمباني ذاتها مربعة، طول ضلع كل منها 20 قدماً وارتفاعها 30 قدماً ولها أسطح على هيئة قباب. وبكل مبنى نافذتان واحدة قريبة من الأرض، والأخرى مرتفعة وضيقة ولعل مواد البناء من الطوب المجفف في الشمس مغطية بطبقة طينية. ويرتفع الطوب حتى منتصف البناء، ثم تليه أحجار حمراء غير مستوية، ولا شك في أنهم قطعوها من الجبال المجاورة وعلى أية حال فإن بعضاً من هذه الأحجار مازال متماسكاً. أما البناء من الداخل فهو فارغ تماماً ويبدو أنه لم يكن به حوائط داخلية ولقد دهشت حينما علمت أن هذه المباني كانت أضرحة الشرفاء الذين عاشوا هنا منذ خمسمائة أو ستمائة عام. ويضم كل مبنى رفات أحد الشرفاء، وكل ضريح مزين حسب المادة بقطع الفخار والملابس وبيض النعام ويكن أهالي المكان الاحترام كله لهذه المباني، ويحكون حكايات مشوقة عن الموتى الذين يرقدون فيها[1]. ولا ينسى الرحالة أن يصف القلعة فيقول: مضيت لأتفقد القلعة أو

(1) فرنسيس ليون. من طرابلس إلى فزان. ت. مصطفى جعودة. ليبيا ـ تونس: الدار الغربية للكتاب، 1976. ص. ص 166 – 168.

أنقاضها إن صح التعبير، وهي تحتل مساحة كبيرة وسط المدينة ولابد أن حوائط القلعة كانت هائلة فقد لاحظت أن عرض بعض المواقع من الحائط تبلغ ثلاثين قدماً، وبنيت على غرار منازل طرابلس وحوائط زويلة الحالية بنيت من نفس مادة بناء القلعة، ولا يوجد بالمدينة سوى بضعة منازل جيدة إلا أن بقايا أطلال المدينة، تعطي انطباعاً بأنها كانت مدينة عظيمة ومشيدة بطريقة أكثر تطوراً من المدن العربية بصفة عامة ويصف المسجد بقوله: إنه كان أنظف مسجد رأيته في الإقليم كله (1).

من أهم آثار مدينة زويلة الجامع الأبيض الذي أشار عليه الرحالان هورنمان وليون. كان هـذا الجامع مبنياً بطوب اللبن المغطى بطبقة من الملاط وملوناً بالأبيض، وهذا ما أكسب المسجد تسمية الأبيض (2).

ومن الآثار التي مازالت قائمة أضرحة حكام زويلة من أسرة بني الخطاب الذين حكموا زويلة من بداية القرن الرابع الهجري حتى سنة **568** هـ حين أزال قراقوش أحد قواد صلاح الدين الأيوبي دولتهم من زويلة وعذب آخر ملوكها محمد بن الخطاب على مال حتى هلك. وخطب فيها لصلاح الدين ويظهر أن زويلة قد تعرضت قبل وصول قراقوش لبعض الغارات عقب تغريبة بني هلال وبني سليم إلى المغرب فقد ذكر الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (**548**) أن العرب تجولوا في أرضها وتضر بأهلها قدر الطاقة. وقول ابن خلدون وأما إفريقية كلها... وكانت بها الأمصار المستبحرة مثل لبدة وزويلة وبرقة وقصر حسان وأمثالها فعادت يباباً ومفاوز كأن لم تكن. ويبدو في هذه الأوصاف كثير من المبالغة خاصة فيما يتعلق بزويلة وبعض مدن الواحات في الصحراء الليبية فمن الملاحظ أن التجارة في المدن الصحراوية ظلت رائجة وظلت الطرق التجارية منطلقة من مصر جنوباً نحو تلك المدن ومن شمال إفريقيا في اتجاه السودان مروراً بها، فإن مدينة زويلة كانت ثرية في القرن الثاني عشر بنفس القدر من الثراء الذي كانت عليه في القرن الحادي عشر (3).

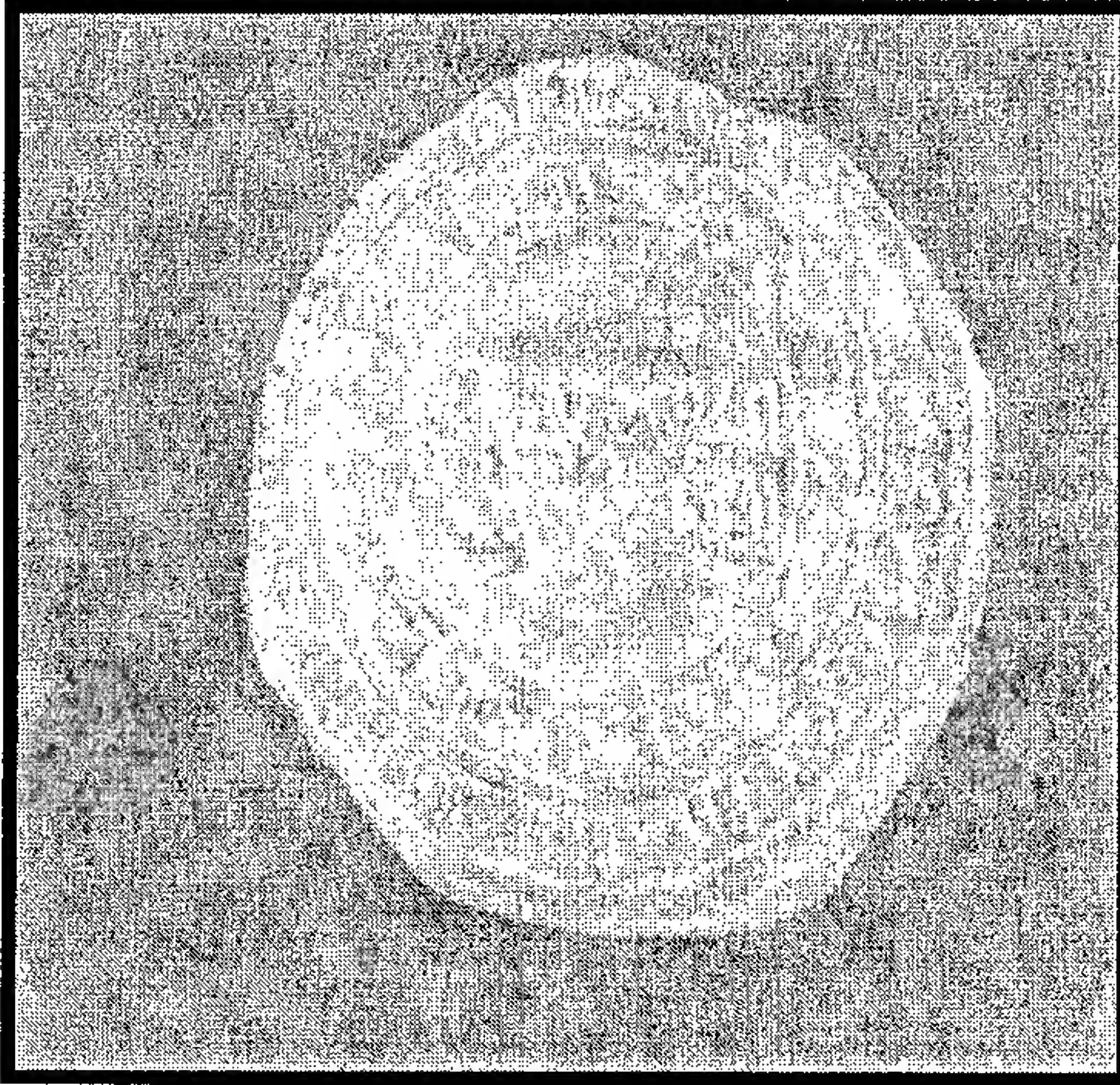
شهدت مدينة زويلة تقدما وازدهاراً في بداية القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر ميلادي ولما يدل على ذلك اكتشاف دينار سك بها سنة **414** هـ في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله وجه الدينار:

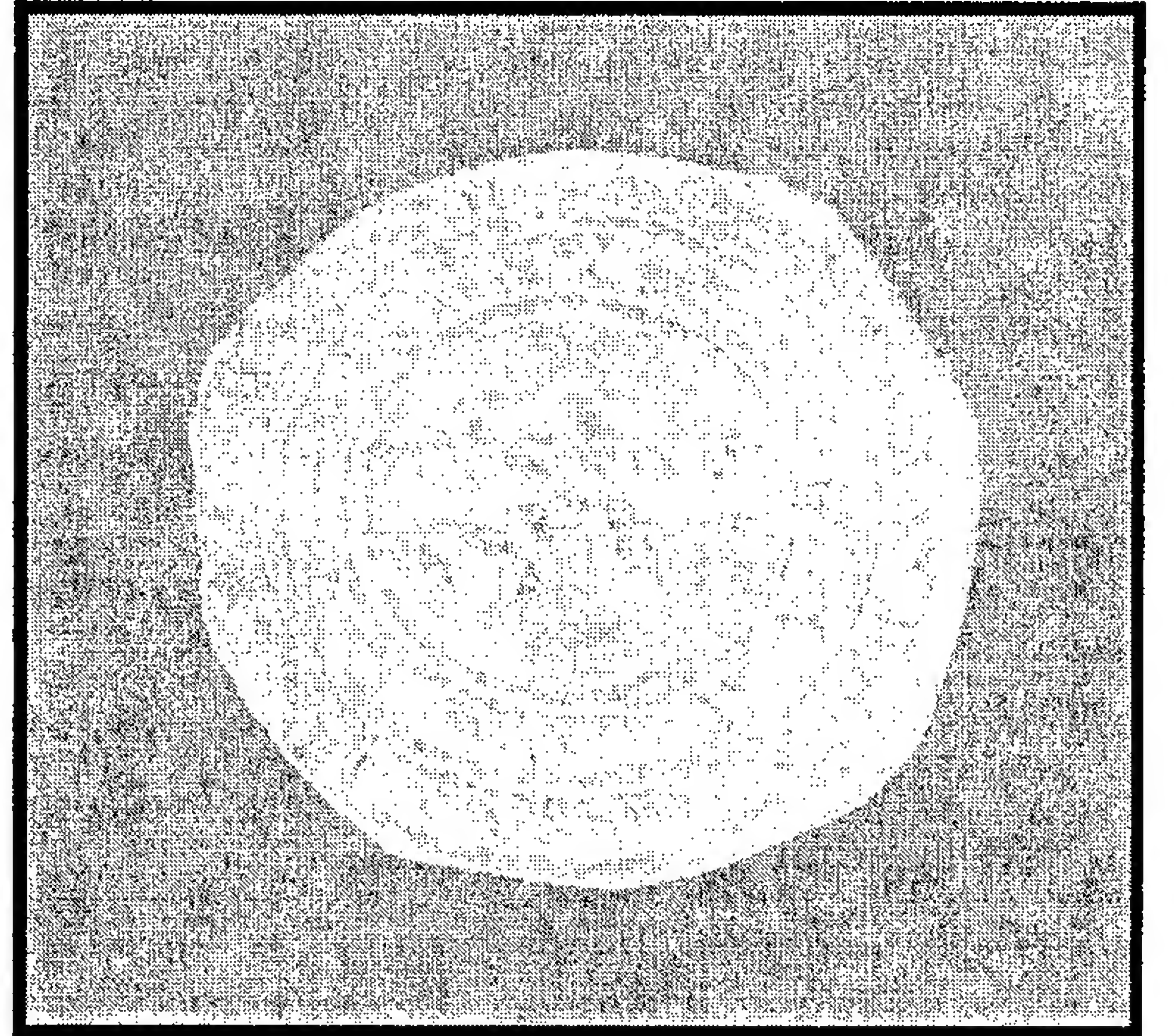
---

(1) المرجع السابق.
(2) ينظر: علي عبد السلام، هلموت زيجرت حفريات الجامع الأبيض بزويلة مجلد ليبيا القديمة.
(3) تيري. تاريخ الصحراء الليبي. في العصور الوسطى. 316.



أضرحة أسرة بني الخطاب زويلة





دينار زويلة

الطوق الخارجي:

بسم الله ضرب هذا الدينار بزويلة سنة أربع عشرة وأربعمائة.

الطوق الداخلي:

الإمام عبد الله ووليه علي أبو الحسن.

المركز (في سطرين):

الظاهر لإعزاز دين

الله أمير المؤمنين

ظهر الدينار:

الطوق الخارجي:

محمد رسول الله أرسله بدين الحق ليظهره على الدين ك(له) ولو كره المشركون

الطوق الداخلي:

لا إله (إلا) الله وحده لا شريك له

المركز (في سطرين):

محمد رسول الله

علي ولي الله

إن هذا الدينار يدلنا على ما شهدته مدينة زويلة من اهتمام ورقي في بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلادي. ولعل الحفريات والاكتشافات الأثرية ستلقى مزيداً من الضوء على تاريخ مدينة زويلة في فترة ازدهارها.

مدينة مرزق:

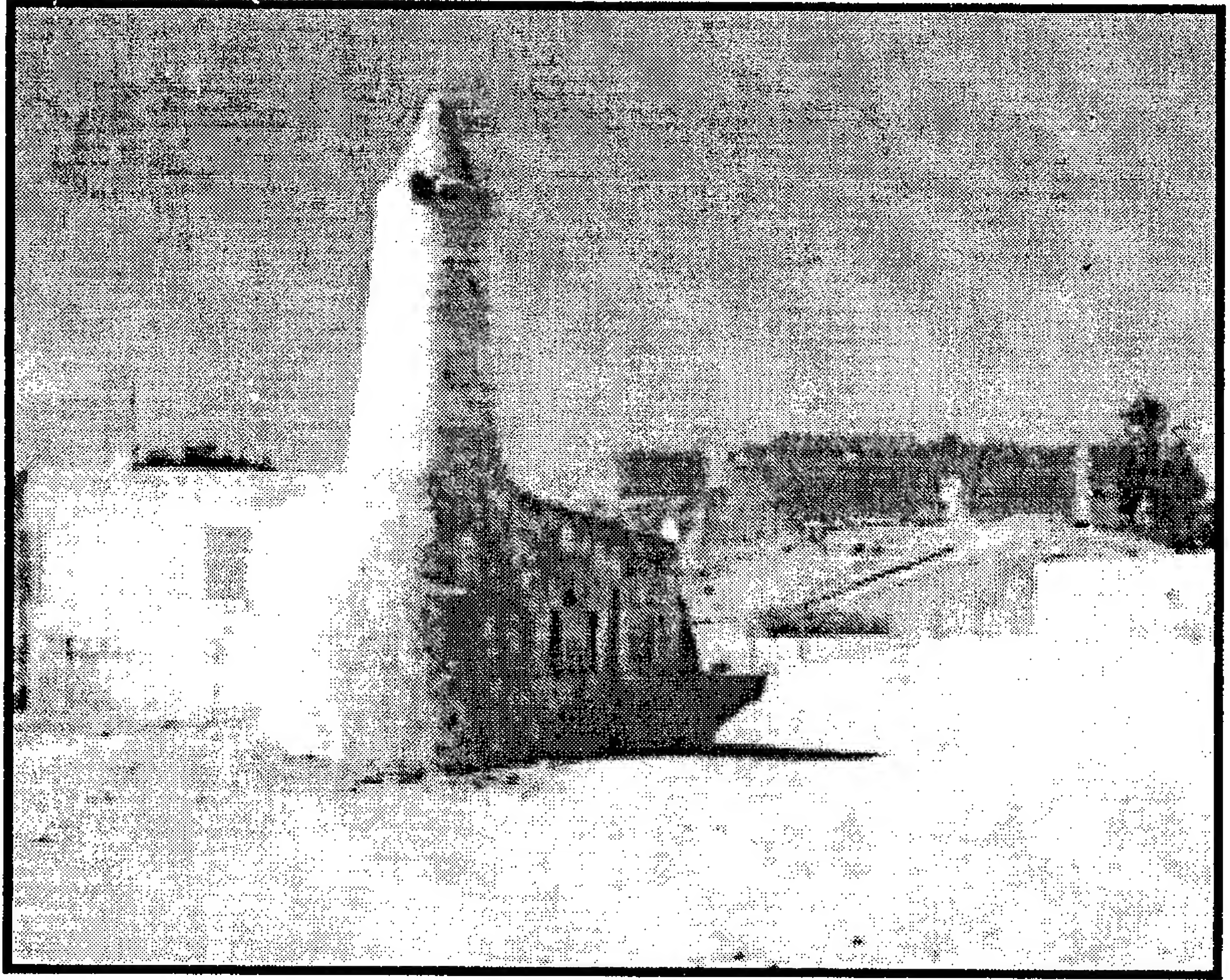
تقع مرزق في منطقة سهيلة في الجنوب الغربي من مدينة سبها وتبعد عنها بنحو **140**كم وتعود أهمية مرزق لكونها من أهم الأسواق العالمية حتى بداية القرن التاسع عشر، وساعد على ازدهارها وجودها في منطقة سهلية غنية بمياهها الفرياتية، وتضم آلافاً عديدة من أشجار النخيل وكونها محطة تجارية تأتيها القوافل من كل حدب وصوب محملة بسلع السودان من رقيق وريش نعام والعاج لتصديرها إلى أوربا فيما كانت تستقبل قوافل مراكز التجارة الشمالية وسلعها القادمة من بلدان البحر الأبيض المتوسط.

تمكن الشريف محمد الفاسي في سنة **1550** من تأسيس سلطنة أولاد محمد التي حكمت فزان فترة طويلة من الزمن واتخذ من مدينة مرزق حاضرة لها. كان الشريف محمد الفاسي قائداً لإحدى قوافل الحج التي كانت تخرج من الساقية الحمراء إلى مكة، وقد تمكن بفطنته وذكائه من أن يتربع على كرسي الحكم في فزان ودانت له البلاد بالولاء[1]. وقد أعطى حكم أسرة أولاد محمد للمنطقة الأمن والطمأنينة، وخلف الناصر أباه محمداً في الحكم فوسع مدينة مرزق وبني بها القصبة سنة **1567** تقريباً وقد اشتهرت مرزق بثرائها في عهد هذه الأسرة إذ كانت القوافل تتردد عليها، وتدفع رسوم المرور للقلاع المنتشرة في المنطقة والتي لازالت أطلالها قائمة، وقد كانت هذه القلاع ملكاً للأمراء الخرمان الذين كانوا في خلاف مع بعضهم واستطاع محمد الفاسي بذكائه من

---

(1) محمد سليمان أيوب. معالم أثرية من جنوب الجماهيرية. طرابلس: مصلحة الآثار، 1993م. ص94.

مساعدة أمير على آخر حتى تمكن من القضاء عليهم جميعاً وضمها إلى ملكه ووسع حدود مملكته فضم غات وغدامس ومد نفوذه إلى بعض مناطق شمال النيجر وتشاد.



جامع وقلعة مرزق

وقد اجتذب ثراء مرزق عيون العثمانيين الذين احتلوا طرابلس سنة 1551م، فوجهوا حملة استولت على مرزق سنة 1577، ونصبوا عليها حاكماً اسمه مامي فثار عليه الأهالي بعد عودة الحملة فقتلوه وأعادوا حكم أسرة أولاد محمد إلى الحكم سنة 1582م..

وقد توالت الحملات العثمانية وثورات الأهالي وضمت فزان بما فيها مرزق نهائياً تحت سلطة والى طرابلس يوسف باشا القرمانلي الذي أرسل حملة بقيادة محمد المكني فاستولى على مرزق وقتل آخر سلاطين أولاد السلطان محمد جهيم الثاني قرب مدينة تراغن سنة 1811م. وبذلك أصبحت فزان تحت حكم الأسرة القرمانلية، ثم خضعت لحكم العثمانيين الذين أنهوا العهد القرمانلي سنة 1835م.

وقد أصيبت مرزق بضربة قاصمة عندما حرمت تجارة الرقيق في القرن التاسع عشر، فقد تدهورت أحوالها وزاد الأمر سوءاً بعد أن فقدت مركزها كوسيط تجاري لتصدير سلع بلاد ما وراء الصحراء بعد أن تمكنت بعض الدول الأوربية من مد نفوذها داخل بلاد القارة الإفريقية وأنشئت خطوط ملاحية منتظمة بين موانئ أوربا وموانئ غرب إفريقيا ثم فقدت السلع الإفريقية أهميتها وقل الإقبال عليها في أوربا.

تعد مدينة مرزق من المدن القديمة، وكانت تتكون من ثلاثة أحياء، تمتاز بضيق شوارعها التي كان بعضها مسقوفاً، وكان أهمها حي النازلة الذي يقع إلى الشرق من القلعة وتوجد به الفنادق ومساحة كبيرة لنزول القوافل بها. وكانت المدينة كما أشار الرحالة ليون ـ الذي زارها بين سنتي 1818، 1819م. يحيط بالمدينة سور تتسم جدرانه بأنها مخروطية الشكل، ومبني من الطين وله دعائم متينة للوقاية من أي هجوم وبها فتحات لإطلاق النار وللمدينة سبع بوابات... وشوارع المدينة ضيقة وبها بعض المناطق الفضاء حيث يتجمع التجار[1]. ويبدو أن الوضع تغير في سنة 1850 إذ أشار الرحالة فوجل بأن بالسور ثلاثة أبواب، الأول بالجهة الغربية والثاني من الجهة الشرقية وهما ضيقان لا يمكن لجمل أن يدخل منهما، أما الباب الثالث فهو واسع وتمر من خلاله القوافل.

أهم معالم مدينة مرزق قلعتها التي بنيت في مكان مرتفع لتشرف على المنطقة وقد وصفها ليون في رحلته بالقول... والقلعة بناء هائل من الطين يرتفع إلى قرابة ثمانين قدماً وبها بعض التماثيل العسكرية. وككل المباني الأخرى، التي ينقصها التناسق، يبلغ سمك قاعدة جدرانها خمسين قدماً الأمر الذي أثر على عدد وحجم الحجرات الموجودة بها.. وأفضل أجزاء القلعة مخصصة للنساء.. وتوجد داخل القلعة مظلة كبيرة تطل على فناء مربع الشكل يتسع لقرابة أربعمائة شخص، وبها كرسي الحكم الذي كان يحمل دلالة الأبهة أما اليوم فمجرد كرسي تقبع خلفه قطعة من مرآة كبيرة حيث لا زال المكني يتقبل التحية وفروض الطاعة كل يوم جمعة بعد عودته من المسجد[2]. وقد شيدت القلعة في عهد السلطان محمد الفاسي، وأدخلت عليها بعض الإضافات في عهد ابنه السلطان الناصر، فأصبحت تضم مساكن حريمه وأبنائه وبعض المكاتب الحكومية.

بجوار قلعة مرزق ينتصب الجامع الذي يشيده حسن باشا الذي كان متصرفا في منتصف القرن التاسع عشر بها ويمتاز بمئذنته الجميلة، ويحتوي بيت الصلاة على خمسة وعشرين عموداً ولا زال في حالة جيدة. وبنى العثمانيون بمدينة مرزق قلعة أو ثكنة عسكرية، وهي عبارة عن بناء كبير مربع الشكل لإقامة الحامية العسكرية العثمانية بها.

مدينة غات:

تقع مدينة غات في أقصى جنوب غرب الجماهيرية، وهي تبعد بنحو 600كم إلى الجنوب الغربي من مدينة سبها، وتعود نشأة غات إلى توفر مياه العيون بها إضافة إلى غناها بالمياه الجوفية التي ساعدت أهلها على فلاحة الأرض وأهم محاصيلها الحبوب والخضروات وبعض أشجار الفواكه مثل البرتقال والخوخ والتين والليمون وقليل من التبغ وأهم محاصيلها التمور.

---

(1) ع.ف. لايون. مدخل إلى الصحراء. ترجمة الهادي أبو لقمة. بنغازي: جامعة قاريونس. 1993. ص75.
(2) المصدر السابق. ص7.

ولم يظهر اسم غات في كتب الرحالة والمؤرخين قبل القرن الرابع عشر، فقد كان الرحالة ابن بطوطة (1304-1368م) والمؤرخ ابن خلدون (1332-1406م) أول من ذكرا هذه المدينة من الرحالة والمؤخين المسلمين يذكر عبد القادر جامي بك في كتابه من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى أن بلدة غات ليست مبنية على أنقاض مركز التجارة الصحراوية في العهد الروماني على ما يبدو لأن قطع الأواني الفخارية وبعض النقود الفضية الأثرية، التي يعثر عليها الفلاحون أثناء فلاحة الأرض أكثر ما توجد قرب قرية البركت التي تقع جنوب غات بنحو 10كم، مما يدل على أن البلدة القديمة كانت مبنية في المكان الذي به قرية البركت بجوار منبع المياه الكبير [1].



طوارق على المهاري

وتكتسب المدينة أهميتها قديماً من كونها كانت أهم مراكز طرق القوافل الصحراوية، إذ ترتبط بغدامس وطرابلس وبالمدن التجارية بالنيجر إضافة لكونها تربط بين توات بالجزائر وجرمة، وهي أهم محطات قوافل الحج التي ترد عليها من الجنوب والغرب.

لقد استفادت غات وواحاتها المجاورة من قرب الماء من سطح الأرض ووفرته ـــ العيون كثيرة ـــ ومن نباتات جيدة للإبل ومن موقعها المثالي على طريق الآيير نحو غدامس في الشمال ونحو فزان

(1) عبد القادر جامي. من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى. ترجمة محمد الأسطى. طرابلس: دار المصراتي، 1974م. ص 130.

ومصر في الشرق... وبسبب موقع المنطقة على ملتقى طرق مهم كانت تحصل على عائدات كبيرة من رسوم المرور التي كانت تدفعها القوافل التي تعبر المنطقة[1].

تشكل قلعة غات القديمة قلب المدينة، وهي بناء دائري بأركانه الأربع آثار أبـراج مربعـة، وتتكون القلعة من ثلاث طبقات يرقى إليها بدرجات من الجانب الغربي ولم يبق من البناء الأصلي سوى بعض الجدران والأرضية أما السقوف وغيرها فقد عفى عليها الزمن. كمـا توجـد ثكنـة عسكرية عثمانية تعود إلى ما بعد سنة 1879، وهي الأثر العثماني الوحيد في مدينة غات.

ويحيط بالمدينة سور دائري بني بقوالب ضخمة من اللبن به خمسة أبواب. وتتكون بيوتها مـن طابق أو طابقين وهي متجاورة، وأزقتها ضيقة متعرجة بعضها مسقوف. وقد نشأت المدينة عنـد سفح تل ضخري. وقد تعرض جزء من المدينة الجنوبي للإزالة نتيجة التوسع العمراني بها مع بداية الثالث الأخير من القرن العشرين.

وبجوار مدينة غات بنحو كيلو متر واحد إلى الغرب توجد قرية تونين وهي مسورة أسسها في سنة 1845م. شيخ القرية الحاج أحمد ولد صديق[2]، وسورها مربع الشكل وعلى أركانه الأربعة آثار أبراج مربعة وبه أربعة أبواب وبها ساحة مركزية تتفرع منه الطرق والأزقة.

وبيوت تونين شبيهة ببيوت غدامس من ناحية طراز البناء والتقسيم الداخلي، ويشير جامي بك في كتابه الذي ألفه سنة 1906 أن بلدة تونين بأسوارها وأبراجها الحصينة ذات الكـوات تجعـل منظرها الخارجي أكثر انتظاماً من غات، فتونين بنظافة أزقتها واستوائها وأبنيتها المنسقة تفوق بيوت غات لأن هذه الأبنية قد أنشئت حديثاً من طرف أصحاب الثروة. ومع هذا لا فرق بين بيـوت تونين وبيوت غات من ناحية طراز البناء والتقسيم الداخلي[3].

أغرت مدينة غات في القرن التاسع الكثير من الرحالة الأوربيين بالتوجه إليها وهو القرن الذي تصاعد فيه التكالب الاستعماري الأوروبي على القارة الإفريقية وقد كتب هؤلاء (مثل كلابرتون، أوودني، ريتشاردسون وغيرهم) عن غات تاريخها ومعمارها وأحوالها الاجتماعية وترجمت معظمها إلى اللغة العربية وهي تعد من المصادر التي لا يستغنى عنها في دراسة آثارها المعماريـة وتاريخهـا الاقتصادي والاجتماعي[4]

(1) جاك تيري. ص490.

(2) جمال الدناصوري جغرافية فزان. بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع. 1967م. 404.

(3) المصدر الأسبق. ص142.

(4) لمزيد من التفاصيل عن مدينة غات ينظر: نجمي. مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية. الجماهيرية العظمى: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية. 1999.

ثـانياً : أهم الربـاطات والقلاع والحصون :

التحصينات الساحلية الليبية الإسلامية المبكرة:

بدأ الاهتمام بإقامة التحصينات منذ الفترة العربية الإسلامية المبكرة، فكما هو معـــروف قـــام الرسول بحفر خندق سنة 5هـــ/ 626م بناء على إشارة سلمان الفارسي حول المدينـــة في غـــزوة الخندق أو الأحزاب للحفاظ على الدعوة والدولة الإسلامية الناشئة من المشتركين الذين أرادوا أن يطفئوا نور الله ولكن الله أبى إلا أن يتم نوره.

أشار د. محمد عبد الهدي شعيرة إلى أنه جمع من أقوال المؤرخين وخاصة البلاذري أخباراً كثيرة عن التحصينات العربية في القرنين الأول والثاني للهجرة (السابع والثامن للميلادي)، وأدى هـــذا الجمع إلى إفراز نتيجة تاريخية أثرية هامة، أن العرب ارتفعوا منذ القرن الهجري الأول إلى مستوى أكبر بناء للحصون في العالم، وأن عدد العمليات التحصينية في جبهة صـــغيرة زاد علـــى ســـبعين عملية[1].

تحتم على العرب المسلمين تشييد القلاع والحصون ومختلف الاستحكامات في فتـــرة صـــدر الإسلام للدفاع عن الثغور والحدود، وقد اعتبرها الإسلام من الوسائل التي تساعد علـــى حفـــظ النفس والمال والعرض وهي من مقاصد الإسلام، وهو الأمر الذي جعل الفقهاء يصنفونها تـــصنيفاً يضعها في عداد الواجب لاسيما إذا كانت الحاجة ملحة لاستخدامها في الـــدفاع عـــن حرمـــات المسلمين ووقفت عليها الأحباس لترميمها وتقويتها[2].

ولما كانت الفتوحات العربية الإسلامية المبكرة في بلاد الشام، ومدن الساحل الشامي خاصـــة تتطلب الحماية من غارات الأسطول البيزنطي إذ لم يكن للعرب في الفترة المبكرة أسطولاً قـــادراً على مجابهته، ولذلك اضطروا إلى إقامة أقدم التحصينات على الساحل الشامي وهي المناظر. ولفظ المناظر لفظ اصطلاحي وارد عند البلاذري في فتوح البلدان، وقد حل محله اصـــطلاح جديـــد في العصر المملوكي، وارد في المصادر المملوكية وهو لفظ المرقب ويبدو أن أهل الأندلس اســـتعملوا اصطلاحاً ثالثاً هو لفظ الطلائع[3] وعرفت في شمال إفريقية باسم القصور والرباطات.

بعد فتح العرب المسلمون لشمال إفريقية كان من المحتم ضمان سلامة الحاميات وتأمين البلـــد ضد تهديد الهجمات من الخارج وغارات الأسطول البيزنطي. وكذلك أصلحت الحصون والقلاع الموجودة في الداخل، كما وضعت ترتيبات على طول الشواطئ للدفاع عنها ضد محاولات نزول

---

(1) د. محمد عبد الهادي شعيرة. من تاريخ التحصينات العربية في القرنيين الأول والثاني للهجرة. المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، تونس، 1963م. القاهرة: منشورات جامعة الدول العربية، ص421.

(2) د. محمد عبد الستار عثمان. المدينة الإسلامية. سلسلة عالم المعرفة، 128، الكويت، أغسطس، 1988م. ص.ص 135، 136.

(3) المرجع الأسبق. ص423.

(الرومي) فيها [1]. لهذا عمد العرب المسلمون إلى الاستفادة من الحصون البيزنطية القائمة السليمة، كما قاموا بإعادة بناء المتهدم منها، وبنوا حصوناً جديدة من أولها إلى آخرها [2].

أشار عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب في تلخيص أخبار المغرب أن ما بين الأسكندرية وطرابلس الغرب خمس وأربعون مرحلة، وكانت العمارة متصلة من مدينة الأسكندرية إلى مدينة القيروان، تمشي فيها القوافل ليلاً ونهاراً، وكان فيما بين الأسكندرية وطرابلس الغرب حصون متقاربة جداً، فإذا ظهر في البحر عدو نور كل حصن للحصن الذي يليه واتصل التنوير، فينتهي خبر العدو من طرابلس إلى الأسكندرية أو من الأسكندرية إلى طرابلس، في ثلاث ساعات أو أربع ساعات من الليل، فيأخذ الناس أهبتهم ويحذرون عدوهم [3].

ويشير الرحالة التجاني أن على الساحل بطوله مساجد كثيرة وهي مساكن للصالحين قديماً وحديثاً شهيرة، والناس يزورونها ويتبركون بها وأنها لمن أحسن المساكن لمن يريد الانفراد لعبادة ربه، والساكن بها يجمع بين الاحتراس، ومجانبة الناس، وأكثرها مباني ابن الأغلب مبتنى المحارس من الأسكندرية إلى مجاز سبتة [4].

لقد اهتم الأغالبة بإنشاء الربط والمحارس والقلاع على الساحل، فقد كان الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد 902/874م عادلاً، حازماً في أموره، أمن البلاد. وكان القوافل والتجار يسيرون في الطرق آمنين، وبنى الحصون والمحارس على سواحل البحر، حتى كان يوقد النار من سبته فيصل الخبر إلى الأسكندرية في الليلة الواحدة وبنى على سوسة سوراً [5].

قصور حسان:

تقع قصور حسان أو آثماد حسان إلى الغرب من مدينة سرت الحديثة بنحو 62 كيلو متراً، وإلى الجنوب من الطريق الساحلي بنحو 150 متراً.

تنسب القصور إلى القائد العربي المسلم حسان بن النعمان الغساني. وتشير رواية ابن عبد الحكم إلى أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أرسل حسان بن النعمان والياً على منطقة برقة وطرابلس سنة 73هـ. فمضى في جيش كبير حتى نزل أطرابلس، واجتمع إليه بها من كان خرج من إفريقية وأطرابلس، وتمكن من فتح البلاد وأصاب غنائم كثيرة. وخرج إلى مدينة قرطاجنة وفيها الروم فلم يصب فيها إلا قليلاً من ضعفائهم. فانصرف وغزا الكاهنة، وهي إذ ذاك ملكة البربر وقد غلبت على جل إفريقية، فلقيها على نهر يسمى نهر البلاء [*] فهزمته ... وأفلت حسان ونفذ من مكانه إلى أنطابلس، فنزل قصوراً من حيز برقة فسميت قصور حسان [6].

---

(1) موريس لومبار. الإسلام في مجده الأول. ترجمة وتعليق إسماعيل العربي. المغرب: منشورات دار الآفاق الجديدة. الطبعة الثالثة، 1990م. ص96.

(2) لمزيد من التفاصيل، ينظر: محمد شعيرة. من تاريخ التحصينات العربية. ص.ص 428، 429.

(3) المراكشي. المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق محمد سعيد العريان. القاهرة: 1963م. ص431.

(4) محمد التجاني. رحلة التجاني. تحقيق حسن حسني عبد الوهاب. تونس: المطبعة الرسمية، 1958م. ص431.

(5) ابن الأثير. الكامل في التاريخ ج.6. ص108.

(*) وادي العذاري عند ابن عذاري المراكشي.

(6) ابن عبد الحكم. فتوح مصر وإفريقية. ص200.

ويؤكد ذلك البلاذري بقوله أن بعد هزيمة جيش حسان من الكاهنة أتى قصوراً في حيز برقة فنزلها. وهي قصور يضمها قصر سقوفة أزاج، فسميت قصور حسان [1]. ويحدد ابن الأثير مدة مقام حسان بها انتظاراً للمدد من المشرق فيذكر في حوادث سنة 74 هـ بأن حسان سار حتى فارق إفريقية، وأقام وكتب إلى عبد الملك يعلمه الحال. فأمره عبد الملك بالمقام إلى أن يأتيه أمره. فأقام بعمل برقة خمس سنين، فسمي ذلك المكان قصور حسان إلى الآن [2].

ويذكر ابن عذارى صاحب البيان أن حسان كتب إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يخبره بأمر أمم المغرب فعاد له جواب أمير المؤمنين يأمره أن يقيم حيثما وافاه الجواب، فورد عليه في عمل برقة، فأقام بها وبني هناك قصوراً تسمى إلى الآن قصور حسان [3].

وهذه الروايات تشير أن حسان أقام في قصور كانت موجودة، أو أنه بنى قصوراً ويمكن التوفيق بين هذه الروايات بأنه أقام في بعض الحصون القديمة هناك وأنه بنى بعض الحصون الجديدة في ذلك المكان الذي تعتبره بعض الروايات من أرض برقة ويرجح أنه أقام بها من سنة 69هـ إلى سنة 74هـ. أي لفترة خمس سنين وهي الفترة التي حددها كل من ابن الأثير وياقوت الحموي وابن أبي دينار صاحب المؤنس.

أشار البكري إلى قصور حسان فذكر أن حساناً كتب إلى أمير المؤمنين يعلمه ما نزل به من الكاهنة ويسأله أن يمده بالجيوش فكتب إليه عبد الملك أن يقيم بمكانه فبنى هناك قصرين وهما اليوم خربان[4]. أي خلال رحلة البكري.

وقد وصف الرحالة العياشي قصور حسان خلال الرحلة التي قام بها سنة 1662 ثم نزلنا دور حسان ومررنا الغد بحسان وهو ما جل منقور في حجر يجتمع فيها المطر، فإذا أفرغ المجتمع بقى محله يرشح بماء قليل يجثم في قعره يبل به الضمان فمه، وبإزاء هذا الماجل قرى خالية لم يبق إلا رسومها تسمى فيما مضى قصور حسان إضافة إلى بانيها وكان عاملاً لبني أمية.. بنى هناك قصوراً وأقام فيها نحو من ثلاث سنين حتى افتتحها بعد ذلك... وسُمي المكان باسمه حتى الآن [5].

حفائر آثماد حسان:

قامت مصلحة الآثار الليبية بإجراء حفرية بهذا الموقع في الفترة 93/7/24- 1993/10/24م. وكان الموقع في بداية الأمر على شكل ربوة مرتفعة تغطيها أكوام من قطع الحجارة الصغيرة

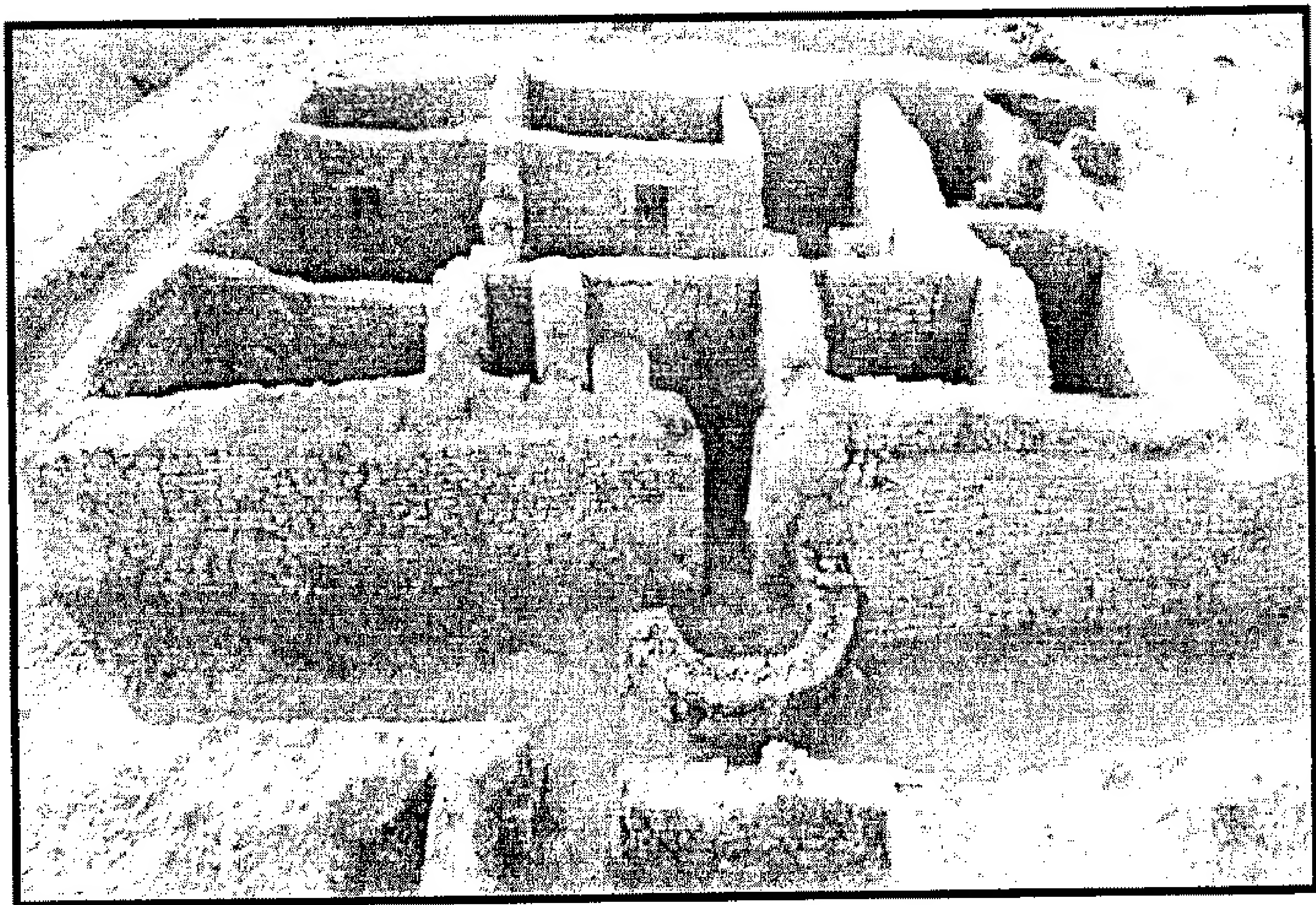
---

(1) البلاذري. فتوح البلدان. تحقيق صلاح الدين المنجد. القاهرة: مكتبة النهضة. ص270.
(2) ابن الأثير. الكامل في التاريخ. ج. 4. ص301.
(3) ابن عذاري المراكشي. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق ج.س. كولان، إ. ليفي بروفنسال. بيروت: دار الثقافة. ج1، ص36.
(4) البكري. المغرب في ذكر بلاد إفريقية والغرب، وهو جزء من كتاب السالك والممالك. بغداد: مكتبة المثني. ص8.
(5) العياشي. ماء الموائد. وضع فهارسها محمد حجي. الرباط: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، طبعة ثانية بالأوفسيط. 1977م الجزء الأول.. ص.ص 101، 102.

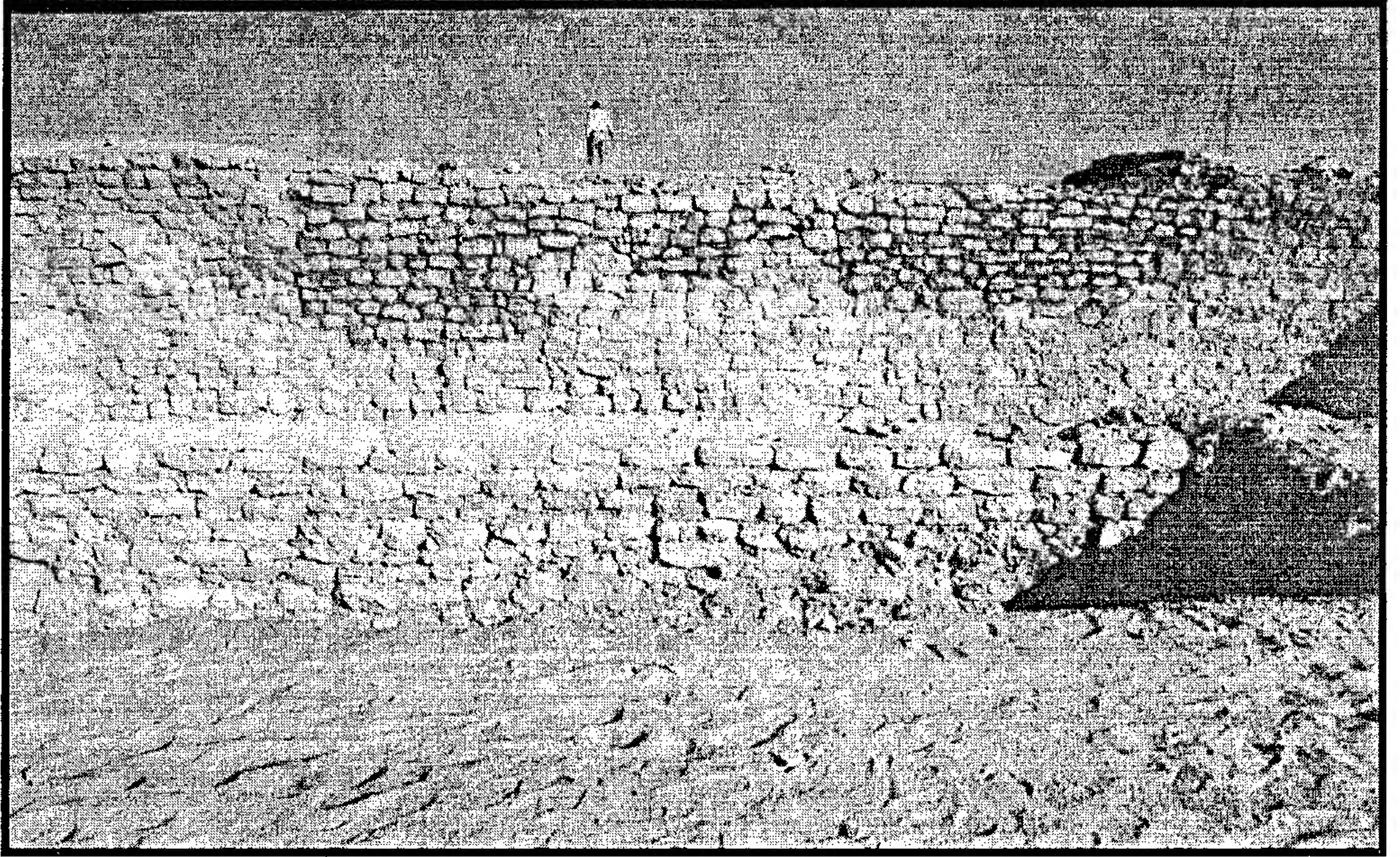
والرمال، وتظهر بعض الجدران بها في حين اختفى المبنى نتيجة الانهيارات والعوامل الطبيعية مما تطلب الحفر إلى أعماق تتراوح بين **50**سم إلى **350**سم. وقد أماط الحفر اللثام عن مبنى مستطيل الشكل حيث يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب **21** مترا وعرضه من الشرق إلى الغرب **14**مترا.

وبلغت مساحته **294** مترا مربعا، يتوسطه فناء مكشوف مساحته **52.50** مترا مربع، وللمبنى مدخل رئيسي واحد يقع بمنتصف جداره الشرقي على شكل نصف قوس دائري... ويوجد تحصين أمام هذا المدخل على شكل نصف دائري له مدخل من الناحية الجنوبية عرضه **130**سم وقد ضم المبنى **10** حجرات مختلفة الأحجام، ويحيط به سور، واحتوى أحد أركانه على حجرة مربعة بزوايا دائرية ربما كانت برج مراقبة.

وقد شيد المبنى من الحجارة الصلبة التي تكثر بالمنطقة مع استعمال المونة لربطها وكذلك استخدام الخشب في البناء.



أحد القصور في آثماد حسان



أحد جدران قصور حسان

وعثر بهذا الموقع على عشر قطع لعلملة ذهبية إسلامية حيث يظهر على وجه هذه العملة نص كتابي على النحو الآتي:

في الوسط: الإمام هشام
أمير المؤمنين
المؤيد بالله
عامر

الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

الظهر/ الوسط:
لا إله إلا
الله وحده
لا شريك له
عامر

الهامش: بسم الله ضرب هذا الدينار سنة...... وثلاثمائة.

إضافة إلى ذلك تم العثور على بعض المشغولات البرونزية ومصابيح وجرار فخارية وعدد من أجزاء من رحى حجرية.

وخلص كتاب التقرير بأن المبنى قد شيد كمبنى تحصيني عند بداية إنشائه في حــوالي القــرن الخامس الميلادي، وقد يجوز بأنه استعمل كوحدة سكنية في أزمنة لاحقة وتشير سماكة الجدران التي تتراوح بين 85 – 100سم وكذلك وجود الدعامة الخارجية الضخمة ووجود التحــصين أمــام المدخل وكذلك اتباع بناء تعدد المداخل التي تشير إلى النواحي الدفاعية التحصينية في الحــصون وكذلك وجود السور وأساسات البناء التي ربما كانت برجا جميع هذه الأمور تشير إلى أن يكــون هذا المبنى من المباني التي تعرف بالحصون الدفاعية [1].

إن الفترة التي حددها التقرير المشار أعلاه وهي القرن الخامس للميلاد فترة اتسمت بالفوضى وعدم الاستقرار إذ وقعت منطقة شمال إفريقية تحت سيطرة الوندال ــ وهم أصلاً من الــشعوب الجرمانية، نزحوا من بلادهم بالقرب من بحر آزوف ثم عبروا ألمانيا وفرنسا حتى استقروا في إسبانيا وعبروها إلى إفريقيا واحتلوا مدن طرابلس الثلاث ــ سنة 455 ميلادية ولكنهم لم يهتموا بالناحية الاقتصادية أو الاستراتيجية في طرابلس.. يبدو أنهم لم يقوموا بمجهود لتنظيم تحصينات البلاد [2]. بل قاموا بهدم أسوار المدن والاستحكامات فيها.

وعلى ذلك فإن حصون آثماد حسان قد يعود بعضها إلى بداية القرن الثالث للمــيلاد وهــي الفترة التي شهدت إقامة مجموعة من التحصينات الرومانية ومنها حصن أبو نجيم الــذي يقــع إلى الجنوب الغربي من آثماد حسان أثناء حكم أسرة سبتميوس سيفيروس. ويحتمل أن حسان اســتغل الموجود منها وابتنى بعضها أيضاً أثناء إقامته بها في سبعينيات القرن الأول للهجرة.

رباط طرابلس:

تعد مدينة طرابلس من المدن العربية الإسلامية التي فتحها العرب المسلمون في سنة 22هـــ/ 643م. وهي الفسطاط العربي الأمامي الذي فتح به المغرب أولاً ريثما أسس عقبة بن نافع الفهري معسكر القيروان [3].

لقد أسس العرب المسلمون رباطات كثيرة على طول الساحل. ومن أشــهرها ربــاط قــصر طرابلس. ولعل رباط قصر طرابلس هو أقدم أربطة المغرب، فقد أسسه الوالي هرثمة بن أعين قبــل أن يؤسس رباط المنستير سنة 181هـــ. وشيدت رباطات بين الأسكندرية وسبته بمسافات متقاربة ليتمكن كل رباط من رؤية الرباط الذي يليه حتى يتمكن المرابطون من مشاهدة نيران التحذير ليلاً أو الدخان نهاراً ليأخذوا حذرهم ويتأهبوا لملاقاة العدو.

---

(1) محمد فرج وآخرون. تقرير أولي عن حفائر آثماد حسان. مجلة عربيا القديمة. طرابلس: مصلحة الآثار العدد الأول 1995. ص25.

(2) هينز. آثار طرابلس الغرب. ترجمة عديلة حسن مياس. طرابلس: مطابع وزارة الإعلام والثقافة. منشورات مصلحة الآثار. ص.ص 49.50.

(3) عثمان الكعاك. محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب. القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمية. 1958م. ص11.

والرباط هو نوع من الأبنية الحربية كان يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عـــن دار الإســـلام بالسيف. وقد انتشرت في صدر الإسلام قبل أن تأمن الدولة العربية الإسلامية علـــى حـــدودها فأقيمت هذه الرباطات على حدود دار الحرب للدفاع عن ديار الإسلام.

وقد عرف شمال إفريقية الرباطات منذ فترة مبكرة وقد شبهها بعض الباحثين بأديرة لرهبـــان عسكريين إذ كان تصميمها يشبه بعض التحصينات العسكرية البيزنطية لأنها في بدايتها كانت تخدم أهدافاً عسكرية فيرابط بها المتطوعة لصد غارات الأعداء على الثغور الإسلامية.

شيد قائد الرشيد هرثمة بن أعين أول الرباطات الإسلامية بالمغرب وهو رباط طـــرابلس ســـنة **180هـ/ 896م**. ولم تتحدث المصادر التاريخية عن المراحل التي مر بها هـــذا الربـــاط أو موقعـــه بالتحديد أو الإضافات التي شهدها في الفترات اللاحقة أو الفترة التي اندرس فيها. كما لم تـــشر المصادر التاريخية إلى تصميمه ولم تعط وصفاً له. ولكن يمكن الاستنتاج بأن رباط طـــرابلس كـــان مشابهاً لرباط المنستير الذي شيده القائد هرثمة بن أعين نفسه سنة (181هـ) وكان قد شيد قبلـــه رباط طرابلس، ومشابها أيضا لرباط سوسة الأغلبي (206هـ) ولعل هذه الأربطة شيدت علـــى طراز مشابه خاصة أنها بنيت في فترة متقاربة.

ويتكون الرباط عادة من سور تستند إليه مجموعة من الحجرات، وتتوسطه ســـاحة تـــستخدم للتدريب والحياة اليومية، ومعظمها على شكل مستطيل وفي الأركان أبـــراج للمراقبـــة والأذان. وعادة ما تشيد الرباطات من دورين، أرضي من مجموعة من الحجرات تتوسطها ساحة، ودور أول تعلو حجراته حجرات الدور الأرضي ويؤدي إليه سلم أو عدة سلالم وبأركانه أبـــراج للمراقبـــة والحراسة، وإعطاء الإشارات النارية ليلاً للرباط التالي. والرباط هو أيضاً مستـــشفى للمرضـــى يعالجهم المرابطون والمرابطات بالمجان ودارا للمسافرين مرحلة بعد مرحلة[1]. وقـــد أدت هـــذه الأربطة دوراً فعالاً في حماية ثغور الإسلام.

ومع مرور الزمن أصبحت الرباطات لا تواجه الأعداء بل أصبحت داخل دار الإسلام فتغيرت وظيفتها وأصبحت تؤدي دوراً ثقافياً حيث استقر بها طلاب العلم وأصبحت كزوايـــا تعليميـــة للقرآن الكريم وعلومه وللحديث الشريف والفقه فساهمت في النهضة العلمية في شمال إفريقيـــة. وقد امتدت الرباطات لتتوغل داخل الصحراء، فالحركة الرباطية الصحراوية بـــدأت بطـــرابلس وغربت حتى اخترقت الصحراء إلى غانه ثم شرقت إلى أن ربطت بين غانه وأشبيلية، فهذا هو الدور العظيم الذي قامت به ليبيا من الناحية الصحراوية[2].

---

(1) المرجع السابق. ص17.

(2) المرجع السابق. ص.ص 120، 121.

تحصينات مدينة طرابلس:

كانت المدن في الزمن القديم تعتمد في الدفاع عن نفسها على مدى قوة أسوارها وتحصيناها ومناعتهما وعلى مقدرة أهلها في الدفاع عن مدينتهم، فكلما كانت الأسوار والتحصينات قوية ومرتفعة، كلما استطاع أهلها العيش في أمن وسلام.

ومدينة طرابلس القديمة التي أسسها الفينيقيون في بداية الألف الأولى كمحطة تجارية، أخذت تنمو وتزدهر، ولم تكن في بداية تأسيسها محاطة بسور أو محصنة، ويرى بعض الباحثين إن تشييد أسوار مدينة طرابلس يرجع للفترة اللاحقة للقرن الثاني الميلادي، أي عندما اشتدت هجمات القبائل الليبية القاطنة في دواخل البلاد على المحتلين الرومان، وكانت تلك القبائل تغير على منطقة المدن الثلاث ومن المؤكد أن الأسوار كانت تحيطها من ناحية البرفي العهدين الروماني والبيزنطي، ومن المعتقد أن السور القديم كان يمتد على نفس الخط الذي أقيم عليه السور الإسلامي [1]، وكان يمر من الباب الجديد إلى برج الكرمة (حيت شارع سيدي عمران الآن) ثم يتجه إلى الشمال الشرقي إلى البارود (سوق الصناعات المحلية الآن).

إن مدينة طرابلس لم تكن مسورة من جهة البحر في العهدين الروماني والبيزنطي، لأنها لم تكن تخشى أي تهديد بحري. عندما فتح المسلمون مدينة (أطرابلس) كما كانوا يسموها على يد عمرو بن العاص سنة 22/ 23هـ أمر بهدم أسوارها خوفاً من عودة البيزنطيين وتحصنهم خلفها، إذ إنه اعتبر فتحه إياها تمهيداً لفتح قريب لاحق. وباستقرار العرب المسلمين بمدينة طرابلس اعتنوا بسورها فقد أعاد بناءه من جهة البر عبد الرحمن بن حبيب والي إفريقية وذلك سنة 132هـ. أما من جهة البحر فقد تأخر بناؤه إلى ولاية هرثمة بن أعين على إفريقية الذي عينه هارون الرشيد سنة 180هـ فتم تشييده على يد ثقته زكريا بن قادم [2].

وقد تعرضت أسوار الدينة للهدم في بعض الفتن، ففي أواخر القرن الثاني الهجري عندما تغلب عبد الله بن إبراهيم بن الاغلب على جموع هوارة وانتزع منهم مدينة طرابلس، جدد ما هدم من أسوارها. كما أن أبا الفتح زيان الصقلبي متولي طرابلس عام 345هـ زاد في إتقان ورفع بناء السور من جهة البر والبحر.

ويذكر الرحالة التجاني الذي زار مدينة طرابلس ما بين سنتي 706 – 708هـ أنه كان يحيط بسور المدينة أثناء زيارته لها سور آخر أقصر منه يسمونه الستارة ولم يكن في القديم وإنما أمر ببنيانه الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن حفص أيام وصوله إلى طرابلس في شهر شعبان 614هـ ويذكر التجاني أنه رأى هذا مكتوباً على باب من أبواب الستارة يعرف بباب عبد الله ولم يصلوا هذه الستارة حين بنوها بالبحر وإنما انتهوا بها إلى الباب الأخضر وبينه وبين البحر فسحة فأتمت أيام مقام التجاني بطرابلس.

---

(1) D.E.L. Haynes. The Antiquities of Tripolitania. Tripoli: Dept. of Antiquities, 4th Ed. 1981. p. 101.

(2) التجاني. تقييد الرحلة. تحقيق حسن حسني عبد الوهاب تونس: المطبعة الرسمية. 1958م. ص240.

ويذكر التجاني أنه رآهم قد شرعوا في خندق متسع، يرمون أن يصلوه بالبحر من كلا جانبي البلد، وابتدأ حفره من الركن الذي بين القبلة والشرق، وعارضهم في حفره هنالك موضع يعرفونه بـ (الرملة) وهو حقف رمل متسع لاصق إلى جانب السور ولا يزالون أبداً يتكلفون نقله من ذلك الموضع، فإذا جهدوا جهدهم في حمله ورميه في البحر أعادته الريح كما كان. [1].

ويضيف التجاني أنه رأى بسورها من الاعتناء واحتفال البناء ما لم يره بمدينة سواها وسبب ذلك أن لأهلها حظّاً من مجباها يصرفونه في تجديد بناء وترميم سورها وما تحتاج إليه من مهم أمرها. وتوجد بدار المحفوظات التاريخية بعض الوقفيات على قلعة طرابلس وأسوارها من العهدين العثماني والقرمانلي.

يذكر كوستانزيو برنيا في كتابه طرابلس من **1510 – 1850** أنه لكي تصد مدينة طرابلس هجمات الأعداء المغيرين عليها من جهة البر، فقد تابعت العمل الذي بدأه النورمان سنة **1146**م الذين أجهدوا أنفسهم طوال ستة أشهر لكي يحيطوا سور المدينة بخندق كبير، ويتمثل هذا العمل في أخدود كبير عريض يبدأ من الجنوب الشرقي للقلعة ماراً أمام باب المنشية ثم يتابع سيره نحو الباب الجديد ويقتضي التخطيط أن يكون مفتوحاً على البحر من الجهة الغربية[2].

عند احتلال الإسبان لمدينة طرابلس سنة **1510**م هدمت حافة كبيرة من السور تبلغ مائتي خطوة استخدم الإسبان الركام الناشئ عن هذا الدمار في ترميم وتدعيم القلعة[3].

وقد تحدث ناتستينودي تونسيس الذي شارك في الحملة الإسبانية التي استولت على طرابلس سنة **1510** بقيادة الكونت بدرودي نافارا عن تحصينات مدينة طرابلس قائلاً: ويحيط بها (طرابلس) سور يبلغ امتداده أكثر من ميل! ولها سوران مزدوجان تحف بهما خنادق منخفضة وضيقة، السور الأول فصيل منخفض، أما السور الثاني، فهو مرتفع جداً، وضخامته متناسبة مع الأبراج، وهي ذات مواقع دفاعية ضخمة، ومحاطة بالبر من جهاتها الثلاث[4].

ونجد وصفاً لأسوار مدينة طرابلس قرب سنة **1672** تركه لنا الجراح البرونفسالي جيرارد، إذ يقول: إن المدينة محاطة بأسوار ذات بابين، وستة أبراج وحصن ثم القلعة، ويؤدي باب المنشية إلى الريف وهو واقع بين خندق القلعة ودار البارود، يليه الدباغ وبرج الولي، وبرج باب زناته ثم

(1) المصدر السابق. ص238.
(2) كوستانزيو برنيا. طرابلس من 1510 – 1850. ترجمة خليفة التليسي. طرابلس: دار الفرجاني. 1969م. ص33.
(3) المرجع السابق 32.
(4) اتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م ترجمة خليفة التليسي بيروت: دار الثقافة، الطبعة الأولى، 1974م ص142.

الركن الذي به حارة اليهود. ثم حصن غير كامل بدأ في تشييده محمد الساقزلي لإحكام السيطرة على المدينة فعاقه الموت عن إتمامه ثم حصن الطابية أو حصن الشريف [1].

ووضع الفيسي ميلانوفيتش في سنة 1765م تقريراً عن حامية طرابلس وقوتها العسكرية أعطى فيه وصفاً دقيقاً لأسوار وتحصينات المدينة فذكر أن محيطها يبلغ ألفاً وخمسمائة خطوة هندسية بالتقريب، ترتفع في زواياها الأربع حصون غير عالية توفر لها حماية رديئة: يبذل أهلها قصارى جهدهم في المحافظة عليها من جهة البحر، وقد استخدموا كل فن (حربي) ممكن لإحاطتها من الجانبين المذكورين بدفاع جيد، وفوق ذلك فقد أقاموا عدداً من البطاريات (الطوابي) من جانب الميناء. وذكر أن السور يمتد من الجانب المطل على الميناء لمسافة 410 خطوات وله تعرجات عدة، كما أن به ثلاثة أبراج عالية، غير أن اثنين منها يستخدمان في الوقت الحاضر كسكن، أما الثالث فإن به بقايا طاحونة ريح، ولكنه الآن دمر.

ويشير إلى حصون مدينة طرابلس مثل حصن فرارة وبرج البحر (طابية البحر) والبرج الفرنسي (برج أبو ليلة) والحصن الإسباني وحصن الميناء. ويذكر أن للمدينة ثلاثة أبواب، واحد للقادم من اليابسة (باب هوارة) والثاني يؤدي إلى الميناء (باب البحر) والثالث إلى الترسانة [2].

أما في منتصف القرن التاسع عشر فقد وصف بلليسير دي رينود قنصل فرنسا بطرابلس بين سنتي 1850 و 1852م. طرابلس وأسوارها بأنها مدينة نظيفة إلى حد ما باستثناء الحي اليهودي، وتحيط بها أسوار في حالة سيئة إلى الشرق باب المنشية، وفم الباب على طريق ضيقة كأنها ممشى يؤدي إلى الريف. وباب إلى الغرب اسمه (باب البحر) الذي يؤدي إلى البحر [3]. وفي هذه الفترة حصنت الأسوار من الجانب الشمالي المواجه للميناء.

ويصف الرحالة الحشائشي أسوار مدينة طرابلس في 1895 بقوله: وطرابلس محاطة بأسوار عالية تماماً، وهذه الأسوار في حالة سيئة متداعية. كما هو الأمر في مدينة تركية. ولها أربع بوابات، وفيها ستة حصون كبيرة، وأربعة صغيرة بالإضافة إلى برج المندريك وبرج القلعة، فإذا بدأنا بالشمال الشرقي، وجدنا باب البحر وبالقرب منه رصيف صغير ودائرة الجمارك وسوق السمك. وعلى هذا الباب تاريخ عربي هو 1022 هـ ويشير ذلك إلى أن هذا الباب كان قد شيد أو أعيد ترميمه قبل 290 سنة تقريباً.

ويتحدث عن حصن الباب الجديد فيقول: إنه مثمن ويقع وسط الناحية الغربية مشتملاً على الباب الجديد ولابد أنه قد كانت هناك بوابة في ذلك المكان باستمرار، أو منذ اتخذت المدينة شكلها الجديد وأظن أن البوابة قد أعيد إنشاؤها في زمن ما إلى الغرب قليلاً من موقعها الأول. لأن

---

(1) المرجع ص239

(2) للمزيد من التفصيل ينظر: محمد مصطفى بازامه، الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر، بنغازي: مكتبة قورينا. ص205.

(3) روسي. ص375.

هنالك بالقرب من القلعة الشرقية بعض الآثار التي تدل على وجود بوابة في ذلك المكان في زمن من الأزمان[1].

وبسور مدينة طرابلس كانت توجد عدة أبواب منها باب زناتة بالباب وسمي باسم باب زناتة لأنه يؤدي إلى مضارب قبائل زناتة.

وكذلك باب الستارة وعرف أيضاً باسم باب عبد الله نظراً للمقاومة الشديدة التي أبداها عبد الله ابن الأغلب ضد أعدائه وهو يطابق باب المنشية. وباب هوارة وهو التعريب من باب المنشية وسمي بهذا الاسم لأنه يؤدي إلى قبائل هوارة. وباب البحر وهو الباب الذي يؤدي إلى الميناء ويقع بالقرب من مسجد سيدي عبد الوهاب الآن، وهو من أهم أبواب المدينة إذ يؤدي إلى دائرة الجمارك وتقع بالقرب منه مجموعة من الفنادق منذ القرن السادس عشر ومن أهمها فندق القرمانلي (أزيل في بداية ستينيات القرن العشرين وشيد مكانه مقر نادي المدينة ـ حالياً يشغله نادي باب البحر الرياضي ــ وفندق بنت السيد وفندق زميت وغيرها.

أما الباب المعروف اليوم بالباب الجديد فقد افتتح في سنة 1865م إذ تقدم الأهالي بطلب لأحمد عزت باشا والي طرابلس يطلبون فيه فتح باب من الناحية الغربية نظراً لأن باب زناته قد أغلق في سنة 1248 هـ في عهد علي باشا القرمانلي أثناء الحرب الأهلية. وقد استجاب الوالي لطلب الأهالي وأمر بفتح الباب وعند محاولتهم إعادة فتح باب زناتة لم يتمكنوا من فتحه نظراً لصلابة المواد المستخدمة في غلقه، ففتح باب جديد بالقرب منه وعرف باسم الباب الجديد. أما باب الحرية فقد افتتح في سنة 1909م وسمي بهذا الاسم نظراً لافتتاحه في الفترة التي تولت فيه جمعية الاتحاد والترقي الحكم في تركيا واستبشاراً بعهد جديد من الحرية.

وهناك باب يفتح على شركة الكهرباء في الغرب وباب آخر صغير يؤدي إلى باب الصناعات المحلية استحدثا في عهد الاحتلال الإيطالي وقد عُني الإيطاليون بإقامتها على طراز الأبواب القديمة.

أهم حصون وأبراج مدينة طرابلس:

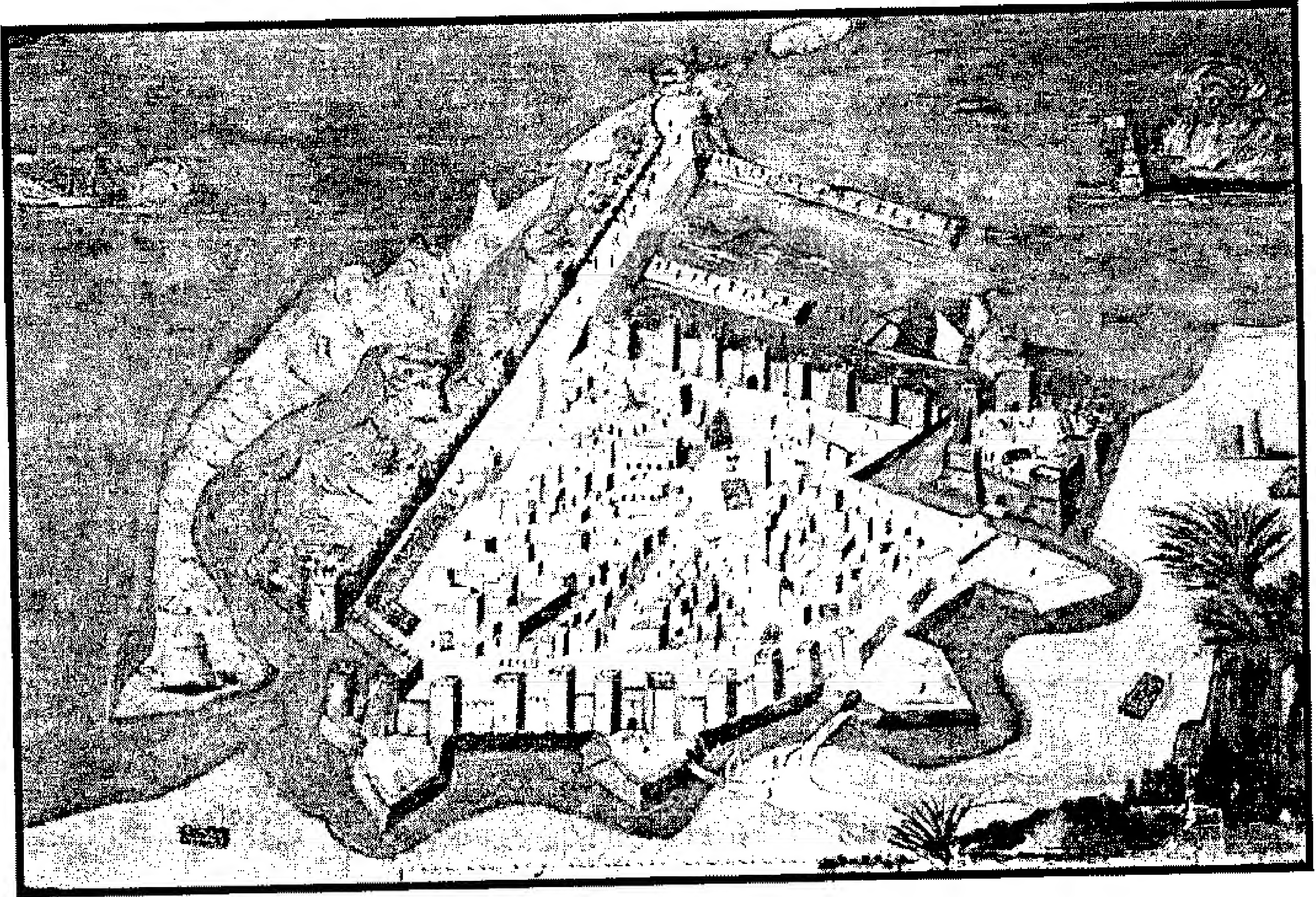
1- قلعة طرابلس:

من أهم معالم مدينة طرابلس ذلك البناء العتيق المربع الشكل تقريباً والذي يقع في الطرف الجنوبي الشرقي من مدينة طرابلس القديمة أي القلعة أو السراي الحمراء. إن كلمة السراي هي كلمة فارسية استعملها الأتراك للدلالة على قصر الحاكم أو الوالي، أما وصفها بالحمراء فلا تذكر المصادر التاريخية سبباً لذلك، والتعليل المنطقي لذلك حمرة لون جدرانها إما لأنها كانت تطلى باللون الأحمر وإما لأنها كانت تترك دون طلاء فيظهر لونها يميل إلى الاحمرار لأنها بنيت بالتربة الرملية

---

(1) لمزيد من التفاصيل عن تحصينات طرابلس في أواخر القرن التاسع عشر ينظر: الحشائشي. جلاء الكرب عن طرابلس الغرب. تحقيق علي مصطفى المصراتي. بيروت 1965م.

الحمراء وإن كانت في بعض السنوات تجير بالأبيض، وعرفت القلعة باسم الحصار في العهد القرمانلي **1711 – 1835**م.



رسم لمدينة طرابلس يوضح قلعة طرابلس وأسوارها **(1559)**



قلعة طرابلس من الناحية الشرقية

يعتقد بعض الباحثين أن أسس السراي الأولى ترجع إلى العهد الروماني حيث إن التحصينات القديمة وسور المدينة يرجع تأسيسها إلى تلك الفترة. فقد دلت الحفائر التي أجريت بأساساها على أنها كانت مقراً لمبنى عام كبير، فقد تم اكتشاف قطع من الفسيفساء وآثار لجدران بعض الأساسات وأعمدة كورنثية [1]. كما يعتقد بأن البزنطيين قد اهتموا ببناء التحصينات حول مدينة طرابلس وربما أدى هذا إلى العناية بالقلعة وتجديدها.

وعقب فتح عمرو بن العاص طرابلس سنة 643م، أمر بهدم أسوارها وتحصيناها خوفاً من عودة البزنطيين وتحصنهم بها نظراً لوقوعها على الساحل، وقد اعتبر فتحه إياها تمهيداً لفتح لاحق واستقراراً للإسلام بها بعد حين. وقد اهتم المسلمون فيما بعد بتحصينات طرابلس ويحتمل أنهم أجروا الكثير من الإصلاحات بها.

وصف الرحالة التجاني قلعة طرابلس في سنة 1307م بقوله: وتخلى والي البلد إذ ذاك عن موضع سكناه وهو قصبة البلد فترلنا بها ورأيت آثار الضخامة بادية عى هذه القصبة غير أن الخراب قد تمكن منها وق. باع الولاة أكثرها، فما حولها من الدور التي تكتنفها الآن إنما استخرجت منها [2].

إن بناء القلعة الحالي لم يحتفظ بشيء يتقدم تاريخه على العهد الإسباني أي أوائل القرن السادس عشر الميلادي فعند احتلال الإسبان لطرابلس 1510م اهتموا بتحصينات القلعة فعمدوا إلى جمع الركام الناشئ عن الدمار الذي لحق بالمدينة والخراب الذي أصاب السور وعملوا على تحصين القلعة بأسوار قوية ومدفعية ضخمة. وذلك خوفاً من الأسطول العثماني الذي يجوب البحر الأبيض المتوسط ويقوم بغارات ضد معاقل الإسبان وخوفاً من المقاومة التي نظمها الأهالي والتي اتخذت مدينة تاجوراء مركزاً لها، ويسود الاعتقاد بأنه في هذه الفترة تم فيها إصلاح حائطي للبرجين القائمين من جهة المدينة بمحاذاة التحصينات القوية لطرابلس من الجهة الجنوبية والشرقية وقد أطلق الإسبان على البرج الذي يقع في الركن الشرقي (حيث يبدأ شارع الفتح حالياً) اسم القديس يعقوب وذلك تخليداً لذكرى اليوم الذي سقطت فيه مدينة طرابلس بأيديهم حيث صادف ذلك اليوم عيد القديس يعقوب. والركن الآخر الذي يشبه مقدمة السفينة (الجزء المطل على شارع الشهيد محمد المقريف حالياً) فقد أطلق عليه اسم القديس جورج أما في الوسط حيث يوجد مدرج المدخل الذي يؤدي إلى القلعة (والمطل على الساحة الخضراء الآن) فقد سمى ساحة القديس بربرا وحولت أجمل قاعات السراي إلى كنيسة سميت بكنيسة ليونارد [3].

---

(1) للمزيد من التفاصيل ينظر: محمود النمس، محمود أبو حامد. مدينة طرابلس. طرابلس: مصلحة الآثار، 1978م.
(2) التجاني. ص237.
(3) روسي. ليبيا منذ الفتح العربي. ص163.

وقد ذكر ليون الإفريقي (الحسن بن محمد الوزان) في رحلته أن المدينة خربت أثناء احتلال الإسبان لها وأنهم حصنوا القصر بسور متين ومدفعية ضخمة[1]. وكان ذلك في سنة **1518**، ومما يذكر عن هذه القلعة أنه كثيراً ما يلجأ إليها الأهالي وقت الحروب والغزوات للاحتماء بها إذا ما بدأ الغزاة بقصف المدينة وأسوارها بالمدافع من أساطيلهم الغازية حتى يتسارع أهالي طرابلس إلى أبواب هذه السراي حيث يكونون في مأمن تام بداخلها طيلة فترة الغزو. وكانت هذه القلعة مستعدة لمثل هذه الحالات فكانت تضم كثيراً من المخابز والطواحين والحمامات وغيرها من أسباب الراحة والمعيشة. وأن قلعة طرابلس هذه تبيض بالجير كل ستة أشهر فتظهر للناظر كالفضة الناصعة البياض.

جاء في تقرير البعثة الفنية التي أوفدتها منظمة فرسان مالطا سنة **1524**م لطرابلس. أن القلعة تكاد تكون مربعة الشكل وذات برجين أو ركنين حادين يواجهان المدينة، وهي في حاجة إلى الترميم والإصلاح سواء فيما يتصل بالأساسات التي تآكلت بتأثير البحر أم بما يتصل بتلبيس الأسوار المكونة من تربة رملية ويعتقد أنها لن تصمد للمدفعية العنيفة[2].

اتخذت الحياة في القلعة شكل الحياة التي التزمها فرسان مالطا ــ عقب تنازل الإسبان عن مدينة طرابلس وقلعتها لهم في سنة **1530**م وهو طابع يجمع بين الناحية العسكرية والدينية فكان المرشد الأكبر للمنظمة ينبه إلى وجوب العناية بحرس القلعة ويأمر بعدم السماح بدخول الأتراك والعرب واليهود إليها باستثناء الذين يراجعون من أجل أمور هامة فيسمح لهم بالدخول على أن يتركوا أسلحتهم وخيولهم عند المدخل وكان اهتمام الفرسان منصباً على القلعة والأسوار فأجروا بعض التحصينات بهما.

تعرضت مدينة طرابلس وقلعتها إلى حصار ضربه العثمانيون حولها فقصفوا أسوارها واستحكاماتها وركزوا القصف على ساحة القديس بربرا لأنها أضعف الاستحكامات الموجودة بالقلعة وتعرض سورها إلى قصف عنيف من جانب المدفعية التركية وأحدثت فيه أضراراً بالغة لا يمكن إصلاحها[3].

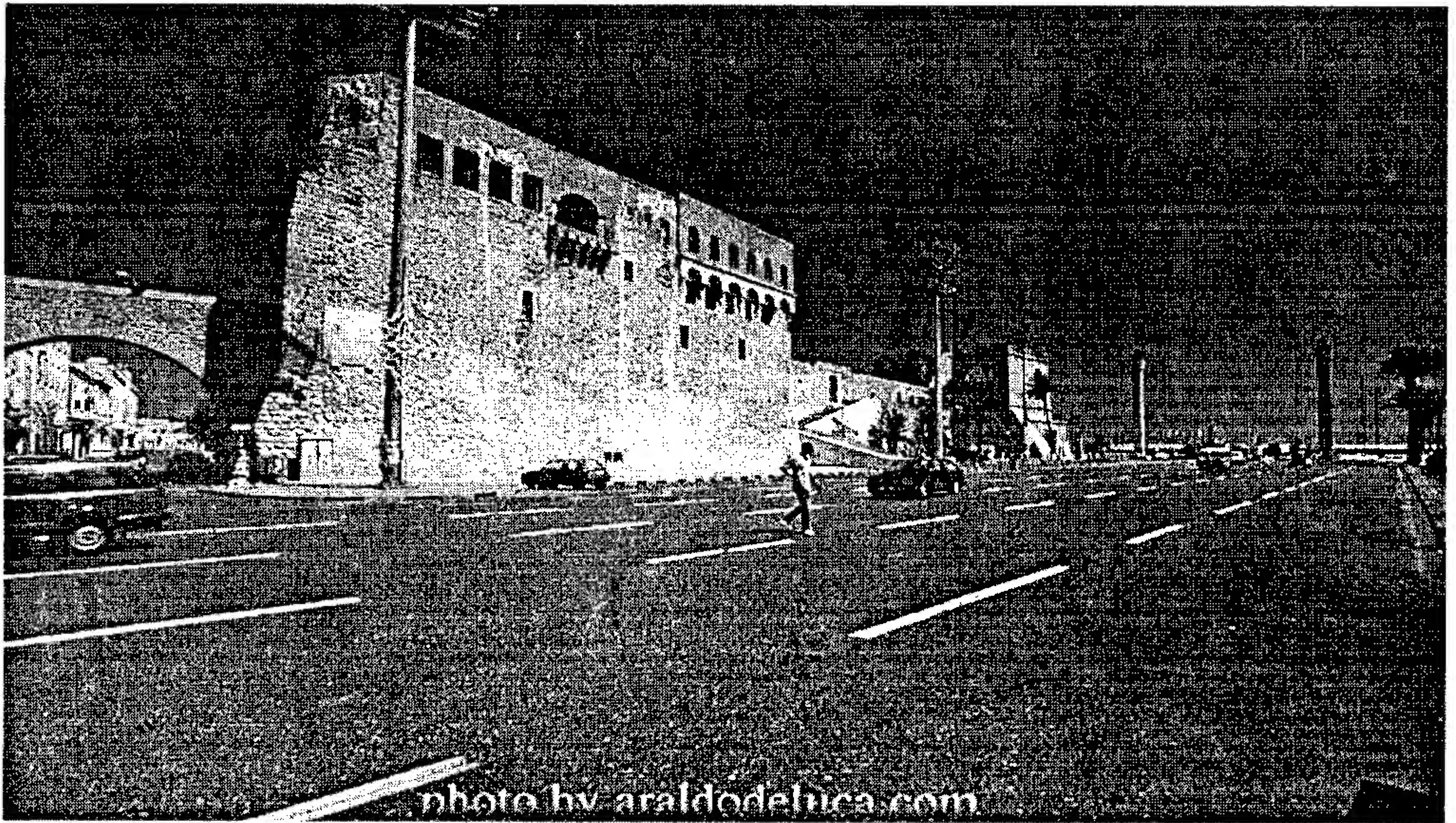
وتمكن العثمانيون من الاستيلاء على طرابلس وأصبحت خاضعة لنفوذهم منذ **14** أغسطس **1551**م وعين مراد آغا والياً على طرابلس فاهتم بالناحية الدفاعية للمدينة والقلعة فقام بترميم القلعة وحول كنيستها إلى مسجد واهتم خلفاؤه من بعده بتحصينات المدينة.

وأهم وصف داخلي للقلعة يعطيه لنا الجراح الفرنسي جيرارد الذي بقي أسيراً بمدينة طرابلس في الفترة ما بين **1668 – 1676**م. أنه يذكر أن القلعة تقع في الزاوية الشرقية للمدينة ويبلغ محيطها **500** خطوة، الجهة الشرقية منها تطل على البحر والجهات الباقية محاطة بخندق عريض وعميق مربعه الشكل تكتنفها أبراج أربعة عالية. ويذكر أن القلعة متوفرة على صهريج وبها جسر

---

(1) الوزان. وصف إفريقا. ص101.
(2) خليفة محمد التليسي. حكاية مدينة. ليبيا ـ تونس: الدار العربي للكتاب، 1974. ص 66.
(3) ررسي. ليبيا منذ الفتح العربي. ص175.

قابل للرفع وبها باب واحد يقفل أثناء الليل وتوجد نافورة أمام المدخل تقذف ماء استخرج بطريقة صناعية وتأتي بعد ذلك السقيفة التي يقيم بها حرس الكيخيا وإلى اليمين وبعد الباب الأول ممر طويل يجلس فيه محمد وعثمان باشا على نوع من كراسي العرش لمقابلة رسل السلطان وقد قام بالي داي بإتلاف هذا العرش بناء على نصيحة خليل باشا. ثم يمر الداخل بأبواب أخرى وبعد الباب الرابع يدخل المرء بلاطاً يدعى الميدان حيث رئيس الدولة الطرابلسية أغلب الوقت في تصريف شؤون الحكم، وبها مقعد ملاصق للجدران يستخدم كرسياً للعرش وخلفه نوافذ ذات قضبان متشابكة يصدر الوالي تعليماته من خلالها إلى الكتبة الذين يجلسون عند الممشى الذي يقع خلفها وإلى يسار الميدان يوجد مسجد القلعة الذي كان كنيسة في عهد فرسان مالطا. أما بقية القلعة فهي مساكن ومخازن وأفران ومطاحن والأسوار مزودة بأربعين مدفعاً، وثمة باب وهمي يؤدي من القلعة إلى البحر [1].



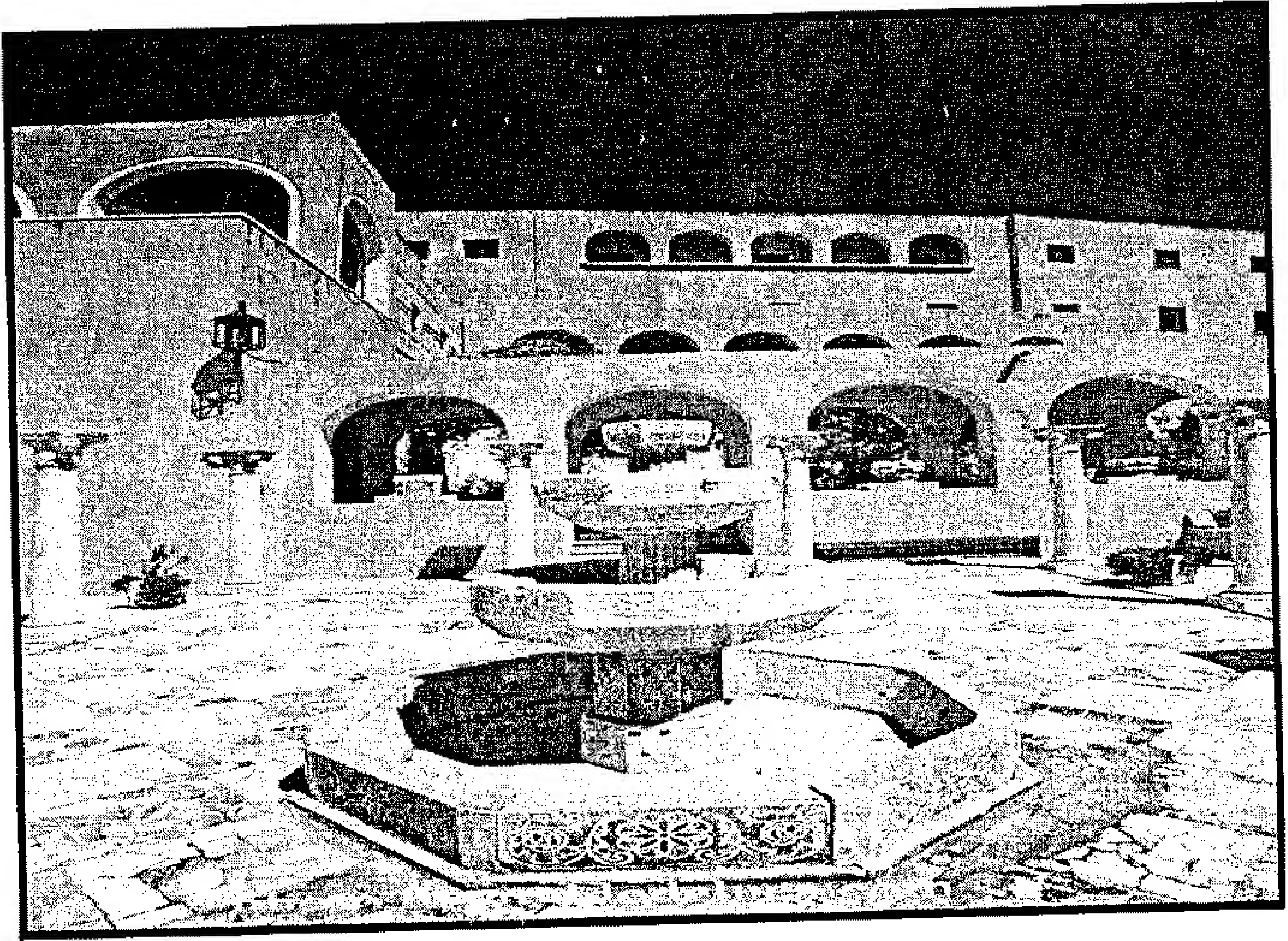
قلعة طرابلس

لقد كانت السراي أشبه بمدينة داخل مدينة فقد كان بها دكان فيه عقاقير وبها سجون قائمة ينفذون فيها حتى أحكام الإعدام وفيها حمام صغير (سجن) يقفلون داخله على المسيحيين الأرقاء الذين في خدمة الباشا وضباطه وفي السراي الخزينة وكان البشوات يسكون النقود من الذهب والفضة والنحاس ويصهرون المدافع القديمة ويعمل فيها عمال من اليهود.

---

(1) المرجع السابق. ص240.

أثناء العهد القرمانلي 1711 – 1835م أنشئت العديد من المباني الجديدة داخل السراي لسكنى أسر البشاوات وقد اعتنوا بزخرفتها وهي تشبه مساكن مدينة طرابلس القديمة من حيث التصميم والزخرفة.



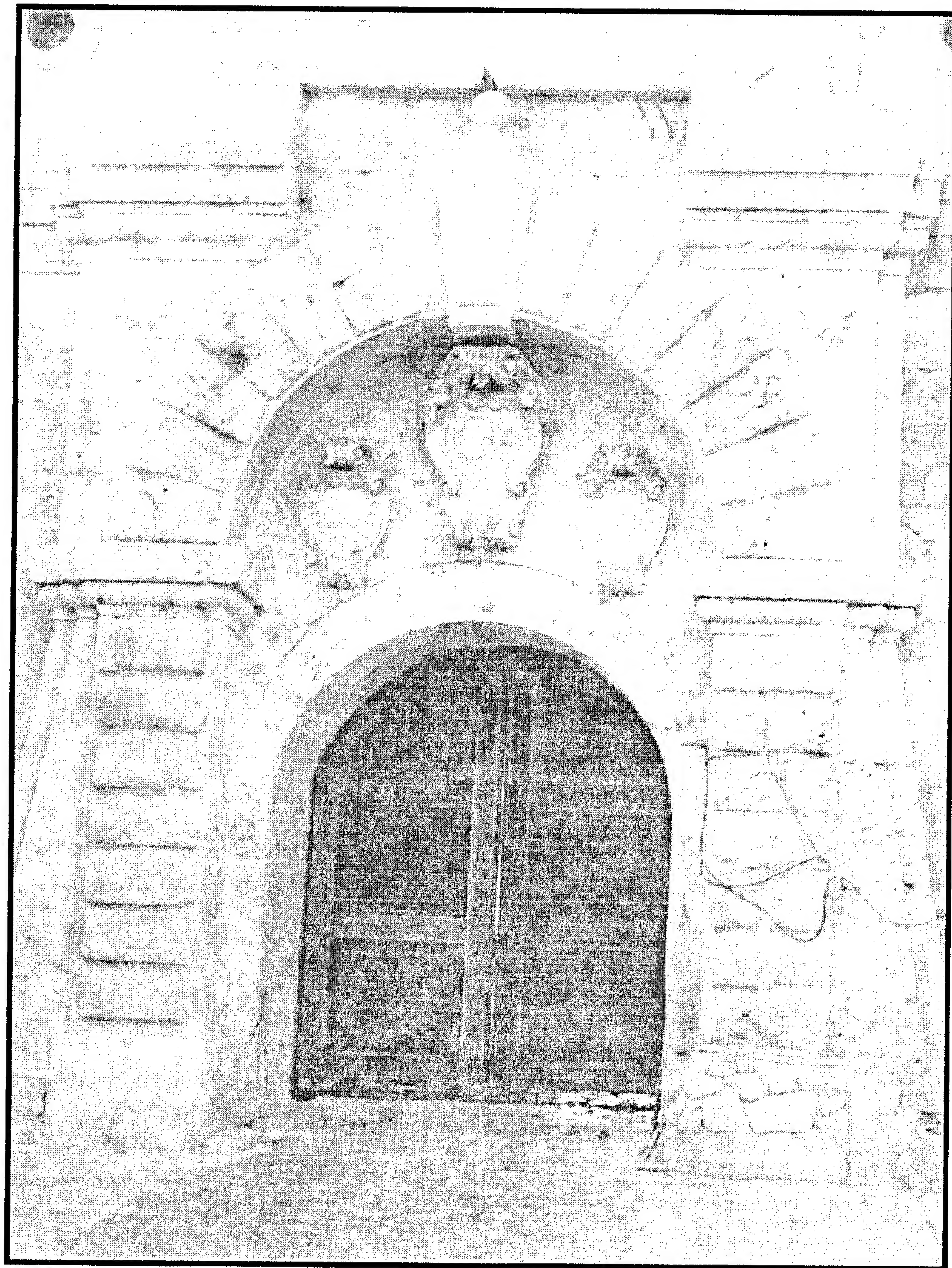
نافورة (شاذروان) داخل قلعة طرابلس تعود إلى القرن السابع عشر

وتصف الآنسة توللي في كتابها عشر سنوات في بلاط طرابلس (1783 – 1793) قلعة طرابلس بقولها: القلعة محاطة بسور يبلغ ارتفاعه 40 قدماً، فيه عدد من الشرفات المبنية على أسوار السور والمنفصلة بعضها عن بعض وعدد من الكوات لفوهات المدافع والأبراج. وتذكر أن معالمها المعمارية تغيرت من الداخل نتيجة للإضافات الشاذة التي قام بها الباشا الحاضر لتضم الفروع المتعددة من أسرته [1].

وفي العهد العثماني الثاني 1835 – 1911م يظهر أن اهتمام الولاة تركز على تقوية أسوار القلعة وأهملت من الداخل حتى أصبحت في حالة يرثى لها.

وعندما استعمر الإيطاليون البلاد سنة 1911م أجروا عدة تغيرات في الشكل العام للقلعة. وكان هدف التعديلات وأعمال الترميم إيجاد مقر للسلطة العسكرية المحتلة دون الاكتراث بالنواحي الجمالية فطمست أبواب ونوافذ واستحدثت أخرى، وفي هذه الفترة ضاع كثير من الزخرفة الموجودة بالقلعة، وحلت محلها زخارف عصرية قبيحة، وقد وضع المهندس ارماندو برازيني سنة 1922 واجهات برج القديس جورج، والعقود الموجودة على أنقاض برج القديس جاكمو، وقد استوحى المهندس المذكور فكرتها من عقود فاليتا بمالطا.

(1) الآنسة توللي. عشر سنوات في بلاط طرابلس. ص103.



أحد مداخل السرايا الحمراء

كما أضاف الإيطاليون بعض المباني واستخدموها كمكاتب للحكومة والوالي وفتح الطريق الذي كان يشق السراي (شيد فيه في ثمانينيات القرن العشرين المتحف الجماهيري) وجلبت النافورات من بعض منازل المدينة القديمة يعود بعضها إلى النصف الثاني من القرن السابع عشر للميلاد وضعت في أماكن مختلفة من القلعة التي هي الآن مقر لمصلحة الآثار.

2- دار البارود

تقع إلى جنوب القلعة وتطل على ميدان الشهداء وترتبط بالسور القديم، بدأ في إنشائها درغوت باشا الذي حكم طرابلس 1553م ــ 1565م وقد أكمل خليفته أولوج (علج) على بناءها[1]. وهي عبارة عن برج مربع كان قد عد في الأساس ليكون مخزناً للبارود. ومن هنا جاءت التسمية (دار البارود). وقد كشفت الترميمات... عن الوضع الهندسي الداخلي لهذا الحصن.. وتذكر إحدى الشواهد التاريخية بتاريخ 975هـ (1567 – 1568) أنه شيد من قبل علي باشا[2]. وهو بذلك عالج نقصاً بين القلعة والأسوار وسد ثغرة استفاد منها الأعداء في الماضي، وقد جهزت بفتحات خاصة بالمدافع تواجه السهل الواقع شرق مدينة طرابلس عند إنشائها.

وقد أجري الإيطاليون أثناء فترة الاحتلال تغيرات بداخلها ووظفوها لتكون سوقاً للصناعات المحلية.

برج المندريك:

يقع هذا البرج غرب ميناء طرابلس وقد بُدء في تشييده على إحدى الجزر الصخرية تغلق فرضة المرسى من الجهة الشمالية أثناء فترة الاحتلال الإسباني لمدينة طرابلس 1510م – 1530م للدفاع عن مدخل المرفأ وحماية السفن الراسية فيما بين البرج والمدينة، وكانت توقد به الأضواء ليلاً لإرشاد السفن، وكان عثمان باشا قد حصن هذا البرج تحصيناً جيداً في سنة 1661م ثم عمل بالي داي على وصل برج المندريك ببرج درغوت بواسطة سور منيع وحصن صغير فوق أحد المرتفعات التي كان بها في الماضي طاحون هوائي وضريح الولي.

والمندريك (تركية مندرك) اصطلاح بحري بمعنى رصيف أو ميناء صناعي.

برج التراب:

يقع هذا البرج في شمال مدينة طرابلس، في الموقع الذي يحتله الآن خزان مياه المعروف (بخزان القبة) شرع في بنائه درغوت باشا والي طرابلس 1553 – 1565م. ويبدو أنه قد تم تجديده في عهد أحمد راسم باشا قبيل شعبان 1299هـ وينقل المؤرخ أحمد النائب عن جريدة طرابلس الغرب الصادرة في 3 من شعبان 1299 ما نصه: قد تمت الآن بصورة حسنة إنشاءات الاستحكام الجسيم المسمى برج التراب الذي كنا ذكرنا في جريدتنا قرب تمام إنشائه وتجهيزه وذلك بسعي وغيرة

---

(1) برنيا. طرابلس من 1510 إلى 1850. ص 26.

(2) روسي. ص197.

العساكر السلطانية، وبانضمام معاونة الأهالي فعلاً.. وكان إنشاء الاستحكام المذكور على ثلاث طبقات في غاية المتانة والرصانة، ووضعت المدافع اللازمة من مدافع كروب، القلاعية الجسيمة في الجهتين اليمنى واليسرى، وجهزت أطرافه بغيرها من المدافع الجديدة تتم على صورة منتظمة جداً"[1].

أزال الإيطاليون أثناء احتلالهم لليبيا برج التراب في بداية العشرينيات من القرن العشرين وشيدوا مكانه قبر الجندي المجهول، وفي نهاية الخمسينيات من نفس القرن أزيل الأخير وبُني مكانه خزان مياه.

حصن الطابية أو البرج الشريف:

شيده محمد شريف داي قرب سنة 1627 ويذكر الطاهر الزاوي في كتابه معجم البلدان الليبية أن برج الشريف يقع شمال برج سيدي يعقوب وشرقي برج (أبو ليلة) في مكان يقال له الفلفول وفي جواره من الغرب البئر الإسبانية (حفرة عميقة في البحر تسمى بهذا الاسم) وهو متصل بالبحر ولم يبق منه شيء[2].

برج الفرنسيس (الفرنساوي) أو برج (أبو ليلة):

يقع برج أبو ليلة في الجهة الشمالية من مدينة طرابلس القديمة، كان موقعه في السابق بداخل البحر يبعد عن الشاطئ بحوالي 150 متراً يقابل برج التراب، وهو عبارة عن بناء أثري قديم أنشأه أحمد باشا القره مانلي في بداية سنوات حكمه سنة 1718 وقد بُني بالحجارة الجيرية الضخمة على جزيرة صغيرة على شكل بيضاوي ليكون استحكاماً متقدماً لصد الغارات البحرية من قبل الأساطيل الأجنبية، وقد عرف باسم البرج الفرنساوي وقد جاءت هذه التسمية من قيام الأميرال دي ستري بنصب بطاريات مدافعه في هذا الموقع أثناء الغارة البحرية الفرنسية ضد مدينة طرابلس 1685م.

يبلغ محيط برج أبو ليلة 70 يفتح مدخله إلى جهة الجنوب وكان يتصل بالشاطئ عن طريق جسر خشبي مقام فوق حوامل حجرية بنيت على النتوءات الصخرية المتناثرة داخل مياه البحر ويتكون البرج من طابقين يصل بينهما سلم حجري بُني في الجهة الغربية منه، الطابق السفلي مظلم، لذلك عملت له كوات خاصة على السطح للتهوية والإضاءة.

إن برج أبو ليلة يعد أحد المعالم الأثرية المهمة بمدينة طرابلس وقد أثر ردم جزء البحر الفاصل بينه وبين الشاطئ وإخفاء بعض معالمه تحت الأتربة على روعته وجماله وأفقده بعضاً من أهميته الأثرية والتاريخية ويستعمل البرج الآن مقراً لنادي باب البحر للغوص والرياضة البحرية[3].

---

(1) أحمد النائب. المنهل العذب. الجزء الثاني. ص.ص 7، 8.

(2) الطاهر الزاوي. معجم البلدان الليبية. ص53.

(3) للمزيد من التفاصيل ينظر: سعيد علي حامد. من تحصينات مدينة طرابلس. برج أبو ليلة مجلة البحوث التاريخية. منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، العدد 2 (يوليو) 2003م.

البرج الأحمر (البرج الإسباني):

يقع بالقرب من باب البحر عند الطرف الأقصى الغربي من الميناء وقد ذكره حسن الفقيه في يومياته. وذكر النائب أنه في أواسط محرم 1282هـ، (30 مايو 1864) احترق مخزن البارود (الجبخانة) الكائن بالبرج الأحمر وطارت نقاضه وصخوره الهائلة في الجو بمن كان فيه من العساكر وعددهم نحو الثلثمائة. ووقعت بعض تلك الصخور على البيوت المجاورة إليه فهدمت أربعين بيتاً ومات فيها نحو المائة نسمة.

برج المجزرة:

يقع في منتصف الطريق بين الميناء والقلعة مواجهاً للبحر، وقد جدد يوسف باشا بناءه سنة 1215هـ (1800-1801م) وسمي بهذا الاسم لوقوعه بجوار مجزرة المدينة.

البرج الجديد:

شيد هذا البرج في عهد يوسف باشا على يد رئيس الميناء مصطفى قرجي وقد بُدئ العمل فيه في سنة 1817م وانتهى منه في مستهل 1820م وهو محاذٍ لبرج المندريك.

برج يوسف باشا:

يذكر الطاهر الزاوي في كتابه معجم البلدان الليبية أن يوسف باشا بنى هذا البرج في السور القديم على شارع الساعة ويقع شرقي برج الساعة بنحو مائتي متر ويبعد عن مدرسة الكاتب إلى الجنوب الشرقي بنحو 60 متراً وموقعه يقابل بوابة سوق الحرير الواقع بجوار فندق السريح من الجنوب. وكان يطل على البحر وقد هدمه الطليان ولم يبقوا له أثراً.

برج فرارة:

يقع بالقرب من برج الجزرة (المصرف المركزي الآن) ذكره حسن الفقيه في يومياته. وقد جدد في سنة 1299هـ وسمي (باحملي طابيه سي).

أهم الحصون الساحلية شرق مدينة طرابلس:

تنتشر القصور والحصون على الساحل الليبي ويذكر الإدريسي أن القصور الواقعة بين طرابلس وسرت هي سبعة قصور إذا حذفنا نقطة الابتداء والانتهاء[1]. وتمتد القصور في المناطق التي تقع إلى الشرق من مدينة سرت، ويبلغ عدد القصور من طرابلس إلى سلوق 38 قصراً وأن سلوق كانت مفترقاً لطرق كثيرة وأن السواحل البرقاوية كانت ذات قصور عديدة متقاربة[2]. ولعل أهم الحصون والقصور الباقية قصور حسان التي سبق وأن أشرنا إليها والقصر المحصن بمدينة أجدابية.

---

(1) محمد عبد الهادي شعيره. الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية. (ليبيا في التاريخ) بنغازي: الجامعة الليبية. 1968م. ص238.

(2) المرجع السابق. ص24.

القصر المحصن بمدينة أجدابية:

بدخول برقة تحت سيادة الفاطميين في إفريقية في عهد المعز لدين الله، أصبحت حدود دولته تتاخم مصر وما يجري بها يؤثر على الدولة الفاطمية خاصة في الناحية الاقتصادية، إذ ترتبط برقة بمصر اقتصادياً، وكانت عين المعز عليها وقد أراد أن يحقق ما عجز عنه أسلافه الثلاثة في الاستيلاء عليها، فانتهز وفاة كافور الإخشيدي حاكم مصر في سنة 355 هـ واضطراب حبل الأمن واشتداد الغلاء وحلول الطواعين بها، فأرسل جيشاً كبيراً، قدر عدده بما يربى عن مائة ألف تحت إمرة القائد جوهر الصقلي، ورصد له الأموال، وأعطاه دفعة معنوية إذ أمر ولاته وعماله بأن يترجلوا له عند ملاقاته. وأمر المعز لدين الله في سنة 355هـ بحفر الآبار وبناء القصور في طريق مصر، وقد بني على رأس كل ثلاثين ميلاً قصراً من القيروان إلى مصر [1] وذلك إحكاماً للعمارة وحفظاً للأمن [2].

لقد تهيأت كل الظروف لنجاح حملة جوهر الصقلي لاحتلال مصر فانطلق من إفريقية، حيث استراح في برقة، وسار نحو الأسكندرية فدخلها دون مقاومة ثم استكمل احتلال مصر، وأرسل حملة أخضعت سورية. وبذلك دخلت مصر في عهد جديد.

وبني جوهر مدينة القاهرة سنة 969م. والجامع الأزهر وقصرا ليكون مقراً للمعز حين حلوله بها. قبل أن يغادر المعز إفريقية رتب أمورها فعين بلكين بن زيري عليها بعد أن أوصاه بالسياسة التي يجب عليه اتباعها، كما عين ولاة على المناطق الأخرى كطرابلس وبرقة. وبدأ المعز رحلته نحو القاهرة عاصمته الجديدة. وسار من إفريقية ووصل طرابلس في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول 362هـ، ومنها توجه نحو سرت ثم رحل ونزل بقصره الذي بني له بمدينة أجدابية [3].

إن مدينة أجدابية وقصرها المحصن قد تأثرا كثيراً بالأحداث السياسية التي شهدتها المنطقة في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلادي إثر القطيعة المذهبية بين الفاطميين في مصر والزيريين في إفريقية، ثم كانت مغامرات قراقوش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد لتقضي على ما بقي من حياة فيها. وقد وصف الرحالة محمد العبدري أجدابية وقصرها في رحلته سنة 688هـ بقوله: أجدابية وهي حصين قديم على قدر دار كبيرة عالية وذكر بعض المؤرخين أنه كان فيها ماء جار ونخل وليس الآن هنالك إلا قصراً مائلاً في خلاء من الأرض لا ماء جار ولا شجرة واحدة [4].

لم يبق من هذا القصر إلا بعض آثاره. وهو على شكل مستطيل طوله 33 متراً وعرضه 25 متراً، بأركانه الأربعة أبراج دائرية قطرها 5 أمتار [5]. تدل آثاره الباقية على ضخامته. وقد قامت مصلحة الآثار في سنة 1962 بإجراء صيانته للقصر المحصن [6] في مدينة أجدابية.

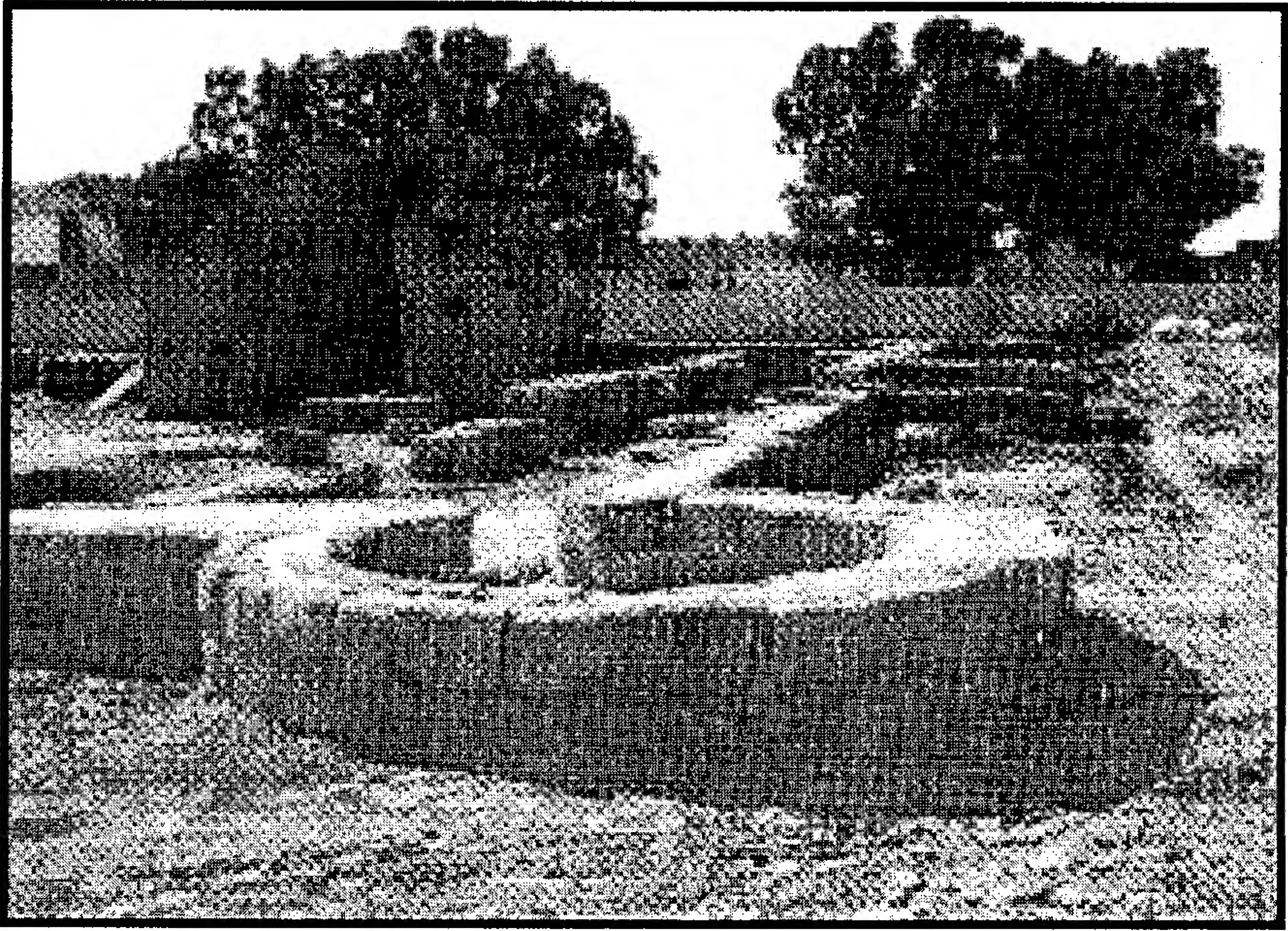
---

(1) الطاهر الزاوي. تاريخ الفتح العربي في ليبيا. ص192.
(2) عبد العزيز الثعالبي. تاريخ شمال إفريقية. ص332.
(3) ابن أبي دينار. المؤنس في أخبار إفريقية وتونس. ص65.
(4) العبدري. ص236.
(5) Abd al – Hamid Abd al – Sayyad. The old Islamic city of Ajdabiyah. Dept. of Antiquites, Tripoli. 1976. p.19.
(6) المرجع السابق. ص29.





القصر المحسن بأجدابية



أحد أبراج القصر المحصن

القصور بجبل نفوسة :

جبل نفوسة عبارة عن سلسلة جبلية تمتد من منطقة النقازة نحو 100كم شرق طرابلس إلى ترهونة ثم غريان وتلتف نحو نالوت وتستمر في الأراضي التونسية، ويبلغ أقصى ارتفاع لها عن مستوى سطح البحر نحو 850متراً. وقد وصفه الكثير من الجغرافيين والرحالة العرب، فيذكر ابن حوقل في كتابه صورة الأرض أن جبل نفوسة. جبل عال منيف يكون نحو ثلاثة أيام في أقل من ذلك[1]. أما البكري فيشير إليه في النصف الثاني من القرن الخامس هـ. ويذكر أن المسافة من طرابلس إليه مسيرة ثلاثة أيام وهو على ستة أيام من القيروان، وأن طوله من الشرق إلى الغرب ستة أيام ويذكر بأن وسط الجبل النخيل والزيتون الكثير والفواكه[2].

إن طبيعة جبل نفوسة قد أعطت سكانها نمطاً معيناً من الحياة، فقد اعتمدوا على مياه الأمطار مما جعلهم ينتقلون من واد إلى آخر طلباً للمرعى والماء، كما تميزت بوجود الكثير من الحصون والتي يطلق عليها الأهالي اسم القصور، إذ يوجد في المنطقة الواقعة بين غريان ووزان ما يزيد عن 50 قصراً يعود معظمها للفترة العربية الإسلامية وهي تختلف في أحجامها من قصر إلى آخر، استعملها الأهالي لتكون أمكنة أهراء لتخزين الغلات وزيت الزيتون التي اشتهرت به المنطقة منذ القدم، كما استعملت هذه كحصون لصد الغارات واستغلت بعض ساحات تلك القصور لتكون أسواقاً عامة

(1) ابن حوقل صورة الأرض. بغداد: مكتبة المثنى. ص92.
(2) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. ص9.

كان مبدأ المقايضة هو الغالب فيها. وتتميز هذه القصور بطراز معماري محلي وهي تندرج تحت العمارة العفوية أو التلقائية التي تشيد لتؤدي دوراً اقتضته الضرورة الحياتية لسكان هذه المنطقة. وأهم تلك القصور:

1- قصر الحاج.

2- قصر نالوت.

3- قصر كاباو.

4- قصر أولاد محمود.

5- قصر تالات.

1- قصر الحاج:

يقع على طريق طرابلس نالوت وهو يبعد عن مدينة طرابلس بنحو **145**كم وقد بني في سهل الجفارة وهو سهل منبسط من الأرض وعند قدم الجبل. والقصر عبارة عن بناء ضخم على شكل دائرة، والحاج الذي نسب إليه القصر هو الحاج عبد الله أبو جطللا [1]. المعروف باسم الحاج وهو من أهالي القرن السابع الهجري وقد بُني القصر أصلاً ليكون مخزناً لغلال المواطنين مقابل ريع متفق عليه سنوياً، ويذكر أن المؤسس قد أوقف هذا الريع من أجل تحفيظ القرآن الكريم وتعليق مبادئ الدين الإسلامي لأبناء المنطقة [2].

يتكون المبنى من أربعة طوابق وتتوسطه ساحة كبيرة استعملت لغرض البيع والشراء عن طريق المقايضة. ويحتوي المبنى عند بنائه على **114** حجرة وربما كان هذا العدد يطابق عدد الأسر التي كانت تقطن بالمنطقة وحتى يوفر لكل أسرة حجرة لتخزين غلالها "هري" أو ربما كما يتداول بين الأهالي بني على عدد سور القرآن الكريم. أما الآن فهو يحتوي على **119** حجرة إذ قسمت **5** حجرات أصلية فأصبحت **10** حجرات لكل منها مدخلها الخاص وذلك لتنازع الورثة، كما يحتوي المبنى على **29** سرداباً.

والطراز المعماري لهذا القصر طراز محلى بني بالحجارة والجبس واستعملت أخشاب الزيتون وجذوع النخل للأبواب والتسقيف.ويوجد به سلم يؤدي إلى الطابق العلوي بينما من أراد الوصول إلى الأدوار الوسطى عليه تسلق أوتاد خشبية ثبتت في الجدران. ولا يزال هذا الأثر في حالة جيدة.

---

(1) الطاهر أحمد الزاوي. معجم البلدان الليبية. طرابلس: مكتبة النور، 1968م. ص271.
(2) سعيد علي حامد. المعالم الإسلامية بالمتحف الإسلامي بطرابلس. طرابلس: مصلحة الآثار. 1978م.ص77.

قصر الحاج من الخارج



قصر الحاج من الداخل

قصر نالوت:

بني على حافة الجبل الذي يرتفع 630 مترا على مستوى سطح البحر وهو يسيطر على منافذ المدينة الجنوبية، والشمالية والشرقية وموقعه الاستراتيجي يدل على أنه بُني لغرض دفاعي ويظهر ذلك أيضاً من ارتفاع السور الخارجي. ومظهره الداخلي العام يعطي انطباعاً بأن تشييده كان لغرض إيجاد مخازن لتخزين الحبوب وزيت الزيتون. وقصر نالوت يختلف عن قصر الحاج في استغلال الساحة الوسطى لتكون مباني ترتفع إلى 5 أو 6 طوابق وبذلك زادت عدد الحجرات به إلى ما يقرب من 400 حجرة، يبلغ متوسط ارتفاع الحجرات متراً وعرضها 1.50 متراً ويتميز البناء بعدم وجود سلم متكامل للصعود إلى الحجرات العليا وإنما يصعد إليها عن طريق أوتاد خشبية مثبتة في الجدران يتسلقها من أراد الصعود إلى أعلى. استخدم في بنائه المواد المتوفرة محلياً؛ الحجارة والجبس وخشب أشجار الزيتون وجذوع النخل. وبسوره الخارجي فتحات صغيرة لا تتجاوز 20سم مهمتها توفير الإضاءة والتهوية. ويقع مدخل القصر في الجانب الشمالي الشرقي ارتفاعه 2، 10 متر وعرضه 1.10 متر. في سقف مدخله كتابة حديثة نسبياً تشير إلى أن أهل نالوت أخلوا القصر أثناء هجوم القوات العثمانية، وبه بعض الأكف لمن شارك في أعمال الترميم.

لم أعثر على تاريخ إنشاء هذا القصر، إذ لا يوجد أي نقش تأسيسي، كما لا يوجد من ذكره من الكتاب والرحالة المتقدمين، ولكن يبدو أنه أقدم من تاريخ إنشاء قصر الحاج أي قبل القرن السابع هجري. ويذكر د. عبد الرحمن أيوب إن هذا الصنف هو أقدم الأصناف من القصور نظراً لتماثل هيئته مع هيئة الدور الكهفية (Troglodytes): ويتكون القصر في هذه الحالة من مجموعة من الغرف ذات السقف المقبى المنحوتة في خدود المرتفعات الجبلية والتي تأخذ شكلاً مستطيلاً في تجاورها الواحدة تلو الأخرى ويقول: ونظراً لغياب المعطى الوثائقي الأكيد فإنه يعسر تحديد تاريخ نشأة هذا الصنف من القصور [1].

ويمكن مقارنة قصر نالوت بالقصر القديم الذي يقع على بعد 15كم جنوب شرقي مدينة — تطاوين في تونس، رغم أن القصر الأخير يعد أقدم تاريخاً، وقد تم استغلاله لفترة متأخرة إذ يشير النقشان الموجودان به إلى تاريخين مختلفين فالنقش الأول يشير إلى سنة (484 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم)، إتمام سنة أربع وثمانين وأربع مائة بعد وفاة النبي عليه السلام [2]. أما النقش الآخر فيشير أن سقيفة القصر قد بنيت سنة 486هـ وليس كما ذهب إليه د. عبد الرحمن أيوب في بحثه بأن التاريخ هو 475 هـ إذ أن النقش الذي أورده في بحثه يشير صراحة إلى ما يلي:

---

(1) عبد الرحمن أيوب. من قصور الجنوب التونسي القصر القديم. المؤتمر الحادي عشر للآثار في الوطن العربي. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ص133.
(2) المرجع. السابق. ص136.

بنيت هذه السقيفة يوم الجمعة في شهر الله ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وأربع مائة بعد موت النبي عليه السلام كثيراً كثيراً [1]. وتاريخ 475 من وفاة النبي يقابل سنة 486 هجرية. وعلى ذلك فإن القصور المحلية التي في تونس أو في ليبيا بمنطقة جبل نفوسة تعود لفترة تالية لهذا التاريخ، وبذلك فإنه من المحتمل أن يكون سكانه قد استغلوا الحصون القديمة والتي تعود في نشأتها إلى القرنين الثالث والرابع الميلاديين، ثم فكروا في مرحلة تالية في إنشاء القصور التي تستغل للسكن وللدفاع وللتخزين، وكان ذلك ابتداءً من القرن الخامس الهجري.

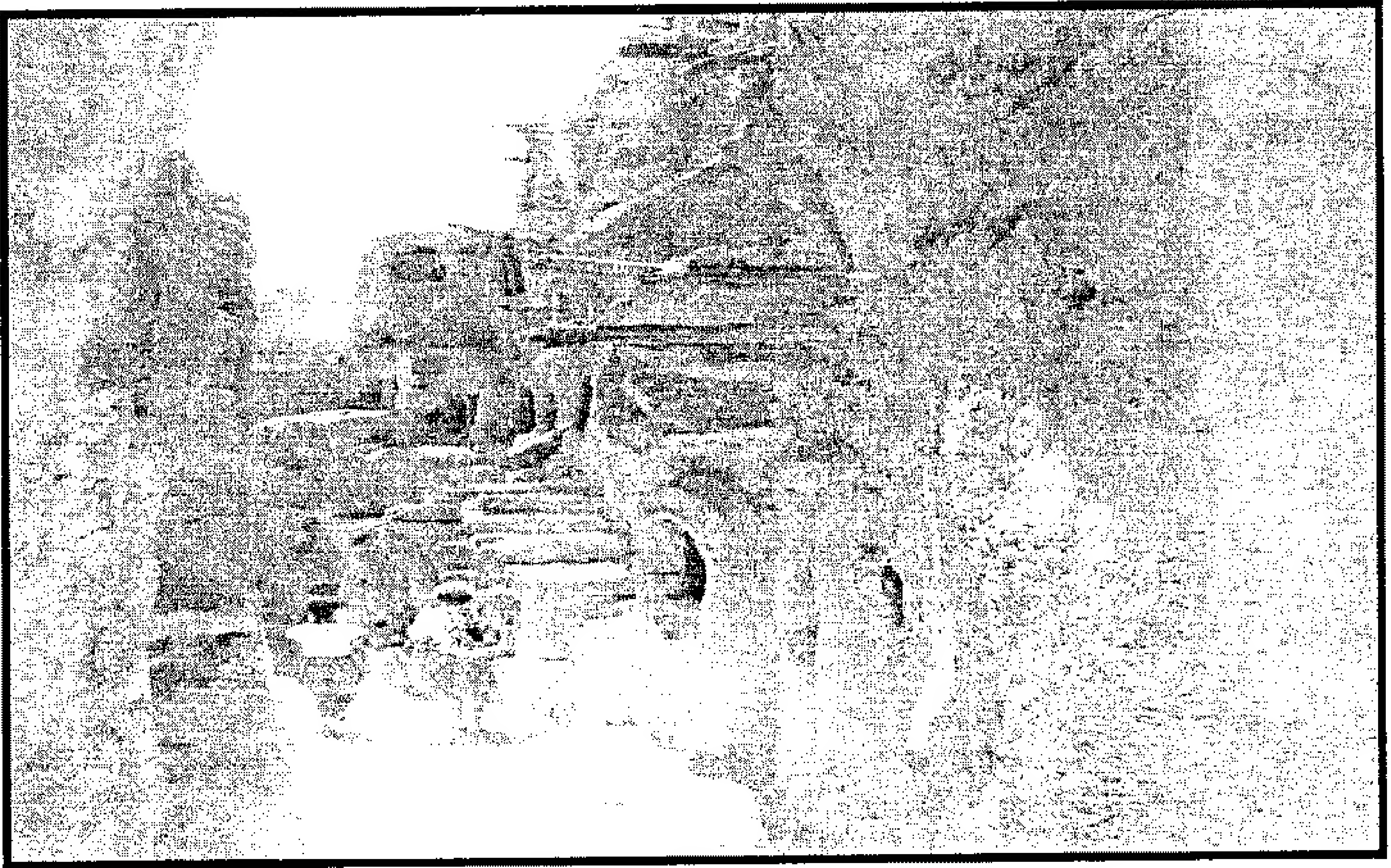
وتذكر الروايات الشفوية المتداولة بين كبار السن في نالوت أن مدخله كان يفتح ناحية الغرب إلا أن القصر تعرض للهجوم منه فسد واستحدث مدخل جديد على حافة الجبل يفتح نحو الشرق ليكون محمياً طبيعياً وفي مأمن من الغارات.



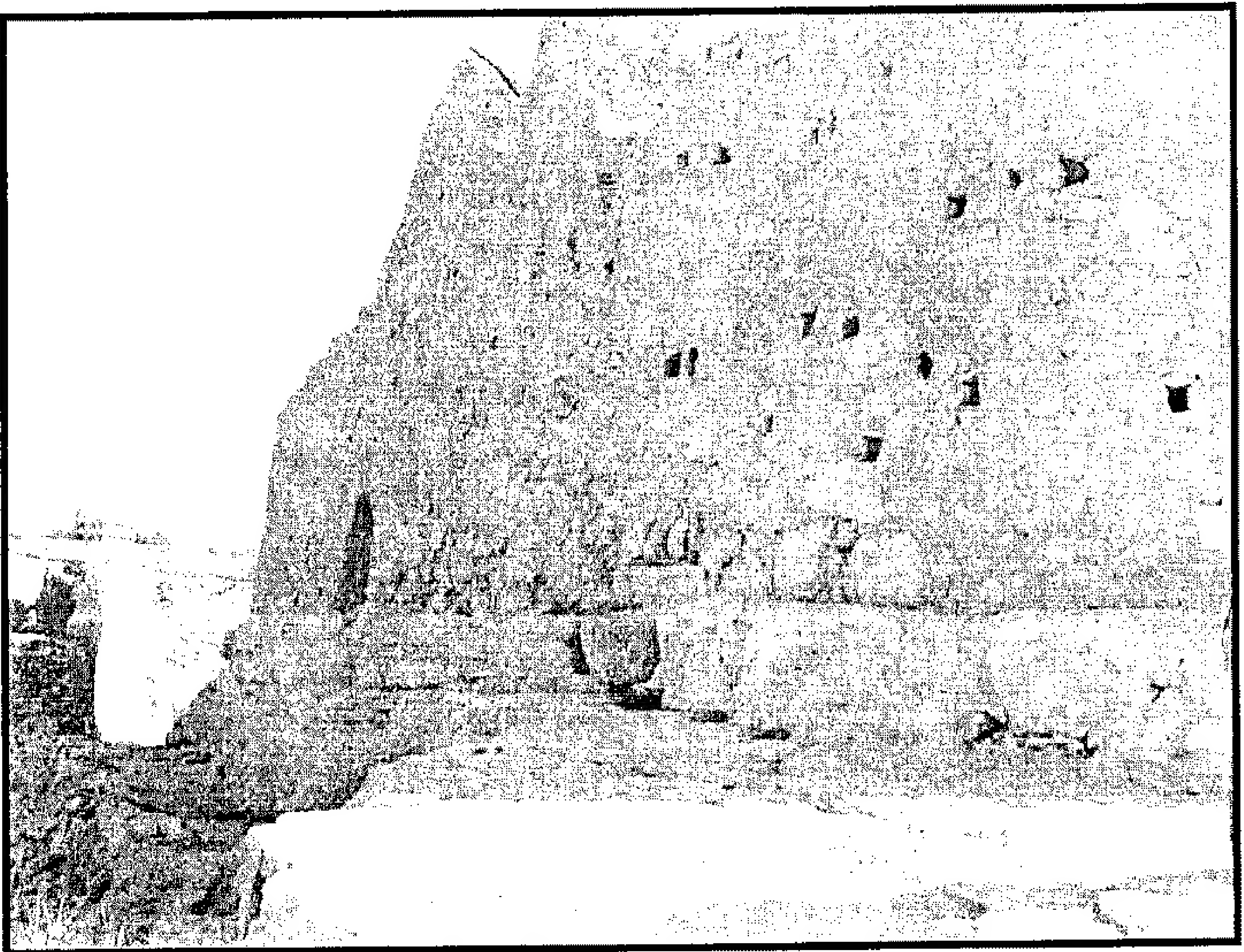
منظر عام لقصر نالوت

تعرض قصر نالوت للتدمير من جراء غارات القوات التركية في العهد العثماني حتى اضطر سكانه إلى الجلاء عنه في منتصف القرن التاسع عشر، وقام الأهالي بإعادة بنائه. ونتيجة للعوامل الطبيعية وهاطل الأمطار في ثمانينيات القرن العشرين تداعت بعض أجزائه، ولكن أهالي المدينة وبمساعدة مصلحة الآثار تم ترميم أغلب الأجزاء المتداعية.

(1) المرجع السابق. نفس الصفحة.



قصر نالوت من الداخل



قصر نالوت من الخارج

3- قصر كاباو:

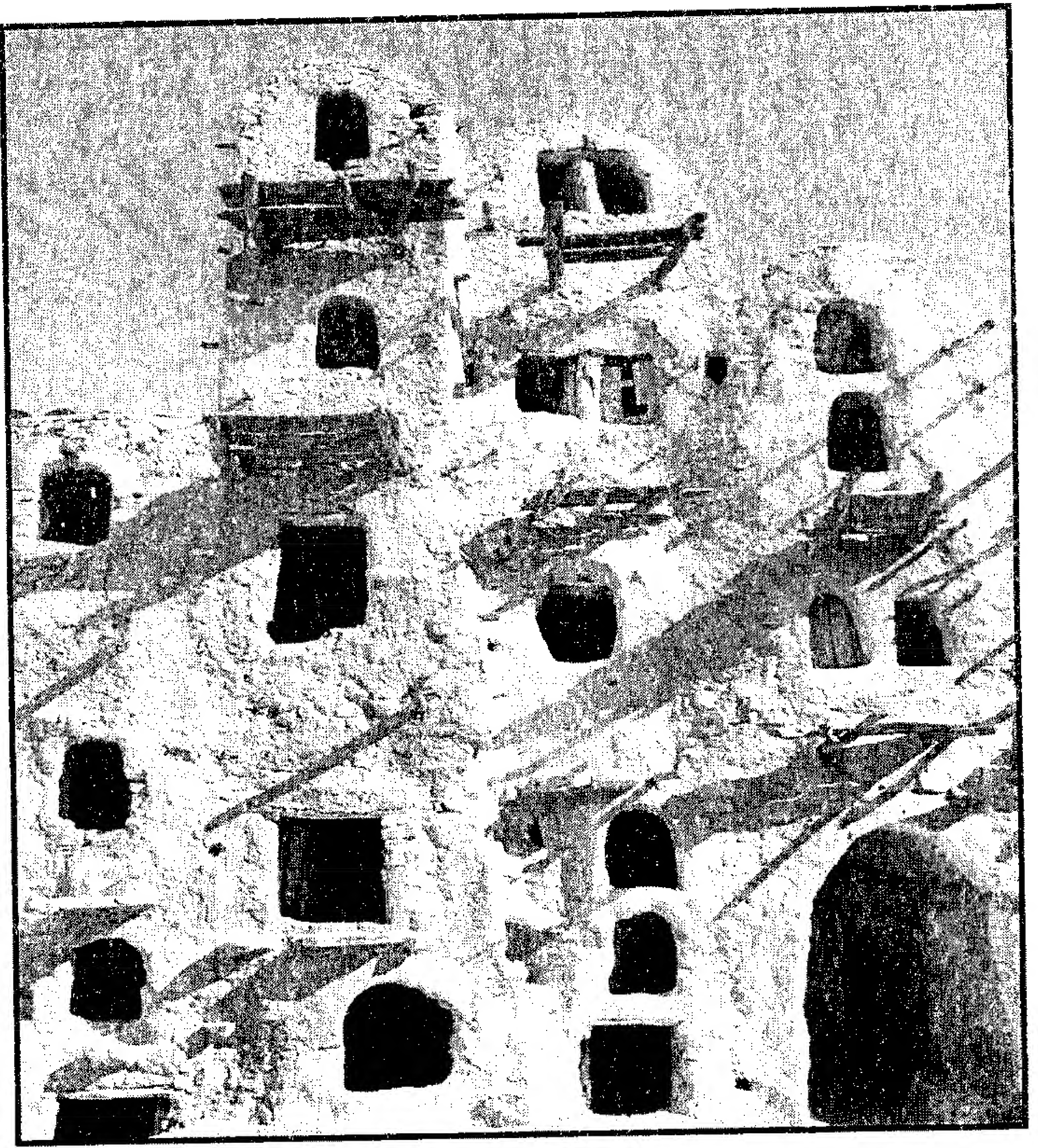
تقع مدينة كاباو إلى الشرق من مدينة نالوت بحوالي **75** كم على خط عرض **31**، **35** شمـــالاً وخط طول **11**، **20** شرقاً وترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي **650**متراً.



قصر كاباو من الداخل

وقصر كاباو عبارة عن بناء دائري الشكل يتكون من مجموعة من الغرف المشيدة من الحجارة الصغيرة والجبس، تعلو بعضها بعضاً بما يشكل أربعة طوابق، وهو يشبه قصر الحاج ويختلف عنه في وجود دور أرضي نحت جزء منه في الصخر.

لم تشر المصادر التاريخية إلى تاريخ إنشائه كما لا توجد أية نقوش كتابية. ويبدو أن هذا القصر هو نواة مدينة كاباو إذ تحيط به المباني فيبدو وكأنه وساطة العقد وقد أثرت فيه العوامل الطبيعيـــة والإهمال من جراء عدم الاستعمال، حيث حدث انهيار في أحد أجزائه، وإذا لم تتداركه الأيدي التي تهتم بتراث هذا البلد فإننا سنخسر معلماً من المعالم الأثرية المهمة.



مدخل قصر كاباو وبعض الحجرات

4- قصر أولاد محمود:

تقع قرية أولاد محمود إلى الشرق من مدينة نالوت وهي تربض على قمة إحدى المرتفعات وتسيطر على الطريق المؤدي إليها. وقد شيد القصر بالمواد المتوفرة محلياً؛ الحجارة والطين وخشب أشجار الزيتون وجذوع النخل وهو كثير الشبه بقصر كاباو.

تعرض هذا القصر إلى التخريب في بداية الاحتلال الإيطالي إذ أصابته مدفعية الغزاة الإيطاليين بأضرار كبيرة ولكن المواطنين قاموا بترميمه، وهو الآن في حالة جيدة، ولا يحتاج إلا لترميمات قليلة.

5- قصر تالات:

يقع هذا القصر بالقرب من قرية تالات وهو مبني على حافة الجبل في منطقة صعبة يسهل على سكانه الدفاع عنه بسهولة، إذ إن جهتين منه بنيتا على حافة الجبل مباشرة وكان هذان الجداران امتداداً للجبل، أما الجهتان الأخريان فيحيط بهما خندق بعمق حوالي 3 أمتار وبعرض حوالي 3 أمتار أيضاً، ويبدو أن أهل القصر كانوا يستعملون جسراً قابلاً للرفع عند الدخول أو الخروج.

ويختلف هذا القصر عن القصور التي ذكرناها فيما سبق بأنه لم يستعمل للتخزين وإنما استعمل للإقامة، وهو شبيه بالقصور الواقعة في المناطق الداخلية أو ما يطلق عليه الخط الدفاعي للتخوم الطرابلسية. والتي يعود معظمها إلى القرنين الثالث والرابع للميلاد واستمر استغلال هذا القصر حتى في العهود المتأخرة وقد هدم أغلبه ولم تبق منه سوى أطلال أثرية. وهناك مجموعة من القصور المحصنة طبيعياً تنتشر على امتداد حافة جبل نفوسة.

القلاع والقصور العثمانية:

شهدت المدن الليبية تشييد العديد من القلاع والتحصينات في الفترة العثمانية الأولى التي امتدت من 1551 – 1711 وقد تركز أغلبها في مدينة طرابلس سبق وأن أشرنا إليها. وشيدت قلعة في بنغازي في عهد الوالي محمد باشا الساقزلي سنة 1635 وقد وصفها بإيجاز الأخوان بيتشي في رحلتهما التي قاما بها سنة 1821 – 1822، وكذلك قلعة بني وليد التي يحتمل أنها تعود إلى هذا العهد أيضاً. وقد أشار إليها الأخوان بيتشي في رحلتهما بالقول: هذه القلعة عبارة عن مبنى كبير غير متناسق البنيان أقيمت قرب أجمل منطقة في الوادي، ووفرت لها وسائل الحراسة من جميع الجهات، على اعتبارها الحصن الأول، إذ قسمت إلى عدة أقسام، بها اسطبل جيد، ومساحة واسعة، إلا أن المياه العذبة لا تتوفر بها، ومع ذلك فإن أسوارها لم تعد بطريقة مثلى وغير قادرة على حمل المدافع [1].

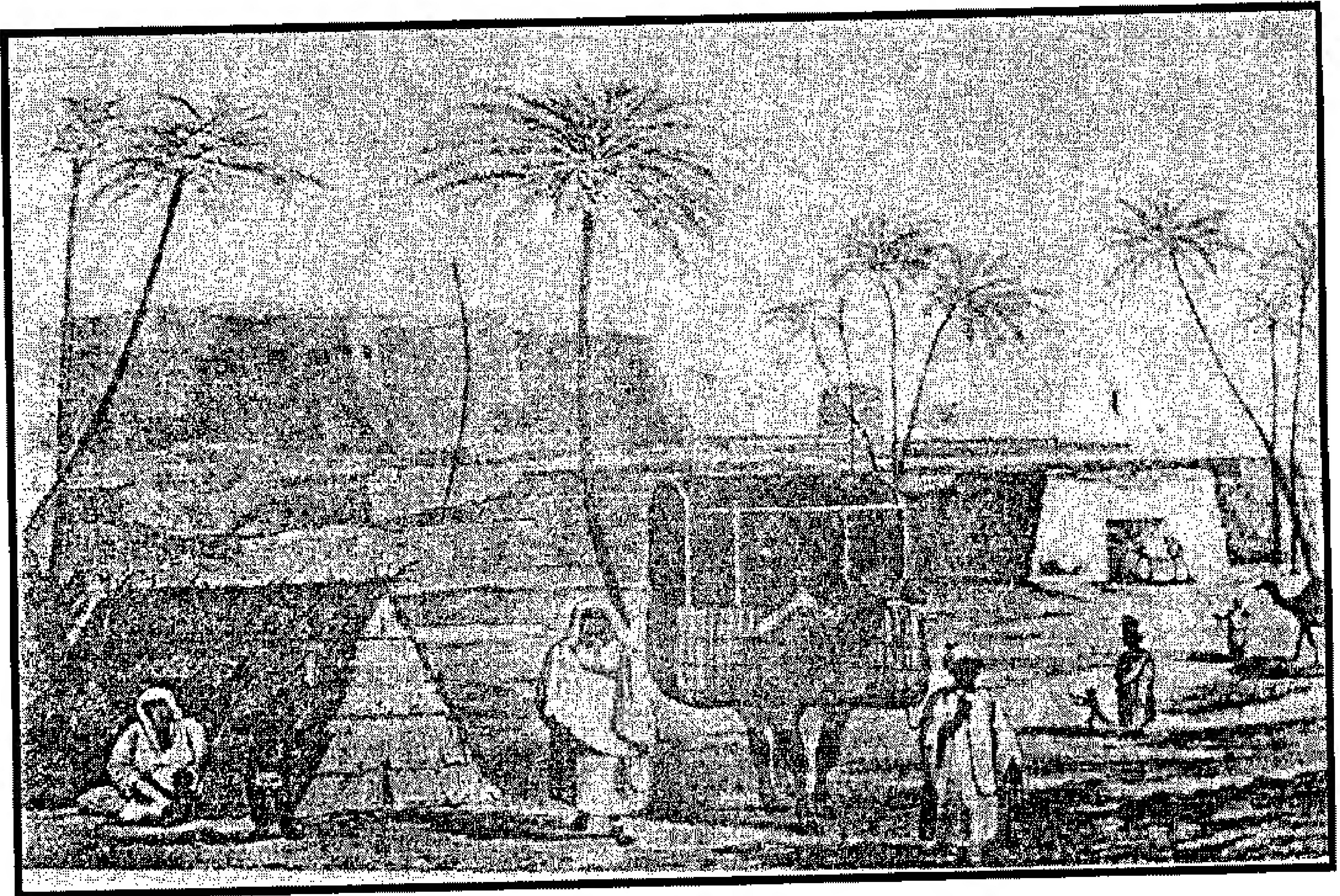
كما شيدت قلعة في مدينة درنة، أشار إليها الأخوان بيتشي سنة 1822 بأنها قلعة قديمة معطلة المدافع على الساحل الرملي. أما في العهد القرمانلي فقد تركزت معظم التحصينات في مدينة طرابلس. كما شيدت قلعة في المرج انهارت في زلزال 1963م.

شهد العهد العثماني الثاني 1835 – 1911 بناء مجموعة من القلاع والقصور في كثير من المناطق ومن أهمها قلعة سرت 1842، وقلعة أبو نجيم 1843، وقلعة مرزق وقد عثر بالقرب منها على لوحة رخامية مستطيلة الشكل عليها. كتابة تأريخية في ثلاثة أبيات من الشعر، مكتوبة بخط الثلث البارز بالحفر وتنتهي بتاريخ سنة 1261هـ (1845) والأبيات تقرأ:

(1) الأخوان بيتشي. الأخوان بيتشي والساحل الليبي. ترجمة الهادي أبو لقمة. بنغازي: جامعة قار يونس. 1996، ص3.

دائماً سلطاننا عبـد المجيد	بنا فيمــا يروم أوصـلـه
إن هذا القصـر في أيامه	أن معموراً بأمـر أقبلـه
من فم الإلهـام قد أرحمه	صر جيش شاهنا قد الحمل

والمعروف أن السلطان عبد المجيد الأول بن محمود، تولى الحكم مـن سـنة 1255 إلى سـنة 1277هـ (1839 – 1861). ويفهم من هذه الكتابة أن (قصر جيش) بمعنى قلعة كان (معموراً أي أنه بني أو جدد في سنة (1261هـ) (1845م) في عصر السلطان عبد المجيد، ويبـدو أن القلعـة المقصودة في هذه الكتابة قلعة مرزق[1]. إضافة إلى مجموعة من القلاع الأخرى في غدامس وغات وسبها وودان وهون وسوكنة وبراك وغيرها.



قلعة مرزق من رحلة ليون 1818

ونظراً لتشابه هذه القلاع في البناء فإننا سنأخذ بناء مثالاً جيداً لها لازال قائمـاً وهـي قلعـة القيقب. التي تقع بالقرية التي تحمل اسمها جنوب مدينة الأبرق بالجبل الأخضر بنحو 8 كم شـيد هذه القلعة أبو بكر بو حدوث (شيخ قبيلة البراعصة) بمساعدة الحكومة العثمانية ونيابة عنها. وقد اختير مكانها كنقطة لقبائل العبيدات والبراعصة والحاسا في الجبل الأخضر[2].

أشار الرحالة جيمس هاون عندما مر بمنطقة القيقب سنة 1852 أن بناء القلعة لازال مستمراً وتتمركز بها قوة تقدر بخمسين جندياً تحت إمرة أبي بكر حدوث الذي يشرف على بناءها.

(1) محمد مصطفى. تحف إسلامية. مجلة ليبيا القديمة، العدد الثاني، 1965. طرابلس: مصلحة الآثار ص32.
(2) عوض السعداوية. أخبار أثرية (القيقب) مجلة ليبيا القديمة. العدد الخامس. 1968 ص71.

والقلعة تتكون من دور أرضي وهي مربعة الشكل تقريباً طول ضلعها حوالي خمسين متراً ولها في كل زاوية برج أسطواني يصعد إليه بدرجات عددها أربع وعشرون، ويبلغ ارتفاع الجدار الخارجي ستة أمتار، وتتخلل جدران القلعة مادة اللبن (الطوب المشوي) مما يجعلها ذات سمك كبير بينما الجدران الداخلية أقل سمكاً[1]. ويدخل إلى القلعة عن طريق باب كبير يتوسط الجدار الجنوبي منها.

أثناء الحرب الإيطالية الليبية حاول أنور باشا قائد المقاومة الليبية التركية المشتركة ضد الإيطاليين، أن يكون مدرسة أولية ومدرسة فنون وصناعات في قلعة القيقب إلا أن الأحداث الحربية السريعة قضت على أمله واحتل الإيطاليون القلعة واتخذوها قاعدة لهم[2]. فأدخلوا عليها بعض التعديلات إلا أنها احتفظت بطابعها الأصلي.

وقد أهملت القلعة فيما بعد وتداعت بعض أسوارها، فقامت مصلحة الآثار بأعمال الترميم والصيانة لها ووظفتها لتكون متحفاً للأزياء والتقاليد الشعبية افتتح في **1975/4/15**.

---

(1) بريك الجطيلي، صالح ونيس. دليل متحف القيقب. طرابلس: مصلحة الآثار. ص7.

(2) المرجع الأسبق. ص72.

المصادر والمراجع

1- ابن أبي دينار. المؤنس في أخبار افريقية وتونس. طبعة أولى تونس
2- ابن الاثير. الكامل في التاريخ
3- ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت : دار مكتبة الحياة د.ت.
4- ابن خلدون. كتاب العبر وديوان المبدأ والخبر. القاهرة : بولاق 1284 هـ
5- ابن عبد الحكم. فتوح مصر والمغرب. بغداد : مكتبة المثنى.
6- ابن غلبون. التذكار. تحقيق الطاهر الزاوي. طرابلس : مكتبة النور، الطبعة الثانية، 1967م.
7- ابن مليح. (أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي). أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب. تحقيق محمد الفاسي. فاس : وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي. 1968م
8- الأخوان بيتشي. الاخوان بيتشي والساحل الليبي. ترجمة الهادى أبو لقمة. بنغازى : جامعة قاريونس 1996
9- الإدريسي. المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق. حققه محمد حاج صادق. باريس، 1983م.
10- الآنسة توللى. عشر سنوات في بلاط طرابلس. ترجمة عبد الجليل طاهر. بنغاري : دار ليبيا للنشر، 1967 م.
11- الأنصارى. أحمد النائب. المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب. طرابلس : منشورات مكتبة الفرجاني.
12- البكري، أبو عبيد الله. المغرب في ذكر بلاد إفريقية والغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك. بغداد : مكتبة المثني.
13- البلاذري. فتوح البلدان. تحقيق صلاح الدين المنجد. القاهرة . مكتبة النهضة
14- التجاني، محمد. تقييد الرحلة (رحلة التيجانى) التجاني. تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب. تونس : المطبعة الرسمية، 1958م.
15- الثعالبى، عبد العريز. تاريخ شمال إفريقيا. جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس. تونس : دار الغرب الإسلامى. الطبعة الثانية 1990
16- الحسن بن محمد الوزان. وصف إفريقيا. ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر. بيروت دار الغرب الاسلامي، الطبعة الثانية، 1983
17- الحشائشي، محمد. جلاء الكرب عن طرابلس الغرب. تحقيق علي مصطف المصراتي بيروت 1965

18- الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 928 هـ). كتاب السير. تحقيق و دراسة محمد حسن. تونس؛ كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية. 1995 م.
19- العياشي، أبو سالم. ماء الموائد. وضع فهارسها محمد حجي. الرباط : دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، طبعة ثانية بالأوفسيط. 1977
20- القلصادي. رحلة القلصادي. تحقيق محمد أبو الأجفان.تونس : الشركة التونسية للتوزيع.
21- المراكشي، ابن عذاري. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق ج. س. كولان،
إ. ليفي بروفنسال. بيروت
22- المراكشي، عبد الواحد. المعجب فى تلخيص أخبار المغرب. تحتيق محمد سعيد العريان. القاهرة : 1963م.
23- اليعقوبى. تاريخ اليعقوبى. بيروت : دار صادر 1960
24- جامى، عبد النادر. من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى ترجمة محمد الأسطى. طرابلس : دار المصراتى 1974
25- رولفس، غير هارد، عبر إفريقيا، رحلة من البحر المتوسط إلى بحيرة تشاد وإلى خليج غينيا، دراسة وترجمة د. عماد الدين غانم.
26- لايون، ع. ف. مدخل إلى الصحراء. ترجمة الهادي أبولقمة. بنغازي : جامعة قار يونس. 1993
27- ليون، فرنسيس. من طرابلس الى فزان. ت. مصطفى جعودة. ليبيا – تونس : الدار الغربية للكتاب، 1976
28- مؤلف مجهول. الاستبصار نشر وتعليق سعد زغلول. الدار البيضاء : الدار النشر المغربية.
29- مارمول. إفريقيا. ترجمة محمد حجى وآخرون. الجزء الثالث
30- هورنمان، فريدريك. رحلة فريدريك هورنمان من القاهرة إلى مرزق. (كتاب رحلتان عبر ليبيا).طرابلس : مكتبة الفرجاني 1974

المراجع :-

1- البرغوثي، عبد اللطيف. التاريخ الليبي القديم. بيروت: دار صادر. منشورات الجامعة الليبية. الطبعة الأولى. 1971م.

2- التليسي، خليفة محمد. حكاية مدينة. ليبيا – تونس : الدار العربي للكتاب، 1976.2

3- الدناصوري، جمال. جغرافية فزان. بنغازي : دار ليبيا للنشر والتوزيع. 1967

4- الزاوي، الطاهر أحمد. معجم البلدان الليبية. طرابلس: مكتبة النور. 1968م.

5- الزاوي، الطاهر أحمد. تاريخ الفتح العربي فى ليبيا. القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، 1963م.

6- النمس، محمود، و محمود أبوحامد. مدينة طرابلس. طرابلس: مصلحة الآثار.1978م.

7- أيوب، محمد سليمان. معالم أثرية من جنوب الجماهيرية.طرابلس : مصلحة الآثار 1993.

8- بازامه، محمد مصطفى، الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر، بنغازى : مكتبة قورينا.

9- برنشفيك، روبار. تاريخ افريقية في العهد الحفصي. نقله إلى العربية حمادى الساحلي. بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1988.

10-برنيا، كوستانزيو. طرابلس من 1510 –1850. ترجمة خليفة التليسي. طرابلس : دار الفرجاني.1969م.

11-تيرى، جاك. تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى. ترجمة جاد الله الطلحى. مصراته : الدار الجماهيرية الطبعة الأولى 2004

12-جبران، مفيدة، وآخرون. دليل معالم مدينة أطرابلس القديمة. طرابلس مشروع تنظيم وإدارة المدينة القديمة 2002

13-حامد، سعيد علي. المعالم الإسلامية بالمتحف الإسلامي بطرابلس. طرابلس : منشورات مصلحة الآثار، 1978م.

14-حمداني، عباس. تاريخ مدينة سرت (بحث ضمن كتاب حفريات مدينة سرت).

15-خشيم، على فهمي. نصوص ليبية. طرابلس : مكتبة الفكر، 1967

16-خشيم، على فهمي. الحاجية من ثلاث رحلات في البلاد الليبية. طرابلس 1974

17-دى أوغسطيني. سكان ليبيا. ترجمة خليفة التليسى. ليبيا–تونس : الدار العربية للكتاب ج 2 .1990.

18-روسى، اتورى، ليبيا منذ الفتح العربى حتى سنة 1911 م ترجمة خليفة التليسى بيروت : دار الثقافة، الطبعة الأولى، 1974 م

19-زبيس، سليمان. بين الآثار الإسلامية في تونس. تونس : منشورات دار الثقافة 1963

20-شرف، عبد العزيز طريح. جغرافية ليبيا. الأسكندرية : مؤسسة الثقافة، 1962م.

21-شافعي، فريد. العمارة العربية في مصر الأسلامية عصر الغولات القاهرة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1970
22-شعيرة د. محمد عبد الهادى. من تاريخ التحصينيات العربية فى القرنين الاول والثانى للهجرة. المؤتمر الرابع للآثار فى البلاد العربية، تونس 1963م. القاهرة : منشورات جامعة الدول العربية.
23-ضياف، نجمي. مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية. الجماهرية العظمى : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،1999
24-عباس، إحسان، محمد نجم. ليبيا في كتب التاريخ والسير. بنغاري : دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1968م.
25-عثمان، د محمد عبد الستار. المدينة الإسلامية. سلسلة عالم المعرفة، 128، الكويت، أغسطس، 1988م.
26-علام، نعمت إسماعيل. فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية. مصر : دار المعارف
27-فيرو، شارل. الحوليات الليبية. ترجمة د.محمد الوافي.. طرابلس · المنشأة العامة للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية، 1973م.
28-فيهرفارى، جيرا وآخرون. حفريات سرت. 1977-1981 (مخطوط) ترجمة مصطفي الترجمان.
29-كونل، ارمست. الفن الإسلامى ترجمة أحمد موسى بيروت : دار صادر.
30-لومبار، موربس. الإسلام في مجده الأول. ترجمة وتعليق إسماعيل العربي. المغرب : منشورات دار الآفاق الجديدة. الطبعة الثالثة، 1990م..
31-مصلحة الآثار. بعض المواقع الإسلامية في ليبيا. طرابلس: منشورات مصلحة الآثار. 1967م.
32-معمر، علي يحيى. الإباضية في موكب التاريخ. الحلقة الثانية الإباضية في ليبيا. القاهرة : مكتبة وهبة، 1964م.
33-مفتاح، صالح مصطفى. ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر. طرابلس: منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى 1978م.
34-موسوعة تاريخنا. إشراف الصادق النيهوم. دار التراث الكتاب الثالث.
35-ميتز، آدم. الحضارة الإسلامية القرن الرابع الهجري. ترجمة محما، عبد الهادى أبو ريدة. القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995
36-ميسانا، غاسبري. المعمار الإسلامي في ليبيا. تعريب علي الصادق حسنين. بيروت : دار الجيل، طرابس – ليبيا :دار الرواد،1998م.

37-ميسانا، غاسبرى. المعمار الإسلامي في ليبيا. تعريب علي الصادق حسنين. طرابلس : الناشر
د. مصطفى العجيلي. 1973 م.
38-نجم، محمد يوسف، إحسان عباس. ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات. بنغازي : دار ليبيا للنشر والتوزيع. 1968م.
39-هيتر. آثار طرابلس الغرب. ترجمة عديلة حسن مياس. طرابلس: مطابع وزارة الإعلام والثقافة. منشورات مصلحة الآثار.

الدوريات والمجلات :-

1- التليسي، خليفة. طرابلس كما يصفها الرحالة الذين مروا بها في العهد القرمانلي. صحيفة الأسبوع الثقافي) العدد(128)

2- بالحاج، سليمان محمد. شواهد قبور إسلامية من برقة. مجلة ليبيا القديمة، المجلد الخامس. 1968م. منشورات مصلحة الآثار، طرابلس ليبيا.

3- جود تنايلد. مدينة سلطان. حولية ليبيا القديمة. تصدرها الإدارة العامة للآثار والمتاحف والمحفوظات التاريخية بليبيا. العدد الأول. 1964م.

4- حامد، سعيد علي. التجارة والأسواق في طرابلس قبل التاريخ. مجلة تراث الشعب. سنة 11 العدد 4 طرابلس 1991-1992.

5- حامد، سعيد علي. المصكوكات العربية الإسلامية في ليبيا. مجلة آثار العرب، العدد 2، 1991. طرابلس : مصلحة الآثار ومشروع إدارة وتنظيم المدينة القديمة طرابلس

6- حامد، سعيد علي. فنادق مدينة طرابلس القديمة. مجلة تراث الشعب سنة 3 العدد 11 1983 طرابلس اللجنة الإدارية للإعلام الثورى ليبيا

7- حامد، سعيد علي. من تحصينات مدينة طرابلس " برج بوليلة " مجلة البحوث التاريخية. منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، العدد 2 (يوليو) 2003م.

8- السعداوية، عوض. أخبار أثرية (القيقب)، مجلة ليبيا القديمة العدد الخامس 1968 منشورات مصلحة الآثار.

9- عبد السلام، علي، هلموت زيجرت حفريات الجامع الأبيض بزويلة مجلد ليبيا القديمة.

10- لاروند، أندريه. برقة (قورينائية) بعيني أسير فرنسي. ترجمة جمعة المحفوظي.تراث الشعب. العدد 1، مسلسل 54، 2006م. ليبيا : المركزالوطني للمأثورات الشعبية.

11- مصطفى، محمد. حفريات سرت القديمة. مجلة ليبيا القديمة اعدد 3، 4.

12- مصطفى، محمد. تحف إسلامية. حولية ليبيا القديمة. الإدارة العامة للآثار ليبيا. المجلد الثاني 1965م.

13- فرج، محمد وآخرون. تقرير أولى عن حفائر آثماد حسان. مجلة عريبيا القديمة. طرابلس : مصلحة الآثار العدد الأول 1995.

المراجع الاجنبية :-

1- Abed al – Sayyad , Abed al – Hamid. The old Islamic city of Ajdabiyah. Dept. of Antiquities, Tripoli. 1976.

2- Dept. of Antiquities , Tripoli. Some Islamic Sites in Libyai(AARP 1976)

3- Goodchild , R. G.. Benghazi The Story of a City. Libya: The General Administration of Tourism. 3rd. Ed. 1970.

4- Hamdani, Abbas. Some aspects of the history of Libya during the Fatimid period.

5- Haynes , D. E. L.. The Antiquities of Tripolitania. Tripoli: Dept. of Antiquities, 4th Ed. 1981.

6- Islamic Art and Architecture in Libya. Cataloque for the Exhibition in London 1975

7- Lavoix , H. Cataloque des Monnails Musulmans Paris , Vol. 1. 1887

8- Lavoix, Cataloque des Monnails National Espagne Et Afrique. Paris , 1891

9- Walker , John. Cataloque of The Muhammadan Coin in The British Museum, Vols. 12

ملاحظة :

صور مدينة طرابلس القديمة من دار أحمد النائب الأنصاري. مشروع تنظيم و إدارة المدينة القديمة طرابلس – ليبيا.

الفصل الخامس

نظرة على العمارة الدينية وتطورها في ليبيا

أولاً: المساجد والمباني الدينية للفترات المبكرة:

د. علي مسعود البلوشي

تمهيد:

بعد دخول الجيوش العربية الإسلامية أرض ليبيا وفتحها، سرعان ما بدأت مظاهر العمران والحضارة العربية الإسلامية في التبلور بالتدريج، فشيدت فيها الصروح المعمارية والمساجد، وتأسست فيها مدن جديدة، مثل مدينة برقة (المرج)، وسلطان، وأجدابية، وأوجلة، وزويلة، وشروس، ومواقع إسلامية في الجبل الأخضر، وشيدت أضرحة للصحابة الذين استشهدوا على هذه الأرض الطيبة، مثل أضرحة الصحابة، وعلى رأسهم زهير بن قيس البلوي، في مدينة درنة، وضريح الصحابي الجليل رويفع بن ثابت الأنصاري في مدينة البيضاء، وضريح سيدي منيدر في طرابلس، وغيرها الكثير من أضرحة الصحابة والشهداء التي أقيمت في طول البلاد وعرضها.

هذه المواقع والمباني الدينية أمدتنا، هي والحفريات التي أجريت في بعضها، بمعلومات عن تاريخ العمارة الإسلامية وتاريخ ليبيا الإسلامي المبكر. ولمعرفة التطور المعماري الديني والمدني، الذي حدث في ليبيا، فلا مناص من الرجوع إلى ما كتب في المصادر التاريخية والأدبية، وما تمدنا به الكثير من الحفريات الأثرية[1].

غير أن النصوص التي كتبها الرحالة والجغرافيون والمؤرخون العرب الأوائل، عن التطور المعماري في ليبيا، لا تعيننا في الحقيقة كثيراً على تكوين فكرة واضحة عن الأساليب الإنشائية للمعمار الديني بصفة عامة، ومعمار المسجد بصفة خاصة، وكذلك عن تفاصيل ما تحتويه المواقع الإسلامية المبكرة التي يذكرونها في نصوصهم.

ومن هؤلاء اليعقوبي (208هـ ــ 823م)، وابن خراداذبة (نحوه 284 هـ ــ 292هـ) (897 ــ 904م)، والكرخي (من النصف الأول من القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي)، وابن حوقل (336هـ 947م)، والمقدسي (القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي)، والبكري كذلك في

---

(1)أبو عبيد عبد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب:

المسالك والممالك، الجزائر، 1957، ص 6 .

-MADINAT SULTAN: A PRELIMNARY, RICHARD GOODCHILD PP. 99-, TRIPOLI, THE DIRECTORATE GENERAL OF ANTIQUTIES, 1, LIBYA ANTIQUA, NOTE"

نفس الفترة، والإدريسي وعبد الواحد المراكشي من القرن الثاني عشر الميلادي، وابن رشيد السبتي (683هـ 1286م)، والعبدري (689هـ 1290م)، والتجاني (1306 ــ 1308)[1].

وعلى الرغم من أن كتابات هؤلاء لا تعيننا كثيراً على تكوين فكرة واضحة عن المعمار الإسلامي المبكر في ليبيا، فإن كتاباتهم تعرفنا عن علاقة هذه الرحلات العلمية والجغرافية بموضوع المعماري الديني، من حيث إنها توفر لنا مادة للبحث، تتمثل في اهتمام هؤلاء المؤرخين والرحالة بلقاء رجالات العلم، ووصف مجالسهم العلمية، وأماكن لقائهم في المساجد والزوايا والمدارس والربط[2].

وتعرفهم على حلقات الدروس في المساجد والجوامع والربط والكتاتيب، والمشايخ ومكانتهم وتقسيماتهم التعليمية، ومختلف العلوم الدينية التي يدرسونها، مثل تفسير القرآن والحديث والفقه والنحو والصرف والوعظ والمناظرة والفتوى والأدب[3]، كما تعرفهم كذلك على المدرسين ونوابهم، والمعيدين الذين يساعدون المدرسين الكبار بإعادة شروح أساتذتهم[4]، كما تعرفهم كذلك على مراتب الطلاب وتسمياتهم المتعارف عليها من قبل المعاهد العلمية: الطالب والمتفقة والصاحب الذي يصاحب الشيخ إلى أن يصبح هو نفسه شيخاً مستقلاً بذاته[5].

أما من حيث ما يتعلق بالمعمار الديني فإن هؤلاء المؤرخين والجغرافيين والرحالة يوردون نصوصاً قصيراً جداً لا تعيننا على تكوين فكرة دقيقة وواضحة عن هذه المباني الدينية، من حيث وصفها العام، ومكوناتها وأقسامها المعمارية، والأشكال الزخرفية التي تمتاز بها، ومخططاتها ووصف كل ذلك، والتي يمكن من خلالها أن يكون الدارس فكرة واضحة عن أوصاف وأنواع وأشكال المكونات المعمارية والزخرفية لهذه المباني التي يذكرونها في نصوصهم، والتي غالباً ما يتناولونها ويتناقلونها عن مصدر وآخر بمرور الفترات والعهود الإسلامية المختلفة[6].

---

(1) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرادذبة، كتاب المسالك والممالك، ليدن 1306هـ 1889م، ص . أبو القايم عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم: فتوح مصر، جامعة بيل، نيو هايفن، مطبعة بيل، 1922، ص 149 و200 و224 و225 . أبي عبد الله محمد بن محمد العبدري الحيحي، رحلة العبدري: الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، سلسلة الرحلات، الرحلة رقم 4 حجازية رقم 1 الرباط، جامعة محمد الخامس، 1968، ص 76 و77 و78، أنظر ص 77.

(2) نجاح القابسي، "المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي"، مجلة كلية التربية، العدد الرابع عشر، 1980 - 1981، ص 11.

(3) GEORGE MAKDISI, "MUSLIM INSTITUTIONS OF LEARNING IN ELEVENTH GENTURY, BAGHDAD, BULLETIN SCHOOL OF ORIENTAL AND AFREICAN STUDIES, UNIVERSITY OF LONDON, VOL., 24, 225, PP. 11, 19.

(4) المرجع السابق، ص 12.

(5) المرجع نفسه، ص 12 و13.

(6) EMILIO SCARIN, LE OASI CIRENAICHE, DEL, 29 PARALLELO, FLORENCE, 1937, VOL XV, P. 141-ANTONY HUTT AND GUY PETHER BRIDGE, ISLAMIC ART AND ARCHITECTURE IN LIBYA, LONDON, 1976, PP. 33, 35, 56 – ALL M. EL. BALLUSHI. A HISTORY OF LIBYAN MOSQUE ARCHITECTURE, TRIPOLI 1984, PP. 51 - 53.

ولكننا استطعنا، من خلال هذه النصوص، معرفة أن ليبيا، في الفترات السابقة للعهد العثماني، كانت تنتشر فيها الكثير من الجوامع والمساجد والمباني الدينية المختلفة، بعضها شيد في الفترة الإسلامية المبكرة، وبعضها الآخر شيد في الفترة الأغلبية، وغيرها أقيم في العصر الفاطمي، والبعض الآخر أقيم في العصر المرابطي والموحدي والحفصي، كما علمنا أن البعض الآخر قد اندثر، وغيره في حالة خراب ودمار[1].

على أن هناك بعض المساجد القائمة حالياً، التي احتفظت بالأسماء القديمة نفسها التي ذكرها هؤلاء الكتاب في نصوصهم، وخاصة ما ذكره التجاني في رحلته المشهورة إلى إقليم طرابلس الغرب في العصر الحفصي، في الفترة ما بين 1306 و1308، ومن هذه المساجد مسجد سيقاطة ومسجد جترور القديم (عمرو بن العاص؟) بجترور، وجامع الناقة وجامع طرابلس الأعظم والشعاب وعبد الوهاب القيسي، ومسجد إسماعيل بن يربوع (الدروج)، وسيدي سالم المشاط والخروبه بطرابلس، وجامع سيدي عبد الله بن أبي سرح، والجامع العتيق بواحة أوجلة، وجامع مدينة براك، وجامع الحناشي بمرزق، وجامع منطقة الجديد بمدينة سبها. كل هذه المباني تعود إلى الفترات الإسلامية التي تسبق العهد العثماني[2].

ومن الملاحظ على نصوص هؤلاء المؤرخين أنها لم تشمل الكثير من المباني الدينية القديمة، والتي ترجع إلى الفترات الإسلامية المبكرة، والتي أغفلوها، ولكن الأهالي، عبر الأجيال المتعاقبة، يعتبرونها من أقدم المساجد الباقية كل حسب منطقته، ولكننا اعتمادنا على تحليل المادة المستخدمة، وطريقة البناء وأسلوب التشييد، والتخطيط والتسقيف والأشكال المعمارية وبساطتها، نجد أن كل ذلك يشير إلى قدم بنائها وعودتها وانتمائها إلى الفترات الإسلامية المبكرة من تاريخ ليبيا المعماري[3].

ومن هذه المساجد القديمة التي أغفل ذكرها المؤرخون مجموعة تقع في سلسلة جبال نفوسة من إقليم طرابلس، مثل مسجد الباروني بكاباو، وجامع أبي معروف بمدينة شروس، وجامع أبي زكريا في منطقة مزدة، وجامع ثماط ومسجد أبي منصور إلياس بتندميرا، ومسجد أبي يحيى الفرسطائي ببلد فرسطة وجامع العريفي بالعمروص بسوق الجمعة، ومسجد الإمام سحنون تلميذ الإمام مالك بأجدابيا وبعض المساجد بمدينة غدامس ومنها جامع عقبة بن نافع (بعضهم ينسبه إلى عقبة بن عامر الفهري) وغيرها من المساجد في المنطقة الشرقية وإقليم برقة، والشريط الساحلي، ذلك أن الرحالة

---

(1) ALI M. EL. BALLUSHI, P. 65, 66.

(2) عبد السلام بن عثمان بن عبد السلام الأسمر، كتاب الإشارات لما في طرابلس من المزارات، طرابلس، مطبعة النجاح، ص 16 ـ التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، رحلة التجاني، مقدمة حسن حسني عبد الوهاب، تونس المطبعة الرسمية 1958، ص 65 ـ أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، ط 2، مكتبة النور طرابلس، 1967، ص 231.

(3) ALI M. EL. BALLUSHI, OP. CIT. P.71.

التجاني زار الكثير من المحارس والربط والزوايا العامرة بالطلاب ومشايخ العلم والفقهاء والمتصوفة، والتي شيدها الأغالبة[1] الذين أقاموا سلسلة من الرباطات من الإسكندرية إلى سبتة.

ومن المصادر التاريخية تمكنا من معرفة أن كثيراً من المدن والقرى والواحات الواقعة جنـــوب المنطقة الساحلية وفي عمق البلاد، منها واحات برقة وفزان، مثل ودان وأوجلة وزويلة، احتـــوت على مساجد وجوامع وزوايا وأضرحة أولياء صالحين.

ومن أمثلة هذه المدن الهامة مدينة زويلة التي ازدهرت وتطورت في فترة حكم أسرة بني الخطاب البربرية الذين أسسوا مملكة هوارة، في الفترة ما بين القرن العاشر والثاني عشر الميلاديين، واتخذوها عاصمة وشيدوا فيها الكثير من المساجد والمنازل والأضرحة، ومنها مجموعة من الأضرحة مازالت قائمة وفي حالة جيدة من الحفظ، والمعتقد أنها أضرحة ملوك دولة بني الخطاب وأمرائها، ومازالت آثار المساجد في هذه المدينة شاهدة على ما كانت عليه تلك المساجد من ضخامة واتساع وهيبة[2].

ويشير المؤرخ البكري (11 ق.م) أن مدينة سبها كانت تحوي مسجداً وسوقاً، وأوجلة ومدينتها الرئيسة، ارزاقية بها مسجد وأسواق، كما أشار البكري إلى مدينة أجدابيا التي وصفها بأنها كبيرة وتحتوي على كثير من الفنادق والأسواق العامرة، ومسجد كبير شيده أبو القاسم بـــن عبيـــد الله الفاطمي، والذي يحتوي على مئذنة مثمنة الشكل[3].

كما أشار البكري إلى أن مدينة سرت (سلطان) كانت محاطة بسور قوي من الطين، وبها مسجد وحمام وبعض الأسواق، وتقع هذه المدينة الأثرية حاليًا شرق مدينة سرت الحديثة بنحـــو 55ك.م، وأقيمت بها حفريات، في الستينيات من القرن الماضي، أزاحت الستارة عن بقايا مسجد فـــاطمي، "ينسب" إما إلى فترة العزيز نزار أو فترة والده المعز لدين الله معد (341 ـ 386هـ) (953 ـــ 996م)، وأنها هي مدينة سرت المسورة التي ذكرها الرحالة والجغرافيـــون والمؤرخـــون العـــرب الأوائل.

كما لاحظ هؤلاء المؤرخون أن مدينة سلطان وأجدابية كانتا نقطتي مرور مهمتين على طريـــق القوافل بين برقة وطرابلس[4]. وأزاحت الحفريات، التي أجريت في مدينة أجدابيا، الستار عن بقايا الكثير من المباني الدينية والمدنية التي ترجع إلى العصر الفاطمي، فوجود بقايا جامع مهيب، وعـــدة

---

(1) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب: المسالك والممالك، الجزائر 1867 ص 10 ـ اميليو سكارين ، مرجع سابق، ص 147 ـ HUTT AND BERTHER BRIDGE, OP. CIT., PP. 33, 356, 56, - EL. BALLUSHI, OP. CIT. P. 29.

(2) البكري، مصدر سابق، ص 10و 11 ـ EMILO SCARIN, LE OASI DEL FEZZAN, BOLOGNA, 1934, VOL. WII, P. 103 ... GEO FRANCIS LYON, ANARRATIVE OF TRAVELS IN NORTHERN AFRICA IN THE YEARS, 1818, 1820, LONDON, JOHN MURAY, 1921, P. 76.

(3) البكري، مصدر سابق، ص 10و 11 ـ EMILIO SCARIN, LE OASI DEL FEZZAN, P. 10- GEO FRANCIS LYON, PP. 76, 214, 215.

(4) البكري، مصدر سابق، ص 6 ـ RD GOOD CHILD. P . 103 - ABD ALHAMID ABDU SSAYED, AN EARLY MOSQUE AT MADINA SULTAN, LIBYA ANTIQUA, III, IV, 1968, PP. 72 – 75, 155 – 160 LUCIEN GOLVIN, ISLAMIC ARCHITECTURE IN NORTH AFRICA, LONDON FABER AND FABER, 1976, P. 134.

قصور محصنة، وأسواق وفنادق وحمامات، والتي دلت على هذا الازدهار الاقتصادي والمعماري الذي شهدته أجدابيا وكان هذا راجعاً إلى موقعها الاستراتيجي عند ملتقى طرق القوافل الصحراوية، وكذلك عند تلك الطرق الممتدة بين مصر والمغرب[1].

الخصائص المعمارية للعمارة الدينية المبكرة :

العمائر الدينية بصفة عامة، ومعمار المساجد والمدارس والزوايا بصفة خاصة، التي ذكرها هؤلاء المؤرخون، تتصف بطابع معماري شعبي، وتمثل جزءاً مهماً منه، وتدل هذه العمائر على البساطة في التصميم والتخطيط والتنفيذ، وبعض هذه الأنماط من المساجد محفورة أو منحوتة في الأرض، مثل تلك المساجد الموجودة في سلسلة جبال نفوسة، ومنها ما هو مصلى في الهواء الطلق، والتي تنتشر على امتداد طرق القوافل، فهذه الأنواع من المباني الدينية تعطي الإنسان فكرة عن انتشار المعمار الشعبي في كل أرجاء ليبيا.

ومن خصائص هذه المساجد أيضاً، وبالذات تلك الواقعة في المناطق الريفية، أنها غير مزودة بعنصر المئذنة بالمفهوم والشكل المتعارف عليه في هيئة المآذن وتكوينها، ولكن زود أغلبها بما يمكن أن نطلق عليه المئذنة ـ السلم. وهكذا يبدو أن البساطة التي نجدها في طريقة التشييد، والخامة المستعملة في البناء في هذه المساجد إنما تحاكي مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي بناه في المدينة المنورة، والطريقة التي كان بلال مؤذن الرسول يتبعها في الصعود عبر السلالم إلى سطح المسجد للقيام بالأذان كما ذكر ذلك المؤرخ السمهودي[2].

ومن الملاحظ أن وجود مثل هذا النوع من المساجد وشكل المئذنة البسيطة التكوين هو في الحقيقة محاكاة واضحة لشكل معماري ديني بسيط استمر في الظهور والاستخدام في هذه المناطق المنعزلة المحافظة جداً.

---

(1) أحمد بن أبي يعقوب من وضيح اليعقوبي، كتاب البلدان، النجف العراق، ص 96 ـ البكري، ص 5و 10 ـ LUCIEN GOLVEN, P. 134.

(2) نور الدين بن عبد الله السمهودي، خلاصة الوفاء بأخبار دار مصطفى، دار الطباعة العامرة، مصر 1868، ص 141 ـ علي مسعود البلوشي، "المئذنة ـ السلم في معمار المسجد الليبي"، مجلة كلية التربية، العدد الرابع عشر 1980و 1981 وص64.



زاوية العالم بالريانية

الزاوية القادرية بطرابلس

الخصائص الزخرفية المعمارية للمعمار الديني الشعبي:

من الجلي والواضح أن التقليد والأسلوب البنائي، الذي أتبعه البناؤون الليبيون الشعبيون، في تنفيذ هذا النوع من المعمار هو أسلوب البساطة في التخطيط والتصميم والتنفيذ ونـوع المـادة المستخدمة، وهدف البناء الشعبي، من تشييد أي مبني ديني، هو تحقيق الغاية الوظيفية المحضة، غاضًا الطرف عن الجوانب الجمالية، إلا بالقدر الذي يستطيع المعماري الشعبي أن ينفذها بكل بساطة وبدون عناء في التنفيذ وبمواد تقليدية بسيطة[1].

ميزت هذه الظاهرة المعمارية أغلب المباني الدينية وكذلك المدنية على حد سواء، على أن هناك بعض المساجد والأضرحة والزوايا في جميع مناطق ليبيا، وخاصة منطقة جبال نفوسة، قد نالت قسطاً بسيطاً من الزخرفة، والتي هي متمثلة في العناصر الكتابية البارزة المنفذة على خلفية مورقة، وعناصر أخرى مثل زخرف الكف (أو اليد المفتوحة)، وعنصر المثلث المتساوي الساقين الزخرفي الذي يميز المعمار الديني والمدني في المناطق الجنوبية من ليبيا، هذا العنصر الزخرفي نراه على المآذن وعلى المداخل وفي أركان المباني، هذه هي العناصر الأكثر استعمالاً في الزخرفة في نمط المعمار الشعبي[2].

---

(1) علي مسعود البلوشي، "تطور الأسلوب الزخرفي في معمار المسجد الليبي"، مجلة كلية التربية العدد السادس عشر، 1981و 1982، ص 13.

ALI M. EL. BALLUSHI, A HISTORY OF LIBYAN MOSQUE ARCHITECTURE, P. 258

(2) ANTONY HUTT AND GUY BERTHER BRIDGE, PP. 32, 33 – ALI M. EL. BALLUSHI I P. 233..

- علي مسعود البلوشي، المواقع الإسلامية المبكرة والزخارف المعمارية" ، المتحف الجماهيري 1988، ص 66و67.

خصائص المعمار الديني المحلي:

ونعرج الآن على خصائص العمارة المحلية، في أغلب المباني الدينية، الموجودة حالياً في ليبيا، تمثل خصائص وسمات العمارة المحلية وهي التي تمثل أيضاً مفهوم مدرسة العمارة المحلية. ولهذا النوع من المعمار الشعبي المحلي، والمنتشر مثله في كل بقاع العالم، تسميات ومصطلحات كثيرة منها: المعمار العفوي التلقائي أو الانبعاثي أو الإقليمي (VERNACULAR) والمعمار غير المحدد المعالم أو المجهول (ANONYMOUS)، كما يعرف أحياناً بالمعمار الريفي التلقائي (SPONTANEOUS)، وأحياناً أخرى، يطلق عليه المعمار القروي، وبعض العلماء والمختصين يطلقون عليه المعمار الفطري أو البلدي (INDIGENOUS)، وآخرون، يطلقون عليه المعمار بدون مهندس معماري (ARCHITECTS ARCHITECTURE WITHOUT)[1].

هذا النمط البنائي الإنشائي البسيط ليس إنتاج المتخصصين في مجال الهندسية المعمارية، وإنما هو إنتاج تلقائي ومستمر لنشاط كل الجماهير الذين لهم تراث مشترك ويتحركون خلال خبرات المشاركة الجماهيرية الشعبية[2].

إن روعة هذا النوع من المعمار البسيط وجماله لم تقدر ولم يتم الالتفات إليها، واعتبرها الناس ذات جمال تلقائي عفوي، غير أنه صار، في الآونة الأخيرة، ينظر إلى هذا النوع على أنه نمط من الأنماط المعمارية التي كانت نتاجاً لذكاء الإنسان المتفهم لرغباته الحياتية بأسلوب فريد[3].

وكثير من المهتمين بالمعمار الشعبي، ومنهم برنارد رودوفسكي، يرون أن هذا النوع من المعمار البسيط في التخطيط والتنفيذ هو نتاج فلسفة وممارسة ومعرفة أولئك غير المتخصصين في البناء والتشييد، وهو مصدر إلهام للإنسان في المجتمع الصناعي والمحاصر في مدينته المليئة بالمشاكل الحياتية.

إن الحكمة التي تستقى من هؤلاء البنائين الشعبيين البسطاء تتعدى الاعتبارات الاقتصادية والجمالية، غير أنها تتحس المشاكل الأكثر صعوبة، وهي كيف يعيش الإنسان ويدع غيره يعيش، ويحفظ السلام مع جيرانه بالمعنى الضيق والمعنى الشامل أيضاً[4].

ومثل ما أوضحنا فإن المعمار الشعبي والمحلي في ليبيا امتاز بالبساطة في التخطيط والتصميم والتنفيذ، فالمباني الدينية التي تندرج تحت هذا النمط، تشيد من الحجر الدبش (غير المصقول)، والآجر المصنوع من الطمي أو الطين، وأسقفها تتكون من طبقة من جذوع النخيل والجريد والطين المضغوط والملاط، وهناك نوع آخر من المعمار الشعبي ينتشر على طول المناطق الساحلية، يشيد

---

(1) BERNARD RUDOFSKY, ARCHITECTURE WITHOUT ARCHITECTS, DOUBLEDAY AND COMPANY, INC., GARDEN CITY, N. Y., 1964, PP. 1,2.

(2) المرجع السابق، ص 5.

(3) المرجع نفسه ص 5.

(4) المرجع نفسه، ص 7.

غالبًا من الحجر الرملي أو الجيري المستخرج من بعض المحاجر وتقتصر زخرفته على العناصر البسيطة والقليلة وغير المعقدة، وهي عبارة عن خطوط تجريدية، وبعض الكتابة العربية المنفذة بشكل بسيط والمصاحبة لبعض التوريق، كما نشاهد كذلك الشرفات المسننة على هيئة المثلث، والعقود المدببة والمصممة على هيئة المثلث المتساوي الساقين، وعناصر زخرفية على هيئة الخطوط المنكسرة.



جامع قديم بمدينة نالوت



ضريح بالقرب من زاوية العالم بالريانية

هذا ما يمثل خصائص العمارة الدينية ومميزاتها منذ الفترة الأولى من انضواء ليبيا تحت الحكم الإسلامي، واعتبارها ولاية جديدة من ضمن حدود الدولة العربية الإسلامية. استمر هذا النمط المعماري في الاستخدام إلى مجيء الأتراك واستيلائهم على ليبيا سنة **1551**، ومن حينا أصبحت ليبيا إيالة (ولاية) عثمانية، واستمرت خاضعة للسيطرة العثمانية المباشرة وغير المباشرة لمدة نحو **360** سنة، شهدت ليبيا خلالها نهضة معمارية كبيرة ومتطورة في كل النواحي، واتسمت بخصائص ومميزات زخرفية ومعمارية لم تعهدها ليبيا قبل هذه الفترة، وهي التي سنتناولها في القسم الثاني من هذا الفصل[1].

(1) علي مسعود البلوشي، "العمارة المحلية"، المتحف الجماهيري، 1988، ص 63 و64. ــــــ

ALI M. EL. BALLUSHI, P. 51 ----- HUTT AND PERTHER BRIDGE, PP. 35, 56.

دور المعمار الديني في خدمة التعليم ونشر الثقافة والحضارة الإسلامية في ليبيا :

المساجد:

ساهمت المباني الدينية، مثل الزوايا والمدارس والربط، والمشاهد والتكايا ومراكز الصوفية والكتاتيب، وفي مقدمة هذه الأنواع المساجد والجوامع، في تطور التعليم وترسيخ أسس الدين والحضارة الإسلامية منذ المرحلة المبكرة من نشأة المجتمع الإسلامي بصفة عامة[1]، وانتشار الإسلام بمبادئه الثقافية والإنسانية والحضارية في ربوع هذا الوطن العزيز.

إن ظهور المعمار الديني، وقيام مختلف عيناته، باختلاف وظائفها، بدور بارز وقوة مؤثرة، في تطور المجتمع الليبي من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والثقافية، قد أدى إلى ترسيخ أسس الحضارة الإسلامية وانتشارها وإلى تجذر الدين الإسلامي في ربوع هذا البلد.

إن ظهور المسجد كمركز إشعاع للمجتمع الإسلامي الجديد، مرتبط بظهور الإسلام، ولم يكن المسجد كوحدة معمارية في بداية الإسلام مجرد مكان للعبادة، بل كان مركزاً للنشاط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي للمجتمع الإسلامي الناشئ، ومازال كذلك إلى يومنا هذا يقوم بهذه الأدوار المهمة، وترسيخ أسس الدين الحنيف والحضارة الإسلامية، في كل المجتمعات الإسلامية ومنها المجتمع الليبي.

وما تقوم به المساجد والجوامع والزوايا والمدارس والربط ومراكز الصوفية، في تثقيف أفراد المجتمع وتنويرهم، من خلال تدريس العلوم الدينية، واللغة العربية، والثقافة الإسلامية، لهو دور كبير وبارز في تطور الحضارة الإسلامية، وتعميق مبادئ الدين الإسلامي منذ ظهور الإسلام وبزوغ فجره على العالم[2].

الأدوار المتعددة التي قام بها المسجد في تبلور الحضارة الإسلامية :

تناولت الكثير من المصادر التاريخية المسجد الذي شيده الرسول (ﷺ) في المدينة المنورة (يثرب) بالدراسة والتحليل، من حيث مكوناته المعمارية وتطورها، ومن حيث الأغراض والأدوار التي قام بها في خدمة المجتمع الإسلامي الجديد الناشئ وتطوره[3].

ومن الوظائف التي قام بها المسجد اتخاذه كمركز إشعاع ثقافي تعليمي، ففي أحد الأحاديث النبوية يرينا الرسول الكريم (ﷺ) الغرض التعليمي من قيام المسجد ففي مسند الإمام أحمد بن حنبل

---

(1) نجاح القابسي، مرجع سابق، ص 12و 17.

(2) علي مسعود البلوشي، "المسجد ومكوناته"، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ج 1، منشورات مصلحة الآثار، إصدار الدار العربية للكتاب، 1981 ص 16و 17. - حسين أمين، "المسجد المعهد الأول للتعليم عند المسلمين"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد الثاني والعشرون، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1968 - 1969، ص 16و17.

(3) علي مسعود البلوشي، المسجد ومكوناته، مرجع سابق ص 16.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): "من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيرًا أو ليعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله، ومن دخله بغير ذلك كان كالناظر إلى ما ليس له"[1].

ولم يكن الرسول (ﷺ) يعلم رفاقه القرآن والحديث فحسب، بل كان يعلمهم مسائل الاعتقاد والتوحيد. بالإضافة إلى ذلك كان الرسول (ﷺ) يبعث الدعاة والمدرسين من هذا المركز التعليمي، إلى القبائل العربية التي قبلت دعوته وطاعته وتعاليمه السمحة[2].

ونظراً للظروف الصعبة التي ظهر فيها الدين الإسلامي الجديد، كان مسجد الرسول بالمدينة مركزاً سياسياً وإدارياً، فالوفود القادمة من خارج المدينة استقبلها الرسول (ﷺ) في المسجد، ومن أمثلة ذلك الوفد من نصارى نجران، حين وفد إلى المدينة، استقبله الرسول (ﷺ) في المسجد، وأشرف بنفسه على إقامة أفراده في المسجد[3].

ولقد ورد في سيرة ابن هشام أن من بين النشاطات التي كانت تمارس في المسجد نشاطات ذات صبغة عسكرية، فقبل غزوة أحد ناقش الرسول أصحابه في خطبة الجمعة فيما إذا كانوا يريدون ملاقات العدو داخل أو خارج المدينة[4]، وهذا يوضح استخدام المسجد كمركز عسكري وصحي، فقد أورد الطبري أنه أثناء حرب الرسول (ﷺ) لقريش قد أمر بإقامة خيمة داخل المسجد لعلاج المرضى، فعندما جرح سعد بن معاذ في غزوة الخندق أمر الرسول بوضعه في هذه الخيمة، وقد عالجته سيدة تدعى (رفيدة) وهي التي كانت، تعني بالمرضى في هذه الخيمة[5].

ولم يقتصر دور المسجد، في بداية الإسلام، على هذه الأدوار بل تعداها إلى استخدام المسجد كمكان لحفظ المال وكمحكمة، فالهبات والصدقات والغنائم التي يقدمها المسلمون كانت جميعها، تحفظ في المسجد قبل توزيعها على المسلمين المحتاجين[6]. وكان من عادة الرسول مناقشة الكثير من القضايا وفض المنازعات القانونية، كما أن بعض الأحكام كانت تنفذ في المسجد.

وهكذا ضرب الرسول، (ﷺ) مثلاً رائعاً للاستفادة من المسجد في خدمة أغراض ووظائف كثيرة خدمة للمجتمع الإسلامي الجديد[7]. ومن استعراض هذه الأمثلة يتضح أن المسجد لم يكن مكاناً للعبادة فقط، ولكنه بالمعنى العام والشامل كان نقطة نشاط لكل ظروف الحياة[8].

---

(1) علي مسعود البلوشي، المرجع السابق، ص 16 . ـ نجاح القابسي، مرجع سابق، ص 14.

(2) NIAZI KAUSAR, ROLE OF THE MOSQUE, LAHORE. PAKISTAN, 1976, P. 19.
حسين أمين، مرجع سابق ص 16و 17.

(3) علي مسعد البلوشي، المسجد ومكوناته، ص 16، 17 ـ NIAZI, KAUSAR, P. 19.

(4) NIAZI THE ENCYCLOPEADIA OF ISLAM, SEE MASJID. PP. 330, 331, 347.
(نقلاً عن مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج 2، ص 350) KAUAZAR, P. 17

(5) علي مسعود البلوشي، المسجد ومكوناته، ص 17. ـ E. I. (SHORTER, PP. 331, 347.
ناريخ الطبري، ج 3، 1491. ـــ NIAZI KAUZR, P.20

(6) علي مسعود البلوشي، المسجد ومكوناته، ص 17، (نقلاً عن صحيح البخاري، ج 3، ص 182).

(7) حسين أمين، مرجع سابق، ص 16و 17.

(8) نجاح القابسي، مرجع سابق، ص 14.

وهكذا سار الخلفاء الراشدون، بعد وفاة الرسول، ومن بعدهم سار الخلفاء الأمويون والعباسيون، وحكام الأمصار الإسلامية على هدى الرسول، وأدت المساجد الجامعة في العواصم الإسلامية الوظائف التعليمية والثقافية والسياسية والحربية والصحية نفسها التي كان يؤديها مسجد الرسول بالمدينة[1].

أما من حيث الشكل البنائي للمسجد، الذي شيده الرسول بالمدينة، فقد اتخذ أنموذجاً معمارياً دينياً تعليمياً، شيدت على غراره الكثير من المساجد في جميع الأقطار الإسلامية الجديدة، مثل الكوفة والبصرة والفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة، ودمشق والقيروان وبرقة وطرابلس وأجدابيا وسلطان وشروس وغدامس وأوجلة وزويلة وغيرها من الحواضر الإسلامية بالمغرب الإسلامي، مثل فاس ومكناس ومراكش وتونس وقرطبة وأشبيليا وطليطلة[2].

استمر هذا النموذج المعماري في التطور منذ بداية الإسلام إلى يومنا هذا في كل الأقطار الإسلامية، من حيث تصميمه وزخرفته ومكوناته المعمارية، حسب المناطق الجغرافية والبيئة الثقافية والموروث الثقافي، وأسلوب المدارس المعمارية المتمثلة في المواد المستخدمة، والعناصر الزخرفية والقدرة التقنية، وتراكم الخبرة الإنشائية والموارد المالية، والهيئات الدينية والسياسية المشرفة على التشييد والبناء، غير أن هذا لا يخرجها عن الإطار العام والمكونات المعمارية الأساسية، مثل بيت الصلاة والمنبر والمحراب والمئذنة والمكونات المعمارية الأخرى الضرورية.

دور المباني الدينية المختلفة في نشر التعليم الديني في ليبيا :

الكتاتيب:

من المتعارف عليه أن اللبنة الأولى لتعليم الأطفال في ليبيا إسوة بالبلاد العربية والإسلامية الأخرى، كانت الكتاتيب التي عادة ما تكون في مبنى صغير ملحق بالمساجد والجوامع، على اعتبار أن الذين يلتحقون بها وهم أطفال صغار تتراح أعمارهم ما بين سن الخامسة والسادسة عند التحاقهم بهذه الكتاتيب، وتستمر دورة تعليمهم إلى نحو سن الحادية عشر والثانية عشر. وقامت هذه الكتاتيب بدور بارز في نشر التعليم الديني بهذا البلد[3].

ومن أشهر الكتاتيب، في مدينة طرابلس، كتاب الزرقاني بجامع محمود خازندار، وكتاب جامع الحطاب، وكتاب جامع بن صوان، وكتاب جامع سيدي سالم المشاط، وكتاب جامع عزي، وكتاب جامع حورية (الميلادي)، وكتاب جامع بن موسى، وكتاب جامع الدروج، وكتاب مسجد النخلي، وكتاب مدرسة الكاتب، كتاب جامع سيدي المرغني بمنطقة الحشان بطرابلس، ولا تخلو قرية أو مدينة صغيرة أو كبيرة في جميع أنحاء ليبيا من كتاب لتحفيظ القرآن ولتعليم أسس الدين الإسلامي.

---

(1) حسين أمين، مرجع سابق، ص 17و 23.

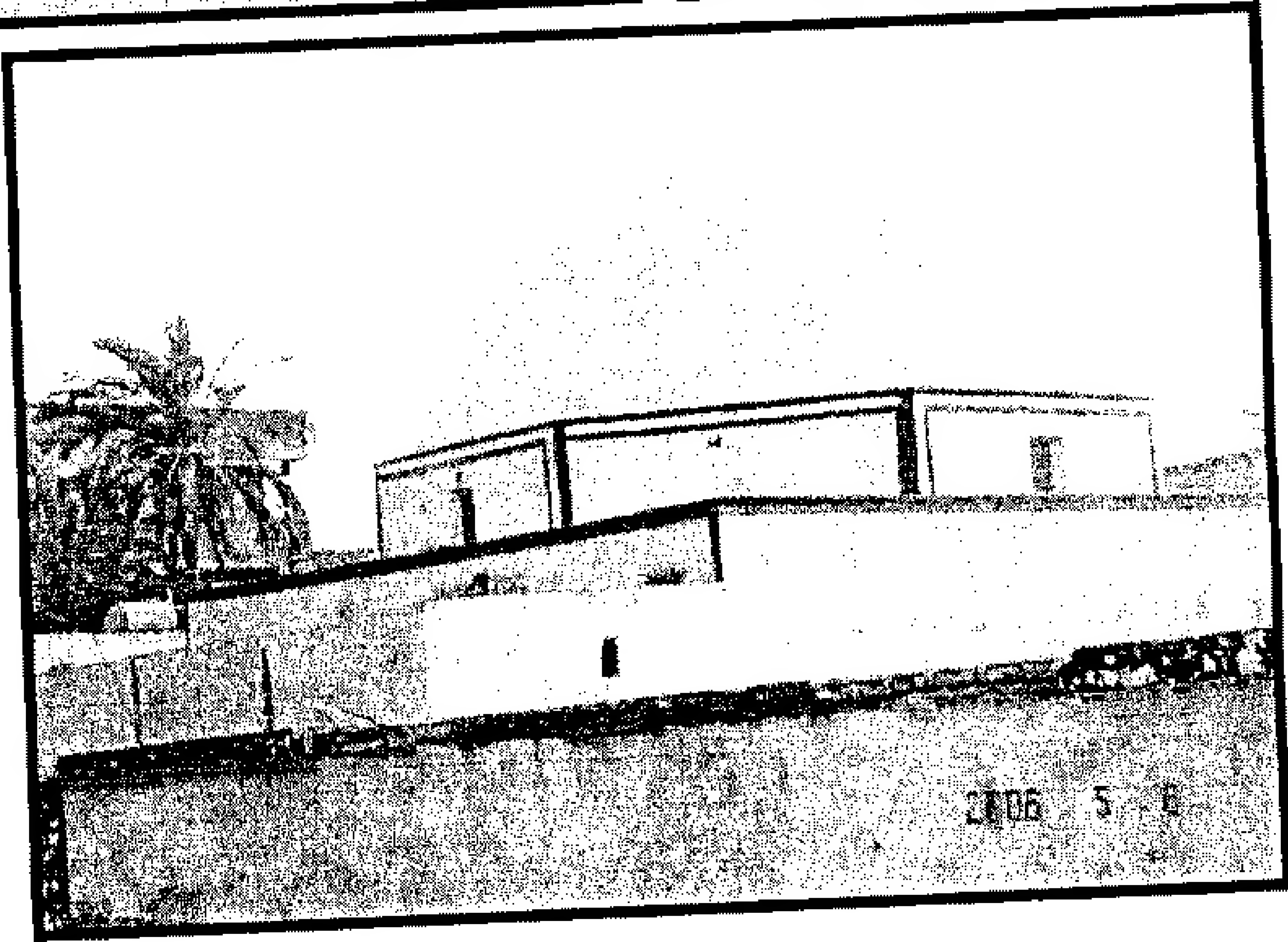
(2) المرجع نفسه، ص 23.

(3) نجاح القابسي، مرجع سابق، ص 13 و 14 ـ عبد الحميد عبد الله الهرامة، "الحياة العلمية بالجبل الغربي في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين"، مجلة البحوث التاريخية، السنة السادسة، العدد الأول، يناير 1984، من منشورات جامعة الفاتح، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ص 104.

ومن الملاحظ أن فتح هذه الكتاتيب هو عمل تطوعي يقوم به الأهالي وخارج عن سيطرة الدولة، وأن من يقوم بتأسيسها والإشراف عليها هي جهات أهلية وشعبية غيورة على نشر التعليم الديني وتحفيظ القرآن، ومن أجل مصلحة أطفال الحي أو القرية أو الشارع أو النجع، ويقوم بالتعليم والتحفيظ والتدريس فيها معلمون من حفظة القرآن الكريم، نظراً لحبهم لوطنهم وغيرتهم وحرصهم على حماية وحفظ القرآن، وتهذيب الأطفال وتعليمهم، وخاصة في القرى والنجوع النائية، التي غالبًا لا تصل إليها الخدمات التعليمية التي تحظى بها المدن والقرى الكبيرة وذات الكثافة السكانية العالية، ويقوم هؤلاء المعلمون بهذه المهمة التعليمية أحياناً بأجر، وأحياناً أخرى بدون أجر، أو بأجر بسيط يدفعه أولياء الأمور متفق عليه، من هبات نقدية أو عينية، في المناسبات الدينية والقومية، حيث يفرح أولياء الأمور باجتياز أبنائهم لمرحلة تعليمية مهمة، وحفظهم القرآن أو أجزاء عديدة منه[1].







كتاب جامع سيدي المرغني بمنطقة الحشان بطرابلس

(1) نجاح القابسي، مرجع سابق، ص 13 ـ عبد الحميد عبد الله الهرامة، مرجع سابق، ص 104.

وبعد هذه المرحلة التعليمية الأولى ينتقل بعدها الطلاب إلى المسجد لتلقي علوم ومعارف المرحلة التعليمية التي تليها، وهو الأمر المتعارف عليه في كل الأقطار العربية والإسلامية في التدرج في تعلم المعارف والعلوم الدينية المختلفة[1]. وفي هذه المرحلة التعليمية الثانية، وتلك التي تليها، يتحدد نوع التعليم الديني الذي سيتخصص فيه الطالب، حسب الوظيفة التدريسية التي سيقوم بها بعد انتهاء تعليمه[2]، كما سيتعود الطالب على نوع المصطلحات العلمية الفقهية وعلى سماعها في أروقة المساجد والجوامع والمعاهد العلمية والصفة العلمية التي ستعطي له أثناء التعلم وبعد التخرج، مثل مدرس، نائب مدرس، فقيه، واعظ، إمام، خطيب، قاضي، مفتي، معيد، صاحب (صاحب أو أصحاب يعني أتباع الأستاذ)، مناظر، محدث، متكلم، وصوفي[3]. وكل مصطلح من هذه المصطلحات العلمية الدينية له مدلوله العلمي والوظيفي.

وفي هذه المساجد والجوامع والمعاهد العلمية تعلم ونبغ الكثير من العلماء، واللغويين والمفكرين والفقهاء. وأدت الكثير من الجوامع، التي اشتهرت بحلقات العلم، من جوامع ومعاهد في مدينة طرابلس مثل جامع الناقة، جامع درغوت، جامع أحمد باشا القرمانلي، جامع مصطفى قرجي، ومدرسة عثمان باشا الساقزلي، ومدرسة الكاتب ومدرسة ميزران بطرابلس وجامع سيدي عبد السلام الأسمر بزليطن وغيرها من المنارات العلمية في مدن مختلفة من ليبيا.

وقديماً كانت هناك العديد من المنارات، مثل جامع طرابلس الأعظم، والمدرسة المستنصرية، التي ذاعت شهرتها في العصر الحفصي، ونالت إعجاب الكثير من الرحالة ومنهم العبدري، وكذلك جامع أجدابيا والجغبوب، والذي حدث في ليبيا هو نفسه الذي حدث في الكثير من الحواضر الإسلامية الأولى، مثل البصرة والكوفة وبغداد ودمشق والفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة المعزية، والقيروان، وتونس وفاس ومكناس ومراكش وقرطبة وإشبيليا وغرناطة وطليطلة، وكانت هذه المنارات هي النواة الأولى لنشأة المدارس الجامعة في العالم الإسلامي[4].

الربط (الربطات):

وبانتشار الإسلام في ربوع ليبيا والمغرب العربي الإسلامي، وما صاحب ذلك من تحد للفرنجة ومحاولاتهم منع تقدم انتشار الإسلام والمسلمين، وانتشار الحضارة الإسلامية كان لزاماً على حكام هذه الولايات والأمصار الإسلامية في شمال إفريقيا أن تقوم بتشييد العديد من الحصون في مناطق مختلفة من الشريط الساحلي لشمال إفريقيا يطلق عليها الربط، والتي هي ذات مواصفات معمارية خاصة للقيام بالدفاع عن ثغور الإسلام، وحمايتها من هجمات الفرنجة وأساطيلهم.

ويرابط في هذه المباني المرابطون والمدافعون عن حدود دولة الإسلام وقت الحروب، وفي أوقات الهدنة أو السلم يقوم المثاغرون بدراسة العلوم الدينية المختلفة، ومنها حفظ وتدريس القرآن

---

(1) نجاح القابسي، مرجع سابق، ص 12و 13.

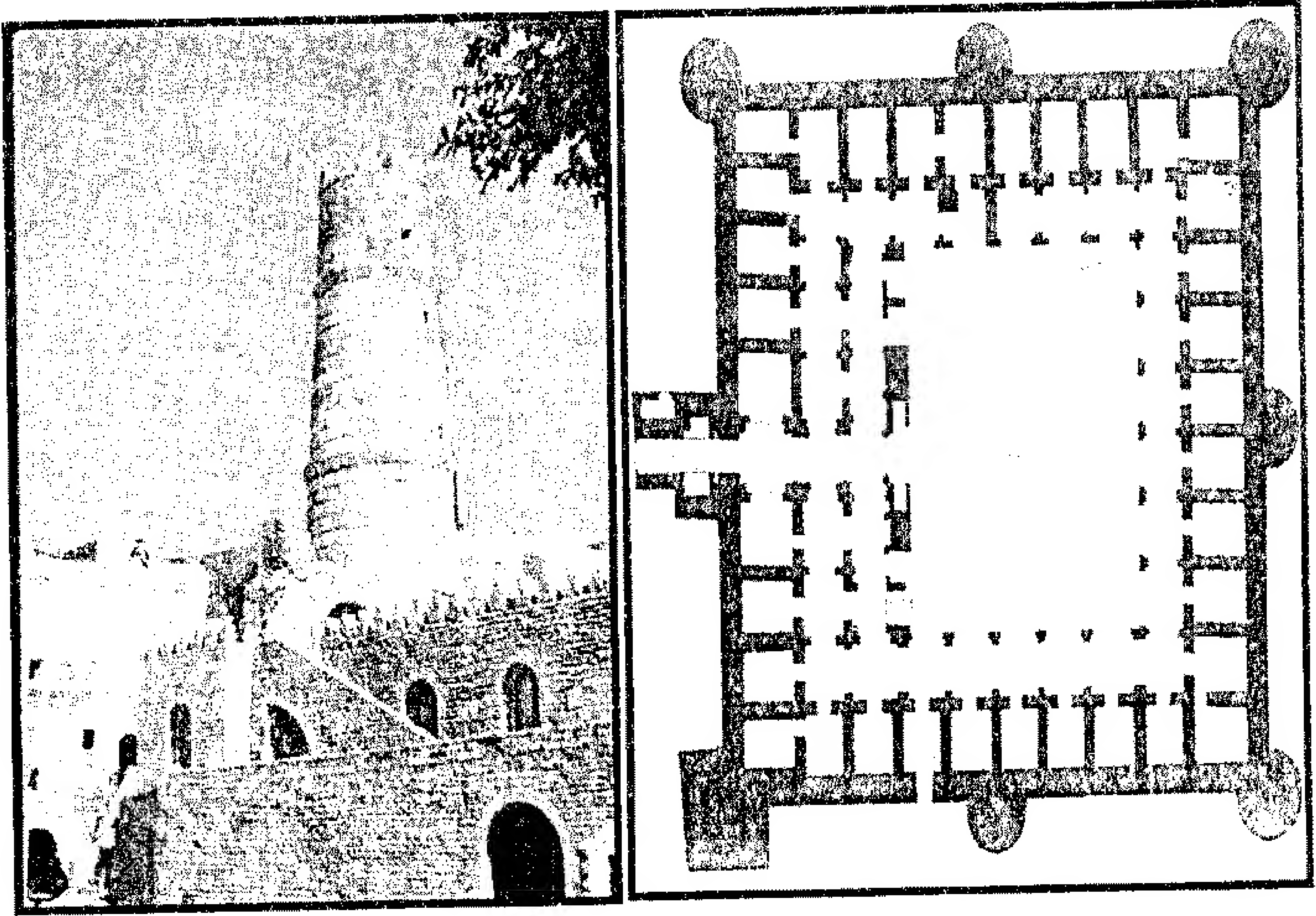
(2) GEORGE MAKDISI, PP. 10, 14.

(3) المرجع السابق، ص 10و 14.

(4) حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 22و 23و 24.

والحديث والتوحيد والفقه الإسلامي والفلسفة الإسلامية وتدريسها. وصار لهذه الربط أهمية كبرى في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية، وتنوير الأهالي بأمور دينهم ودنياهم.

وقد شيدت الدولة الأموية والعباسية والأغلبية سلسلة من الربط على طول سواحل شمال إفريقيا ومن بينها رباط طرابلس، الذي شيد في نحو 179هـ 795م، ورباط سوسة في الفترة ما بين سنة 184 ـ 206هـ/800 ـ821م، ورباط المونستير، وقصر الطوب في نحو 240هـ ـ 854م، وقصر سهل وقصر لمطه، وتبين المصادر التاريخية أن هرثمة بن أعين، الوالي العباسي، قد شيد بعضها في طرابلس[1]، وسواحل تونس (179هـ 795م)[2].



رباط سوسة ـ مسقط أفقي للدور الأرضي　　　　رباط سوسة من الداخل والمئذنة

وتوسعت الدولة الأغلبية في تشييد هذه الربط، وبعضها لا يزال في حالة جيدة من الحفظ والعناية بها من قبل المسؤولين، وتعطينا فكرة واضحة عن تكوينها المعماري ومفرداتها، والتي طوعت لتلائم حياة الجهاد والمرابطة، وحياة تلقي العلم في مساجدها الملحقة بها، ومن أشهرها رباط سوسة (أو قصر الرباط) ما يسمى حالياً في تونس.

ومن الفضائل التي اتصف بها الحكام أو الولاة المسلمون، في الدول التي توالت على حكم بلدان شمال أفريقيا اهتمامهم بتدريس العلوم الدينية عبر الفترات المتوالية، من بداية الإسلام وإلى

---

(1) للأسف الشديد أن رباط طرابلس قد اندثر ولم يعد له وجود.

(2) نجاح القابسي، مرجع سابق، ص 14 و 15.

الفترات الإسلامية المتأخرة، مروراً بالفترات المزدهرة من الأغلبية والفاطمية والزيزية والمرابطية والموحدية والحفصية، والمرينية والزيانية، والتي كانت سبباً في انتشار الإسلام والعلم والثقافة والمعرفة الإسلامية، في كل هذه الأمصار الإسلامية، وفي هذه الفترات والتي كانت ليبيا في أغلب الفترات المذكورة تكون جزءاً مهما من ولاياتها ومقاطعاتها، مما صبغ هذه الدول والشعوب بطابع الحضارة والثقافة الإسلامية.

الزوايا:

يُشيد مبنى الزاوية في العادة إلى جوار ضريح لشيخ جليل أو عالم ورع أو شهيد أو صوفي، وربما يشيد الضريح إلى جوار الزاوية في بعض الحالات. وغالباً ما يقوم بإنشائها الأهالي المحبون لهذا الشيخ أو ذلك العالم الورع أو الصوفي، وقد يحدث ذلك من قبل المريدين الذين يتحمسون لتخليد ذكرى هذه الشخصية الدينية. ويبدأ مشروع بناء الزاوية بداية متواضعة في مكوناتها المعمارية، ثم تأخذ هذه النواة المعمارية في التطور والتوسع، وذلك بازدياد نشاط القائمين عليها، وبازدياد الملتحقين بها، وكذلك بما يقوم به الأهالي والأفراد والعائلات الميسورة الحال من وقف لأملاك أو عقارات أو أراضي زراعية تحبس وتكون ذات عوائد اقتصادية كبيرة للإنفاق منها على مشاريع الزاوية التوسعية، وكذلك للإنفاق على الطلاب الذين وهبوا حياتهم لطلب العلم، وحفظ القرآن، والتفقه في الدين، ونشر المعرفة الدينية بين سكان المناطق المختلفة، وحيث يجد الطلاب المكان المناسب للإقامة والتعلم[1].

وتزداد شهرة زاوية ما بما يلتحق بها من علماء وفقهاء ومشايخ وصوفيين ومعلمين، ذوي شهرة عالية في علوم الدين، أو من ينضم إليها كذلك من متخصصين في مجالات معينة من فروع الفقه الإسلامي، فيقبل إليها الطلاب من مناطق بعيدة للعيش فيها والنهل من ينابيع معارف مشايخها وعلمائها.

وتبدأ هذه النواة المعمارية الدينية المباركة في التوسع المعماري فيزداد حجمها وتكثر حجراتها وخلاويها، ويضاف إليها، بالتدريج ومن آن إلى آخر مبان وملحقات أخرى خدمية، وسرعان ما تزداد مكوناتها المعمارية عامًا بعد عام إلى أن يتم توسيع المسجد الصغير، الذي يبني غالبًا إلى جوارها، والذي ما يلبث أن يصبح جامعاً كبيراً له ملحقاته المعمارية الخدمية[2].

فتشتهر هذه الزاوية بالتدريج وتصبح مقصد الزوار والمسافرين والمتعلمين والمتجولين والحجاج أيضًا، حيث يجدون الأمن والاستقرار والاطمئنان، وضالتهم المنشودة في النهل من العلم والإطعام والضيافة إذ تتوفر فيها الخدمات الدينية ومجانية التعليم[3].

---

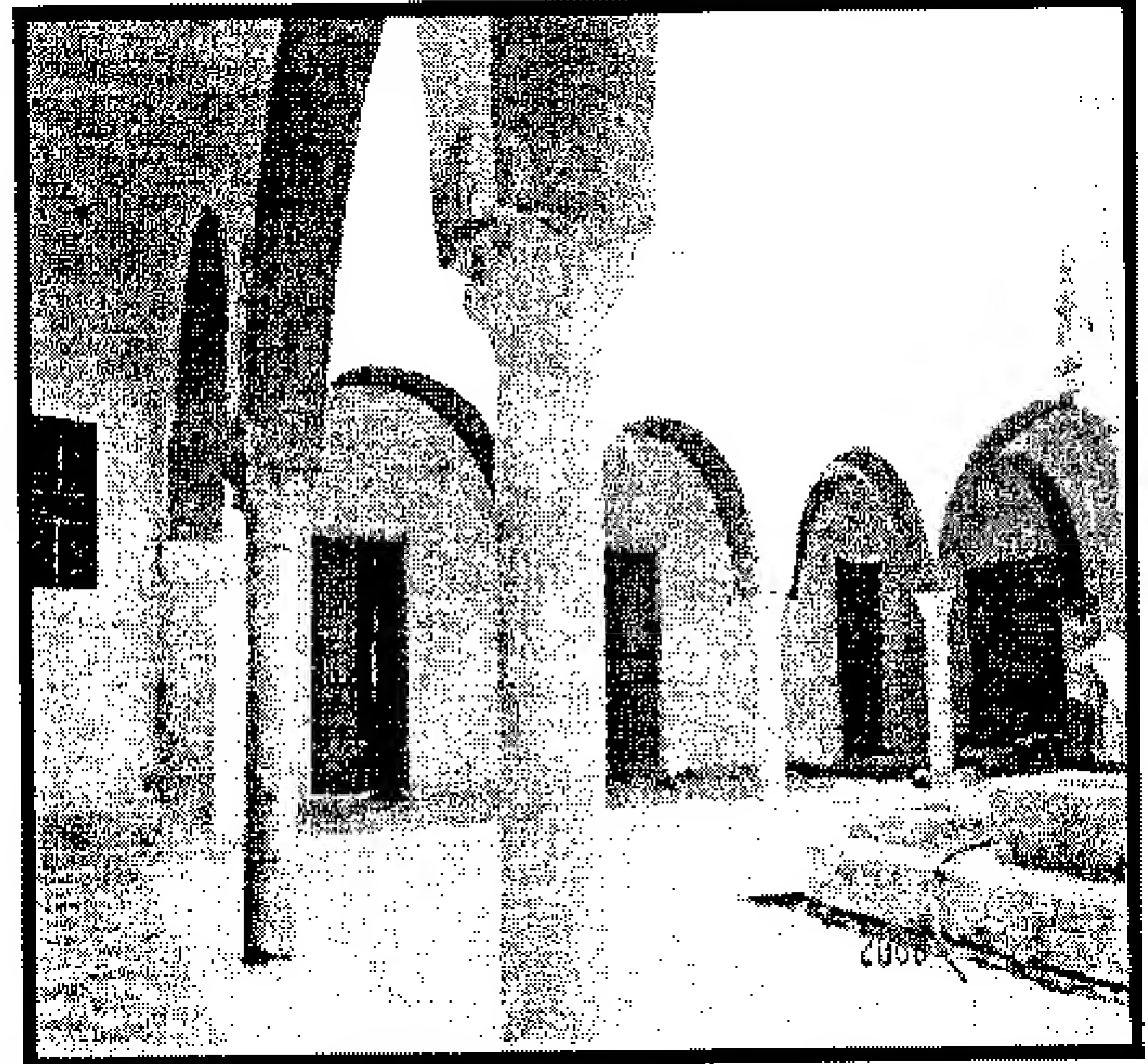
(1) الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، طرابلس، مطبعة النور، 1968، ص 164 و165. ــــ

ALI F. KHUSHAIM, ZARRUQ THE SUFI, GENERAL COMBANY FOR PUBLICATION, TRIPOLILIBYA, 1976, PP. 117, 119.

(2) ALI F. KUSHAIM, P. 199 ــــ الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص 165 و165.

(3) نجاح القابسي، مرجع سابق، ص 16 و 19.

وكان لهذه الزوايا المنتشرة في ربوع ليبيا الأثر الكبير في التعليم الديني وانتشاره، وبانتشار التعليم الديني ازدهرت المعرفة والثقافة، وتأليف الكتب ونسخ المخطوطات، وتنمية المكتبات الملحقة بها، مما ساعد على ترسيخ مفاهيم وأسس الحضارة الإسلامية في جميع أرجاء ليبيا، وذلك أن هذه المنارات العلمية خرجت الآلاف من طلاب العلم والمعرفة وحفظة القرآن، والعلماء والمشايخ، الذين انتشروا بدورهم في أرجاء البلاد واضعين معرفتهم وخبراتهم من أجل غيرهم ووطنهم، وذلك بإنشاء كتاتيب وزوايا ومدارس دينية، والتي تأخذ، في فترة لاحقة مجرى التطور نفسه الذي مرت به الزوايا العريقة.



زاوية سيدي علي الفرجاني - الصحن



المدخل والواجهة الأمامية للزاوية

وتنسب الزوايا إلى الطريقة الصوفية التي تنتهجها، مثل الطريقة القادرية أو الشاذلية أو الزروقية، نسبة إلى كل من عبد القادر الجيلاني، أحد أولياء بغداد (ت 562هـ — 1161م).

وأبي الحسن الشاذلي (ت 656 هـ — 1258م)، وهو تونسي الأصل لكنه هاجر إلى الشرق حيث ذاعت شهرته وطريقته في التصوف[1]. والشيخ الزروق الذي ولد في المغرب سنة 846هـ — 1442م، وتوفى سنة 899هـ في مصراتة بليبيا[2]. وهذه الطريقة الصوفية هي فرع من الطريقة الشاذلية والشيخ الزروق من أتباعها والمدافعين عنها[3]، وزاويته في مصراته تتبع هذه الطريقة الصوفية وربما شيدت بعد وفاته بنحو عقدين[4].

---

(1) المرجع السابق، ص 17 و19.

(2) ALI F. KHUSHAIM, P. 100.

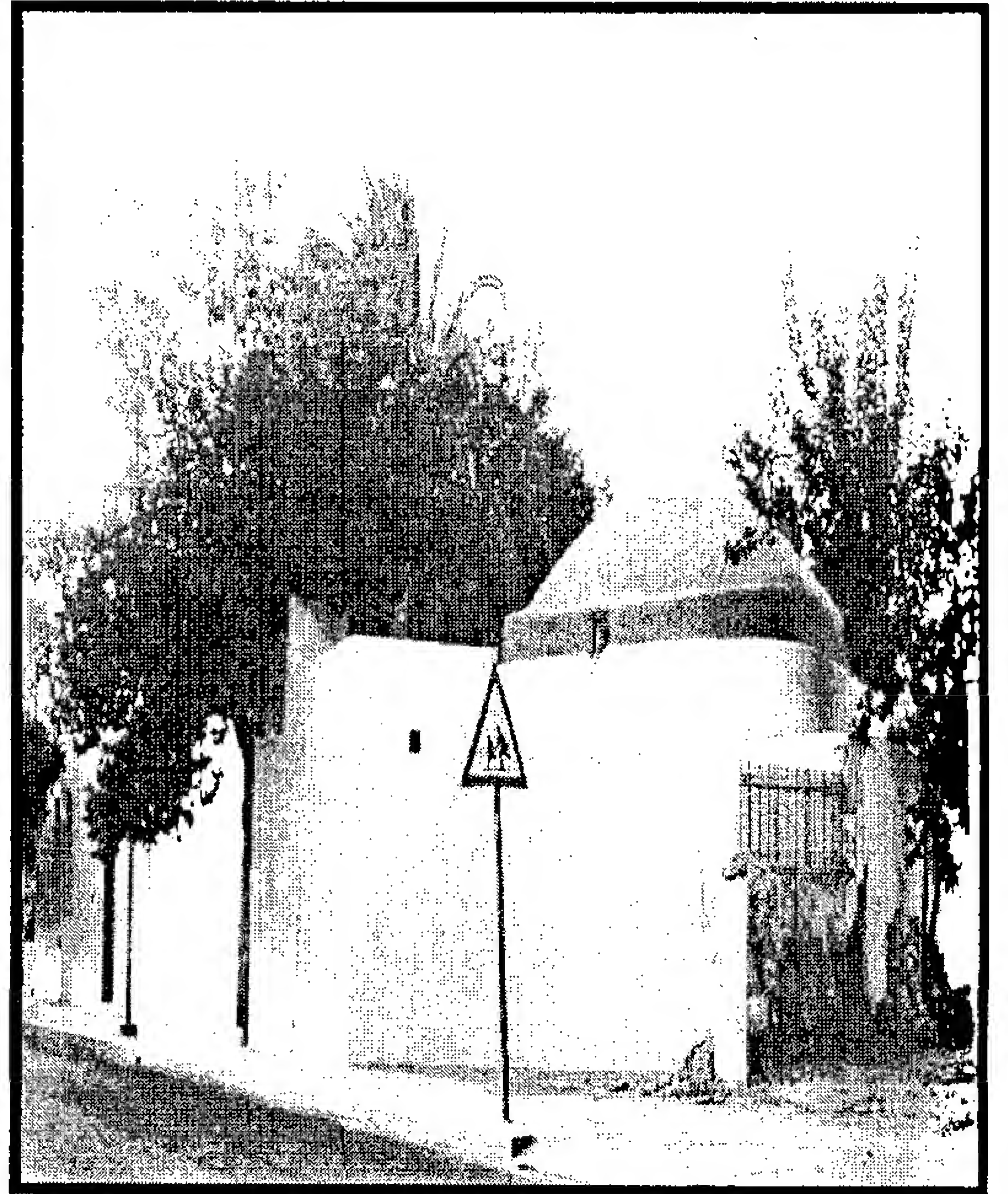
(3) ولد في يوم 22 محرم 846 هـ - يونيو (الصيف) 1442، واسم الشيخ هو (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد ابن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي) وتوفي في سنة 899هـ - طاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص 125. ALI F. KHUSHAIM P. 100 -

(4) المرجع السابق ص 110.

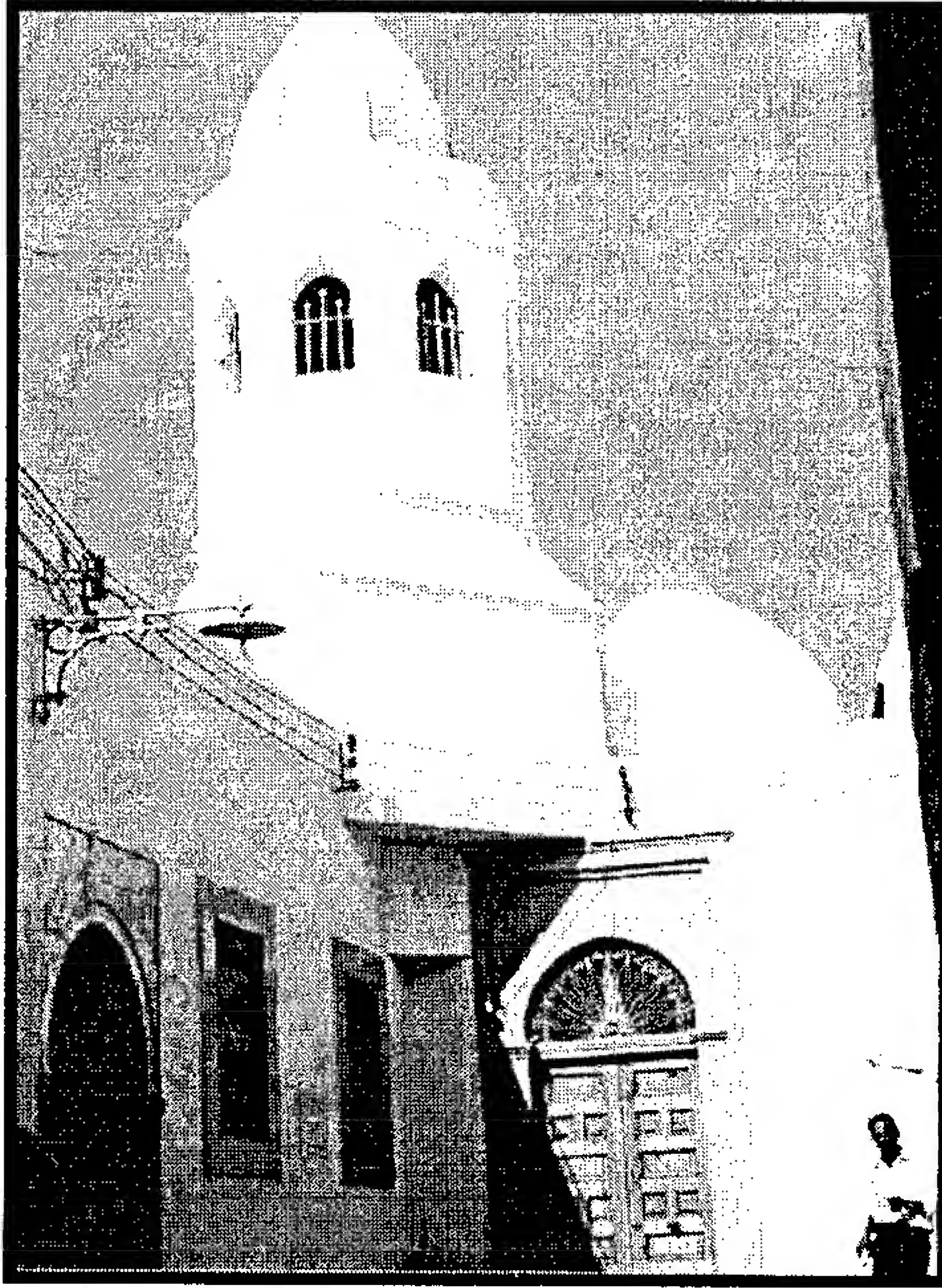
والزاوية القادرية بجوار جامع الناقة بطرابلس تتبع الطريقة الصوفية المنسوبة إلى عبد القار الجيلاني، كما أن بعض أسس الطريقة القادرية تشترك مع أسس الطريقة الشاذلية في تكوين أسس الطريقة الزروقية[1]. وأصبح للطريقة الزروقية فروع في مناطق مختلفة من ليبيا وغيرها، ومنها العيساوية والسنوسية وغيرها من الفروع التي وصلت إلى ثلاثة عشر فرعًا[2].

وتزخر مدينة طرابلس بوجود العديد من الزاويا التي اشتهرت بها وذاع صيتها ومنها:

الزاوية الكبيرة، الزاوية الصغيرة، الزاوية القادرية، زاوية المكني، زاوية سيدي عطية الفلاح، وزاوية سيدي يعقوب والزاوية السنوسية بطرابلس.



زاوية الشيخ الماعزي ـ الضاحية الشرقية لمدينة طرابلس

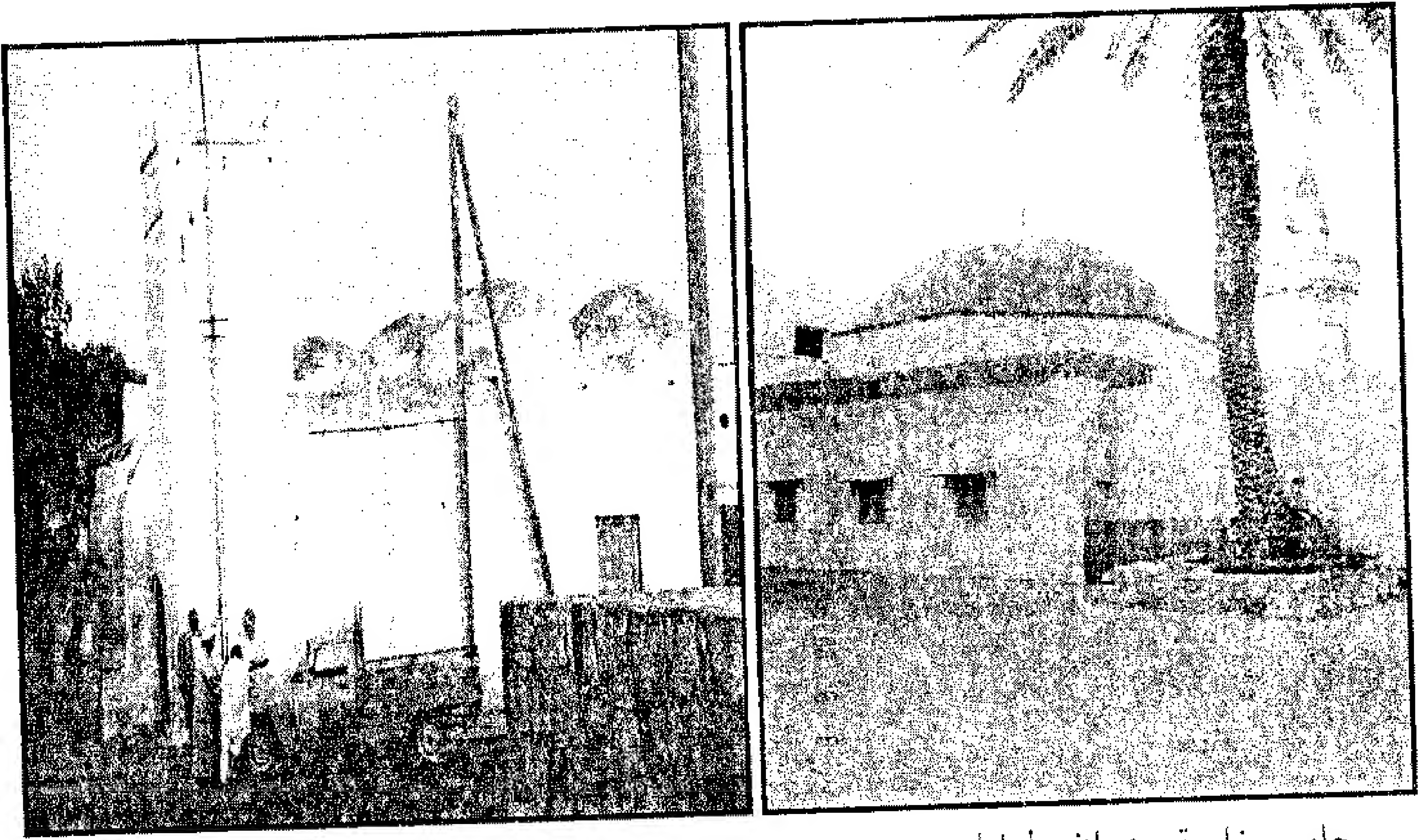


الزاوية القادرية بالمدينة القديمة بطرابلس

في ضواحي مدينة طرابلس هناك زاوية الشيخ الماعزي وزاوية الدامر وبن حسين، وزاوية ميزران وزاوية سيدي البشت والكتاني، وزاوية سيدي المصري.

(1) المرجع نفسه ص 100 و 101 و 105.

(2) المرجع نفسه ص 111 و 117.



جامع وزاوية ميزران بطرابلس

جامع وزاوية البشت والكتاني

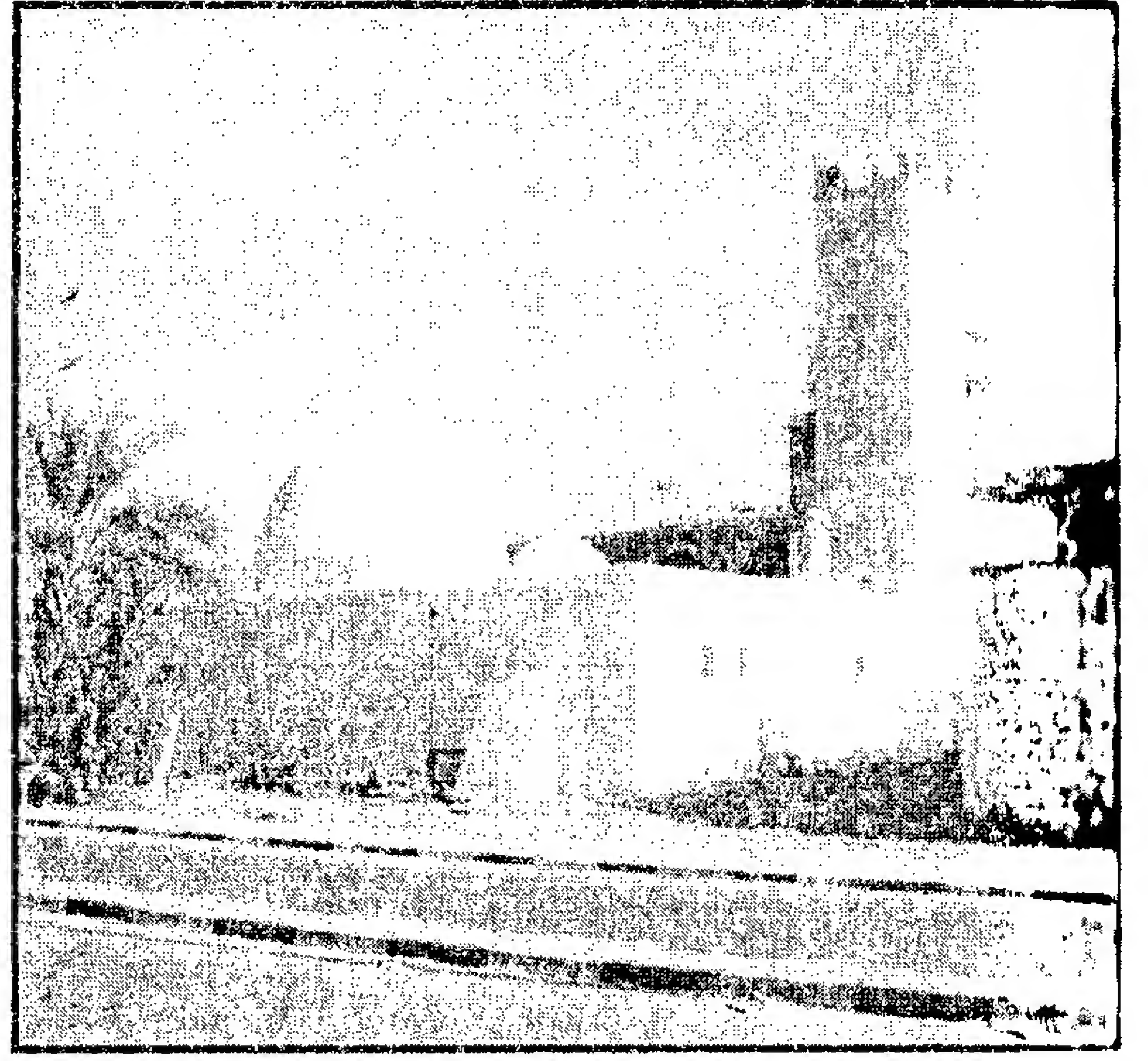
وفي منطقة جنزور اشتهرت العديد من الزوايا منها: زاوية بو جعفر، زاوية المشاط، زاوية بن حسين والعريفي، زاوية عمورة، واشتهرت في مدينة الزاوية، الزاوية الغربية، زاوية ابن حمزة، زاوية ابن شعيب، زاوية أولاد يربوع، زاوية أولاد سهيل[1]، وزاوية أولاد سنان، والتي يرجعها بعض الكتاب إلى القرن الثاني عشر ميلادي[2].



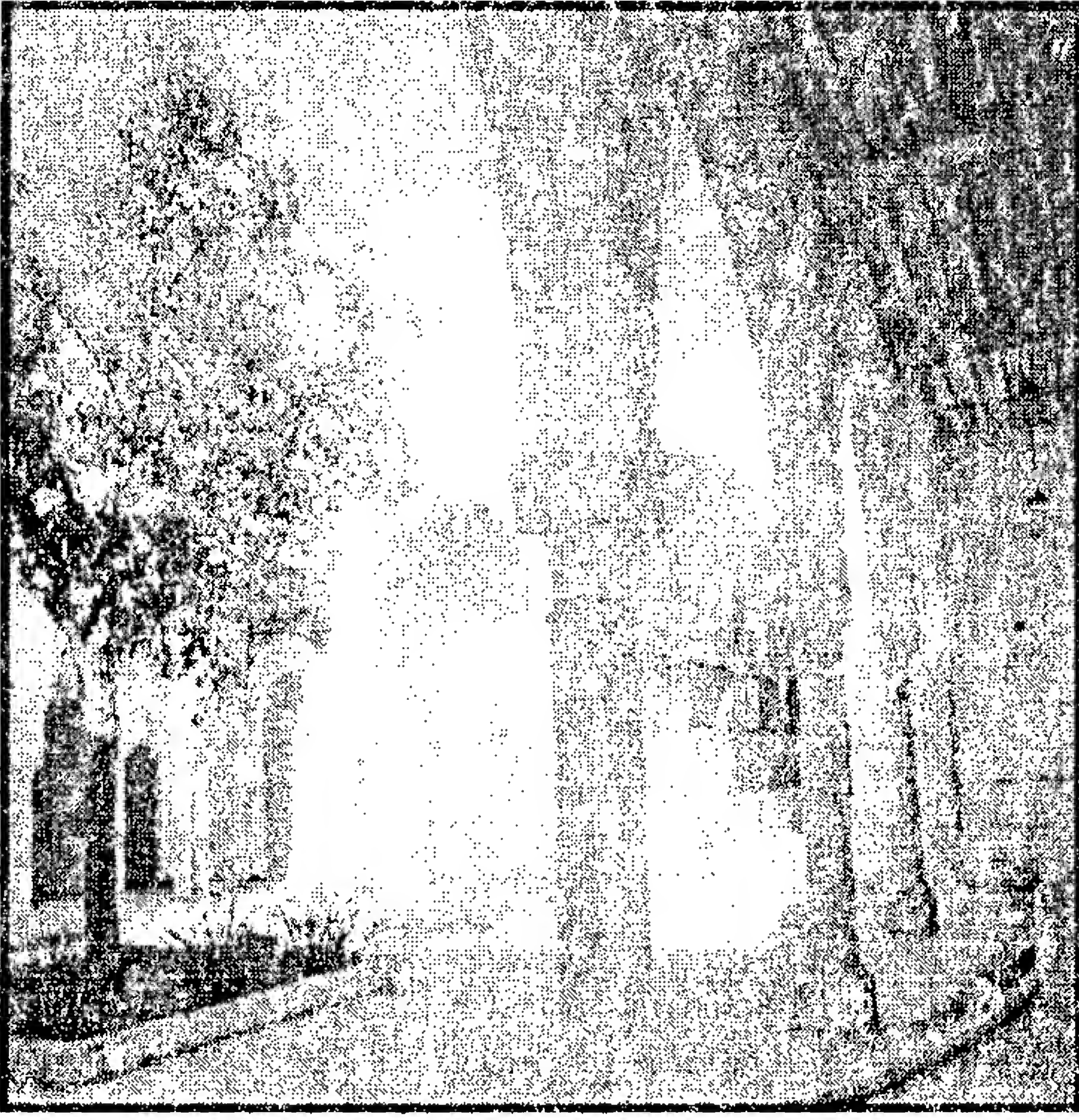
زاوية بن حسين والعريفي ـ الواجهة والمدخل

زاوية بن حسين والعريفي ـ الصحن

(1) الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص 149 ـ 158 ـ نجاح القابسي، مرجع سابق، ص 19.
(2) الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، 150 و151 ـ 154 ـ نجاح القابسي، ص 19.

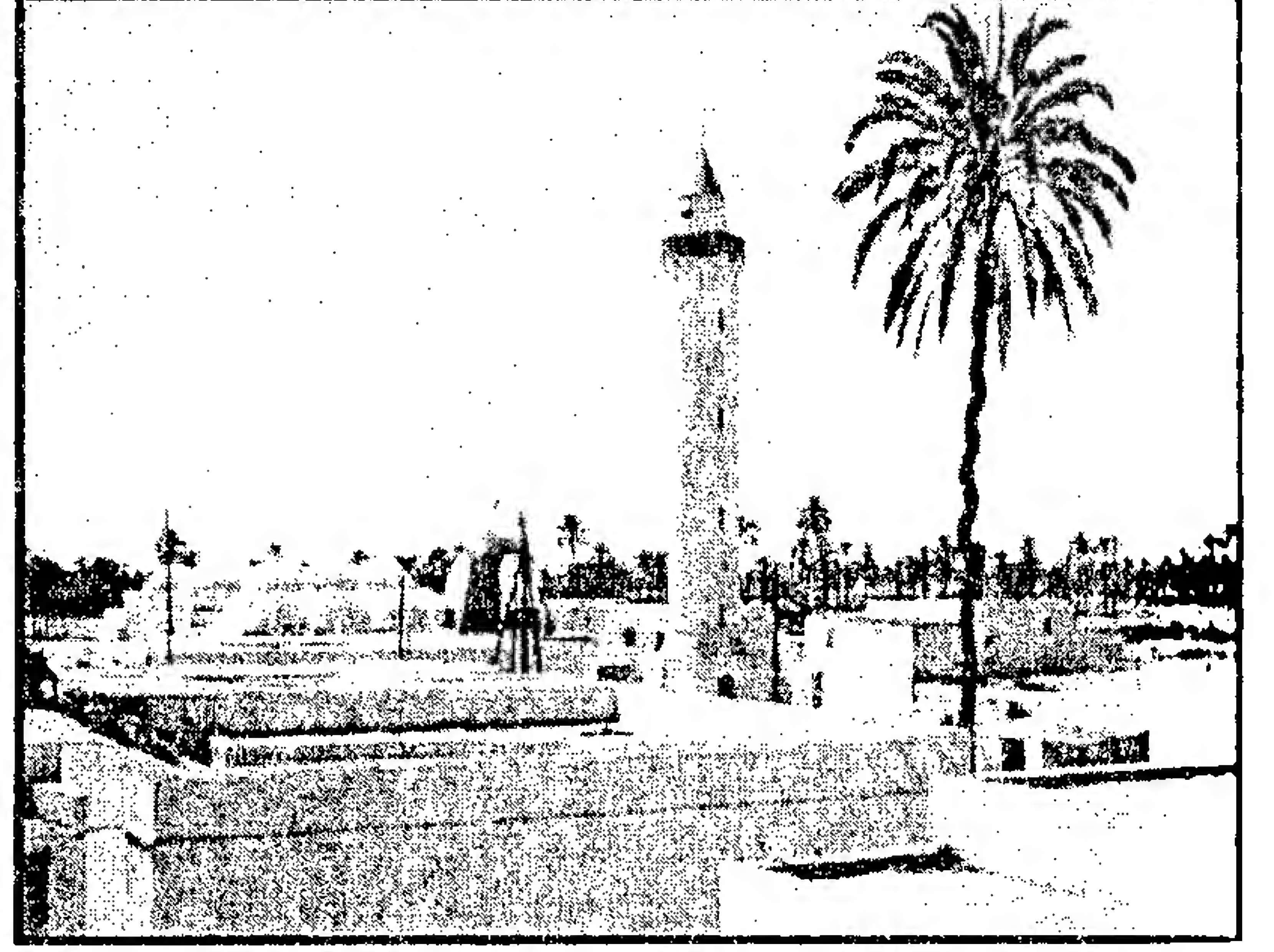


زاوية عمورة بجنزور ـ منظر خارجي

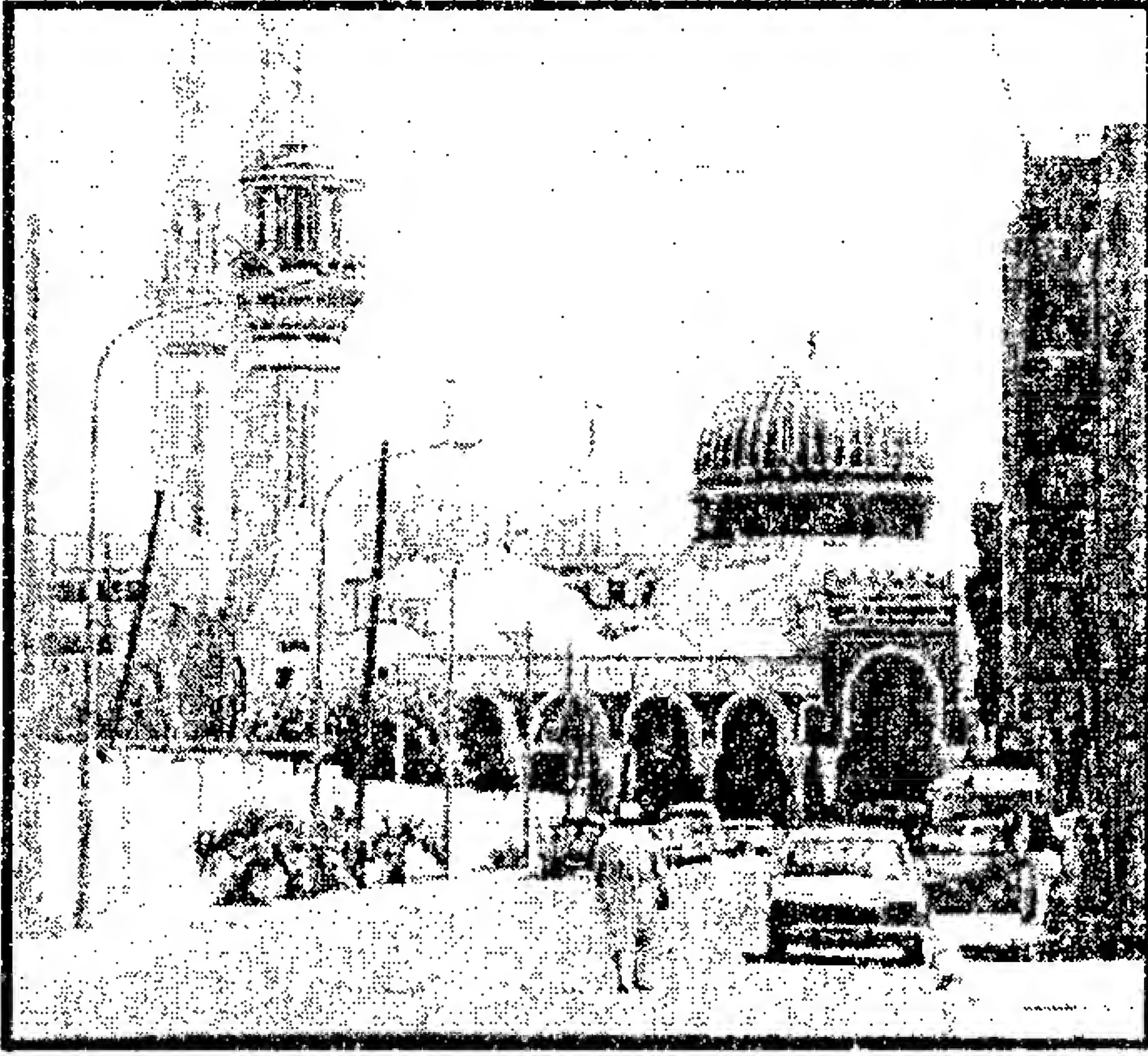


صحن الزاوية وقبة المسجد

وفي المناطق المختلفة شرق طرابلس وعلى امتداد الساحل، زاوية أبي راوي بتاجوراء، زاوية ن.وكالي، زاوية يوسف الجعراني بمسلاته، وزاوية سيدي علي الفرجاني في الخمس وساحل لأحامد، وزاوية السبعة وزاوية سيدي عبد السلام الأسمر، وزاوية الباز بزليطن، وزاوية الزروق، وزاوية ابن غلبون، وزاوية المحجوب بمصراتة[1].



زاوية سيدي عبد السلام الأسمر والجامع القديم بزليطن



المجموعة المعمارية الحديثة للزاوية والجامع والضريح

وفي الإقليم الشرقي في ليبيا اشتهرت زاوية البيضاء التي تأسست في نحو 1257 هـ ــ 1843م[2]، وزاوية الجغبوب وفروعها السنوسية المنتشرة في مناطق مختلفة من ليبيا، ومنها زاوية التاج في الكفرة، ودول صحراء إفريقيا ومصر والحجاز اليمن[3].

---

(1) الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص 164 ـ 167 و317 ــ ALI F. KHUSHAIM, P. 111.

(2) عبد الحميد عبد الله الهرامة، مرجع سابق، ص 104 ـ الطاهر أحمد الزاوي، ص 161.

(3) المرجع السابق، ص 103 و 107 و 161.

واشتهرت في الجبل الغربي الكثير من الزوايا، وصارت لها شهرة كبيرة في البلاد وخرجت الكثير من العلماء وحفظة القرآن، وأقبل عليها طلاب العلم من كل حدب وصوب.

ومن هذه الزوايا، زاوية "أبو ماضي" التي يرى بعض الكتاب أنها تأسست في نحو القرن الثاني عشر الميلادي في ككلة[1]، كما اشتهرت زاوية العالم (الباقول) في بلدة الرياينة، والتي تأسست في أواخر القرن الثامن عشر أو بداية القرن التاسع عشر[2]، وزاوية السني بمزدة، وزاوية طبقة بالزنتان، وزاوية الطواهرية في أبي زيان، وزاوية الباروني، وزاوية الفقهاء، وزاوية العميان، وزاوية قرزة وغيرها الكثير من الزوايا[3]، وكان طلاب هذه الزوايا يدرسون القرآن الكريم وتفسيره والفقه والحديث والسيرة واللغة والتوحيد والفرائض والتصوف وحتى التنجيم والتاريخ[4].

وتعتبر زاوية أبي ماضي من أشهر الزوايا في هذه المنطقة وتحديداً في ككلة قرب جبل يدعى (أبو ماضي)، وتنسب إليه هذه الزاوية. وذكر عبد الحميد الهرامة أن الروايات تختلف في فترة تأسيسها ومؤسسها، إذ يرى بعض الكتاب أن عبد المولى الصنهاجي هو الذي أسسها، وبعضهم الآخر يرى أن عبد النبي الجبالي الأصفر المقبور في الزاوية هو الذي كان وراء تأسيسها، وهو من سلالة عبد المولى المذكور[5].

كما اشتهرت كذلك زاوية العالم التي تقع قرب وادي يطلق عليه (وادي الباقول) وأحياناً يطلق عليها زاوية الباقول. وقد أشار إلى تأسيسها محمد العالم البوسيفي، وهو من أرلاد عبد النبي أبي سيف. وقد شارك الأهالي في تأسيسها في بلدة الرياينة والخلايفة بحملات تطوعية، واستمر بناؤها نحو عشرين سنة[6].

ويشير كل من الشيخ الطاهر الزاوي و الدكتور عبد الحميد الهرامة إلى أن للزاوية أوقافًا كثيرة، ووكلاء كانوا يعملون على تنمية حاصلاتها، ويربون لها الماشية، وكان أمر الإشراف عليها لأولاد عبد النبي الثالث بن عبد النبي أبي سيف، الذي يرجع إليه نسب مؤسس الزاوية[7].

---

(1) عبد الحميد عبد الله الهرامة، المرجع السابق، ص 104.

(2) المرجع السابق، ص 104 ـ الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص 159.

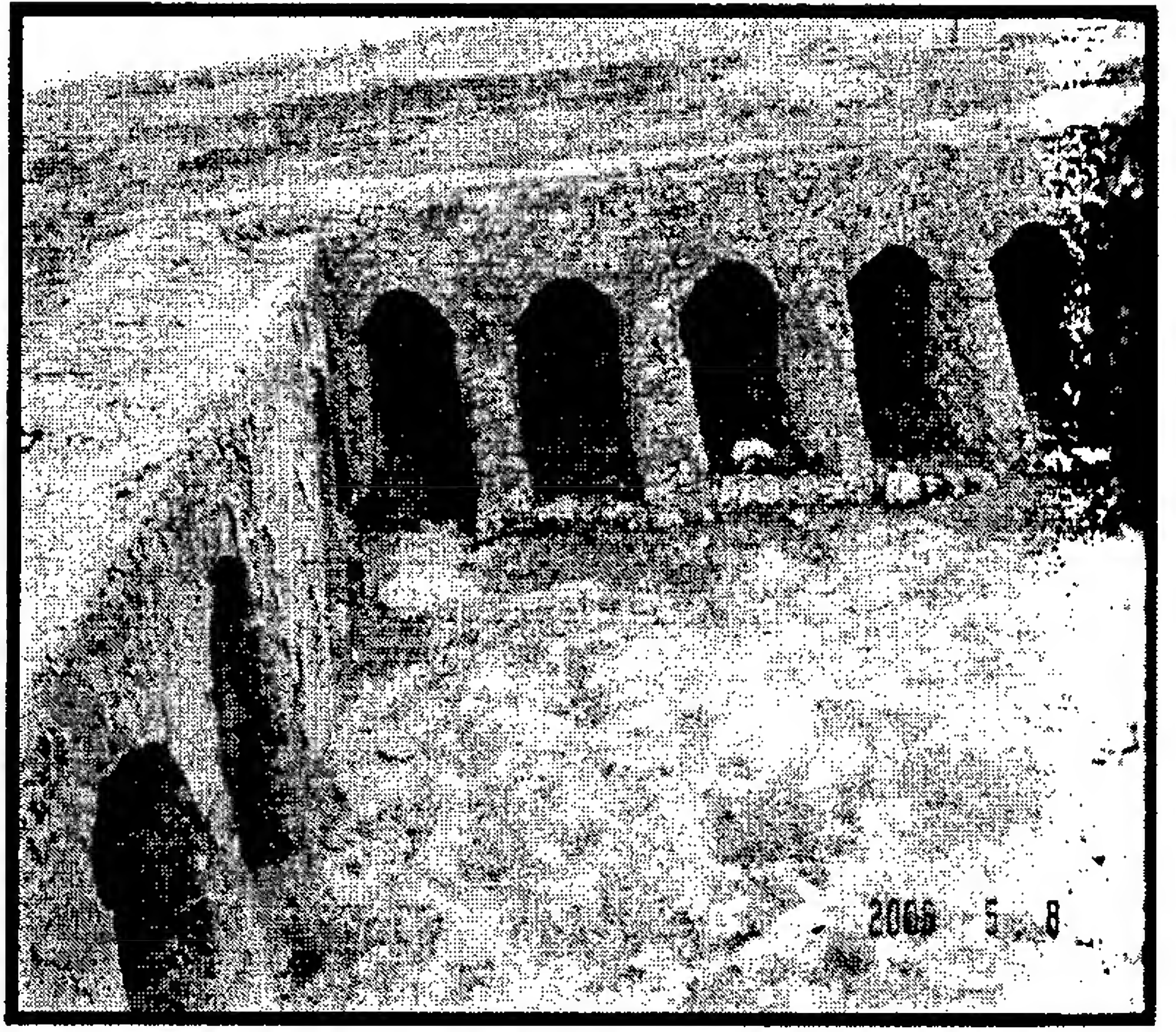
(3) المرجع السابق، ص 162 و163 ـ عبد الحميد عبد الله الهرامة، مرجع سابق، ص 106و 107.

(4) المرجع نفسه.

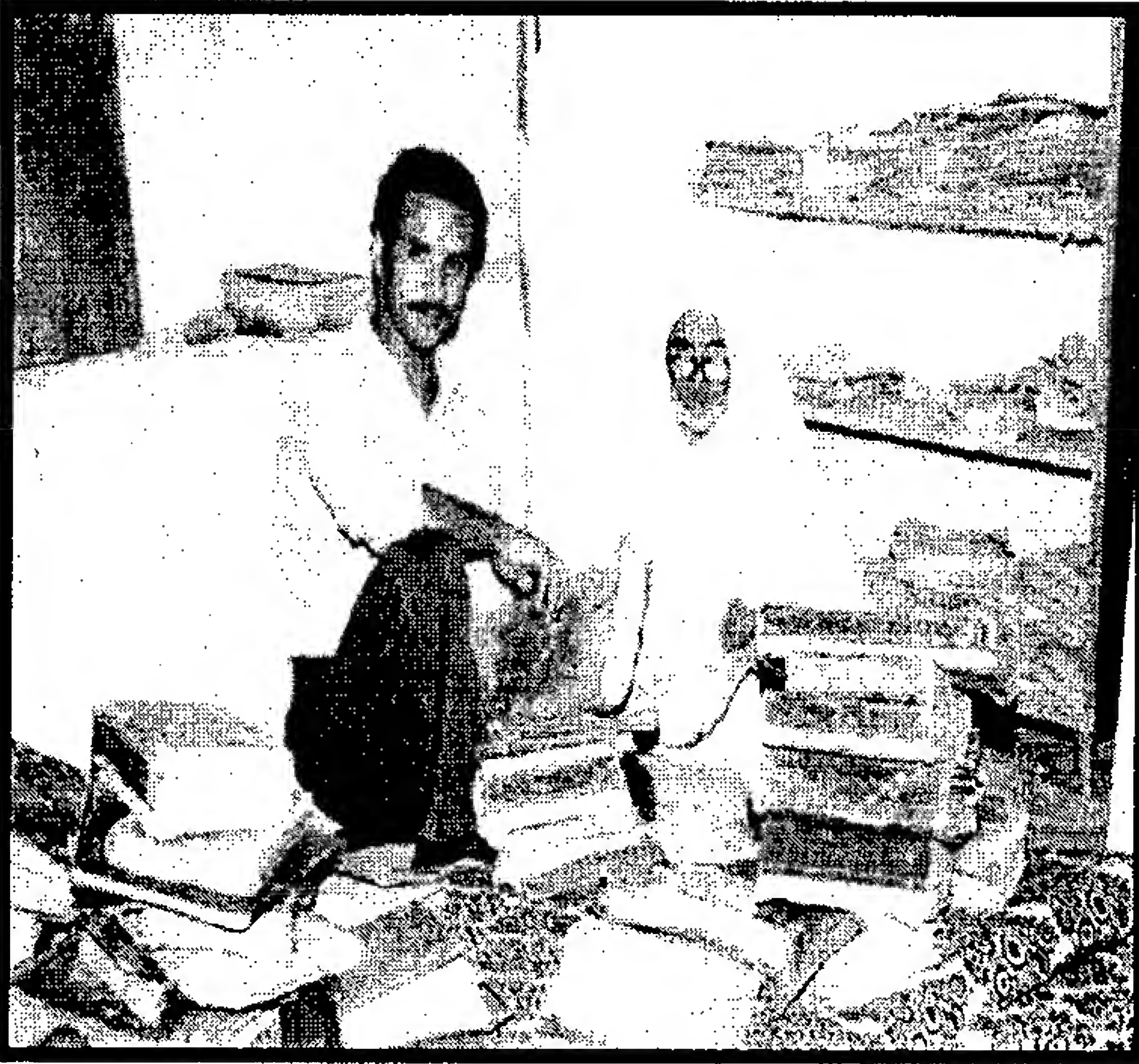
(5) المرجع نفسه، ص 107 ـ الطاهر أحمد الزاوي، ص 160 و161.

(6) عبد الحميد عبد الله الهرامة، ص 109 ـ الطاهر أحمد الزاوي، ص 159.

(7) عبد الحميد عبد الله الهرامة، ص 109 ـ الطاهر أحمد الزاوي، ص 159.



زاوية العالم ـ الصحن والأروقة ببلدة الريانية



وكيل الزاوية الدكتور علي البلوشي في مكتبة الزاوية

وقد زار كاتب هذا الفصل الزاوية في سنة 1976، وقام بدراستها معمارياً، وبتصويرها وتوثيقها، والتعرف على وكيلها ومجموعة المخطوطات التي في مكتبتها، وكانت في حالة جيدة كما قمت بزيارتها بعد نحو ثلاثين سنة وتحديدًا في 8ـ5ـ2006، وأصبحت في حالة يرثى لها وشيد إلى جوارها مسجد حديث له قبة ومئذنة، وبعض الحوانيت، والله يعلم ما حل بمخطوطاتها.

المدارس النظامية :

تأسست في العهد العثماني والقرمانلي في طرابلس عدة مدارس، كان لها الفضل والأثر الكبير في النهوض بالتعليم الديني في ليبيا عامة، وخاصة في منطقة طرابلس ومن هذه المدارس:

مدرسة عثمان باشا الساقزلي: تأسست على يدي والي الولاية عثمان الساقزلي في سنة 1654م والذي تولى حكم هذه الإيالة العثمانية في الفترة ما بين سنة 1649 وإلى سنة 1672. تعتبر هذه الزاوية من أكبر المدارس في مدينة طرابلس القديمة وأشهرها، وتحتوي على نحو 16 خلوة، وبها مسجد صغير مسقوف بقبة، وروضة المؤسس، وهي كذلك مسقوفة بقبة كما توجد كذلك مقبرة مفتوحة من ضمن هذه المجموعة المعمارية، ومازالت هذه المدرسة تقوم بدورها في تحفيظ القرآن والتعليم الديني.

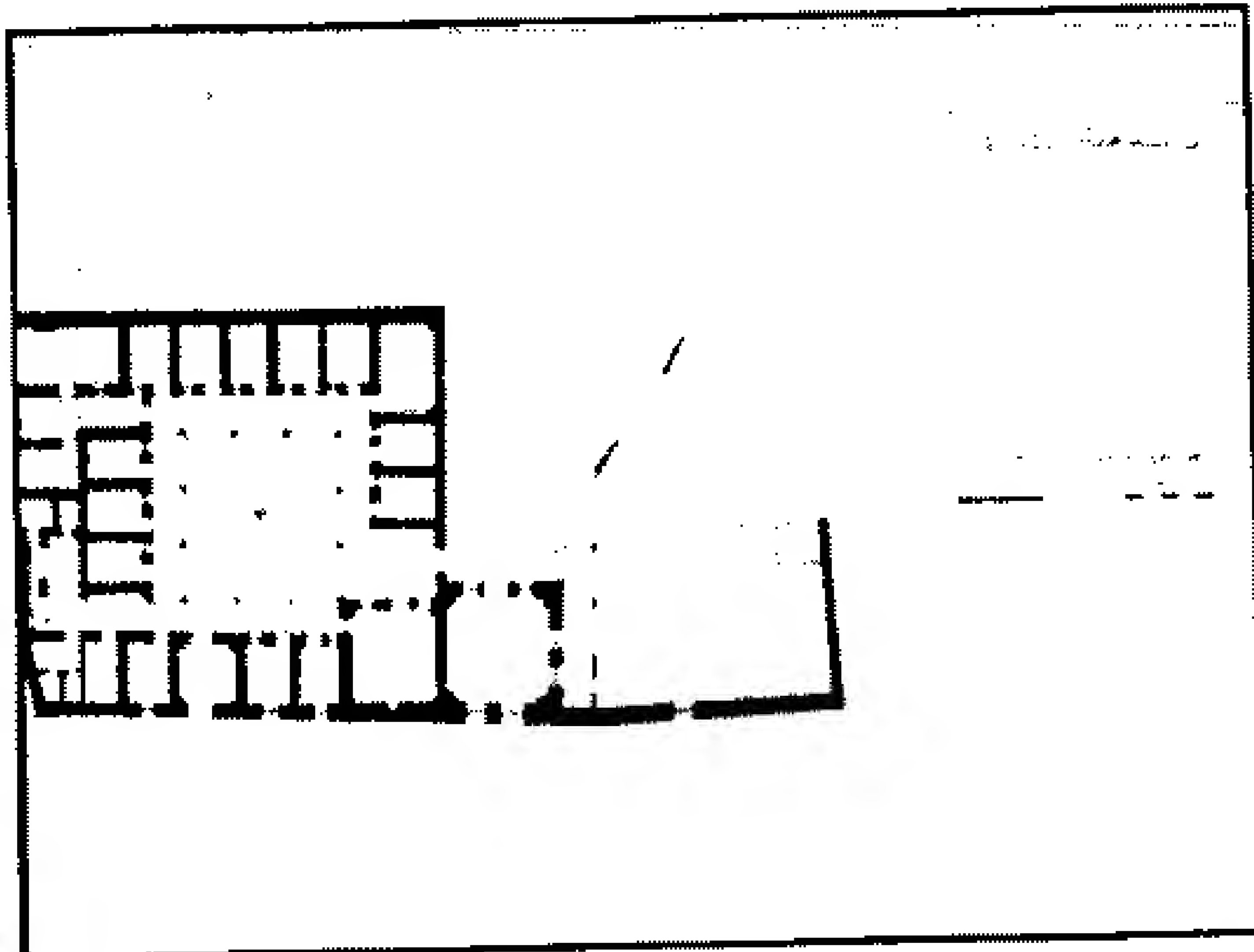
مدرسة أحمد باشا القرمانلي: شيدها من ضمن مجموعته المعمارية، التي تتكون من بيت الصلاة والتربة المسقوفة بقبتين، والمقبرة المفتوحة والمئذنة والميضأة والمراحيض، والمدرسة التي تقع في الركن الشمالي الغربي من هذه المجموعة المعمارية، التي أقيمت في فترة حكم هذا الباشا (1711ـ1745م)، وتحديدًا في سنة 1738م. وتتكون المدرسة من دورين وبها نحو 35 خلوة، ومصلى، وميضأة وحمامات.

وقامت هذه المدرسة والجامع بدور بارز ومؤثر في تاريخ التعليم الديني وخرجت المئات من العلماء والمشائخ الأكفاء، وأبرز وأشهر العلماء الذين تولوا القضاء والإفتاء منذ تأسيسها إلى يومنا هذا. وإلى جوار هذه المجموعة المعمارية تأسست في الخمسينيات من القرن الماضي كلية ومعهد أحمد باشا الديني.

مدرسة الكاتب: شيدت على يدي مصطفى المصري الكاتب، سكرتير علي باشا القرمانلي سنة 1760م[1]، وهي مدرسة صغيرة تتكون من عدد من الخلاوي، وبها مسجد صغير مسقوف بقبة ومكتبة صغيرة ومراحيض وحمام وميضأة وكتاب.

مدرسة مصطفى قرجي: وهي من ضمن المجموعة المعمارية التي تتكون من بيت الصلاة، وتربة المؤسس المسقوفة بقبة، والمقبرة المفتوحة، والمئذنة، والمراحيض والميضأة والمدرسة التي تقع خلف جدار القبلة من بيت الصلاة، وتتكون المدرسة من دور واحد وبها نحو 15 خلوة.

وقد شيد هذه المجموعة المعمارية المتميزة بزخارفها مصطفى قرجي، الذي كان مشرفاً على الخزانة وإدارة الجمارك في سنة 1834، وهي نسخة مصغرة من مجموعة أحمد باشا القرمانلي إلا أنها أكثر غنى زخرفي، وهي الصيحة التي لم تتكرر في أي مبنى ديني آخر في العهد العثماني والقرمانلي. وكان لهذه المدرسة فضل ودور كبير في تطور التعليم الديني وانتشاره في ليبيا. وتأسست مدارس ومعاهد دينية أخرى في مناطق مختلفة من ليبيا، منها مدرسة ميزران بطرابلس والمعهد الأسمري بزليطن، وكليات متخصصة في الشريعة وأصول الدين واللغة العربية موزعة على مدن مختلفة من ليبيا.



مدرسة عثمان الساقزلي ـ المسقط الأفقي



مدرسة عثمان الساقزلي ـ المدخل واللوحة التذكارية

وتأسست في ليبيا مدارس دينية متخصصة في أغلب فتراتها التاريخية وخاصة ما يرجع منها إلى العصرين الموحدي والحفصي، فقام الحفصيون بإنشاء الكثير منها في شمال إفريقيا للقضاء على الروابط الروحية التي كانت تربطها بالدولة الموحدية التي سعت جاهدة للقضاء على الفقه المالكي، وبالتالي كان لابد للدولة الحفصية (1228 ــ 1510م)، من أن تكثر من بناء مدارس دينية لتتولى تدريس الفقه المالكي.

ومن هذا المنطلق أسست الدولة الحفصية في طرابلس رداً على المنطلق الذي اتخذته الدولة الموحدية والتي أسست الكثير من المدارس في ربوع دولتها ومنها مدينة طرابلس التي أسست فيها

---

(1) المرجع السابق، ص 302و 303.

المدرسة المستنصرية، التي أسسها أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا بين سنتي (555 ـ 558هـ) (1160 ـ 1162م)، واعتنت الدولة الحفصية بتدريس الفقه المالكي كرد على المنطلق الموحدي الذي حارب تدريس الفقه المالكي.

وقد أشاد بالمدرسة المستنصرية كثير من الرحالة ومنهم ابن سعيد الأندلسي وابن رشيد والعبدري والتجاني في الفترة الأخيرة من القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الميلادي[1].

ولا أريد أن أتوغل كثيراً في هذا الشأن وأكتفي بهذه المعلومات التي استعرضتها حول دور المعمار الديني والمؤسسات الدينية المرتبطة بها في نشر التعليم الديني وترسيخ أسس الحضارة الإسلامية في هذا القطر العربي الإسلامي، ذلك أن الفصلين السادس والسابع، من هذا الكتاب، والمخصصين لتناول سير لشخصيات ليبية وللمخطوطات، وسيعرض كاتباهما إلى شخصيات دينية وعلمية وعلماء وفقهاء وصوفيين ومشايخ وقضاة وغيرهم، الذين كانوا وراء إنجاز نسخ وتأليف وحفظ هذه المخطوطات والاستفادة منها، ولكي لا تتكرر المعلومات بقدر الإمكان في محتويات ونصوص هذا الكتاب.

(1) الطاهر أحمد الزاوي، ص 302 ـ 305 ـ نجاح القابسي، مرجع سابق، ص 22.

ثانياً: تطور معمار المسجد في ليبيا في العهد العثماني:

تمهيد:

تناولنا في الجزء الأول من هذا الفصل تطور المعمار الديني في المراحل الإسلامية الأولى، وإبراز خصائصه ومميزاته ودوره في نشر التعليم الديني، وترسيخ الثقافة والحضارة الإسلامية في ربوع هذا البلد العربي الإسلامي، كما بينا أن هذه الخصائص والمميزات المعمارية والزخرفية استمرت كتقليد معماري وفني في عملية البناء والتشييد إلى بداية الفترة العثمانية، واستيلاء الأتراك على مقاليد الحكم والإدارة في ليبيا سنة 1551م. ومنذ هذا التاريخ بدأ عهد جديد من السيطرة السياسية المباشرة وغير المباشرة، وكذلك النفوذ والتأثيرات الفنية والمعمارية لمدة نحو أربعة قرون[1].

والآن علينا أن نوضح كيف شهدت ليبيا، في هذه الفترة، تطورًا ونهضة معمارية وفنية في كل المجالات، واتسمت المنجزات المعمارية الدينية بخصائص ومميزات زخرفية ومعمارية لم تعهدها ليبيا قبل خضوعها للسيطرة السياسية والاقتصادية، وكذلك للتأثيرات الفنية والمعمارية التركية.

والحق يقال إن أغلب ما هو قائم الآن في ليبيا من مباني دينية وعسكرية، وخاصة في مدينة طرابلس وضواحيها، والمناطق الغربية من ليبيا، طبعاً إنما يرجع إلى هذه الفترة، ذلك أن مدينة طرابلس القديمة كانت مقراً للحكومات المتوالية والإدارات المتعاقبة للتركيبة الإدارية العثمانية بكل مكوناتها، مما جعلها تحظى بتطور معماري وفني طيلة هذه الفترة الطويلة، وهي حقيقة تناولناها بالتحليل والدراسة وأثبتناها في أبحاثنا ودراستنا وكتبنا التي نشرناها حول هذا الموضوع[2].

والحقيقة الثانية هي أن المباني الدينية، التي تعود إلى الفترات الإسلامية المبكرة، قد اندثر أغلبها أو أعيد بناؤها وتشييدها في العهد العثماني على أيدي الليبيين تحت إشراف الإداريين الأتراك والهيئات الدينية الوطنية التي آلت على نفسها أن تعيد بناء ما هدم من تلك المنشآت الدينية التي تعود إلى العهود الإسلامية السابقة، وخاصة فترة احتلال الأسبان وفرسان مالطا لطرابلس في الفترة ما بين سنة 1510 و1551م، والتي دمرت أثناءها أغلب مباني المدينة وخاصة المباني الدينية[3]. ولم تسلم المباني كذلك من الدمار نتيجة المعارك التي اندلعت في مدينة طرابلس بين الأسطول والجيش العثماني بالتعاون مع المجاهدين الليبيين وبين فرسان القديس يوحنا أثناء الحصار[4].

وتكرر دمار المدينة عدة مرات أثناء حصار الأساطيل الإفرنجية وكذلك المدينة ومبانيها بآلاف القذائف المدمرة من دول أوربية مختلفة، ولفترات طويلة أو متقطعة نتيجة الصراع البحري الذي كان سائداً في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، بين المسلمين بقيادة الدولة العثمانية، وبين

---

(1) ALI M. EL. BALLUSHI, P. 15.

(2) المرجع السابق، ص 27و 85و 255.

(3) إيتوري روسي، طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا، ترجمة خليفة محمد التليسي، مؤسسة الثقافة الليبية للتأليف والترجمة والنشر، طرابلس ليبيا ص 51.

(4) المرجع السابق، ص 51، 75 ـ 77.

المسيحيين بقيادة أسبانيا والبرتغال، والذي دام عدة قرون كانت فيها ليبيا وطرابلس خصمًا عنيدًا وقادرًا ومؤثرًا وفعالاً في أحداث البحر الأبيض المتوسط سياسياً وحربياً واقتصادياً[1].

تطور المعمار الديني في العهد العثماني الأول 1551. 1711 :

بعد أن سيطرت القوات التركية العثمانية على مدينة طرابلس، وأجلت فرسان القديس يوحنا، عهد سنان باشا قائد الأسطول العثماني مراد آغا إدارة طرابلس الغرب، وأصبح بذلك أول حاكم تركي على طرابلس (1551 ــ 1553م)، مدشنًا بذلك عهدًا جديدًا من الحكم والسيطرة العثمانية الذي اتسم بخصائص سلبية وإيجابية. فالجوانب الإيجابية متمثلة في الإنجازات المعمارية الهائلة، من إعادة تعمير البلاد وخاصة مدينة طرابلس، وبسط الأمن والاستقرار فيها. أما الجوانب السلبية فتتمثل في حدوث الاضطرابات من آن لآخر، وما ينتج عنها من التنكيل بالأهالي والتضييق عليهم في كثير من الحالات، وحرص الولاة الأتراك على جمع المال لأنفسهم ولذويهم ولمعاونيهم مما أفقر البلاد والعباد[2].

ثم تولى الحكم بعد مراد آغا درغوت باشا (1553 ــ 1565م)، والذي عمل جاهدًا على إعادة بناء ما تهدم من مبان، ودعم أسوار المدينة، وشيد الكثير من الأبراج، ودارًا لصناعة البارود، خشية واستعدادًا لهجمات الأساطيل الأوربية[3]. كما شيد الكثير من البيوت لسكان المدينة العائدين بعد فرارهم من طغيان الأسبان وفرسان مالطا. كما شيد قصراً مهيباً لنفسه داخل أسوار المدينة القديمة، أضف إلى ذلك تشييده لمجموعته المعمارية الدينية التي تتكون من بيت الصلاة المسقوف حاليًا باثنتين وثلاثين قبة، وروضة تتكون من حجرتين، إحداهما مسقوفة بقبة والثانية مسقوفة بقبة على هيئة قبو برميلي مشطوف الجانبين، وعدد من الغرف المسقوفة بقباب، ومقبرة مفتوحة، والميضأة والمراحيض ومئذنة إسطوانية الشكل. وبعد نحو نصف قرن تم تشييد حمام كبير في الجهة الجنوبية من المجموعة المعمارية ولذلك اشتهر هذا الحمام بحمام درغوت. وهذه المجموعة المعمارية الدينية الضخمة تعتبر أول مجموعة معمارية تشيد في داخل مدينة طرابلس القديمة في العهد العثماني الأول[4].

هذا التطور المعماري الديني الذي بدأت مظاهره تبرز على السطح في ليبيا كان انعكاسًا للتركيبة الإدارية العثمانية في عاصمة الإمبراطورية إسطنبول هذا التطور الذي حدث في مركز الإمبراطورية انعكس بدوره على الولايات العثمانية ومنها إيالة طرابلس الغرب[5].

---

(1) GODFREY FISHER, LEGEND: WAR, TRADE, PIRACY IN NORTH AFRICA, 1410 – 1830 OXFORD, 1957, PP. 20, 32. --- JAMIL M. ABUN – NASR, A HISTORY OF THE MAGHRIB, 2 ND. ED. UNVIERSITY PRESS, CAMBRIDGE E, LONDON, N. Y., 1975, P. 157..

(2) عمر الباروني، الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، مطبعة ماجي، 1952، ص 127و 137. ابن غلبون، التذكار، ص 127..

(3) كوستانزيو برنيا، طرابلس من 1510 ـ 1850، تعريب محمد التليسي، الناشر الفرجاني، طرابلس، ليبيا، ص 78 ـ 80..

(4) JAMIL M. ABUN – NASR P. 194 – CHARLES FERAUD, ANNALES, TRIPOLITAINES, TRANS MUHAMMAD A. AL-WAFI, PARIS, 1937, TRIPOLI, AL FERJANI, 1973 P. 129..

(5) STANFOR JAY SHAW. HISTORY OF THE OTTOMAN AND MODERN TURKEY, I, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, LONDON, N.Y., 1976, P. 184.

عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة عبد السلام أدهم، ط 1، دار لبنان وبيروت، 1969، ص 292.

السلطان العثماني هو رأس الهرم في التركيبة الإدارية في الدولة العثمانية؛ ومن التقليد المتعارف عليه أن السلاطين العثمانيين يقومون بتشييد منشآت معمارية دينية ضخمة، تمثل قوة الدولة وهيبتها ومكانة السلطان، من حيث الحجم والضخامة والزخرفة والبهرجة المعمارية، والمشتملات الخدمية المكملة، وذلك لتخليد ذكرى فترة حكمه. كما أنه من المعروف أن بقية مكونات التركيبة الإدارية وفروعها في تركيا يقوم موظفوها الكبار بتشييد أبنية دينية لا ترتقي بالطبع إلى مستوى ما يقوم بتشييده رأس الإدارة التركية وهو السلطان العثماني[1].

انعكس هذا المفهوم والممارسة والتقليد المعماري على ما يجري في الولايات العثمانية، فالوالي رأس الإدارة التركية في الولاية يقوم كذلك بتخليد ذكرى فترة حكمه، وذلك بتشييد أبنية أو مجموعة معمارية دينية تكون كبيرة ومهيبة في زخرفتها، ومتعددة في مكوناتها، تمييزًا لها على ما يقوم بتشييده بقية عناصر التركيبة الإدارية في الولاية، الذين هم أقل شأنًا ومركزًا ونفوذًا. ولتوضيح تلك الممارسة علينا أن نستعرض بعض الشواهد والمنجزات المعمارية الدينية في هذه الفترة من الحكم العثماني في ليبيا.

وتأكيدًا لهذه التقاليد المعمارية المتعارف عليها، والتي ترسخت في فكر المؤسسات الدينية والسياسية في نظام الحكم العثماني، نرى ذلك متجسدًا في ما أنجزه الولاة الأتراك في الولايات العثمانية، وفي إيالة طرابلس الغرب موضوع اهتمامنا في هذا الصدد.

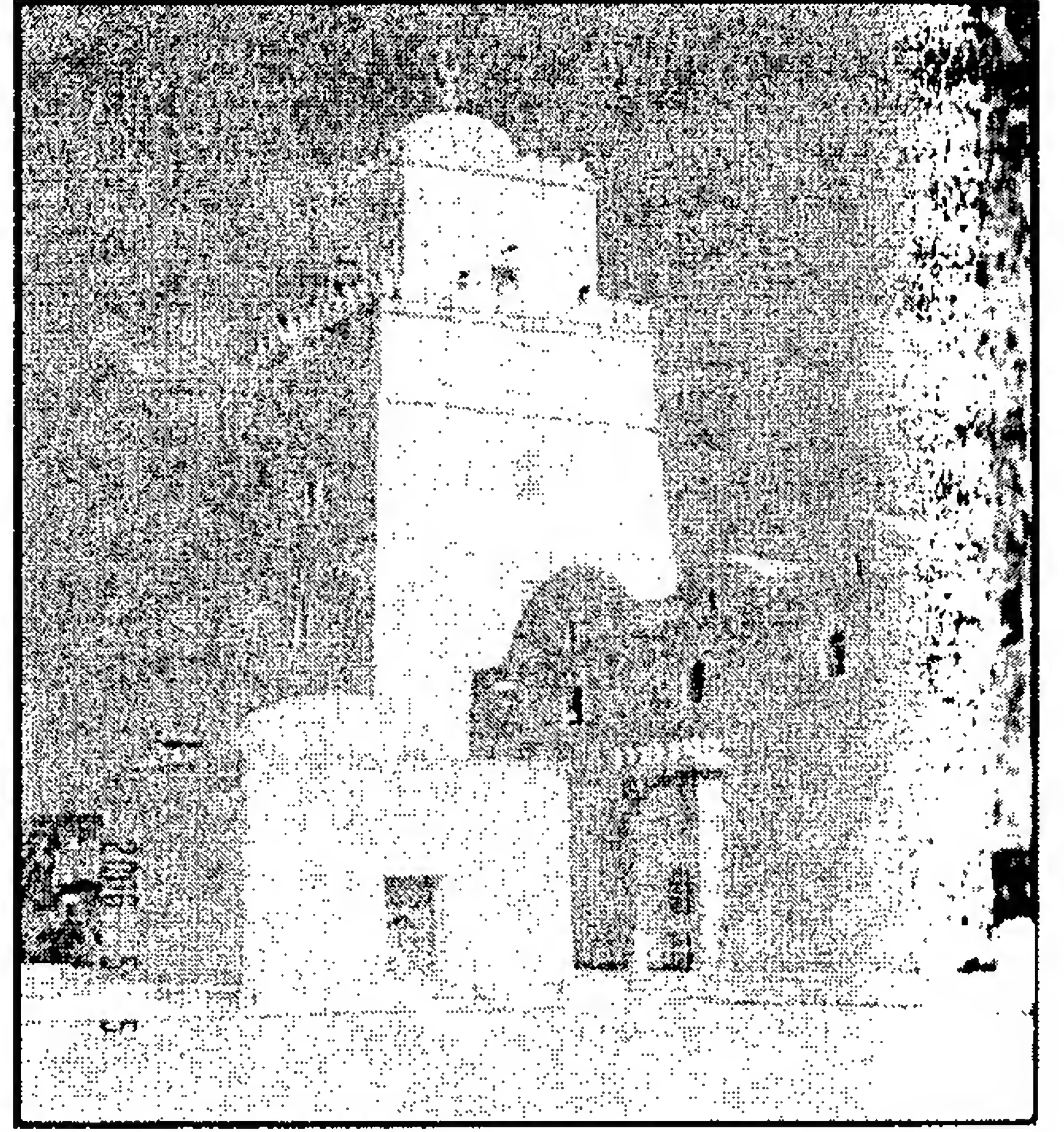
جامع مراد آغا بتاجوراء:

أول والي تركي، على إيالة طرابلس الغرب، هو مراد آغا، والذي يمثل رأس التركيبة الإدارية العثمانية في ليبيا؛ قام هذا الوالي بتشييد جامع مهيب من أكبر المساجد الليبية في منطقة تاجوراء (17ك.م.) شرق مدينة طرابلس، لم يسبق أن شيد مثله في ليبيا قبل الفترة العثمانية، وكان ذلك في فترة حكمه (1551 ــ 1553م).

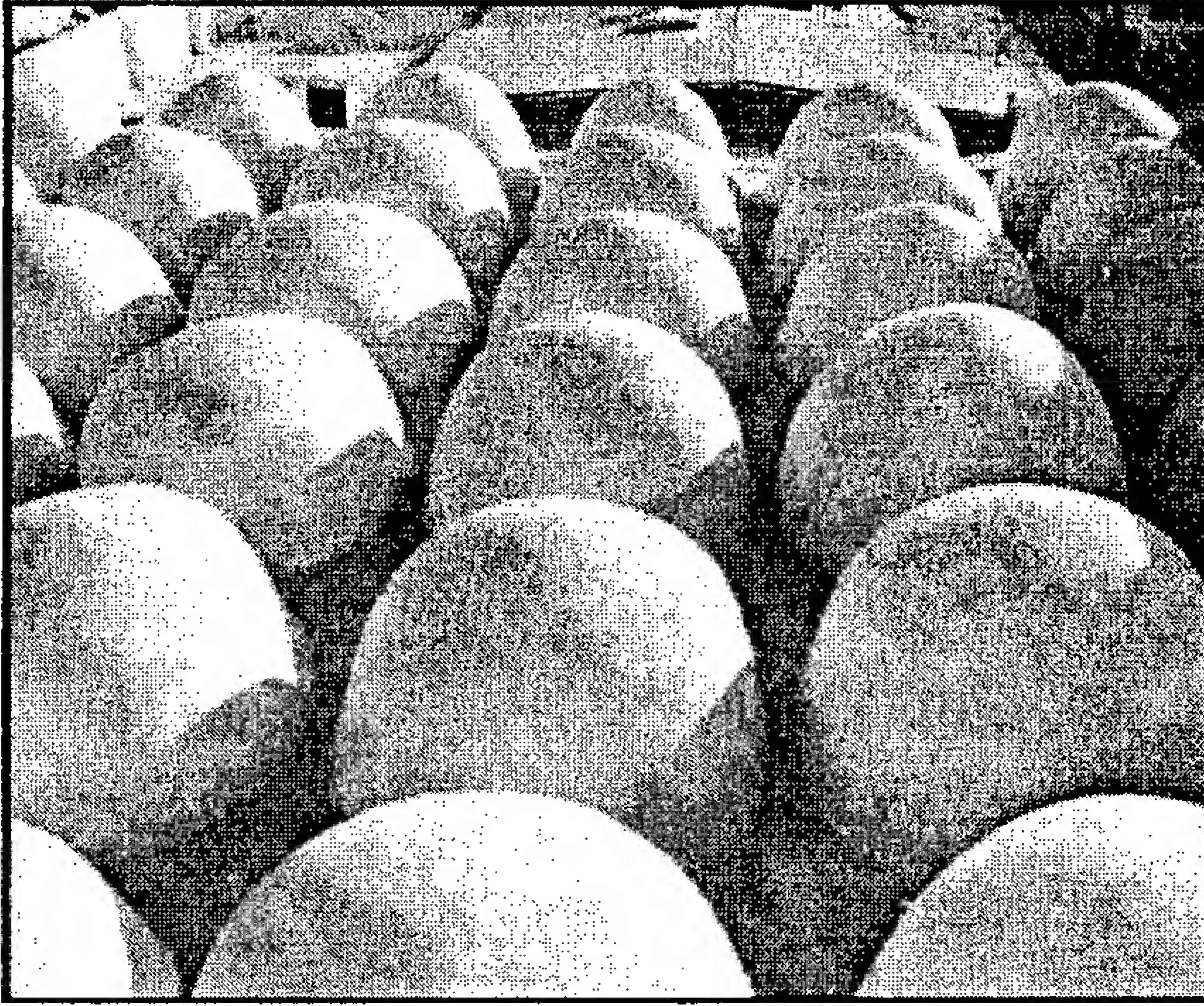
جامع درغوت باشا بطرابلس:

قام ثاني الولاة الأتراك، وهو درغوت باشا، بتشييد مجموعته المعمارية المشهورة في مدينة طرابلس القديمة أثناء فترة حكمه (1553 ــ 1565م). والتي وصفناها في الصفحة السابقة، والتي تعد واحدة من أكبر المجموعات المعمارية في مدينة طرابلس القديمة.

(1) HALIL. INALCIK, THE OTTOMAN EMPIRE: THE SCLASICAL AGE, 1300 – 1600. TRANS. NORMAN ITZAWITZ, AND COLIN IMBER, N.Y. PRAEGER PUB., N.., WASH., 1973. P.104..



جامع مراد آغا ـ تاجوراء



جامع درغوت باشا ـ قباب بيت الصلاة من الخارج ـ طرابلس

جامع الناقة بطرابلس:

وبعد نحو أربعين سنة، من تشييد جامع درغوت، قام الوالي صفرداي بإعادة بناء هذا الجامع بالمدينة القديمة بطرابلس، والذي يعتبر أشهر المساجد، ليس في المدينة القديمة بطرابلس فحسب، ولكن في كل أرجاء ليبيا. وكان تشييده في سنة **1610**م. ويمتاز بطراز المساجد التقليدية الإسلامية الأولى، من حيث وجود صحن مكشوف محاط بأروقة من أربع جهات، وبيت صلاة مسقوف باثنتين وأربعين قبة صغيرة وسبعة أقبية برميلية، وللجامع مئذنة ذات قطاع مربع من الطراز المعماري المغربي وبأسلوب المدرسة المعمارية المحلية.

ومن المعروف أن هذا الجامع يعود بناؤه الأول إلى ما قبل العهد الفاطمي، ولكن جدد وأعيد بناؤه في فترة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (**953 ـ 975**م)، وفي مرحلة لاحقة بقي المبنى في حالة خراب ودمار نتيجة احتلال الأسبان وفرسان القديس يوحنا، إلى حين قيام الوالي صفرداي بإعادة بناءه في العهد العثماني الأول[1].

مدرسة عثمان باشا الساقزلي بطرابلس:

تولى هذا الوالي حكم إيالة طرابلس الغرب في الفترة ما بين **1649** و**1672**م، وكان قوياً وقديراً، ومسك زمام الأمور بسطوة واقتدار إداري، وبلغت سمعة أسطول ليبيا الحربي لطائفة الجهادية، الذي أعده للدفاع عن البلاد، شهرة في كل حوض البحر الأبيض المتوسط، وكانت سفن

---

(1) هناك لوحة رخامية تذكارية فوق المدخل الرئيسي، تعطي اسم الوالي وتاريخ إعادة البناء.
غاسبري ميسانا، المعمار الإسلامي في ليبيا، تعريب علي الصادق حسنين، الناشر الدكتور مصطفى العجيلي، 1972، ص 165.

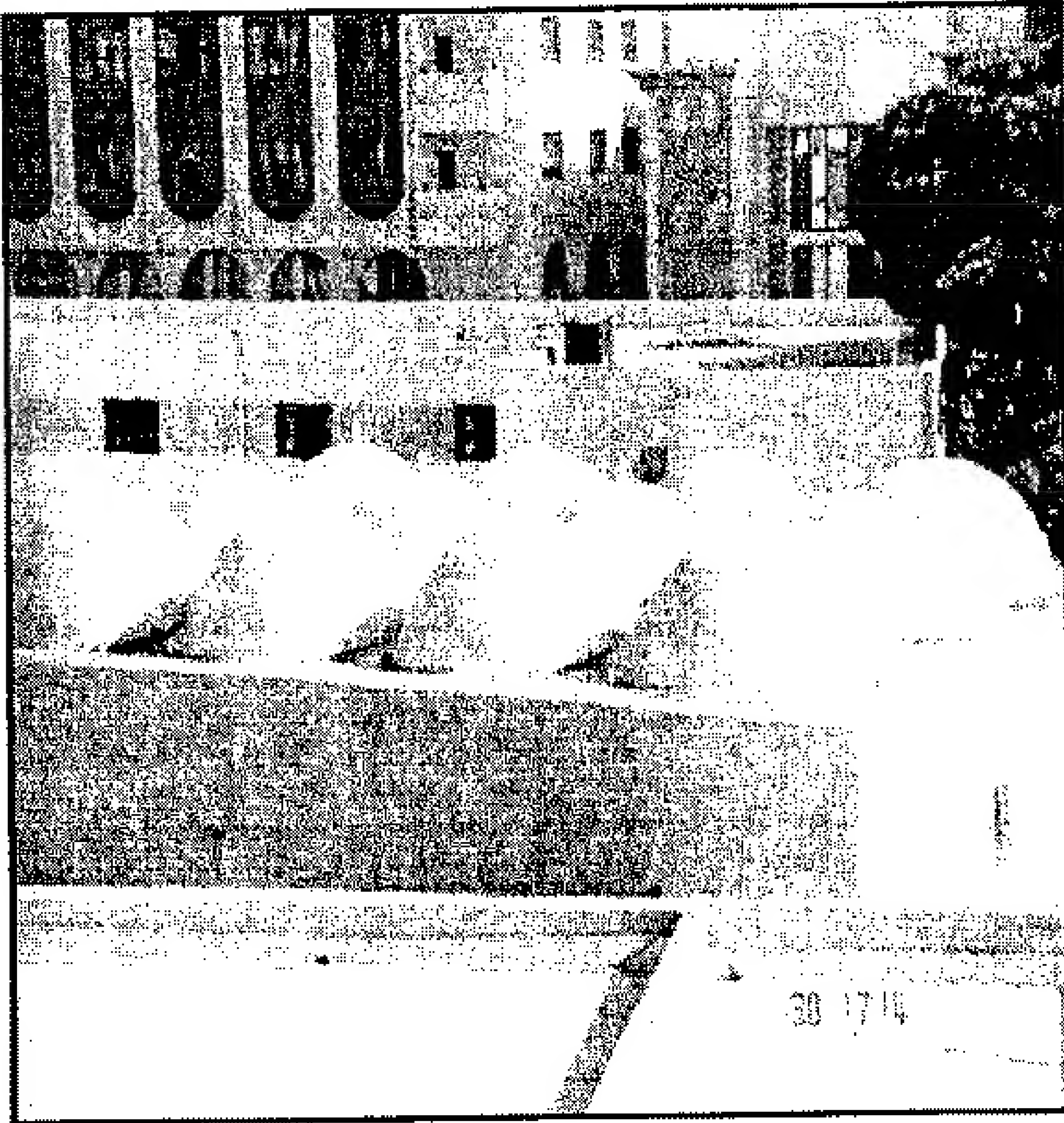
الفرنجة تخشى هذا الأسطول وتحسب له ألف حساب. قام هذا الوالي بتشييد مجموعته المعمارية، المتمثلة في المدرسة، والضريح المسقوف بقبة، والمسجد المسقوف أيضاً بقبة، ومقبرة مفتوحة، وتعتبر هذه المدرسة أكبر المدارس الدينية التي شيدت في مدينة طرابلس[1].

وقد ساعدت هذه المدرسة على نشر التعليم الديني وترسيخ أسس الحضارة والثقافة الإسلامية في هذا البلد.

ومن الملاحظ أن عددًا من أعضاء ديوان الوالي وديوان الإنكشارية، والمساعدين لهذا الوالي في الحكم وتسيير دفة الإدارة، قد شيدوا بدورهم أبنية دينية ومساجد صغيرة، ومنها مسجد النخلي في المدينة القديمة بطرابلس، الذي شيده رمضان خازندار النابوليتاني المشرف على الخزانة في سنة 1653، والواقع في شارع كوشة الصفار كما شيدت مساجد أخرى صغيرة في منطقة النوفليين شرق مدينة طرابلس، ومنها مسجد قنديل الذي شيده القائد مصطفى بن عبد الله سنة (1076 هـ ـ 1667م)[2].



جامع الناقة بطرابلس. قباب بيت الصلاة من الخارج



جامع محمد باشا شائب العين. بيت الصلاة من الداخل

جامع محمد باشا شائب العين بطرابلس:

تولى هذا الوالي حكم البلاد في الفترة ما بين سنة 1687 و1701م، وشيد مجموعته المعمارية هذه تحديداً في سنة 1699م، والتي تمتاز بالكبر وتعدد المكونات المعمارية، وفيها أدخل تطورًا

(1) اللوحة التذكارية فوق المدخل تعطي اسم المؤسس وتاريخ التأسيس.

(2) اللوحة التذكارية فوق المدخل الرئيسي تعطينا اسم المؤسس وكذلك التاريخ الذي يقرأ، إما سنة 1076 أو 1079هـ (1666 أو 1669م) وقد شيد المؤسس أيضًا جامعًا في منطقة السوالم بسوق الجمعة في الفترة نفسها، ولكن المسجد أزيل وشيد مكانه مسجد حديث وثبتت اللوحة القديمة على مدخل الجامع الحديث.

جديدًا فيما يخص تصميم بيت الصلاة والمكونات الأخرى. ومن هذه التجديدات أن بيت الصلاة أصبح محاطاً، على مستوى الدور الأول، بثلاث شرفات من ثلاث جهات[1]، ووجود أكثر من صحن، أضف إلى ذلك الزخرفة الرائعة وغير المسبوقة، والتي تشاهد في زخرفة المداخل الثمانية التي تربط هذه المجموعة بالمحيط وبالصحنين، والتي تعتبر أكثر المداخل زخرفة في المساجد الليبية، من حيث وجود الزخارف المنحوتة والمتمثلة في الوريدات والزهرات الحجرية البارزة في صنجات وأطر المداخل. وهي ظاهرة زخرفية غير عادية وجديدة في تطور الأسلوب الزخرفي في معمار المسجد الليبي في هذه الفترة.

كما شكلت مئذنة الجامع المثمنة الشكل تطورًا جديدًا، وطرازًا معمارياً لم يستخدم في الفترة العثمانية قبل تأسيس هذا الجامع وبشكل المئذنة المثمنة المتعارف عليه في تونس وطرابلس، وتكرر استخدامها فيما بعد في جوامع أخرى كثيرة[2].

والحق يقال إن هذا الوالي يعتبر واحدًا من أكفأ الولاة الأتراك في ليبيا إدارة وخلقًا وإنجازات معمارية، فقد سيطر على مقاليد الحكم في البلاد، كما سيطر على مكونات الجيش وقياداتها، المتمثلة في سلاح الفرسان والخيالة، وقوات الإنكشارية، والأسطول الحربي (طائفة الجهادية)، وفي عهده تم تشييد عدد من المساجد الصغيرة على أيدي الموظفين والإداريين المكونين للتركيبة الإدارية في هذه الولاية.

مجموعة من المساجد شيدت في الفترة ما بين سنة 1672 و1701:

بعض هذه المساجد شيدت من قبل ولاية، وبعضها الآخر من قبل عناصر التركيبة الإدارية للولاية، مثل الدايات والآغات، والخازندارات، وضباط البحرية (طائفة الجهادية).

ونذكر بعضًا منها بالتسلسل التاريخي على النحو التالي:

جامع سيدي سالم المشاط بالمدينة القديمة بطرابلس:

شيده عثمان رايس داي سنة **1672**، إلى جوار الجامع الصغير المنسوب إلى الشيخ سالم المشاط، والذي يعود إلى العصر الحفصي. وتتكون المجموعة المعمارية من بيت الصلاة المسقوف بست قباب، ومئذنة اسطوانية الشكل وضريح ومقبرة مفتوحة وكتاب[3].

---

(1) غاسبري ميسانا، مرعج سابق، ص 179 ـ 181.

(2) تكرر استخدام المئذنة المثمنة في الجوامع التالية: أحمد باشا، مصطفى قرجي، عمر المختار، والمغاربة بطرابلس وجامع الباشا في الخمس.

(3) موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ج 1، ص 44 ـ 47.

جامع الدباغ بالمدينة القديمة بطرابلس :

أسسه أحد قواد الإنكشارية سنة 1679م، وهو مسجد صغير مسقوف بأربع قباب، وكان المؤسس محمد الدباغ من مكونات التركيبة الإدارية للقوات الإنكشاية في هذه الفترة.

جامع سيدي "أبو سعيد" (أو الغرياني) بمنطقة أبي مشماشة بطرابلس :

شيده والي الولاية حسن أبازة سنة 1091 هـ ــ 1679 ــ 1680م، وهو مسجد صغير مسقوف بأربع قباب وله صحن صغير محاط برواقين ومئذنة بسيطة من نوع المئذنة ــ السلم[1].

جامع محمود خازندار بالمدينة القديمة بطرابلس :

شيده محمود خازندار المشرف على الخزانة في الولاية سنة 1680، وهو من المساجد المتوسطة الحجم ككتلة معمارية واحدة، والتي تتكون من بيت الصلاة المسقوف بأربع قباب، وضريح مسقوف بقبة، ومئذنة اسطوانية الشكل، وصحن محاط بأروقة، وكتاب[2]. وتعتبر مئذنته ثالث أقدم مئذنة أسطوانية الشكل داخل المدينة القديمة بطرابلس.

جامع حسين القبطان بزاوية الدهماني بطرابلس :

شيده حسين القبطان، أحد كبار ضباط سفن الجهادية سنة 1688، ويتكون من بيت الصلاة المسقوف بأربع قباب وبقبوين برميليين يتعامدان على جدار القبلة، وصحن محاط برواقين ومئذنة مغربية الطراز[3].

جامع خليل باشا الأرناؤوطي (دورار) بمنطقة الظهرة بطرابلس :

تولي خليل باشا مؤسس هذا الجامع حكم الولاية في الفترة ما بين 1702 و1709 بعد فترة حكم صهره محمد باشا شائب العين. يتكون الجامع الكبير من بيت الصلاة المسقوف باثني عشرة قبة، وميضأة وصحن كبير، ورواق يتقدم بيت الصلاة، ومراحيض وحمامات ومئذنة ضخمة اسطوانية الشكل. وهو آخر المنجزات المعمارية الدينية في العهد العثماني الأول الثابتة التاريخ[4].

---

(1) اللوحة التذكارية فوق المدخل تعطي اسم المؤسس وتاريخ التأسيس، وللأسف الشديد أزيل هذا المسجد في نهاية سنة 1984 وبداية 1985.

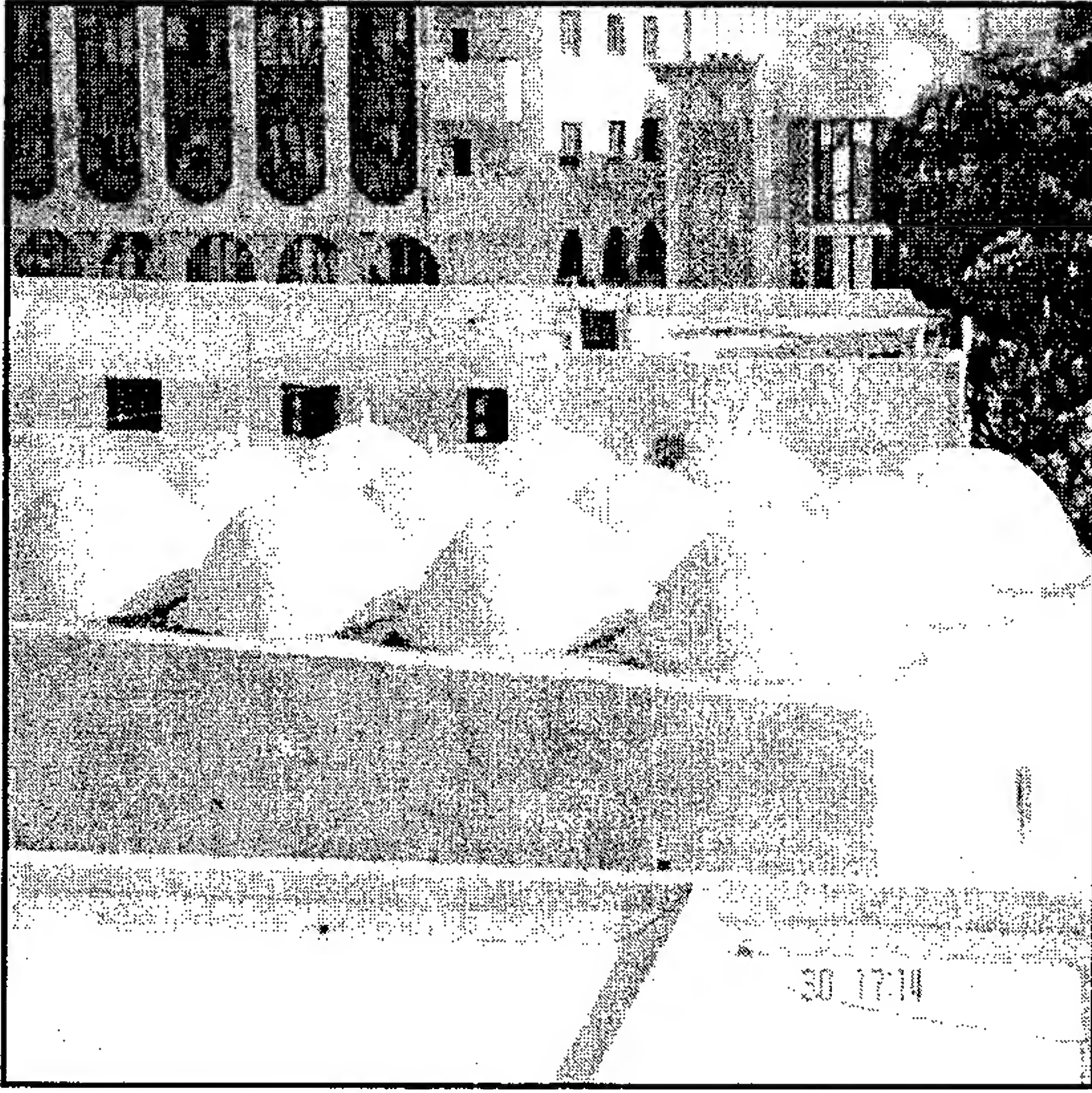
(2) ALI M. EL. BALLUSHI P. 130 ـ الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، مرجع سابق، ص 93.
ويذكر الشيخ الطاهر الزاوي نقلاً عن ابن غلبون أن محمود خازاندار شيد نحو خمسة مساجد منها مسجد سليمان داي المعروف بصفرداي بحومة أولاد نوير، ومسجد في قصر أحمد بمصراته وغيرها في طرابلس وخارجها ـ أبو عبد الله محمد بن خليل بن غلبون التذكار في من ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، ط 2 1967، مكتبة النور، طرابلس، ليبيا، ص 181.

(3) اللوحة التذكارية فوق المدخل تعطي اسم المؤسس وتاريخ التأسيس.

(4) ابن غلبون، المصدر السابق، ص 204.



جامع حسين القبطان ـ زاوية الدهماني



جامع خليل باشا الأرناؤوطي ـ منطقة الظهرة طرابلس

ولا يقتصر بناء المساجد والعمائر الدينية وتشييدها على مدينة طرابلس وضـواحيها بـل إن الكثير منها شيد في مناطق مختلفة من ليبيا، ونذكر على سبيل المثال الأشهر والأكبر وهو :

الجامع الكبير بمدينة درنة :

أسسه محمد بن محمود بك درنة القرمانلي سنة **1101** هـ ـ **1689**م، وقد تولى حكم هـذه المدينة لمدة نحو عشرين سنة (**1670** ـ **1690**)، ويعد هذا الجامع من أكبر المساجد في ليبيا فبيت الصلاة مسقوف باثنتين وأربعين قبة، ومئذنة ومرفقات خدمية أخرى[1].

التطور المعماري الديني في الفترة القرمانلية 1711.1835 :

إذا كانت ليبيا حكمت حكمًا مباشرًا من مركز الإمبراطورية العثمانية في العهد العثماني الأول، فإنها استقلت استقلالاً كاملاً عن السلطة العثمانية في هذه الفترة، ودام هذا الاستقلال نحو قـرن وربع، وقام مؤسس الدولة القرمانلية أحمد باشا بالاستقلال مثلما فعل حسين بن علي تركي، الذي استقل قبله بإيالة تونس سنة **1706**، وأسس الدول الحسينية. ورغم استقلالهم عن الدولة العثمانية فإن كل حاكم قرمانلي كان يوطد علاقته بالسلطة المركزية في إسطنبول عن طريق الهدايا وإرسال الوفود لتطمين السلاطين العثمانيين من أن استقلال إيالة طرابلس الغرب عنهم لا يمس هيبة الدولة العثمانية، وأن الدولة القرمانلية تحت تصرف الباب العالي في كل الملمات والشدائد[2].

---

(1) الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص 130 و131.

(2) ALI M. EL. BALLUSHI, P. 35-37.

وتعتبر فترة الحكم القرمانلي هي العصر الذهبي في مجال فن العمارة الدينية بصفة عامة، خاصة في مجال تشييد المساجد والجوامع واستعراض سريع لما هو قائم حالياً من المنشآت المعمارية الدينية فقط تعطينا فكرة واضحة على التطور والازدهار الفني والمعماري الكبير. ولم يقتصر ذلك فقط على التطور المعماري الديني، بل تعدى ذلك كل المجالات الخدمية الأخرى، فالكثير من القصور والبيوت الفخمة والفنادق شاهدة على ما وصلت إليه الدولة القرمانلية من ازدهار اقتصادي واستقرار سياسي بصفة عامة، والذي كان وراء هذا الإنجاز العمراني والمعماري وخاصة في مجال العمارة الدينية.

ونقتصر هنا على استعراض أهم وأشهر وأكبر وأعظم المنجزات المعمارية الدينية.

جامع أحمد باشا القرمانلي بطرابلس :

شيده أحمد باشا مؤسس الدولة القرمانلية سنة 1738 في فترة ولايته (1771 ــ 1745). هذه المجموعة المعمارية الضخمة والمتميزة تعتبر أعظم إنجاز معماري وفني بكل معنى الكلمة، وتعتبر مفخرة من مفاخر العمارة الدينية في مدينة طرابلس، والذي لم تشهده ليبيا في كل فتراتها التاريخية إلى هذه المرحلة من الحكم والإدارة، من حيث الحجم والمكونات، ومن حيث الغنى الزخرفي الذي وصل إلى درجة الترف والبهرجة الفنية والمعمارية[1].

وتتألف هذه المجموعة المعمارية من :

بيت الصلاة المربع الشكل (23 × 23م) مسقوف بخمس وعشرين قبة ومحاط بثلاثة أروقة على مستوى الدور الأرضي، وثلاث شرفات تحيطه من الخارج على مستوى الدور الأول. كما تحيطه كذلك ثلاثة صحون، وتربة تتكون من حجرتين، ومقبرة مفتوحة. وتتكون المجموعة المعمارية أيضاً من مدرسة من دورين يحتوي على خمس وثلاثين خلوة، وبها مصلى صغير، وميضأة وحمامات، ومئذنة مثمنة الشكل. وفي بداية الخمسينيات ألحق بها معهد ديني وكلية للدراسات الإسلامية والدينية.

وتحيط بهذه المجموعة المعمارية أسواق من كل الجهات، سوق المشير، سوق الرباع، سوق الفرامل، سوق الكتب، سوق النسأ للملابس التقليدية، سوق اللفة، سوق الذهب والفضة. ولذلك تعتبر هذه المنطقة أهم منطقة تجارية واقتصادية في مدينة طرابلس القديمة. ولا يخفى على أحد في ليبيا من أن هذه المجموعة المعمارية ذات تاريخ مجيد وحافل في التعليم الديني في ليبيا. وفيها تتلمذ على أيد مشائخها المئات من طلاب العلم وحفظة القرآن، كما تخرج منها أيضاً المئات من أشهر العلماء والفقهاء والقضاة، ومن تولوا وظيفة الإفتاء في البلاد والذين كان لهم دور كبير في نشر التعليم الديني وتحفيظ القرآن وترسيخ أسس الثقافة والحضارة الإسلامية في ربوع هذا الوطن.

---

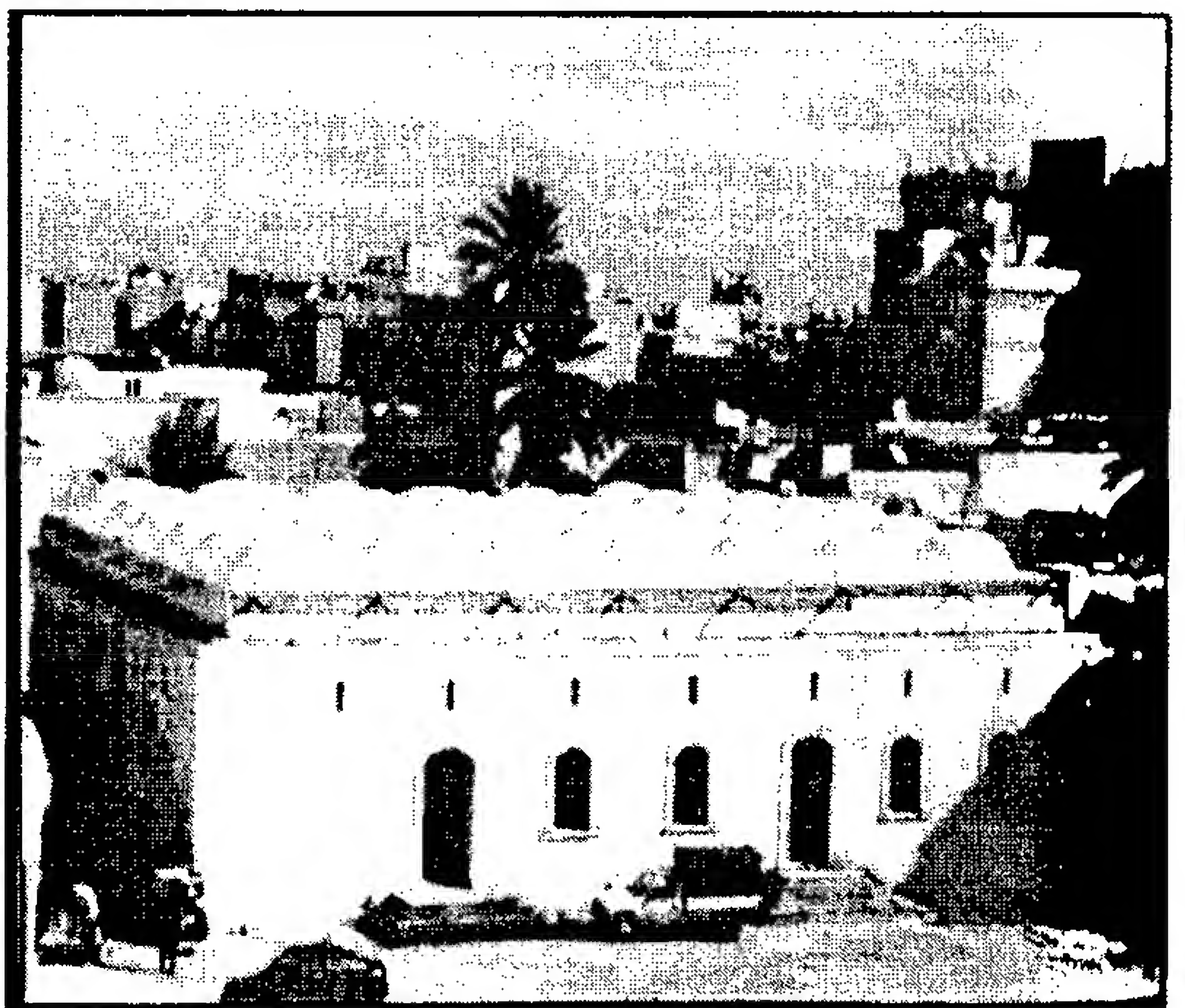
(1) عزيز سامح، مرجع سابق، ص 16. ــ كوستانزيا برنيا، طرابلس من 1510 إلى 1850، مرجع سابق، ص 258.

وتأسست في العهد القرمانلي العشرات من الزوايا، والمئات من الكتاتيب والمدارس الدينية، وقد سبق أن تناولنا بعضها في الجزء الأول من هذا الفصل، ومنها زاوية عمورة بجترور، وزاوية الشيخ الماعزي بالضاحية الشرقية من طرابلس، وزاوية ابن غلبون بمصراتة، وزاوية الباقول بالريانية، وزاوية المكني بطرابلس ومدرسة الكاتب بطرابلس كذلك. كما تأسست الكثير من الزوايا في مدن وقرى أخرى في جميع أنحاء ليبيا أسهمت كل هذه المباني الدينية طيلة فترة الحكم القرمانلي ومازالت مستمرة إلى يومنا هذا، بدور كبير في نشر المعرفة والثقافة الإسلامية، وترسيخ أسس الدين الإسلامي، وصبغ هذه المنطقة الجغرافية وسكانها بمظاهر الحضارة الإسلامية والعمل على تجدرها عبر الزمن[1].

وفي العهد القرمانلي شيدت أيضاً الكثير من الجوامع والمساجد في مختلف المناطق الليبية، والتي قامت بدورها أسوة بنظيراتها المتمركزة بمدينة طرابلس وضواحيها في انتشار التعليم الديني وتحفيظ القرآن وسنتناول بعضها وأشهرها ومنها :

جامع سيدي المرغني بمنطقة الحشان بطرابلس :

والذي شيد في عهد يوسف القرمانلي سنة 1236 هـ ـ 1820م، ويتكون من بيت الصلاة المربع الشكل الذي تسقفه قبة ضخمة قطرها نحو (8٫50م) وهي من أكبر القباب في الجوامع ذات الوحدة الفراغية الواحدة المسقوفة بقبة، وصحن يحيطه رواقان، ومئذنة ذات طراز مغربي وكتاب لتحفيظ القرآن، ومقبرة كبيرة مفتوحة.

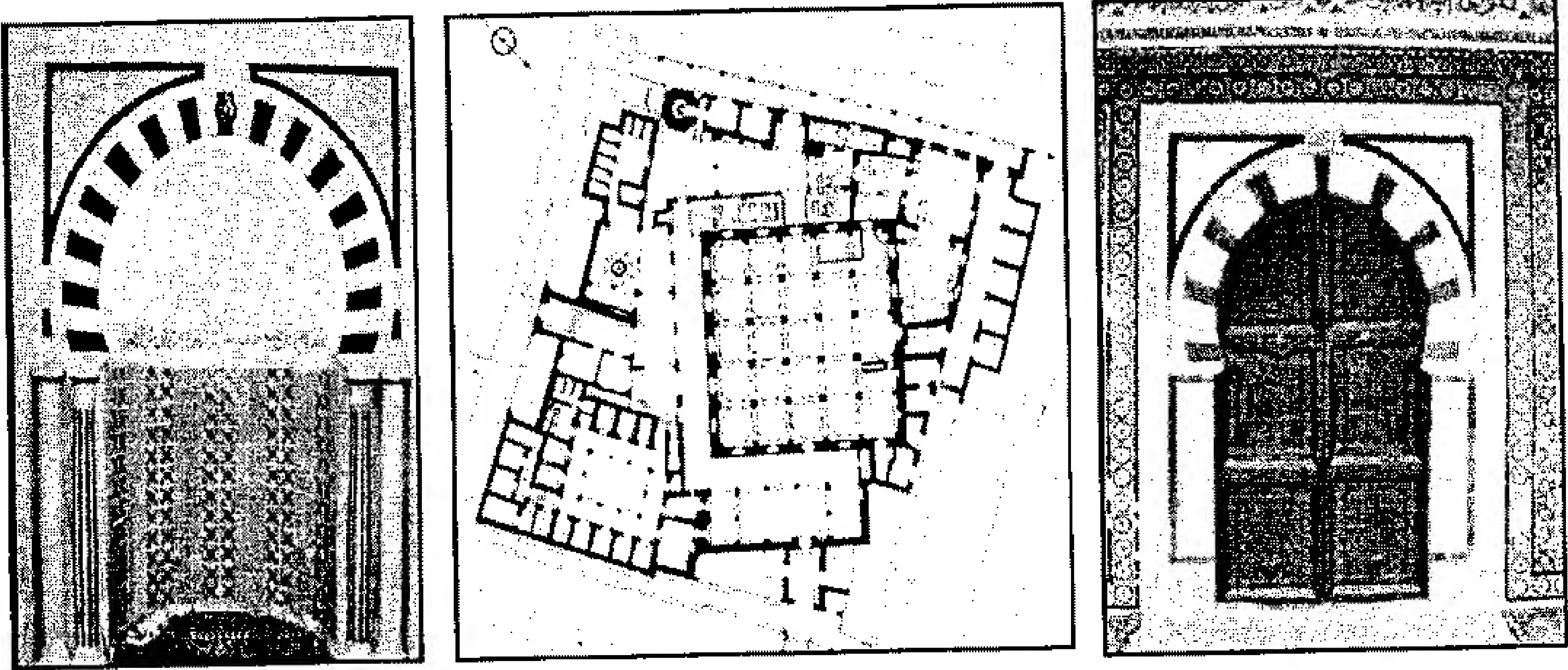


الجامع الكبير بدرنة ـ أسسه محمد بن محمود القرمانلي



جامع أحمد باشا بطرابلس

(1)SALVATORE AURI GEMMA, "LA MOSCHEA DI AHMED QARAMANI IN TRIPOLI", DEDALO, II, ANNO 7, PP. 492 – 513. – ALI M. EL. BALLUSHI, PP. 36-37.



المدخل المقابل للمحراب | مسقط أفقي لمجموعة أحمد باشا المعمارية | المحراب

جامع بيت المال في منطقة أبي ستة بطرابلس:

شيده إبراهيم شلبي ناظر بيت المال المشرف على الخزانة في عهد يوسف باشا القرمانلي في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر (1786 – 1800). يتكون من مسجد صغير مسقوف بأربعة قباب، وصحن مكشوف محاط برواقين وميضأة ومئذنة من نوع المئذنة – السلم، وكتاب لتحفيظ القرآن.

جامع مصطفى قرجي ومجموعته المعمارية بمدينة طرابلس القديمة:

شيده مصطفى قرجي في نهاية الفترة القرمانلية سنة 1834 وهو صهر يوسف القرمانلي وكان مسئولاً عن الجمارك والخزانة. ومن الشيء المدهش والمثير أن هذه المجموعة المعمارية التي تعد تحفة التحف قد شيدت في أواخر أيام الدولة القرمانلية قبل انهيارها والقضاء عليها في سنة 1835 نتيجة الظروف الاقتصادية المتردية المنهارة والاضطرابات السياسية، ومطالبة الدول الأوربية باسترجاع ديونها المستحقة على الدولة القرمانلية[1].

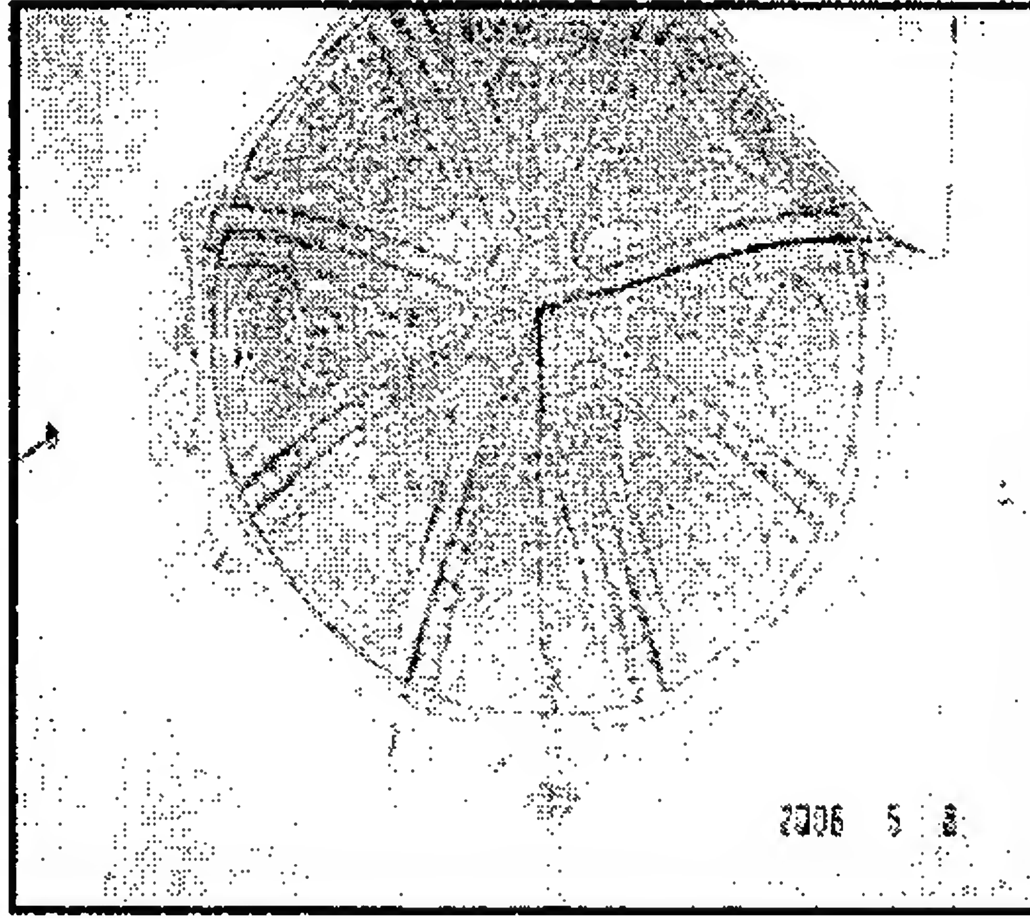
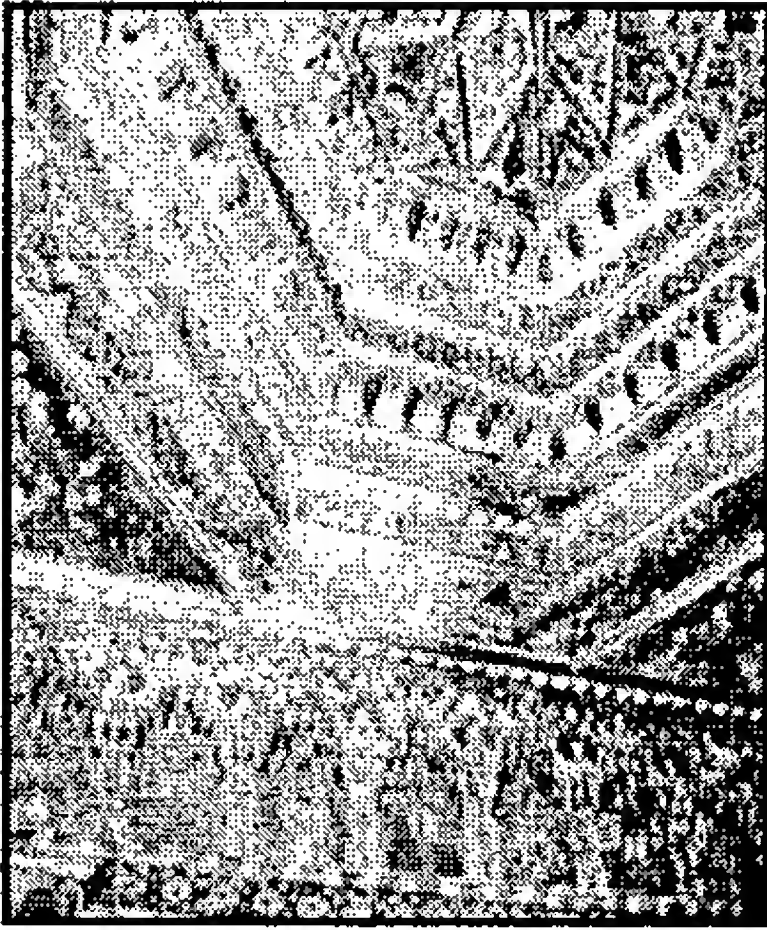
تتكون هذه المجموعة المعمارية من بيت الصلاة المربع الشكل (18 × 18م) والمسقوف بست عشرة قبة، ومحاط بأروقة من ثلاث جهات، على مستوى الدور الأرضي، وثلاثة أروقة تحيط ببيت الصلاة من ثلاث جهات، على مستوى الدور الأول، وله صحنان، وتربة مسقوفة بقبة تعتبر من أجمل القباب في طرابلس، يمكن الوصول إليها من خلال المدرسة الملحقة بالجامع التي تقع خلف جدار القبلة، وتحتوي على خمسة عشر خلوة، تنتشر حول الأروقة التي تحيط بصحن المدرسة، كما ألحقت بالمجموعة المعمارية مقبرة مفتوحة، وميضأة ومراحيض ومئذنة رشيقة مثمنة الشكل وهي الوحيدة التي لها شرفتان في مساجد المدينة القديمة بطرابلس.

---

(1) ITALLIANA, I, ANNO 6, NO. SALVATORE AURIGEMMA, LA MOSCHEA DI GURAGI IN TRIPOLI, "AFRICA 4, ROME, ACCURA DEL MINISTERO DELLE COLONIE, ROME, 1928, PP. 257, 258.

إن هذه المجموعة المعمارية تعتبر تحفة فنية رائعة من الغنى الزخرفي، والمواد التي دخلت في البرنامج الزخرفي، منها الزخارف الحجرية والرخامية، وتطعيم الرخام الأبيض بأنواع أخرى ملونة، واستخدام اللوحات والبلاطات الخزفية المتعددة الأحجام والأشكال والألوان والتصاميم، وتمثلت الزخارف الخشبية في الأسقف المحفورة والمرسومة والمدهونة وخاصة ما نشاهده من روائع الحفر والنقش في دكة المبلغ، تلك التحفة الفنية الفريدة في نوعها. وتتجلى روائع الزخارف الجصية في قباب الجامع الستة عشر، وقبة الضريح، والقباب الأخرى الأصغر حجماً الموجودة في صحن المدرسة، وفي الميضأة وجدران بيت الصلاة من الداخل والخارج، والزخارف الرخامية المطعمة في منبر والمحراب والمداخل والشبابيك.

كل هذه الزخارف المتنوعة جعلت هذه المجموعة المعمارية الدينية تمثل سمفونية رائعة من العمل الفني والمعماري مما يجعل من هذا الجامع وجامع أحمد القرمانلي أعظم المنجزات المعمارية التي تمت في مدينة طرابلس القديمة، والتي جعلت منهما مفخرة من مفاخر الفن والعمارة الإسلامية في ليبيا والشمال الإفريقي.

الواجهة الشمالية الغربية من بيت الصلاة قبة منطقة المحراب الزخارف الخشبية في دكة المبلغ

تطور المعمار الديني في العهد العثماني الثاني 1835 - 1911 :

أعادت الدولة العثمانية سيطرتها الكاملة على إيالة طرابلس الغرب بعد انهيار الدولة القرمانلية سنة **1835**، ومنذ هذا التاريخ بدأت الدولة العثمانية ترسل الولاة رأسًا من إسطنبول بفرمان، تولي الحكم وإدارة شؤون الولاية، ولفترة محددة من الزمن. شهدت ليبيا في هذه الفترة نوعًا من الاستقرار السياسي، بفضل جهود الولاة الأتراك، الذين كان كثير منهم ذو كفاءة إدارية وعسكرية، هذا من جانب، ومن جانب آخر أن الدولة العثمانية قامت بإصلاحات في مؤسساتها الإدارية والعسكرية من أجل تحسين الأداء الإداري في مؤسساتها المختلفة، وهذا انعكس إيجابياً على التركيبة الإدارية العسكرية في الولايات العثمانية.

هذا الاستقرار السياسي والتحسن في الأداء الإداري الذي عاشته ليبيا في هذه الفترة، كان نتيجة بناء الكثير من الاستحكامات، ونقاط الأمن والمراقبة، التي أقامتها الدولة على طول طرق

التجارة، والنقاط الاستراتيجية المهمة، وهذا بدوره شجع على التبادل التجاري بين ليبيا وبين بعض الدول الأفريقية جنوب الصحراء، وبينها وبين الموانئ الأوربية فازدهرت التجارة والحياة الاقتصادية.

ونتيجة لهذا الازدهار التجاري والاقتصادي شيد الكثير من الفنادق لإيواء التجار والمسافرين الأجانب، كما فتحت الكثير من القنصليات لبعض الدول الأوربية المرتبطة بالتجارة مع هذه الإيالة، إضافة إلى ذلك شيدت العشرات من القصور والبيوت الفخمة[1].

أما فيما يخص التطور المعماري الديني فقد شيد الكثير من الأبنية الدينية ومنها الجوامع والمساجد والمدارس والزوايا والكتاتيب وأضرحة الأولياء والصالحين والصوفيين. وسنقتصر هنا على سرد عدد من أشهر وأكبر وأهم الجوامع المؤرخة التي شيدت في الفترة العثمانية الثانية في ليبيا ومنها:

جامع المجيدية بشارع الزاوية بطرابلس:

شيده ضابط في الجيش برتبة بكباشي اسمه خيري أفندي سنة 1858 في عهد السلطان عبد المجيد وعليه سمي بجامع المجيدية ومازال يعرف بهذا الاسم حتى الآن.

جمع ميزران بطرابلس:

أسسه الحاج رمضان ميزران سنة 1298 هـ — 1880م، وألحقت به مدرسة لتدريس العلوم الدينية وكتاب لتحفيظ القرآن واشتهرت هذه المجموعة المعمارية الدينية كإحدى المنارات المهمة والنشطة والفعالة في طرابلس.

جامع زميت بمنطقة قرقارش بطرابلس:

شيده الحاج مصطفى زميت سنة 1305 هـ — 1887م، وهو من المساجد الصغيرة ومسقوف بقبويين برميليين، وله مئذنة مغربية الطراز.

جامع السنوسية (حاليًا عمر المختار) بطرابلس:

قام بتشييده الحاج أبو القاسم العيساوي والحاج أحمد قرجي سنة 1888، بيت الصلاة مسقوف بأربع قباب وأربعة أقبية برميلية، وله مئذنة مثمنة الشكل، وصحن، ومرفقات أخرى خدمية، وكانت مكتبة الأوقاف ملحقة به.

جامع الدامر وبن حسين بزاوية الدهماني بطرابلس:

أعاد بناءه الحاج علي بن حسين سنة 1889، ويتكون من بيت الصلاة مسقوف بقبوين برميليين ومئذنة صغيرة من نوع المئذنة — السلم، وملحق به زاوية.

---

(1) كوستانزيوبرنيا، مرجع سابق، ص 349 و350 — .ALI M. EL. BALLUSHI, PP.37, 38

جامع رشيد باشا في مدينة درنة :

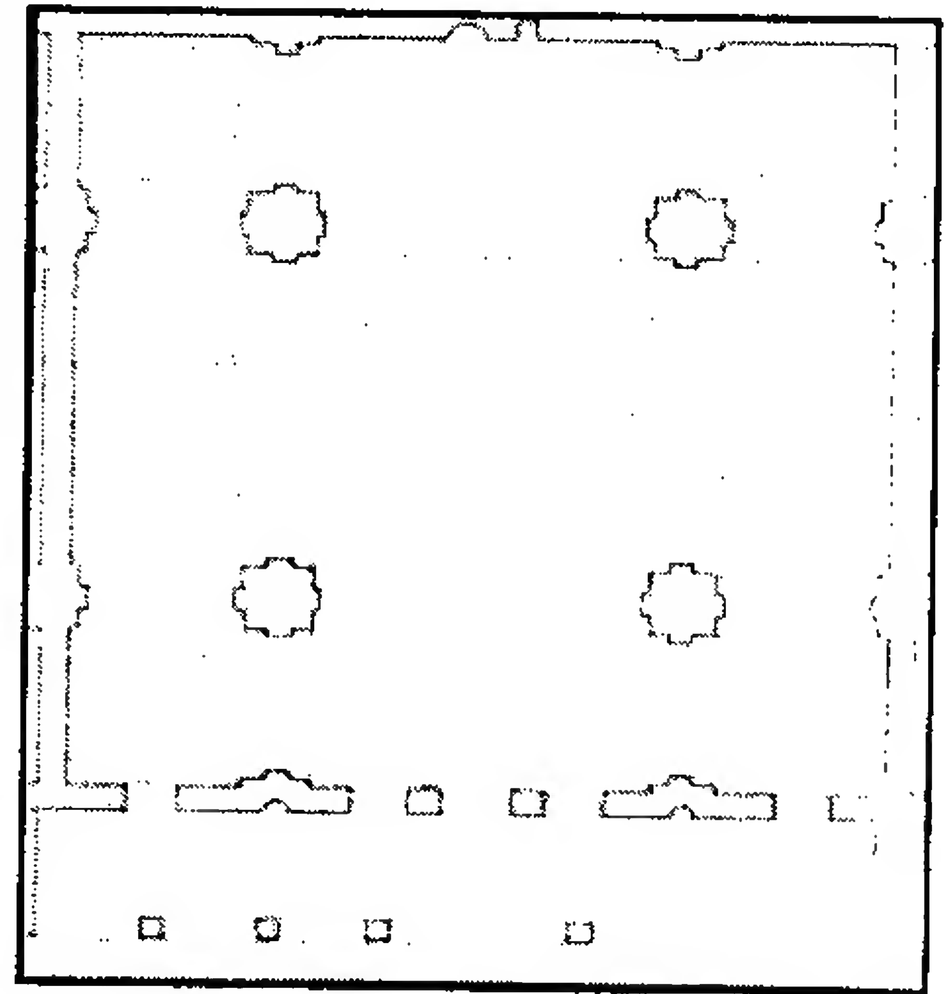
شيده والي ولاية برقة رشيد باشا سنة 1302 هـ ـ 1884، وهو من الجوامع الكبيرة بالمدينة يتوسط سقف بيت الصلاة قبة كبيرة وأربعة أقبية برميلية، القبة والأقبية البرميلية محمولة على أربع دعامات ضخمة والتي بدورها تحمل اثنى عشر عقدًا، قاعة بيت الصلاة مستطيلة الشكل أبعادها هو (18 × 13,50م)[1].

جامع عثمان بوقلاز (جامع رشيد باشا) بمدينة بنغازي :

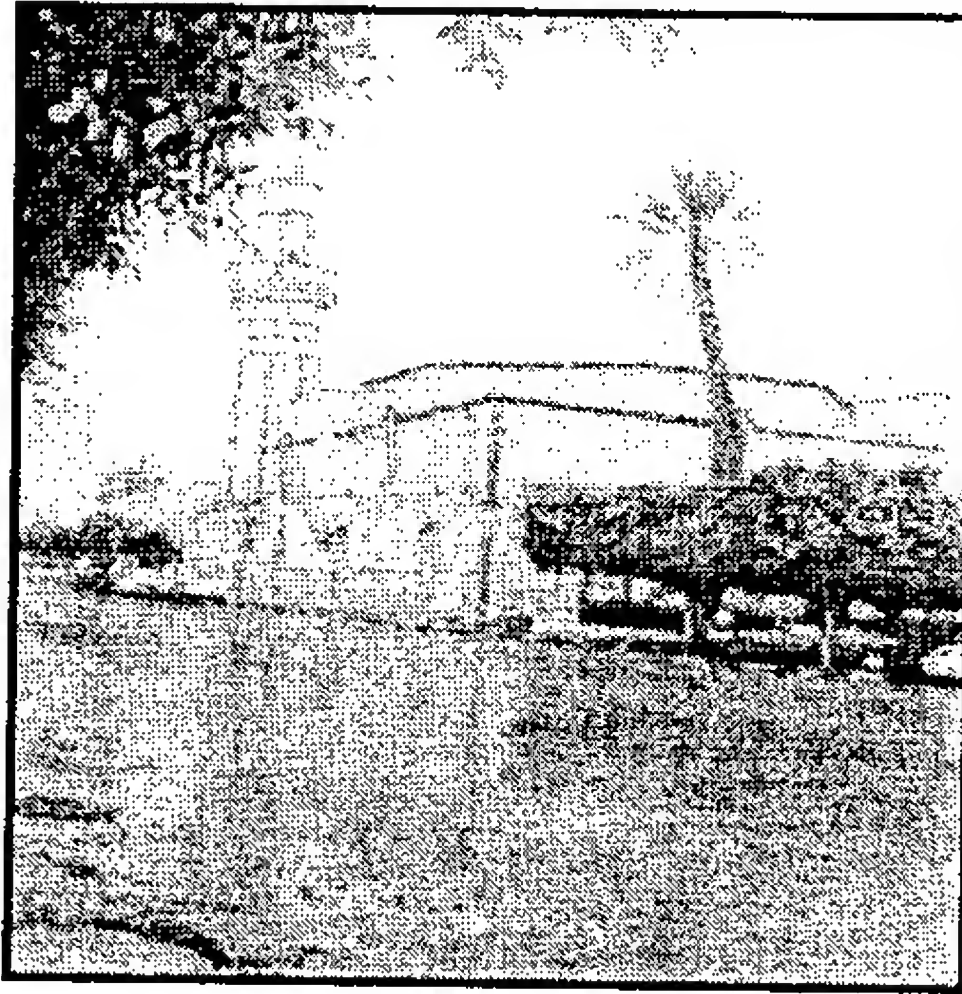
كان الجامع في بداية تأسيسه مسجدًا صغيرًا يرجع إلى الفترة القرمانلية وعرف بمسجد بوقلاز، ولكن الوالي رشيد باشا ،الذي تولى حكم ولاية برقة في الفترة ما بين 1883 ـ 1893م، أعاد بناء الجامع بتخطيط مختلف وبحجم أكبر، وهو من نوع المساجد ذات التخطيط المركزي على غرار تخطيط المساجد السلطانية العثمانية، من حيث تخطيط بيت الصلاة، إذ إن أغلب مساحة بيت الصلاة تغطيها قبة مهيمنة، وقباب أخرى أصغر حجمًا في الزوايا الأربعة وقباب بيضاوية الشكل في المحاور الأربعة لبيت الصلاة، تحيط بالقبة المركزية[2].

الجامع العتيق (أو جامع طاهر باشا) بمدينة بنغازي :

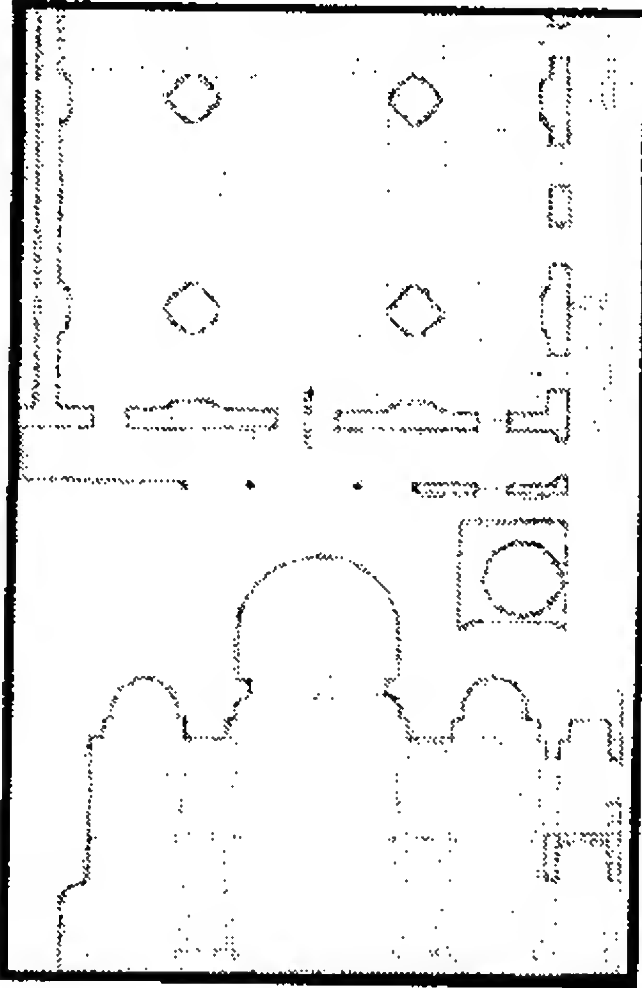
يرجع تأسيسه الأول إلى بداية القرن السادس عشر، على يدي شخص يدعى عبد السميع الفاضي، وكان مسجدًا صغيرًا، ولكن طاهر باشا حاكم برقة أعاد بناءه في فترة ولايته (1893 ـ 1904) بحجم أكبر وبتخطيط مختلف، وهو ما يطلق عليه التخطيط المركزي على غرار تخطيط المساجد السلطانية في تركيا، إلا أن الأمثلة الليبية متواضعة الحجم ونفذت بأسلوب المدرسة الليبية في البناء والتشييد[3].



جامع عثمان بو قلاز ـ مسقط أفقي بنغازي



جامع الباشا ـ بالخمس



الجامع العتيق ـ مسقط وقطاع بنغازي

---

(1) فتح الله محمد أبو عزة، مساجد مدينة درنة، رسالة ماجستير غير منشورة، 2005، 84 و153.

(2) موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ج 1 ، ص 280 ، 287، ـ غاسبري ميسانا، مرجع سابق، ص 218، 222

.ALI M. EL. BALLUSHI, P. 166

(3) غاسبري ميسانا، مرجع سابق، ص 223 ـ 226، موسوعة الآثار الإسلامية، ج 1 ، ص 268 و258.

ALI M. EL . BALLUSHI, P. 166

جامع هدية بمدينة بنغازي:

كان في الأصل مسجد زاوية صغير الحجم يعرف باسم جامع هدية، ولكن الجامع أعيد بناؤه في فترة والي ولاية طاهر باشا في أثناء ولايته في الفترة ما بين 1893 و1903، كما عرف كذلك باسم جامع طاهر باشا. مساحته نحو 140 مترًا مربعًا، وله سقف مسطح ومئذنة أسطوانية الشكل قصيرة ولها شرفة واحدة[1].

جامع الباشا بمدينة الخمس :

ينسب هذا الجامع إما إلى الوالي محمد باشا أو إلى الوالي رجب باشا والي إيالة طرابلس الغرب من سنة 1322 وإلى 1326هـ، في عهد السلطان عبد الحميد، بيت الصلاة مسقوف بقبة واحدة قطها نحو اثنى عشر متراً، وهي أكبر وأضخم القباب في الجوامع الليبية في العهد العثماني، وله مئذنة مثمنة الشكل، من المؤكد أن الذي شيدها هو رجب باشا حسب النص الكتابي الذي يوجد فوق مدخل المئذنة[2].

جامع بن ناجي بمنطقة ميزران بطرابلس:

أسسه الحاج أحمد بن ناجي سنة 1323 هـ ـ 1905م، وهو من المساجد الصغيرة، وله مئذنة من نوع المئذنة ـ السلم.

جامع سيالة بشارع عمرو بن العاص (شارع الوادي) بطرابلس:

أسسه الحاج محمد سيالة سنة 1327 هـ ـ 1908م، مسقوف بقبة ضخمة قطرها نحو ثمانية أمتار، وإلي جوارها قبور برميلي لزيادة مساحة بيت الصلاة. وقد أزيل هذا الجامع بكل أسف في نهاية سنة 1984 وبداية سنة 1985. وحرمت مدينة طرابلس من معلم معماري ديني مهم، له أهمية في تطور القبة وحجم بيت الصلاة تمثل حلقة من حلقات التطور. وفي هذه الفترة تم إزالة جامع سيدي البشت والكتاني بمنطقة أبي هريدة بطرابلس، وجامع سيدي أبو سعيد الذي شيده حسن أبازه والي الولاية سنة 1091 هـ ـ 1680م. حسب نص اللوحة التذكارية فوق المدخل الرئيسي[3].

وبالإضافة إلى هذه المجموعات المعمارية الدينية، التي شيدت في العهد العثماني الثاني، فهناك مجموعة كبيرة من الجوامع والمساجد الصغيرة، والزوايا والكتاتيب، شيدت في مناطق مختلفة من ليبيا، وخاصة في الخمس وساحل الأحامد، وزليطن ومصراتة، ومسلاتة وترهونة، وبني وليد

---

(1) موسوعة الآثار الإسلامية، ج 1 ، ص 274. 278.

(2) موسوعة الآثار الإسلامية، ج 1 ، ص 210. 216 ـــ .ALI M. EL. BALLUSHI, P. 100

(3) بعد إزالة جامع سيدي الكتاني شيد على أنقاضه جامع مهيب وكبير جداً باسم جامع القدس وافتتح في الذكرى العشرين لثورة الفاتح العظيم.

والزاوية، والجبل الغربي بصفة عامة وفي مدن وقرى وواحات إقليمي ليبيا الجنوبي والشرقي، مما يدل على الازدهار الاقتصادي والتطور العمراني والمعماري بصفة عامة والمعمار الديني بصفة خاصة.

تطور المعمار الديني بعد انتهاء الحكم العثماني لليبيا (1911.2006):

تمثل هذه الفترة نحو قرن من الزمان، رزحت ليبيا خلال نصف هذه المدة تحت نير الاستعمار الغربي، المتمثل في الاحتلال الإيطالي (1911 ـ 1943)، وفترة الانتداب البريطاني على ليبيا (1943 ـ 1952). اتسمت الحياة العامة في ليبيا بالانحطاط والتدهور في كل المجالات نتيجة الاحتلال والقهر وعدم الاستقرار. وعلينا أن نقر بأنه لولا رعاية الله ورعاية المؤسسات الدينية، التي شيدت في العهد العثماني لنجحت قوى الاستعمار في تنصير هذا الشعب المجاهد، ومسخ هويته الدينية والقومية والثقافية والحضارية. ليس هذا فحسب بل تصدت هذه المؤسسات، مثل الزوايا والمدارس القرآنية، والكتاتيب، ومراكز التصوف بحزم وقوة وعزم لمواجهة عملية المسخ وعملية التشويه لكل مقومات الهوية والحضارة الإسلامية لهذا الشعب التي أرادها المستعمر الدخيل.

لذلك نقول إنه، في مثل هذه الظروف القاسية، يستحيل قيام مؤسسات تعليمية دينية جديدة في هذا البلد، حيث غرس الاستعمار فيها مقومات أعداء التقدم في فترة احتلاله. غير أن الحال تبدل بعد طرد الاستعمار والمستعمرين وتم إجلاؤهم عن تراب الوطن، فبدأت بوادر نهضة شاملة في كل المجالات، وخاصة في مجال العمارة والعمران الديني، حيث تم بناء العديد من الصروح المعمارية، المتمثلة في الجوامع والمساجد والزوايا والكتاتيب والمعاهد العلمية الدينية. حدث هذا بعد الاستقرار والاستقلال الحقيقي حيث تم طرد بقايا الفاشست والقواعد العسكرية الأجنبية التي كانت جاثمة على صدور الليبيين، وكان ذلك بفضل الله أولاً وبفضل الجهود المتواصلة لثورة الفاتح العظيم ثانيًا.

قامت الثورة بتشييد وإعادة بناء المئات من الجوامع والمنارات والمدارس والمعاهد الدينية كما قامت بتحويل الأبنية الدينية المسيحية، من أجل إعادة توظيفها والاستفادة منها، بعد طرد المستعمرين الذين خلفوها وراءهم، مثل مبنى كنيسة السيدة مريم الواقعة في شارع عمر المختار، ومبنى الكاتدرائية بميدان الجزائر، ومبنى كنيسة السيدة مريم، والكنيسة اليونانية الكاثوليكية بالمدينة القديمة بطرابلس، وغيرها في مناطق أخرى من ليبيا.

ولقد انتشرت المباني الدينية بفضل حركة معمارية عظيمة لم تشهدها ليبيا من قبل بهذه الكثافة والعدد والنوعية. وكان للثورة فضل كبير في تشجيع فتح المنارات الجديدة، والعناية بالمنارات الدينية القديمة وزيادة حجمها وإمكانياتها المادية والبشرية، ويكفي أن ندلل على ذلك أنه بفضل الله وعناية الثورة بالتعليم الديني أن فاق عدد حفاظ القرآن الكريم في ليبيا أعداد غيرهم من بلدان العالم الإسلامي، مع مراعاة نسبة السكان فيها، ويكفي أن نذكر أن مسابقات حفظ القرآن الكريم

وتجويده، التي عقدت في العديد من المرات على نطاق عالمي في السنوات الماضية، وفي مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، كان الأوائل فيها من نصيب حفظة القرآن من ليبيا، وهم طلاب صغار السن ينتمون إلى المنارات الدينية في ليبيا، وشهد لهم بهذا التفوق والتوفيق أشهر العلماء من جميع بلدان العالم الإسلامي.

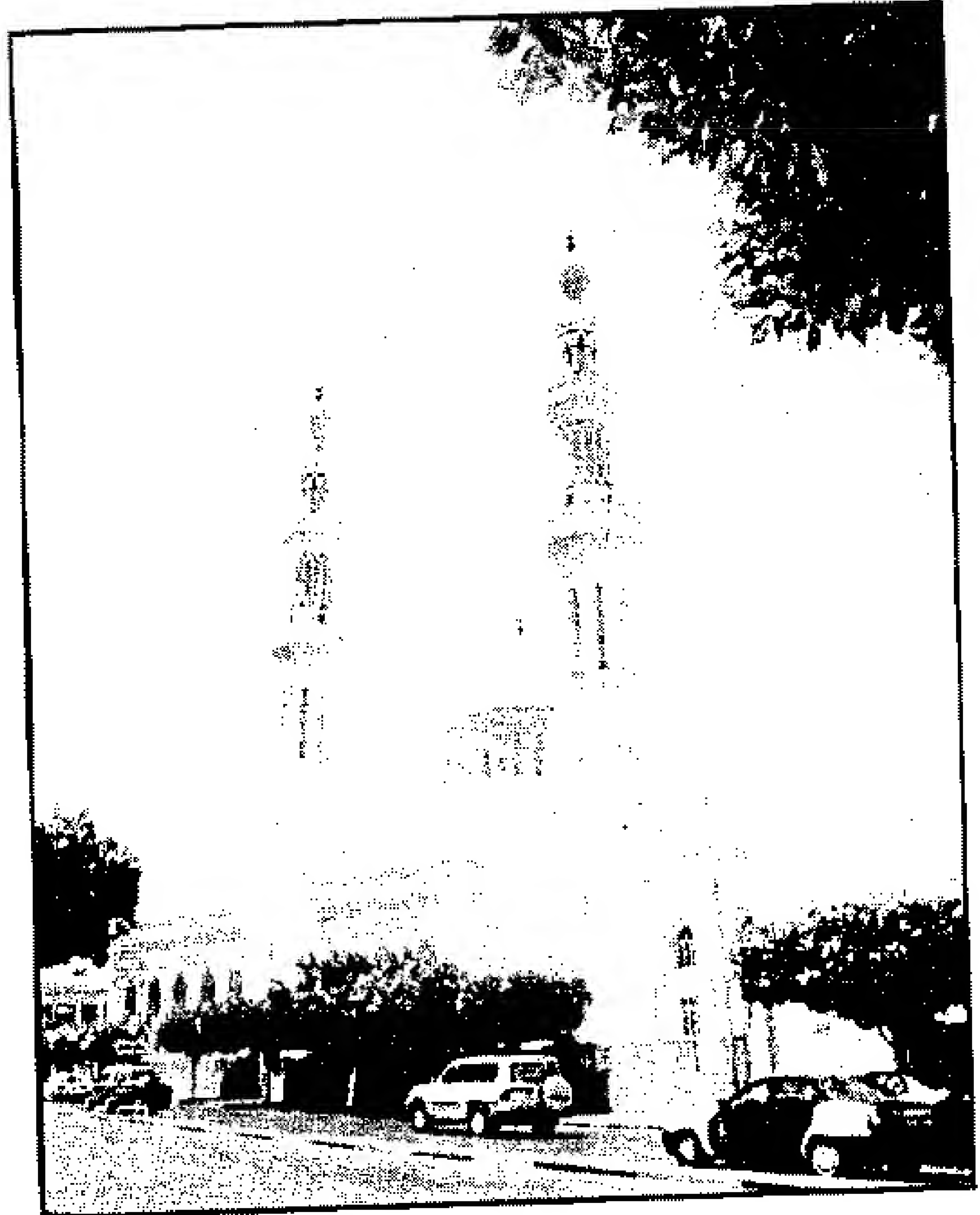
وبما أن العدد كبير من المباني الدينية المختلفة التي تأسست في هذه الفترة المزدهرة فلا مجال لذكرها كلها بل سأكتفي بذكر بعض منها، والتي حملت، كغيرها من الأبنية الدينية، لواء نشر التعليم الديني وترسيخه، والثقافة والحضارة الإسلامية في ليبيا وفي بعض بلدان العالم الإسلامي.

جامع مولاي محمد بطرابلس :

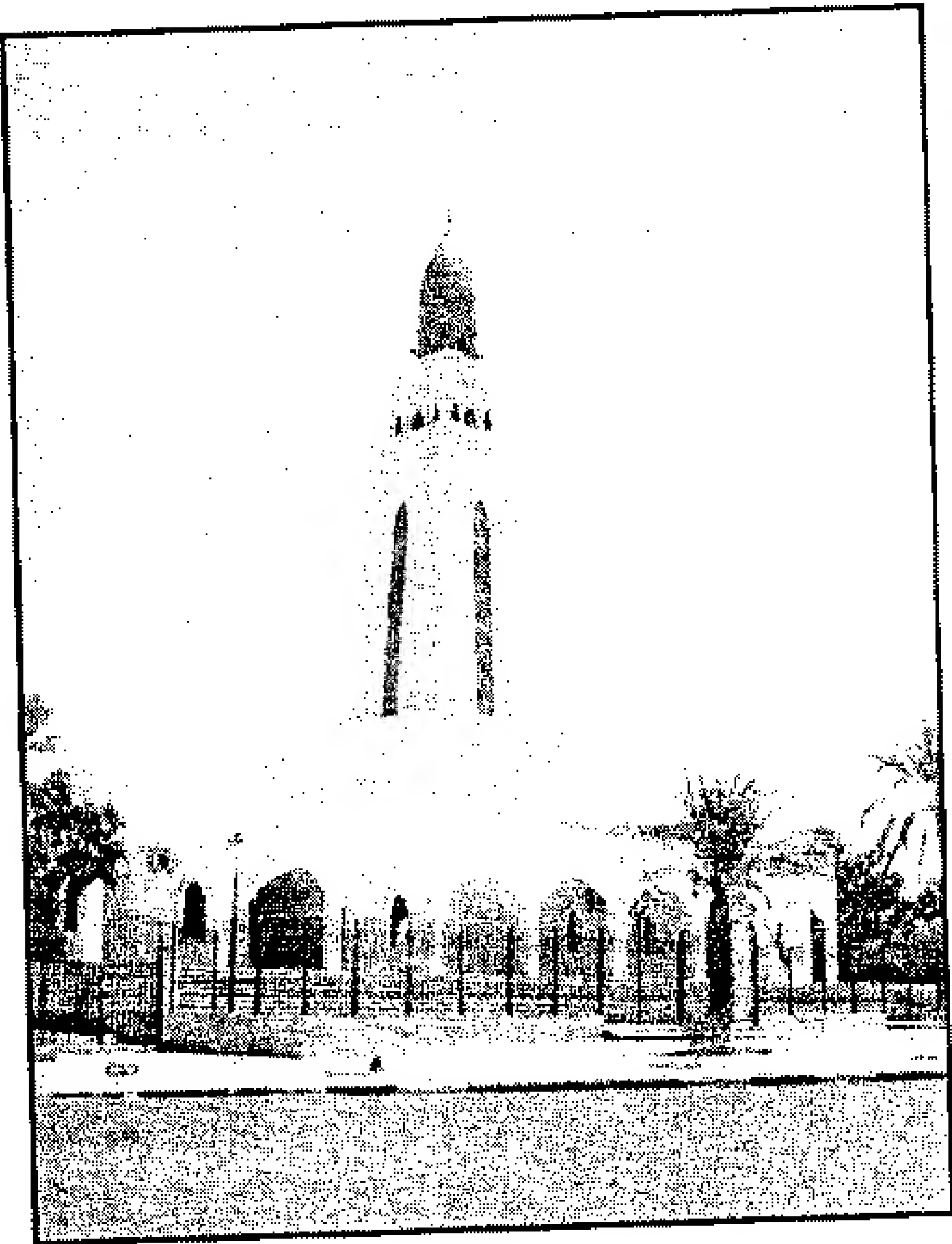
استكمل وافتتح في السنوات الأولى من قيام الثورة، وفيه أقيم الاحتفال الديني الكبير بمناسبة الانتهاء من نسخ المصحف الشريف (مصحف الجماهيرية)، برواية "قالون عن نافع المدني" في ليلة القدر المباركة من شهر رمضان المعظم عام 1393 من وفاة الرسول (ﷺ)، الموافق 7 من شهر الصيف (يونيو) 1983، حضرة قائد الثورة العقيد معمر القذافي حيث قام بتكملة الكلمة الأخيرة (والناس) من مصحف الجماهيرية، وسط تكبير وتهليل الآلاف من أبناء المسلمين.

جامع القدس بميدان أبي هريدة بطرابلس :

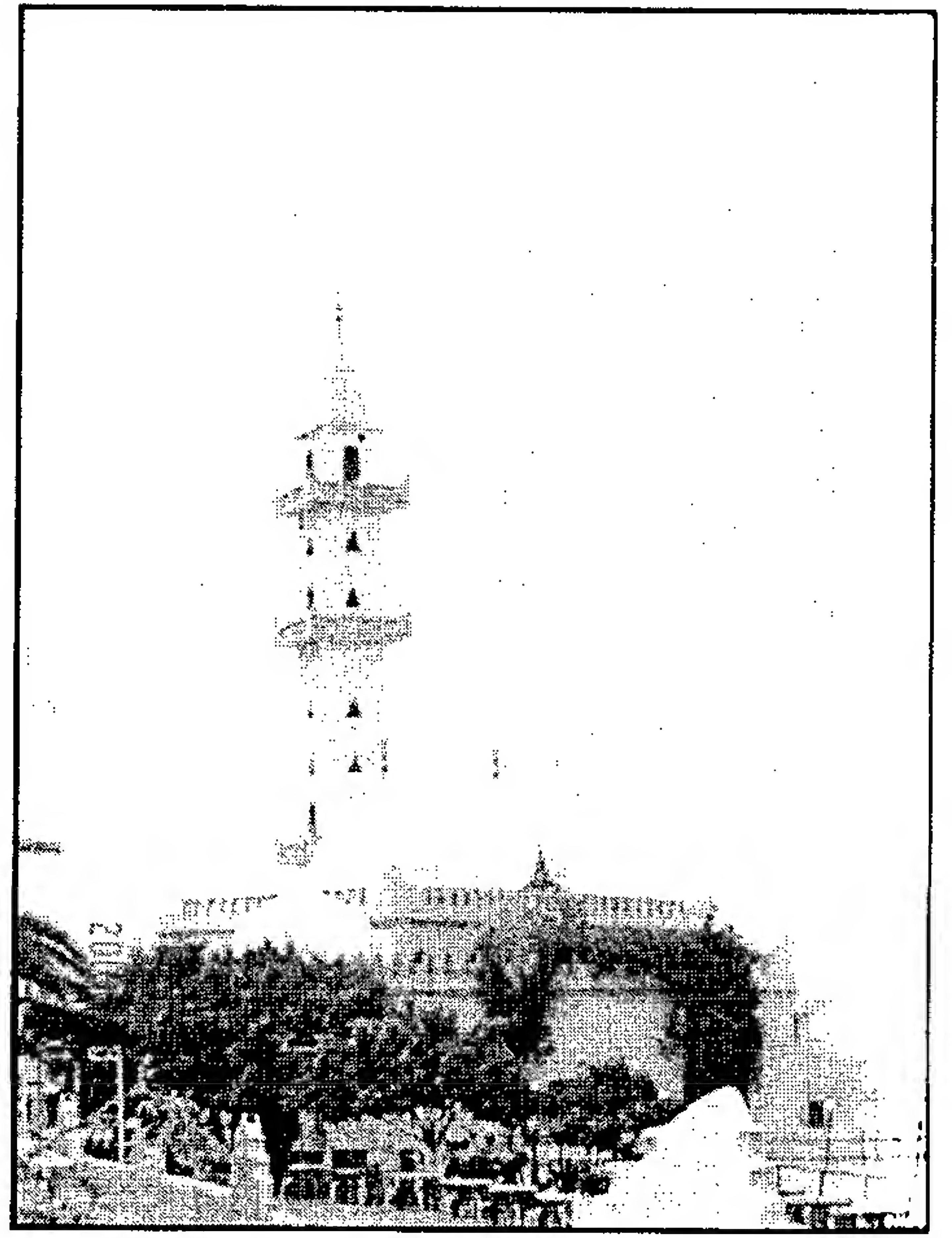
أقيم هذا الجامع تخليداً لكلمة السر (القدس) التي اتفق عليها الضباط الأحرار الوحدويون عند قيامهم بالثورة ليلة الفاتح العظيم، وبمناسبة العيد العشرين لقيام ثورة الفاتح العظيم.



جامع مولاي محمد ـ طرابلس



جامع القدس ـ طرابلس



جامع سيدي الشعاب الجديد ـ طرابلس



جامع عمورة الجديد ـ طرابلس

جامع عمورة الجديد بطرابلس :

شيد بجوار جامع عمورة القديم بشارع بن عاشور بطرابلس، وشرع العمل فيه منذ نحو أربع سنوات، ولم يستكمل بناؤه بعد، وهو أكبر وأضخم الجوامع في ليبيا على الإطلاق مسقوف بقبة ضخمة مهيمنة، وأربع قباب أصغر حجماً في الأركان الأربعة لبيت الصلاة، وبقبويين برميليين طوليين يغطيان المساحة المحصورة بين القبة المركزية وبين القباب الأربعة الأصغر، الواقعة في الجانبين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي. يتسع الجامع لعدة آلاف من المصلين، وله مئذنتان هما أطول المآذن في المساجد الليبية يصل ارتفاع كل منها إلى نحو مئة متر. وكان الغرض من هذه الضخامة للجامع، والارتفاع للمئذنتين أن يكون الجامع أضخم والمئذنتان أعلى من مبنى الكاتدرائية وعلو برج أجراسها، علمًا بأنه تم تحويلها أيضًا إلى جامع باسم (جامع جمال عبد الناصر) لما في ذلك من رمزية حضارية دينية قومية.

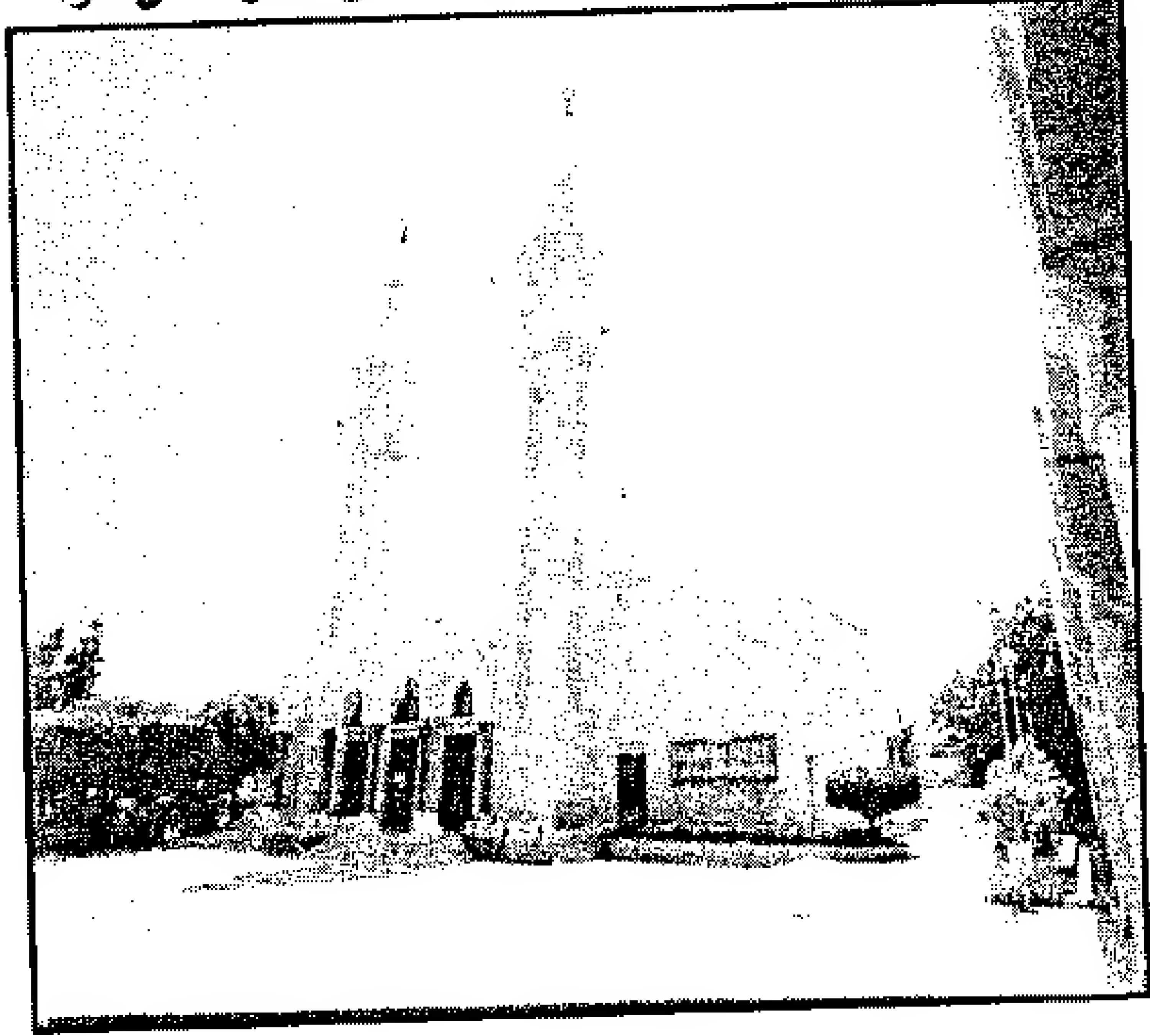
جامع سيدي الشعاب :

شيد الجامع الجديد سنة 1976، على موقع أحد أقدم مساجد مدينة طرابلس، وكان المسجد القديم صغيرًا ملحقاً به زاوية وضريح. وكان من أشهر الرباطات الدينية، وقد ذكره الجغرافيون والرحالة والمؤرخون العرب الأوائل، فكان لابد من تخليد هذا الرباط وهذا المعلم الديني العريق.

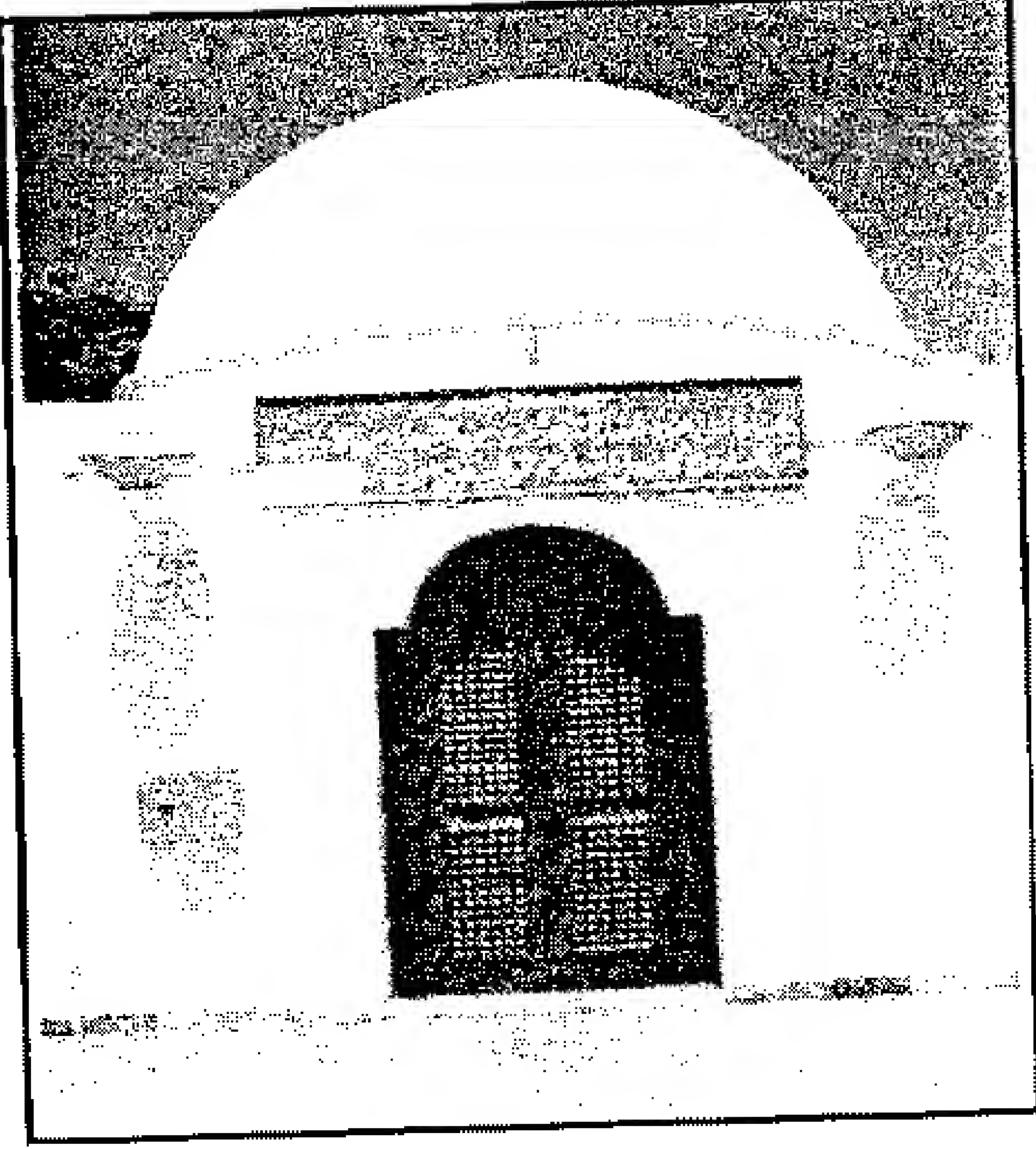
جامع الصحابة بمدينة درنة :

أقيم هذا المعلم الديني تخليدًا لذكرى استشهاد ثلة من الصحابة، بقيادة الصحابي زهير بن قيس البلوي، دفاعًا عن نشر الإسلام في شمال أفريقيا، وبذلوا أرواحهم في سبيل ذلك في معركة غير

متكافئة جرت بينهم وبين الجيش البيزنطي، في نحو 69 أو 70 أو 71هـ، في هذا الموقع وعليه كان لا مناص من تخليد هذا الحدث ومن التواصل لربط الماضي بالحاضر.



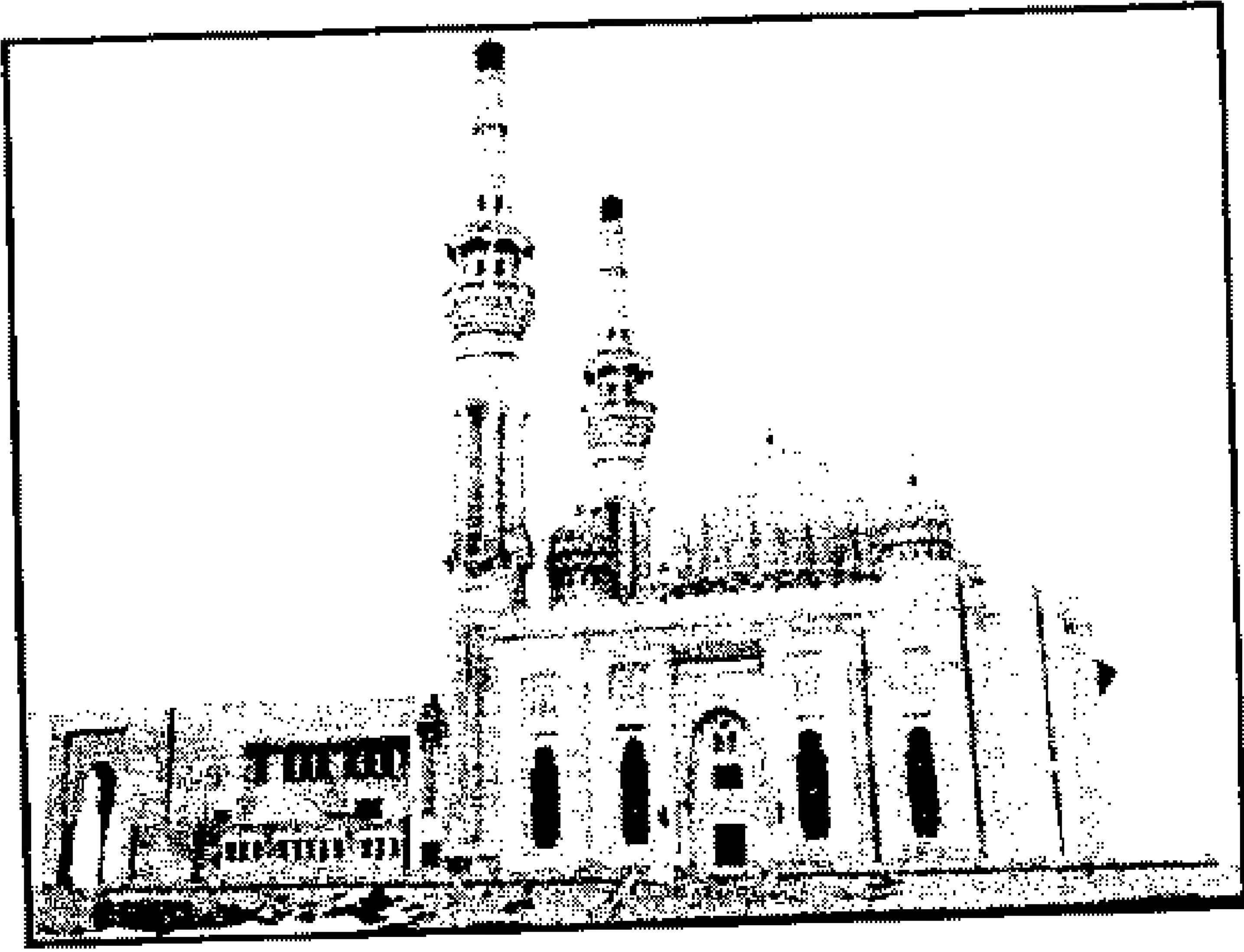
جامع الصحابة ـ درنة



ضريح الصحابي زهير بن قيس البلوي



مشهد الصحابي رويفع بن ثابت الأنصاري



جامع أبو بكر الصديق ـ المرج

مشهد ومزار الصحابي رويفع بن ثابت الأنصاري بمدينة البيضاء:

وهو من الصحابة الأوائل الذين شاركوا في الجهاد تحت راية الرسول يوم خيبر، وشارك في العديد من معارك شمال أفريقيا والشام، كما شارك في تحرير ليبيا تحت قيادة عمرو بن العاص، وتولى إمارة طرابلس ثم برقة. وهو من الصحابة الذين حملوا لواء نشر الإسلام في ربوع هذا البلد والدفاع عنه إلى أن أدركته المنية وتوفى في هذه المنطقة، وكان من الضروري من تشييد مشهد ومزار لتخليد وتكريم هذا الصحابي الجليل.

جامع أبو بكر الصديق بمدينة المرج (برقة القديمة):

هذا الصرح المعماري هو أحد أكبر وأكثر الجوامع جمالاً وزخرفة، من الداخل والخارج، في الجوامع الليبية، وسمى باسم أول الخلفاء الراشدين لما في ذلك أيضًا من رمزية دينية.

الخلاصة :

مر المعمار الديني في ليبيا بصفة عامة، ومعمار المسجد بصفة خاصة، ومنذ الفترات الإسلامية المبكرة، بعدة تغيرات في مجال التخطيط والتصميم والبناء والتشييد، وكذلك في مجال الزخرفة المعمارية، واستخدام أنواع مختلفة وجديدة من المواد التي أدخلت في البرامج الزخرفية. فالمساجد التي شيدت خلال الفترات الإسلامية المبكرة، وإلى ما قبل الفترة العثمانية، كانت تسقف إما بأسقف مسطحة، أو أسقف برميلية الطراز، في حين صار في العصر العثماني الأسلوب المهيمن في التسقيف، بطريقة القباب، التي يتراوح عددها في المسجد الواحد ما بين قبة واحدة، وإلى اثنتين وأربعين قبة، مثلما هو الحال في جامعي الناقة بطرابلس والكبير درنة وأغلب هذه المساجد مؤرخة وأسماء مشيديها ومؤسسيها معروفة.

هذه القباب تسندها هياكل إنشائية من العقود، محمولة على أعمدة ودعامات ساندة، وهذه التشكيلة من العقود تنتشر من الأعمدة والدعامات الواقعة على مسافات منتظمة من بعضها في داخل بيت الصلاة. ومن الملاحظ أن أغلب هذه المساجد بسيطة من حيث التصميم والزخرفة والمكونات المعمارية واستخدام المادة البنائية. وفي المرحلة العثمانية استخدم المعماريون، فيما يتعلق بتصميم المئذنة، اربعة أنواع من المآذن هي الأسطوانية الشكل، والمثمنة، وذات القطاع المربع والمئذنة البسيطة التي يطلق عليها المئذنة ــ السلم بأنواعها الثلاثة. هذه الصبغ الثلاثة من المئذنة ــ السلم هي طراز معماري استمر في الاستخدام في المساجد الليبية منذ المرحلة الإسلامية المبكرة ومازال مستمراً في الوقت الحاضر، وهذا يميز معمار المسجد في ليبيا في كل الفترات الإسلامية.

أما فيما يتعلق بمحاولة المعماريين الليبيين الحصول على فراغ داخلي موحد في بيت الصلاة، في معمار المسجد الليبي، والتي كانت مفقودة ومن خصائص المسجد التي شيدت قبل دخول الأتراك لليبيا وبعده، هي مشكلة معمارية وإنشائية واجهت المعماريين المسلمين في أغلب أقطار العالم الإسلامي، إلى أن توصل المعماريون الأتراك العثمانيون إلى إيجاد طريقة إنشائية لتسقيف بيت الصلاة، والتي يطلق عليها المعماريون مصطلح (المساجد ذات التخطيط المركزي) حيث يتم تسقيف بيت الصلاة بقبة كبيرة مهيمنة، مع استخدام قبيبات صغيرة وأنصاف قباب لتسقيف بيت الصلاة.

وما جرى في عاصمة الدولة العثمانية، من القيام بتجارب في هذا الشأن، فقد جرى بدوره في كل الولايات العثمانية، ومنها إيالة طرابلس الغرب. حين تجمعت الخبرة والكفاءة التقنية والإنشائية والفنية لدى المعماريين الليبيين في المرحلة العثمانية، وهي متواضعة مقارنة بغيرها من البلدان، ولم يترددوا في استعمال أنواع وأساليب مختلفة في بناء المسجد في ليبيا، ومنها الحصول على فراغ موحد في بيت الصلاة.

ومن أمثلة هذه المحاولات المعمارية الجادة ما يشاهد في الجامع الملحق بزاوية عمورة بجنزور (1721)، وجامع عمورة محمد فلمنك (1174هـ ـ 1760م) بشارع بن عاشور بطرابلس، وجامع الميلادي (نحو ق 19م)، وجامع سيالة الذي أسسه محمد سيالة سنة 1327 هـ ـ 1908م بطرابلس وجامع ميزران الذي أسسه الحاج رمضان ميزران (1298 هـ ـ 1880م)، وجامع رشيد بدرنة (1882 ـ 1893)، وجامع الباشا في مدينة الخمس (1900 ـ 1904) وجامع سيدي المرغني (1236 هـ ـ 1820م) بطرابلس، وتتراوح أقطار قباب هذه المساجد ما بين 7 إلى 12م.

وهذه محاولات جادة للحصول على فراغ موحد في بيت الصلاة، تمشياً مع الطراز العثماني السائد من حيث التطور الأكثر نحو التعقيد المعماري والتحدي الإنشائي، وقد وصل هذا التعقيد الإنشائي إلى درجته القصوى في المسجدين ذواتي التخطيط المركزي، على غرار المساجد السلطانية، وهما المسجد العتيق (1883 ـ 1893)، ومسجد عثمان بوقلاز (أو رشيد) (1893 ـ 1903)، وكلاهما في مدينة بنغازي.

أما في مجال الزخرفة وما تمثله من قيم جمالية فإنه إلى العقد الأخير من القرن السابع عشر، كان التقليد المعماري البنائي بصفة عامة في معمار المسجد في ليبيا، هو بناء مسجد بسيط خال من الزخرفة والبهرجة الفنية والمعمارية، وكان التركيز منصباً على الجوانب الوظيفية أكثر منها على الجوانب الجمالية والزخرفية. كانت هذه خصائص ومميزات الفترات السابقة للفترة العثمانية، استمرت كذلك في أغلب المساجد التي شيدت في العصر العثماني. ولا ننكر أن هناك الكثير من الاستثناءات، إذ نجد كثيراً من الجوامع والمساجد، وخاصة تلك التي شيدت في الفترة القرمانلية، ما حظيت بنصيب كبير من البهرجة والزخرفة المعمارية، وصلت قمتها في البرامج الزخرفية التي وضعت للجوامع الثلاثة المتميزة، شائب العين، أحمد باشا، ومصطفى قرجي بمدينة طرابلس القديمة. كما نلاحظ أيضاً أنه ابتداءً من نهاية القرن السابع عشر وإلى القرن التاسع عشر بدأنا نشاهد تأثير الفن والعمارة الأوربية المتمثلة في بعض زخارف طرازي الباروك والركوكو الزخرفيين على معمار وزخرفة المسجد في ليبيا، كما دخلت مواد جديدة في البرامج الزخرفية في الفترة العثمانية، مثل الزخرفة الحجرية والرخامية والجصية، والخشبية في الأسقف والأبواب، واللوحات والبلاطات الخزفية المتعددة الألوان، والتي تشاهد في عدد كبير من المساجد والمدارس الدينية والأضرحة، في كل من ليبيا وتونس والجزائر.

وباختصار شديد مر معمار المسجد في ليبيا بثلاث مراحل من التطور، ففي الفترات السابقة للفترة العثمانية، كان تخطيط بيت الصلاة يتكون من وحدات فراغية مستطيلة، مسقوفة إما بسقف مسطح أو بأقبية برميلية الشكل. أما في الفترة العثمانية الأولى (1551 ـ 1711)، والفترة القرمانلية (1711 ـ 1835)، صار بيت الصلاة يتكون إما من وحدة فراغية واحدة تسقفها قبة واحدة، أو وحدات فراغية متعددة تسقفها قباب متعددة. أما في الفترة العثمانية الثانية (1835 ـ 1911)، فقد امتازت الجوامع بالتنوع في التخطيط والتصميم، بعضها يتكون من بيت صلاة به

وحدات فراغية مسقوفة بأقبية برميلية، والبعض الآخر يتكون من خليط من القباب والأقبية البرميلية.

وفي هذه الفترة استخدم طراز جديد في تخطيط المساجد وهو ما يطلق عليه (المسجد ذا التخطيط المركزي) الدي يتكون فيه بيت الصلاة من وحدة فراغية واحدة مسقوفة بقبة كبيرة، أو قبة كبيرة وإلى جوارها قبو أو قبوان برميليان، يسير أو يسيران بالتعامد أو بالتوازي مع جدار القبلة. كما ظهر نوع آخر من تخطيط المساجد، وهو أن يكون بيت الصلاة مسقوفاً بقبة كبيرة مهيمنة، ومعها أربع قباب صغيرة موضوعة في الأركان الأربعة من بيت الصلاة، وقباب بيضية الشكل، تدعم القبة المركزية على المحاور الأربعة من بيت الصلاة، على غرار تركيبة المساجد السلطانية، إلا أن النماذج الليبية صغيرة الحجم ومتواضعة، ونفذت بأسلوب معماري محلي، مثل الجامع العتيق وجامع عثمان بوقلاز، كلاهما في مدينة بنغازي، وهذا يعني أن الوحدات الفراغية التسع لبيت الصلاة غير متماثلة وكذلك أسقفها غير متماثلة. وما يجب ملاحظته أيضًا أن التقليد البنائي في معمار المسجد في ليبيا، ذي السقف المسطح، الذي ميز مساجد إقليمي برقة وفزان، استمر بدون تغيير يذكر في كل الفترات قبل الفترة العثمانية وأثناءها.

أما في الفترة التي تلت الفترة العثمانية نلاحظ فيها التركيز على محاولة الحصول على فراغ موحد بقدر الإمكان في بيت الصلاة، واستخدام قبة في وسط بيت الصلاة بالإضافة، وفي كثير من الأمثلة إلى وجوب أربعة قباب صغيرة في الأركان الأربعة لبيت الصلاة، والاتجاه نحو الغنى الزخرفي المتمثل خاصة في استخدام الزخارف الجصية الملونة الحليات المعمارية، والاتجاه أيضاً نحو تشييد الجوامع والمجموعات المعمارية الضخمة التذكارية، وتعدد الشرفات في المآذن وثنائية المآذن في المسجد الواحد. هذه هي أهم خصائص معمار المسجد في الفترة التي تلت الفترة العثمانية إلى يومنا هذا.

المصادروالمراجع

باللغة العربية :

1 ـ ابن خراداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) كتاب المسالك والممالك، ليدن 1806 هـ ـ 1889م.

2 ـ ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) فتوح مصر، جامعة ييل، مطبعة جامعة ييل 1922.

3 ـ ابن غلبون (أبي عبد الله محمد بن خليل) التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، ط 2 ، مكتبة النور، طرابلس ليبيا، 1967.

4 ـ إسماعيل (علي عمر بن) انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا، 1795 ـ 1835، ط 1، مكتبة الفرجاني، طرابلس ليبيا، بيروت، 1966.

5 ـ أمين (حسين) 'المسجد المعهد الأول للتعليم عند المسلمين"، مجلة كلية الآداب، جامعة الأسكنردية، العدد الثاني والعشرون، مطبعة جامع الأسكندرية 1968، 1969.

6 ـ الباروني (عمر) الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، طرابلس مطبعة ماجي، 1952.

7 ـ برنيا (كرستانزيو) طرابلس من 1510 إلى 1850، تعريب محمد التليسي، الناشر الفرجاني، طرابلس ليبيا، 1969.

8 ـ البكري (أبو عبيد عبد الله) المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب: المسالك والممالك، الجزائر، 1957.

9 ـ البلوشي (علي مسعود) "المواقع الإسلامية المبكرة" المتحف الجماهيري، ط 1، 1988.

10 ـ البلوشي (علي مسعود) "انتصار الإسلام مدينة أجدابيا ومدينة سلطان" المتحف الجماهيري، 1988.

11 ـ البلوشي (علي مسعود) "العمارة المحلية والزخارف المعمارية" المتحف الجماهيري، 1988.

12 ـ البلوشي (علي مسعود) "المئذنة ـ السلم في معمار المسجد الليبي" مجلة كلية التربية العدد الرابع عشر 1980 ـ 1981.

13 ــ البلوشي (علي مسعود) "المسجد ومكوناته" موسوعة الآثـار الإسـلامية في ليبيـا، ج 1 منشورات مصلحة الآثار، إصدار الدار العربية للكتاب، 1980.
14 ــ البلوشي (علي مسعود) "تطور الأسلوب الزخرفي في معمار المسجد الليبي" مجلـة كليـة التربية العدد السادس عشر، 1981 ــ 1982.
15 ــ الحيحي (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري) رحلة العبدري: الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، سلسلة الرحلات، الرحلة رقم 4 حجازية رقم 1، الرباط، جامعة محمـد الخـامس، 1968.
16 ــ روسي (اتوري)، طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا، ترجمة خليفة محد التليـسي، مؤسسة الثقافة الليبية للتأليف والترجمة والنشر، طرابلس ليبيا، 1969.
17 ــ الزاوي (الطاهر أحمد) معجم البلدان الليبية، طرابلس، مطبعة النور، 1968.
18 ــ سامح (عزيز) الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة عبد السلام أدهم، دار لبنان، بيروت، 1969.
19 ــ السمهودي (أبو الحسن بن عبد الله) وفاء الوفاء بأخبار دار المـصطفى، مطبعـة الآداب والمؤيد، مصر، 1326هـ.
20 ــ السمهودي (أبو الحسن بن عبد الله) خلاصة الوفاء، دار الطباعة العامرة، مصر، 1868.
21 ــ القابسي (نجاح) "المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي" مجلة كلية التربية العـدد الرابع عشر، 1980 ــ 1981.
22 ــ الهرامة (عبد الحمبد عبد الله) "الحياة العلمية في الجبل الغربي في النصف الأخير من القـرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين"، مجلة البحوث التاريخية، السنة السادسة، العـدد الأول يناير 1984، منشورات جامعة الفتح، مركز دراسات جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي.
23 ــ ميسانا (غاسبري) المعمار الإسلامي في ليبيا، تعريب على الصادق حسنين، الناشر الدكتور مصطفى العجيلي، 1972.

المراجع الإفرنجية :

1. ABDUSSAYED, "ABD AL HAMID, AN EARLY MOSQUE AT MADINAT SULTAN", LIBYA ANTIQUA III, IV, 1966 – 1967.
2. ABUN – NASR, JAMIL M., A HISTORY OF THE MAGHRIB, 2 ND, ED, UNIVERSITY, PRESS, CAMBRIDGE, LONDON. N. Y. 1975.
3. AURIGEMMA, SALVATORE, "LA MOSCHEA DI AHMED QARAMANLI IN TRIPOLI, DEDALO, II, ANNO 7 ROME: MILAN, CASA EDITERICED ARTE BESTETEE TUMMINELLI, 1926, 1927.
4. AUERGEMMA, SALVATORE, "LA MOSCHEA DI GURGI IN TRIPOLI", AFRICA ITALIANA, I, ANNO 6, NO 4, ROME: A CURA DEL MINISTRO DELLE COLONIE, 1928.
5. BERNARD RUDOFSKY, ARCHITE CTURE WITHOUT RCHITECTS, DOUBLEDAY AND COMPONY, INC. GARDEN CITY, N.Y, 1964.
6. EL-BALLUSHI, ALI M., A HISTORY OF LIBY AN MOSQUE ARCHITECTURE DURING THE OTTOMAN AND KARAMANLI PERIOD, 1551 – 1911, GENERAL PUBLICATION, DISTRIBUTION AND ADVERTISING COMPANY, 1984.
7. GOLVIN, LUCIEN, ISLAMIC ARCHITECTURE IN NORTH FRAICA, LONDON. FABER AND FABER, 1976.
8. GOOD CHILD, RICHARD, "MADINAT SULATN: A, PERLIMINARY NOTE", LIBYA ANTIQUA, I, TRIPOLI, THE DIRECTORATE GENERAL OF ANTIQUITIES, 1964.
9. GODFREY, FISHER, LEGEND: WAR, TRADE, PIRACY IN NORTH AFRICA, 1410 – 1830, OXOFRD, 1957.
10. HUTT, ANTONY, AND GUY PERTHRBRIDGE, ISLAMIC ART AND ARCHITECTURE IN LIBYA: VERNACULAR ARCHITECTURE, EXHIBITION CATALOGUE, LONDON, 1976.
11. INALICIK, HALIL, THE OTTO MAN EMPIRE. THE CLASSICAL AGE 1300 – 1600, TRANS., NORMAN, ITZKAWITZ AND COLINE IMPER, N. Y. PRAEGER PUBLISHERS, N. Y. WASH., 1973.

12. JAY SHAW, STANFORD, HISTORY OF THE OTTOMAN AND MODERN TURKEY, I, CAMBRIDGE UNI., PRESS, LONDON, N.Y., 1976.
13. KHUSHAIM, ALI, F., ZARRUQ: THE SUFI, GENERAL CMPANY FOR PUBLICATION, TRIPOLI, LIBYAN ARAB REPUBLIC, 1976.
14. LYON, GEO FRANCIS, A NARRATIVE OF TRAVELS IN NORTHERN AFRICA IN THEYEARS 1818 – 1820, LONDON, JOHN MURRAY, 1821.
15. MAKDISI, GEORGE, "MUSLIM INSTITUTIONS OF LEARNING IN ELEVENTH CENTURY BAGHDAD". BULLETING SCHOOL OF ORIONTAL AND AFRICAN STUDIES, UNI, OF LONDON, VOL, 24, 25, 1961, 1962.
16. NIAZI, KAUSAR, ROLE OF MOSQUES, LAHORE PAKISTAN 1976.
17. SCARIN EMILIO, LE OASI DEL FEZZAN, BOLOGNA, NICOLA ZANITHELLI EDITORI, 1934, XII.
18. SCARIN EMILIO, LE OASI CIRENAICHE, DEL 29 PARALLELO, FLORENCE, G.C. SANSONI EDITORE, 1937, XV.
19. TULLY, RICHARD, A NARRATIVE OF TEN YEARS RESIDENCE OF TRIPOLI IN AFRICA, 2 ND. ED. LONDON.

الفصل السادس

تراجم وسير لشخصيات ليبية

د. محمد مسعود جبران[1]

يُعني هذا البحث بالتعريف الموجز بطائفة من علماء ليبيا (طرابلس أو أطرابلس الغرب)[2] حسب التسمية التاريخية، الشائعة في كتب التاريخين والجغرافيين المسلمين[3]، وذلك منذ القرن الثاني إلى القرن الخامس عشر للهجرة، وذكر أعلام مشهورين منهم في سياق الحركة الفكرية الليبية، والإلماح إلى تواصل جهودهم مع الحياة العلمية والأدبية في العالم العربي والإسلامي خلال هذا العهد الإسلامي الزاهر.

ونظرًا لاتساع آفاق هذا الموضوع وكثرة ما حفل به من العلماء في العلوم العربية والإسلامية وهو ما يجعل الإحاطة بسيرهم وتراجمهم ضمن هذا البحث الموجز المحدود أمرًا مستحيلاً، فقد رأينا أن نركز القول في لج محيطه الواسع الفسيح (ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق)[4] في المحاور الآتية:

1 ــ دفع (التشويه الخاطئ) الذي وصمت به ليبيا والحركة العلمية فيها خلال العهد الإسلامي من حيث نعتها ــ ظلمًا ــ من بعض الرحالات والتاريخين بالعقم والجمود، ووصفها ــ بقلة إنجاب العلماء والفقهاء والأدباء والمؤرخين والرحالة، وبيان أن ليبيا وحركتها الفكرية كانت طوال تاريخها الإسلامي ــ في الغالب ــ حركة ولوداً معطاءة بما أمدت به الحضارة الإسلامية من علماء في مختلف العلوم والفنون والذين حلوا ووصفوا عند المنصفين من علماء الإسلام والعربية والمؤرخين بالتحليات الرائقة والأوصاف الشائقة ــ كما سنوضح.

2 ــ ومع التسليم بالمحقق والمتحقق من ازدهار الحركة العلمية في ليبيا، وكثرة علمائها ووفرتهم وأهميتهم في داخلها وخارجها ــ ضمن العصور المومى إليها في هذا البحث، فقد رأينا من الأهمية والموضوعية أن نبحث ونكشف ــ عن العوامل والأسباب التي ألقت بظلمها وإظلامها في التعتيم الذي جره (التشويه الخاطئ) من أقلام الرحالات والتاريخين لمعالمها وأعلامها.

---

(1) رئيس قسم اللغة العربية بكلية الدعوة الإسلامية.

(2) هكذا ورد في كتاب الجغرافيين والتاريخين المسلمين، وهم يعنون به ما تعنيه مشمولات أراضي ليبيا في الوقت الحاضر من المدن والقرى.

(3) راجع: معجم البلدان لحموي، البغدادي 4: 25، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والآثار لمقديش، مخطوط اللمحة البدرية في الدولة النصرية بخزانة القرويين وخزانة الرباط وهي قيد تحقيق كاتب هذا البحث.

، الإحاطة في أخبار غرناطة، ومقدمة ابن خلدون وتاريخه كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر) لابن خلدون، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار) للعمري..

(4) مثل عربي أورده الميداني في مجمع الأمثال في باب الحاء، وقال: أي اكتف من الكثير بالقليل، وأورده أبو المحاسن محمد الشيبي في (تمثال الأمثال) في حرف الياء مع الكاف، ويروي أيضًا ما أحاط بالرقبة.

3 ــ إظهار القيمة العلمية ــ لهذه البلاد ــ المبخوسة الحظ ــ من خلال التنويه بجهود علمائها وتفاعلهم مع الحيوات الفكرية في البلاد الإسلامية المشرقية والمغربية ــ عبر ظاهرة الرحلة العلمية وطرق تحمل العلم، أو (التأثر والتأثير) وقد جلونا ذلك من خلال مبحثين:

أ ــ صيرورة هذه البلاد، أو على وجه الدقة، بعض مدنها وقراها ــ خلال العهد الإسلامي ــ ملاذًا لعلم، وموئلاً للعلماء الأصلاء والطارئين عليها.

ب ــ رحلات العلماء الليبيين وهجراتهم منذ القرن الثاني الهجري إلى ديار الإسلام في المشرق والمغرب حيث قدر للكثير منهم الحصول على الإجازات، وإبداء التأثر والتأثير العلميين في تلك الديار الإسلامية.

4 ــ ثم ختمنا الحديث ــ في هذا البحث ــ بعد ذلك التأصيل والدفع والبحث في تلك العوامل والأسباب ــ بكتابة تراجم وافية دالة لبعض الأعلام من علماء ليبيا في القديم والحديث ــ زيادة على الإشارات الكثيرة المختصة إلى أسماء غيرهم في مختلف العصور في سياق المحاور السابقة.

أبدأ أولاً بدفع مظهر ــ التشويه الخاطئ ــ الذي وصفت به الحركة الفكرية بليبيا من حيث وصفها أو نعتها بالعقم، وقلة إنجاب العلماء المبرزين، فأقول: لقد تعرضت هذه الحياة ــ دون شك ــ إلى شيء غير قليل من التقليل والنبز والاستنقاص، بل إلى (التشويه الخاطئ) من بعض الرحالة والمؤرخين من أمثال محمد العبدري البلنسي (720/643) [1] والحسين بن أحمد الورثيلاني [2] (1778/1713) ومحمد عثمان الحشائشي (1912/1855) [3] وغيرهم من الرحالة الذين عبروا أراضي طرابلس الغرب (ليبيا) ومروا بربوعها ونظروا أوضاحها ومغانيها، ولكن لم يقدر لهم خلال إقامتهم القصيرة في ديارها نتيجة سفرهم المتعجل ــ الاطلاع التام على آفاقها العلمية، ونواحيها الفكرية القديمة، والتعرف على شخصياتها العالمة الموجودة إبان عبورهم في مدنا وقراها الكثيرة، كما لم يتمكنوا ــ في أثناء ذلك المرور العابر ــ من الاطلاع على ما كان لليبيا ــ قديمًا وإلى عصرهم ــ من علم وعلماء، وتآليف وآثار ــ فخفوا متسرعين إلى القول بما قالوا به من عقم الحياة العلمية وخوائها في ليبيا، والتسليم بضعف أبعادها المعرفية والإقرار بقلة أثر عطائها، وضمور مشاركة أعلامها في العلوم والفنون المختلفة ودعت الجرأة بعضهم إلى نعتها بالبيئة البينية المقفرة من شميم العلم، والخالية من وجود الأعيان والعلماء والكتاب والأدباء، بل بالغ بعض الوصافين من الرحالة الجائرين في مساقات ذلك (التشويه الخاطئ)، فذهب الوهم ببعضهم في تصورها أنها بجميع جهاتها وجنباتها، بلاد خاوية الوفاض، بادية الأنفاض.

---

(1) راجع ترجمته في الأعلام من حل مراكش وأغمات من الأعلام للمراكشي 4: 287 ـ 230 الذيل والتكملة 8: 1 و42 شجرة النور الزكية 1: 217 فهرس الفهارس للكتاني 2: 809 رحلة العبدري بتحقيق علي إبراهيم كردي.

(2) راجع (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) 845.

(3) الأعلام 6: 263 رحلة الحشائشي إلى ليبيا بتحقيق الأستاذ علي مصطفى المصراتي.

وما من ريب في أن هذا المذهب التأثري القاسط، والمنزع العاطفي المتسرع قد أوقعهم ــ دون شك ــ ومنهم بعض العلماء الكبار مثل الرحالة محمد العبدري في الخطأ والخطل الفاحشين، وفي ورطة عدم التثبت والتحقق كما خيلا لمتلقي وصفهم، وقراء رحلاتهم أن طرابلس الغرب (ليبيا) وهي ــ كما لا يخفى ــ دار من ديار الإسلام والعربية، يسري عليها وعلى حياتها العلمية ما يسري على تلك الديار من أحوال القوة والضعف، والظهور والضمور في تجلي كثرة العلماء ووفرتهم في بعض الأحيان وقلتهم وندرتهم في أحيان أخرى، مصداقًا لقول الله تعالى: "وتلك الأيام نداولها بين الناس"[1] بلاد هي في وهمهم ــ أفرغ من فؤاد أم موسى في نضوب العلم منها، وندرة العلماء فيها، وكأن لسان حالهم ومقالهم يفصح بالمثل (كل الصيد في جوف الفرا)[2] يقصدون بقولهم ذم هذه البلاد، وتزكية بلدانهم وأوطانهم على الإطلاق.

وفي الحق فإن هذا التحامل المحموم أو (التشويه الخاطئ) الذي نسوا أو تناسوا به ما أنجبته ليبيا ــ عبر الأزمان ــ من علماء أجلاء، شهد لهم العلماء العرب والمسلمون ــ كما سيأتي ــ بالتبريز والنبوغ، يدعونا إلى أن نقف هنا وقفة جادة استقرائية نتساءل فيها عن الأسباب المتعددة التي حملت أولئك الرحالة وغيرهم على ذلك التحامل، وأسهمت سلبًا في ظهور ما اصطلحنا على تسميته بـ (التشويه الخاطئ) فيما كتبوه، فما من ريب في أن أسبابًا كثيرة، أسهمت بظلالها القاتمة في تكوين وتلوين الصورة المشوهة حول الحركة الفكرية وعلمائها في ليبيا ونكتفي في هذا المقام بذكر بعضها، لننطلق منها إلى إظهار وإبراز معالم اللوحة المشرقة للعلم وكثرة العلماء في ليبيا في القديم والحاضر، فمن تلك الأسباب التي رسخت في الأذهان والأوهام ضعف وضمور شكل الحركة الفكرية وأعلامها في ليبيا:

1 ــ هجرة العلماء الليبيين خارجها، بفعل ظروف متعددة اجتماعية وطبيعية وسياسية، مما تأسس عنها نزوحهم ــ اختيارًا أو اضطرارًا ــ إلى أوطان عربية إسلامية حتى لقد حسب الكثير منهم بهذا الرحيل والهجرة والإقامة في غير بلدهم ليبيا في عداد أصلاء تلك البلدان التي هاجروا إليها ولم يعتبروا من الطارئين عليها، وأن قارئ كتب التراجم والبرامج المشرقية والمغربية ليفاجأ بالجم الغفير من هؤلاء العلماء المنسوبين إلى غير ليبيا، بينما هم يرجعون ــ في الحقيقة إلى مدنها وقراها المعروفة، فأنت تقرأ في الفاف تلك الكتب والمظان هذه الأسماء المنسوبة إلى ليبيا مثل الطرابلسي والبرقي والفزاني والوداني والغدامسي والمصراتي والأرجلي والمسلاتي والورفلي والغرياني والأجدابي، وغير ذلك من الأسماء الليبية، وسوف نتبين ــ عند حديثنا حول هذا الجانب من الهجرة ــ فيما بعد ــ كثرة هؤلاء العلماء الليبيين المهاجرين قديماً وحديثاً، كما نتبين أيضاً كثرة الأقطار والأمصار التي هاجروها إليها، وأقاموا فيها، مثل بلدان الغرب

---

(1) الآية 140 من سورة آل عمران.

(2) راجع تمثال الأمثال للشيبي في حرف الكاف مع اللام 2: 518 وقال صاحب المستقصي: يضرب للواحد يقوم مقام الكثير لعظمه.

الإسلامي بأقطارها الثلاثة الأدنى والأوسط والأقصى، ومثل مصر وبلاد الشام والحجاز والعراق ومسقط وتركيا وبلاد السودان الأوسط والغربي، بل آسيا ـــ كما سنوضح، وهو ما ظهر معه إلى حد كبير الفراغ والخواء الذي سلب ليبيا ـــ لدى الرحالة ـــ الكثير من فضلها، وحسبت به عندهم بلادًا غير منجبة.

2 ـــ ما عرف به العلماء الليبيون ـــ القدامى والمحدثون ـــ على حد سواء، من صفة التواضع المبالغ فيه، والميل إلى إيثار الانزواء والتخفيض، بل الجنوح الظاهر إلى نكران الذات، وحب الخمول، حتى لا يرى أحدهم نفسه شيئاً أمام غيره من نظرائه من العلماء العرب والمسلمين، فتولد عن هذا التواضع والانزواء غير الحميدين، زهدهم في التأليف والتصنيف من جهة، وعزوفهم عن كتابة تراجمهم، والتعريف بأخبارهم وأعمالهم، وإهمال ذكر شيوخهم وتلاميذهم وآثارهم من جهة أخرى، وهو ما ترتب عنه غياب الكثير من أسمائهم وأخبارهم وأسماء آثارهم المفيدة التي من شأنها أن تضيف حزمة من الأضواء الكاشفة عن طبائع الحياة الفكرية وأعلامها في مختلف العلوم والفنون في العصور المختلفة بليبيا.

3 ـــ ونذكر من الأسباب السلبية التي أوجدت ظاهرة الضمور والضعف في الحياة الفكرية في ليبيا، وأحدثت مجلي الندرة والقلة في مشهد ثبت علمائها القدامى والمحدثين، بل أسهمت سلبًا في بروز أو شاب (التشويه الخاطئ) الذي انحا إليه في كتب الرحالة والرحالين، والكتاب والمؤرخين، ما يلحظ من التقصير الشائن المذموم الذي عرف به طلاب العلم والدارسون الليبيون والمتمثل في سلبيتهم وكسلهم، وعدم عملهم على كتابة تراجم شيوخهم وأساتذتهم والعناية بالناهين منهم، وتسجيل برامجهم، والتعريف بتآليفهم وذكر تلاميذهم ـــ على خلاف ما يلحظ من ذوي الهمم من نظرائهم طلاب العلم في ديار الغرب الإسلامي ـــ مثلاً ـــ الذين كتبوا تراجم شيوخهم وعلمائهم، ودونوا أخبراهم وآثارهم، وما أخذوه عنهم من علم، وما قرأوه في دولهم[1] من كتب وتآليف فيما سُمي ـــ في مصطلحهم ـــ بكتب البرامج والفهارس[2]، ولو نهض طلاب العلم في ليبيا ـــ قديماً وحديثًا ـــ بهذا الواجب العلمي المهم، تجاه شيوخهم المقيمين فيها، والنازحين عنها ـــ لوصلنا ـــ دون ريب ـــ عدد وافر من أسماء العلماء وأخبارهم وتراثهم ـــ ينفي ذلك الظلم الذي جره (التشويه الخاطئ).

4 ـــ ضياع الكثرة الكاثرة من المؤلفات العلمية والآثار القلمية التي حررها وحبرها العلماء الليبيون في مختلف العلوم والفنون، وأن قارئ كتب تراجم هؤلاء العلماء ـــ على مختلف

---

(1) يعني مصطلح (الدول) ـ لدى المغاربة والأندلسيين ـ الحصص والدروس التي يتداولها الشيخ وطلاب العلم في الحلقات العلمية بالمساجد والدور العلمية.

(2) نذكر من أسماء البرامج والفهارس: برنامج الرعيني بتحقيق إبراهيم شبوح، برنامج الوادي آشي بتحقيق محمد محفوظ، برنامج التجيبي بتحقيق عبد الحفيظ منصور، وفهرس ابن عطية بتحقيق محمد أبو الأجفان وفهرست ابن خير الأشبيلي، وفهرست شيوخ القاضي عياض وغيرها.

أماكنهم وأزمنتهم ــ ليذهل حقاً من غياب آثارهم الكثيرة التي كتبوها في علوم الآلة والمقاصد: في اللغة والنحو والأدب وفي التفسير والحديث الشريف والفقه وأصوله وفي التصوف، وأيضاً في فنون العلوم الإسلامية الأخرى كالتاريخ والفلك والطب وغير ذلك، وتلاشيها وتلفها بفعل أسباب وعوامل متنوعة، ونحن نجتزي من مسردها بالعوامل الآتية:

أ ــ الفتن والحروب الكثيرة التي تعرضت لها ليبيا خلال تاريخها الإسلامي، أعني بذلك الفتن الداخلية الماحقة التي نشبت بين الأهالي أو الأهالي والحكام أحياناً أو الفتن الزاحفة من الخارج، ومنها الحروب الصليبية الحاقدة التي أضرمت نيرانها لطمس هوية الأمة وهدم كيانها، وقد كان آخرها الاستعمار الإيطالي المدمر.

ب ــ الكوارث والجوائح الطبيعية التي اجتاحت بأهوالها ليبيا في فترات من مراحل تاريخها، وأكلت وضرست بنيوبها الأخضر واليابس، مما جعل العلماء يهاجرون ويخرجون منها، ويقصدون بلدانًا أخرى في المشرق والمغرب.

ج ــ الجهل وقلة الوعي بقيمة الكتب العلمية وبالآثار والوثائق والتآليف، مما عرض الكثير منها للإتلاف والإحراق، وقصة زوجة العالم الليبي الأستاذ/إسماعيل كمالي التي قذفت بعض آثاره وكتبه ومخلفاته العلمية في نيران الفرن ــ بعد وفاته ــ قصة معروفة، وهي مثل يساق فيما فعله الجهل والجهال في العلم وآثار العلماء ومؤلفاتهم في ليبيا مما أضاع الكثير منها في المجاهل.

د ــ ما نُهب ــ قسرًا ــ من آثار قلمية ليبية وسرق من قبل القوات الاستعمارية الأوربية الغازية وحمل إلى خزائن مكتباتها في إيطاليا وبريطانيا وفرنسا، يمثل كماً كبيرًا، لا يمكن تجاهله في استقراء الحياة الفكرية بليبيا، وفي سياق التعريف بعلمائها وأعمالهم، بله ما فعله هؤلاء الغزاة من تدمير وإحراق.

5 ــ ومن الأسباب التي ألقت بظلالها القاتمة، فكانت سببًا من أسباب التشويه الخاطئ، شح المصادر والمراجع، بل المظان المرجوع إليها في كتب السير والتراجم والمناقب والفهارس والبرامج ــ بالمعلومات الشافية، والحقائق الكافية عن علماء ليبيا وأعلامها القاطنين فيها والمهاجرين منها، وعن أخبارهم وآثارهم.

ومما لا ريب فيه أن مرد هذا الشح التعريفي والبخل التراجمي إلى ما ذكرناه سلفًا من إهمال شيوخ العلم في ليبيا كتابة سيرهم وتراجمهم وتقصير تلاميذهم ومريديهم، وتقاعسهم عن تدوين تلك السير والتراجم، ينضاف إلى ذلك تقصير المؤرخين العرب والمسلمين ــ المشارقة والمغاربة في رصد مساقات الحركة الفكرية في ليبيا وأعلامها ــ على الأقل في أزمانهم وفيمن هاجر إلى أوطانهم لذلك لاحظنا من تقصيرهم الظاهر ــ أن الكثير من مظانهم وتآليفهم تكتفي في التعريف ببعضهم بشذرات وومضات غير دالة، لا يمكن بحال من الأحوال أن تظهر حقيقة العالم أو الفقيه أو الديب،

أو تلقى حزمة من الأضواء الكاشفة عن حياته وعصره وأحواله، أو تظهر أسماء من أخذ عنهم أو أخذوا عنه العلم، أو تآليفه وتصانيفه المختلفة.

تلك بعض الأسباب والعوامل السلبية البارزة التي ألقت بظلالها القاتمة على لوحة الحياة العلمية والفكرية بليبيا، وعلى مسرد ثبت أعلامها وعلمائها، فغيبت أسماء الكثير منهم ورمت بها في المجاهل، كما صيرت الكثير من أعمالهم أثرًا بعد عين، فاستحالت إلى آثار غميسة، نرى أسماءها وعناوينها في المصادر والمراجع المختلفة، ولا نقف على أصل من أصولها ونسخها في الواقع، أو في القماطر الموجودة في ليبيا وغيرها.

ومن الحق القول ـ بعد هذا التمهيد أن ليبيا حرصت أشد الحرص منذ أن شرفت بدخول الدين القيم (الإسلام) إلى ربوعها الفيح، وخالط الإيمان قلبها في سنة (22هـ/642) [1] على يد الفاتح الإسلامي الكبير عمرو بن العاص، وأعضاده من أمثال عبد الله بن الزبير وعبد الله بن أبي السرح وعقبة بن نافع[2]، وجند الفاتحين المسلمين، والفقهاء العشرة على عهد عمر بن عبد العزيز[3] على معرفة الإسلام وأحكامه وتعاليمه، وبذل الوسع في حفظ قرآنه وتفسيره، والتبحر في سنة نبيه، وحذق علم الفقه وأصوله، والاهتمام باللغة العربية باعتبارها لغة بيانه، والمشاركة في العلوم الإسلامية الأخرى المعدودة من صميم ثقافته ومعارفه، وقد بذل علماء ليبيا من لدن القرن الثاني ـ سواء من علماء المالكية أم علماء الإباضية، وهم السابقون في الظهور ـ أم علماء المذهب الحنفي في التاريخ الحديث جهودًا جبارة في أخذ تلك العلوم عن حملة العلم بدءًا من الجند الفاتحين، ثم عن العلماء الوافدين من أمثال الفقهاء العشرة[4] ومن جاء بعدهم من العلماء، إلى أن اشتد عودهم فمضى طلبة العلم بعدهم إلى الأمصار في المشرق أولاً وأخذوا العلم بقوة عن العلماء الكبار بطرق تحمله، ودرسوا عن أئمته واستجازوهم، ووثقوا سندهم العلمي بهم، وعادوا من أخذهم بزاد كثير، وخير وفير، وهو ما ترسخت به دعائم العلم والثقافة الإسلامية وتأسس به أعلام من علماء الإسلام في البلاد الليبية، وظهرت به منارات ومدارس علمية مختلفة في طرابلس والجبل الغربي وغدامس وفزان وجالو وأوجله وهون وورقلة، وربوع برقه والجبل الأخضر[5].

---

(1) راجع في ذلك: العبر وديوان المبتدأ والخبر (لابن خلدون) معالم تاريخ المغرب والأندلس لحسين مؤنس، تاريخ الفتح العربي في ليبيا للطاهر الزاوي، فتوح البلدان للبلاذري، فتوح مصر والمغرب لعبد الرحمن بن عبد الحكم.

(2) راجع م. ن.

(3) شجرة النور الزكية: ومعالم الإيمان.

(4) أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي للفاضل ابن عاشور.

(5) راجع في ذلك: الدكتور أحد مختار عمر (النشاط الثقافي في ليبيا) الدكتور عبد اللطيف البرغوثي (تاريخ ليبيا الإسلامي، الدكتور شاكر مصطفى (موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها).

أولاً: أهم تراجم لشخصيات من الفترة الإسلامية المبكرة:

من أوائل من خف من علمائها الأجلاء لتوثيق هذا السند العلمي، الإمام الفقيه علي بن زياد الطرابلسي الذي كان ــ كما سيأتي ــ في طليعة طلاب العلم في ليبيا بل في الغرب الإسلامي بعامة، الذين ضربوا آباط الإبل ورحلوا إلى المشرق في القرن الثاني الهجري لأخذ العلم عن أساطينه الكبار مثل الإمام مالك بن أنس الأصبحي في المدينة المنورة والليث بن سعد في مصر وسفيان الثوري في العراق[1].

كذلك أخبرنا التاريخ أن من أوائل علماء الفقه الإباضي الذين رحلوا إلى المشرق لتوثيق سندهم العلمي في العلوم الإسلامية، والفقه الإباضي الفقيه أبو درار إسماعيل بن درار من مدينة غدامس[2] الذي رحل ــ ضمن وفد سمي (حملة العلم) [3] في الغرب الإسلامي ــ إلى مدينة البصرة في العراق، التي تأصل فيها هذا الفقه في القرن الثاني للهجرة، فأخذ عن كبار فقهائها ورجال المذهب، واستفاد منهم علمًا كثيرًا، رجع بحسن عوائده، وعظم فوائده إلى وطنه ليبيا حيث قدر له نشره مع طائفة من العلماء والفقهاء لم نهتد ــ بكل أسف ــ إلى أسمائهم وأخبارهم وأدوارهم.

وقد شهد الإمام التونسي سحنون بن سعيد[4] في هذا الطور التاريخي من القرن الثاني للهجرة لأهمية الحركة الفكرية في ليبيا وأعلامها المبرزين بقوله (رأيت بطرابلس رجالاً ما الفضيل بن عياض أفضل منهم) [5]، وقال أيضاً ذاكرا طرابلس وقيمة علمائها بين الأعلام "كان بأفريقية رجال عدول بعضهم بالقيروان وتونس وطرابلس"[6].

ثم توسعت ــ غب ذلك ــ دائرة طلاب العلم والعلماء في ليبيا، فنهضوا بالرحلات العلمية التحصيلية إلى الأمصار العالمة في المشرق مثل مصر والشام والعراق والحجاز وإلى الغرب الإسلامي بأقطاره الثلاثة: الأدنى والأوسط والأقصى، لأخذ العلم والثقافة الإسلامية والعربية وتوثيق السند العلمي، بعد عصر الرحيل الأول من العلماء والفقهاء، فتحولت بلادهم ليبيا بما حملوه إليها من علم إلى بيئة علمية تعج بالتفسير والفقه والحديث والأصول، وصارت ربوعها موئلاً ومحجاً للعلماء الذين جاءوا إليها من المشرق والمغرب.

---

(1) راجع: ترتيب المدارك للقاضي عياض 1: 326 تراجم أغلبية 21: 26 وأعلام الفكر الإسلامي في المغرب العربي للفاضل ابن عاشور جمهرة تراجم الفقهاء المالكية 2: 850.

(2) دراسات عن الإباضية: 113 وغدامس أو بوابة الصحراء واحة من واحات ليبيا الصحراوية قال الشيخ الطاهر الزاوي تبعد عن طرابلس بنحو 495 ك.م، وجنوب نالوت بنحو 318ك.م، ومساحتها نحو 160 هكتارًا، وهي تابعة لنفوذ طرابلس منذ حكم الروم الأول وقبل الفتح الإسلامي بمئات السنين.

(3) راجع دراسات عن الإباضية: 113، ونذكر من حملة العلم في هذا المذهب الفقهي: عبد الرحمن بن رستم من القيروان، وعاصم السدراتي من سدراته. وأبا داود النفزي من تونس وأبا الخطاب عبد الأعلى اليمني الأصل..

(4) راجع تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض 86 ـ 136 ترتيب المدارك. خلاصة تاريخ تونس 85. كتاب العمر 586: 1.

(5) راجع ترتيب المدارك للقاضي عياض، وطبقات علماء أفريقيا.

(6) م.ن.

فقد حل فيها منذ القرن الثاني الهجري من المشرق ــ زيادة على الفقهاء العشرة ــ العالم العراقي أبو الحسن الكوفي من علماء الكوفة[1] وفقهائها كما نزل بها في ذلك التاريخ الشيخ سعيد بن محمد الحداد التونسي من أصحاب الفقيه سحنون بن سعيد الذي انتقل من وطنه القيروان إلى طرابلس الغرب ليسمع العلم من أبي الحسن الكوفي حينما نزل بها[2].

وما من ريب في أن علماء من طرابلس قد أخذوا أيضًا العلم عن الفقيه أبي الحسن الكوفي، والشيخ سعيد بن محمد الحداد وغيرهما من العلماء الطارئين على طرابلس في القرن الثاني الهجري.

ومن الإشارات التاريخية الدالة على صيرورة طرابلس الغرب (ليبيا) بيئة من بيئات العلم ضمن الأمصار الإسلامية ما قاله محمد بن سحنون (وقال لي أبي: إذا أردت الحج، تقدم طرابلس، وكان فيها رجال مدنيون وفبها الرواة وفيها فقه مالك) [3].

وما ورد من خبر عن العالم الأندلسي الوليد بن بكر مخلد بن أبي زباد السرقسطي، الذي رحل من بلاده سرقسطة بالأندلس ليطلب العلم بأفريقيا وليسمع بطرابلس من أبي الحسن علي بن أحمد بن زكريا بن الخصيب، المعروف بابن زكرون الطرابلسي[4] وقد ظل التفاعل بين علماء ليبيا والطارئين عليها من العلماء وطلبة العلم إلى القرون اللاحقة للقرن الثاني الهجري، إلى القرن الخامس الهجري، فقد حل فيها في القرن الرابع القاضي النعمان بن محمد من علماء الشيعة المشهورين وصاحب المؤلفات المشهورة في الدعوة الفاطمية الإسماعيلية ومن أبرزها كتابه "المجالس والمسايرات"[5] كذلك أخبر العالم اللغوي الليبي أبو إسحاق إبراهيم الأجدابي في القرن الخامس الهجري أنه أخذ جميع علمه ما بين بابي هوارة وزناته[6] أي داخل أسوار المدينة القديمة بطرابلس الغرب، ولم يرحل عنها قصد التحصيل وهو ما يؤكد امتلاء الدينية بالعلم النافع، والعلماء الأُصلاء المتصدرين للعطاء وأيضًا العلماء الطارئين على هذه المدينة البيضاء في عصره الذين أفاد منهم علومه.

كذلك نزل ربوع ليبيا، وبخاصة مدينة طرابلس منها من العلماء الطارئين ــ بعد عصر إبراهيم بن الأجدابي في القرن الخامس الهجري جماعات كثيرة، وبخاصة من علماء الغرب الإسلامي، يكفي أن نشير في هذا السياق ــ على سبيل التمثيل ــ إلى بعضهم من أمثال الشيخ أحمد بن نصر الداودي التلمساني (؟/402) الذي تتلمذ فيها في أوائل حياته إلى حين نضجه العلمي، ومن المعروف أنه أصّل كتابه (النامي في شرح موطأ الإمام مالك وأملاه في طرابلس الغرب[7] ومن

(1) طبقات علماء أفريقيا: 148.
(2) م.ن: 148 ترتيب المدارك: تراجم أغلبية: 351.
(3) تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض: 93.
(4) جذوة المقتبس للحميدي 576.
(5) المجالس والمسايرات: 348.
(6) راجع نفحات النسرين والريحان.
(7) أعمال ندوة التواصل الثقافي بحث عز الدين زغيبة (أحمد بن نصر الداودي).

علماء القرن السابع الهجري وأبو الحسن علي الششتري الأندلسي (ـ/668) [1] والأديب المؤرخ الرحالة علي بن سعيد الأندلسي (685/610) [2] ومن علماء القرن التاسع الهجري الشيخ المتصوف أحمد زروق الفاسي (899/846) [3] وغيرهم من العلماء.

وبهذا المعين الثر من توثيق السند العلمي من المشرق والمغرب واتساع دائرة العلماء الليبيين، وكثرة رحلاتهم العلمية إلى الأقطار والأمصار، وطرؤ العلماء المشارقة والمغاربة على بلدهم، امتلأ حوضه بالعلم بمختلف أشكاله والعلماء بتعدد اهتماماتهم بحيث يتعذر ـ كما ألمعنا ـ مجرد سرد أسمائهم وذكرها، فضلاً عن تناول سيرهم وآثارهم التي شاركوا بها في العلوم، وهذا ما دعانا ـ في هذا البحث ـ إلى الاقتصار على الإلماع إلى أسماء بعضهم مع إيراد بعض تحليلاتهم التي عرفوا بها و(ما لا يدرك كله لا يترك كله) فقد ذكرنا من العلماء الليبيين في القرن الأول والثاني الهجريين ـ على سبيل التمثيل لا الحصر الفقيه المالكي على بن زياد الطرابلسي من تلاميذ الإمام مالك، والفقيه الإباضي أبادرار إسماعيل بن درار ونذكر الآن من أعلام القرنين الثالث والرابع الهجريين ما كان امتدادًا لجهود ذلك الرعيل الأول في القرن الثاني الهجري، من أمثال المؤرخ ابن سلام بن عمر، أو عمر بن تمطين اللواتي، واصله من بلد اغريفصان قرب مدينة جادو بالجبل الغربي، له كتاب (تاريخ ابن سلام) اعتمد عليه فيما بعد الشماخي صاحب السير ـ كما يقول المؤرخون[4].

والفقيه أحمد بن محمد بن أبي الخناجر الطرابلسي الموصوف بأنه (فقيه روى عن مؤمل بن إسماعيل وطبقته، وكان من نبلاء العلماء، توفي جمادى الأخرى عام (274هـ/887) [5] والفقيه أحمد ابن خلف الأجدابي الذي كان (ذا فقه بارع، وجدل منع كرم نفس، وطلاقة وجه، وحسن حلال، توفي عام 391) [6].

ونذكر من أعلام القرنين الخامس والسادس الهجريين العلامة اللغوي أبا إسحاق إبراهيم الأجدابي ـ الذي سنأتي إلى ترجمته ـ وقد حلاه القفطي بقوله (كانت له يد جيدة في اللغة وتحقيقها وإفادتها، وهو متأخر[7] وصنف في اللغة مقدمة لطيفة سماها (كفاية المتحفظ) يشتغل بها الناس في الغرب ومصر[8]، والشيخ أحمد بن سعيد بن نفيس، وكان مقرئًا كبيرًا عرف بطرابلس رشهر، تم آثر الانتقال إلى مدينة القاهرة، والإقراء في الأزهر الشريف، ويبدو أن إقامته طالت

(1) سبك المقال بفك العقال لعبد الواحد بن الطواح: 103.
(2) راجع في أخباره: الإحاطة 1: 220ـ 244 رحلة ابن رشيد السبتي.
(3) راجع (الزورق والزورقية) لعلي فهمي خشيم و(الشيخ أحمد زروق) لإدريس عزوزي.
(4) مقدمة كتاب بدء الإسلام وشرائع الدين لابن سلام: 41، 36، 110.
(5) العبر 2: 52 ع 274، شذرات الذهب 2: 1645 أعلام المغرب العربي 2: 231.
(6) معالم الإيمان 3: 162 المنهل العذب 108.
(7) يشير بذلك التأخر إلى قربه من عصره.
(8) إنباه الرواة 158: 1 رحلة التجاني: 262.

بمصر إلى أن عد من أهلها، وكانت وفاته بمهجره بالقاهرة المعزية في رجب عام (1061/453)[1] وأبا يعقوب يوسف ابن إبراهيم السدراتي، الذي وصف بأنه كان بحـرًا في التفسير والحديث والمنطق[2] والإمام أبا يحيي زكريا بن إبراهيم الباروني[3] وأبا علي محمد بن موسى بن معمر الهواري الفقيه الشاعر الخطيب[4] والحسن بن فراج الأطرابلسي صاحب كتاب تاريخ طرابلس، وكان ممن لقيهم السلفي بالإسكندرية، وكانت وفاته عام (1127/512) وأبا الحسن علي بن عبد الله بن مخلوف الطرابلسي الموصوف بأنه كان على دراية بفنون مختلفة من العلم[5] وأبا نصر فتح بن نوح الملوشائي من أعلام النصف الثاني من القرن السادس الهجري وحلي بالإضافة إلى تبحره في الفقه بأنه كان من الأدباء المشهورين ومن شعره الحكمي قوله[6]:

أحب الفتى ماضي العزائم حازمًا لدنيا وأخرى عاملاً بالتشمر
أما أخو النومات لا مرحبًا به ولا بالجثوم الراكد المتكدر

ونذكر من أعلام القرنين السابع والثامن الهجريين ــ وقد كانان حافلين بالعلماء بالليبيين المقيمين والمهاجرين العلامة الفقيه المالكي المشهور أبا محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا[7] الذي سنعود إلى ترجمته في المحور الرابع من هذا البحث.

ونشر ــ من علماء القرن العاشر ــ إلى الشيخ المربي أبي بكر بن محمد الحضيري من فزان وهو من تلاميذ العلامة الشيخ سالم السنهوري وقد توفى عام (1578/996)[8].

ومن علماء القرن الثاني عشر والثالث عشر نشير إلى العالم الأديب أحمد بن عبد الدائم الأنصاري[9] الموصوف بــ (الفقيه أحمد بن عبد الدائم)، كان يضرب به المثل في ظروفه وفصاحته وهو صاحب القصيدة المشهورة في مدح طرابلس الغرب، والتي مطلعها:

أرى زمنًا قد جاء ينتقص المها بلا جارح والأسد في فلواتها

(1) موسوعة دول العالم الإسلامي 2: 125.
(2) موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها 2: 1251 دليل المؤلفين العرب الليبيين: 502.
(3) م. ن 2: 1252 الإباضية في موكب التاريخ حلقة 2 قسم 1: 197.
(4) رحلة التيجاني 276 نفحات النسرين 93 تاريخ ليبيا الإسلامي: 496.
(5) تاريخ ليبيا لإحسان بن عباس: 489، تاريخ ليبيا الإسلامي 489.
(6) تاريخ ليبيا لإحسان بن عباس: 489، تاريخ ليبيا الإسلامي 490.
(7) الأعلام 4: 56، أعلام ليبيا 205 نفحات النسرين والريحان 9290 تاريخ ليبيا 218 U 220 دليل المؤلفين العرب الليبيين: 183.
(8) المسك والريحان: 76.
(9) فصول من تاريخ ليبيا الثقافي: 149.

والفقيه الأديب أحمد بن حسين بن أحمد بن محمد المعروف بأحمد البهلول، صاحب التخميس المشهور في مدح النبي صلى الله عليه وسلم الذي أوله[1]:

أحبـــه قلبـــي علـــوني بنظـــرة فـــدائي جفـــاكم والوصـــال دوائـــي

ومن علماء القرن الثالث عشر الهجري الفقيه أحمد بن محمد الغرياني الطرابلسي المتوفي عام (1793/1208) [2] والفقيه أحمد بن عبد الرحمن الطبولي المتوفي عام (1838/1254) [3] والفقيه أبا القاسم بن جمال الدين المسراتي" وكان شيخًا جليلاً، واسع العلم مشاركًا في الفنون معقولها والمنقول، عفيفًا نزيهًا، يخطب ويفتي ويدرس"[4] والفقيه المؤرخ أحمد الدردير بن محمد العالم الحضيري أحد علماء القرن الثالث عشر الهجري، ومؤلف كتاب "المسك والريحان فيما احتواه عن بعض أعلام فزان"[5] ونذكر من أسماء علماء ليبيا في العصر الحديث الذي يبتدئ من تاريخ ظهور الحركة الإصلاحية الإسلامية فيها من علماء الأحناف الفقيه الشيخ أحمد الطوغار[6] والفقيه المفتي الحنفي الشيخ مصطفى باكير وولده الشيخ الأديب إبراهيم باكير[7]، والعلامة الشيخ محمد كامل بن مصطفى الذي سنترجم له في خواتيم البحث.

ومن علماء المذهب الإباضي الفقيه الشيخ عبد الله يحيي الباروني صاحب كتاب (سلم العامة والمبتدئين في معرفة أئمة الدين[8] والشيخ عمر بن عيسى التندميرتي[9] ومن فقهاء المذهب المالكي الشيخ عبد الرحمن البوصيري[10] والشيخ مصطفى الهوني[11] والشيخ مختار الشكشوكي[12].

والشيخ الأديب محمد سعيد المسعودي[13]، والشيخ أحمد بن عبد السلام[14] والشيخ مصطفى الخازمي[15] وبرز من المؤرخين أعلام مثل المؤرخ أبي عبد الله محمد خليل بن غلبون، صاحب كتاب (التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار) [16] والمؤرخ أحمد النائب الأنصاري صاحب

---

(1) أعلام ليبيا: 98 دليل المؤلفين العرب الليبيين: 53، أعلام المغرب العربي 5: 310.

(2) راجع موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها.

(3) راجع موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها..

(4) شجرة النور الزكية 1: 305، أعلام المغرب العربي 2: 151.

(5) راجع ترجمته في المسلك والريحان: 11 وما بعدها.

(6) راجع سجلات المحاكم الشرعية بدار المحفوظات التاريخية.

(7) نفحات النسرين والريحان: 191.

(8) أعلام من طرابلس أعلام ليبيا: 58 الشعر والشعراء في ليبيا وراجع بحثنا عنه المنشور في "المجلة المغاربية" ع 17ـ72 س 1993.

(9) م. ن: 214، م. ن: 383..

(10) دليل المؤلفين العرب الليبيين: 235 الإباضية في موكب التاريخ 2: 131.

(11) فصول من تاريخ ليبيا لاثقافي: 52 دليل المؤلفين الليبيين: 299.

(12) م. ن: 57، دليل المؤلفين الليبيين: 199.

(13) راجع كتاب محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا وأدبائها.

(14) راجع كتاب محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا وأدبائها.

(15) راجع كتاب محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا وأدبائها.

(16) راجع كتاب مؤرخون من ليبيا للأستاذ علي المصراتي.

كتاب (نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان)[1] والأستاذ محمود ناجي مؤلف كتاب (تاريخ طرابلس العرب)[2] وغيرهم.

كما عرفت من الأدباء والشعراء في العصر الحديث أحمد الفقيه حسن (الجد) (1886/1843)[3] ومصطفى بن زكري (1917/1336)[4] وأحمد الشارف (1959/1864)[5] وأحمد أحمد قنابة (1968/1898)[6] وأحمد الفقيه حسن (الحفيد) (1975/1895)[7] وإبراهيم محمد الهوني (1967/1912)[8] وحسن السوسي (1924/ـــ)[9] ورجب الماجري (1930/ـــ)[10] وخليفة محمد التليسي (1930/ـــ)[11] وعبد ربه الغناي (1985/1920)[12] وعبد المولى البغدادي (1938/ـــ)[13] وراشد الزبير السنوسي (1938/ـــ)[14] ونختم القول في هذا المحور بالإلماع إلى ذكر علماء ليبيا وأدبائها من المعاصرين، فنشير إلى الأستاذ محمد محمد بن عامر (1961/1898)[15] صاحب كتاب (ملخص الأحكام الشرعية على المعتمد من مذهب المالكية، وإلى الشيخ الطاهر أحمد الزاوي (1986/1890)[16] صاحب المؤلفات الكثيرة ذات الاهتمامات الشرعية واللغوية والتاريخية، والأستاذ علي مصطفى المصراتي (1930/ـــ) الأديب الخطيب والكاتب صاحب التآلف الأدبية والتاريخية الكثيرة[17]، والأستاذ مصطفى عبد الله بعيو صاحب كتاب "المختار في مراجع تاريخ ليبيا" والأستاذ الأديب الناقد المؤرخ الدكتور خليفة محمد

---

(1) راجع كتاب مؤرخون من ليبيا للأستاذ علي المصراتي.
(2) راجع كتاب مؤرخون من ليبيا للأستاذ علي المصراتي.
(3) راجع كتاب (الشعر والشعراء في ليبيا) لمحمد الصادق عفيفي، ومعجم الشعراء الليبيين.
(4) راجع كتاب (الشعر والشعراء في ليبيا) لمحمد الصادق عفيفي، ومعجم الشعراء الليبيين.
(5) راجع كتاب (الشعر والشعراء في ليبيا) لمحمد الصادق عفيفي، ومعجم الشعراء الليبيين.
(6) راجع كتاب (الشعر والشعراء في ليبيا) لمحمد الصادق عفيفي، ومعجم الشعراء الليبيين.
(7) راجع كتاب (الشعر والشعراء في ليبيا) لمحمد الصادق عفيفي، ومعجم الشعراء الليبيين.
(8) راجع كتاب (الشعر والشعراء في ليبيا) لمحمد الصادق عفيفي، ومعجم الشعراء الليبيين.
(9)راجع كتاب (الشعر والشعراء في ليبيا) لمحمد الصادق عفيفي، ومعجم الشعراء الليبيين.
(10)راجع كتاب (الشعر والشعراء في ليبيا) لمحمد الصادق عفيفي، ومعجم الشعراء الليبيين.
(11)راجع كتاب (التعر والشعراء في ليبيا) لمحمد الصادق عفيفي، ومعجم الشعراء الليبيين.
(12)راجع كتاب (الشعر والشعراء في ليبيا) لمحمد الصادق عفيفي، ومعجم الشعراء الليبيين.
(13)راجع كتاب (الشعر والشعراء في ليبيا) لمحمد الصادق عفيفي، ومعجم الشعراء الليبيين.
(14)راجع كتاب (الشعر والشعراء في ليبيا) لمحمد الصادق عفيفي، ومعجم الشعراء الليبيين.
(15)راجع تقديم كتابه المذكور من خلال الطبعة الثالثة 1996.
(16)دليل المؤلفين الليبيين: 169.
(17) راجع كتاب (علي مصطفى المصراتي بأقلام عربية) إعداد عبد الله مليطان.

التليسي (1930/ـــــ)[1] صاحب موسوعة "الروائع" والمعجم "النفيس من كنوز القواميس" وغيرها. والأستاذ الأديب اللغوي عبد اللطيف أحمد الشويرف (1931/ـــ)[2] وله آثار علمية قيمة، والأستاذ الدكتور عمر التومي الشيباني (2002/1930)[3] ذي التآليف الكثيرة والمفيدة في مجالات التربية وعلم النفس وغيره، والأستاذ الدكتور/محمد عبد الكريم الوافي صاحب الآثار والكتب المهمة في التاريخ والفلسفة، والدكتور/علي فهمي خشيم (1936/ـــــ)[4] المعروف بوفرة عطائه في علوم الفلسفة والتاريخ والتراجم واللغة وقد تلت هذا الجيل الرائد أجيال عالمة أخرى ـــ وبخاصة من الجامعيين والأكاديميين ـــ شاركت بكثرة التآليف، ووفرة التصانيف في مختلف العلوم والآداب والفنون مشاركات عميقة ومفيدة، لا نريد الاستكثار بذكر أسمائها الكثيرة، وأعمالها الوفيرة في هذا البحث المختصر.

وإن المتأمل في مسرد علماء ليبيا وسيرهم وما عرفوا به من شهرة، يجد أنهم لم يكونوا محصورين ولادة ونشأة وعطاء في داخل حدود ليبيا فحسب بل يتأكد لديه ـــ حسبما تقدم ـــ أن وجودهم وتاثيرهم تجاوز تلك الحدود وامتد إلى أقطار عربية وإسلامية أخرى، وهنا نشير إلى هذه الظاهرة من خلال إيراد بعض أسماء العلماء الليبيين النازحين، تتميماً لما ذكرناه في المحور الأول، ولتأكيد كثرتهم وبيان شهرتهم في القديم والحديث نذكر من هؤلاء العلماء الليبيين المهاجرين القدامى:

الشيخ إبراهيم بن قاسم الأطرابلسي من طرابلس الغرب، الذي رحل بعلمه في المائة الخامسة ـــ كما ذكر الحميدي ـــ في (الجذوة) إلى بلاد الأندلس حيث حدث وروي، وأخذ عنه في رحلته هذه الإمام أبو محمد علي بن أحمد أبن الإمام ابن حزم الأندلسي الظاهري المشهور في تاريخ الإسلام وفكره[5] كما رحل الفقيه المتفنن في العلم والأدب أبو عبد الله محمد بن سعيد بن شرف الأجدابي إلى صقلية والأندلس، فأفاد منه طلاب العلم في القطرين، إلى أن توفى فيها عام (1076/460)[6]، ومن علماء ليبيا الذين ظهر صيتهم في صقلية الشاعر أبو القاسم أحمد بن إبراهيم الوداني نسبة إلى ودان، وهو القائل في الزهادة والتفويض وهو من الشعر الجيد:

---

(1) راجع كتاب التليسي موسوعة وزيادة إعداد مجموعة من الباحثين.
(2) راجع كتاب معجم الكتاب والأدباء الليبيين للأستاذ عبد الله مليطان.
(3) راجع كتاب عمر التومي الشيباني مسيرة علم وعطاء.
(4) راجع معجم الكتاب والأدباء الليبيين، دليل المؤلفين العرب الليبيين: 273.
(5) جذوة المقتبس: 156.
(6) أعلام ليبيا: 319، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها 2: 1253.

ترفـــق بنفـــسك لا تفنهـــا بحـــرص فحرصـــك لا ينفـــع
فكـــم عـــاجز واســـع مالـــه وكـــم حـــازم فقـــره مـــدقع[1]

وأبو الحسن علي بن إسحاق إبراهيم الوداني وكان معاصرًا لابن رشيق القـيرواني وبينـهما مكاتبات وهو القائل يصف ليلة أنس مسعدة في صقلية، تبرم خلالها بتنفس الصباح:

مـن يـشتري منـي النجـوم بليلـة لا فـرق بـين نجومهـا وصـحابي
دارت علـى فلـك الـسماء ونحـن درنـا علـى فلـك مـن الآداب
وأتـى الـصباح فـلا أتـى وكأنـه شـيب أطـل علـى سـواد شـباب

ومن شعره في المشيب المعدود عند الأدباء من خيوط الأكفان الداعية إلى الضيق والتبرم:

وبرغمـي لمـا أتـاني مـشيبي قلـت أهـلاً بـذا الـضحوك القطـوب
ولعمـر يمـا كنـت ممـن يحبـه ولكـن تملـق المغلـوب[2]

ومن علماء ليبيا في القرن السادس الهجري نذكر العالم والداعية علي بن يخلـف الطرابلـسي الذي أقام في أفريقيا وأسلم علي يديه ملك غانه الوثني برمدان كما أسلمت طائفة مـن رعيتـه، وانتفعت بعلومه ودعوته[3]، كذلك رحل جملة من علماء ليبيا إلى تونس في عهد الدولة الأغلبيـة (296/184)[4] مثل علي بن زياد الطرابلسي، وازداد هذا الرحيل والهجرة في عهد الدولة الحفصية (950/571) [5] التي كان لهؤلاء العلماء الليبيين دورهم الفعال في تأصيل حياتهم الفكرية، ومـن هؤلاء نذكر العلامة عبد الحميد بن أبي الدنيا الذي تولى فيها التدريس والقضاء والإفتاء، وكـان مقربًا إلى كبرائها وعلمائها، وقد استفاد منه طلاب العلم التونسيون والوافـدون مـن المغـرب الأوسط والأقصى والأندلس[6] ومثل الفقيه القاضي أبو موسى عمران الهواري[7] وأبي محمد عبد

(1) معجم العلماء والشعراء الصقليين: 21 أعده ورتبه د. إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994.
(2) م. ن: 80.
(3) تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، لروبار برتشفيك، الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية لأبي عبد الله الشماع.
(4) راجع كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر) لابن خلدون وكتاب (ورقات عن الحضارة) العربية بأفريقية لحسن حسني عبد الوهاب..
(5) تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، لروبار برتشفيك، الأدلة البيئية النورانية في مفخر الدولة الحفصية لأبي عبد الله الشماع.
(6) راجع بحثنا حوله في أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي: 49.
(7) رحلة التجاني: 256، تاريخ ليبيا الإسلامي: 221 نفحات النسرين والريحان: 96، 97، النشاط الثقافي في ليبيا: موسوعة العالم الإسلامي 1253: 2.

محمد عبد الوهاب بن محمد الهتروني الهواري[1] وأبي طاهر إسماعيل الجيطالي من علماء جبل نفوسة الذي استقر بتونس بعد مضايقة حاسديه، فاستقر بجربة ودرس في الجامع الكبير حيث تحلق به طلاب العلم وانتفعوا بتدريسه وتأليفه[2] وعبد السلام بن عبد الغالب المصراتي صاحب كتابي "أسماء الله الحسنى وقصة يوسف الصديق" والمتوفى بالقيروان عام (646 هـ/1248)[3].

ومن علماء ليبيا الذين رحلوا عنها إلى الديار المصرية في القرن السابع الشيخ عبد الرحمن بن مكي ابن عبد الرحمن الطرابلسي الذي انتهى إليه علو الإسناد فيها، وأخذت عنه العلم طبقات كثيرة، إلى أن توفى بمصر عام (651هـ/12531)[4].

كما رحل من علمائها إلى المغرب الأوسط (الجزائر) الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي صاحب (روض الأزهار وكتز الأسرار)، وسافر منها إلى المغرب الأقصى المتصوف الصالح المجذوب الحاج أبو بكر الطرابلسي الذي استقر في فاس في حدود القرن الحادي عشر الهجري وقد ترجم له أبو عبد الله محمد جعفر الكتاني في السلوة وذكر شيئًا من أخباره وكراماته[5].

ومن العلماء الليبيين الذي نزحوا إلى المشرق، وقصدوا الإقامة في العراق، واتخذوه مقرّا لبث ما حملوه من ليبيا من علم الشيخ أبو حفص عمر بن عبد العزيز الطرابلسي، وإذا كنا نجهل الزمن الذي أمضاه في ذلك البلد الحضاري وأسماء تلاميذه فيه فإن الذي حققه المؤرخون أنه توفى ببغداد في القرن السادس عام (517هـ/1123)[6].

ومن علماء ليبيا الذين رحلوا من ليبيا إلى مكة المكرمة، وأقاموا فيها للإقراء والتدريس والفتيا الشيخ أبو علي الحسن بن فراج الطرابلسي، وهو من أعيان القرن السادس أيضًا، وقد توفى بمكة المشرفة عام (1127/521)[7].

ونذكر من العلماء الليبيين الذين رحلوا إلى أنحاء من العالم الإسلامي في العصر الحديث وكان لهم دورهم المؤثر بهذا الرحيل فيها الشيخ أحمد بن رمضان بن مسعود الطرابلسي، ويعرف بالشيخ

---

(1) نفحات النسرين والريحان: 97.
(2) مؤنس الأحبة في أخبار جربة لأبي رأس تحقيق محمد المرزوقي: 91، 92، علماء جربة للجربي: 56، موسوعة العالم الإسلامي 2: 1253.
(3) موسوعة العالم الإسلامي 2: 1253، أعلام من طرابلس: 128.
(4) راجع الأبحاث حول هذه التشخصية في أعمال ندوة التواصل الثقافي.
(5) سلوة الأنفاس ومحادثة الكياس 3: 83.
(6) موسوعة العالم الإسلامي ورجالها 2: 1253.
(7) تاريخ ليبيا لإحسان عباس: 217، تاريخ ليبيا الإسلامي، 489.

شامل، الذي رحل إلى مصر سنة (1330/1911) حيث نهض فيها بالتدريس والتعليم بالأزهر كما تولى مشيخة رواق المغاربة[1].

والشيخ أحمد الشريف السنوسي الذي هاجر من وطنه إلى تركيا ثم الشام إلى أن انتهى به المطاف إلى المدينة المنورة حيث أقرأ العلم وأجاز الطلاب في تلك البلدان على حين وفاته عام (1351/1932) حيث دفن في البقيع[2].

ومن علمائها الذين نزحوا إلى تركيا، وأقاموا في إسطنبول العالم الأديب الشاعر أحمد بن شتوان، صاحب القصيدة السينية المشهورة التي مطلعها [3]:

رسوم بأيدي لا عبات الروامس عنت فرعتها عاديات الروامس

والشيخ السنوسي بادي الذي درس في الأزهر الشريف، وأخذ عنه علماء ليبيا ومن البلاد الإسلامية إلى أن أدركته المنية في القاهرة عام (1359/1940) [4] والشيخ محمد الأخضر العيساوي الذي الحق بالأزهر لطلب العلم سنة (1331/1912) وبقي في مصر دارساً ومدرساً أكثر من خمسين سنة، وتوفي عام (1382/1962) ودفن بمصر[5] وممن هاجر منهم إلى بلاد الشام — على مختلف دياره — الشيخ علي بن عياد الجتروري، الذي آثر الهجرة إليها بعد اكتمال علمه ورجولته، فدرس وعمل بالقضاء فيها إلى أن توفي بدمشق عام (1374/1954) [6] وكان ولده الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد من أبرز أساتذة جامعتها وتخرج به عد كبير من طلابها، كما هاجر إليها من طرابلس الأستاذ محمد ناجي التركي الذي توفي هو الآخر بدمشق عام (1376/1956) [7].

ومن علماء ليبيا الذين هاجروا إلى عمان بالأردن وإلي فلسطين والسلط الشيخ السنوسي أحمد بن صالح المسلاتي الذي توفي بفلسطين عام (1358/1939) [8].

وقد رحل العالم المجاهد الليبي الشيخ سليمان الباروني بعد مرحلة جهاد مضنية ضد الاستعمار الإيطالي البغيض — إلى العراق، ثم إلى مسقط رعمان حيث لم يكتف فيها بمجرد المساهمة في إثراء الحياة العلمية والثقافية في تلك البلدان فحسب، بل شارك في تكوين دولتها الحديثة أيضًا[1].

(1) أعلام ليبيا: 180.
(2) أعلام ليبيا: 79 وكتاب الأعلام للزركلي 1: 132 . 133.
(3) أعلام ليبيا: 79، 64: لمحات أدبية عن ليبيا: 49، 66، قصة الأدب في ليبيا العربية 1: 201.
(4) م.ن.
(5) م. ن: 366.
(6) أعلام ليبيا: 274، صحافة ليبيا في نصف قرن: 50.
(7) م. ن: 385.
(8) م. ن: 177، أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمحفوظات، بحث الدكتور الدوكالي نصر.

ولا ننسى ذكر هجرات العلماء الليبيين إلى دول غرب ووسط أفريقيا وأيضًا على بعض دول اسيا للدعوة إلى الإسلام ونشر ثقافته بين شعوبها في العصر الحديث، فذلك حديث رحب، يكفي ان نومىء إليه بذكر شخصيتين كان لأحدهما دوره في أفريقيا التي مكث فيها أكثر من ثلاثين عامًا داعيًا ومعلمًا ومجاهدًا، وهو الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد السني (السناري) [2] وكان للآخر تأثيره الذي يذكره به أهل ماليزيا بعامة وطلاب العلم بخاصة وهو الشيخ أبو جابر عبد الله الغدامسي [3].

تلك قطوف دالة من براهين تدل بجلاء على ما لليبيا ولحركاتها العلمية، وحياتها الفكرية طوال تاريخها الإسلامي — من علم وعلماء، ومن عطا وتأثير وتشير بوضوح إلى ما كان للعلماء من مساهمة في حقول العلم والتدريس والتأليف، وتدفع بالتحقيق معرة (التشويه الخاطىء) التي رمتها بالقصور والتقصير.

ولله در الشاعر حيث قال:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ننتقل بعد الذي ذكرناه سلفاً متصلاً بالمحاور الثلاثة الرئيسية لهذا البحث إلى المحور الأخير فيه والذي نعرض فيه نبذه وافية من تراجم جملة من علماء ليبيا وأدبائها في تاريخها الإسلامي وقد حرصنا في سياقاته على مراعاة التنوع الزماني والمكاني، والتعدد المعرفي والعلمي، وبيان اهتمامات هذه الشخصيات المختارة واتجاهاتها المختلفة بدءاً من القرن الثاني الهجري الذي تمثل في شخصية الفقيه المالكي علي بن زياد، وانتهاء بالشاعر أحمد رفيق المهدوي من شعراء جماعة البعث والإحياء في القرن الرابع عشر الهجري، ومروراً بأبي إسحاق إبراهيم الأجدابي من علماء القرن الخامس الهجري وعبد الحميد بن أبي الدنيا من أعلام القرن السابع الهجري ومحمد صالح الأوجلي من أعيان القرن الحادي عشر الهجري.

---

(1) أعلام ليبيا: 173، سليمان الباروني آثاره لمحمد جبران.
(2) راجع كتابنا عنه (محمد عبد الله السني) ترجمته وتحقيق ما تبقى من وثائقه.
(3) راجع البحث الذي كتبه الأستاذ بشير بوشع رحمه الله في مجلة البحوث التاريخية عن هذه الشخصية العدد 2 سنة 6، 1984.

ثانياً: أهم تراجم لشخصيات خلال العصور الوسطى:

علي بن زياد الطرابلسي (- / -)

الإمام الفقيه علي بن زياد الطرابلسي، من الفقهاء الأوائل والعلماء الذين أدخلوا إلى الغرب الإسلامي في ليبيا وتونس (موطأ) الإمام مالك بن أنس ومذهبه الفقهي (المالكي) بعد أن تتلمذ عليه في المدينة المنورة.

وهو أبو الحسن علي بن زياد الطرابلسي نسبة إلى بلده ومسقط رأسه طرابلس الغرب التي ولده فيها في تاريخ لم يقف عليه مترجموه من قبل، وهو عربي من قبيلة (عبس) لاكما ذهبت بعض المراجع إلى نسبته إلى بلاد العجم[1]، قال القاضي عياض السبتي مشككًا في هذه النسبة العجمية (وقيل أصله من بلاد العجم) [2] ثم قرر على صحيح الروايات قوله (هو من عبس) [3] والراجح أن جده جاء مع القبائل العربية من جند الفتح الإسلامي المظفر إلى طرابلس، ثم استقر فيها مع أسرته حيث كتبت لهذا الفقيه الولادة والنشأة ثم أخذ ـ على الراجح ـ علومه في مسقط رأسه طرابلس، قال القاضي عياض (ولد بطرابلس ثم انتقل إلى تونس فسكنها) [4] وقرر العلامة المبرور الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور مفتي تونس بما عرف به من الموضوعية والإنصاف (وكان بولادته ونشأته أفريقياً صرفًا، ولد بمدينة طرابلس من القطر الليبي ثم انتقل إلى تونس فسكنها) [5].

وقد تزامن وقت رحيله من طرابلس إلى تونس مع زمن عظمة الدولة الأغلبية (800 ـــ 909)[6] التي أخذ عن الكثير من علمائها الأعلام الذين نجهل أسماءهم ومدى دورهم في تكوينه المعرفي الذي بدأه في طرابلس ثم أصله في تونس إذ لم يصلنا من أسماء أولئك الأعلام إلا اسم شيخه القاضي خالدب ابن عمران[7]، ثم اتجه عقب هذا الأخذ والتحصيل في طرابلس وتونس إلى ديار الشرق حيث تلقى العلم عن شيخة الليث بن سعد في مصر، وعن شيخة سفيان الثوري المتوفي (161هـ/777) في العراق، وعن شيخة الذي كتب له به الشهرة الإمام مالك بن أنس المتوفي (179هـ/795) في المدينة المنورة[8]، عاد بعد هذه الرحلة العلمية والتعبدية التي كان بها علي بن زياد من أكبر أصحاب مالك، فنشر موطأه ومذهبه في ديار المغرب الأدنى التي مر بها وغيرها مثل برقة ومسقط رأسه طرابلس الغرب ثم تونس الأغلبية دار سكناه حيث. تكون به عدد من الطلاب والتلاميذ، وظهر اسمه ورسمه، وعرف له الناس قدره، قال سحنون بن سعيد الفقيه المالكي المشهور

(1) أعلام المفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي: 24.
(2) ترتيب المدارك: 326 جمهرة تراجم الفقهاء المالكية 2: 850.
(3) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك 1: 326، تراجم أغلبية: 21. 26.
(4) م . ن 1: 326، أعلام الفكر الإسلامي: 24، 25.
(5) أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي: 24.
(6) المحاضرات المغربيات للعلامة محمد الفاضل ابن عاشور.
(7) نفحات النسرين والريحان: 66.
(8) راجع ترجمة هذا الإمام في: ـ كتاب الإمام مالك للشيخ أمين الخولي وكتاب الشيخ محمد أبو زهرة، وندوة الإمام مالك بن أنس.

وأحد تلاميذه (ما أنتجت أفريقة مثل علي بن زياد) [1] وكان يقول (ما فاقه المصريون إلا بكثرة سماعهم وذلك أن علي ابن زياد اختبرت سره وعلانيته، والمصريون إنما اختبرت علانيتهم فقط)[2].

وقال الحافظ الذهبي في علي بن زياد الطرابلسي (كان إماما ثقة متعبدًا بارعًا في العلم، رحل وسمع من سفيان الثوري ومالك والليث وطبقتهم) [3].

وقال الشيخ محمد مخلوف صاحب (شجرة النور الزكية في طبقات علماء المالكية) واصفاً علي بن زياد (الثقة الحافظة المرجوع إليه في الفتوى، الجامع بين العلم والورع لم يكن في عصره بأفريقية مثله) [4].

أثـــاره:

1 ــ إن أبرز دور قام به هذا الفقيه الطرابلسي الليبي ــ حسبما أجمعت عليه كلمة المراجع والمصادر ــ نشره الفقه المالكي وموطأ الإمام مالك بن أنس في ديار الغرب الإسلامي وبخاصة في طرابلس وتونس، حيث أخذ عنه أعلام الفقهاء فيهما قال صاحب كتاب (شجرة النور الزكية): (وهو أول من أدخل الموطأ المغرب ومنه سمع البهلول بن راشد وأسد بن الفرات وسحنون وجماعة) [5] وقد كان هذا التأثير موضع إجماع الباحثين في القديم والحديث اعترفوا له بتأصيل المذهب المالكي وموطأه في المغرب الإسلامي[6].

2 ــ حرر كتابه (خير من زنته) [7] الذي يمثل سماعاته عن الإمام مالك بن أنس، وقد أشار العلامة محمد الفاضل بن عاشور إلى هذا الكتاب ورأي من أهميته أنه استثار همة تلميذيه أسد بن الفرات وسحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي إلى التأليف اقتداء بأستاذهما علي بن زياد، فألف الأول كتابه (الأسدية) والآخر (المدونة) [8].

وقد أفاد المؤرخ التونسي حسن حسني عبد الوهاب بوجود قطعة صالحة من رواية علي بن زياد حيث قال (وروايته للموطأ مشهورة بين الموطآت، توجد منها قطعة صالحة في مكتبة القيروان العتيقة) [9] وقد أشير في كتاب جمهرة تراجم الفقهاء المالكية إلى أن أحد الباحثين قد قام بتحقيق هذا الكتاب.

---

(1) رياض النفوس.
(2) م.ن: 235.
(3) تاريخ الإسلام.
(4) شجرة النور الزكية: 60.
(5) م. ن: 60.
(6) راجع المحاضرات المغربيات: أعلام الفكر الإسلامي: 25، 26، تراجم أغلبية: 21، 26.
(7) ترتيب المدارك: 1: 326، جمهرة الفقهاء المالكية 2: 850، 851، تراجم أغلبية: 22.
(8) راجع محمد الفاضل بن عاشور، المحاضرات المغربيات.
(9) ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية 3: 41.

3 ــ الفتاوي: ألمحت بعض المصادر إلى ما كان يصدر عنه من فتاوي، وإلى أنه كان المعتمد في الفتوى والمرجوع إليها فيها، وقد عد الشيخ الفاضل ابن عاشور المركز الفقهي المالكي الذي كان يتزعمه الإمام علي بن زياد الطرابلسي في تونس الأصل والمرجع لمركز القيروان الذي كان يتزعمه أسد بن الفرات قال (لأن أسد بن الفرات تخرج بعلي بن زياد) [1] وهذا ما دعا حسن حسني عبد الوهاب إلى القول بأن علي بن زياد كان العمدة في الفتيا إذا كان (أهل العلم بالقيروان إذا اختلفوا في مسألة كتبوا بها إلى علي بن زياد ليعلمهم بالصواب) [2].

ومن الأسف أن المصادر والمراجع الكثيرة التي ذكرت سبقه وفضله في نشر الفقه والموطأ، وتكوين الطلاب والتلاميذ لم تذكر تاريخ وفاة الإمام علي بن زياد الطرابلسي كما لم تذكر من قبل تاريخ ميلاده.

عبد الحميد بن أبي الدنيا (1285/684،1209/606):

من علماء ليبيا وفقهائها وأصولييها الكبار الذين كتبت لهم الشهرة فيها وفي ديار الغرب الإسلامي بعامة، معروف حسب تحلية المحدث الرحالة ابن رشيد السبتي في رحلته (ملء العيبة بما اجتمع بطول الغيبة) بـ (العلم والدين والورع والفضل) [3].

وهو أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي من أعلام ليبيا المشهورين في القرن السابع الهجري، ولد في مدينة طرابلس الغرب، وفيها نشأ وحصل تعليمه وتخرج، وقد ابتدأت المرحلة الطرابلسية من تاريخ ميلاده الذي حدده أبو عبد الله محمد التجاني بأنه تم (بطرابلس في منتصف شعبان من سنة ست وستمائة) [4] ثم شب عن الطوق فدرس علومه فيها إلى أن تجاوز سن الثامنة عشرة فاتجه إلى مصر المعزية حيث استزاد من التحصيل ثم عاد إلى وطنه [5] كما نهض برحلة أخرى إلى مصر حيث التقى فيها بعلماء أعلام مثل الإمام عبد الكريم بن عطاء الله الجدامي، وشيخ القراء عبد الحميد الصفراوي، وقاضي الجماعة بالأسكندرية جمال الدين عبدالله بن فائد الريفي، والعالم المهاجر من الشام إلى مصر الشيخ عز الدين بن عبد السلام [6] ولم يقتصر تحصيله في هذه المرحلة الطرابلسية من حياته على ما استفاده من علماء وطنه وعلماء المشرق المذكورين فحسب، بل وسع دائرة تحصيله واستجازاته بأخذه العلم عن العلماء المغاربة والأندلسيين الطارئين على وطنه، وقد أسس في هذه المرحلة المدرسة المستنصرية بطرابلس في سنة

(1) المحاضرات المغربيات: 76، 77.
(2) ترتيب المدارك 1: 226، تراجم أغلبية: 23 جمهرة تراجم الفقهاء المالكية 2: 850، 851.
(3) ملء العيبة بما اجتمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهة إلى مكة وطيبة 2: 403.
(4) رحلة التجاني: 272: 274، دليل المؤلفين الليبيين: 183، أعلام ليبيا: 205.
(5)م. ن 272 U 274، شجرة النور الزكية: 192، دليل المؤلفين العرب الليبيين: 183 U 184، أعلام ليبيا: 206.
(6) م. ن: 272 U 274، عنوان الدراية: 110، كتاب العمر 1: 710.

1258/655)[1] والتي وصفت بأنها مدرسة هامة[2] ويظهر أنه بقي في طرابلس الغرب سنوات بعد هذا التاريخ كتبت لها فيها الشهرة لدى الدولة الحفصية في تونس وسلطانها أبي إسحاق إبراهيم الحفصي[3]، فاستدعى إلى تونس بطلب منه حيث قدم في تراتيب الدولة، وتولى القضاء والإفتاء، وأخذ عنه طلاب العلم التونسيون والوافدون عليها من المغرب الأوسط ومن المغرب الأقصى والأندلس[4] وحيث قدر له أن ينهض بكتابة بعض تآليفه وآثاره العلمية، وظل على هذا التقدير والتكريم في البلاد التونسية إلى أن أذن الله بانتقاله إليه في عام (684 ــ 1285)[5].

ومن آثاره العلمية:

1 ــ الإيضاح والبيان في العمل بالظن المعتبر شرعًا بالسنة الصحيحة والقرآن[6].
2 ــ البرهان في أصول الدين والتوحيد[7].
3 ــ التذكرة في الوعظ[8].
4 ــ جلاء الالتباس في الرد على نفاة القياس[9].
5 ــ شرح العقيدة[10].
6 ــ العقيدة في أصول الدين.
7 ــ كتاب فيمن لقي من الصالحين[11].
8 ــ مزكي الفؤاد في الحض على الجهاد[12].

إبراهيم بن الاجدابي (- / -)

العالم اللغوي الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله المعروف في مساقات الدراسات اللغوية بابن الأجدابي، نسبة إلى (أجدابية)[13] موطن آبائه في القديم، وإن كانت ولادته

---

(1) تاريخ أفريقية في العهد الحفصي 2: 304 رحلة التجاني: 252 كتاب العمرا: 711.
(2) م. ن 2: 304 رحلة التجاني: 252، 253.
(3) رحلة التجاني: 272 U 274، وراجع تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، والفارسية في تاريخ الدولة الحفصية.
(4) راجع بحثنا دور طرابلس في تأصيل الحركة الفكرية على عهد الحفصيين عبد الحميد بن أبي الدنيا نموذجًا في أعمال ندوة التواصل.
(5) ملء العيبة 2: 402.
(6) درة الحجال 3: 661.
(7) رحلة التجاني: 257.
(8) دليل المؤلفين العرب الليبيين: 183.
(9) كتاب العمر 1: 710، 711.
(10) رحلة التجاني: 272، 274.
(11) . درة الحجال 3: 661.
(12) كتاب العمر 711: 1، 1: 71، عنوان الدب 1: 69.
(13) اجدابية قال الشيخ الزاوي (بلد من بلاد برقة وتبعد عن بنغزي إلى الجنوب بنحو 75: 59ك.م، وشرقي سرت بنحو 410ك.م.

ونشأته ونبوغه في مدينة طرابلس الغرب التي عاش فيها ولم يفارقها، وقد ظهر فيها علمه وأدبه اللذان استحق بهما التنويه من العلماء فى القديم والحديث، قال ياقوت الحموى منوهاً به وبكتابه (كفاية المتحفظ) والأنواء (كان أديباً فاضلاً، له تصانيف حسنه، منها كفاية المتحفظ، وهو مختصر فى اللغة مشهور، مستعمل جيد، وكتابه الأنواء وغير ذلك[1] كما أثنى عليه القفطى وعلى كتابه (الكفاية) الذي كان معروفاً ومتداولاً لدى طلاب العلم فى الغرب الإسلامي وبعض دول المشرق بقوله (كانت له يدٌ جيدة فى اللغة وتحقيقها وأفادها، وهو متأخر، وصنف فى اللغة مقدمة لطيفة سماها (كفاية المتحفظ) يشتغل بها الناس فى الغرب ومصر) [2].

وذكره ياقوت الحموى وذكر علمه بقوله (له أدب وحفظ ولغة وتصانيف) [3] وقال (كان أديباً فاضلاً له تصانيف حسنة) [4] كما نوه بهذا العالم الليبي الرحالة التونسي محمد التجاني ضمن رحلته، فوصفه بالعلم والإحاطة بفنونه حيث قال (كان أبو اسحاق هذا من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاماً وفقهاً ونحواً وعروضاً، وله تآليف جليلة[5] وأشاد بابن الأجدابي من العلماء المحدثين نفر غير قليل نكتفى من أقوالهم المادحة بما قرره اللغوي الدكتور رمضان عبد التواب حيث قال: (وجدنا هذا العالم الجليل لغوياً من الطراز الأول) [6].

وقال الشيخ الطاهر أحمد الزاوي (كان اعلم أهل زمانه بجميع العلوم، كلاماً، وفقهاً، ونحواً، ولغة، وعروضاً، ونظماً ونثراً) [7].

وقال الدكتور السائح على حسين منوهاً بخلود أثره (وبذلك نال من الشهرة، وبعد الصيت ما نال، وبقى حياً ولم يمت كما مات غيره من الناس، على الرغم من أن كتبه قد فقدت، ولم يبق منها إلا كفاية المتحفظ والأزمنة والأنواء) [8].

وقال أستاذنا علي الفقيه حسن- رحمه الله -"وأثنى عليه كثير من الأعلام منهم مجد الدين الفيروز أبادي، وجلال الدين السيوطي في البغية، وأكثر من نقل عنه الإمام الحافظ الثقه أحمد

---

(1) معجم البلدان 1: 132، اعلام ليبيا: نفحات النسرين والريحان: 85 – 88 .

(2) انباه الرواة 1: 158 .

(3) معجم الأدباء 1: 130

(4) معجم البلدان 1: 132

(5) رحلة التجانى: 262

(6) أعمال ندوة التواصل الثقافى بحثه (ابن الأجدابي وأثره فى الدرس اللغوى للعربية) : 413 – 422 .

(7) أعلام ليبيا: 50 .

(8) تقديم كتاب (كفاية المتحفظ فى اللغة) : 9 ..

الفيومي في معجمه المسمى بالمصباح المنير، وكمال الدين الدميري في حياة الحيوان، وعدل كتابه بالمصنفات الكبيرة".[1]

وقد أجمعت آراء الكتاب والمؤرخين على أن ولادة إبراهيم بن الأجدابي ونشأته كانت في المدينة القديمة بطرابلس الغرب، ولم يهتد إلى تاريخ ميلاده فيها وأسماء شيوخه الذين أخذ عنهم العلم[2]، والغالب أنه كتب برناجاً في ذلك، أو أشار إلى أسمائهم ضمن تآليفه الضائعة ثم إن هؤلاء المؤرخين الذين ترجموا له لم يهتدوا أيضاً إلى تاريخ وفاته في وطنه طرابلس التي لم يغادرها، وغاية ما توصلوا إليه بالأدلة أنه من أعلام القرن الخامس الهجري وربما أدرك أوائل القرن السادس الهجري، وأنه عاش بين أسوار هذه المدينة حيث تخرج بعلمائها الأصلاء وبالطارئين عليها من الغرباء[3]، ولقد سئل – رحمه الله – عن العلم الواسع الذي حازه من أين تحصل عليه ؟ فقال: اكتسبته من بابي هوارة وزناته[4] أى من داخل أسوار مدينة طرابلس الغرب المشتملة على هذين البابين، المذكورين المعروفين عند سكان هذه المدينة إلى اليوم، يشير بذلك إلى ما أخذه من علماء طرابلس الأصلاء والعلماء الغرباء الذين يفدون إليها من العلماء والطارئين من خلال هذين البابين .

وإذا كنا لم نتبين أسماء الأعلام من الأصلاء والطارئين الذين أخذ عنهم العلم، فمن المؤسف أيضاً إننا لم نتبين أسماء طلابه وتلاميذه الذين أخذوا عنه العلم وانتفعوا به، وقصارى ما علمناه من أمر هذا الإمام اللغوي الحافظ أسماء كتبه وتآليفه الموجودة والمفقودة منها[5]:–

1. كتابان فى علم العروض كبير وصغير[6].
2. كتاب فى الرد على أبي حفص فى تثقيف اللسان[7] .
3. كتاب ما آخره ياء من الأسماء وبيان اعتلال هذه الياء[8] .

قال الشيخ الطاهر الزاوي (استوفى فيه جميع أحكام هذه الياء على اختلاف أحوالها، ولما استوفى ذلك استيفاء جملياً تعرض لشرح مقاطع الآي الواقعة فى سورة مريم، لاشتمالها على كثير من تلك الأحكام، وهو كتاب فى غاية الإفادة والتحقيق) [9] .

---

(1) راجع كتابنا علي الفقيه حسن في جهوده العلمية والسياسية
.أعلام ليبيا: 50، 51، رحلة التجانى: 262(2)
(3) أعلام ليبيا: 50، 51، رحلة التجانى: 262
(4) أعلام ليبيا: 50، 51، رحلة التجانى: 262
(5) أعلام ليبيا: 50، ابن الأجدابي وأثره فى الدرس اللغوى للدكتور رمضان عبد التواب .
(6) أعلام ليبيا: 50 مقال (أبو إسحاق إبراهيم الأجدابي) لعلى الفقيه حسن في مجلة مجمع اللغة العربية.
(7) م. ن: 50، ابن الأجدابي وأثره فى الدرس اللغوى للدكتور رمضان عبد التواب
(8) أعلام ليبيا: 50، 51 .
(9) م. ن: 50، ابن الأجدابي وأثره فى الدرس اللغوى للدكتور ورمضان عبد التواب .

4. رسالة في الحول وأسبابه[1] وهي التي كتبها في الرد على القاضي عبد الله بن هانش عندما عير بالحول[2].

5. كتاب الأزمنة والأنواء وقد حققه الدكتور عزه حسن ونشره في دمشق سنة (1384 / 1964).

6. كفاية المتحفظ[3]، وقد حقق تحقيقات كثيرة أحسنها تحقيق الأستاذ الدكتور السائح حسين.

إسماعيل الجيطالي: (؟-737)

هو الشيخ أبو الطاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي من أعلام ليبيا، ومشاهيرها في جبل نفوسة في القرن الثامن الهجري، ولم يكن عطاؤه العلمي والروحي محصوراً في وطنه ليبيا فحسب بل امتد علمه وفضله إلى ديار تونس قال عنه أبو رأس صاحب كتاب " مؤنس الأحبة في أخبار جربة هو أبو الطاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي نسباً، الغرياني مسكناً، كان عالماً ورعاً"[4].

وحلاه أحد العلماء والمؤرخين بالعلم والتجربة فيه، فهو عنده ((عملاق من عمالقة الفكر الإسلامي في ذلك العصر، خدم الإسلام بإخلاص المؤمن، وجد العالم، وعمق الفيلسوف)) [5] ويراه ((صنو أبي حامد الغزالي)) [6] وأن "الجيطالي وإن كان متأخراً عن الغزالي، إلا أن مقارنة بينهما قد تكون من المباحث التي تحتاجها المكتبة الاسلامية "[7].

ولد الشيخ أبو الطاهر الجيطالي في مسقط رأسه "جيطال" وهي "مدينة فسيحة تقع بين ايسين واينر" [8] بالجبل الغربي، وأخذ العلم عن شيوخ وقته فيه، ولم يصلنا من أسمائهم إلا اسم شيخه أبي عيسى بن موسى الطرميسي [9] ولكن ما حلي به من وصف العلم والتبحر فيه، وما صدر عنه من تآليف يدلنا من قريب على أن له شيوخاً ومبرزين ضمهم برنامجه أو فهرسه المفقود.

وقد تولى الجيطالي التدريس في جيطال بعد تخرجه بأولئك الشيوخ، ثم انتقل إلى المسجد الكبير في مزغورة[10] حيث تظافرت جهوده مع صديقه الشيخ أبي عزيز[11] في الإقراء والتدريس والوعظ

---

(1) م. ن: 50، ابن الأجدابي وأثره في الدرس اللغوى للدكتور رمضان عبد التواب .
(2) م. ن: 50، ابن الاجدابي وأثره في الدرس اللغوى للدكتور ورمضان عبد التواب .
(3) م. ن: 50، ابن الاجدابي وأثره في الدرس اللغوى للدكتور ورمضان عبد التواب .
(4) مؤنس الأحبة في أخبار جربة: 91:92.
(5) الإباضية في موكب التاريخ: الحلقة 2 القسم 2:107.
(6) م.ن: 107 .
(7) م.ن: 108 .
(8) الإباضية في موكب التاريخ الحلقة 2 القسم 2:107.
(9) م.ن، دليل المؤلفين العرب الليبيين:86.
(10) م.ن.
(11) الإباضية في موكب التاريخ الحلقة 2 القسم 2:107.

والإرشاد والفتوى، فعرف بالجد والنشاط الدائم، كما عرف بمحاربة الفساد والضلال، وإقامة الحسبة في الأسواق وببيان – وكان مشتغلاً إلى جانب العلم بالتجارة – أصول المعاملات والبيع والشراء في الإسلام[1] .

وقد صادف وجوده في مدينة طرابلس للتجارة والصفق علم الأمير به وبعلمه فجمعه في مجلسه مع قاضي المدينة والعلماء فيها للجدل والمناقشة، بل المفاتشة، فعلا علمه وقدره عليهم، مما أثار حفائظهم، وجعلهم يسارعون في الكيد له عند الأمير الذي اغتصب ماله وسلبه، وزج به في غيابات السجن [2]، قال الشيخ أبو راس "وسبب انتقاله من طرابلس إلى جربة أن فقهاء طرابلس حسدوه، وافتروا عليه لحاكم طرابلس، فجمعه والفقهاء بمجلسه، فوجده كنز العلوم والمعارف، ومعدن الفضائل بالمنطوق والمفهوم، فعظم حسدهم له، ولم يمكنه إلا الانتقال عنهم " [3] .

ولا ندري الزمن الذي أمضاه الشيخ الجيطالي في سجن طرابلس الغرب في القرن الثامن الهجري الذي كان حكم طرابلس فيه لأسرة بني ثابت، ويبدو أنه عاد بعد إطلاق سراحه إلى وطنه "جيطال" حيث بقي فيه مدة تسع سنوات أمضاها في التعليم والأقراء والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويبدو أيضاً أن نفوس العامة وأهل الأهواء والانحراف قد ضاقت بوجوده ذرعاً، كما ضاقت به نفوس العلماء في طرابلس، وعلى تبرمه من أهل الأهواء والضلال في جيطال وفرسطاء [4] ورأى أن الأوفق لمثله أن يخرج من بلاده، ويهاجر إلى جزيرة جربة في تونس التي كانت وقتئذ أكثر أمناً لحياته العلمية والفقهية، وكانت له معرفة بابن مكي عامل قابس، وكانت جربة تحت نظره [5]، فانتقل إلى جربة واستقر بها " وتلقاه علماء جربة بأحسن لقاء، واجتمعت عليه الطلبة، وكان يقرأ ويصنف في المجلس الواحد " [6] وظل على ذلك العطاء إلى حين وفاته في تاريخ تضاربت فيه أقوال مؤرخيه، حيث قال أحدهم " لقد عاش الجيطالي في القرن السابع والثامن، يملأ الدنيا علماً وحكمة وخلقاً وديناً، وتوفي سنة خمسين وسبعمائه "[7] وتبعه في ذلك دليل المؤلفين العرب الليبيين، الذي ذكر فيه أنه توفى بجربة سنة 750 هـ ودفن بها "[8] وذهب

---

(1) م.ن.

(2) الإباضية في موكب التاريخ الحلقة 108:107.

(3) مؤنس الأحبة في أخبار جربة: 92:91.

(4) الإباضية في موكب التاريخ الحلقة 2 القسم 110:2.

(5) م.ن، 2،110:2. وراجع علماء جربة المسمى رسائل الشيخ سليمان بن أحمد الجيلاني الجربي في ذكر علماء جربة وأماكن أضرحتهم، تحقيق محمد قوجه:56.

(6) مؤنس الأحبة: 92:91.

(7) كتاب قناطر الخيرات وقد طبع بالقاهرة بمطبعة الأزهار البارونية سنة(1327/ 1909) .

(8) الإباضية في موكب التاريخ الحلقة 2،111:2.

الشيخ أبو راس إلى أن وفاة الجيطالي كانت قبل ذلك بثلاث عشر عاماً أي في عام (1336،1337) وذكر أن مكان دفنه في مقبرة الجامع الكبير بالحشان[1]، وهو الجامع الذي كان يدرس فيه، وظهر فيه علمه وتأليفه بل تأثيره في الوسط التونسي الجربي.

وللشيخ الجيطالي آثار تأليفية مهمة، أعلت مكانته في كتب المذهب وفي الفكر الإسلامي في القرن الثامن الهجري، منها:

1- كتاب قناطر الخيرات، وقد طبع في القاهرة بمطبعة الأزهار البارونية سنة (1909/1327) بإشراف الشيخ يوسف الباروني، ثم حقق تحقيقاً علمياً [2]

2- قواعد الإسلام، وتوجد له عدة نسخ مخطوطة[3]، ثم حققه الشيخ عبد الرحمن بكلي الجزائري.

3- تعليق على قصيدة أبي نصر الملوشائي النونية، قال أحد الباحثين: "وإنها لمتعة للنفس والفكر والعقل أن تقرأ شعراً لأبي نصر يقدمه إليك أبو طاهر، ويشرحه لك" [4] وتعتبر هذه الأعمال الثلاثة – حسب رأي أحد الباحثين والدارسين – من الأعمال التي أضافها العلماء، قال "وأولها وأكثرها أهمية تعليق على قصيدة أبي نصر لأبي طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي بعنوان شرح النونية، وفي عمليه الآخرين "قواعد الإسلام" و"قناطر الخيرات " أدخل الجيطالي فهمه الخاص به للآراء الكلامية الإباضية، لكنه موجز إلى درجة كبيرة بالمقارنة مع تعليقه الطويل على النونية، وهو الذي يتألف من ثلاثة مجلدات كبيرة تضم دراسة مفصلة في علم الكلام الإسلامي "[5].

4- شرح الأصول الدينية، مخطوط بمكتبة الشيخ سالم بن يعقوب بجربة[6].

5- الفرائض (في قسمة المواريث وأحكامها)[7].

6- كتاب الحج والمناسك، اختصر وطبع بالقاهرة[8].

محمد الصالح الأوجلي (- / -)

على الرغم من الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الصعبة التي مرت بها ليبيا فى القرن الحادي عشر الهجري فإن هذا الفقيه استطاع بفضل همته أن يتحداها، ويتجاوز صعابها، ويحقق لنفسه فى بلده أوجلة بنت الصحراء مكانة علمية مرموقة، انتشر صيتها خارج هذه الواحة الجميلة

---

(1) دليل المؤلفين العرب الليبيين:86.

(2) مؤنس الأحبة: 92:91.

(3) دليل المؤلفين العرب الليبيين:86.

(4) الإباضية في موكب التاريخ

(5) دراسات عن الإباضية 232،231.

(6) مؤنس الأحبة في أخبار جربة: 92،91.

(7) دليل المؤلفين العرب الليبيين: 87.

(8) م.ن: 86.

المعزولة إلى الأقطار العربية والديار الإفريقية، لتكون تأليفه وآثاره معتمد الدارسين والمؤلفين في تلك الأقطار والديار .

لقد أجمعت الكتب والمراجع التي أرخت له أنه محمد الصالح بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الله بن سليم الأوجلي[1] ولم تقف له تلك المراجع على تاريخ محدد لميلاده، ولكن أحد الباحثين قال إنه ولد ببلده أوجلة (فيما يقرب من منتصف القرن الحادي عشر الهجري، أي بعد سنة **1030** للهجرة) [2] معتمداً في ذلك على ما وقف عليه من الوثائق كما اشتقت منها أنه ولد في بيت توارث العلم فأخذ العلم عن والده وبعض أقاربه، ثم ترك بلاده حيث اتجه إلى الجديد بسبها فازداد تحصيلاً من شيوخه فيها الذين كان من أبرزهم تأثيراً عليه شيخه محمد الصالح بن حامد الحضيري وهو من أسرة علمية ليبية عرفت بالاشتغال بالعلم، والشيخ محمد بن محمد بن احمد الدليمي الحسانى، ومن الطارئين على الجديد بسبها العالم الجزائري الشيخ محمد بن مسعود بن سعيد الأزهري التلمسانى نسبة إلى تلمسان[3] وفي الظن أن ثمة شيوخ آخرين استفاد منهم الشيخ محمد صالح الأوجلي وانتفع بعلومهم، ولكن لما تصلنا أسماؤهم وبخاصة من أخذ عنهم من العلماء المغاربة والجزائريين الذين كانوا يمرون ببلده أوجلة وهم في طريقهم إلى الحج .

وعندما أحس الأوجلي من نفسه القدرة على التدريس وتولى منصب القضاء والأفتاء، دخل إلى الحياة العامة بفضل مساندة والده الفقيه الشيخ الصالح – فقام بمهمة التدريس، كما نهض بالفتيا والقضاء فنفع الله خلقاً كثيراً بهما[4]، ومن أبرز تلاميذه ومريديه الذين أخذوا عنه العلم في أوجلة وفي غيرها من واحات الجنوب الليبيي أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الشدامسي وصالح بن حسن العرب وعبد الكريم فارس من المقيمين بدرنة ومحمد بن محمد صالح الأوجلى ابنه ومحمد بن محمد الدخلى الأوجلي[5] .

---

(1) السدير الفائح المنتخب للأوجلى تحقيق الأستاذ محمد بشير سويسي: 59 دليل المؤلفين العرب الليبيين: 360، والحياة الثقافية في ليبيا في العهد العثماني الأول

(2) السدير الفائح المنتخب: 61 .

(3) السدير الفائح المنتخب: 73، 74 .

(4) دليل المؤلفين العرب الليبيين: 360 .

(5) السدير الفائح المنتخب: 75.

ولم يحدثنا مترجموه عما إذا كانت له رحلة خارج وطنه للتحصيل أو الأقراء والإقامة، ولكننا وقفنا على أخبار تتصل برحلة بعض كتبه إلى الديار العربية والى ديار بلاد السودان التي اعتمدتها ضمن مقررات تعليمها فى معاهدها العلمية[1].

ومن آثار الشيخ محمد الصالح الأوجلى العلمية مرتبة بحسب الإلفبائية[2]:-

1. تعليق على منظومة التوحيد .
2. تقييدات على لا اله إلا الله .
3. الدرة الوقيدة فى شرح العقيدة .
4. دليل القائد لكشف أسرار صفات الواحد .
5. زيادة التبيين على المرشد المعين .
6. السدير الفائح المنتخب ويسمى أيضاً النسرين الفائح النسيم، وقد حققه الأستاذ محمد بشير سويسي .
7. شرح السنوسية الصغرى .
8. قصيدة الأوجلي فى مدح الشيخ أحمد زروق .
9. الكوكب الفريد فى شرح عقيدة التوحيد .
10. المزيد العائد على دليل القائد .
11. من قاف إلى قاف، وهي ذكر لأسماء الصلحاء .

---

(1) راجع بحثنا (التفاعل العلمي والمعرفي بين الغرب الإسلامي والسودان الأوسط والغربي) حوليه مجمع اللغة العربية ع.2006.4.

(2) م.ن: 77 دليل المؤلفين العرب الليبيين: 360 .

ثالثاً: أهم تراجم لشخصيات من العصر الحديث والمعاصرين:

محمد كامل بن مصطفى (1245 / 1830 - 1315 / 1897)

من أعلام الإصلاح الديني والتعليمي في بلاده ليبيا خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، وقد أدى دوراً بالغ الأهمية في إنقاذ وطنه المسمى آنئذ (طرابلس الغرب) (ليبيا) من مهاوي الجهل والتخلف ومن هول القابلية للاستعمار.

وقد ورد اسمه في كتابه (الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية) هكذا (الشيخ محمد كامل بن مصطفى) [1] وأثبته نفسه في صدر كتابه المخطوط المسمى (مجموعة العبد الذليل على ربع التنزيل) بهذا الترتيب محمد بن صالح بن محمود[2] ويستنتج مما ذكر أن لمترجمنا اسماً ثنائياً مركباً (محمد كامل) وهو الاسم الذي عرف به واشتهر عند الكثير من الكتاب والباحثين، وان اسم والده مصطفى وينمى إلى أسرة (بن محمود) من كوارغلية الزاوية الغربية[3].

ولد - باتفاق المراجع - في مسقط رأسه بمدينة الزاوية الغربية في سنة (1244 / 1828) على الراجح[4]، وتلقى علومه في مسقط رأسه ثم في مدينة طرابلس ليرحل بعدها إلى القاهرة في سنة (1263 / 1846) حيث بقي مجاوراً في الأزهر أكثر من سبع سنوات[5]،

واخذ عن أبرز شيوخه أحمد عبد الرحيم الطهطاوي والشيخ محمد عليش والشيخ محمد الأشموني والشيخ حسن العدوي والشيخ محمد المهدي بن سودة والشيخ إبراهيم السقا الذين أجيز منهم[6]، كما أجيز من غيرهم من أمثال الشيخ عبد القادر الريماوي الحنفي والشيخ أحمد زيني دحلان ومن المغاربة أجازه من تونس الشيخ أحمد بن الخوجة المفتي وشقيقه الشيخ محمود بن الخوجة والشيخ إبراهيم التوزري والشيخ مختار شويخة وغيرهم[7]، ولاشك في أن كثرة الشهادات من الإجازات من العلماء المشارقة والمغاربة مفصحة عن القيمة العلمية التي كان عليها الشيخ محمد كامل بن مصطفى، وهي التي فاض بعوائدها وفوائدها على مجتمعه الطرابلسي بخاصة وعلى الليبيين عامة إذ ظهرت في البداية جهوده التعليمية فيما قام به من التعليم والتدريس في جوامع طرابلس الغرب التي آثر أن يظهر فيها أثره، فتخرج به نخبة علماء هذه المدينة وغيرها من أمثال الشيخ عبد الرحمن البوصيري والشيخ إبراهيم باكير واحمد بن محمود والشيخ أحمد البكباك والشيخ أحمد بن عبد السلام والشعراء أحمد الفقيه حسن (الجد) ومصطفى بن زكري وأحمد الشارف وغيرهم[8].

---

(1) نشر هذا الكتاب في أواخر القرن الماضي سنة (1313 / 1895) ويشتغل بعض الباحثين الآن بتحقيقه.

(2) مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل مخطوط موجود بمكتبة الأوقاف تحت رقم 105 عام الرقم الخاص 2، 288.

(3) راجع كتاب محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية بليبيا: 28.

(4) م. ن: 39، 40، دليل المؤلفين الليبيين: 410.

(5) م.ن: 45، 46، إعلام من طرابلس.

(6) محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا: 51.

(7) م. ن: 61.

(8) محمد كامل بن مصطفى وأثر في الحياة الفكرية بليبيا: 113.

كما اتجهت وجهته الإصلاحية التعبوية فى إرشاد الراعي والرعية إلى وجوب اليقظة والحذر مما يراد بالعالم الإسلامي من مكائد واستعمار فشجع الحكام على الانتصار إلى الأعمال والطرائق الإصلاحية وحرك فى الناس الهمة إلى الأخذ بالتعليم والخروج بالوعي من دائرة التخلف المفضى إلى القابلية للاستعمار، وقد عهد الناس حماسته فى الإصلاح ورغبته العارمة فى ربط العلائق الفكرية والعلمية مع رجال الإصلاح فى المشرق والمغرب[1] وقد توفى هذا العالم المصلح بتاريخ (1315 / 1897) ودفن بمقبرة سيدي منيذر اليمانى بطرابلس[2].

آثاره[3]: -

نذكر من آثار الشيخ محمد كامل بن مصطفى المطبوعة والمخطوطة:

1. كتاب الفتاوى الكاملية فى الحوادث الطرابلسية وهو مجموع فتاوى لأهل طرابلس وغيرهم فى النوازل والقضايا التي استفتوه فيها .
2. مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل، وهو فى تفسير كتاب الله تعالى طبع منه بتحقيق الدكتور عبد الدائم الباجقني جزء وسيصدر الآخر بتحقيق الشيخ عبد الرحمن العدولي .
3. المجموع أو الكناش قيد فيه بعض المسائل العلمية والمسائل الشخصية، وهو يفيد فى كتابة ترجمته ومعرفة الحياة العامة فى عصره[4] .
4. فتح الودود فى حل نظم المقصود، وقد عثرت على الملزمة الأولى منه مطبوعة ضمن أوراق قديمة انتهت إلينا من الجد الذي كان معاصراً للمترجم، وللشيخ محمد كامل بن مصطفى قصائد ومنظومات أتينا بنماذج منها فى كتابنا المعنون (محمد كامل بن مصطفى وأثره فى الحياة الفكرية فى ليبيا) [5].

أحمد رفيق المهدوي (1898 / 1961)

من شعراء ليبيا البارزين فى العصر الحديث، ومن أشهرهم وأكثرهم تأثيراً فى ذائقة أدبائها وكتابها ومثقفيها وذلك لما يتسم به شعره من المعانى والمبانى، وتنوع الأغراض فى الجد والهزل، وبخاصة ما اتصل منها بالمعانى الوطنية المنتصرة للدين والوطن، ومقاومة الاستعمار بمختلف ألوانه وأشكاله، وقد عبر الشاعر أحمد رفيق المهدوي بشعره مع معاصريه من شعراء ليبيا من أمثال أحمد الفقيه حسن وأحمد الشارف وأحمد قنابة وإبراهيم الأسطى عمرو إبراهيم الهونى وغيرهم عن مشاعر مواطنيه وخلجاتهم وعواطفهم، وعما استكن فى وجدانهم من حب الوطن العزيز، وكراهية

---

(1) م.ن: 155 .

(2) م.ن: 207 .

(3) م.ن: 211، دليل المؤلفين الليبيين: 410 .

(4) توجد نسخته فى مكتبة مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية .

(5) راجع الطبعة الثانية للكتاب والصادر عن مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

الاستعمار والمستعمرين ولد هذا الشاعر في بلدة بالجبل الغربي تسمى (فساطو) سنة (1318 / 1898) حينما كان والده موظفاً بها في العهد العثماني، ودرس بمدينة الزاوية الغربية، وحصل على الشهادة الابتدائية من مدرستها التركية، ثم استقر بمدينة طرابلس الغرب حيث استمر في دراسته، إلى أن هاجر مع أسرته – عقب الاحتلال الايطالي سنة (1331 / 1912) إلى الأسكندرية، وبقي زمناً يقرأ في مهجره مع بيرم التونسي وزميليه الأستاذين أحمد الفقيه حسن وعلى الفقيه حسن كتب الأدب، كما اشتغل في ذلك الطور بالتجارة وقراءة كتب الأدب ثم تقلد بعض المناصب في وطنه وفي تركيا، كان آخرها عضواً بمجلس الشيوخ سنة (1371 / 1951) [1]، وكان خلال حياته مذود حق، ولسان صدق، سخر شعره وبيانه في تحريض بني قومه ضد الاستعمار الايطالي، وتغنى في شعره بفيوض الوطنية، ووظف قلمه للكتابة في شئون الوطن والأدب، أما شعره – الذي اشتهر به – فقد جرى به في حلبة اتجاه (البعث والأحياء) أو جماعة المدرسة التقليدية الحديثة[2] التي تزعمها البارودي، وكان من أقطابها شوقي والزهاوي وكان بهما معجباً، فظهرت سماتها وملامحها على مضامينه وأشكاله التي زكتها مواهبه يقول الشاعر الكبير عزيز أباظة فيه (فنحن إزاء شاعر يطل على مرائي الطبيعة ومجالي الكون، ومواكب الحياة، من خلال أحاسيسه اليقظة الواعية ثم يرسم بريشته الصناع ما انبثق في وجداناته من خلجات وخفقات، وما التمع في عقله من لمحات وومضات) [3] ويقول الأستاذ الناقد عمر الدسوقي في إوضاح هذا الشعر المهدوي (وشعر المهدوي يعطيك صورة واضحة عن حياته وتجاربه وجهوده في سبيل حرية وطنه وإصلاحه كما يعطيك صورة زاهية عن الحياة في ليبيا الشقيقة وما عانته من آلام وبغي وعسف على يد الطليان) [4] .

ومن نماذج شعره المصورة ذاته وعذابات وطنه قوله[5]:

نحن أهل العز أبناء الوطن   نحن أشبال الحمى نحمى الوطن

من سوانا يبذل الارواح من   نحن نفدي بالدم الحر الوطن

---

(1) راجع تفاصيل هذه الحياة في (الشعر والشعراء في ليبيا) و (الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث) للدكتور محمد الصادق عفيفي و (الحياة الأدبية في ليبيا) للدكتور طه الحاجري و (قصة الأدب في ليبيا العربية) للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .

(2) راجع كتاب (الصراع بين الجديد والقديم في الأدب العربي الحديث) للدكتور محمد الكتاني، وكتاب (الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث) للدكتورة سلمى الخضراء الجيوشي، في الأدب الحديث لعمر الدسوقي .

(3) ديوان رفيق شاعر الوطنية الليبية: هـ .

(4) ديوان رفيق: 10 .

(5) م. ن: 40 .

وقوله يخاطب شبابه متحسراً[1]: -

بين دمعى ونحيبي يـــاشبابي تتلاشـــــى
كتلاشى الظل في الشمس من الزهر يطيـر
ياشبابي أنت نور القلب (نور [illegible]
أنت فى العقل هيـاج وجنـون
أنت فى النفس أمـانى حسـان ومـــراح
أنت طغيـان وعـزم ياشبابـــي وطمـــاع

ومن شعره الوطني[2] الذي وصفه الشيخ الزاوي بقوله (في وطنيات رفيق حصون ومدافع يدفع بها عن وطنه وقومه[3]:

يأيها الشعب لا تسكت على جنف   طالب بحقك إن النصر بالطلب
لا تلتمـــس غلباً للحق فى فئـــة   الحق عندهمو نوع من الغلـــب

ومما نقف به على قوة شكيمته، وشدة إبائه وتمرده على الظلم من شعره قوله[4]:

إنى ليعجبنى الفتى متجبـراً   كتجبر الدجاج والسفـاح
يختال فى بعض الغرور بعزة   فى نفسه وبهمـــة وطمـاح

ومجلى السعادة كما هدته اليه تجاربه فى الحياة ما عبر عنه شعره مجـــسداً فى ســـلامة الـــنفس وطهارتها ومحبة الناس والكائنات[5]:-

أيقنت بعد تجاربـي أن السعـادة في الحيـــــاة
طـهر الضمير من الضغائن والعداوة والشمات
ومحبة الإحسان من غير انتظار مكافـــــآت
وإرادة الخير العميم لكـل من في الكائنــــات

---

(1) م.ن: 70.

(2) أعلام ليبيا: 103

(3) ديون رفيق

(4) م.ن

(5) م.ن

ومن شعره الذي يصور فيها معالم شخصيته ونفسيته، قوله فى مقالة الحق ووجوب الجهر بها [1]: -

مقالة الحق جلجلها وأن جـرحـت ... ولا يهمك من فى نفسه أحـــن
فالجهر بالحق فخر لايفـــوز بـــه ... فى مأزق القول إلا الفاتك اللسن
وما الشجاعة فى حرب بأفضل من ... تصريح حر بحق أهله وهنـــوا

وقوله منتصراً للصراحة المحققة كينونة الإنسان [2]: -

ولسـت أبالي إن تجر صراحتـــى ... جفاء عظيم أو عداوة غضبان
إذا المـرء فى دين وعرض ومبدأ ... تسامح أوحابى فليس بإنسان

وفي ديوان أحمد رفيق المهدوي أغراض شعرية مختلفة وأنماط أسلوبية متنوعة، يضيق المجال عن التعريف بها وبتحليلها، وقد عاش الشاعر يتلمظ الحياة حلوها ومرها وعذبها أكثر من ثلاث وستين بين إقامة فى وطنه، وغربة فى مهجره، إلى أن حان رحيله عن هذه الدنيا فى يوليو من عام (1381 / 1961) [3] وقد كتبت حول شعره، وتقييم فئة دراسات كثيرة ومهمة [4] لعل أبرزهـا كتـاب الدكتور خليفة التليسي (رفيق شاعر الوطن) المعدود من الدراسات النقدية الرائدة في الأدب الليبي الحديث.

---

(1) ديوان رفيق

(2) م.ن

(3) اعلام ليبيا: 106

(4) نذكر منها كتاب (رفيق فى الميزان) لعبد ربه الغناي.

المصادر والمراجع

1- الشعر والشعراء في ليبيا

محمد الصادق عفيفي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1957.

2- الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي

د.محمد الصادق عفيفي،بيروت، دار الكشاف للنشر.

3- الإحاطة في غريب أخبارغرناطة

محمد لسان الدين بن الخطيب،تحقيق محمد عبد الله غسان، مصر.

4- أحمد الفقيه حسن(الجد)

محمد مسعود جبران، ليبيا،مركز جهاد الليبيين، 1988.

5- أحمد الفقيه حسن(الحفيد)

محمد مسعود جبران، ليبيا،مركز جهاد الليبيين.

6- الأدلة البينة النورانية

أبو عبد الله الشماع،تحقيق د.الطاهر العموري،تونس ليبيا،الدار العربية للكتاب،1984.

7- الأعلام

خير الدين الزركلي بيروت،دار العلم للملايين.

8- الأعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام المراكشي.

9- أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي

محمد الفاضل ابن عاشور،تونس،مكتبة النجاح.

10- أعلام ليبيا،

الطاهر احمد الزاوي ليبيا، دار المدار الإسلامي،2004.

11- أعلام المغرب العربي

عبد الوهاب بن منصور، المغرب،دار المنصور.

12- أعلام من طرابلس

علي مصطفى المصراتي ليبيا،دار مكتبة الفكر.

13- أعمال ندوة التواصل الثقافي
د.عبد الحميد، الهرامة، ليبيا،كلية الدعوة الإسلامية،1988.
14- تاريخ الأدب الجغرافي العربي
صلاح الدين هاشم،لبنان، دار الغرب الإسلامي.
15- تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي
ترجمة حمادي الساحلي، روبار برنشفيك، لبنان، دار الغرب الإسلامي،1988.
16- تاريخ ليبيا الإسلامي
عبد اللطيف البرغوثي، ليبيا، الجامعة الليبية،1393هـ.
17- تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري
احسان عباس،بيروت،دار صادر، 1967.
18- تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض
تحقيق محمد الطالبي، تونس-المطبعة الرسمية، 1968.
19- ترتيب المدارك، القاضي عياض السبتي
تحقيق لجنة، المغرب، وزارة الأوقاف.
20- التليسي موسوعة وريادة
لجنة، مجلس تنمية الإبداع الثقافي،2004.
21- جذوة المقتبس،محمد الحميدي
الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966.
22- جمهرة تراجم الفقهاء المالكية
د.قاسم علي سعد،دار البحوث،2002.
23- الحركة الشعرية في ليبيا
د.قريرة زرقون،ليبيا، دار الكتاب الجديد،2001.
24- الحياة الأدبية في ليبا
د.طه الحاجري، مصر، معهد الدراسات العربية العالية،1962.
25- خلاصة تاريخ تونس
حسن حسني عبد الوهاب، تونس،الدار التونسية للنشر،1968.

26- شجرة النور الزكية

محمد مخلوف، لبنان، دار الفكر.

27- درة الحجال في أسماء الرجال

أحمد بن القاضي،تحقيق محمد الأحمدي أبوالنور،القاهرة، دار التراث،1970.

28- دليل المؤلفين العرب الليبيين

لجنة من أمانة الأعلام،طرابلس، دار الكتاب، 1977.

29- ديوان رفيق

تحقيق د.محمد الصادق عفيفي،مصر، 1959.

30- الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة

محمد عبد الملك المراكشي،تحقيق إحسان عباس /محمد بن شريفة، بيروت، الأكاديمية المغربية .

31- رحلة التجاني

أبو محمد عبد الله التجاني، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس،المطبعة الرسمية، 1958.

32- رحلة الحشاتشي إلى ليبيا

محمد عثمان الحشائشي،تحقيق علي مصطفى المصراتي.

33- رحلة العبدري، محمد العبدري

تحقيق علي كردي،دمشق دار سعد الدين،1999.

34- سبك المقان لفك العقال

عبد الواحد بن الطواح التونسي، تحقيق محمد مسعودجبران، لبنان، دار الغرب الإسلامي.

35- السدير الفائح المنتخب

محمد صالح الأوجلي، تحقيق محمد بشير سويسي،ليبيا، مركز جهاد الليبيين، 1998.

36- سليمان الباروني(آثاره)

محمد مسعود جبران،ليبيا-تونس،الدار العربية للكتاب، 1992.

37- طبقات علماء أفريقيا وتونس

أبو العرب القيرواني،تونس،الدار التونسية للنشر، 1968.

38- العبر وديوان المبتدأ والخبر

عبد الرحمن بن خلدون.

39- عنوان الدراية أحمد الغبريني

تحقيق عادل نويهض، بيروت، دار الآفاق، 1979.

40- فصول من تاريخ ليبيا الثقافي

أ.عبد الحميد الهرامة، بيروت، أصالة،1999.

41- قصة الأدب في ليبيا العربية

د.عبد المنعم خفاجي، بنغازي،دار الكتاب الليبي.

42- كتاب العمر

حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة محمد العروسي المطويوبشير البكوش، لبنان،دار الغرب الإسلامي، 1990.

43- لمحات أدبية عن ليبيا

علي مصطفى المصراتي، ليبيا، المطبعة الحكومية، 1956.

44- اللمحة البدرية في الدولة النصرية

محمد لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محب الدين الخطيب، مصر، المكتبة السلفية، 1928.

45- المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية

تاديوس ليفنتسكي،ترجمة مهار جرار وريماجرار، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 2000.

46- مجموعة العبد الدليل على ربع أنوار التتريل

محمد كامل بن مصطفى، مخطوط بمركز جهاد الليبيين بطرابلس تحت رقم ().

47- المحاضرات المغربيات

محمد الفاضل بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر،1974.

48- محمد عبد الله السني

محمد مسعود جبران، ليبيا، مركز جهاد الليبيين، 2006.

49- محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا

د.محمد مسعود جبران، ليبيا، مركز جهاد الليبيين.

50- مصادر دراسة الحياة الفكرية في ليبيا في العهد القره مانلي

عمار جحيدر -ليبيا، مركز جهاد الليبيين، 2003.

51- معجم الأدباء والكتاب الليبيين المعاصرين

عبد الله مليطان، طرابلس الغرب، دار مداد،2001.

52- معجم البلدان الليبية

الطاهر أحمد الزاوي، ليبيا، مكتبة النور، 1968.

53- معجم الشعراء الليبيين

عبد الله مليطان، طرابلس الغرب، دار مداد،2001.

54- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر،

55- ملء العيبة

ابن رشيد السبتي، تحقيق د. محمد الحبيب بن الخوجه، لبنان، دار الغرب الإسلامي .

56- المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب

أحمد التائب الأنصاري، طرابلس الغرب / مكتبة الفرجاني .

57- موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها

شاكر مصطفى، لبنان، دار العلم للملايين، 1993.

58- النشاط الثقافي في ليبيا

د.أحمد مختار عمر، ليبيا. الجامعة الليبية، 1971.

59- نفحات النسرين والريحان

أحمد التائب الأنصاري، محمد علي الأنصاري، تحقيق علي مصطفى المصراتي، بيروت، المكتب التجاري، 1963.

60- ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية

حسن حسني عبد الوهاب، تونس، مكتبة المنار، 1966.

الفصل السابع

المخطوطات العربية في ليبيا

(بين المصادر الوصفية. والنصوص التوثيقية. والوضعية الحالية)

أ. عمار محمد جحيدر

(مجمل الفصل)

3- النصوص التوثيقية /الوثائق التأسيسية (مكتبة مصطفى خوجة في العهد القرمانلي نموذجاً).

3. 1- المؤسِّس (نحو ترجمةٍ جديدة موثّقة).

3. 2- مُقْتَطَفٌ من كتاب الوقف.

3. 3- شهادة الرحّالة الناصري.

3. 4- نماذج من المخطوطات الباقية.

3. 5- عَوْدٌ إلى المؤسِّس (الأفق الثقافي).

4- نماذج من نفائس المخطوطات في الخزائن الخاصة.

5- الوضعية الحالية.

5. 1- تعدد البيئات التعليمية / الثقافية.

5. 2- رصيد المركزين العامين العاملين في هذا الحقل.

5. 2. 1- مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس).

5. 2. 2- المكتبة المركزية لجامعة قاريونس (بنغازي).

5. 3- جدوى العمل الميداني (زاوية أبي ماضي نموذجاً).

5. 4- المساهمات الوصفية/ التوثيقية المعاصرة (ثَبَتٌ تراتبي).

5. 5- لوحات مصورة مختارة من المخطوطات العربية في ليبيا (ملحق وراقي جماني).

1- مدخــــل

1. 1- المخطوط (ضبط المصطلح):

ينبغي القولُ ابتداءً إنّ مادة هذا الفصل تدور حول (المخطوط – أو الكتاب) الذي يُعــدُّ أهمّ العناصر الباقية من حياتنا الفكرية؛ وهي فيضُ تجلّيات الحضارة في كل العصور. لذا يقتــضي المقامُ أن نقفَ هنيهةً لتأصيلِ هذا المصطلحِ الشائعِ اليوم جداً، وهو (المخطوط) في مقابــل صــنوه (الوثيقة) حرصاً على مزيد من الدقّة والضبط.

ومن الطريف أنّ مصطلح المخطوط بهذا المفهوم العلمي – الثقافي الذي تحمله الكلمة اليوم إنّما هو مفهوم حديثٌ طارئٌ على اللفظة، ولم يطرأ على اللغة العربية في معجمها الحديث إلا بعد ظهور الطباعة، أي أنّه جاء وصفاً شكلياً – وتمييزاً لحالة الكتاب أو الأثر اليدوي العتيق، بعد ظهور نقيضه الآلي (المطبوع). ويبدو جلياً أنّ مصطلح (المخطوط) بهذا المعنى الحديث لا وجــود لــه في العربية القديمة قبل ظهور الطباعة، لأنّه لم يكن ثمة ما يبعثُ على استحداث – أو اشتقاق هذا المعنى لتسمية الأثر المدوَّن بالمخطوط؛ إذْ أنّ ذلك من الزوائد لا محالــة، فقــد كانــت كــلُّ الآثــار المدوّنة(مخطوطةً) بطبيعة الحال.

ويشير الدكتور أيمن فؤاد سيد، وهو من أبرز العلماء العاملين في هذا الحقل اليوم –إلى أنّ علماءنا القدامى لم يستخدموا كلمة (مخطوط) ولكنهم أشاروا إلى الكتب التي يأخذون عنها بلفظ: الكتاب، أو النسخة، أو الجزء، أو المجلد. كما أكثروا من الإشارة إلى (النقل من خطّه) و (رأيــت خطّه) ... إلخ وأنّ أول ذكرٍ لهذا اللفظ ورد لدى الزمخشري (ت 538 هـــ / 1143 م) في كتابه أساس البلاغة: (خطَّ الكتابَ يخطُّه...وكتابٌ مخطوط)[1]. وبنظرةٍ معجمية سريعةٍ عجلى نجد ما يلي على سبيل المثال:

1 - لم ترد الكلمة في (لسان العرب) لابن منظور (ت 711هـــ /1311م)

2 - ولم ترد في (ترتيب القاموس المحيط) الأصل للفيروزآبادي (ت817 هـــ /1414م)

3 - وفي (تاج العروس) كتابٌ مخطوط: مكتوب فيه، للزبيدى (ت 1205هـــ/ 1791م)

4 - ولم ترد في (محيط المحيط) للمعلم بطرس البستاني، وهو أول المعاجم العربية الحديثة (بــيروت 1870).

5 - ومن الغريب أيضاً أنّها لم ترد في (تكملة المعاجم العربية) الصادر في تلك الفترة أيضاً (1877 – 1881) للمستشرق رينهارت دوزي؛ مع أنّه كان من أبرز العاملين في حقل (المخطوطات)

---

(1) الدكتور أيمن فؤاد سيّد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1997، ج1 ص 102– 136.

العربية التي كانت تشهد خلال ذلك القرن (التاسع عشر) نشاطها الملحوظ الموسَّع في التحوُّل إلى فضاء المطبوعات المنشورة.

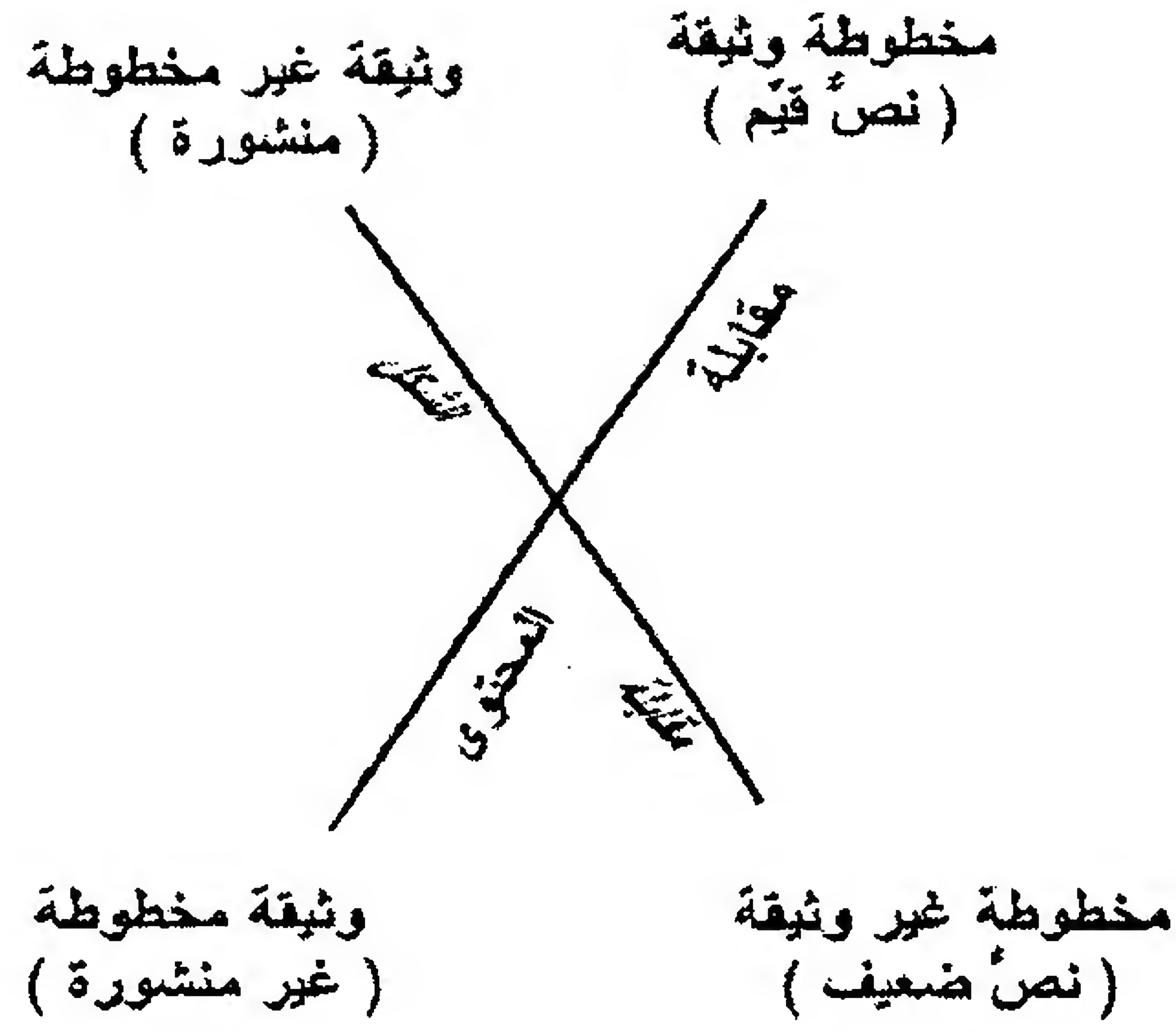
6 – وفي (المعجم الوسيط): المخطوط: المكتوب بالخط، لا المطبعة؛ والمخطوطة: النسخة المكتوبة باليد.

وهكذا نجد في المعجم الأخير (المعاصر) ظهور مقابلة المصطلح بالمطبوع، وهي الدلالة التي تستأثر اليوم جداً بهذه الكلمة. كما ينبغي التنويه في هذا المقام بأنّ (الطباعة الحجرية) تُعدُّ في واقع الأمر مرحلةً انتقالية وسطى بين الوراقة القديمة بمجمل سماتها المعروفة والطباعة الحديثة؛ إذْ أنّها قاسمٌ مشتركٌ جامعٌ بين الخطِّ اليدوي – والسحب الآلي المحدود وفق طريقة خاصة[1].

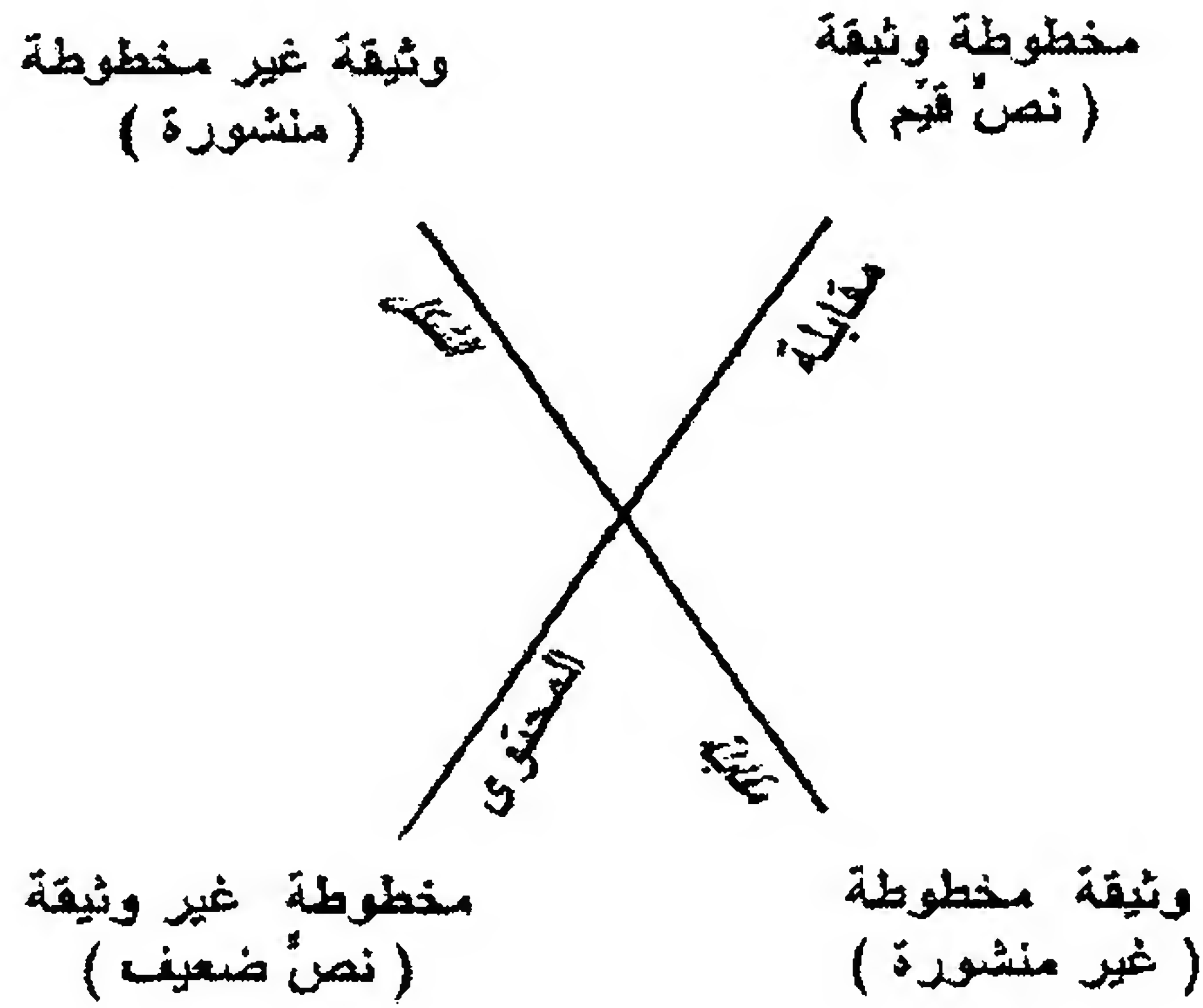
ولئن كانت دلالة المخطوط اليومَ تطوراً (وصفياً شكلياً) لهيئة النصِّ التي هو عليها قبل الطباعة، فإنّ دلالة (الوثيقة) في المقابل مستمدَّةٌ من مضمون النصِّ وقيمة محتواه، لا من هيئته وشكلِه، فمن نقول (لسان العرب) على سبيل المثال:(والوثيقة في الأمر: إحكامه والأخذ بالثقة، والجمع، الوثائق)... إلخ. ولهذه المقابلة بين (الشكل / والمضمون) في دلالتي(المخطوطة / والوثيقة) فإنّ العلاقة بين المصطلحين تبدو على عدة أضربٍ في حالتي الإثبات والنفي على هذا النحو:

(1) يعودُ الفضل في اختراع الطباعة الحجرية إلى " الكاتب والمخترع الألماني سونوفيلدر *Senefelder* الذي اكتشف في عام 1796 نوعاً خاصاً من الأحجار له قدرة طبيعية على امتصاص المواد الدهنية والماء على سطحه، وقد استعمل سونوفيلدر أحجاره للتوصل إلى هذا الأسلوب الطباعي الجديد الذي لم تعرفه البشرية من قبل.
وفي هذه الطريقة من الطبع يؤتى بالحجر الخاص ويرسم أو يكتب على سطحه الشيء المراد طبعه، وتكون الكتابة بأقلام دهنية وبصورة معكوسة على الحجر مباشرة. وكخطوة ثانية يبلل وجه الحجر بالماء ثم يغطى بالحبر. واعتماداً على التنافر الطبيعي الموجود فيما بين المواد الدهنية والماء، فإن الحبر لا يلتصق – على وجه الحجر – إلا على الكتابة الدهنية، وهكذا يكون الحجر جاهزاً لعملية الطباعة".
ومن الملاحظ أن الطباعة الحجرية في حاجة إلى عددٍ ملحوظٍ من العناصر المادية الاساسية، وإلى قدرٍ كافٍ من المهارة لإنجاز الطبع. وقد شاهدتُ نماذجَ من ألواح المطبعة الحجرية وآلياتها في (متحف الصحافة) باستانبول. وفي المكتبة العربية تُعدّ مجموعة المطبوعات الحجرية المغربية الشهيرة أبرز مثل تقريباً لهذه المؤسسة العلمية، وقد آثرها المجتمع الثقافي بالمغرب آنذاك (النصف الثاني من القرن التاسع عشر) لاحتفاظها بالسمات المميزة للخط والوراقة المغربية.
انظر: فوزي عبد الرزاق، المطبوعات الحجرية في المغرب (فهرس مع مقدمة تاريخية) الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1989.
وانظر لنفس الباحث أيضاً؛ مملكة الكتاب: تاريخ الطباعة في المغرب (1865 – 1912) تعريب خالد بن الصغير، الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1996، ص 90 – 99.

صور المقابلة بين المصطلحين



أ . (بين المصطلحين)



ب . (بين كل مصطلح في حالتي الإثبات والنفي)

أمَّا قيمةُ المخطوطِ (المعيارية) اليوم فراجعةٌ إلى ندرته بعد انتشار الطباعة، وكونه أصلَ المؤلّف أو مماً تفرَّع عنه من النسخ التي تظل محدودةً مهما تكاثرت قياساً إلى الأثر المطبوع، وذلك فضلاً عماً في الأثر المخطوط أحياناً من جماليات الوراقة وعمل اليدِ الصَّنّاعِ؛ وهو ما يفسِّر ما نستشعرُهُ اليومَ من نفاسة الأثر المخطوط وسحره الثقافي !

1.2- علم المخطوطات:

ولئن كان العمل على المخطوطات العربية من حيث الفهرسة والتحقيق والنشر، وما إليها من ضروب العناية بالنصوص، قد استغرق جهود العديد من العلماء والباحثين خلال القرنين الماضيين، فقد ازدادت في هذين العقدين الأخيرين عنايةُ بعض الباحثين بترسيخ مفهومٍ جديدٍ في العربية يتصل بتوجُّه فرعٍ، على وجه الخصوص، إلى تعميق البحث والدرس لكل الجوانب المادية المتعلقة بصناعة المخطوط فيما غدا يُعرفُ اليوم باسم (الكوديكولوجيا **Codicologie**) ويُعدُّ الدكتور أحمد شوقي بنبين (مدير الخزانة الحسنية بالرباط) أبرز العلماء المعنيين بهذا الأمر وترسيخ ضوابطه ومصطلحاته في المعجم العربي المعاصر[1].

1.3- المخطوط التكويني:

كما برزت في الآونة الأخيرة مسألةٌ أخرى جديدة تتصل بلونٍ طريفٍ آخر من قبيل تلك المخطوطات غير المكتملة: كالخطاطات الأولية، والتقميشات، والمسوَّدات، والنسخ المتفاوتة من عمل المؤلِّف قبل الفراغ من تحريره النهائي في (إبرازته) الأخيرة[2].. وقد انبثقت العنايةُ بهذا النوع من(المخطوطات)التي كانت مهملةً في الغالب من مذهبٍ جديدٍ في النقد الأدبي الحديث؛يُعرفُ(بالنقد التكويني)الذي يعنى باكتشاف(نشأة النصِّ) وتطورات صياغته في ذهن الكاتب (المؤلِّف) وعلى أوراقه المسوَّدة حتى ينضج شيئاً فشيئاً، ويخرج في صياغته الأخيرة المحرَّرة نصًّاً سويّاً[3]. وعلى ذلك يمكن القولُ بظهور هذا المفهوم الجديد للمخطوط الذي يصدقُ عليه

---

(1) انظر مجمل نشاطه في الأعمال التالية:
- د. أحمد شوقي بنبين، تاريخ خزائن الكتب بالمغرب، ترجمة الدكتور مصطفى طوبي، الرباط: الخزانة الحسنية، 2003، 311 ص. وهو في الأصل أطروحة دكتوراه (بالفرنسية).
- د. أحمد شوقي بنبين، دراسات في علم المخطوطات والبحث البيليوغرافي، ط 2 مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، 2004، 306 ص. صدرت طبعته الأولى عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1993 . ووصفه الدكتور أيمن فؤاد سيد، نفس المصدر، ص7، بأنّه (يُعدُّ أول كتابٍ عربيٍّ يتناول موضوع الكوديكولوجيا بفهم وتتبُّع).
- د. أحمد شوقي بنبين، و(تلميذه) د. مصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي) ط3 الرباط: الخزانة الحسنية، 2005، 451 ص.

2 - الإبرازة والإبرازات هي الصيغ - أو المرات المختلفة التي يظهر أو يبرز فيها الكتاب، وتقابلها اليوم الطبعة والطبعات اللاحقة في الكتاب المنشور.

انظر: برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، إعداد وتقديم الدكتور محمد حمدي البكري، القاهرة: مركز تحقيق التراث ونشره، 1969، ص 26.

(3) عن هذا المذهب الطريف في النقد الأدبي انظر: بيير ـ مارك دو بيازي " النقد التكويني " وهو الفصل الأول ضمن كتاب: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي (لمجموعةٍ من الكتّاب) ترجمة د. رضوان ظاظا، مراجعة د. المنصف الشنوفي، الكويت (سلسلة عالم المعرفة 1997) ص 15. 58.

اسم(المخطوط التكويني) [1]. ولمزيدٍ من الدقّةِ والضبطِ في التفريقِ بين الصنفين ينبغي أنْ يُوصفَ أو يُميَّــز ذلك المخطوط التقليدي المتداول (بالمخطوط التحقيقي) الذي كان – ولا يزال – الأساسَ المعتمد في (بناء النصِّ) عند تحقيقه ونشره، في حين تنصرفُ مهمة (المخطوط التكويني) إلى دراسة(نشأة النصِّ) في ذهن المؤلّف.

1 .4- نماذج في المكتبة الليبية من ضروبٍ ثلاث:

ومن المؤكّد أنّنا سنقفُ في هذا الفصل أدناه على نماذجَ متعددة من ألوان المخطوطات التي تمّت الإشارة إليها والتفريق بينها في هذا المدخل الموجز. وفي المكتبة الليبية اليوم مجموعاتٌ متعددةٌ من المخطوط التحقيقي، وعددٌ قليلٌ من المطبوعات الحجرية؛ وهي أدنى إلى المخطوطات في الندرة والشكل، ونماذجُ محدودةٌ أيضاً من المخطوط التكويني.

- فالنسخ المخطوطة المعروفة من كتاب(التذكار) للمؤرِّخ محمد بن خليل بــن غلبــون مثــالٌ للمخطوط التحقيقي الذي نجد له نظائر عديدة[2].
- وجميعُ أعدادِ (سالنامة ولاية طرابلس)- وهي حولية رسمية عن أحوال الولاية – باستثناء العدد الأخير منها (1312هــ/ 1894 م) طبعاتٌ حجريةٌ تشبه المخطوطات في الشكل والندرة[3].

---

(1) يمكن الاستئناس في هذا السياق بالمقطع التالي من تلك الدراسة القيمة:
(.... وفي تلك الفترة ذاتها بدأ العديد من المؤلفين المعاصرين يبدون اهتماماً جديداً بأدوات إبداعهم الخاصة، فأخذوا يحفظون مخطوطات عملهم، وعوضاً عن إتلافها بعد طباعة الكتاب، أوصوا بها للمكتبات العامة أو الخاصة التي تجمّع فيها شيئاً فشيئاً تراثٌ هائلٌ من الوثائق المكتوبة بخط المؤلّف. وقد بدأت هذه الحركة في ألمانيا منذ أواخر القرن الثامن عشر، ثم توطّدت في فرنسا في الثلاثينيات من القرن الماضي لتنتشر بعد ذلك في معظم الدول الأوربية التي أخذت، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى أيامنا هذه، تزوّد مكتباتها بأقسام للمخطوطات المعاصرة، وتجمع حشداً ضخماً من (المعطيات) المادية عن الإبداع الأدبي المعاصر، وهكذا ولد " المخطوط المعاصر " المحدَّد تاريخياً والذي هو اليوم موضوع دراسة التكوينية النصّية والنقد التكويني) المصدر نفسه، ص 17 ـ 18.

(2) عن تعدد (المخطوطات التحقيقية) لكتاب التذكار انظر: مختار الهادي بن يونس، علماء الغلابنة وآثارهم العلمية، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1991، ص105.

(3) السالنامة (*Salname*) لغوياً: اسم أو مصطلح استعمل للآثار المطبوعة المرتبة بناءً على استعراض مجموعةٍ من الحوادث [أو المعطيات] خلالَ سنةٍ، وقد دخل هذا المصطلح إلى اللغة التركية خلال عهد التنظيمات(القرن 19) والكلمة مركبة من الكلمتين الفارسيتين سال (*Sal*) التي تعني سنة، ونامة (*Name*) التي تعني رسالةً أو كتاباً، والمعنى المركّب: كتاب السنة أو (الحولية) في العربية – وقد صدر العدد الأول من سالنامة الدولة العثمانية سنة (1263هـ/ 1847م) ثم تعددت أنواع السالنامات وصدرت عن مختلف مؤسسات الدولة، كما أصدرت الولايات العثمانية (نحو أربعين ولاية) سالناماتها الخاصة.
وقد بَدَا لي أنْ أغتنم هذا السياق المناسب لأشيرَ – بإيجازٍ – إلى مجمل الأعداد الصادرة من سالنامة ولاية طرابلس الغرب(1286- 1312هـ) إذْ أنَّ جلّها (طبعاتٌ حجريةٌ) وهي: (ملحقةٌ بحقل المخطوطات في الشكل والندرة) كما أنّها تعد أبرز مثل للمطبوعات الحجرية في المكتبة الليبية:

العدد 1 (1286 هـ / 1869 م) 97 ص + خريطة.
العدد 2 (1287 هـ / 1870 م) 96 ص.
العدد 3 (1288 هـ / 1871 م) 106 ص.
العدد 4 (1289 هـ / 1872 م) 95 ص.
العدد 5 (كأنّه مفقود لم يُعثر عليه بعد، إذْ لم يدرج في العمل البيبليوغرافي المذكور أدناه) ؟
العدد 6 (1292 هـ/ 1875 م) 107 ص.
العدد 7 (1293 هـ/ 1876 م) 103 ص.
العدد 8 (1294 هـ/ 1877 م) 103 ص.
العدد 9 (1295 هـ/ 1878 م) 96 ص.

- ومخطوطة الجزء الثاني من (المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب)[1] للمؤرخ أحمد النائب الأنصاري، ومخطوطة كتابه الآخر (**نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان**)[2] كلاهما مَثَلٌ طريفٌ ظاهرٌ للمخطوط التكويني.

وخلاصة القول في هذا المقام الموجز أنَّ كلا النصَّين المذكورين (تقميشاتٌ أوليَّةٌ غير محرَّرة) خلافاً للجزءِ الأول من المنهل العذب الذي نشره المؤلّف باستانبول سنة (1317/ 1899). وقد تجمَّع لديَّ من الملاحظات والمراجعات حول هذه المسألة ما يشكّلُ دراسةً مستقلة؛ لا زالت قيد التحرير، وعلى ذلك يمكن القول أيضاً إنَّ الأستاذين الجليلين الطاهر أحمد الزاوي وعلى مصطفى المصراتي، قد كانا – من حيث لا يقصدان – سبَّاقين منذ بضعة عقودٍ إلى نشر (نصَّين تكوينيين) معروفين متداولين اليوم جداً في تاريخنا الثقافي! وقد أتاحا بذلك فرصةً طيبةً لمزيدٍ من البحث المعمَّق حول تطور النصِّ في ذهنية المؤلّف.

= العدد **10** (1301 هـ/ 1884) 191 ص + خريطة.
العدد **11** (1302 هـ/ 1885) 189 ص.
العدد **12** (1305 هـ/ 1888) 160 ص.

العدد **12** مكرر (13): (1312 هـ/ 1894) 216 ص.

الملاحظات:

- الأعداد (1-12) طبعة حجرية، والعدد الأخير بالحروف الحديثة.
- الأعداد (1-9) باللغة التركية؛ والأعداد (10-13) ثنائية اللغة بالتركية – العثمانية والعربية، كما أُضيفت إليها بعض المواد الجديدة؛ ولذلك تضاعفت أحجامها كما ترى.
- الأعداد (4، 10. 11. 12. 13) لا تشمل سنجق بنغازي (لفصله إدارياً ولايةً – أو متصرفيةً مستقلة).
- لم تصدر ولاية (أو متصرفية) بنغازي أية سالنامة خاصة.
- كانت سالنامة ولاية طرابلس أهمَّ المصادر الأساسية للمؤرخ أحمد النائب الأنصاري في الجزء الثاني من (المنهل العذب) وهو (مخطوط تكويني: غيرُ محرَّر) كما سيذكر أعلاه.

عن السالنامة انظر:

Hasan Duman , Osmanli Yilliklari: (Salnameler ve Nevsallar) Istanbul,1982.

لهذا الكتاب تقديم وغلاف بالعربية أيضاً، وعنوانه: الفهرس الموحَّد للتقاويم العثمانية: السالنامات والنوسالات الموجودة في مكتبات استانبول، وهو من منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، في 135 ص.

(1) نشره الأستاذ الطاهر أحمد الزاوي (القاهرة 1961).

(2) نشره الأستاذ علي مصطفى المصراتي (بيروت 1963).

ولئن كان (المخطوط العربي قد استعار شكل الكوديكس اللاتيني الذي كان عمودياً، وهو الشكل الذي لا زال الكتاب يحتفظُ به حتى اليوم) [1] فإنّ ذلك لا يعني عدم وجودِ استثناءاتٍ خارجةٍ عن هذا(الشكل الشائع). وفي المكتبة الليبية، على وجه الخصوص،تبدو مخطوطة (اليوميات الليبية) للمؤرِّخ حسن الفقيه متميزةً جداً ونسيجَ وَحْدِهَا من حيث الشكل، إذ أنَّها ليست كتاباً تقليدياً يضمُّهُ مُجَلَّدٌ بين دفتين. وهكذا نختتم هذا (المدخلَ) الموجزَ بأنّ المخطوطَ – وهو مظهرٌ شكليٌّ – يحتملُ وجوهاً عدَّةً؛ من أشكال (النصِّ الورقيِّ) المدوَّنِ، بعدَ الكَتْبِ وقبلَ النشر [2].

2- المصادر الوصفية:

(الرحلات الحجازية نموذجاً):

تُعدُّ الرحلات الحجازية المنطلقة من بلاد المغرب والأندلس من أهم المصادر الوصفية التي يمكن أن نستند إليها في متابعة المخطوطات (الكتب والمكتبات) عند غياب المصادر الأولية التوثيقية، كالوقفيات التأسيسية ونحوها، والأصول المخطوطة نفسها. وقد كانت رحلةُ الحجِّ، بلا مراء، القناةَ الوحدويةَ الأولى التي غالبت كلَّ ضروبِ التَفتُّتِ السياسي. والاختلاف المذهبي، والتباين الاجتماعي واللغوي في تاريخ الإسلام عبر العصور، وظلَّت تؤدِّي دورها الفعَّالَ بانتظامٍ سنويٍّ مُطَّرِدٍ، تجمع الشَّتات، وتعمِّق التواصل، وتغذِّي ثراءَ التنوع الثقافي بين مختلف البيئات. وقد أفرزت هذه الشعيرةُ الإسلامية، كغيرها من المؤسسات، تقاليدها الإجرائية التنظيمية، وأدبياتها الغزيرة المحرَّرة في الرحلات الحجازية – أو الحاجية – وغيرها من الوثائق الثقافية المماثلة.

---

(1) د. أحمد شوقي بنبين، دراسات في علم المخطوطات والبحث البيبليوغرافي، ص16.
والكوديكس: لاتينية تعني الكتاب، وقد رُكِّبتْ منها ومن اللفظة اليونانية (لوجوس) صيغة المصطلح المذكور أعلاه (كوديكولوجيا): علم المخطوط بالمفهوم الحديث إلخ. انظر: د. أحمد شوقي بنبين، و د. مصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص 302.

(2) بدأ المؤرخ حسن الفقيه حسن عمله التاريخي الكبير بداية متواضعة، فأخذ يدوِّن يومياته في أوراق ودفاتر متعددة تختلط فيها اليوميات التاريخية، بالقيود التجارية حتى اكتمل نضجه وأدرك وجوبَ إفرادِ اليوميات بموضعٍ مستقل، فأختار لها نوعاً من الورق السميك؛ يشبه ذلك الورق المستعمل في (سجلات) المحكمة الشرعية وغيرها من الجهات الرسمية، ولعله كان النوع الغالب على تلك الفترة، غير أنَّه (ورقٌ كبيرٌ مفردٌ لا تضُمه دفَّتان في مجلد) وتتراوح أحجامه ما بين: (30×40 – 40×40 – 45×60 سم تقريباً) وكان يطوي الورقة أربع طيَّاتٍ لتأخذ شكلِ الأعمدة فيكون مجموع الوجهين منها ثمانية، وأخذ في تدوين يومياته تحت أرقام (مشرقية) مسلسلة، كما أعطى المؤلِّف أيضاً أرقاماً أخرى (مغربية) مغايرة لترتيب تلك الأوراق فيما بينها بتسلسلٍ ظاهر، فضلاً عن (عبارة إلحاقٍ مؤرَّخةٍ) درج على إثباتها بأول كلِّ ورقةٍ ربطاً لها بسابقتها؛ فكأنَّه تجاوز (التعقيبة) المعتادة إلى هذا الإجراءِ (الرقمي) الجديد! وظلَّ نحو(نصفِ قرنٍ) يدوِّن أحداث بلادِهِ.
انظر: حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية: الجزء الأول (958 – 1248 هـ/ 1551- 1832م) تحقيق محمد الأسطى وعمار جحيدر، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1984 (ط2: 2001) ص 25-26.

ولئن كان لرحلة الحجِّ آثارُهَا أو أبعادُهَا الاجتماعية والاقتصادية الظاهرة على المجتمعات الإسلامية لاتصالها بمختلف الشرائح الاجتماعية التي تضمُّها عادة جموع الحجيج، فإنّه من المؤكّد أيضاً أنّ البعد الثقافي لرحلة الحج يأتي في المقام الأول من سلّم اعتباراتها التاريخية.

وواقع الأمر أنّ المدى الجغرافي لأدبيات الحج لم يكن قاصراً على زيارة الحرمين الشريفين وما يتخلّلها من أداء المناسك، ولكنّه يمتدُّ في الآفاق إلى أقاصي البلاد في كل اتجاه: (وأذّن في الناس بالحجِّ يأتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فج عميق) الآية 27 من سورة الحج. وقد كان يخترق ليبيا طريقان – أو فَجَّان عميقان – للحج: شمالي ماراً بالساحل، وجنوبي ماراً بفزان، ومن خلالهما نحتت رحلاتُ الحجيجِ آثارَهَا في الوجدان الشعبي، فظلت طريقُ الحجِّ تعرف باسم (الحاجية) حتى اليوم. وهو العنوان الرئيسي اللماح الذي اختاره الدكتور علي فهمي خشيم لكتابه المجموع (الحاجية: من ثلاث رحلات في البلاد الليبية) طرابلس 1974. كما ينبغي التنويه في هذا السياق بأنّ مدينة طرابلس، كانت نقطةً وسطى ومحطةً رئيسيةً في طريق الحجيج بين المغرب الأقصى ومصر، تستريحُ بها القوافلُ حيناً وتُشَدُّ منها الرحال من جديد لمواصلة المسير، ومن الطريف أيضاً أنها كانت ملتقى الذاهبين إلى الحج بالعائدين منه (المشرِّقين والمُغرِّبين) فتتعددُ اللقاءاتُ بين الطرفين وتشهد المدينةُ قدراً ملحوظاً من (أدب الرسائل والمكاتبات). وقد تعددت الرحلات الحجازية (المغاربية) المدوَّنة التي مرَّت بليبيا عبر القرون[1]، وبسط الرحالة الجزائري الحسين بن محمد الورثيلاني في رحلته (نزهة الأنظار) أسباب تدوينهم لرحلاتهم ودواعي تحريرها بين الفينة والأخرى كدليل متجدِّد للحاجِ تُعرَفُ به مراحل الطريق وتؤمن معه غوائل السفر[2]. وبرز علماء المغرب الأقصى في هذا اللون من التأليف نظراً لتقاصيهم عن الأماكن المقدسة هناك، وهو ما يفسِّر كثرةَ ما ألّفوه من الرحلات الحجازية بالقياس إلى ما يتقدمهم من الأقطار، إذْ تقلُّ تلك الرحلاتُ وتندرُ في الجزائر وتونس وليبيا ومصر، فكأنَّ فيما أبدعه المغاربة شيئاً من (إلهام المكان) !

2. 1- رحلة التِّجَّاني (مطلع القرن 8هـ/ 14م):

أنجزها الرحَّالة التونسيُّ الشهير أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد التِّجَّاني بين تونس وطرابلس في مطلع القرن الثامن الهجري (706- 708هـ) – الرابع عشر الميلادي. وقُدِّرَ له أن يطيلَ المكثَ بطرابلس (عاماً كاملاً ونصفَ عامٍ وأياماً) وأن يزورَ الكثيَر من مؤسسات البلاد القائمة آنذاك من المساجد والمدارس والزوايا ونحوها، وأن يتصل بعدد من علمائها ويأخذ عن بعضهم؛ ولذلك انطوت هذه الرحلةُ على عدَّة نصوصٍ وإفادات قيِّمةٍ عن تاريخنا الثقافي، فضلاً عن

(1) انظر على سبيل المثال: عمار جحيدر، مصادر دراسة الحياة الفكرية في ليبيا في العهد القرمانلي (1123 – 1251 هـ/ 1711 – 1835) طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 2003، ص 99 - 109.

(2) الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (المشهورة بالرحلة الورثيلانية) تحقيق محمد بن أبي شنب، ط2 بيروت: دار الكتاب العربي، 1974، (مصوَّرة عن النشرة الأولى، الجزائر 1908) هي 141 – 143: (.. لأنَّ الحكم بالاستطاعة فرع التصوُّر للطريق فاحتيج إلى التعدد؛ فإنْ قلت:: كتابٌ واحدٌ يكفي، قلتُ: لأنَّ الزمان والمكان يتغير فاحتيج إلى التعدد) . ص 143. ومن الطريف أنَّ هذه الإفادة نفسها جاءت في القسم الطرابلسي من الرحلة (الذهاب).

الأوضاع العامة، وهو ما جعل منها مصدراً معتمداً متداولاً لدى المؤرخين القدامى والدارسين المعاصرين.

ولئن كانت رحلة التّجّاني باعتبار منطلقها رحلةً (حاجيةً / حجازيةً) كغيرها من الرحلات المتعددة التي انطلقت من مختلف بلاد المغرب والأندلس؛ فقد قدِّر لها أن تغدوَ رحلةً خاصَّةً مقصورةً - بعد تونس — على القسم الغربي (حتى غانيمة قرب الخمس اليوم) من الأراضي الليبية؛ إذ اضطُر مؤلّف الرحَّالة إلى العودة ومفارقة الركب بسبب مرضه الذي أشتدَّ به في تلك الجهات. ولو قُدِّر له أن يمدَّ خطاه شرقاً حتى برقة لجاءت رحلتُهُ أكثر ثراءً في مادها التاريخية القيِّمة، مع ما جُبِلَتْ عليه نفسُهُ من شَغَف بالمعرفة وحسن الاستفادة، وما غَلَبَ عَلى قَلَمه من طلاقة التحرير وأصالة الإفادَة. وقد كانت رحلتُهُ فوقَ ذلك رسميةً (في موكب الأمير) وهو ما أتاح لها قَدراً ملحوظاً من العناية الفائقة وكرم الوفادة، وآيةُ ذلك أنَّ والي البلد نفسه قد تخلّى عن موضع سكناه، ورفَاهَة مبناه وهو قصبة البلد، ليترِلَ بها هذا الموكبُ الرَسْمي الوَافد معزَّزاً منعّماً، وأنَّ الدرُوس التي تَلَقاهَا الرّحَالة عَن شَيْخه الطَرابلسي أبي فارس عبدالعزيز بن عبيد، قد عُقدت مجالسها بموضع سكناهم مراعاةً لطَلَب الضَيف الأمير أن تكون بمحضر منه[1] !.. وعلى تعدد ما كُتبَ عن هذه الرحلة القيِّمة، فإنَّها لا تزال تغري بالمزيد. على أنَّه لابدَّ من الاستئناس أولاً ببعض الإفادات والإشارات الدّالة التي ضمنها العلامة ح. ح. عبدالوهاب مقدمته المعروفة لرحلة التجاني[2]. ومن ذلك قوله في مستهل حديثه عن مكتبة الرحالة المؤلّف: (وتعجبني من صاحبنا ظاهرةٌ أخرى يتّضح منها شغفه القوي بالثقافة ووسائلها، وهو اهتمامه الزائد بالكتب في كل صنف وفي كل فن، يتبيّن ذلك جلياً

---

1) كانت رحلة التجَّاني صحبة أبي يحيى زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص اللحياني الهنتاتي، (ت 727 هـ/ 1326 م) من ملوك الدولة الحفصية في إفريقية. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ط4 بيروت: دار العلم للملايين، 1979، ج3 ص 45 – 46.

2) صدرت للرحلة أربعُ طبعات حتى اليوم:

الطبعة الأولى: وهي بتحقيق المستشرق (وليم مارسي) اعتماداً على ست نسخ مخطوطة من الرحلة، وتم طبعها في المطبعة الرسمية التونسية القديمة سنة (1345 هـ/ 1927 م) من غير أن تصدَّر بتوطئةٍ مناسبة ولا فهارس. وقد ظلَّت النسخ المطبوعة (لبعض الأسباب) قابعة في إدارة المعارف عرضةً للرطوبة والإهمال، ولم يفلت منها سوى نسخٍ قليلة.

الطبعة الثانية: صدرت في مطلع استقلال تونس بتوجيه من رئيس الجمهورية، وصُدِّرت بتقديم العلاّمة ح.ح. عبد الوهاب، مذيَّلة ببضعة فهارس مفيدة، تونس: وزارة التربية (1378 هـ/ 1958 م)..

الطبعة الثالثة: مصورة عن الطبعة الثانية، الدار العربية للكتاب، 1981، 502 ص.

الطبعة الرابعة: بتصفيفٍ جديد وحرف مغاير، الدار العربية للكتاب، 2005، 375 ص، وتنبغي الإشارة هنا إلى كثرة ما حرجتْ به من النواقص والتغييرات في (فهرس الكتب) الذي عدت إليه على وجه الخصوص لمقارنته بفهرس الطبعة السابقة ؟ ! .

ويقع القسم الطرابلسي من الرحلة في نحو 78 صفحة، (186–263) مع ما تخللها أيضاً من المكاتبات والقصائد بين المؤلف الرحالة وبعض ذويه وأصدقائه. وعن المؤلِّف الرحَّالة انظر أيضاً: حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر: في المصنَّفات والمؤلفين التونسيين، مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، تونس: وزارة الثقافة – الدار العربية للكتاب، 2001، ج4، ص 132 – 137.

من مطالعة ما وصل إلينا من تآليفه، فانظر مثلاً إلى وصفه المخطوطات النادرة [كذا] التي يلاقيها في سبيل رحلته في طرابلس وغيرها)[1]. وقوله في ختامِ تلك الفقرة: (.... ناهيك ما كان عند التجانيين من المخطوطات على مختلف ميولهم وأذواقهم، وَمَنْ يطالع مصنَّفاً واحداً مما وضع التجاني ويحصي ما يذكره من أسماء الكتب التي ينقل عنها أو يحيلُ عليها يجد المئات من المؤلفات ذات القيمة الثمينة، وكثيرٌ منها لم يصل إلينا)[2] وإشارته اللمّاحة في خاتمة التعريف بمؤلّفاته: (والحقُّ أنَّ الرحلة من غرر المصنَّفات التونسية) [3]. وقد أتاح له طول مكثه بطرابلس وأخذه بها ومدارسته لبعض علمائها أن ينجز بها أثرين من أعماله، وهما: (تقييد على صحيح مسلم، وتقييد على المسند الصحيح للبخاري، ويذكر العلاّمة ح.ح عبدالوهاب أنّ كلا التقييدين المذكورين مفقودٌ ولا نعلم عنه شيئاً) [4]. وهكذا يتجلّى أنّ هذه الرحلة القيّمة قد غَدَتْ مصدراً وصفياً لبعض آثار المؤلّف نفسه أيضاً !

وقد بَدَا لي أن أتحاشى مزيداً من السرد في الحديث عن الرحلة وما تضمُّه من مادة تاريخية عن الحياة الثقافية بطرابلس، والتنويه بها (مصدراً وصفياً ونموذجاً) للمتابعة والاستقصاء عنِ الكتب والمكتبات (المخطوطات) وهو موضوع هذه المساهمة.

وآثرت – حرصاً على مزيد من الدقّــة والضبط – إدراجَ ما بها من الإفادات والبيانات في هذا الجدول التحليلي الذي أرجو أن يحقّــقَ ما صبوتُ إليه من تكثيف اللوحة واستنطاق النصِّ. آملاً أن تطّردَ هذه المحاولة مع بقية المصادر الوصفية المماثلة من كتب التاريخ والسير والتراجم والمناقب والمعاجم والمشيخات والبرامج وما إليها، في سياق موحّد مطوّل جامعٍ لتلك المصادر جميعاً، وعندما يُنجَزُ ذلك – بإذن الله تعالى – ستغدو اللوحةُ التوثيقيّة أكثرَ ثراءً وأوسع أفقاً، والله المستعان على تحقيق هذه الغاية المنشودة بتظافر جهودِ عددٍ من الباحثين المخلصين لتاريخنا الثقافي.

(1) رحلة التجاني، ط4، ص 20
(2) المصدر نفسه، ص 20.
(3) المصدر نفسه، ص 22.
(4) المصدر نفسه، ص 29–30. على أنّه ينبغي التنبيه هنا إلى تلك الملاحظة التي استدرك بها الأستاذان محمد العروسي المطوي وبشير البكوش على هذه الإفادة (انظر الفقرة 23 من الجدول اللاحق أدناه).

1.1.2 - الكتب [المخطوطات] وما إليها مرتبة على حروف المعجم

في القسم الطرابلسي

من رحلة التجّاني

(مطلع القرن 8 هـ/ 14م)

م	العنوان / الإفادة	المؤلف	تاريخ الوفاة	مصدر الترجمة	الموضوع	الموضع	نصوص / ملاحظات
1	إجازة. (وثيقة محلية-1).	عبدالعزيز بن عبيد الطرابلسي لتلميذه التجاني (المؤلف الرحالة).	(ق7هـ)	أعلام ليبيا (230-231)	التعليم	219	(والقائم برسم العلم في هذه البلدة في وقتنا شيخنا الإمام الحافظ أبو فارس عبدالعزيز بن عبدالعظيم بن عبدالسلام بن عبدالعزيز ابن عبدالله بن عبدالعزيز بن عبيد...إلخ وكتب لي شيخنا أبو فارس بخطه إجازةً سمّى فيها من شيوخه..) واستخلص منها ما يشكل ترجمة لشيخه المذكور. انظر الفقرة رقم (24).
2	الإرشاد: في أصول الدين (مخطوط مشرقي-1).	أبو المعالي: عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني الملقب بإمام الحرمين.	478هـ 1085م	الأعلام (4/ 160)	أصول الدين	220	قراءة عبدالعزيز بن عبيد على شيخه عبدالحميد بن أبي الدنيا.

3	الإكمال على صحيح مسلم. (مخطوط مغربي -1)	القاضي عياض: عياض بن موسى ابن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي.	544هـ 1149م	الأعلام (99/5)	الحديث	219	ورد ذكره عرضاً خلال الحديث عن قراءة صحيح مسلم. انظر الفقرة رقم (25)
4	أمثلة الغريب [غريب اللغة]. (مخطوط مشرقي- 2)	علي بن الحسن ابن الحسين الهنائي المعروف بكُراع [النمل]	309هـ 921م	الأعلام (272/4)	اللغة	225	(وكذلك أُخبرت أيضاً أنّه سمع أنّ بطرابلس كتاب أمثلة الغريب لأبي الحسن علي بن الحسن بن الحسين الهنائي المعروف بكراع [النمل]، بخط الفقيه أبي إسحاق [ابن الأجدابي] في ملك بعض بني النقّاد وهم من أعيان طرابلس، فوجّه إليه فيها فوجّه النقّاد بها إليه، وقد وقفت على [ما] كتب النقّاد بوصول الكتاب المذكور والشكر له على بعثه). انظر أيضاً الفقرة رقم (27).
5	البرهان : البرهان في أصول الفقه. (مخطوط مشرقي- 3).	أبو المعالي : عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين.	478هـ 1085م	الأعلام (4-160)	أصول الفقه	220	قراءة عبدالعزيز بن عبيد على شيخه عبدالحميد بن أبي الدنيا.

6	تآليف جليلة وأسئلة مفيدة في الفقه وغيره. (مخطوطات محلية-2)	أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد ابن عبدالله الأجدابي اللواتي الطرابلسي.	من رجال القرن الخامس الهجري ؟	الأعلام (32/1)	الفقه	224	(وكان الفقيه أبو إسحاق هذا من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاماً وفقهاً ونحواً ولغة وعروضاً ونظماً ونثراً، وله تآليف...). انظر مناقشة تاريخ وفاته، وعرضاً لما بقيَ من مؤلفاته في : الدكتور أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي، منشورات الجامعة الليبية - كلية التربية، 1971، ص 257-276.
7	تآليف في الحساب والأزمنة وغير ذلك. (مخطوطات محلية -3)	أبو الحسن علي ابن محمد بن المنمر الطرابلسي.	432هـ 1040م	الأعلام (327/4)	الحساب الفلك	226	(وكان مولد الفقيه أبي الحسن بطرابلس قديماً سنة 348هـ. وعلى مسافة يسيرة منها [دار ابن الأجدابي] من جهة غربيها دار الشيخ الفقيه أبي الحسن علي بن محمد بن المنمر الطرابلسي الفرضي المشتهر فضله وعلمه ورئاسته... وتوفي بغانيمة سنة 432 هـ) وقدَّم من الإفادات عنه ما يشكل ترجمة. وقد أثبت المؤرخ الجليل خير الدين الزركلي اسمه بهذه الصيغة (علي بن محمد بن المنتصر الطرابلسي) ترجيحاً لبعض النسخ فيما يبدو، وخلافاً للصيغة الشائعة جداً في لقبه (ابن المنمر)، ولعل اختيار الزركلي أرجح منها حقاً، على أنَّ المسألة في حاجة إلى مزيد من التحقيق لإثبات أحد الوجهين بشكل قاطع ؟

8	تأليف اختصر فيه كتاب أنساب قريش، لأبي عبدالله الزبير بن أبي بكر بن عبدالله ابن مصعب بن ثابت بن عبدالله ابن الزبير بن العوام. (مخطوط محلي –4).	ابن الأجدابي	(ق5هـ)	الأعلام (32/1)	الأنساب	225	(وملكت بخطه أيضاً تأليفه الذي اختصر فيه... وحسبك بهذا التأليف الجليل علماً وفائدة، وهو كما كان الشيخ أبو الحسن علي بن مغيث – رحمه الله – يقول : هو كتاب عجب لا كتاب نسب، ورأيت الفقيه أبا إسحاق قد أدخل من حفظه في نفس هذا المختصر زوائد تشتمل على فوائد نبَّه عليها). (نسخة المؤلف). انظر الفقرة رقم (36)
9	تأليف مختصر في الأنواء على مذهب العرب. (مخطوط محلي –5)	ابن الأجدابي	(ق5هـ)	الأعلام (32/1)	الفلك	224	نشره الدكتور عزة حسن بعنوان: الأزمنة والأنواء (دمشق 1964). وأنظر : د. أحمد مختار عمر،النشاط الثقافي في ليبيا، ص 273 –276.
10	التفريع. (في الفقه المالكي). (مخطوط مشرقي –4).	ابن الجلاَّب : عبيدالله بن الحسين بن الحسن أبو القاسم (البصري / المالكي).	378هـ 988م	الأعلام (193/4)	الفقه	219	قراءة عبدالعزيز بن عبيد على شيخه أبي موسى عمران بن موسى بن معمر المتوفي بتونس سنة 660هـ.
11	التهذيب. (في اختصار المدونة، في الفقه المالكي). (مخطوط مغربي	(؟) خلف بن أبي القاسم محمد، الأزدي،	372هـ 983م	الأعلام (311/2)	الفقه	219	قراءة عبدالعزيز بن عبيد على شيخه أبي موسى عمران بن موسى بن معمر، من أول كتاب "التهذيب" إلى كتاب الخيار منه.

	2-)	أبو سعيد بن البراذعي (القيرواني، المالكي).					وسافر [الشيخ] إلى تونس فاستمرت قراءته للكتاب المذكور مع سائر طلبة أبي موسى، على الفقيه أبي محمد عبدالوهاب بن محمد الهتروني، وكان الهتروني – حين كان القاضي أبو موسى حاضراً – معيداً لدرسه بعد قيامه... وتوفي الهتروني هذا عام 663هـ. وسمع عبدالعزيز بن عبيد أيضاً عن شيخه أبي العباس أحمد بن عيسى الغماري[قاضي طرابلس] ما كان يُتناظر فيه بين يديه من التهذيب).
12	تواليف في العربية (مخطوطات مغربية- 3)	أبو الجيش محمد ابن إبراهيم الأندلسي البسطي.	(ق7هـ)	(؟)	اللغة	220	قراءة عبدالعزيز بن عبيد على مؤلفها الذي (اجتاز على طرابلس من الغرب قاصداً إلى المشرق فطالت إقامته بطرابلس فقرأ عليه بعض تواليفه في العربية، وسمع عليه شيئاً من نظمه، وروى عنه "المذهَّبة" لابن المناصف حدَّثه بها عن مؤلفها)
13	تواليف مفيدة في الفقه والفرائض والشروط. (مخطوطات محلية-6).	أبو الحسن علي ابن أحمد بن الخصيب (الخطيب؟.	370هـ	أعلام ليبيا (256-257)	الفقه	216	(ومنها المسجد المعروف بمسجد المجاز، وكان معروفاً بسكنى أبي الحسن... أقام ساكناً به فيما يقال أربعين سنة، وكان فقيهاً صالحاً عالماً زاهداً وله...).

14	جزء فيه المنامات (الرؤى). (مخطوط محلي -7-).	أبو محمد عبدالوهاب القيسي	(ق7هـ)	أعلام ليبيا (250-251)	الأحلام	222	(وزرت بخارج المدينة بين شرق وشمال قبر الشيخ الصالح أبي محمد عبدالوهاب القيسي – رحمه الله – وهذا الرجل يعظمه أهل طرابلس كثيراً،حكى لي جماعة منهم: أنّه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه نحواً من أربعمائة... ثم أوقفني بعد ذلك بعض أهل البلد على جزء فيه هذه المنامات، ذكر أنّه نقلها من خطه...) ويذكر الأستاذ الشيخ الطاهر أحمد الزاوي – رحمه الله تعالى – في ترجمته أنّه (توفي في أواخر المائة الثانية من الهجرة). وهو بعيدٌ عن الصواب؛ فقد جاء في رحلة التجاني نفسها – وهي مصدر الترجمة – قوله في آخرها: (ولأبي محمد عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – الآن [كذا] وَلَدٌ يُدعى أبا الحسن، وهو رجلٌ فاضلٌ زاهدٌ، حضرت درسه في الوعظ..) ومن هذا يبدو جلياً أنّ الأب (صاحب الترجمة) من رجال القرن السابع.

15	جلاء الالتباس في الرد على نفاة القياس. (مخطوط محلي -8-).	أبو محمد عبدالحميد بن أبي البركات بن عمران بن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي.	684هـ 1285م	الأعلام (285/3)	أصول الفقه	231	(من فضلاء طرابلس المشهورين بالعلم والمشاركة في الأدب المتقدمين عن عصرنا هذا قليلاً... ولد بطرابلس سنة 606هـ، وتوفي بتونس سنة 684هـ) وترجم له بإيجاز مع إثبات بعض الأبيات من شعره. وقد أُثبت العنوان في كتاب الأعلام للزركلي بهذه الصيغة (حل الالتباس في الردِّ على بغاة القياس) ؟ وهو غير قائم بالمعنى المراد كما هو جليٌّ ظاهر، فالكتاب ردٌّ على (نفاة القياس) من الموحدين الذين تقلّص وجودهم. وأدرج العلاّمة ح.ح.عبد الوهاب (ابن أبي الدنيا) في كتاب العمر (292/2 - 296) مشيراً إلى (مولده.. بمدينة طرابلس التابعة وقتئذٍ إلى المملكة الحفصية). وانظر أيضاً الترجمة الدراسية المستفيضة القيِّمة التي قدَّمها عنه الأخ الفاضل العالم الأديب الدكتور محمد مسعود جبران بعنوان "دور

							طرابلس الغرب في تأصيل الحركة الفكرية على عهد الحفصيين: عبدالحميد بن أبي الدنيا – أنموذجاً • ضمن: أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي – تنقلات العلماء والكتب، مراجعة وتقديم : د. عبدالحميد عبدالله الهرامة، طرابلس : كلية الدعوة الإسلامية، 1998، ص49-80. وقد كان فيها حصيفاً بتقسيم حياة ابن أبي الدنيا إلى مرحلتين: المرحلة الطرابلسية – وهي أطول زمناً – والمرحلة التونسية.
16	خط ابن الأجدابي (مخطوطات).	—	(ق 5هـ)	الأعلام (32/1)	الخط	224	(وأكثر هذه التآليف ملكتها بخطِّه وكان – رحمه الله – من أحسن الناس خطاً). انظر أيضاً الفقرات : (4، 8، 27).
17	خط ابن الأجدابي (لوحات حائطية)	—	(ق 5 هـ)	الأعلام (32/1)	الخط	225	(وأخبرني بعض الطلبة أنّ خطَّ الفقيه أبي إسحاق – ابن الأجدابي – باقٍ إلى الآن [مطلع القرن 8 هـ] في بعض جُدُر داره من طرابلس وهي في وسط البلد بمقربة من الجامع الأعظم).

18	خط أحمد بن عبدالسلام الأموي التاجوري	—	708هـ	أعلام ليبيا (82-83)	الخط	255	(وإلى تاجورة هذه يُنسب صاحبنا الفقيه الحافظ أبو العباس أحمد بن عبدالسلام الأموي التاجوري، لزم سكنى طرابلس وهو أحد العدول المصدَّرين بها، عارفٌ بالتوثيق وعقد الشروط، حافظ للآداب والتواريخ، حسن الخط جداً)إلخ.
19	خط القاضي أبي موسى بن معمر.	—	660 هـ	أعلام ليبيا (73-74)	الخط	218	(وأخبرني صاحبنا الفقيه أبو العباس أحمد بن عبدالسلام الأموي قال : نقلت من خط القاضي أبي موسى بن معمر أن شكراً المعروف بالصقلي..) إلى آخر الإفادة التاريخية الموجزة. وقد جعل الشيخ الطاهر أحمد الزاوي – رحمه الله – تاريخ وفاته سنة (760 هـ) وهو سهوٌ ظاهر؛ إذ أنّه يأتي بعد رحلة التجّاني بعدة عقود؟!.
20	خط علي بن موسى بن سعيد في بعض تقاييده	—	685 هـ 1286م	الأعلام (5-26)	الخط	216	من مصادر المؤلف الرحالة الواردة في السياق، وقد نقل عنه إفادة تاريخية عن المدرسة المستنصرية.

21	خطة النظر في خزانة الكتب بتونس: (أمين خزانة سلطانية)	–	682 هـ	أعلام ليبيا (66-70)	المكتبات	233	(ومنهم الفقيه أبو علي الحسن بن موسى بن معمر الهوّاري الطرابلسي أحد أرباب الرتب، الجامعين بين رئاسة الفقه ورئاسة الأدب، ولد بطرابلس سنة تسع وستمائة...وترقى في دولة الخليفة المستنصر – رحمه الله – فولي خطة القضاء في كثيرٍ من بلاد إفريقية منها باجة وبجاية وغيرهما، وولي خطة العلامة الكبرى وخطة الأرفاع [؟] والنظر في خزانة الكتب. وتغيَّر الخليفة عليه فنفاه إلى المهدية، فكان خروجه من الحضرة يوم السبت الثامن عشر لذي القعدة الحرام سنة سبع وستين[667] ثم وقع الرضى عنه بعد عام كامل، وتوجَّه الأمر بتسريحه في ذي الحجة سنة ثمان وستين فوصل إلى تونس في شهر ربيع الأول من سنة تسع وستين. ولما مات الخليفة وولي ولده الواثق استدعي في يوم السبت التاسع عشر لذي الحجة من سنة خمس وسبعين [675] فأمره بالنظر في خزانة الكتب، وسئل عنها حين كانت لنظره أولاً فذكر أنها كانت ثلاثين ألف سفر، وأنّه أُخِّرَ عنها ثم أُعيد إليها فوجدها عشرين ألف سفر،

						وأنّه الآن اختبرها فوجدها تقصر [أو تنقص] عن ستة آلاف سفر، فسئل عن موجب ذلك فقال: المطر وأيدي البشر ! واستمر على النظر فيها إلى أن تغيَّر عليه رئيس الدولة أبو الحسن بن أبي مروان في بعض القضايا فأمر بتثقيفه فثقف بدار الأشراف مدة ثم أخرج، وكانت وفاته بتونس في اليوم الثاني لجمادى الأولى من سنة اثنين وثمانين وستمائة). إلى آخر الترجمة التي ضمَّنها قدراً من شعره، وهذه إفادةٌ موثقةٌ مؤرَّخة قيِّمةٌ عن (أمين خزانة سلطانية) من طرابلس في القرن السابع الهجري. وقد وهم الشيخ الزاوي – رحمه الله تعالى – فجعل له ترجمتين أولاهما باسم (أبو علي بن موسى الطرابلسي) وهي موجزةٌ ووفاته سنة (683هـ) والثانية باسم (أبو علي الحسن بن موسى بن عمران الهواري الطرابلسي) وهي طويلة ووفاته سنة (782 هـ) في القرن الثامن الهجري بعد رحلة التجَّاني بعقود عديدة؟! وسقط من الأولى إسم (الحسن) وهي منقولة حرفياً عن: محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 190.

22	رسالة الحول. (مخطوط محلي -9)	ابن الأجدابي	(ق5 هـ)	الأعلام (32/1)	الأدب	224	(تعرب عن أدب كثير وحفظ غزير، وكان الفقيه أبو إسحاق أحول، وسببُ تأليفه لها أنّه حضر يوما بطرابلس عند القاضي بها أبي محمد عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن هانش الطرابلسي، فحكم أبو محمد بحكم أخطأ فيه، فردَّ عليه الفقيه أبو إسحاق فقال له: اسكت يا أحول فما استدعيت ولا استفتيت. فألّف تلك الرسالة). انظر الفقرة رقم(6)
23	صحيح البخاري (المسند الصحيح) (مخطوط مشرقي -5)	محمد بن إسماعيل البخاري.	256 هـ 870م	الأعلام (34/6)	الحديث	219	قراءة المؤلّف الرحالة على شيخه عبدالعزيز بن عبيد: (ثم بعد ذلك في الشهر نفسه ابتدأت قراءة دولة أخرى من كتاب المسند الصحيح للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري – رحمه الله – وامتد في قراءتها مدى، قرئَ فيه منهما ما هو نور وهدى، إلى أن دعا بنا داعي البين فأعجلت النقلة عن تمام الكتابين). يريد الصحيحين البخاري ومسلم. وقد استنتج العلامة ح.ح.عبد الوهاب من هذا النصّ إنجاز المؤلّف الرحالة (تقييد على المسند الصحيح للبخاري) مشيراً إلى أنه

							مفقودٌ. على أنّه ينبغي التنبيه هنا إلى تلك الملاحظة اللاحقة التي استدرك بها الأستاذان محمد العروسي المطوي وبشير البكوش على هذه الإفادة: (... وقد قرأنا الفقرة المتعلقة بدراسة "صحيح البخاري" أثناء إقامته بطرابلس، وهي مصدر المؤلِّف، فلم نستفد منها ما يشير إلى تقييدٍ في الموضوع، لهذا حذفناه من قائمة مؤلّفات التجّاني). كتاب العمر: (4/ 136).
24	صحيح البخاري (2) (مخطوط مشرقي -6)	–	–	–	الحديث	220	قراءة عبدالعزيز بن عبيد على شيخه أبي محمد عبدالله بن إبراهيم بن أبي مسلم القابسي الذي (وصل إلى طرابلس قاضياً، وله رحلة إلى العراق ودخل فيها بغداد، قرأ عليه بلفظه أكثر من نصف البخاري، وهنا انتهى مَنْ سمَّى شيخنا أبوفارس من شيوخه). إشارة إلى نهاية الإجازة، وانظر الفقرة رقم(1).
25	صحيح مسلم. (مخطوط مشرقي-7).	مسلم بن الحجاج القشيري	261 هـ 875 م	الأعلام (221/7)	الحديث	219	قراءة المؤلف الرحالة على شيخه عبدالعزيز بن عبيد : (فابتدأت القراءة بلفظي لصحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري – رحمه الله تعالى – في غرة شهر شعبان من العام المذكور، قراءة تفقُّه فيه، وتدقيقٍ للبحث في ألفاظه

						الكريمة ومعانيه، وقد كنت ابتدأت تقييد ما أنتجته فيه بيننا المناظرة وأفادته المحاضرة، مما جاء كالإكمال لكتاب " الإكمال "). يشير الرحالة هنا إلى هذا التقييد الذي حرَّره بطرابلس على صحيح مسلم، ويفيد العلاّمة ح.ح.عبد الوهاب أنّه مفقود.
26	العقيدة الدينية وشرحها. (مخطوط محلي – 10)	عبدالحميد بن أبي الدنيا	684 هـ 1285م	الأعلام (285/3)	العقيدة (علم الكلام)	231	انظر الفقرة رقم (15).
27	الفصيح (مخطوط مشرقي– 8)	أحمد بن يحيى المعروف بثعلب الكوفي النحوي.	291 هـ 904م	الأعلام (267/1)	اللغة	225	(وأخبرت أنّ الأمير أبا زكريا –رحمه الله- كان شديد البحث على خطه [ابن الأجدابي] وأنّه سمع أنّ كتاب الفصيح بيع بخطه بطرابلس، فبرد بريدا إليها في البحث عنه، فبحث عنه ووجّه به إليه). وهذه إفادة صريحة بانتقال هذه النسخة المخطوطة بخط ابن الأجدابي من طرابلس إلى تونس، وهي مثال لحركة المخطوطات بين القطرين. انظر أيضاً الفقرة رقم (4).
28	الكافي في الفرائض (مخطوط محلي -11)	علي بن محمد ابن المنمر الطرابلسي	432 هـ 1040م	الأعلام (327/4)	الفقه	220 226	قراءة عبدالعزيز بن عبيد على شيخه أبي محمد عبدالله بن عبدالكريم الغماري الذي (اجتاز على طرابلس من المغرب قاصداً إلى المشرق فطالت إقامته بطرابلس فقرأ عليه كتابه الذي ألّفه في الفرائض، وجلّ كتاب الكافي لابن المنمر في الفرائض أيضاً).

							انظر الفقرة رقم(7). وقد وقفتُ خلال هذه السنة (2006) على نسخة مخطوطة حسنة من كتاب ابن المنَمِّر في الفرائض بالخزانة الحسنية العامرة في الرباط؛ تقع في (79) ورقة؛ وتعود إلى سنة (775هـ) تحت رقم (10906). وعلمتُ أخيراً أنّ الأخ الفاضل الفقيه الفَرَضي الدكتور حمزة أبو فارس يعمل على تحقيق الكتاب اعتماداً على (أربعِ نسخ) ويبدو أنّ نسخة الخزانة الحسنية أفضل تلك النسخ – وفقه الله تعالى.
29	الكافي في الوثائق (مخطوط محلي -12)	أبو الحجاج يوسف بن زيري (قاضي البلد)	(ق 6 هـ)	أعلام ليبيا (419)	الفقه	209	(وولّى على البلد شيخه أبا يحيى بن مطروح التميمي، وجعل قاضيهم رجلاً منهم يُعرف بأبي الحجاج يوسف ابن زيري، وهو صاحب التأليف المعروف : بالكافي في الوثائق، فكانت أحكام المسلمين كلها مصروفةً إلى واليهم وقاضيهم، ولم يكن النصراني يتعرض لشيء من أحكامهم). سياق النص في سنة (540هـ).
30	كتب كثيرة محبَّسة (مخطوطات : إشارة عامة) ؟	–	–	–	المكتبات	190	(ولما نزلنا بمقربة من هذه الزاوية [زاوية أولاد سهيل] وصل إلينا أهلها راغبين في الوصول إلى موضعهم والتحرّم بطعامهم، فسرنا مع مخدومنا إليهم فأصعدونا [إليها] فوجدناهم قد شحنوها بالعدد المنمنة

							[كذا؟ ولعلها: المتمِّنة] على نحو التحبيس عليها، ورأيت هنالك كتباً كثيرة محبَّسة). إشارة عابرة إلى إحدى المكتبات خارج مدينة طرابلس. وتُعرف هذه الزاوية باسم (زاوية بوعيسى) أو (زاوية العموري) وتقع غربي مدينة الزاوية بنحو 7كلم. انظر : الطاهر أحمد الزاوي، **معجم** البلدان الليبية، طرابلس : دار مكتبة النور، **1968**، ص**156-167**.
31	كتاب "الخضار" في علم الحساب (؟)	—	—	—	الحساب	**220**	قراءة عبدالعزيز بن عبيد على شيخه أبي محمد عبدالله بن عبدالكريم الغماري الذي (اجتاز على طرابلس من المغرب قاصداً إلى المشرق فطالت إقامته بطرابلس فقرأ عليه...رجل كتاب "الخضار" في علم الحساب، وكان ذلك في عام أربعة وخمسين / وستمائة). العنوان غير محقق؟ لذا آثرت إدراجه بعد كلمة (كتاب) كما جاء في النص. وفي الطبعة الثالثة (المصوَّرة) من نشرة العلاّمة ح.ح.عبد الوهاب: الحصار (بضم الحاء، وبالصاد المهملة -

							استناداً إلى ص 257، وص 492 من فهرس أسماء الكتب). وفي الطبعة الرابعة الصادرة بعده بتصفيف جديد وفهرسٍ مغاير، وهي المشار إليها هنا: الخضَّار (بالضاد المعجمة المشدَّدة، وقد انتقل في فهرس الكتب ص 372، من حرف الحاء إلى حرف الخاء). ويظلُّ اللفظ مبهماً؟ وإدراجُهُ في حرف (الحاء/أو الخاء) في فهرس الكتب بالطبعتين يفيد أنَّه (عنوان)؟ غير أنَّ سياق النصِّ لا يقطعُ بذلك؛ فقد يكون (لقباً للمؤلِّف)؟ والله أعلم. وقد وقفتُ – على سبيل المثال – على هذه الترجمة: على بن محمد بن إبراهيم بن موسى الخزرجي، أبو الحسن، الحصَّار (بالصاد المهملة): فقيه إشبيلي الأصل نشأ بفاس (ت611هـ/ 1214م) الأعلام (4/ 330) فلعله المقصود في هذا السياق؟
32	كتاب العروض (مخطوط محلي 13-)	ابن الأجدابي	(ق 5 هـ)	الأعلام (32/1)	الأدب	224	(وكتابه في العروض ناهيك به حسناً وترتيباً وتهذيباً، وهو نسختان كبرى وصغرى). انظر الفقرة رقم (6).

33	كتاب الفرائض (مخطوط مغربي -4)	عبدالله بن عبدالكريم الغماري.	(ق7هـ)	(؟)	الفقه	220	قراءة عبدالعزيز بن عبيد على شيخه – المؤلف. (انظر الفقرة رقم 28).
34	كتاب في الرد على أبي حفص بن مكّي في تثقيف اللسان. (مخطوط محلي -14)	إبن الاجدابي.	(ق 5 هـ)	الأعلام (32/1)	اللغة	224	انظر الفقرة رقم (6).
35	كتاب في شرح ما آخره ياء مشدَّدة من الأسماء وبيان اعتلال هذه الياء... (مخطوط محلي -15).	ابن الأجدابي.	(ق 5هـ)	الأعلام (32/1)	اللغة	224	(.. استوفى فيه جميع أحكام هذه الياء على اختلاف أحوالها من تصغيرٍ وتكسيرٍ وغير ذلك، ولما استوفى فيه ذلك استيفاءً جميلاً تعرَّض لشرح المقاطع الواقعة في سورة مريم لاشتمالها على كثيرٍ من تلك الأحكام، فجاء هذا التأليف في غاية الإفادة والتحقيق). (بطاقة ببليوجرافية مشروحة، للكتاب المخطوط)؟! انظر أيضاً الفقرة رقم (6).
36	كتاب مختصر في علم الأنساب (؟) (مخطوط محلي -16).	ابن الأجدابي.	(ق 5 هـ)	الأعلام (32/1).	اللغة	224	يبدو أنّه يعني اختصاره لكتاب ابن العوام في أنساب قريش. انظر الفقرة رقم (8) وأنظر ملاحظة د. أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، ص 260.

37	كفاية المتحفظ (مخطوط محلي -17)	ابن الأجدابي	(ق 5 هـ)	الأعلام (32/1).	الأنساب	224	(ومن جملة تآليفه كتابه المتداول المسمّى بكفاية المتحفظ) وهو أشهر كتبه وأكثرها ذيوعاً، وقد طبع مراراً، وهو اليوم (متداول) أيضاً كما وصفه الرحالة. انظر الفقرة رقم (6).
38	كنوز المطالب؟ (مخطوط مغربي -5)	أبو الحسين علي ابن موسى بن محمد بن سعيد الغرناطي.	685هـ 1286م	الأعلام (26/5)	(؟)	255	من مصادر المؤلف الرحّالة في السياق الطرابلسي من رحلته؛ لتصحيح نسبة أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحسيني التاجوري، ولعله من (مكتبته) ؟
39	المحصول (مخطوط مغربي -6).	ابن العربي : محمد بن عبدالله ابن محمد المعافري الإشبيلي المالكي أبوبكر.	543هـ 1148م	الأعلام (230/6)	أصول الفقه	220	قراءة عبدالعزيز بن عبيد على شيخه عبدالوهاب بن محمد الهتروني).
40	مذكي الفؤاد في الحضّ على الجهاد. (مخطوط محلي- 18)	عبدالحميد بن أبي الدنيا.	684 هـ 1285م	الأعلام (285/3)	الفقه	231	انظر الفقرة رقم (15). في الرحلة : مذكّر الفؤاد؛ وفي الأعلام : مذكي الفؤاد.
41	المستصفى: من علم الأصول (مخطوط مشرقي -9).	الغزالي: محمد بن محمد ابن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد	505هـ 1111م	الأعلام (22/7)	أصول الفقه	220	قراءة عبدالعزيز بن عبيد على شيخه عبدالوهاب بن محمد الهتروني، وشيخه عبدالحميد بن أبي الدنيا.

42	المعالم الدينية (مخطوط مشرقي-10).	ابن الخطيب : (الفخر الرازي): محمد بن عمر ابن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب.	606هـ 1210م	وفيات الأعيان (248/4-252). الأعلام (313/6).	علم الكلام	220	قراءة عبدالعزيز بن عبيد على شيخه أبي العباس الأعجمي الذي (ورد من المشرق على مدينة طرابلس في سنة اثنتين وستين / وستمائة قاصداً إلى المغرب، فقرأ عليه بعض المعالم الدينية لابن الخطيب). وترد الإشارة في النص الموجز بالرحلة إلى كتابي (المعالم الفقهية، والمعالم الدينية، لابن الخطيب)؟ كذا دون مزيد إيضاح، وقد تبيّن لي بشيء من المراجعة والنظر أنّ مراده غالباً، كتابا الفخر الرازي الواردان في ترجمته؛ فقد جاء في وفيات الأعيان في سياق آثاره : (ومنها في علم الكلام كذا...، وكذا... والمعالم وغير ذلك؛ وفي أصول الفقه : المحصول، والمعالم). وهكذا يبدو جلياً أنّ له كتابين متفقين في العنوان، مختلفين في الموضوع والمحتوى. وقد وردا (في سطر واحد) من الترجمة. وإشارة التجاني في رحلته قرينة مؤيدة لازدواجية العنوان بين الكتابين المذكورين من آثار(الفخر الرازي؛ بن الخطيب).وعنّ لي أن أعود

							إلى فهـــرس الكتـــب في الوفيــــــات (549/8) للاستئناس به، فوجــدت الإشارة هناك قاصرة على : (المعالم للفخر الــرازي) ؟ كـــذا دون تفريـــق بـــين العنوانين، وهو لا يطــابق واقع الحال في متن الترجمة، وجلّ من لا يسهو سبحانه ! وقد جاء في وفيات الأعيان قديماً : (وانتشرت تصانيفه في البلاد، ورزق فيها سعادة عظيمة، فإنّ الناس اشتغلوا بهـــا ورفضـــوا كتـــب المتقدمين). كمــا جــاء في الأعلام حديثاً : (أقبل الناس علـــى كتبـــه في حياتـــه يتدارسونها). ولعل في ذلك ما يفسِّر وصـــول كتابيـــه المـــذكورين إلى طـــرابلس (المغربية) وقراءتهما بهـــا في أواســـط القـــرن الســـابع الهجري بعد وفاته في مطلع القرن(606هـ).
41	المعالم الفقهية (مخطوط مشرقي-11)	إبن الخطيب. (الفخر الرازي)	—	—	أصول الفقه	220	قراءة عبدالعزيز بن عبيـــد على شيخه الفقيه القاضـــي أبي العباس أحمد بن عيســـى الغماري الذي (وصـــل إلى طرابلس قاضياً بعد انفصال القاضي أبي موسى بن معمر منها، فقرأ عليه جملة مـــن المعـــالم الفقهيـــة لابـــن الخطيب). انظر التعليـــق في الفقرة السابقة.

44	مياومة........ ....؟ (مخطوط مشرقي–12)	الفاضل البيساني: عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل.	596هـ 1200م	وفيات الأعيان (158/3) الأعلام (346/3)	التاريخ	210	من مصادر المؤلّف الرحالة في السياق الطرابلسي من الرحلة لإثبات إفادة عن وصول ابن مطروح شيخ طرابلس إلى الإسكندرية. ولعله من (مكتبته)؟. وفي ترجمة (الفاضل البيساني) أنّه ولد بفلسطين واستقر بمصر، وكان وزيراً للسلطان صلاح الدين، وتولى أبوه القضاء بمدينة بيسان فنسبوا إليها... إلخ

2.1.2- التوزيع الزمني/ الجهوي للكتب [المخطوطات]

في القسم الطرابلسي من رحلة التجاني

القرون الهجرية	مخطوطات مشرقية	مخطوطات مغربية	مخطوطات محلية	شؤون أخرى	المجموع الزمني
القرن الأول	–	–	–	–	–
القرن الثاني	–	–	–	–	–
القرن الثالث	4، 23، 24، 25، 27.	–	–	–	5
القرن الرابع	10	11	7، 13، 28.	–	5
القرن الخامس	2، 5، 41.	–	6، 8، 9، 22، 32، 34، 35، 36، 37.	–	12
القرن السادس	42، 43، 44	3، 39.	29.	–	6
القرن السابع	–	12، 33، 38.	1، 14، 15، 26، 40.	–	8
إشارة عامة	–	–	–	30	1
خط	–	–	–	16، 17، 18، 19، 20.	5
خطة النظر في خزانة الكتب	–	–	–	21.	1
غير محقق؟	–	–	–	31.	1
المجموع الجهوي	12	6	18	8	44

2.2- رحلة العياشي (1072هـ/1661- 1662م):

تميّزت رحلة أبي سالم العياشي[1] بقدرٍ ملحوظ من الأصالة، وكانت مصدراً معتَمَداً لكثير من الرحّالين و المؤرخين اللاحقين، وعدَّها بعضُ الباحثين المعاصرين دائرةَ معارف مصغرة للوطن العربي في ذلك القرن (11 هـ/17م)[2] وقد ذكر فيها بعض علماء طرابلس وصلحائها، وأشار ضمن ذلك إلى عدد من الكتب (المخطوطات) في أكثر من موضع، وهي أهمُّ نصٍّ بين الرحلات عن العهد العثماني الأول في ليبيا (958 -1123هـ/ 1551- 1711م). وينبغي التنويه في هذا المقام بأنّ جلّ الأعلام الليبيين المذكورين في رحلة العياشي قد دخلوا عن طريقها إلى رصيد المكتبة المغربية الغنية من كتب التراجم؛ إذ اقتبسها المؤرِّخ محمد بن الطيب القادري(ت 1187هـ/ 1773م) في كتابيه الشهيرين: (نشر المثاني)[3] واختصاره (التقاط الدرر)[4]. كما اقتبس بعضها عن رحلة العياشي أيضاً المؤرخ محمد الصغير الإفراني في كتابه (الصفوة) [5] وهذا ضربٌ توثيقيٌّ آخر من ضروب التواصل الثقافي بين طرفي بلاد المغرب الشقيقين.

---

(1) عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، أبو سالم (1037- 1090هـ/ 1628 -1679 م) من أهل فاس، قام برحلة دوَّنها في كتابه (الرحلة العياشية) في مجلدين، وسمّاها (ماء الموائد). الأعلام (4/ 129).وكانت للعياشي ثلاث رحلات إلى الحج: الرحلة الأولى (1059هـ / 1649م) وهو شاب في مقتبل العمر؛ الرحلة الثانية (1064هـ/ 1654 م) والرحلة الثالثة (1072هـ/ 1661م) وهي التي دوّن بعدها الكتاب المذكور.

طبعت رحلته على الحجر بفاس (1316 هـ) وأعاد نشرها بالتصوير المؤرخ الراحل الجليل الدكتور محمد حجّي- رحمه الله تعالى - سنة (1977) مع التقديم وبعض الفهارس. كما عُنِيَ (بالقسم الليبي) من الرحلة في الذهاب والإياب بعض الأساتذة المصريين منذ أواخر الخمسينيات من القرن العشرين، وظهر جهدهم أخيراً في كتاب مستقل يضمُّ مقدمات دراسية ونشر النص:

ماء الموائد: العياشي. الرحلة، ليبيا – طرابلس وبرقة، (تحقيق) الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة، الدكتور محمود حسن السعران، الدكتورة نبيلة حسن محمد.الإسكندرية: منشأة المعارف، د.ت[التسعينات نحو 1996] 267ص.

وتوجد نسخة مخطوطة من رحلة العياشي في مكتبة الأوقاف (مجموعة أسرة النائب/ العسوسي) عنيت بنسخها سنة (1273هـ).وهي تحت رقم (1188 – 1189). ونسخة أخرى بالمكتبة المركزية لجامعة قاريونس، تحت رقم (353) غير مؤرخة ؟ (في الفهرس المنشور).وانظر أيضاً:

- إقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر: فهرس أبي سالم العياشي (11هـ-17 م) تحقيق ودراسة نفيسة الذهبي، الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1996، 269ص.
- إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، لأبي سالم العياشي (ت 1090 هـ/ 1679م) تقديم وتحقيق محمد الزاهي، بيروت:دار الغرب الإسلامي 1999، 223ص.

وهما أثران مكملان للرحلة في توثيق التجربة الثقافية (والسيرة الذهنية) للمؤلِّف.

وانظر أيضاً: عبد الله بنّصر العلوي، من أعلام الفكر والأدب في فجر الدولة العلوية: أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1998،565 ص.

(2) ماء الموائد، في ختام المقدمات الدراسية من(القسم الليبي) المنشور من الرحلة، ص 68.

(3) محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حَجّي وأحمد التوفيق، الرباط: مكتبة الطالب (1977 - 1986)، 4 أجزاء.

(4) محمد بن الطيب القادري، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، دراسة وتحقيق هاشم العلوي القاسمي، بيروت: دار الآفاق الجديدة 1983.

وانظر أسماء التراجم في الكتابين:عمار جحيدر، مصادر دراسة الحياة الفكرية في ليبيا في العهد القرمانلي، ص 115.

(5) محمد الصغير الإفراني، صفوة مَن انتشر مِن أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تقديم وتحقيق د. عبد المجيد خيالي، الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي العربي، 2004.

أمَّا عن المخطوطات فتبرز في رحلة العياشي إفادتان قيِّمتان قصيرتان؛ أولاهما عن التركة الثقافية للشيخ أحمد زرُّوق (أي الجانب الثقافي من مخلَّفاته التي ظلَّت لأسرته) ببلدة مصراتة، كما وقف الرحَّالة عليها هناك في وثيقة مدوَّنة بعد وفاته بسنوات قليلة. وتتعلق الإفادة الثانية بمكتبة أسرة المكّني في مدينة طرابلس، وهي من أبرز الأسر العلمية في تاريخنا الثقافي خلال العهد العثماني. وقد ذكرها الرحالة في الذهاب والإياب.

وخلافاً للجدول التحليلي الذي أعددتُهُ أعلاه للكشف عن لمخطوطات في رحلة التجاني، آثرت هنا إبقاءَ هاتين الإفادتين في رحلة العياشي نصَّين مقتبسين (أولاً) مراعاة لبنية النصِّ في كل إفادة؛ وإبرازاً للتباين / التكامل الملحوظ بين هاتين الطريقتين في إمكانية الاستفادة القصوى من الرحلات وغيرها من المصادر الأدبية الوصفية المماثلة، في رصد تاريخنا الثقافي عبر القرون، وما تخلَّله من نشاط (العلماء) في التأليف والإفادة، وسعي (الطلاب) إلى التحصيل والتكوين، واضطلاع (المؤسَّسات) المعتادة بتأثيث ذلك الفضاء الثقافي الذي تظلُّ الكتب (المخطوطاتُ) المنجَزةُ المحرَّرة في رحابـه هنا وهناك أهمَّ آثاره الباقية الموثَّقة الدَّالة عليه حتى اليوم. ويبدو جلياً أنَّ إنجاز هذا العمل التَوثيقي الموسَّع يتطلب جهداً مطوَّلاً من باحث أو أكثر حتى تكون بين أيدينا (مدوَّنةٌ) ثريَّةٌ قـيِّمةٌ لحركة الكتب وأوضاع المخطوطات والمكتبات يتحقَّق بها المسح المكاني لكلِّ البيئات، والمسحُ الزماني لكلِّ العهود، ولنا في الجداولِ والفَهَارسِ وقَوَاعدِ البَيَانَاتِ المحوسبةِ وما إليها من أدواتِ البحثِ خيرُ معينٍ على تحقيق الغاية المنشودة.

2 .2 .1- تركة الشيخ أحمد زَرُّوق الثقافية ببلدة مصراتة:

" لطيفة[1]:

قد وجدت عند صاحبنا هذا ورقةً فيها زمامُ تركةِ الشيخ[2] وعدَّةُ أولاده ونسائه وما خلَّفه من بعده، وعدَّ متخلَّفه من كتبٍ وأمتعة، ولننقلها هنا بحروفها لما اشتملت عليه من الفوائد....وكان من مخلف الشيخ أحمد المذكور نصف الفرس الشهباء.....

مع أربعة عشر سفراً[1] و كناش.

---

(1) الطبعة الحجرية المصورة، ج1 ص99؛ القسم الليبي المنشور أخيراً من الرحلة ص 140 -142؛ مخطوطة الأوقاف، ج1 ورقة 75ب - 76ب ؛ كما اقتبس الرحَّالة أحمد بن ناصر الدرعي (1121 – 1122 هـ) هذا النصَّ كاملاً في رحلته (الناجية ص 57 – 58)؛ واقتبسه أيضاً الرحَّالة الورثيلاني (1179 – 1180 هـ) في (نزهة الأنظار، ص 202).

(2) أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، أبو العباس، زروق (846 – 899 هـ/ 1442 -1493 م): فقيه محدِّث صوفي؛ من أهل فاس (نزيل مصراتة) الأعلام (1/ 91)وانظر أيضاً :د. علي فهمي خشيم،أحمد زرُّوق والزروقية: (دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة) ط2 طرابلس: المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان 1980 (طبعة خاصة بمناسبة مهرجان زروق: الذكرى الخمسمائة لوفاته).

فمن كتب الفقيه:

- مختصر[2] ابن عرفه[3]– رحمه الله – وأسفار في الكبير[4].
- مع حاشية الوانوغى[5] والمشذّالي[6] على المدوَّنة.
- مع سفر فيه مختصر الشيخ خليل[7]، والشامل للشيخ بهرام[8]– رحمهما الله.
- مع شرح ابن عسكر[9] في الفقه للشيخ أحمد المذكور[10]، ألفه (؟)[11]

ومن غير الفقه:

- الديباج المذهب في التعريف برجال المذهب لابن فرحون[12]– رحمه الله – ومعه تأليف للشيخ أحمد المذكور: القواعد في علم التصوف[13]، ومعه شيء من علم الطب[14].
- مع سفر فيه قواعد للونشريسى[15]، والمذكور شيء من الطب (؟)

---

(1) يبدو جلياً في هذا النصّ أنّ (السفر) يضمُّ أحيانا أكثر من عنوان (نصّ) بين دفتيه، وهو ما نعبِّر عنه اليوم في حقل المخطوطات (بالمجموع). قارن بين هذين المصطلحين في (القاموس الكوديكولوجى) الجديد: د. أحمد شوقي بنبين ود. مصطفى طوبى، معجم مصطلحات المخطوط العربي ص200، 316.

وقد يستغربُ الباحثُ في التاريخ الثقافي حقًّا أن تكون (التركة الثقافية) للصوفي العالم الجليل أحمد زروق محدودة كمياً إلى هذا الحد؟ فهل كان يتكئُ في مجمل نشاطه العلمي على مجموعات أخرى من (المخطوطات) في غير مكتبته؟

(2) في الأصول المذكورة: من مختصر ابن عرفه.

(3) محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (ت 803 هـ 1400م) إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، ومولده ووفاته بها، من آثاره: (المختصر الكبير) في فقه المالكية. الأعلام (7/ 43).

(4) كذا ؟ ويبدو أنَّ القصد إلى القطع الكبير (من أحجام المخطوطات). وقد يكون مراده أمراً آخر ؟

(5) محمد بن أحمد بن عثمان التونسي الوانوغي (ت819هـ/ 1416 م) نزيل الحرمين توفي بمكة، له طرر على المدونة في غاية الجودة. الأعلام (5/ 331)؛ محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 243.

(6) محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد، أبو عبد الله المشذّالي (ت 866هـ / 1462م) مولده ووفاته في بجاية، من آثاره:(تكملة حاشية الوانوغي على المدونة) في فقه المالكية. الأعلام(7/ 5).

(7) خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي (ت 776 هـ/ 1374م) فقيه مالكي من أهل مصر، له (المختصر) في الفقه ويعرف بمختصر خليل وقد شرحه كثيرون وترجم إلى الفرنسية. الأعلام (2/ 315).

(8) بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز، أبو البقاء تاج الدين السلمي الدميري القاهري (ت 805 هـ/ 1402م) من كتبه:(الشامل) على نسق (مختصر خليل) في الفقه المالكي. الأعلام (2/ 76).

(9) عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي (ت 732 هـ/ 1332 م) فقيه مالكي مولده ووفاته ببغداد. له في الفقه: (إرشاد السالك) و(المعتمد) و(النور المقتبس في فوائد مالك بن أنس). الأعلام (3/ 329).

(10) القصد إلى (شرح الإرشاد) المذكور أعلاه للشيخ زروق. نظر: د.علي فهمي خشيم، أحمد زروق والزروقية، ص 113.

(11) ألفه، كذا في كل الأصول المذكور: أعلاه، ومع وضوح اللفظة تبدو (قلقة) في الصياغة ؟.

(12) إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون (ت 799هـ/ 1397 م) مغربي الأصل، ولد ونشأ ومات بالمدينة. له (الديباج المذهب) في تراجم أعيان المذهب المالكي. الأعلام (1/ 52).

(13) قواعد التصوف للشيخ زرُّوق، ويُعرف بعدة أسماء أخرى، وهو أحد آثاره الرئيسية في التصوف؛ حيث يعرض أهم أسسه في (217) قاعدة. د. خشيم، نفس المصدر، ص 105.

(14) يبدو أن القصد إلى: (تلخيص الدرة المنتخبة في الأدوية المجربة) للشيخ زروق. المصدر نفسه ص 123.

(15) أحمد بن يحيي بن محمد الونشريسي التلمساني (ت 914هـ/ 1508م) فقيه مالكي شهير استوطن فاس وتوفي بها، ومن آثاره (القواعد) في فقه المالكية. الأعلام (1/ 269).

- مع سفر فيه الزركشي[1] والسبكي[2] في أصول الفقه،وبلوغ المرام لابن حجر[3]، والبلالي[4] مختصار الإحياء.
- مع سفر فيه التفتازاني[5] في أصول الدين، والحكم لابن عطاء الله[6] والمنهل الروي في علم الحديث[7] وغيره.
- مع سفر من ملتم[8] الحديث بخط الشيخ أحمد المذكور، وتأليف للشيخ عبد الرحمن الثعالبي[9].
- مع إجازة له[10] وشيء من ابن حجر[11] في علم اللغة – رحمهم الله.
- وسفر فيه تفسير القرآن.

---

(1) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ/ 1392م) عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. من آثاره: (لقطة العجلان) و(البحر المحيط) و(المنثور) ويعرف بقواعد الزركشي– في أصول الفقه. الأعلام (6/ 60 - 61) .

(2) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تاج الدين (ت 771هـ/ 1370م) ولد في القاهرة وانتقل مع والده إلى دمشق فسكنها وتوفي بها، ومن آثاره (جمع الجوامع) و (منع الموانع) تعليق عليه؛ و(توشيح التصحيح) في أصول الفقه. الأعلام (4/ 184-185).

(3) أحمد بن علي بن محمد الكنانى العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر (ت 852هـ/ 1449م) أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة، من أئمة العلم والتاريخ، ومن آثاره (بلوغ المرام من أدلة الاحكام). الأعلام (1/ 178). وفي كشف الظنون (1/ 254): (بلوغ المرام من أحاديث الأحكام).

(4) محمد بن علي بن جعفر، شمس الدين أبو عبد الله العجلوني تم القاهري المعروف بالبلالي (ت820/ 1417م) فقيه شافعي من أهل بلالة (من أعمال عجلون) تميَّز بالتصوف ولازم النظر في كتاب (الإحياء) للغزالي، وصنَّف (مختصراً) له. الأعلام (6/ 287)

في مخطوطة الأوقاف، وفي القسم الليبي المنشور من الرحلة:الفلالي (بالفاء)؟

(5) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت793هـ – 1390م)؛ السعد التفتازاني من أئمة العربية والبيان والمنطق، ومن آثاره (مقاصد الطالبين) و(شرحه) في الكلام (أصول الدين). الأعلام (7/ 219).

(6) أحمد بن محمد بن عبد الكريم؛ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله الإسكندراني (ت 709هـ/ 1309م) متصوف شاذلي،من تصانيفه (الحكم العطائية) في التصوف. الأعلام (1/ 221).

(7) المنهل الروي في علوم الحديث النبوي؛ مؤلِّفه محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (ت 733هـ/ 1333م) من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين توفي بمصر. الأعلام (5/ 297-298) كشف الظنون (2/ 1884).

(8) في مخطوطة الأوقاف، وفي القسم الليبي المنشور من الرحلة: كذا (ملتم)؟ولم أدرك صوابها. وفي الطبعة الحجرية تشبه في الرسم (منهى) ؟ وتبدو فوقها إشارة تصحيح (كـ.ا) بحرف دقيق، وفي طرة الصفحة: (يكتب ها كذا مصحفاً لأنَّه اعتذر عن التصحيف أخيراً)؟ ولم استطع توجيه القراءة.

(9) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائرى المالكي (ت875هـ/ 1470م) مفسِّر، فقيه، صوفي، متكلم. وقد (ترك الثعالبي نحو خمسة عشر مؤلَّفاً كلهاً تقريباً في التفسير والمواعظ والتوحيد والفقه). انظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين (5/ 192)؛ د. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16 – 20 م) الجزائر: الشركة الوطنيا للنشر والتوزيع، 1981، ج1 ، ص 82 – 84.

(10) يبدو أنَّ القصد إلى الشيخ أحمد زرُّوق.

(11) تقدم أعلاه.

- وكناش [1] محتو على وظائفه [2]، وغير ذلك.
إلخ.... بتاريخ أوائل ذي الحجة الحرام عام 913 هـ [1508م].

2. 2. 2- تصنيف جهوي تراتبي للكتب [المخطوطات] في تركة أحمد زرُّوق

أ. مخطوطات مشرقية

ر.م	العنوان	المؤلف	تاريخ الوفاة	القرن	الموضوع
1.	الحكم العطائية	أحمد بن محمد بن عطاء الله الإسكندري	709 هـ	(7)	التصوف
2.	الإرشاد (انظر: شرح الإرشاد في المخطوطات الذاتية)	عبد الرحمن بن محمد ابن عسكر البغدادي	732 هـ	(7)	الفقه المالكي
3.	المنهل الروي في علوم الحديث النبوي	محمد بن إبراهيم بن جماعة الحموي	733 هـ	(7)	الحديث
4.	(تأليف)؟ في أصول الفقه	عبد الوهاب بن علي السبكي	771 هـ	(8)	أصول الفقه
5.	مختصر خليل	خليل بن إسحاق الجندي	776 هـ	(8)	الفقه المالكي
6.	مقاصد الطالبين	مسعود بن عمر التفتازاني	793 هـ	(8)	أصول الدين
7.	(تأليف)؟ في أصول الفقه	محمد بن بهادر الزركشي	794 هـ	(8)	أصول الفقه
8.	الديباج المذهب	إبراهيم بن علي بن فرحون	799 هـ	(8)	التاريخ
9.	الشامل	بهرام بن عبد الله الدميري	805 هـ	(8)	الفقه المالكي
10.	اختصار [مختصر] الإحياء	محمد بن علي بن جعفر البلالي	820 هـ	(8)	التصوف
11.	بلوغ المرام من أدلة الأحكام	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	852 هـ	(9)	الحديث
12.	(تأليف)؟ في اللغة	أحمد بن حجر العسقلاني	852 هـ	(9)	اللغة

(1) الكنَّاش في المغرب (كالكشكول في المشرق): دفتر "مجموع" (خاص) من التقييدات والفوائد، يجمع بين الذاتي المدوَّن والمنقول المقتبس. انظر أيضاً: د. أحمد شوقي بنبين و د. مصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص 301. وانظر محتويات هذا الكناش: د. خشيم، نفس المصدر، ص 99.

وقد نشر د. خشيم المادة الخاصة المتعلقة بالسيرة الذاتية منه: أحمد زروق، الكنَّاش: صور من الذكريات الأولى، تقديم وتحقيق الدكتور علي فهمي خشيم، طرابلس: المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، 1980 (طبعة خاصة بمناسبة مهرجان زروق – الذكرى الخمسمائة لوفاته) ص 52.

(2) من آثار الشيخ زروق أيضاً (الوظيفة): وهي مجموعة أدعية وصلوات وآيات قرآنية يقراها أتباعه إلخ. د. خشيم، نفس المصدر، ص126-127.

ب. مخطوطات مغربية

ر.م	العنوان	المؤلف	تاريخ الوفاة	القرن	الموضوع
1.	المختصر الكبير	محمد بن محمد بن عرفة الورغمي	803 هـ	(8)	الفقه المالكي
2.	حاشية على المدونة	محمد بن أحمد الوانوغي	819 هـ	(8)	الفقه المالكي
3.	حاشية على المدونة	محمد بن أبي القاسم المشذّالي	866 هـ	(9)	الفقه المالكي
4.	(تأليف)؟	عبد الرحمن بن محمد الثعالبي	875 هـ	(9)	؟
5.	القواعد	أحمد بن يحيى الونشريسي	914 هـ	(9)	الفقه المالكي

ج. آثار ذاتية وبقايا مجهولة

ر.م	العنوان	المؤلف	تاريخ الوفاة	القرن	الموضوع
1.	شرح (الإرشاد)	أحمد زرُّوق	899 هـ	(9)	الفقه المالكي
2.	قواعد التصوف	أحمد زروق	899 هـ	(9)	التصوف
3.	شيء من علم الطب ترجيحاً: (تلخيص الدرة المنتخبة في الأدوية المجرَّبة)	أحمد زروق	899 هـ	(9)	الطب
4.	سفر في الحديث	(بخط) أحمد زرُّوق ؟	899 هـ	(9)	الحديث
5.	إجازة	أحمد زرُّوق	899 هـ	(9)	التعليم
6.	كناش	أحمد زرُّوق	899 هـ	(9)	(وظائف) تصوف
7.	سفر في التفسير	مجهول	–	–	التفسير

2. 2. 3- مكتبة أسرة المكّني بمدينة طرابلس:

1. في الذهاب:

ومن لقيتُهُ بطرابلس[1] فقيهُهَا الشابُّ الزكيُّ، الفقيهُ اللوذعيُّ، خيرُ خلف عن خيرِ سلف، سيدي [أحمد المكني][2] بيتُهُ بيتُ علمٍ من لدن أسلافه الكرام، وأبوه سيدي محمدٌ [المكني] كانَ من أعلم أهل ذلك الساحل. تولّى الفتوَى ببلده [مراراً] واشتغل بالتدريس، وله مشاركةٌ حسنة في فنون كثيرة. توفي [قريباً] من سنة ست وخمسين وألف 1056 هـ [1641م] ولم يخلّف إلاَّ ولده هذا. واشتغل بالقراءة على شيخنا سيدي محمد بن مساهل[3]، وعلى غيره، وكان له ذكاء عقل وزيادة نُبل[4]، فمهر في فنون عديدة، وفاق أقرانه. فلما عُزِلَ[5]؟ شيخنا ابن مساهل عن الفتوى حسبما تقدم تولاَّها هو، فحُمِدتْ سيرته فيها، وظهرت [نجابته][6] وسُدِّدَ في فتواه. ووَلِّي أيضاً تدريس الجامع الكبير والخطبة والإمامة به.

لقيتُهُ بداره، ولم تَطُلْ مجالستي له، واستعرت منه المطوَّل، لسعد الدين[7] فأعاره، وكانت له خزنةُ كتب ليس مثلُـــهَا لأحد من أهل بلده. ثم استعرت منه بعد ذلك العضد على مختصر ابن الحاجب[8]، وكان قد قرب رحيلنا فأعاره، وكتبتُ له مع الرسول بيتين، وهما:

فمنُّوا به قبلَ الرحيل لنا كما ... تطوَّ لتمُ من قبله بالمطوَّلِ

فإنَّكمْ أهلٌ لكـلِّ فضـيلةٍ ... كما أنَّكمْ أهلٌ لكلِّ تفضُّلِ

---

(1) الطبعة الحجرية المصورة،ج1 ص68؛ القسم الليبي المنشور من الرحلة ص 92-93؛ مخطوطة الأوقاف، ج1 ورقة 54- أ-ب.

(2) في الطبعة الحجرية، وفي مخطوطة الأوقاف:محمد المكني،وفي القسم الليبي المنشور: محمد المكي (بإسقاط النون). وصواب الاسم: (أحمد بن محمد المكني) كما أثبت أعلاه (ويُشار إلى ترجمته أدناه) أمّا محمد فهو الأب المتوفى قبل الرحلة نحو سنة (1056 هـ) كما جاء في النصّ.
وينبغي التنبيه هنا إلى أنَّ المؤرخ المغربي محمد بن الطيب القادري قد خلط في: نشر المثاني (2/ 35-355) بين ترجمة الأب والابن، وجعلهما معاً باسم (محمد) وأدرج الأولى في وفيات (1056 هـ) والثانية في وفيات (1099 هـ)وهو غير دقيق لذا وقع التنبيه. ونحو هذا في أعلام ليبيا (355، 385).

(3) محمد بن أحمد بن مساهل (ت1077 هـ/ 1667 م) مفتي طرابلس وأحد شيوخ الرحّالة العياشي الذي امتدحه ببعض الأبيات، وحلاَّه بقوله: (وهذا الشيخ – رضي الله عنه من أحسن من رأينا سمتاً ودلاً وأحذقهم قولاً وفعلاً، له مشاركة في العلوم وحسن اطلاع على فروع المذهب...) القسم الليبي المنشور، ص 77، 82 – 83، 87، 133، 151، 192، 200. وانظر أيضاً: محمد بن خليل بن غلبون، التذكار فيمن ملك طرابلس و [مَنْ] كان بها من الأخبار. عني بتصحيحه والتعليق عليه الطاهر أحمد الزاوي، ط(3) بيروت: دار المدار الإسلامي 2004، ص 267- 268.

(4) في القسم الليبي المنشور من الرحلة: وزيادة قلب؟!

(5) في القسم الليبي: عدل ؟

(6) في القســم الليبي: نجبته.

(7) سعد الدين التفتازاني (ت 793هـ / 1390م) المذكور أعلاه، من آثاره أيضاً (المطوَّل) في البلاغة.الأعلام (7/ 219).

(8) من آثار التفتازاني المذكور أيضاً :(حاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب) في الأصول. المصدر نفسه.

2. في الإياب:

" وممن لقيتُهُ بطرابلس[1] مفتيها الشاب الظريفُ الأريبُ العفيفُ، الفقيهُ المشارك، سيدي [أحمد المكني] [2] بيتهم بيتُ علم ورياسة دينية من لدن أسلافهم[3] إلا أنَّه لم تكن له رحلةٌ في طلب العلم، وقد حجَّ مع أبيه في صباه، وماتَ أبوه قبل أن يستفيد منه، فقرأ على شيخنا ابن مساهل وعلي بعض متفقهة البلد، فأعانته الحظوة والذكاء ونباهة الذكر، واقتناء الكتب الكثيرة على ولاية منصب الفتوى، بعد عزل شيخنا ابن مساهل، وقد تقدَّم شرح ذلك في أول هذا الكتاب. وقد شاهدتُ منه حسن أخلاق، يدلُّ على طيب أعراق.وقد استعرت منه كتباً فما بخل بإعارتها بل استعار لي من غيره كراريس من شرح المختصر، لشيخنا الأجهوري[4]، مسَّت الحاجة إليها لتكميل جزء ناقص عندي، فتوسَّط لي في ذلك توسُّـــط أمثاله ولم يقصِّرْ عمَّا يقتضيه مجدُهُ من رُتَب كماله، فأوجَب ذلك عليَّ أن كتبتُ له بعد إتمام الجزء أبياتاً ثلاثة، أشكر صنعه وأشيد ذكر نعْمَته الَتي بذل في إتمامها وُسعَهُ لأنَّ الكتاب كان بيد مَنْ يَضِنُّ به عن ملاقاة الهواء ومماسة الهباء[!] َلولا الاستعانة بوجاهة مَنْ ذُكِرَ وجلالة مَنْ شُكر، وهي هذه:

سأشكُــــر إحـــساناً بـــدَا منــكَ سيِّـــدي ... وأشـكرُ فعـلاً منـكَ قـد صـدَّقَ القـــولا

و[يَـشْكُرُكَ][5] الـشرحُ الــذي تـمَّ نقـصُهُ ... [و] لـولاكَ كــانَ الــنقصُ قطعـاً بِــه أولى

وقــد قِيــلَ مَـــنْ لمْ يَـشْكرِ النــاسَ لم يَكــنْ ... ليــشكرَ ربَّ النَّـــاس في كـــلِّ مـــا أولـــى

3. في نصٍّ محليٍّ لاحق (تتمَّة):

" شيخُنا العالــمُ الصالــحُ خطيبُ جامع الناقة – الجامعِ الأعظمِ بطرابلس – ومفتيها سيدي أحمد ابن الشيخ العالم سيدي محمد ابن الشيخ العالم سيدي عبد الله المكني التنوخي – رحمهم الله أجمعين ورضي عنهم ونفعنا بهم آمين – دارُهُم دارُ علمٍ وصلاحٍ منذ سيدي عبد الله المكني ونرجو من الله أن تكون كذلك إلى يوم القيامة. جدُّه سيدي عبد الله أول من جاء لطرابلس [لَمَّا أن ملك التركُ حوَّلوهم لطرابلس].... واقتنى سيدي عبد الله كتباً كثيرة، وقد وُلِدَ له أولادٌ علماءُ صلحاءُ، منهم سيدي سالم المقبور في مقبرة سيدي مندر...وقد كتب كتباً عديدة.... واجتمعت كتبُهُمْ كلُّهم عند سيدي محمد والد سيدي أحمد – وكان عالماً عارفاً بالنحو والفقه

---

(1) الطبعة الحجرية المصورة،ج2 ص384؛ القسم الليبي المنشور من الرحلة، ص 199 - 200؛ مخطوطة الأوقاف،ج2 ورقة 299 ب / 300 - أ.

(2) كما تقدم في الذهاب (نفس الملاحظة).
وفي القسم الليبي المنشور جُعِلَ (المكني) قراءةً مرجوحةً في الحاشية خلافاً للصواب !

(3) في القسم الليبي المنشور: إسلامهم !

(4) عبد الرحمن بن يوسف، أبو الفيض زين الدين الأجهوري (ت961 هـ/ 1554 م) فقيه مصري مالكي، وفاته بالقاهرة، ومن آثاره: (شرح مختصر خليل). الأعلام (3/ 343)

(5) في القسم الليبي المنشور:ولشكرك!

والحديث والتفسير والسِّير وغير ذلك – فزاد عليها إلى أن اجتمعت [كلُّها] عند سيدي أحمد وزاد عليها [كثيراً جداً] فخزانتُهُمُ الآن لا نظير لها بطرابلس " [1].

3- النصوص التوثيقية (الوقفيات التأسيسية):

(مكتبة مصطفى خوجه في العهد القرمانلي نموذجاً)

3.1- المؤسِّس (نحو ترجمةٍ جديدةٍ موثَّقة):

يُعدُّ الكاتب مصطفى خوجه من أبرز النساخ في العهد القرمانلي (1123 – 1251هـ/ 1711 – 1835)، فإلى جانب إنتاجه العلمي القليل، وعمله بديوان الإنشاء كاتباً ومستشاراً لعلي باشا القرمانلي، وما يلقيه ذلك على عاتقه من أعباء إدارية، ظلَّ النسخ غالباً على نشاطه حتى أواخر عمره، ويبدو أنَّ هذا النشاط، مع ما وهبه الله من بسطة في الرزق، هو الذي انتهى به إلى جمع وتأسيس تلك المكتبة التي ألحقها بمدرسته (أسست المدرسةً سنة 1183 هـ) وكان عددٌ من مخطوطاتها من نسخ يده، أو استأجر النساخ عليها، فكأنَّ نشاط مؤسسته يجمع إلى حدٍّ كبير بين مهام المدرسة، والمكتبة العامة، ودار النشر (الوراقة). فقد كان يهدي المخطوطات لضيوف البلاد من الحجاج ونحوهم، وهو ما نجده لدى الرحالة المغربي محمد بن عبد السلام الناصري الذي نسخ له عدداً منها، وكانت (هذه عادته مع كل من مرَّ به مشرِّقاً أو مغرِّباً) وفق شهادة الناصري نفسه التي سنلتقي بها كاملة فيما بعد. وهي ملحقةٌ في هذا السياق التوثيقي المغاير بما تقدَّمها من النصوص والإفادات عن الحياة الثقافية والمخطوطات في رحلتي التجَّاني والعيَّاشي.

ترجم أحمد النائب الأنصاري لمصطفى خوجه بعبارة واحدة في (نفحات النسرين)[2] و(المنهل العذب) [3] وهي الترجمة المتداولة في الأعمال التالية. كما خصَّهُ الأستاذ علي مصطفى المصراتي بصفحات من كتابيه (لمحات أدبية عن ليبيا)[4] و(مؤرخون من ليبيا)[5]. ثم نشر الدكتور حبيب وداعة الحسناوي مخطوطة (تاريخ فزان) الذي جمع مادته مصطفى خوجه نفسه، مع مقدمة

---

(1) هذا النصُّ مقتبسٌ من أفضل ترجمة للشيخ الابن (أحمد بن محمد المكني) بقلم تلميذه عبد السلام بن عثمان التاجوري. وقد ولد أحمد المكني بطرابلس سنه (1042 هـ) وأخذ على بعض شيوخها مستفيداً ممَّنْ يمرُّون بها من العلماء المغاربة، مستعيناً بكثرة الكتب ففاق من تقدَّمه. ولِّي الفتوى سنة (1070 هـ) في أواخر العقد الثالث من عمره؛ لذا يصفه الرحالة العياشي (بفقيهها الشاب، ومفتيها الشاب) في الذهاب والإياب، وتخلي عنها وتوفي سنة (1101هـ 1689م). انظر النص الكامل للترجمة: عمار جحيدر "الحياة الثقافية في ليبيا _ في العهد العثماني الأول: عبد السلام بن عثمان التاجوري 1058- 1139 هـ/ 1648 – 1727 م) وتراجم شيوخِهِ نموذجاً" حولية المجمع (مجلة مجمع اللغة العربية – طرابلس) العدد الرابع (2006) ص 237-241.

(2) أحمد النائب الأنصاري ، نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تحقيق وتقديم علي مصطفى المصراتي، بيروت: المكتب التجاري 1963، ص 157 – 158؛ 162.

(3) أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ط4 لندن: دارف المحدودة، 1984.

(4) علي مصطفى المصراتي، لمحات أدبية عن ليبيا،طرابلس: المطبعة الحكومية، 1956.

(5) علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا – مؤلفاتهم ومناهجهم: (عرض ودراسة) طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع، 1977.

صافية عن المؤلّف وكتابه[1]. ونشر الدكتور محمد الطوير (قائمة الكتب من وقفيته)[2] غير أنّه لم يعْدُ في واقع الأمر إلى أصل الوقفية كما سيلي. وسأحاول في هذا السياق الموجز تقديم بعض الملاحظات حول ترجمة المؤسِّس، استناداً إلى عدد من الأصول المخطوطة؛ فقد شاع في ترجمته وفيما كُتبَ عنه خطّآن ظاهران، يتعلق أولهما بتاريخ وفاته، وثانيهما بنسبه (القرشي). ولا يفوتني في هذا المقام أن أصحِّحَ هذين الخطأين، فالمنقول المتداول عن ترجمته الأولى لدى الأنصاري أنّه توفي سنة (1213 هـ) ويبطل ذلك قطعاً أنّي وجدت بين مجموعة مخطوطاته الموقوفة الباقية مخطوطة نسخها بيده سنة (1214 هـ) وأوقفها على مدرسة القايد عمورة بجترور سنة (1215 هـ)[3]. ولست أدري من أين استقي الأنصاري تاريخ وفاته، ولم نقف بعد على تاريخها المحدد الصحيح، ولكن هناك ما يقطع بأنّه توفي خلال – أو قبل – سنة (1217 هـ) وهو ما نستفيده من وثيقة (تخصُّ ابنه) مدوَّنة بأحد سجلات محكمة طرابلس الشرعية، وأولها (الأَجل الأكمل سيدي عمورةً ابن المرحوم سيِّدي الكَاتب مصطفى خوجه، وقد حُرِّرت في التاسع من ذي القعدة عام سبعة عشر ومائتين وألف)[4].

أمَّا نسبته (القرشي) فقد وهم فيها أستاذي المؤرخ الراحل الجليل الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم – رحمه الله تعالى وأسكنه فسيحَ جنَانه – وذلك عند تحقيقه لمخطوطة المؤرخ المصري أحمد شلبي عبد الغني (أوضح الإشارات فيمن تَوَلَّى مصر القاهرة من الوزراء و الباشات)، القاهرة 1978 التي حفظها مصطفى خوجه من الضياع بنسخته الفريدة المحفوظة بجامعة ييل في الولايات المتحدة الأمريكية. ولعلها تلك النسخة التي أوقفها مصطفى خوجه على مدرسته، ولا نعلم الآن كيف وصلت إلى هناك[5]. وقد خُتِمَتْ باسم الناسخ (مصطفى خوجه بن قاسم بن عبد الله قرجي النسب.. إلخ) ولكن الدكتور عبدَ الرحيم ظنَّ أنَّها (قرشيُّ النسبِ) فأثبتها كذلك في الطبعة الأولى[6]، ونقلها عنه الأستاذ المصراتي في (مؤرخون من ليبيا) وعنه نقلها الدكتور

---

(1) تاريخ فزان، جمع مصطفى خوجه، حققه وقدَّم له وعلَّق عليه حبيب وداعة الحسناوي، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1979.

(2) محمد الطوير "مكتبة مدرسة مصطفى خوجه الكاتب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بمدينة طرابلس" مجلة الفصول الأربعة (طرابلس) السنة السادسة، العدد 22 (أغسطس 1983) ص 22 – 43.

(3) مخطوطة (شرح البردة) لقاسم بن محمد بن أحمد الحلفاوي، مكتبة الأوقاف (837)، وقد تمَّ وقفها في 17 ذي القعدة 1215هـ.

(4) عمار جحيدر "سجلات المحاكم الشرعية مصدر لتاريخنا الاجتماعي والاقتصادي في العصر الحديث" مجلة تراث الشعب، العدد الثاني، (يناير – مارس (1981) الوثيقة الحادية عشرة.

(5) لاحظ الدكتور محمد الطوير غياب هذه المخطوطة عن ذلك (الجرد السنوي) للمكتبة الذي أُجرى في أول سنة 1263 هـ (1846م) (وستردُ الإشارة إليه في حاشية لاحقة). ويبدو أنَّ المخطوطة قد تسرَّبت قبل ذلك التاريخ، ولا يستبعد أن تكون قد وقعت في يد القنصل الأمريكي فأرسلها إلى بلاده، ونشاط القناصل آنذاك في جمع المخطوطات ملحوظ للباحثين.

(6) أوضح الإشارات، ص 35، 638.

وقد صوَّبها في الطبعة الثانية للكتاب كما أخبرني في رسالته الجوابية المؤرخة في (10/ 2/ 1985).

الحسناوي في مقدمة (تاريخ فزان) والدكتور الطوير في مجلة الفصول الأربعة[1]. وصوابها (قرجي النسب) كما جاء في النموذج المخطوط المنشور بالتصوير من (أوضح الإشارات)[2] وفي أكثر من موضعٍ من مجموعة مخطوطاته الموقوفة الباقية كما سيلي، وهي نسبة إلى بلاد الكُرج (كرجستان) في القوقاز[3]. وكانت هذه النسبة شائعةً في طرابلس لعدد من رجال تلك الفترة (من المماليك)، وأشهرهم مصطفى قرجي (رايس المرسى) وصهر يوسف باشا في أواخر العهد القرمانلي[4]. وهذه النسبة الجديدةُ تبرز حقيقة الوضع الاجتماعي لمصطفى خوجه، إذ تؤكد أنّه من أبناء مماليك تلك الفترة، وربما كان أبوه واسمه (قاسم) قد استُجْلِبَ من ذلك الإقليم ونُسبَ إليه، ويؤكّد ذلك أنْ اسمه في بعض المواضع (قاسم بن عبد الله) وهو أبٌ وهميٌّ كان يُنسبُ إليه مثلُ هؤلاء المماليك مجهولي الآباء آنذاك[5]. أما نسبة (المصري) فهي شهرة لأبيه ولم أقفْ على تعليلٍ لها بعد، ولا أجد (سنداً) ظاهراً لقول الأستاذ الجليل علي مصطفى المصراتي (ينحدر مصطفى الكاتب من أصل مصري وعرف بهذا اللقب، فأُطلق عليه مصطفى المصري)[6]. ولازلنا في حاجة في واقع الأمر إلى مزيدٍ من الوثائق عن ظروف نشأته. وإلى جانب الألقاب التي حملها اسمه (الكاتب، المصري، خوجه)[7] حمل ألقاباً أخرى ذات دلالات مهنية أيضاً، وقد كان من الشائع آنذاك أن تتطور أسماءُ مثلِ هؤلاء المماليك تبعاً لألقابهم الوظيفية[8]، فنجد اسمه (مصطفى بن قاسم كاهية شهر المصري)

(1) عقدت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ندوة عن المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي خلال سنة 1974، ساهم فيها الدكتور عبد الرحيم ببحثه (عبد الرحمن الجبرتي وأحمد شلبي بن عبد الغني: دراسة مقارنة)؛ (نشرت أعمال الندوة بإشراف د. أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة، 1976). وكان الأستاذ المصراتي بين الحضور في تلك الندوة، فنقل ذلك في كتابه (مؤرخون من ليبيا) الصادر سنة 1977 (ص 128) في حين لم يذكره في ترجمته الأولى لمصطفى خوجه في كتابه (لمحات أدبية عن ليبيا) الصادر سنة 1956.

(2) أوضح الإشارات، ص 635.

(3) بلاد الكرج: شرقي البحر الأسود، وقصبتها (تفليس) وعرفت باسم (جورجيا) في تاريخها الحديث. وكان الكُرجيون في الماضي البعيد يدينون بالصابئة، وعرفوا المسيحية في أواخر القرن الثالث الميلادي، كما عرفوا الإسلام في العصر الأموي وأصبحت بلاد الكُرج ضمن الممالك الإسلامية في القرن الثامن الميلادي، وفضلاً عن ذلك كان لهم أيضاً أمراؤهم التابعون للخلافة الإسلامية.. وقد توالت المنازعات بين الصفويين الإيرانيين/ والعثمانيين منذ مطالع القرن (10 هـ/ 16م) فكانت بلاد الكرج وأرمينية تتداولُ، بين الطرفين. انظر:

- شمس الدين سامي، قاموس الأعلام [معجم جغرافي/ بشري بالتركية العثمانية في ستة مجلدات] إستانبول (1306 - 1316) ج 5، (1314) ص 3836 - 3838.

د. أحمد السعيد سليمان (ترجمة وإضافة)، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، القاهرة: دار المعارف، 1972، ص 545.

(4) ويبدو أنّهم كانوا ذوي حضورٍ أيضاً في الإيالات العثمانية المغربية المجاورة، ومنهم - على سبيل المثال- سميُّهُ وعصريُّهُ مصطفى خوجه (ت 1215 هـ/ 1800 م) أحد وزراء تونس في العهد الحسيني، و(أصله من بلاد القرج جاء صغيراً إلى الباشا...إلخ). انظر أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان. ط2. تونس: الدار التونسية للنشر، 1990، ج7 ص 38 - 39.

(5) يرد في أحد سجلات محكمة طرابلس الشرعية على سبيل المثال (خليل باي بن عبد الله عتيق يوسف باشا القرمانلي) وهو من المماليك الأعلاج. اليوميات الليبية، ج 1 ص 192.

(6) المصراتي، لمحات أدبية عن ليبيا، ص 35.

(7) المصدر نفسه.

(8) الفقيه حسن، اليوميات الليبية، ج 1 اليومية 428 (ظهر التنبيه.. على يد سيدي الكيخيا سليم - خازن دار سابقاً) وكذلك اليومية 538.

ي مخطوط نسخه بتاريخ 23 رمضان 1169هـ[1]. ثم (مصطفى خوجه (ابن) القايد قاسم شهر المصري قرجي النسب، تابعية المعظم بالله تعالى سيدي علي باشا القرمانلي .. إلخ)

في عبارة تملك لمخطوط بتاريخ 10 شوال 1174 هـ[2]. ثم (الكاتب مصطفى خوجه بن قاسم بن عبد الله قرجي النسب طرابلسي الدار والقرار حنفي المذهب) في مخطوط نسخه بتاريخ أول شوال 1208هـ[3]. وهو نفس الاسم الذي نجده في آخر نسخته من مخطوطة (أوضح الإشارات) في أواخر ربيع الثاني 1210 هـ. وهذه الألقاب الوظيفية لا يتعمقُ منها بصاحبنا سوى لقب خوجه، وهي كلمة تركيةٌ فارسيةُ الأصل (خواجه) لها معان شتَّى (إمام، معلّم، موظف، سيد، كبير، شريف، وزير.. إلخ) [4]. وقد تقدمَّ أنـه كان كاتباً ومستشاراً لعلي باشا القرمانلي، إذ وُصفَ في وقفية أحد كتبه (1184 هـ) بـ (صاحب إنشاء الدولة العلية العلوية وظهير المملكة القرمانية)[5]. وذكره الرحَّالة المغربي محمد بن عبد السلام الناصري (1196 هـ.) باسم (كاتب الجناب العلي الشان، سراج مملكة آل قرمان... مصطفى بن قاسم المصري خوجـه، وبه عُرِفَ، الحنفيُّ المذهب وبه وُصِفَ). وابتداءً من السنة التالية 1197هـ (1783م) دوَّنت عنه الكاتبة توللي (قريبة القنصل الإنجليزي بطرابلس) في رسائلها الشهيرة عدَّة إفادات جيِّدة بصفته (كبير الوزراء – أو الوزير الأول) وقد أسهبت بفضولها الغربي في رسالتها الأولى، في وصف ملابسه الرفيعة التي تنمُّ عن رفعة شأنه وعلو مقامه[6]. كما نجده أحد الموقعين على إحدى المعاهدات مع دولةٍ أجنبية سنة (1198هـ)[7]. ويقدمه المؤرخ الفرنسي فيرو على أنـه (رئيس الوزراء) أو

(1) مكتبة الأوقاف (1218).

(2) مكتبة الأوقاف (1220).

(3) مكتبة الأوقاف (1233).

(4) انظر بعض الدلالات في:

- ش. سامي، قاموس تركي. استانبول: إقدام مطبعه سي، 1317 هـ.
- د. محمد التونجي، المعجم الذهبي (فارسي – عربي)، بيروت: دار العلم للملايين، 1969 م.

(5) مكتبة الأوقاف، المجموع (882).

(6) توللي، عشر سنوات في بلاط طرابلس (1783 - 1793)، ترجمة الدكتور عبد الجليل الطاهر، منشورات الجامعة الليبية، 1967، ص 68-69. ومن أطرف الإفادات التي قدَّمتها عنه في تلك السنوات الأخيرة المضطربة من عهد سيِّده علي باشا القرمانلي، ما جاء في رسالتها المؤرخة في (10 مارس 1793) عن (دعوة الوزير الأول لعددٍ كبير من النصارى لتناول طعام العشاء في حدائقه التي تبعد ثلاثة أميال عن المدينة..إلخ) ص 488 – 489.

(7) ميكال دي إيبالسا، معاهدة السلم الأولى الإسبانية – الليبية المعقودة سنة 1784 م/ 1198 هـ، ترجمة طه إدريس، مراجعة د. نجاح القابسي. طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1980.

(كبير الأمناء) لعلي باشا القرمانلي[1]. ويبدو أنـه قد تمكّن من الانخراط والترقي في السلك الإداري بواسطة أبيه، الذي تدلّ ألقابُهُ المذكورة أعلاه على تقلّده لعدد من الوظائف. فهو أولاً – واستناداً إلى هذه الإفادات المحدودة التي ليست على سبيل الاستقراء – قاسم كاهية، وهي أيضاً كلمة تركية فارسية الأصل (كتخذا) وتعني (وكيل أو أمين مفوض تسند إليه أمور المخابرات والاتصالات، وكان الكاهية – أو الكيخيا – مستشار الباشا الخاص ونائبه الأول). ثم القايد قاسم، والقايد لقب إداري تسند إلى حامله إدارة إقليم معين (كقايد الساحل والمنشية) أو الإشراف على بعض الطوائف (كقايد اليهود) على سبيل المثال. ثم قاسم آغا، وهي أيضاً كلمة تركية كانت في الأصل بمعنى: كبير، شيخ، طاعن في السن، وتطورت دلالاتها فصارت تعني: رئيس، آمر، كبير وفق ما تضاف إليه، كآغة البابة أو آغة الإنكشارية، ثم جعلت (عنوان شرف) للأمي في مقابل (أفندي) للمثقف. وقد شاعت هذه الألقاب في الحياة السياسية والإدارية في ذلك العهد، وهو ما نجده ماثلاً بوضوح في معجم (اليوميات الليبية) للمؤرخ حسن الفقيه حسن. وكما استفاد مصطفى خوجه من ماضي أبيه على نحو ما استشففنا، فقد مكّن هو أيضاً لمستقبل ابنه عمورة الذي صار "قايداً للساحل" وعُرِفَ بالقسوة والشدة[2].

ويبدو من ترجمة الأنصاري لمصطفى خوجه أنّه استقاها من كتابين هما (المسائل المهمة للمترجم نفسه، و(رحلة) ابن عبد السلام الناصري الأولى (1196 هـ). فأخذ عن الأول أسماء بعض شيوخه، وهم: محمد بن عبد الرحمن الكانوي البرناوي، ومحمد بن سالم الفطيسي، وأضاف إليهما محمد بن عبد السلام بن ناصر صاحب الرحلة التي أخذ منها بقية عباراته.

ومن بين شيوخه الذين أخذ عنهم في (المسائل المهمة) أيضاً: (الفقيه الصوفي حسن السعداوي)[3] و (الشيخ الأكبر العالم الأشهر سيدي عبد العزيز بن حمزة المراكشي) أخذ عنه وكتب الشيخ له ولقّنه بعض النصوص في شعبان 1203 هـ[4]، و(الشيخ عبد المؤمن بن عبد الحميد بن سليمان المخزومي)[5] تلميذ العلامة محمد مرتضى الزبيدي[6]. كما أنّ اسم الشيخ

(1) شارل فيرو، الحوليات الليبية، منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، نقلها عن الفرنسية وحققها بمصادرها العربي ووضع مقدمتها النقدية الدكتور محمد عبد الكريم الوافي، ط2 طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان. 1983، ص 468، 480.

(2) حبيب وداعة الحسناوي (مقدمة' تاريخ فزان، ص 20 - 21.

(3) المسائل المهمة، ورقة 32 – ب، وسترد الإشارة إلى محتوى هذا الكتاب ونسخته الباقية أدناه.

(4) ورقة 142 – ب.

(5) الورقة نفسها.

(6) ترجم الزبيدي لتلميذه في معجمه الكبير (المعجم المختص). ==
انظر: عمار جحيدر "اتصال السند العلمي في ليبيا: تلاميذ العلامة مرتضى الزبيدي (ت 1205 هـ/ 1791) ضمن: أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا: واقعها وآفاق العمل حولها (زليطن 1988). طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1992، ج2 ص 1111 - 1142.

(محمد بن سالم الفطيسي) المنقول في الترجمة هو في الأصل (سالم بن محمد الفطيسي)[1]. على أنه لم يقتبس أيضاً كلَّ ما كتبه ابن عبد السلام الناصري في رحلته عن مصطفى خوجه ومدرسته[2].

2.3 – مُقْتَطَفٌ من كتاب الوقف:

وقبل الاستماع إلى شهادة الناصري، نعود أولاً إلى تلك الوثائق التأسيسية التي دُشِّنَتْ بها هذه المؤسسة الثقافية. فقد أُتيح لمصطفى خوجه إلى جانب ما فُطر عليه من حبٍّ للكتب ونسخها واقتنائها، مكانةٌ سياسيةٌ ممتازةٌ قدَّمته إلى الصفِّ الأول من رَجال الدولة في عهد علي باشا القرمانلي (1167 – 1207 هـ/ 1754 – 1793 م) كما تقدَّم، ومكَّنَ له ذلك في الأرض فكثر ماله واتسعت أملاكه، ولكن ذلك لم يصرفْهُ عمَّا فُطرَ عليه، فآثر به النفعَ العام، وكان يمثّله نظامُ الوقف في الحضارة الإسلامية الذي يستهدف تمويل المُؤسسات الخيرية[3]، إذ (كان الوقف في سبيل الله تعالَى من عظيم النفع الجاري على الدوام.. إلخ)[4]. وكان مما اعتنى به (مصطفى بن قاسم آغا المصري) في هذا الإطار تلك (المدرسة الجديدة الغنية بشهرتها عن التحديد الكاين مكانها بداخل محروسة طرابلس المرعية المحروسة المحمية، فجاءت بعون الله تعالى وتيسيره محكمة البنيان مشيَّدة الأرجاء والأركان بالغةً الغاية لإقامة الصلوات وتعليم العلم بأنواع فنونه من المنقول والمعقولات، تقبَّل الله بفضله عمله..).

وأوقف على مدرسته (خزانةَ كتب قيِّمة) و (شرط ألاَّ تعار ولا يخرج من المدرسة المذكورة ولو كتاب واحد، ما عدا الشيخ المدرسَ بها فله إخراج كتابين من كلِّ فنٍّ للمراجعة والنظر، وكذلك المحبِّس المذكور... له إخراجُ كتاب واحد إذا أراد، بعد أن يقيِّد ذلك بخطِّه بالسجل المحفوظ بها على أنَّ ذلك عنده إعارة، وأمَّا غيرُهما فإنَّما يتناوله في المدرسة المذكورة فقط، وشرط أيضاً – ضاعف الله تعالى أجره.. في كل رأس عامٍ أن يحضر الشيخ المدرس بها والناظر ويتفقدا

(1) ورقة 140 – ب.
وقد نسبت إليه خطأً إحدى مخطوطات 'الأوقاف (818) وجعلت بعنوان (فوائد أبو القاسم العبدوسي في الأمان والتحصين من آفات الزمان) أخذاً مما جاء بأوله (ومما أفادنا به بعض الأخوان وهو الشيخ الإمام العالم العامل المحرر سيدي سالم بن محمد بن الفطيسي أمنه الله تعالى.. إلخ) والمخطوط مجموع به رسائل ونقول شتى، ولا يوجد من الرسالة الأولى التي أخذ منها المؤلف والعنوان سوى ثلاث ورقات، وقد أوقفه مصطفى خوجه على مدرسته أيضاً، وقد يكون من بين مصادره في المسائل المهمة.

(2) ومن الغريب أيضاً أنَّه جعل ما اقتبسه من هذه الرحلة في موضعين من كتابه نفحات النسرين، ص 157 – 158، 162. وهذا مما يدل على حالة (التقميش) في نفحات النسرين، ويؤكد أنَّه (مخطوط تكويني) كما تقدمت الإشارة أعلاه.

(3) د. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا. ط2 بيروت: دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 1968، 121 – 128. وحول هذا الموضوع انظر أيضاً: ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي. بغداد: معهد البحوث والدراسات العربية، 1983، 258 ص. وقد تعددت الدراسات والندوات العلمية حول هذه المؤسسة الثرية القيمة التي اضطلعت بجلِّ الخدمات التعليمية و الثقافية و الاجتماعية في العالم الإسلامي. ويتجدَّدُ اليومَ الخطابُ البحثي في دراستها من منظور أشمل . انظر على سبيل المثال: د. إبراهيم البيومي غانم "معالم التكوين التاريخي لنظام الوقف: اجتماعياً واقتصادياً ومؤسسياً" مجلة أوقاف (الكويت) العدد التجريبي (شعبان 1421هـ/ نوفمبر 2000 م) ص 57 - 72.

(4) من عبارات الافتتاح في الوقفية، وقد دُوِّنت تلك الوثائق، نقلاً عن أصولها الأولى، بأحد سجلات محكمة طرابلس الشرعية للتوثيق خوفاً من ضياع الأصل ونحوه، واستفاد الدكتور حبيب وداعة الحسناوي من هذه الوثائق في ترجمة مصطفى خوجه التي حرَّرها في مقدمته (لتاريخ فزان) ونوَّه بأهميتها هناك.

الكتب المذكورة وتحتسب وتنفض وترجع في خزائنها ومحلها[1]... وأذن المحبِّس المذكور للفقيه الأبر الإمام العالم سيدي محمد بن عبد الكريم بن مكرم[2] شيخ المدرسة المذكورة في تاريخه في قبول ذلك وحوزه للمدرسة المذكورة، فقبل ذلك منه لها قبولاً تاماً وحازه لها حوزاً صحيحاً شرعياً... غرّة محرم 1188هـ/ 1774م). وواقع الأمر أنَّ هذا التاريخ لا يمثّل بداية الوقف، إذْ كان الواقفُ منذ تأسيس مدرسته (1183هـ) [3] يقف ما تيسَّر له من الكتب أولاً بأول فيما يبدو، ويضع على كلِّ كتاب يقفه عبارة (وقف مصطفى خوجه على مدرسته) كذا بإيجاز، أو تُدوَّنُ في أوّله وثيقة الوقف كاملةً بحضور الواقف وناظر الوقف والعدول. ويبدو جليّاً أنَّ هذه الوقفية العامة، أو (كتابَ الوقف) كما كان يُعْرَف قديماً[4] قد صيغ من خلال تلك الوثائق المُفردة، وهو ما نلاحظُهُ من خلال المثل التالي الذي ننقله عن إحدى المخطوطات الموقوفة:

نصٌّ وقفيٌّ مفرد:

(الحمد لله. حبَّس الفاضلُ السريُّ والكاتب السيِّدُ مولانا مصطفى خوجه بن قاسم المصري صاحب إنشاء الدولة العليَّة العلوية وظهير المملكة القرمانية[5]، رغبةً في الثواب واستعداداً لأهوال الحساب، و(رجا) الدخول في عداد أولى الصدقات الجارية، وتزوُّداً من الفانية للباقية، على مدرسة المسجد الذي بناه، والجامع الّذي أسَّسه وأنشاه، بجوار دار سكناه، (في) داخل المحوطة الطرابلسية – حرسها الله من الأعادي و(كفاها) ضير (الحاضر) والبادي – جميع هذا السفر المجلّد، و(أجراه) مجرى الوقف المؤبّد، فلا يُعَدَلُ به عن قبله أو يُبدَّل عن سبله، إلى أنْ يرثَ الله الأرض، ويطوي كالسجل طولها والعرض، وشرطَ أن لا يخرجه أحدٌ من المكان، أو (يبرزه) عن المبان، سوى مدرِّسها فله من كلِّ فنٍّ إخراجُ سفرين للمراجعة في أي حين، بعد أن يرسم في الدفتر ببنانه أنها عارية وفي ضمانه، وأمّا غيره ممن تأهَّل للمطالعة أو الكتابة والمراجعة فإنما يتناوله في المحل المذكور، وكتابة اسمه في المسطور، فمن سعى في تغييره أو (أجراه) على غير مصيره، حلَّ به الندم والشجون في الحياة وبعد المنون، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون. وقد أذن الواقف للشيخ المعظَّم

---

(1) الواقع أنَّ الدكتور محمد الطوير لم يعدْ إلى هذا الأصل الأول للوقفية الذي دُوِّنَ بسجل المحكمة الشرعية للتوثيق في تاريخ متأخر، وإنَّما عاد إلى (جردٍ سنوي) مثبت بأحد السجلات في أول السنة (كما شرط الواقف أعلاه) ومصداق ذلك ملاحظته التالية: (إنَّ الوقف قد سجل بسجل المحكمة الشرعية بطرابلس دون تاريخ، ولكن ما كتب في أول الورقة بالسجل الذي يخص قضية أخرى كان بتاريخ 3 محرم 1263 هـ الموافق 23 ديسمبر 1846 م عقب وفاة مصطفى خوجه بحوالي 48 سنة ، ومعنى هذا أنَّ المكتبة قد تغيَّرت حالتها إمَّا بزيادة عدد الكتب أو النقصان، وهو المعتقد لدي بسبب عدم ذكر كتاب تقييدات الرحلة الخاصة بواحة غدامس (كذا) وكتاب (أوضح الإشارات فيمن تولى مصر من الوزراء والباشوات) مجلة الفصول الأربعة، العدد 22 (أغسطس 1983) ص 28.

(2) لقيه الرحالة الناصري في رحلته الأولى (1196 هـ) وأخذ منها الأنصاري ترجمته في نفحات النسرين، ص 158 – 159.

(3) تاريخ تأسيسها مع المسجد مأخوذ عن لوحتها الرخامية. المصراتي، لمحات أدبية عن ليبيا، ص 37.

(4) نجد نماذج من ذلك لدى د. محمد محمد أمين، فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك 239 - 922 هـ/ 853 - 1516م) مع نشر وتحقيق تسعة نماذج. القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1981. ص 425.

(5) الظهير المعين. ويبدو أنَّ محرر الوثيقة قد مال إلى صواب النسب في العربية إلى (قرمان). بدلا من الصيغة الشائعة آنذاك جداً بإلحاق المقطع (لي) على أسلوب النسب في اللغة التركية (قرمانلي).

سيدي محمد بن مكرم، المعدّ لتدريسها من لدن تأسيسها، ولناظرها البرّ المطيع الحاج محمد بن عبــد السميع، في قبول ذلك منه وحوزه بالواجب عنه، فقبلاه بلا توان وحازاه فوراً بالعيان. يشهد عليهم بما فيها، من عرفهم بكمال معرفة لا إيهام يعتريها، بأنّ الواقف، لم يخرج عن ملكه في علمي ما ذكر بمنافٍ إلى أن بَتّلَ فيه الإيقاف، وفي السادس من محرم الحرام سنة أربع وثمانين وإحدى عشر من المبين، (مصلحاً رجا) عبيد ربه محمد بن محمد الشريف العربي – كان الله لهم بمنّه – والفقير لربه سبحانه وتعالى علي ابن عبد الرحمن الزاوي الحنفي – كان الله لهما بمنّه وكرمه آمين)[1].

كما أوقف عليها، في تواريخ متعددة أيضاً، أوقافاً جمّةً من العقارات والأشجار بجهات مختلفة، ليصرف ريعها في (منافع المدرسة المذكورة، من حصرها وزيت سرجها، ورزق إمامها ومؤذنها والقيّم عليها والملاّيء (كذا) لماء المتوضين فيها، وساير ما تحتاج إليه المدرسة المشار إليها من نحو قنديلٍ ومصباح وترميم وإصلاح، وقد عَيَّنَ المحبِّسُ المشار إليه – دام موفقاً للخير معاناً عليه – للإمام الراتب بالمدرسة المذكورة المقرئ المدرس للعلم بها ستين ريالاً، ولكلّ واحدٍ من الأربعة طالبي العلم الذين بالأربعة خلوات عشرة ريالات، ولمؤدِّب أطفال المسلمين بالمَكتب المحادي للمدرسة المذكورة عشرة ريالات. الجميع في كل شهر، وشرط المحبِّس المذكور – ضاعف الله له الأجور – على طلبة العلم الآخذين للوظيف[2] المسطور ألاّ يتخلّفَ منهم أحدٌ عن الدرس والقراية على شيخها، اللهم إلا أن يكون له عذر بيّن كمرضٍ واشتغالٍ بحرثٍ أو زرعٍ فلا بأس عليه في ذلك، وقدره شهران في كلّ واحد من الفصلين، فإن انقضى الشهران ولم يأت فيتلوّم له بنصف شهر رجاءً لمجيئه، فإن أتى فذاك، وإلا عُزِلَ وولّى الشيخُ المدرسُ غيرَه ممّن يراه (أهلاً) لذلك. وأمّا أجرة ملاّءِ الماء والمؤذن بها والقيِّم بشؤونها فأجره ما يراه الناظر من رخاءٍ وغلاءٍ بحسب الوقت، وجعل المحبّس – حفظه الله – النظارة في جميع ذلك لمن هو أهل لذلك في ذرية صلبه.. إلخ).

وفي هذه الفقرات ما ترى من ضبط وإحكام، في نظام المكتبة، ونظام المدرسة، ونظام الصرف[3]. وتتكوّن وقفيةُ مصطفى خوجه – حسبما دُوِّنَتْ في سجل المحكمة الشرعية – من

---

(1) مكتبة الأوقاف، أول المجموع (882).

(2) كان هناك طلبة موظفون (أي بمنحٍ دراسية) وطلبة غير موظفين (بلا منح)، وقد استمر هذا النظام في مدارس الأوقاف حتى وقت قريب. انظر الحاشية التالية.

(3) كانت هذه الوثيقة فيما يبدو، مع وقفيتي عثمان باشا وأحمد باشا، مصدراً أولياً (للقانون الأساسي لمدارس الأوقاف) الصادر عن مجلس الأوقاف بطرابلس في 21 مارس 1920، خلال عهد الاحتلال الإيطالي البغيض، وقد جاء تنظيم تلك المدارس اهتماماً بالتعليم الأهلي، وبالمحافظة على حق استغلال أموال الوقف.

انظر: عمار جحيدر "مدارس الأوقاف في عهد الاحتلال الإيطالي" مجلة الشهيد (طرابلس) العدد الثاني (1981)، ص 126 – 139.

مجموعتين من (الأوراق المتصلة بالرقّاص المعتاد) [1] تخصُّ أولاهما العقارات والأشجار وما إليها، وتتعلق الثانية بالمكتبة. وقد نازع الواقفُ في الحالتين ناظرَ وقفه، راغباً الرجوع فيه، والناظرُ يريد ثبوتَــهُ وإمضاءَهُ، وترافعا بذلك إلى القاضي الذي حكم بصحَة الحبس وبطلان الرجوع وأشهد على نفسه بذلك. ويبدو أن هذا الإجراء الشكلي كان من (الحيل الفقهية) لتأكيد الوقف وتوثيقه[2]. وقد نُقلَتْ المجموعتان وتمّت المقابلة والإشهاد عليهما في أواسط شوال 1204 هـ (1790م). ويبلغ حجم المكتبة في هذه الوقفية (أو كتاب الوقف) نحو 245 مخطوطاً[3]، إلا أنّ بينها بعض المجاميع التي تضمُّ أكثر من عنوان واحد. كما أنّ المحبِّس لم يتوقف في تزويد مكتبته – أو وقف العقار على مدرسته – عند تاريخ الوقفية العامة أو كتاب الوقف (1188هـ) وإنما استمر في النسخ والوقف حتى السنوات الأخيرة من حياته (1214 – 1215هـ) كما لاحظنا أعلاه عند مناقشة تاريخ وفاته، فمن بين المجموعة الباقية من مكتبته نحو 36 مخطوطة موقوفة بعد ذلك التاريخ أيضاً[4].

3.3 – شهادةُ الرحّالة الناصري:

بعد بضع سنوات من تحرير هذه الوثيقة يزور المدرسة الرحّالة المغربي محمد بن عبد السلام الناصري (ت 1239 هـ/ 1823 م)[5] في رحلته الأولى سنة (1196 هـ/ 1781) ويبدو أنْ

---

(1) الرقّاص: التعقيبة في الاستعمال المغربي. انظر: أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، ص 178. أمّا الوراقون المشارقة فقد عرفت تلك (الأدلة) لترتيب أوراق المخطوط لديهم باسم (التعقيبات) التي عرفت أيضاً في بعض اللغات الأخرى خلال العصر القديم، ثم اختفت وظهرت من جديد حتى ظهور الطباعة. انظر مناقشة الدكتور أحمد شوقي بنبين لهذه المسألة (الكوديكولوجية) في بحثه الموجز "التعقيبة في المخطوط العربي" ضمن كتابه: دراسات في علم المخطوطات والبحث البيبليوغرافي، ص 147 – 155.

(2) الخلافات الفقهية في الوقف كثيرة، انظر على سبيل المثال:
- إبراهيم بن موسى الطرابلسي، الإسعاف في أحكام الأوقاف، بيروت: دار الرائد العربي، 1981 (طبعة مصورة).
- د. عيسى زكي "موجز أحكام الوقف" مجلة أوقاف (الكويت) العدد التجريبي (شعبان 1421 هـ/ نوفمبر 2000 م) ص 13 – 28: "وذهب أبو حنيفة إلى أنّ الوقف غيرُ لازم فيجوز للواقف الرجوع في وقفه إلاّ في حالتين: أن يقضي القاضي بلزوم الوقف، وأن يكون الوقف مسجداً". ص 18. ومن الجليّ أنّ (الواقف) مصطفى خوجه كان (حنفياً).
وقد وقفتُ بسجلات المحكمة الشرعية أيضاً على نظيرة أخرى لهاتين الحالتين مما يؤكد إطراد هذا الأمر كإجراء توثيقي. وعن (الحيل الفقهية) انظر على سبيل المثال: محمد بن إبراهيم، الحيل الفقهية في المعاملات المالية. الدار العربية للكتاب، ص 344 وما يليها.

(3) خلافاً لقول الدكتور حبيب وداعة الحسناوي أنها تربو على خمسمائة مخطوط. تاريخ فزان، ص 22.

(4) عند ضم مكتبة الأوقاف إلى مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (1984) كنت بين أعضاء اللجنة التي شُكّلتْ لجردها، وقد قمت مع الزميل إبراهيم سالم الشريف بحصر مجموعة المخطوطات التي بالمكتبة، وهي تزيد عن 1300 مخطوط، وكانت تلك المناسبة فرصةً سانحةً لمعاينة ما تبقى من مكتبة مصطفى خوجه، وكان الاهتمام بدراستها ونشر وثائقها يشدّني إليها قبل ذلك، ويبلغ ما وقفت عليه منها نحو (160) مخطوطة، وكنت أملي على زميلي من الرفوف عناوين المخطوطات وأسماء المؤلفين، مع التركيز على المخطوطات الموقوفة من قبل مصطفى خوجه والإشارة إليها في خانة الملاحظات من قائمة الحصر. ولازلتُ أمنّي النفسَ بدراسةٍ أوسع عن مصطفى خوجه ومؤسسته الثقافية في العهد القرمانلي.

(5) عالم طُلَعَةٌ شغوفٌ بالكتب والآثار العلمية، وتعدُّ رحلته الأولى أهمَّ الرحلات المغربية وأكثرها رصداً للحياة الثقافية (في العهد القرمانلي). حلاّه الكتّاني في فهرس الفهارس (ج 2 ص 843) بقوله: "أعلمُ علماءِ البيتِ الناصريِّ بالفقه والحديث، وأوسعُهُم رواية وأجسرُهُم قلماً، وأعلاهم إسناداً". وانظر أيضاً: د. محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075 – 1311 هـ/ 1664 – 1894م) الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1977، ص 368 – 377.

المكتبة قد شهدت ارتفاعاً في (معدّل التزويد) خلال تلك السنة، فقد دخلتها – استناداً إلى المجموعة الباقية منها وحدها – نحو 23 مخطوطة. وما كَتَبَهُ الناصري عن مصطفى خوجه ومدرسته شهادةٌ ممتازةٌ من عالمٍ قدير، جاءت بعد تأسيس المدرسة (1183هـ) بسنوات قلائل، وهو ما يدعونا إلى نشرها كاملةً لأول مرة في ليبيا، وقد سبق نشرها ملخصةً في المغرب[1].

يقول الناصري[2]: (... ومنهم حاتم الوقت في أوانه، محط رحال[3] أهل الدّين والخير في زمانه، كاتب الجناب العلي الشان[4] سراج مملكة آل قرمان، لازال في عزّ وأمان، بجاه المختار من مضر وعدنان، سيدنا مصطفى بن قاسم المصري، خوجه وبه عرف، الحنفي المذهب وبه وصف، كان من سيرته الحميدة ومآثره المجيدة أنّه ابتنى جامعاً ومدرسةً، وأوقف عليها كتباً جمّة، وجعل بها مرتباً لمن يناولها من الطلبة، وما سمع بكتاب يراد للبيع إلا اشتراه، ويبعث حتى لمصر والحجاز وإفريقية وما والاه، ولا بتأليف من تآليف علماء الزمان إلا واستنسخه ولو بأغلا الأثمان، تراه يكتب بيده، ويستأجر غيره منْ نساخ بلده، وكان مما استنسخه لنا طالباً أجره من خالقنا (ابن الشاط على فروق القرافي) [5] و(الوانوغي على المدوَّنة)[6] و (زرُّوق على البخاري)[7] و (الشيخ عبد الغني النابلسي على إضاءة الدجنّة بشرح عقائد أهل السنّة للمقّري)[8] و (حواشي أبي البقاء يعيش الفاسي داراً على شرح ميارة على التحفة)[9]. وتركتُهُ بعد مفارقة البلاد رجوعاً من الحرمين يستنسخ لنـــا من النكاح إلخ من (تكميل التقييد لابن غازي على المدونة)[10] و (حواشي أبي زيد

---

(1) العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حلَّ مراكش وأغمات من الأعلام، نشرة عبد الوهاب بن منصور (مؤرخ المملكة المغربية) ط2، الرباط: المطبعة الملكية، 2001، ج 6، ص 208، ضمن ترجمة الرَّحالة الناصري المطوَّلة (192 – 217).

(2) للناصري رحلتان، كبرى (1196 هـ/ الخزانة الحسنية 5658) وصغرى (1211 هـ/ الخزانة الحسنية، 121) الرباط. وقد مكّنني الأستاذ الجليل خليفة محمد التليسي – مشكوراً – من الاطلاع على صورة لديه للقسم الخاص بليبيا من الرحلة الأولى عن نسخة الخزانة العامة بالرباط وأذن لي بنسخها، ثم طوقني الأخ المغربي الكريم الدكتور إمحمد بن عبود بفضله السابغ فبعث لي بنسخةٍ مصوَّرةٍ على الميكروفلم لكلتا الرحلتين، فليأذن لي بالتعبير الصادق عن امتناني العميق.

(3) في نشرة نفحات النسرين، ص 162: محي رجال.

(4) في المصدر نفسه: الشاعر!.

(5) قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط الأنصاري الاشبيلي (ت 723 هـ/ 1323 م) من آثاره (أنوار البروق في تعقب مسائل القواعد والفروق). عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين ج 8، ص 105 (الأوقاف مخطوطة 336).

(6) أبو عبد الله محمد بن أحمد الوانوغي التونسي نزيل الحرمين الشريفين، توفي بمكة (819 هـ/ 1416 م). له طرر على المدونة في غاية الجودة. محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ص 243.

(7) أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق. ولد بفاس وتوفي بمصراتة (899 هـ/ 1493م) من آثاره الكثيرة تعليق على البخاري. المصدر نفسه، ص 267 – 268 (الأوقاف، مخطوطة 235).

(8) عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت 1143 هـ/ 1731 م) كحالة، نفس المصدر، ج 5، ص 271 - 272، وأحمد بن محمد المقرى (ت1041 هـ/ 1631 م) المصدر نفسه، ج 2، ص 78، مخلوف، شجرة النور، ص 300.

(9) محمد يعيش الفاسي (ت 1150 هـ/ 1737 م) من آثاره (حاشية على شرح ميارة) كحالة، نفس المصدر، ج 12، ص 120، محمد بن أحمد بن محمد الفاسي الشهير بميارة (ت 1072 هـ/ 1662 م) من آثاره (الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام لابن عاصم في الأحكام) المصدر نفسه، ج 9، ص 14.

(10) محمد بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني المكناسي الفاسي (ت 919 هـ/ 1513م) من آثاره (إتحاف ذوي الذكاء والمعرفة بتكميل تقييد أبي الحسن وتحليل تعقيد ابن عرفة) علّق به على المدوَّنة في ثلاثة أسفارٍ ضخام، متتبعاً سقطات شارحيها الشهيرين أبي الحسن الزرويلي المغربي (ت 719 هـ/ 1319 م) وابن عرفة التونسي (ت 803 هـ/ 1400 م). المصدر نفسه، ج9 ص16، د. محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، الرباط: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977، ج 1 ص 144.

العارف على البخاري)[1] و (الأبيّ على فروق القرافي)[2] فلما وصلنا البلاد بعثها لنا مع الركب الفاسي – تقبّل الله منه – وأتحفنا بزيادة على (شرح الشيخ ابنِ زكري الفاسي على نصيحة الشيخ زروق)[3] في سفرين، فجزاه الله عنّا وعَن سائر المسلمين خيراً – إذْ عادتُهُ هذه مع كلّ من مرَّ به مشرّقاً أو مغرّباً، ..[4] أدخلنا بيته ومدرسته، وبالغ في القرا (كذا) وأراني كتبه، فكان مما استغربته (!) لديه (نوازل ابن عظُّوم القيرواني)[5] في مجلدين، وأوقفنا على (شرح أبي الحسن علي بن إبراهيم بن إدريس بن يعقوب الأنطاكي على البردة)[6] في عدّة أجزاء ضخام، وعلى (بشائر أهل الإيمان بفتوح آل عثمان) لكاتب الإنشاء بالحضرة التونسية وترجمان أميرها حسين باي بن علي، من أهل أواخر القرن الحادي عشر في مجلدين من الكبير، قال: والكتاب مؤلّفٌ قبله بالتركية، فعرّبه و(استطــرد) علماءَهم إلى زمانه[7]، وعلى (الحلل السندسية في الأخبار التونسية) لمؤلّفها محمد بنِ محمد بن محمد بن أحمد بن مصطفى الوزير الأندلوسي (كذا) نسباً المالكي مذهباً الأشعري اعتقاداً الشاذلي لياذاً التونسي ميلاداً (كتبــه) في سنة الأربعين في قرننا هذا، في ثمانية[8] أسفار من الكبير، وهو كتابٌ جليل في بابــه)[9].

يؤكّد هذا النصُّ القيِّم عناية مصطفى خوجه بالنشر – إلى جانب ما تضطلع به مدرسته ومكتبتها العامة – فقد أهدى لهذا العالم المغربي وحده تسعة عناوين (مخطوطة) من خيار الكتب الرائجة آنذاك (وهذه عادته مع كل من مرّ به مشرقاً أو مغرِّباً)، فضلاً عمَّا (استغربه) لديه منها. وقد نُسِخَتْ له هذه الكتب (احتساباً) بغير مشقة، وأُلحقت الثلاثة الأخيرة منها بالبريد (مع الركب الفاسي).

4.3- نماذج من المخطوطات الباقية:

وفضلاً عمّا نوّه به الناصريُّ من نفائس المكتبة، فقد ضمّت أيضاً عناوين أخرى مما لا يزال باقياً منها (في سياق تراتبي) لوفيات المؤلّفين:

---

(1) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي "العارف" (ت 1036 هـ/ 1626 م) من آثاره حاشية على البخاري. د. حجي، نفس المصدر، ج2 ص 366، مخلوف، نفس المصدر، ص 299.

(2) محمد بن خلفة بن عمر الوشتاتي الأبي (ت 828 هـ/ 1425 م). محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين. بيروت 1982، ج1، ص 46 – 50، كحالة، ج 9، ص 287.

(3) محمد بن عبد الرحمن بن زكري المغربي الفاسي (ت 1144 هـ/ 1731 م). كحالة، نفس المصدر، ج 10، ص 140.

(4) عبارات دعاء لم أتمكن من قراءة بعض كلماتها في النسخة المصورة.

(5) بلقاسم بن محمد مرزوق بن عبد الجليل.. ابن عظوم القيرواني (ت 1013 هـ/ 1605 م) محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج3 (بيروت 1984) ص 401 – 403.

(6) لم أقف على ترجمته؟.

(7) مؤلفه حسين خوجه، وقد نشر الكتاب بتحقيق وتقديم الأستاذ الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، 1975م.

(8) في تلخيص العباس بن إبراهيم للرحلة في الإعلام، ج6 ص 208: ثلاثة، والصواب ما ذكر أعلاه.

(9) نشرهُ الأستاذ محمد الحبيب الهيلة. تونس 1970 – 1973.

1. رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ت 386 هـ/ 996 م)[1] في الفقه المالكي.
2. العمدة لابن رشيق (ت 463 هـ/ 1071 م)[2].
3. كفاية المتحفظ – في اللغة – لابن الأجدابي[3] (ق 5 هـ).
4. قلائد العقيان للفتح ابن خاقان (ت 535هـ/ 1141 م)[4].
5. كتاب الفلاحة لابن العوام الإشبيلي(ت 540هـ/ 1145م)[5].
6. الذخيرة – في الفقه المالكي – لأحمد بن إدريس القرافي (ت 684 هـ/ 1285م)[6].
7. وفيات الأعيان لابن خلكان (ت681 هـ/ 1282م) [7].
8. ريحان الكتاب للسان الدين ابن الخطيب (ت 776 هـ/ 1374م) [8].
9. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عربان الزمان للقلقشندي النسّابة (ت 790 هـ/ 1388م)[9].
10. حياة الحيوان للدميري (ت 808 هـ/ 1405م) [10].
11. القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت 817هـ/ 1414م) [11].
12. ثمرات الأوراق في المحاضرات لأبي بكر بن حجّة (ت 837 هـ/ 1434 م) [12].
13. تاريخ الزركشي (كان حياً بعد 882هـ/ 1477م) [13].
14. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (ت 923 هـ/ 1517م)[14].
15. شرح يحيى الشاوي الجزائري (ت 1096 هـ/ 1685م)[15]، على ألفية ابن مالك.

---

(1) كحالة، نفس المصدر، ج 6، ص 73، والمخطوطة تحت رقم (688).
(2) نفسه، ج3، ص 225 (تحت رقم 1172).
(3) نفسه، ج 1، ص 13 – 14 (تحت رقم 922) حالته رثة. جعل كحالة وفاته (قبل 600 هـ/ 1203 م)والصواب أنّه من رجال القرن الخامس الهجري كما تقدم أعلاه في الجدول التحليلي للمخطوطات في رحلة التجاني.
(4) نفسه، ج8، ص 49 (تحت رقم 1156).
(5) نفسه، ج 13، ص 222 (تحت رقم 1127).
(6) نفسه، ج 1، ص 158 (تحت رقم 495).
(7) نفسه ج2، ص 59 (تحت رقم 1229، 1230).
(8) نفسه، ج 10، ص 216 (تحت رقم 1167).
(9) نفسه، ج 7، ص 10، (تحت رقم 1210).
(10) نفسه، ج 12، ص 65 – 66 (تحت رقم 1131 الخامس؟).
(11) نفسه ج 12، ص 118 (تحت رقم 916).
(12) نفسه، ج3، ص 67 (تحت رقم 1155) حالته رثه.
(13) نفسه، ج8، ص 214 (تحت رقم 1232).
(14) نفسه، ج2، ص 85 (تحت رقم 170 – 176).
(15) نفسه، ج 13، ص 227 (تحت رقم 937).

16. حاشية معاصره الصبّان (ت 1206 هـ/ 1791م)[1]، على شرح الأشموني على الألفية، وقد دخلت المكتبة في نفس السنة (غرة محرم 1196 هـ) والمؤلّف بقيد الحياة.

وبهذه الشهادة للرحّالة الناصري، وسواها من القرائن، لا تخرجُ طرابلس عن نطاق أخواتها العربيات في حياتها الفكرية، مع ما يظهرُهُ اختلافُ البيئات من تفاوت نسبي، ففي نفس السنة التي أوقف فيها مصطفى خوجه مكتبته العامة على مدرسته (غرة محرم 1188 هـ) كانت مكتبةٌ مماثلةٌ أكبرُ حجماً تُؤسَّس في القاهرة، وهي مكتبة محمد بك أبي الذهب (تاريخ وقفها 8 شوال 1188 هـ)[2]. ويمكن القيامُ هنا بإجراء دراسة نقدية على مكتبة مصطفى خوجه على غرار تلك الدراسة التي أجراها الدكتور عبد اللطيف إبراهيم على مكتبة أبي الذهب، للخروج بنتائج مقارنة.

5.3- عودٌ إلى المؤسِّس (الأفق الثقافي):

يبدو جلياً أنّ مصطفى خوجه بدأ نشاطه الثقافي ناسخاً (ورّاقاً محتسباً غير متكسّب؟) فكان ينسخُ بيده، ويستأجرُ نسَّاخ بلده، وبين مجموعته الباقية عددٌ من المخطوطات بخطِّه، وقد أفضى به نشاطُهُ في النسخ وشغفُهُ بالاقتناء إلى تأسيس تلك المكتبة. ولذلك غَلَبَ روحُ النسخ عليه حتى في مؤلّفاته الذاتية، فكانت أدنى إلى الجمع منها إلى الدراسة. فكتابه الأول (تاريخ فزان) كما جاء في أوله (مستخرجٌ من بعض تواريخ طرابلس الغرب)، وهو منشورٌ أخيراً، ولا يقدّمُ جديداً كثيراً في بابه. أمّا كتابه الثاني المخطوط الضائع العائد (المسائل المهمَّة والفوائد الجمّة فيما يطلبه المرء لما أهمّه) فهو في الجملة غثّ المحتوى، وكأنّه موجّهٌ للعامة أكثر من نفعه للعلماء، وهو يهتم بأمور يمكن أن نصفها بالاهتمامات الاجتماعية كالحفظ، وتيسير الولادة، وموانع الحمل، وطردَ السباع، والحفظ من السوس، وغيرها من الأمور الكثيرة كثرة ظاهرة، وهو ما نلمسه من فهرسه الذي افتتح به الكتاب وذكر في مستهلّه الفصول والأبواب[3]. وقد ضمَّ الأستاذَ المصراتي (مصطفى خوجه) إلى كتابه (مؤرِّخون من ليبيا) – قبل أن يُنشر تاريخ فزان – لقيامه بنسخ كتابين تاريخيين حفظهما من الضياع، هما (دفتر غدامس) الذي نقله من (زمام البلدة) وهو يتعلّق بعوائدها وتاريخها، نسخه سنة (1181 هـ) ووصلت نسختُهُ إلى المكتبة الوطنية بباريس[4]،

---

(1) نفسه ج 11، ص 17 – 18 (تحت رقم 935).

(2) د. عبد اللطيف إبراهيم "مكتبة عثمانية: دراسة نقدية ونشر لرصيد المكتبة" مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة، مج 20، ج2 (ديسمبر 1958) ص 1 – 35.

(3) لقد ضاعت النسخة الأصلية من المخطوط التي كانت بمكتبة الأوقاف منذ سنوات في ظرف غير معروف (؟)، وسررت بوجود نسخته المصوَّرة بين المجموعة التي صورتها بعثة اليونيسكو على الميكروفلم (1962) واطلعت عليها فور الوصول إليها (28/ 5/ 1986) إلا أنّني أصبت بخيبة الأمل في الكتاب، وكنتُ أتوقعُ أن أجد فيه بعض النقول الجيدة المتصلة بالحياة الفكرية، وبلقائه ببعض العلماء، ولكن ذلك قليل جداً.

انظر أيضاً: المصراتي، لمحات أدبية عن ليبيا، ص 38.

(4) انظر حولها:

- المصراتي، مؤرخون من ليبيا، ص 129 – 142.
- حبيب وداعة الحسناوي "حملة رمضان باي على غدامس سنة 1018 هـ/ 1609 م كما يصورها مخطوط غدامس، مجلة البحوث التاريخية، السنة الأولى – العدد الأول (يناير 1979) ص 69 – 81.

(أوضح الإشارات) لأحمد شلبي عبد الغني المذكور أعلاه الذي بقيت نسخته الوحيدة بخطّه 1210 هـ) ووصلت إلى جامعة ييل بالولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا نجدُ أنّ مصطفى خوجه الناسخ – الناشر أهمُّ من مصطفى خوجه المؤلّف!.

ولم يقتصر نشاط مصطفى خوجه في نشر المعرفة على مدينة طرابلس وحدها، وإنما جاوزها أيضاً إلى العناية بجهات أخرى، إذْ لا تزال بين بقايا مخطوطاته بمكتبة الأوقاف خمسُ مخطوطات أوقفها على (زاوية القايد عمورة فلمنق بجترور) الواقعة إلى الغـــــرب من طرابلس بنحو 20 كم[1]. وقد مرَّ بها الرحالة الجزائري الحسين بن محمد الورثيلاني في حياة مصطفى خوجه، عند حجته الثالثة (1179 – 1180هـ) فقال: (وأمّا قايد عمورة فقد خرج عن أجناسه من العمال إذ بنى مدرسةً عظيمةً متقنةً ما رأيت أظرف منها وأحسن من صنعتها، وجعل فيها بيوتاً متعددة ومطهرةً طيبةً ومسجداً في غاية يستحسنه الناظر، وجعل أيضاً بيتاً للتدريس، وغرس النخل الجيّد وحبّسها على المدرسة، وزاد أحباساً عليها عظيمة. وحاصل خدمته إنّما هي على طلبة القرآن وطلبة العلم، بأن جعل معلماً للقرآن ومعلماً للعلم... إلخ)[2]. وقد دعمها مصطفى خوجه بتلك المخطوطات وغيرها في إطار جهوده المشكورة في نشر المعرفة[3].

---

(1) أثبتها باختصار فيما يلي (عيّنةً باقيةً) من مصادر تلك المدرسة:

1. عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان، عبد اللطيف المسبح المرداسي (الأوقاف 539) تاريخ الوقف 18 شعبان 1207هـ.
2. شمس المعارف ولطائف العوارف، أبو العباس أحمد البوني (الأوقاف 748)؟
3. شرح البردة المسمى المنح الرحمانية شرح الكواكب الدرية، قاسم بن محمد الحلفاوي (الأوقاف 837) 7 ذي القعدة 1215 هـ، وهي من نسخه 21 ربيع الثاني 1214.
4. موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، خالد الأزهري (الأوقاف 1022) 5 ذي الحجة 1207 هـ.
5. حاشية على متن مقدمة الأجرومية، يوسف الفيشي (الأوقاف 1043) أواخر صفر 1211 هـ وهي بخطه.

كما عثر الزميل الباحث الأستاذ مختار الهادي بن يونس على بضع مخطوطات أخرى، مما أوقفه مصطفى خوجه على مدرسة جنزور، ببعض المكتبات الخاصة في بني وليد:

6. رسالة في النحو (عوامل الجرجاني) 40 ورقة، خط مشرقي، تاريخ الوقف أواخر صفر 1211 هـ.
7. حاشية أبي الحسن على العدوى الصعيدي على كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني. مبتورة الآخر، منها 51 ورقة. تاريخ الوقف 21 ذي القعدة 1215 هـ.

(2) الورثيلاني، نزهة الأنظار، ص 131، وذكرها في الإياب أيضاً ص 638 – 639.

وقد أوقفني الأخُ الفاضلُ الفقيد الراحل الأستاذ محمد عبد السلام الجفايري – رحمه الله تعالى وجزاه خير الجزاء – منذ سنوات خَلَت على صورة جيّدةٍ من الوقفية التأسيسية لمدرسة القايد عمورة بجنزور (1164 هـ)، وشرعت أخيراً في إعدادها للنشر، وهي قاصرة على التأسيس المادي وذكر العقارات المحبسة، وتفتقر إلى الشق الثقافي المتعلق بالكتب (المخطوطات) الذي لاحظناه أعلاه في وثيقة مصطفى خوجه.

(3) تلفتُ النظر في هذا السياق إشارة الرحّالة الورثيلاني إلى لقائه بعلي باشا القرمانلي في أوبته من حجّتِهِ، ونصيحته له بالعناية بالعلم وإعانة العلماء على القيام بواجبهم؛ فقد تكون تلك النصيحةُ الحارّةُ الصريحة – وربما غيرُها – منطلقاً غيرَ منظور لإقدام مصطفى خوجه على تأسيس مدرسته ومكتبتها العامة في تلك السنوات القريبة (1183 هـ) وقد كان آنذاك كما تقدّم من أبرز جلساء (علي باشا) وفي مقدمةِ خاصّته؟ أنظر: الورثيلاني، نزهة الأنظار، ص 634 – 635.

وإذا كان مصطفى خوجه قد استهل نشاطه هذا وهو في مركزه الحسن المتمكّن في عهد علي باشا القرمانلي كما تقدّم، فإنّ تقلّب الظروف السياسية وسقوط العرش القرمانلي في يد المغامر علي برغل (1207 هـ – 1209 هـ)[1] وما صحب ذلك من اضطراب وفوضى لم يمنعه من مواصلة نشاطه الثقافي، وكأنّه وجد فيه مهرباً يلجأ إليه من ضيق نفسه، وإن شكا ذلك في مقدمة كتابه المسائل المهمة (1207هـ)، وهو ما شكاه أيضاً معاصره ابن غلبون الحفيد في مقدمة كتابه منازل الفردوس (1209 هـ)[2].

لقد كان مصطفى خوجه خادماً مخلصاً للحياة الفكرية آنذاك، ولئن لم يكُن في مستوى العطاء الفكري الرفيع بالإنتاج والتأليف، فلقد كان (ناشراً) ناجحاً للمعرفة من أوسع الأبواب، بمدرسته، ومكتبتها العامة، ونشاطه في النشر. وهو أشبَهُ بأولئك الكتبيين والناشرين الذين عرفناهم في تاريخنا القريب والمعاصر، وكان لهم أثرٌ ملحوظٌ على ازدهار الحياة الفكرية في مجتمعاتهم، وإن نأى هو عن الكسب واتجارة وكان عَمَلُه احتساباً. وكأنّي بمعاصره الشاعر الطرابلسي المطبوع محمد بن العربي[3] ينظر بعين المستقبل ويستشفُّ الرؤى وتملأُ نفسَهُ هذه المعاني حين امتدحه بالأبيات التالية في أول نسخته من (إنباء أبناء الزمان) لمؤلّفه قاضي القضاة ابن خلكان (في سنة 1181 هـ) قبيل تأسيس مدرسته:

يَا مُصطَفَى بنِ القَاسِمِ ... المِصْرِيُّ دَامَ لَكَ التَّهَانْ
أَحْيَيْتَ آدَاباً عَفَتْ ... مِنْ قُطْرِنَا هَذا الزَّمَان
مُذْ صِرْتَ مُنْشِئَ سِرِّنَا ... وأَتَيْتَ بِابنِ الخَلّكَانْ
فَاللهُ يَحْرُسُ مَجْدَكُمْ ... ويَقِيكُمُ مِنْ كُلِّ شَانْ
ويُدِيمُ عِزّ مَلِيكِنَا ... البَاشَا عَلِيٍّ فِي أَمَان
مِنْ وَخْزِ طَاعُونِ العِدَا ... بِالكَهْفِ والسَّبْعِ المَثَانْ[4]

---

(1) عمر علي بن اسماعيل "الظروف التي أدت إلى احتلال علي الجزائري لمدينة طرابلس الغرب 1793 – 1795 م" من أبحاث مؤتمر (ليبيا في التاريخ) الجامعة الليبية – كلية الآداب (مارس 1968) ص 289 – 306.

(2) عمار جحيدر "من تاريخ ليبيا الثقافي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر: ابن غلبون الحفيد" المجلة التاريخية المغربية (جوان 1984) ص55.

(3) اجتمع به الناصري في رحلته الأولى (1196 هـ) وتناشدا شيئاً من الشعر الرقيق، ونقل ذلك الأنصاري في نفحات النسرين، ص 159 - 160.

(4) الأوقاف (1229).

وافتتاح الأبيات: (الحمد لله لما أن تملك أخونا الكاتب السري مولانا أبو المودة مصطفى المصري هذا الديوان الموسوم بإنباء أبناء الزمان لمؤلّفه قاضي القضاة ابن خلكان، وتصفحه والدنا أبو عبد الله السيد محمد العربي – أبقى الله بركته علي وجعل رضاه نهراً يسعى بين يدي – أنشأ ما تقف عليه:).

وخاتمتها: (وكان رقم هذا في سنة إحدى وثمانين وإحدى عشرة من المئين أواسط ثاني الجمادين حال تألق هذا الطارق بالبلاد – حمى الله منه العباد وأدخل حرز كنفه الآباء والأولاد. بمنه) يشير إلى وباء.

4- نماذج من نفائس المخطوطات في الخزائن الخاصة:

إلى جانب هذه المكتبة الوقفية (الأهلية) التي قُدِّر لها أنْ تغدوَ أهمَّ نواةٍ في رصيد مكتبة الأوقاف (الرسمية) منذ تأسيسها في نهاية القرن التاسع عشر، شهدت مدينة طرابلس في تلك السنوات، وفي مناسبات أخرى أيضاً، مبادرات موحيةً دالَّةً في هذا السياق؛ ممَّثلةً في ولوع بعض علمائها باقتناء المخطوطات النفيسة، وإثراء المكتبات الخاصة. وابنُ عبد السلام الناصريُّ نفسُهُ الذي عرَّف بمكتبة مصطفى خوجه العامة في رحلته الأولى (1196 هـ) يقدّم لنا في رحلته الثانية (1211 هـ) تلك النسخة النفيسة من صحيح الإمام البخاري بخط الحافظ الصدفي (ت 514 هـ/ 1120 م)[1] التي وجدها بمكتبة الشيخ أحمد أبي طبل (ت 1252 هـ/ 1837م) [2] فتعلّق بها وقال «ومن الكنوز التي وقفتُ عليها بيدي أبي الطبل المذكور نسخةٌ من صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري في مجلّد بخطِّ الحافظ أبي علي الصدفي شيخ القاضي عياض، قال اشتراها بثمن بخس في عدة كتب بمدينة اصطنبول، وراودته على بيعها عازماً على إعطائه مائة دينار ذهباً فيها، فامتنع ويأبى الله إلا ما أراد، وما هي إلاَّ مضيّعة بهذه البلـــدة (!) وقد كانت تداولتها الأيدي بالأندلس ومصر في سالف القرون، وعليها من سماعات العلماء عياض فما دونه إلى ابن حجر العجب، وكتب عليها الحافظ السخاوي ما نصُّهُ: من الأصل الذي يُعتمد عليه ويُرجع عند الاختلاف إليه، ولقد اعتمد عليها الحافظ أبو الفضل ابن حجر حالة شرحه للجامع الذي سمَّاه فتح الباري... إلخ[3].

وفي نفس الحجَّة (في الإياب) وقف رحَّالةٌ مغربيٌّ آخر؛ وهو الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي، على هذه المخطوطة النفيسة أيضاً لدى الشيخ أبي طبل، وقدّم لها وصفاً وافياً[4]، وذكر أن مالكها اشتراها من اصطمبول، وحيث اشتراها اجتمع علماؤها وقالوا له: أخليت اصطنبول! وبعد أن بلغ الناصري مستقرّه دفعه الحرص على تلك النسخة إلى مفاتحة ملك المغرب السلطان سليمان (ت 1180 - 1238 هـ/1766 - 1822م)[5] في شأنها وهو ما سجّله في (كتاب المزايا فيما

---

(1) الحسين بن محمد بن فيرة بن حيون المعروف بابن سكرة الصدفي. فقيه، محدث، حافظ إلخ. كحالة، نفس المصدر، ج 4، ص 56.

(2) أبو العباس أحمد بن أبي زيد عبد الرحمن بن أبي طبل المالكي الطرابلسي المعروف فيها بالطبولي. كان أحد كبار العلماء، مهتماً بالعلم جامعاً للكتب، لقيه الناصري في الرحلتين، وتوفي في أوائل العهد العثماني الثاني في (17 شوال 1252 هـ) في الوباء الذي عم طرابلس آنذاك، خلافاً لقول الكتاني بوفاته (سنة 1254 تقريبا).

انظر: الفقيه حسن، اليوميات الليبية، ج 1 ص 431.

عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، باعتناء الدكتور إحسان عباس، ط2 بيروت: دار الغرب الاسلامي، 1982، ج 1 ص 467.

(3) الرحلة الصغرى، ص 73.

(4) حذفه الدكتور علي فهمي خشيم من نشرته للقسم الخاص بليبيا من هذه الرحلة، بدعوى أنَّ (الفقرة المحذوفة وصف للنسخة خارج عن سياق الرحلة)! الحاجية، ص 173، وانظره لدى الكتاني، نفس المصدر، ج2، ص 708.

(5) د. محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، ص 360 – 367، وفيه أنّه (علاَّمة قبل أن يكون ملكاً).

أُحدث من البدع بأمّ الزوايا)[1] فاهتمّ السلطان بالأمر، وبعث بثمنها (ألف مثقال أو ريال) إلى مالكها، فأجابه بالقدوم، ولكن بعض الظروف حالت دون ذلك، وظلّت المخطوطةُ النفيسة بليبيا وبلغت (الجغبوب)، وطُوِيَ أمرها عن المغرب إلى أن اهتم بها الشيخ الكتاني، منوهاً بها في (فهرس الفهارس) قاطعاً على ما بَلَغَهُ بوجودها آنذاك في مقرها الأخير. ثم واصل الدكتور عبد الهادي التازي متابعة هذه المخطوطة حتى سنة **1968**[2].

وقد وقف الرحّالتان، الناصري والفاسي، على نفائس أخرى أيضاً لدى الشيخ أبي طبل، يقول الناصري (ووقفتُ لدى أبي العباس أبو طبل على كتب غريبة، منها أسفار من الكمال للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي في تراجم الكتب في رجال الستة[3]، وأظنه هو الذي اختصره الحافظ المزّي وسمّاهُ تهذيب الكمال، واختصره الذهبي فسمّاه المقتضب، وتارة سمّاه الكاشف في سفر وهو لدينا بالخزانة الناصرية مفيدٌ جداً. ومنها تأليف محمد بن أبي بكر الرازي مقروأ على مؤلّفه، وعليه خطّه سنة أربع وستين وستماية، وهي أسئلة قرآنية تفسيرية تزيد على إثني عشر ألف سؤال... إلخ ومنها تأليفٌ لابن العماد في أسئلة قرآنية وحديثية... إلخ، ومنها رسايل للشيخ زروق كتب بها لمحبيه من أهل الآفاق إلخ[4]. أمّا الشيخ الفاسي فذكر بعضها، وقال (وددت أن لو لقيتُهُ عند قدومنا على محروسة طرابلس لأُشفيَ بعض الغليل بالكتب التي عنده، فإنّ له ولوعاً بالكتب، ولم يقض الله بملاقاته إلا عند عزمنا على السفر من طرابلس، والله يفعل ما يشاء) [5].

وإذا كانت هذه الأمثلة تشهد بما كان لبعض العلماء من حرصٍ وتطلع إلى الذخائر القديمة والأصول النفيسة، فإنّ المثل التالي الذي نقتبسه عن الناصري أيضاً يشهد بما كان لهم كذلك من متابعة للجديد الجديد مما ينشر آنذاك. قال في رحلته الثانية (**1211** هـ) عند ذكره للشيخ أبي إسحاق إبراهيم بنُور الذي كان (مستحضراً للنوازل الفقهية، وتولّى الفتوى بهذا البلد زمناً طويلاً ينيّف على الثلاثين سنة) إنّه قد (جرى ذكر شيخنا الجوهري الخالدي الأزهري المصري، ولا زال (على) قيد الحياة وذكر الأربعين حديثاً له في الظلم، وشرحناها بإذن مؤلّفها، وأنّ شرحنا بلغ

---

(1) المصدر نفسه، ص 370، 375، الكتاني، نفس المصدر، ج2، ص 709. وقد وقفتُ أخيراً خلال هذه السنة (2006) على نسخة المؤلف في الخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم (12013).

(2) د. التازي "مخطوطة وحيدة في العالم: صحيح الإمام البخاري بخط الحافظ الصدفي" مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 19، ج1 (مايو 1973) ص 21 – 52.

(3) لدى الزركلي، الأعلام، ج4، ص 34 (الكمال في أسماء الرجال – مخطوط ذكر فيه ما اشتملت عليه كتب الحديث الستة من الرجال، في مجلدين) توفي المؤلف سنة 600 هـ/ 1203 م.

(4) الرحلة الصغرى، ص 139.

(5) الحاجية، ص 173 – 174.

طرابلس وقرأ به الشيخ أبو إسحاق المذكور مرتين، وسأل عن إخوان الجوهري، وقد كانت له بهم صحبة..)[1].

وفضلاً عمّا جاء في رحلتي الناصري والفاسي، وهما من أهمّ المصادر الوصفية، لا نُعْدَم أمثلة أخرى عن نفائس المخطوطات المتداولة آنذاك في المجتمع الثقافي. فقد كان من بين مصادر ابن غلبون في التذكار الذي أنجزه في مطلع العهد القرمانلي – على سبيل المثال – أحدُ الكتب النفيسة أيضاً، وهو كتاب (بدائع السلك في طبائع الملك)، لابن الأزرق (ت 896 هـ/ 1491م)[2] الذي يُعدّ أولَ دراسة لمقدمة ابن خلدون[3]. وقد كان ابن غلبون عالة عليه في تلك (الخاتمة المخطوطة) التي لم تُنْشَرْ مَن التذكار، بل انتحل مباحث ابن الأزرق في الحكم والسياسة، ولم يصرّح باسمه مصدراً معتمداً لديه[4]، على أنّ الذي يهمّنا في هذا المقام هو تداول ذلك الأثر النفيس في مجتمع العلماء آنذاك وامتداد تأثيره.

وفي أواخر العهد القرمانلي كان المثقف السياسي الطرابلسي المشهور حسونة الدغيس (ت 1252 هـ/ 1836 م)[5] يمتلك نسخة كاملة من كتاب (العبر) لابن خلدون في أربعة مجلدات،

---

1) الرحلة الصغرى، ص 138.

وقد التقى الناصري عند أوبته من حجته الأولى سنة 1197 هـ بالشيخ محمد بن أحمد الجوهري (ت 1215هـ/ 1801م) في مصر، فأكرمه الشيخ ووهبه نسخة من كتابه وكتب عليها أجزتكم بها وأرجو أن تشرحوها. إلخ. وتوجد نسخة من شرح الناصري بمكتبة الأوقاف تحت رقم (142) في 62 ورقة، وكان الفراغ من الأصل في (21 رمضان 1187 هـ) والفراغ من الشرح في (3 جمادى الأولى 1200 هـ) والغالب أنّ النسخة بخط المؤلف، وقد وصلت إلى طرابلس بعد سنتين ونيف من تأليف الكتاب، إذ أوقفها مصطفى خوجه على مدرسته في (أواسط ذي القعدة 1202 هـ) ويبدو أنّ المؤلف (الرحالة) قد بعث بهذه النسخة هدية لتلك المدرسة التي كان يسجل إعجابه بها منذ بضع سنوات. انظر أيضاً: الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص 845، وترجمة الجوهري لدى الزركلي، الأعلام، ج6، ص16.

2) صدرت لهذا الكتاب، نشرتان في عام واحد؛ واحدة بتحقيق الدكتور علي سامي النشّار، بغداد: وزارة الإعلام، 1977 – 1978 م، والأخرى بتحقيق الأستاذ محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، 1977، وهو في مجلدين.

3) انظر على سبيل المثال: الحسن السايح "نظرية العصبية عند ابن خلدون وابن الأزرق" مجلة الأصالة (الجزائر) العدد (؟) (1973) ص 121 – 124.

4) عمار جحيدر "مجمل قضايا عن ابن غلبون: نظرة نقدية لمنهجه العلمي" مجلة البحوث التاريخية (يناير 1982) ص 39 - 55، وخاصة 43 - 47.

5) ولد حسونة الدغيس بطرابلس سنة (1191 هـ/ 1778 م) وبعد تحصيل قدرٍ من الثقافة المحلية السائدة آنذاك على عددٍ من شيوخ الحنفية والمالكية، أرسله والده إلى أوربا فأتيح له أن يتعلم الفرنسية، ويطلع على الثقافة الأوربية، وأن يقف على مجريات السياسة الدولية. عاد بعد وفاة والده محمد الدغيس إلى طرابلس، وعهد إليه يوسف باشا القرمانلي (بوزارة) الشؤون الخارجية سنة (1241 هـ/ 1826 م) ثم اضطر إلى مغادرة طرابلس هَرَباً سنة (1245 هـ/ 1829 م) بعد مقتل الرحالة الإنجليزي ألكسندر جوردن لنج في تمبكتو، ليقيم من جديد في أوربا. وفي طريقه إليها مرَّ بفاس وظلَّ بها بضعة أشهر فكانت له هناك بعض الصلات الثقافية. وبعد احتلال فرنسا للجزائر سنة (1246 هـ/ 1830 م) تعاون مع المناضل حمدان خوجه الجزائري فنقل كتابه (المرآة) إلى الفرنسية ونشر في باريس سنة (1833). ثم انتقل إلى استانبول فأسندت إليه مهمة تحرير النسخة الفرنسية (*Le Moniteur Ottoman*) من صحيفة (تقويم وقايع) بعد وفاة سلفه السابق؛ وهي الصحيفة الرسمية للدولة العثمانية. وقد كُلِّف بهذه المهمة في غرة ربيع الأول 1252 هـ (16 – 6 – 1836م) غير أنّه سرعان ما توفي باستانبول في نفس السنة. أنظر:

- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، ج1 ص 331 – 332، 427.
- د. عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816 – 1871). تونس: الدار التونسية للنشر، 1972، ص 263 – 324.
- *Dr. Nesimi Yazici, Takvim–i Vekay–i "Belgeler" Ankara 1983, s. 57.* (تقويم وقايع: الوثائق)

وقد أعارها إلى القنصل الفرنسي بطرابلس البارون ج. ب روسو (1852 - 1831)[1] وكان من المستشرقين المعروفين، فاختلسها وأرسلها إلى أوربا[2].

وتتمةً لهذه الإفادة الموجزة تنبغي الإشارة في هذا المقام إلى ما أورده المؤرخ الجليل الدكتور محمد عبد الكريم الوافي عن مجموعة هذا المستشرق من المخطوطات التي قاربت نحو (500) مجلد، وقد كوَّنها في طرابلس، وشُحنتْ ضمن متاعه ولكنَّها تعرَّضت لكارثة في البحر فتلف معظمُهَا قبل وصولها إلى مرسيليا، ولم ينجُ منها سوى ستة وثلاثين مجلداً كان من بينها تاريخ ابن خلدون المذكور، وانتهى بها المطاف بعد وفاة صاحبها إلى خزائن المكتبة الوطنية بباريس[3].

وأودُّ في ختـــام هذه الفقرة الموجزة من الفصل التي اكتفيتُ فيها بنماذجَ محـــدودة - تنويهاً بدلالتها الثقافية على سبيل المثال - أن أذكِّرَ أيضاً بتلك المخطوطة العربية الطِّبِّـــية القيِّمة التي اكتُشفَتْ بمدينة طرابلس في مطلع النصف الثاني من القرن العشرين، وهي نسخةٌ جيِّدة من (كتاب الأدوية المفردة) للطبيب العربي الأندلسي أبي جعفر أحمد بن محمد الغافقي (ت../ ..) وقد نبَّـــهَ عليها هنا آنذاك الباحثُ الإيطالي الدكتور تومَّازو سارنيللي (Tommaso Sarnelli) : (أستاذ علم حفظ الصحة للمناطق الحارة بالمعهد الشرقي بنابولي، والسكرتير العام لأكاديمية تاريخ الطب بروما). وكان الاعتقاد سائداً منذ قرون بضياع هذا الأثر الثمين[4].

---

(1) الفقيه حسن، اليوميات الليبية، ج1 ص 315.

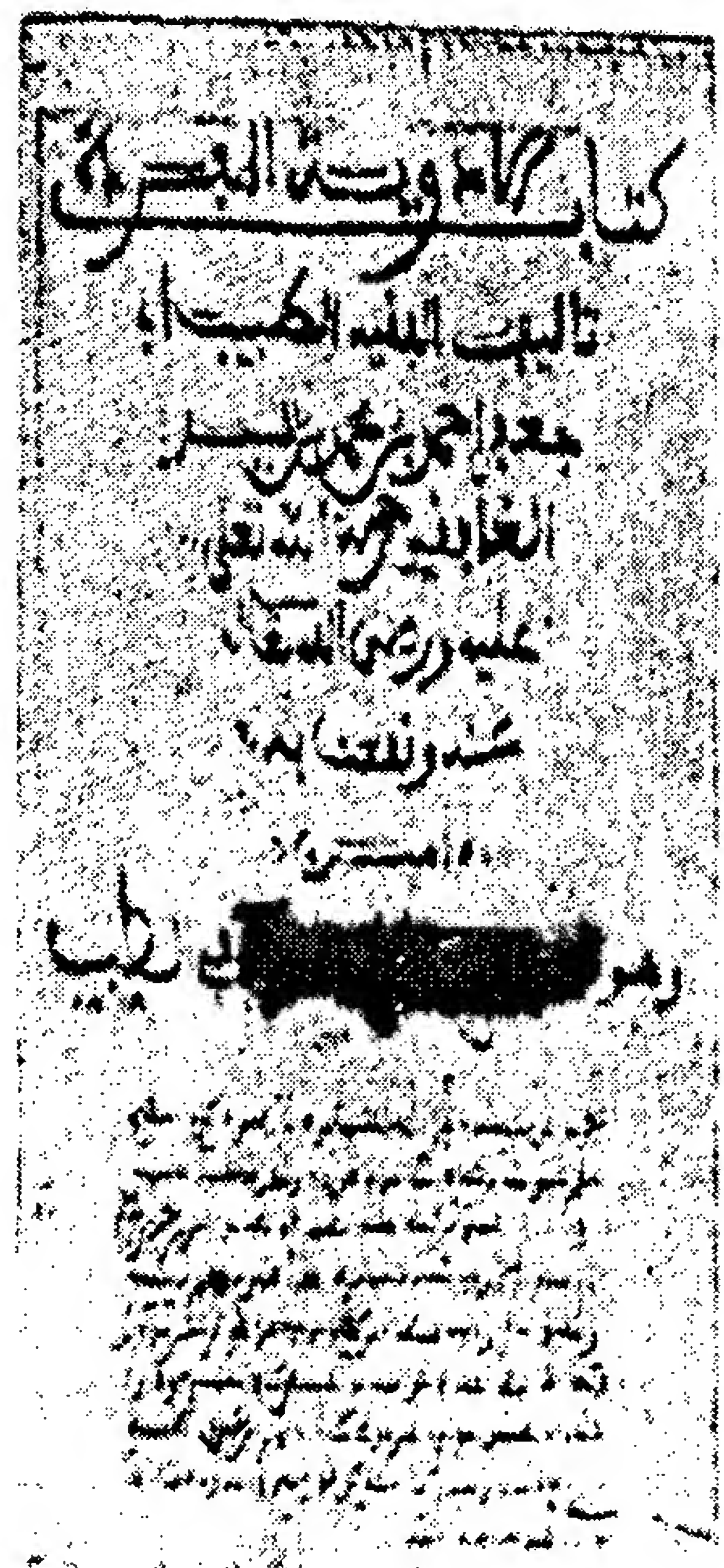
(2) د. عبد الرحمن بدوي، مؤلفات ابن خلدون، ط2 الدار العربية للكتاب، 1979، ص 245.

(3) البارون الفونس روسو، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر، نقلها عن الفرنسية ونقَّحها وحقَّقها وضبطها بأمهات المصادر التونسية وقدَّم لها بدراسةٍ نقدية الدكتور محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي: جامعة قاريونس، 1992، ص 22 - 23 (من المقدمة الدراسية المطولة للمترجم). وقد كان المؤلِّفُ ابناً للقنصل الفرنسي المذكور، وقضى طرفاً من صباه في منزل والده بحي المنشية من ضواحي طرابلس.

(4) صحيفة طرابلس الغرب، العدد 2898 (18 يناير 1953). ويطيب لي أن أتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الجليل (علي الصادق حسنين) الذي عنيَ أخيراً بإعادة الكتابة والتنويه بهذه المسألة، وقد أتاح لي تصوير المقال المنشور في تلك الصحيفة. انظر: أ. علي الصادق حسنين "اكتشاف أثر طبي عربي في طرابلس سنة 1953!" قدِّم إلى ندوة: المدارس الطبية في الحضارة الإسلامية (طرابلس 13 - 15/ 11/ 2006).

اكتشاف أثر طبى عربى ثمين بطرابلس

حل ضيفا بين ظهرانينا منذ شهرين الدكتور توماس سارنيللى ، استاذ علم حفظ الصحة للمناطق الحارة بالمعهد الشرقي بنابولى ، والسكرتير العام لاكاديمية تاريخ الطب بروما. وقد عثر اخيرا بطرابلس على أثر طبي عربي تاريخي ، ويرجع بحثه عنه الى سنة ١٩٣٢ . وكان الاعتقاد سائدا منذ قرون على ضياع هذا الأثر الثمين . وهو نسخة من « كتاب الادوية المفردة »



انيقا ومزدانة باسماء الذهب مما يحمل على الظن بان المجلد قد اخذ من اسبانيا . وهو يحتوى على النص بكامله مع ذكر اسماء الادوية وموضوعة على ترتيب الابجد المغربى والذى ينتهى بحرف الشين. الا أنه خال من المقدمة ومن ٤١ فصلا من بين مئات الفصول من الكتاب بكامله ، لولا أنه لحسن الحظ بقيت المقدمة والـ ٤١ قصة محفوظة بالكندا .

ويرجع عهد ابحاث الدكتور سارنيللى الى زمن قديم كما قلنا . فقد جمع لديه العلائم الاول عن وجود هذا الكتاب فى طرابلس منذ سنة ١٩٣٢ ، اى بمدة ست سنوات قبل ان يظهر الفصل الاول منه بونترياك بالقاهرة .

ويدل على ذلك بوضوح المذكرة التفصيلية التى وضعها ونشرها فى مذكرات اكاديمية التاريخ والفن الصحي بروما ، رقم ٤ اكتوبر ديسمبر ١٩٤٧ وبعنوان احتمال وجود كتاب الادوية بطرابلس

الفضل فيها لمدينة طرابلس ، التى عرفت كيف تحتفظ به من دون البلدان العربية الاخرى ، وقد استحقت بذلك لا باعتراف العالم العربي فحسب ، بل وباعتراف عالم الثقافة ، الذى لا يعرف حدودا جغرافية او سياسية .

ولم تكن اعمال هذه الابحاث جديدة على البروفسور سارنيللى .فقد اختارته اللجنة الدولية الليدى (هولاندا) للعمل والتعاون فى سبيل تاريخ الطب العربى للطبعة الثانية من موسوعة الاسلام .

واشترك فى مؤتمرات دولية للمستشرقين ، وفى باريس سنة ١٩٤٨ عرف بمؤلف طبى مجهول يرجع عهده الى سنة ١٣٠٠ م. وقد عثر عليهما فى اليمن . وفى استانبول بين الطرق الانثروباتريك للبحث عن تاريخ الطب العربي . والظاهر عزمه على اصدار مجلة علمية حول الادوية الشفهية تحمل اسم « ابن سينا » .

والبروفسور سارنيللى صاحب

صحيفة طرابلس الغرب (18 يناير 1953)

5- الوضعية الحالية:

1.5- تعدد البيئات التعليمية/ الثقافية:

ربما وقف القارئ الكريمُ من خلال الصفحات السابقة في هذا الفصل على قدرٍ من نشاط الحياة الثقافية في ليبيا، وحركة الكتب [المخطوطات] ممثّلةً في عيّنات محدودة من بعض المصادر الوصفية، والوثائق التأسيسية، وبعض النماذج من الأصول المخطوطة الباقية المشار إليها في السياق، وخاصةً في مدينة طرابلس مركز القطر عبر القرون. غير أنّ الظاهرة البارزة التي ينبغي التنويه بها في هذا المقام، من خلال معطيات عديدة، هي أنّ الحياة التعليمية/ الثقافية لم يستأثرْ بها (المركزُ) وحده دون (الأطراف) غالباً – على غرار الزيتونة في تونس والأزهر في مصر – وإنّما توزّعت فعالياتُها التعليمية الأوليّة، ونشاطُها الفكريُّ بآثاره المعروفة حتى اليوم – وخاصةً في العصر الحديث – بين عددٍ من (البيئات) المتقاربة. ولذلك يمكن القول إجمالاً إنّ طرابلس (المدينة) لم تستقطب جلّ العلماءِ وطلابهم، ولم تنفردْ كذلك بحفظ رصيدنا المقدَّر من التراث العربي المخطوط، من خلال النشاط التعليمي المعتاد، والاقتناء والتأليف والنسخ/ والوراقة. وقد شكّلتْ مجموعةُ (الكتّات، والمسجد/ الجامع، والمدرسة، والزاوية) فضلا عن الرحلة العلمية غرباً وشرقاً، ورحلات الحجيج المغاربي ذهاباً وإياباً عبر الأراضي الليبية، مجملَ (النسيج الثقافي) على امتداد القرون، إلى أنْ شهِدَ المجتمعُ الليبيُّ خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الخطوات الأولى للتحديث الثقافي؛ مع ظهور المدرسة الحديثة، والمطبعة، والصحيفة، والكتاب، والمجلة..إلخ؛ ولذلك فإنّ تاريخنا الثقافي في شقّه التقليدي الطويل مَدينٌ لتلك المؤسّسات العتيقة التي أفرزت نتاجها من الوثائق والرسائل والمخطوطات (تأليفاً واقتناءً ووراقةً) في: طرابلَس، وجنزور، والزاوية، وقرى /أو بلاد الجبل الغربي (العديدة) ونسمة، وطبقة، ومزدة، ودرج، وسيناون، وغدامس، وغت، وتاجوراء، ومسلاتة، وساحل الأحامد، وزليطن، ومصراتة، وبني وليد، وسوكنة، وهون، وودّان، ومرزق، وسبها، وأوباري، ووادي الشاطئ، وأوجلة، وجالو، وإجدابية، وبنغازي، والبيضاء، والزوايا المماثلة في الجبلِ الأخضر، ودرنة، والجغبوب، والكفرة، إلى غيرها من المدن والقرى والواحات الليبية التي تدلّ المصادر الوصفية وبعض الشواهد الباقية التي وقفنا عليها في رحلات العمل الميداني، على أنّها عَرَفَتْ، في آونة مختلفة، مع شيءٍ من التفاوت النسبي وفقاً لظروف كلّ بيئة بطبيعة الحال، أطيافاً من الحياة التعليمية المحدودة، وقدراً من تلك المادة الورقية المدوّنة.

ولئن عُرِفَتْ غدامس – على سبيل المثال – في مجمل الأدبيات والتقارير الغربية بشهرتها الاقتصادية من خلال تجارة القوافل بين الشمال والجنوب؛ فإنّ هذه الوثائق الثقافية والمخطوطات العديدة التي تزخرُ بها دُوْرُ المدينة تبرزُ (بُعْدَهَا الثقافي) الذي ظلّ غائباً وراء (شهرتها التجارية) الغالبة، وفي ذلك أيضاً مصداقٌ جليٌّ لارتباط النشاط الفكري بالرّفه والاستقرارِ الاقتصادي. وتعدُّ غدامس في واقع الأمر أبرز مثلٍ جهوي (لمراكز حفظ المخطوطات في ليبيا) حتى اليوم؛ بما أضفتْهُ

عليها طبيعة (الواحة) وتجارة القوافل المجزيةُ من الاستقرار والرخاء من جهة، وما توفَّر لها أيضاً من الطبيعة الجافَّة الحافظة من جهة أخرى. وقد قُدِّرَ لها بحكم موقعها المتميِّز على أطراف الإيالة الغربيةَ الجنوبيَة المتاخم لأقطارٍ إسلامية أخرى، أن تتجاوز دائرة النطاق المحلي، وأن تغدوَ أهمَّ مراكز التواصل الثقافي بين ليبيا – وجنوب الصحراء[1]. وقد تكاثفت تلك المعطيات جميعاً على إثراء رصيدها المخطوط والمحافظة عليه، وهو ما يفسِّرُ سبقها وانفرادها بصدور أول فهرسٍ جهويٍّ للمخطوطات في المكتبة الليبية حتى اليوم[2].

على أنَّ هذا السياق يُفْضِي بالضرورة إلى التساؤل عن (الوضعية الحالية) الماثلة لرصيد المخطوطات العربية في ليبيا اليوم؟

وهنا يمكنُ القولُ بإيجاز ابتداءً إنَّ أهمَّ مركزين عامَّين يعملان اليوم على حفظ التراث العربي الاسلامي في ليبيا وتنمية رصيده والعناية به هما:

مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس) الذي ضُمَّتْ إليْه مكتبة الأوقاف العامة.

المكتبة المركزية لجامعة قاريونس (بنغازي) التي ضُمَّت إليها بقايا مكتبة الجغبوب، بعد تضررها الكبير خلال الغزو الإيطالي.

أي أنَّ هاتين المؤسَّستين تواصلان اليومَ وترسِّخان ما شهدته بعض البيئات العلمية بالأمس البعيد والقريب من المبادرات التوثيقية، ممَّثلةً في حركة النسخ والوراقة والمكتبات الوقفية في المدارس والزوايا ونحوها.

وذلك فضلاً عن بقايا (المجموعات الخاصة) لدى الأسر والأفراد التي لا سبيل إلى الوقوف عليها إلاَّ من خلال (العمل الميداني) المباشر أو (المسابقات ذات الجوائز التشجيعية) المعتادة.

وقد ظلَّ هذا التراثُ العربيُّ المخطوطُ الذي احتضنته ليبيا حتى الأمس القريب محدود الانتشار وغائباً عن الباحثين، وخاصةً في تلك الأعمال الموسوعية الكبرى التي استهدفت توثيق التراث العربي الإسلامي بشمولٍ وإحاطة، واعتمدت في الغالب على الفهارس المنشورة وما إليها من الدوريات العلمية وأدوات العرض والإشهار على جمهور الباحثين. وآيةُ ذلك ما نلاحظُهُ – على سبيل المثال – من غيابٍ ظاهرٍ للتراث العربي الإسلامي المخطوط في ليبيا عن موسوعة

---

(1) أنظر: عمار جحيدر "واحة غدامس منطلقاً للتواصل الثقافي بين ليبيا وجنوب الصحراء: ملاحظات أولية من خلال مخطوطة تذكير الناسي" ضمن أعمال ندوة التواصل الثقافي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء (تطوان 1998) مراجعة وتقديم د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية، 1999، ص 239 – 261.

(2) انظر: بشير قاسم يوشع، فهرس مخطوطات غدامس، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1986، ص 7: "قلَّ أن تجد منزلاً بغدامس خالياً من مكتبة مخطوطة، حتى لو كان حاضرُ أهلِهِ لا ينسب للعلم" كذا. =

ويضمُّ هذا الفهرس الجهويُّ الأول (406) مخطوطات، جمعت من (28) مكتبة خاصة، مصوَّرة كلها على (الميكروفلم) بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، وهي موزَّعةٌ على الموضوعات التالية: (توحيد 34، تصوف 16، تاريخ 24، جغرافيا 5، حديث 61، طب 12، فقه 147، فلك 5، القرآن وعلومه 28، لغة عربية 35، منطق 4، مدائح وأذكار 23، متنوعات 12). ص 9.

وكان الباحث الفقيد – رحمه الله تعالى – يتوقع الحصول على ما لا يقلُّ عن ألفي مخطوط إذا تمَّ المسحُ الشامل لمخطوطات غدامس. ص 8.

المستشرق كارل بروكلمان (تاريخ الأدب العربي) لاعتماده على عشرات الفهارس المنشورة التي لم يكنْ من بينها فهرسٌ واحدٌ من هذا القطر العربي الأوسط، خلافاً لعددٍ من أقطار المشرق والمغرب.

5. 2- رصيد المركزين العامين العاملين في هذا الحقل:

5. 2. 1- مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية:

لا نعلمُ على وجه اليقين مبلغَ الخرابِ والدمار الذي لَحِقَ بالتراث الثقافي (المخطوط) لمدينة طرابلس خلال فترة الاحتلال الإسباني – ومنظمة فرسان مالطة (916 – 958 هـ/ 1510 – 1551 م)[1]؟ فقد هُجِرَت المدينةُ المحتلةُ وغادرها الكثيرُ من سكانها إلى الضواحي والأطراف القريبة. وما إن استردَّت المدينةُ عافِيَتها وَحَيَوِيَّـتَها وهُوِيتَهَا الإسلامية السليبة في العهد العثماني الأول (958 – 1123 هـ/ 1551 – 1711 م) حتى دبَّ في أوصالها شيءٌ من الحَرَاك الثقافي من جديد، وشيِّدَت بها بعضُ المؤسّسات الدينية – الثقافية المعتادة في العالم الإسلامي آنذاك من المساجد الجامعة والمدارس ونحوها. ويهمُّنا منها على وجه الخصوص مدرسةُ عثمان باشا التي أُسِّست في العهد العثماني الأول[2]، ومدرسة أحمد باشا القرمانلي التي أُسِّست في مطلع العهد القرمانلي[3]، ومدرسة مصطفى خوجه التي أُسِّست في أواسط ذلك العهد – كما تقدم[4] وقد صاحب هذا التقليد المدرسيَّ السائدَ في أدبيات التعليم آنذاكَ إلحاقُ كلِّ مدرسةٍ بما تيسَّرَ مِنَ الكتب (المخطوطة) لتكون (الخزانةُ) في خدمة الأساتذة والطلاب وغيرهم من أبناءِ المدينة. ويبدو أنَّ هذه المدارس ومكتباتها الثلاث قد شكّلَتْ داخل أسوار المدينةِ العتيقة المرجعيةَ المدرسيةَ والثقافيةَ العامةَ خلال تلك الفترة الطويلة، وذلك فضلاً عن المكتبات الأسرية الخاصة التي برزت منها على وجه الخصوص (مكتبةُ أسرة المكني) في العهد العثماني الأول، و(مكتبةُ أسرة العسوسي/ النائب) في العهد العثماني الثاني.

---

(1) حول تلك الفترة انظر:

– إتوري روسّي، طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا، ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي. طرابلس: مؤسسة الثقافة الليبية للتأليف والترجمة والنشر، 1969.

– عمر الباروني، الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس الغرب. طرابلس: مطبعة ماجي، 1952.

(2) أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، (ط 3) طرابلس: مكتبة الفرجاني (د. ت.)، ص 239: "وأسّس مسجداً ومدرسةً لتعليم العلوم وأوقف عليها أوقافاً جَمَّة".

(3) المصدر نفسه، ص 294: "وبنى المدرسة التي باتصاله [المسجد] وأوقف عليها أوقافاً كثيرة".

(4) المصدر نفسه، ص 313: "وأسّس المسجد الكائن بداخل الثغر بقرب سوره الشرقي والكُتّاب والمدرسة المتصلين به وخزانة كتب قيّمة، وأوقف على ذلك أوقافاً جَمَّة".

وفي السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر شهدت ولاية طرابلس الغرب عموماً، ومدينة طرابلس خصوصاً، بعض الوقائع البارزة في تاريخها الثقافي الحديث التي كان من بينها تأسيسُ (مكتبة الأوقاف) سنة (1316هـ/ 1898 م) وهي أول مكتبة عامة حديثة في ليبيا، وكانت نواها التأسيسيةُ مجموعاتٍ من المخطوطات والمطبوعات[1]. ويُستشفُّ من هذا السياق الموجز أنّها مؤسَّسةٌ وريثةٌ لمجملِ المكتبات المدرسية/ الدينية الوقفية السابقة بمدينة طرابلس، وفي مقدمتها تلك المدارس الثلاث المشار إليها أعلاه.

وفي أواخر العقد الأول من عهد الاحتلال الإيطالي ضُمَّتْ إلى رصيد مكتبة الأوقاف العامة مكتبة أسرة العسوسي/ النائب في (فبراير 1920)[2]. وفي الشهر التالي من السنة نفسها صدر (القانون الأساسي لمدارس الأوقاف) عن (مجلس الأوقاف بطرابلس) بتاريخ (21 مارس 1920) اهتماماً (بالتعليم الأهلي) تحت وطأة الاحتلال، وحرصاً على حقِّ استغلال أموال الوقف. ويبدو جليّاً من سياق النصِّ أنَّ تلك الوقفيات التأسيسية القديمة للمدارس الثلاث المشار إليها أعلاه، كانت مصدراً أولياً معتمداً لصياغة هذا القانون الوقفيِّ المدرسيِّ الجديد[3].

---

(1) صحيفة الترقي، العدد 64 (12 رجب 1316 هـ):

"ذكرنا في العدد الماضي ما كان من الاحتفال بافتتاح المكتبة العمومية التي توفقَ لإنشائها حضرة ملجأ ولايتنا السامي بما بذله من الهمَّة والحزم حيث اشترى لها كتب المرحوم المفتي السابق، وضمَّ لها جميعَ الكتب الموقوفة بمدارس الولاية حفظاً لها من الضياع. وقد رأى – حفظه الله تعالى – أن يزيد في أهمية هذه المكتبة ويوصلها إلى أعلا درجات الكمال، فتبرَّعَ عند افتتاحها هو وحضرة المشير باشا؛ كل منهما بمائة مجلَّد من نفائس الكتب قيَّدا أسماءها لأجل أن يجلباها من دار السعادة العلية حيث لا توجد هنا. وقد اقتدى بهما في هذا السبيل الخيري كثيرٌ من حضرات العلماء الأعلام والأمراء الكرام والوجهاء والأعيان، ولا غرو فالناسُ على دين ملوكهم. وقد رأينا أن نزيِّن أعمدة هذه الصحيفة بذكر أسماء المتبرعين ونشر أسماء الكتب التي قدَّمها كلٌّ منهم، وسننشر أسماء الكتب التي أهداها حضرة المشار إليهما عند ورودها، ونبدأ الآن بمن جاءت إلينا قائمة كتبهم حسبما يأتي:

– من حضرة الفاضل الشيخ عبد الرحمن أفندي البوصيري (جزء: 20).

– من حضرة السريِّ الوجيه حسن بك قورجي (مجلَّد: 20).

– من حضرة ذي الفضيلة مفتي الولاية (مجلَّد: 11) .

ويبدو جلياً أنها من (المطبوعات) لذا اكتفيت بهذه الإشارة العامة لدعم المكتبة في هذا السياق التوثيقي دون إثبات (العناوين) المذكورة .

(2) محمد إمحمد الطوير ود. عبد الله الشريف "مكتبة أحمد النائب الأنصاري في نهاية العهد العثماني الثاني" مجلة الناشر العربي (طرابلس) العدد التاسع عشر (1991). ص 100 – 117.

(3) عمار جحيدر "مدارس الأوقاف في عهد الاحتلال الإيطالي" ضمن كتابه: آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، الدار العربية للكتاب، 1991، ص 157 – 172. =

وفي العقد الأخير من عهد الاحتلال الإيطالي نُقلَتْ مكتبةُ الأوقاف إلى مقرها الجديد ضمن المبنى المعروف (الملاصق لجامع سيدي حمودة) الذي أُسس في عهد مدير الأوقاف آنذاك السيد إسماعيل كمالي (1882 – 1936) وهو ذو نزعة جادَّة حريصة، وقد كان أيضاً باحثاً مؤرِّخاً مرموقاً[1]. وظلَّت المكتبةُ بهذا المقر[2] بضعة عقودٍ إلى أن أُزيلَ المبنى توسعةً للساحة العامة هناك، ونُقلَت المكتبةُ إلى أحد المباني القريبة في حيٍّ (باب الحرية) سنة (1978). وما إن غادر مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية مقرَّه التأسيسي الأول بحيِّ الأندلس (1978 – 1984) حتى ضُمَّتْ إليه مكتبة الأوقـــاف في مقره الجديد سنة (1984) وقد شهدت (جردها وضمّها) كما تقدم في إحدى الحواشي أعلاه.

وكان المركزُ قد سعى منذ شروعه في العمل الموسَّسي المجدَّد في مستهل سنة (1978) إلى تخصيص (شعبةٍ للوثائق والمخطوطات) في هيكله التنظيمي، وحرص من خلالها على تكوين رصيده من (المخطوطات) الذي ظلَّ ينمو شيئاً فشيئاً باطِّرادِ العمل الميداني، والاقتناءِ والتصوير من مختلف

= وينبغي التنويه في هذا المقام بتلك الإفادة الموجزة عن مكتبة الأوقاف التي اختتم بها المستشرق الإيطالي إتوري روسّي، المعروف بمساهماته المتعددة في التاريخ الليبي، (مادة طرابلس) في دائرة المعارف الإسلامية: "وتقتني بعضُ الأسر الخاصة مجموعاتٍ صغيرةً من الكتب، تشمل أيضاً بعض المخطوطات، ولكنَّ أهمَّ المكتبات جميعاً هي تلك المكتبة التي يقال لها مكتبة (كتبخانة) الأوقاف؛ وقد أنشأ نواة هذه المجموعة مصطفى خوجه المصري، الكاتب الأول في عهد علي باشا قرمانلي، أمّا حجَّة الوقفية التي أوقفت بها المدرسةُ والكتَّابُ والمكتبةُ الملحقةُ بها، علاوةً على مزارٍ صغير، فتاريخها هو غرة جمادى الآخرة سنة 1183 هـ (أكتوبر 1769م). [كذا؟] وقد ترك المسلمون المتعاقبون على اختلافهم كتباً أوقفوها على المكتبة، وازدادت المكتبة قيمةً بما ضُمَّ إليها من بعض الكتب التي تركها المؤرخ الطرابلسي أحمد النائب الأنصاري، وبالكتب المطبوعة التي أهداها سنة (1922) حاكم البلاد الكونت ج.فولبي *Count G. Volpi*؛ ولم يُعَد بعد فهرسٌ منتظمٌ لهذه المكتبة، ولكن يوجد فهرسٌ عربي منظَّم، وقد رُتِّبَت الكتب وفقاً لموضوعاتها حسب التصنيف الإسلامي التقليدي، ولم تفصل الكتب المطبوعة عن الكتب المخطوطة، وجميع الكتب بالعربية فيما عدا بعض الكتب التركية". ومن الجلي أنّه يعني فهرسها الداخلي غير المطبوع. انظر: دائرة المعارف الإسلامية، النشرة العربية الأولى، القاهرة (منذ 1933) ج 15 ص 116.

(1) الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، ص 127 – 130.

(2) أفادني السيِّدُ الفاضل الأستاذ محمد محمد صبحي في جلسةٍ بمكتبي صباح الأربعاء (22- 10- 1986) بأنّه قد التحق بمكتبة الأوقاف خلال سنة (1940) مساعداً لأمين المكتبة الأستاذ أحمد الفقيه حسن، وظلَّ بها حتى سنة (1944) وخلال هذه الفترة تباحث الرجلان مع مدير الأوقاف آنذاك السيِّد محمود المنتصر بشأن ضرورة الحفاظ على محتويات المكتبة، وحفظها وتخزينها بعيداً عن مدى القصف (في الحرب العالمية الثانية) فعُبِّئَت المجموعاتُ (من الكتب والمخطوطات والمجلات) في صناديق من حجم كبيرٍ (100 × 100 سم تقريباً) وخُزِّنَت بحجرة سفليةٍ بمبنى جامع سيدي حمودة، وقد ظلَّت مخزَّنةً ما بين سنتي (1941 – 1944).

انظر: عمار جحيدر "من وثائق الحياة الثقافية في ليبيا: ثلاث رسائل من الطاهر أحمد الزاوي إلى أحمد الفقيه حسن" مجلة الناشر العربي (طرابلس) العدد السادس عشر (1990).

البيئات والأسر والأفراد في الداخل، وبعض المكتبات العامة في الخارج، وذلك فضلاً عن مبادرته إلى تنظيم (جائزة ابن الإجدابي للوثائق والمخطوطات) التي كانت مثمرة في دوراتها الثلاث: (طرابلس **1989**، غدامس **1999**، زويلة **2005**).

ويبلغ رصيد الشعبة من المخطوطات اليوم نحو (**6330**) مخطوطة موزَّعةً بين الفئات التالية:

- مخطوطات أصلية تمَّ جمعُها محلياً **1670**
- مجموعة مكتبة الأوقاف **1510**
- مخطوطات مصوَّرة **3150**

وقد دُعِم برنامج الشعبة أيضاً بإصدار حوليتها المتخصصة (مجلة الوثائق والمخطوطات) منذ سنة **1986**، وتنظيم (المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا: واقعها وآفاق العمل حولها) خلال سنة **1988**، وإصدار عدد من الفهارس العامة والجزئية على امتداد السنوات السابقة، وهذا ما يبعث على القول حقاً – كما تقدَّم في أول هذه الفقرة من الفصل – بأنَّ المركز يواصلُ ويرسِّخُ في هذا الحقل ما تقدَّم من المبادرات التوثيقية بمدينة طرابلس مركز القطر منذ العهد العثماني حتى اليوم، وأكتفي في الختام بعرض المحتوى الموضوعي لفهرس المخطوطات بالمركز في أجزائه الثلاث، وهو لا يشمل بالوصف كلَّ الرصيد المذكور أعلاه[1].

---

(1) إبراهيم سالم الشريف، فهرس المخطوطات بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية: ج1 (1989، 239 ص) ج2 (2000، 476 ص) ج3 (تحت الطبع، 442 ص).

فهرس مخطوطات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس)

الجزء الأول	العدد	الجزء الثاني	العدد	الجزء الثالث	العدد
القرآن الكريم	23	القرآن الكريم	18	النحـــو	246
علوم القرآن	43	علوم القرآن	10	الصرف	42
التفسير	56	التفسير	25	اللغة	32
أصول الفقه	38	أصول الفقه	9	السياسة	5
الفقه المالكي	319	الفقه المالكي	111	التربية	19
الفقه الحنفي	157	الفقه الحنفي	26	الفلسفة	14
الفرائـــض	41	الفقه الأباضي	7	المنطق	83
		فقه المذاهب	4	الموسيقى	3
		الفرائض	16	الأدب	128
		الأديان	3	البلاغة والبيان	84
		الحديث	225	الحساب والهندسة	22
		الإجازات	5	الفلك	98
		السيرة	27	الكيمياء	3
		التوحيد	203	علم الحيوان	6
		التصوف	152	الطب	35
		المناقب	8	الصناعة	8
		سر الحرف	27	الاقتصاد	4
		التاريخ والأنساب	76	علوم شتى	35
		وعظ وأدعية	62		
		الجغرافيا والرحلات	8		
المجـــاميع	677		1019		867

5. 2. 2- المكتبة المركزية لجامعة قاريونس (بنغازي):

مثلما كانت جهودُ مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية استمراراً مؤسَّسياً موسَّعاً لما سَبَقَهُ من المبادرات التوثيقية في حقل (المخطوطات) بمدينة طرابلس؛ كانت المكتبةُ المركزية لجامعة قاريونس في الطرف الشرقيِّ من ليبيا تواصلُ وترسِّخُ أيضاً ما سَبَقَهَا من المبادرات هناك. ومن الجليِّ أنَّ بقايا (مكتبة الجغبوب) التي قُدِّرَ لها أن تنجوَ من أضرار الغزو الإيطالي، قد شَكَّلت النواةَ التأسيسية الأولى لقسم المخطوطات في هذه المكتبة القيِّمة التي غَدَتْ -- ولا تزالُ -- أكبر المَكتبات الجامعية في ليبيا[1]. وتعودُ تلك النواةُ التأسيسية لمجموعة مخطوطاتها إلى نحو منتصف القرن التاسع عشر[2]؛ وهذا ما دفعني -- في واقع الأمر -- إلى تقديم رصيد مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية في هذا السياق التوثيقيِّ؛ إذْ أنَّ بقايا المجموعات التأسيسية السابقة التي آلت إلى رصيده من المخطوطات تعودُ إلى عهودٍ أقدم، رغم أنَّهُ أحدثُ عهداً من المكتبة المركزية لجامعة قاريونس، فالقصد هنا إلى تَلَمُّسِ الخطوات والمبادرات التوثيقية التي صاحبت حركة الكتاب المخطوط في هذه النماذج من البيئات الأهلية والمؤسَّسات العامة.

وقد كان الأستاذُ الإمام محمد بن علي السنوسي الخطَّابي الحسني الإدريسي مؤسِّسُ الطريقة (1202 - 1276 هـ/ 1787 - 1859 م) [3] مَعْنياً جداً بهذا الشأن أيضاً "وكانت له همَّةٌ عالية ورغبةٌ عظمى في العلم وجمع الكتب، وكان ينتدبُ جماعات من طلبته الأنجاب؛ كلٌّ واحد أو أكثر يوجِّــهُهُ لجهةٍ بقصد جمع الكتب شراءً وانتساخاً، ومهما سَمِعَ بمعاصرٍ أَلَّف كتاباً في الحَديث إلاَّ وكَتَبَ له عليه على بعد الديار وطول المسافة"[4]. وقد اختلفت الإفاداتُ حول الرصيد الكميِّ لهذه المكتبة القيِّمة؛ فذكر الرحالة التونسي محمد بن عثمان الحشائشي الذي زار ليبيا وجال بها في أواخر القرن التاسع عشر أنَّ "الكتب الموجودة بخزانة الجغبوب قد نيَّفت على الثمانية آلاف مجلَّد من تفاسير وأحاديث وأصول وتوحيدٍ وفقهٍ وغير ذلك من كتب العلوم المعقولة والعلوم الطبيعية،

---

(1) تشتغل المكتبة المركزية أضخم مبنى في المدينة الجامعية؛ وتبلغ مساحتها نحو (26.000) متر مربع، مقسمة على أربعة أدوار، وبلغ عدد كتبها في نهاية الستينيات من القرن الماضي، أكثر من أربعين ألف كتاب، في حين تضمُّ المكتبة اليوم نحو مليون ونيِّف مجلَّد، وتتسع لثلاثة آلاف طالب..إلخ. انظر: د. فرج نجم "الجامعة الليبية وجلال الليبيين في الخمسينيات والستينيات من القرن المنصرم" عراجين (القاهرة - كتاب غير دوري) العدد الرابع (يناير 2006) ص 125 - 148، وخاصة ص 136.

(2) أحمد صدقي الدجاني، الحركة السنوسية: نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر (1202 - 1320 هـ) ط2 (طبعة خاصة دون بيانات؟) 1988، ص 116.

(3) الزركلي، الأعلام (6/ 299).

(4) عبد الحي الكتَّاني، فهرس الفهارس، ج2 ص 1042.

انظر أيضاً: محمد الطيب الأشهب، السنوسي الكبير، القاهرة (د.ت) ص 47.

ولا يطبع كتاب في العالم باللغة العربية إلا ويبحثون عنه ويظفرون به..إلخ"[1]. وهو نفس الرقم (تقريباً) الذي تقدمه بعضُ المصادر الغربية[2].

وأشار فيليب وورد، في دليلٍ ببليوجرافيٍّ موجز (1960) إلى أنّ مخطوطات الجغبوب تبلغ (اثني عشر ألف مخطوط، لم يبقَ منها بعد الاحتلال الإيطالي سوى 3500)[3]. في حين رفع الأستاذ الطاهر أحمد الزاوي هذا الرصيد قليلاً قائلا: "وقبل الاحتلال كانت فيها مكتبة تحتوي على نحو 14 ألف مجلّد، وقد نهبها الإيطاليون وداسوها بنعال خيولهم. ويُقالُ إنّه بقيَ منها نحوُ ألف مجلّد من الكتب المخطوطة"[4] ويبدو جلياً أنّ في هذه الإفادة شيئاً من الخلط بين وضعيتي المكتبة في الجغبوب والكفرة التي تحوّلت إليها مع انتقال السيد محمد المهدي (الابن) سنة (1312 هـ/ 1895 م).

وليس بين أيدينا مع الأسف شيءٌ من الوثائق التأسيسية – فيما أعلم – عن نشأة هذه المكتبة المهمة التي نالت قدراً من الذيوع والشهرة في بعض أرجاء العالم الإسلامي، ولكن ثمة إفادة قيِّمة أوردها المؤرخ محمد الطيِّب الأشهب (ت 1377 هـ/ 1958 م) في لوحة مؤثرة مؤسفة لتلك الكارثة التي تعرَّضت لها هذه المكتبة في مقرها الجديد بالكفرة؛ عندما داهمها جيش الاحتلال الإيطالي سنة (1349 هـ/ 1930) قبيل استشهاد شيخ الشهداء عمر المختار (1931) بفترة وجيزة؛ وهي (روايةُ شاهدٍ عيانٍ) معاصرٍ للحادثة زار الكفرة بعد احتلالها (بمدة أشهر) ونُشرتْ شهادتُهُ سنة (1947) بعد وقوعها بسبعة عشر عاماً. ونظراً لأهمية هذه الإفادة القيِّمة في هذا السياق التوثيقي رأيتُ اقتباسها، على عهدة راويها، كاملةً – باستثناء بضعة أسطر – وهي نصٌّ محكمٌ، على ما به وبسائر الكتاب من هنَات أسلوبية، وما نستشعرُهُ من مسحة المبالغة التصويرية في مستهل النصِّ الذي يلخِّصُ التقلُّبات التي تعرَّضتْ لها هذه المكتبةُ الضائعةُ خلال تلك السنوات اللاحقة القلقة، وجهودَ المخلصين من المواطنين في محاولات إنقاذها التي ذهب جلُّها أدراج الرياح.

مكتبةُ الكُفرَةِ العظيمة:

"بمناسبة ذكرى احتلال الكفرة نذكر شيئاً عن مكتبتها العظيمة .

مما يؤلم القارئ ويحزن السامع ما عمله جيش الاحتلال بالمكتبة السنوسية، تلك المكتبة التي تُــعَدُّ ثروةً علمية دونها كل ثراء ومفخرةً دونها جميع المفاخر. أخذ العساكر المحتلون يوزِّعونها ذات

---

(1) محمد بن عثمان الحشائشي، رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895 (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب) تقديم وتحقيق علي مصطفى المصراتي، بيروت: دار لبنان للنشر والتوزيع، 1965، ص 151 – 152.

(2) مصطفى عبد الله بعيو، دراسات في التاريخ اللوبي، الإسكندرية: الجمعية التاريخية لخريجي كلية الآداب بجامعة الإسكندرية (1953) ص 47.

(3) فليب وورد، مصادر الكتب في ليبيا. (ط2) طرابلس: دار النشر الليبية، 1965، ص 6.

(4) الطاهر أحمد الزاوي ، معجم البلدان الليبية، ص 107.

اليمين وذات الشمال ويرمون بهم (كذا) إلى الرياح لتعمل فيها عملها، ويوقدون بها النار، وقد كُسِيَتْ جميعُ أرض الكفرة وغطيت المباني والأشجار بأوراق تلك الكتب الممزقة والمبعثرة..![1].

وما من عسكري إيطالي أو صومالي أو وطني إلاّ وقد جاءَ بقسمٍ كبيرٍ من تلك الكتب ليهديه كتذكار لاشتراكه في هذا الفتح (!) أو لبيعه، فامتلأت بذلك أسواق برقة وما بقي من ذلك جَمَعَتْهُ إيطاليا وجاءت به إلى بنغازي، ولم نقفْ على صحة عدد ما جاءت به، ولكنها شحنتْ من ذلك أربعين (لوريّا)[2] كبيراً وقافلةً من الإبل لا تحملُ إلاّ كتباً فملأت بها عدَّة غرفٍ بقصر الحكومة في بنغازي، وهناك لعبت بها أيدي الفساد فصار الطليان يأخذون ما يروق لهم حَمْلُهُ إلى إيطاليا، وأخذ الكثير منها لعرضه بأسواق أوربا في المواسم الخاصة، وكلُّ عربيٍّ تمكّن من الوصول إلى تلك الغرف أخذ ما استطاع أخذه، وعلم الله ما من محلٍ ببرقة إلاّ وفيه القليلُ أو الكثيرُ من تلك الكتب، وقد أسندت رقابتها إلى أحد رجال الإدارة الإيطالية مستعيناً بأحد أبناء البلاد وهو (علي أفندي السمين) فلم يحرمْ هنا منها عربي تمكّن من الدخول إليها ظاناً أنَّهُ ينقذها من إيطاليا.

وقد سعى المرحوم إسماعيل كمال مدير الأوقاف الإسلامية بطرابلس للحصول على إذن من حكومتها ليستجلبَ هذه المكتبة كأمانةٍ تكون بدائرة الأوقاف الإسلامية فتحفظ وترتب وينتفع بها ، فلقي سعيُهُ الفشل. ثم سعى خلفُهُ محمود بك المنتصر لنفس الغرض فلازمه الفشل أيضاً وأخفق. ولّما عُيِّنَ الدكتور علي العنيزي مديراً لإدارة الأوقاف الإسلامية ببنغازي بذل جهده لإيداع هذه الثروة العظيمة بالأوقاف الإسلامية خوفاً من نقلها لإيطاليا وقد ذهب جلُّها، فلقي سَعْيُهُ بعض النجاح ولازمَهُ التوفيقُ وإنْ كان متأخراً. وعندما عُيِّن الأستاذ خليل أفندي القلاّل بدلاً من الدكتور على الذي نُقلَ إلى طرابلس سلّمته إيطاليا ما بقيَ منها فجاءَ بها إلى دائرة الأوقاف. وقد أخبرني حَضْرَتُهُ أنَّ العدد الذي وصل إليه من هذه المكتبة خمسة آلاف مجلّد في مختلف العلوم، فبوشرَ في ترتيبها وتنسيقها على الوجه اللايق وتمّ ترتيب ثلاثة آلاف مجلّد بفهرسةٍ خاصة، وكانت من أنفس الكتب القيِّمة والمتنوعة، ووُضِعَتْ في صناديق خاصَّة لحفظها حيث حالةُ الحرب لا تسمحُ بنشرها[3]؛ وإذا بالأمر يصدر من إيطاليا لنقل المكتبة إلى سلوق بحجَّة الخوف عليها من الحريق أثناء

---

(1) بضعة أسطر حذفت من النص المقتبس، يشير فيها المؤلف إلى زيارته للكفرة بعد احتلالها(بمدة أشهر) لعمل تجاري وإلى مَنْ كان معه من التجار (فرأينا ذلك رأي العين لا أقول عن ذلك بمجرد سماع أو أقاويل..)

(2) لوري: (من الدخيل اللغوي) : سيارة شحن.

(3) تقدَّمت (في حاشيةٍ سابقةٍ) الإشارة إلى مثل هذا الحرص لدى بعض العاملين بمكتبة الأوقاف بطرابلس في الحرب العالمية الثانية أيضاً.

الغارات، فامتنع الأستاذ خليل متجنّباً إرسالها، وخوفاً من تعريضها للتنف فَمَاطَلَ وسَوَّفَ ولكنَّه لم يُوفَّقْ، وإذا بالسيارات تقفُ أمام دائرة الأوقاف لنقلها فنقل منها ما تمَّ ترتيبُهُ؛ وهو ثلاثة آلاف مجلّد، وأُمر بتحضير القسم الثاني ولكنه لم يُرسَلْ لانسحاب الطليان بسرعة، فبقي هذا القسم بإدارة الأوقاف وعددُهُ ما يقربُ من ألفين[1] مجلد، وهذا العدد قد عُـــرِضَ الآن[2] بدائرة الأوقاف للمراجعين ومحبّي الاطلاع. وفي الحقيقة إنَّهُ لتراثٌ عظيمٌ وثروةٌ إسلاميةٌ جنيلة أوجدها السيِّد محمد السنوسي، وزادها وحافظ عليها بعده ابنُهُ السيِّد محمد المهدي وشقيقه السيِّد محمد الشريف – فجزاهم الله عن حسن صنيعهم ومجهودهم خيراً، وبارك لمن سعى في حفظها واعتنى بها. أمَّا القسم الذي نُقِلَ إلى سلوق مع الأسف الشديد فقد أحرقه الطليان أثناء الانسحاب الأخير"[3].!

ونخرجُ من هذه الرواية المؤسفة بأنَّهُ لم يَبْقَ في إدارة الأوقاف من هذه المكتبة الضائعة سوى ما يقربُ من ألفي مخطوط، وقد قُدِّرَ لها فيما يبدو أن تظل حيث ذكرت إلى أواسط – أو أواخر – الخمسينيات من القرن العشرين، إذْ عُنِيَ المؤرخ الجليل الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة آنذاك بسيرة السنوسي الكبير، وذكر في ختام بحثه (1956) أنَّ "مكتبة الأوقاف لا تزالُ قائمة إلى الآن، ومن الخير أنْ تُضمَّ إلى الجامعة، وأنْ يُفْرَدَ لها في مكتبة الجامعة مكانٌ خاص"[4]. ويبدو أنَّ هذه الدعوة المبكرة المواكبة لنشأة (الجامعة الليبية) نفسها لم يُكتبْ لها أن تتحقَّق إلى حين؛ فقد جاء أيضاً في شهادةٍ لاحقة أنَّ "هذه الكتب نقلت إلى مكتبة الأوقاف في بنغازي، ولكنها الآن (1960) موجودة في مكتبة الجامعة الإسلامية في البيضاء، وأنَّ مكتبة الجغبوب بعد كل هذا النقص والتخريب لا تزالُ مستودعاً فريداً للعلم الإسلامي في عددٍ كبيرٍ من المواضيع"[5].

---

(1) كذا (بإثبات النون) وهذا مثال للهنات اللغوية المتعددة في الكتاب، ولكنها لا تقلل من (قيمة المعاصرة).

(2) عند نشر الكتاب (1366 هـ/ 1947 م).

(3) محمد الطيب الأشهب، برقة العربية أمس واليوم، القاهرة: مطبعة الهواري، 1947، ص 484 - 486.

وتُعَدُّ مثلُ هذه (المعطيات) في مقدمة (الخسائر الثقافية) بين أضرار الحروب الاستعمارية على الأراضي الليبية التي غدت اليوم هاجساً بحثياً لأحد المشاريع العلمية بمركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية.

(4) د. محمد عبد الهادي شعيرة "سيرة السنوسي الكبير: نقد المصادر وضرورة إنشاء مجموعة لحفظ تراث الأستاذ الإمام السنوسي 1787 - 1859 م/ 1202 - 1276 هـ" مجلة كلية الآداب والتربية (بنغازي) المجلد الأول (1953 - 1377) ص 189 - 217.

(5) فليب وورد، نفس المصدر.

وقد ظلَّ الأمرُ كذلك إلى أن ضُمَّتْ (مجموعة المخطوطات) إلى رصيد (المكتبة المركزية) في أوائل السبعينيات،[1]. غير أنَّ اللافت للنظر أخيراً في هذا المقام أنَّ البقيــة الباقيــة التي بلغتــها

---

(1) يشير المربي الراحل الدكتور عمر التومي الشيباني – رحمه الله تعالى – في (سيرته الذاتية) إلى قرار تعيينه رئيساً للجامعة الليبية بتاريخ (3 شعبان 1389 هـ / 15 – 10 – 1969م) وحرصه على توسعة مكتبات الجامعة "وخاصة مكتبة الجامعة ببنغازي من خلال التزويد المنتظم لها بما يجدُّ في عالم الكتب، وبالدوريات العلمية، وبشراء مكتبات المتوفين من العلماء، وإسناد إدارتها إلى أكفأ العناصر من الليبيين وغيرهم مثل الأستاذ أحمد القلال وأبي القاسم بن إسماعيل..إلخ. انظر: أ. د. عمر التومي الشيباني، مسيرة علم وعطاء، طرابلس: جامعة الفاتح – كلية الآداب (نقابة أعضاء هيئة التدريس) 2004، ص 57 – 74.

وقد بدا لي أن أعود حقاً إلى الأخ الفاضل الأستاذ أحمد محمد القلال في مكالمةٍ هاتفية (مساء الإربعاء 8-11-2006) لأستوثق منه بدقةٍ : كيف آلت (مجموعة المخطوطات) المعنية من البيضاء إلى (المكتبة المركزية)؟ ولكنني فوجئت بقوله (إنَّه أحضرها من الجغبوب)؟.. وحين ضاقت المكالمة عن فيض الإجابة المنتظرة؛ رجوته إعداد إفادةٍ مدوَّنة (على أن يستهلها بتاريخ/ وظروف التحاقه بالمكتبة المركزية) وموافاتي بها في اليوم التالي على (الناسوخ / البريد المصوَّر) فأمدَّني بهذه الإفادة القيمة الموسَّعة التي استأذنته في إثباتها في هذا السياق حرصاً على مزيد من الدقة والضبط، وله في البدءِ جزيل الشكر وصادق التقدير.

نص الإفـادة:

1. بعد الحصول على شهادة الماجستير في علم المكتبات والتوثيق من الولايات المتحدة الأمريكية، والعودة إلى البلاد خلال شهر أكتوبر 1969 أخذ كل من المرحوم الدكتور عمر التومي الشيباني رئيس الجامعة الليبية آنذاك والمرحوم الأستاذ محمد السعداوي وكيلها، أخذا يلحَّان عليَّ للانتقال إلى مكتبة الجامعة. وبعد جهدٍ وافق الأستاذ إبراهيم الفلاح وكيل وزارة التربية والتعليم على نقلي اعتباراً من (1/ 2/ 1970) واستمر عملي بها لأكثر من ثلاثين عاماً حتى أُحلت على التقاعد سنة (2001).
2. حينما نقلت إلى مكتبة الجامعة الليبية كان مشروع المدينة الجامعية بقاريونس تحت التنفيذ، وقد قطع منه شوط كبير، ونسبت بعضوية لجنة المشروع، ومن ثمَّ أخذت أدرس الإمكانات الضخمة للمكتبة المركزية الجديدة؛ سواء بزيارات مبنى المكتبة، أو بمناقشة الاستشاري والشركة المنفذة؛ فأدركت ما ينبغي أن تكون عليه، ومن ضمن ذلك إعدادُ ركنٍ واسعٍ مجهَّزٍ بوسائل التكييف والأمن ضد الحريق والسرقة. حينذاك لم يتوفر بالمكتبة سوى عددٍ لا يذكر من المخطوطات، فألهمني الله تعالى إلى ضرورة الاهتمام بهذا الجانب وأخذت أسعى.
3. كانت لديَّ معلومات بسيطة أنَّ هناك مكتبة ثمينة جداً تعرف بمكتبة السنوسية بالكفرة وهي غنية بالمخطوطات وكتب التراث،، استولى عليها الإيطاليون وأحضروها إلى بنغازي وحفظت بها. ولشدة وتوالي الغارات الجوية على بنغازي أثناء الحرب العالمية الثانية، نقلوها إلى خارج المدينة وقد اختاروا بلدة "سلوق" وتبعد 50 كيلو متراً جنوب غرب بنغازي.
4. أثناء عملية نقلها بسيارة كبيرة تعرَّضت إلى غارة جوية أثناء النهار وقد احترق منها وضاع الكثير حسب ما يقال.
5. بعد انتهاء الحرب في ليبيا سنة 1943 أعيدت المجموعات وسلِّمت لإدارة أوقاف بنغازي، وقامت الأخيرة بتخصيص ركنٍ لها وجعلها في متناول المهتمين بالإعارة والاطلاع الداخلي.
6. في سنة 1957 أسس المعهد الديني واختيرت لمقره مدينة البيضاء باعتبار أنَّ المدينة كانت بها أول الزوايا السنوسية، فنقلت المخطوطات وكتب التراث إليها حيث مقر المعهد وصارت المكتبة الرئيسية. =

=

7. بعد إنشاء الجامعة الإسلامية بمدينة البيضاء في منتصف ستينيات القرن الماضي – لا يحضرني تاريخ الإنشاء الآن – ضُمَّ إليها المعهد الديني، وأصبحت تلك المجموعات ضمن محتويات مكتبة الجامعة الإسلامية.

8. بعدما تقرر فتح مجال الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية، تقرر أن تكون في بلدة الجغبوب، فنقلت مجموعات المخطوطات وكتب التراث حيث الدراسات العليا، وهناك وضعت في متناول الأساتذة والطلبة.

9. بعد إلغاء الجامعة الإسلامية بالبيضاء، وألغيت تبعا لذلك الدراسات العليا بالجغبوب، أبقي على المجموعات محفوظة بالزاوية في الجغبوب.

10. قبل انتقال إدارة وكليات جامعة بنغازي إلى المدينة الجامعية الجديدة بقاريونس خلال شهر إبريل 1974 اتضحت أمامي الحاجة إلى ضرورة السعي للحصول على مكتبة الجغبوب لإثراء المكتبة المركزية الجديدة، فأخذت أجمع المعلومات عنها حتى تأكّد لديَّ حفظها في زاوية الجغبوب وأهميتها الكبيرة لمستقبل المكتبة المركزية بقاريونس.

11. فاتحت المرحوم الدكتور عمر التومي الشيباني رئيس الجامعة في الموضوع ونصحني بتأجيل الأمر ... وبعد أيام راجعته في الأمر وقد بدا عليه الاقتناع وحمَّلت نفسي أمامه كامل المسؤولية. وفي المقابلة الثالثة وجدت منه التشجيع للقيام بمحاولة إحضار المجموعات إلى الجامعة.

12. جهَّزتُ قافلةً بسيارتي نقل خفيف وموظف وعامل، وتوجهنا صباحاً من بنغازي إلى الجغبوب، وأثناء استراحتنا بمدينة البيضاء وصلت قافلة المسيرة الكبرى إلى مصر في عهد الرئيس أنور السادات الذي أوقفها بمدينة مرسى مطروح بوضع قطار السكة الحديدية في طريق المسيرة لمنع وصولها إلى القاهرة. وتاريخ ذلك اليوم لا يحضرني الآن وليس في الوقت أمامي متسع لأحدده، ويمكن الحصول عليه بسهولة من بعض الجهات بطرابلس.

13. وصلنا الجغبوب مساء ذلك اليوم، ثم قابلتُ شيخ الزاوية "محمد نصيب" وحدثته في الموضوع وبدا عليه الأسف والتردد، وبعد أن شرحتُ له كيف يمكن الإفادة منها في جامعة بنغازي وبقاؤها بالجغبوب يجعلها عرضة للفساد والهلاك لما بين الطيات من حشرات دقيقة، كما أنها بعيدة عن الأساتذة والطلبة المهتمين، وأن تسليمها لجامعة بنغازي يضمن علاجها والإفادة منها وحفظها سليمة حيث لها مكان خاص تتوفر فيه كل شروط الأمن والأمان.. وقد استمر الحديث بيننا إلى ما بعد منتصف الليل دون الوصول إلى قرار منه.

14. في صباح اليوم التالي جاء إليّ موافقاً على تسليمها بشرط التعهد بالمحافظة عليها واستثناء كتب التراث المطبوعة، وهكذا بدأنا على الفور في عملية التسليم والاستلام.

15. لا يحضرني الآن العدد المستلم ولكن أذكر أنَّ الطيب الأشهب أشار إلى العدد بأنَّه حوالي 3000 مخطوطة قبل تعرضها للغارة الجوية. وأتذكر أنَّها كانت خليطاً من المخطوطات الإسلامية في مختلف العلوم الدينية واللغة العربية والفلك والرياضيات والتاريخ وغيرها. بعضها بخط المؤلف وآخر منسوخ خلال فترة قريبة من حياة المؤلف أو مجرد نسخة حديثة نسبياً لتوفيرها كمرجع للدارسين وقت أن كانت بالكفرة.

16. هناك معلومات عن مكتبة الجغبوب ذكرها محمد الطيب الأشهب في كتابه "برقة العربية بين الأمس واليوم" والكتاب طبع بمطبعة الهواري بمصر ونشر سنة 1947، وهو الآن نادر ولا يتوفر إلا لدى بعض الأشخاص. وإذا كنت في حاجة إلى الاطلاع عليه ومعرفة العدد فأمهلني بمنح فرصةٍ لأبحث عن الكتاب.

[عدت إلى الكتاب قبل هذا واستفدت منه كما تقدَّم أعلاه].

17. إنَّ ما يعمر به مكتب المخطوطات بالمكتبة المركزية لجامعة قاريونس الآن يتكون من مخطوطات الجغبوب وما جمعته من اليمن ويوغسلافيا السابقة ومصر والعراق. وقد تضمَّنها جميعاً فهرست من مجلدين صدرا ضمن منشورات جامعة قاريونس. وهناك مجلد ثالث يقوم بإعداده الأخ فرج شمبش.

18. هناك عددٌ كبيرٌ من طلبة الدراسات العليا من مختلف الجامعات الليبية أعدُّوا ويعدون رسائلهم اعتماداً على هذه المخطوطات بتنوع موضوعاتها".

أحمد محمد القلاَّل   بنغازي (9-11-2006).

من مجموعة مكتبة الجغبوب في نهاية المطاف تقرب من نحو (900 عنوان مخطوط)[1] ليس أكثر.

وهكذا واصلت المكتبة المركزية لجامعة قاريونس منذ ذلك الحين انطلاق جهدها نحو التجميع على نطاقٍ أوسع وأشمل) بالشراء والتصوير من الداخل والخارج؛ من الجبل الغربي، وتركيا، ومصر، واليمن، ويوغسلافيا، ومعهد المخطوطات العربية، فبلغ عدد مخطوطاتها (2750) مجلّداً؛ تضم أكثر من (3500) عنوان مخطوط أصلي، ونحو (900) عنوان مخطوط مصوَّر. وفيما يلي عرض لمحتوى الفهرس المنشور بأجزائه الثلاث[2].

---

(1) فرج ميلاد شمبش، فهرس مخطوطات مكتبة جامعة قاريونس المركزية. بنغازي: جامعة قاريونس، 2001، ج1 ص6.

ولا يفوتني في هذا المقام الأثير أن أتوجه بجزيل الشكر والتقدير أيضاً إلى الأخ الفاضل الأستاذ فرج ميلاد شمبش (حافظ قسم المخطوطات بالمكتبة) على معونته الكريمة بإتاحةِ الاطلاع واختيار النماذج المصورة في ظرفٍ وجيز.

(2) المصدر نفسه: ج1 (297 ص) ج2 (525 ص) ج3 (484 ص).

فهرس مخطوطات مكتبة جامعة قاريونس (بنغازي)

الجزء الأول	العدد	الجزء الثاني	العدد	الجزء الثالث	العدد
المصاحف	76	أصول الفقه	93	المعارف العامة	8
قراءات	36	الفقه المالكي	200	فهارس علمية خاصة	4
علوم القرآن	10	الفقه الشافعي	47	العلوم المشتركة (؟)	28
تفسير	65	الفقه الحنفي	126	المنطق	53
حديث	243	الفقه الحنبلي	6	الفلسفة والرؤيا	4
مصطلح حديث	20	فقه الفرق الاسلامية والمذاهب الأخرى	20	آداب البحث	24
توحيد "علم الكلام"	127	فقه المذاهب الأربعة	21	اللغة العربية	35
		الفرائض	46	البلاغة	87
		التصوف	188	النحو	134
		المواعظ	119	الصرف	43
		الأدعية والأذكار	82	العروض	27
		السيرة النبوية	105	الكيمياء	16
				سرف الحرف	51
				المعادن	4
				الفلك والميقات وعلم الهيئة	80
				الحساب	22
				الجبر	2
				الطب والصيدلة	25
				البيطرة	3
				الأدب	79
				التاريخ	32
				الجغرافيا والمساحة	5
				التراجم	22
				المناقب	25
المجـــــاميع	577		1053		813

5. 3- جدوى العمل الميداني:

عُني مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية بآلية العمل الميداني منذ البداية، وكانت إحدى ركائزه الأساسية التي قام عليها جهدُهُ التوثيقي في جمع التاريخ الشفوي، والوثائق والمخطوطات، وتعبئة الاستبيانات، وتصوير المواقع والمشاهد..إلخ. وقد تعددت مراحل هذا العمل الميداني وتفاوتت رحلاتُهُ في أهدافها وحجم حركتها، وكان لفريق (شعبة الوثائق والمخطوطات) قدرٌ من الخصوصية بالطبع لاختلاف مساراته وطبيعة عمله.

وقد تجمَّعت لديَّ في (كنَّاش العمل الميداني) العديدُ من التقييدات لأولية العاجلة (غالباً) حول المخطوطات، واستخرجتُ من الكنَّاش منذ بضعِ سنوات عشرات البطاقات المستقلة لتلك التقييدات حتى أتمكن من تصنيفها على النحو التالي:

(1. مؤلَّفات ليبية. 2. منسوخات ليبية. 3. مخطوطات عامة.)

وتعبِّر الفقرةُ الأولى، على قلَّتها، عن مساهمة العلماء الليبيين في مختلف موضوعات (التأليف) المألوفة في المكتبة العربية الإسلامية، وخاصة في هذا الفضاء الرحب من بلاد الغرب الإسلامي. في حين تُنقي الفقرةُ الثانية بعضَ الإضاءات الجيِّدة المتفرِّقة على نشاط أولئك النساخ في (حركة النشر/ أو الوِراقة). وتشير الفقرةُ الأخيرة إلى (المقتنيات) المختلفة الواردة على البيئات المدرسية/ الثقافية من مخطوطات المشرق والمغرب.

إنَّ برنامج دراستنا لتاريخنا الثقافي يجب أن يشمل أيضاً درس/ وتسجيل الأدوات الثقافية — إذا صحَّ هذا الأداء — فضلاً عن درس / وتحليل النتاج الفكري. فأدواتُ الكتابةِ والتسطير، وصناعة الأقلام والحبر والورق والتسفير، وأماكنُ التعليم ونظمُهُ، والمكتباتُ العامة وتقاليدُهَا السائدةُ في الحفظ والإعارة، ونشاط النسَّاخ باعتباره صورةً نسبية مما نسمِّيه اليوم (حركة النشر)..إلخ كلُّها من صميم التاريخ الثقافي. وبالرغم مما نلقيه في بعض الأحيان من تبعات على قصور بعض النسَّاخ وأخطائهم؛ فإنَّه لَيَجِبُ أن ننظر إلى نشاط بعض النساخ من ذوي التمكُّن والرسوخ في العلم على أنَّه جهدٌ مقدَّر في النشر والتوثيق.

كما أنَّ دراسةً إحصائيةً تحليليةً (مقاربة) لنشاط النساخ ومنسوخاتهم في بيئةٍ ما — على سبيل المثال — من شأنها أن توقفنا على نتائج طيبة. ومن المؤمَّل أن تدلَّنا على حجم الآثار الفكرية / والمدرسية التي كانت سائدة؛ ونسبة توزيعها بين مختلف العلوم والفنون؛ ونسبة رواج تلك المؤلَّفات استناداً إلى تعدد نسخها، ودرجات التفاوت في التعامل مع البيئات العلمية الأخرى، ونسبة الآثار الواردة إلى الآثار المحلية، وحركة الكتاب بين الأفراد والمكتبات العامة من خلال نظام الوقف والاستعارة... إلى آخر هذه القضايا التي تُعنى بالتحليل الخارجي للآثار الثقافية، إلى جانب التحليل الداخلي الذي يُعنى بتقويم المحتوى تقويماً مقارناً بين سوابق النصِّ ولواحقه.

المسطرة مثلاً!

فقد كان المؤلِّفون والنسَّاخُ آنذاك يستخدمون أداةً طريفةً معروفةً لتسطير صفحاتهم؛ وهي تتكوَّن من لوحةٍ مستطيلة من جلد أو ورقٍ مقوًّى؛ يُشَدُّ عليها خيطان سميكان بشكلٍ رأسيٍّ إلى يمينها ويسارها، وبينهما عددٌ من الخيوط المماثلة في وضعٍ أفقيٍّ، بعدد الأسطرِ المختارة، وتُضغَطُ هذه الأداة على الورقة البيضاء فتُحْدِثُ فيها سطوراً غائرةً قليلاً من غير لون، خاصةً وأنَّ الورق آنذاك سميكٌ يحتمل مثل هذا الضغط الذي يتركُ عليها أثراً بَيِّناً، وكأنَّهم لجأوا إلى هذه الطريقة الجافَّة حتى لا يختلط مداد التسطير بمداد الكتابة! والتزامُ هذه الطريقة يفسِّرُ ما نَجدُهُ في الكثير من المخطوطات من دقَّة الأسطر واتِّساقها، واتحاد عددها في سائر الصفحات (التالية) دون أن نلاحظ غالباً تلك السطور الغائرة. وقد شاهدتُ أكثر من نموذجٍ من هذه (المسطرة العتيقة) بين (مجموعات المخطوطات) التي أُتيح لي الوقوف عليها، كما شاهدتُ أوراقاً بيضاء مسطَّرةً بهذه الطريقة التي تعدّ من صميم (المصطلح الكوديكولوجي).

5. 3. 1- (زاوية أبي ماضي نموذجاً):

أُسست (زاوية أبي ماضي) أسفل جبل يُعْرَفُ بهذا الاسم فَنُسبَتْ إليه، ويقع ببلدة (ككلة) وهو جزءٌ من الجبل الغربي (جبل نفوسة) الذي يُعَدُّ امتداداً لسلسلة (جبال الأطلس). وتبعد الزاوية عن طرابلس بنحو (130 كلم) وفي خبر تأسيسها روايتان: تردُّه أولاهما إلى عبد المولى الصنهاجي (القرن 7 هـ/ 13 م) وثانيتهما إلى رجل من سلالته؛ وهو عبد النبي الأصفر الجبالي (القرن 9 هـ/ 15 م) [1]. وأغلبُ الظنِّ أنَّ تأسيسها تمَّ على مراحل وشَهِدَ إضافات متتالية. وفي الزاوية عددٌ من الأضرحة كضريحي الشيخين المؤسِّسين المذكورين أعلاه؛ وهذا ما يبعثُ على إضافة (سيدي) إلى اسمها – فيما يبدو – لدى المؤرخ حسن الفقيه حسن في (اليوميات الليبية) [2] ولدى الباحث الإيطالي إنريكو دي أغسطيني في (سكان ليبيا) [3].

وتضمُّ الزاوية التي كان يديرُ شؤونَها أولادُ أبي سيف عدداً كبيراً من الخلوات (نحو 26 خلوة) لسُكنى الطلبة، وغرف التخزين، وبيوت السُّكنى للمشائخ والفقهاء والغرباء، فضلاً عن المسجد العتيق وغار العبادة (للشيخ عبد النبي) وصهاريج المياه والمطبخ وحجرة الضيافة..إلخ. وتبدو عمارةُ الزاوية وكأنَّها مؤسسةٌ علميةٌ متكاملةٌ، مترابطةُ البناء، المتعددِ في طوابقه، المتفاوت

---

(1) انظر: عبد الحميد عبد الله الهرامة "الحياة العلمية بالجبل الغربي في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين" مجلة البحوث التاريخية، (طرابلس) السنة السادسة – العدد الأول (يناير 1984) ص 107 – 108.

(2) حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية: الجزء الثاني (الحرب الأهلية ونهاية العهد القرمانلي 1248 – 1251 هـ/ 1832 – 1835 م) تحقيق عمار جحيدر، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2001 ص 333.

(3) هنريكو دي أغسطيني، سكان ليبيا: الجزء الأول – القسم الخاص بطرابلس الغرب، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، ط2 ليبيا – تونس: الدار العربية للكتاب، 1978، ص 460.

في ارتفاعه. وقد زرنا – مع عدد من الزملاء الباحثين الأفاضل – في نطاق رحلات العمل الميداني خلال سنة (1989) – وتحصنا ما تبقّى بها من مخطوطات ودشوت على امتداد بضعة أيام متتالية، وفهرسناها (فهرسةً أوليَّة) وبلغ ما فهرسنـــاه منها نحو (114) مخطوطاً؛ بينها عددٌ من المجاميع، وقليلٌ من المؤلفّات الليبية. وكان الأخوة الأفـــاضل القائمون على الزاوية (من أهالي المنطقة) خيرَ عون على أداء تلك المهمّـــة. وكُنَّا نرى في بقايا هذه المكتبة الجيِّدة – ونحن نفحصُ مخطوطاتها ونضمُّ دشوتَهَا المفرَّقة المختلطة – مثالاً حائلاً لمكتبة مدرسيَّة (بزاوية علمية) اضطلعت بدور مشهود في الحياة العلمية خلال القرون الماضية، حتىَ عُدَّتْ – مع (زَاوية العَالم) أيضاً – أكبرَ الزوايا بالجبل الغربي، كما قاربتْ – أو ضارعتْ – (زاوية عبد السلام الأسمر) الواقعة بزليطن شرقي طرابلس بنحو (170 كلم) في قِدَمِهَا وشهرتِهَا وأثرِهَا العلميِّ الملحوظ حتى وقت قريب[1]. ولكنَّها توَّقفتْ – مع الأسف – عن نَشاطها منذ سنين عديدة، وغَدَا تراثُهَا المخطوطُ عرضةً للتَّلف والاندثار[2].

---

(1) حُرِّرت هذه الخلاصة استناداً إلى تقييدات الباحث في (كنَّاش العمل الميداني) 1989.

انظر أيضاً: الفرجاني سالم الشريف "قائمة مخطوطات زاوية أبي ماضي بمنطقة ككلة" مجلة الوثائق والمخطوطات (طرابلس) العدد السابع والثامن (1992 – 1993).

(2) تشكَّل فريق الشعبة في تلك المرحلة من العمل الميداني من الإخوة الزملاء الباحثين الأفاضل :

1- إبراهيم سالم الشريف.

2- الفرجاني سالم الشريف.

3- مختار الهادي بن يونس.

من شعبة الوثائق والمخطوطات.

4- محمد علي التركي (من شعبة الرواية الشفوية).

5- خليفة عمر(من قسم التصوير بالمركز).

6- عمار جحيدر.

وقد حرصنا على الاتصال بأكبر قدر ممكن من الأسر العلمية للاطلاع على مقتنياتها، مع العناية أيضاً بمخلَّفات الزوايا من الوثائق والمخطوطات وتصنيفها وفهرستها (فهرسة أولية بالطبع) واستعارة(المختارات) منها لتصويرها بالمركز على الميكروفلم. وتعددت في هذا النطاق تلك المكتبات [أو بالأحرى بقايا المجموعات الخاصة على تفاوت أحجامها] التي تمكّنا من الوقوف عليها في المواضع التالية : 1- الشيخان محمد أبو القاسم الحاجى و علي الهاشمي الحاجي (قصر الحاج) .2- أحمد محمد الأنصاري (الرجبان) .3- الذهبيي بن سعيد محمد معيوف (الزنتان) .4- الشيخ محمد الإمام الزنتانى (الزنتان). 5- الجيلاني محمد أحمد سعود (الزنتان) . 6- علي عبد الرحمن المقرحي (أم الجرسان).7- أحمد بن محمد السوداني(نسمة). 8- الشيخ محمد النعاس قرزة(نسمة).9- الشيخ أحمد إدريس الأزهري (طبقة). 10- الشيخ محمد بوكر الغرياني (قبّاع-غريان) . 11- الشيخ محمد بن عمر السنوسي (قباع-غريان).12- الأستاذ توفيق الطاهر (أبو زيان – غريان). 13- زاوية السلامات(الرحيبات) .14- زاوية العميان (الزنتان). .15- زاوية طبقة. 16- زاوية أبي ماضي . 17- زاوية قرزة .18- مع زيارة محكمة غريان وفحص بعض سجلاتها القديمة ؛ ومنها ما يعود إلى أواخر العهد العثماني . وتفصح هذه المعطيات عن ثراء المنطقة بتلك المادة المدوّنة من الوثائق والمخطوطات ...إلخ قياساً الى غيرها من البيئات البدوية (الرّحل). =

2.3.5 - إحدى المجموعات الخاصة تؤول إلى مكتبة الزاوية سنة 1316هـ (وثيقة)

(الحمد لله [1]والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد فهذا بيان ما وجد في خزانة سيدي موسى بن إبراهيم سنة ستة عشر بعد ثلاثمائة وألف.

1- أول ذلك وبالله التوفيق تفسير الجلالين وثلاثة أسفار من حاشية الجمل عليه.

2- ثم الفاسي والسجاعى على دلايل الخيرات.

3- ثم مصحف قرءان.

4- ثم متن الجامع الصغير.

5- ثم الجزء الثاني من موضوعات ابن الجوزى.

6- ثم اللقانى على شمايل الترمذي.

7- ثم متن الهمزية.

8- ثم شرح مختصر على الزروقية .

9- ثم السيرة الحلبية ،جزآن.

10- ثم حاشية الكمال ابن أبي شريف على شرح السعد للعقائد النسفية.

11- ثم شرح الشيخ السنوسى على صغرى الصغرى .

12- ثم مجموع فنون أول ذلك حاشية العدوي على الهدهدي ، توحيد.

13- ثم شرح الامع [اللامع ؟] على السبط ، حساب .

14- ثم شرح الجوهرة لولد الناظم .

15- ثم حاشية على السعد على العقائد.

16- ثم قصة الإسراء والمعراج للإمام المدابغي .

= من تقرير للباحث عن (نشاط فريق الوثائق والمخطوطات خلال العمل الميداني ببلدية الجبل الغربي ، من الرحيبات إلى غريان، من 22 - 7 إلى 14-9 - 1989م) حرّر بتاريخ (20-9-1989م).

وتؤكد مجمل المشاهدات والملاحظات عن قرى الجبل الغربي تلك الحقيقة التي تملأ النفس حقاً؛ وهي ظاهرة: (حضارة القرية) التي شاهدنا آثارها ظاهرة: في المعمار، والأشجار، ومعاصر الزيت العتيقة، وبعض العادات والتقاليد، والمؤسسات التعليمية، والاهتمامات العقلية المدونة.

(1) وقفت على هذه الوثيقة بين مخطوطات الزاوية ، ودوّنتها في (كناش العمل الميداني) آنذاك ، ومنه أدرجتها في هذا السياق التوثيقي المناسب ، وهي عيّنة محدودة من المجموعات الخاصة .

17- ثم شرح العصام على السمرقندية في الاستعارات ، شرح السعد على عقائد النسفي ، حاشية الأمير على الجوهرة.
18- ثم حاشية الشيخ الأمير على الشيخ عبق ثلاثة أجزاء (جزء) الإجارة، والجزء الثالث من العدوى على الخرشي ، وشرح جزء البيوع ، ونبذة من تخميس الهمزية غير (...؟) ومتن الترتيب في الفرائض, مفقود الآخر.
19- ثم شرح الشذور وحاشية الشيخ عبادة عليه ، وشرح شواهده للمؤلف ، ونبذة من أول شرح بانت [سعاد] .
20- ثم الجزء الأول من التصريح .
21- ثم سفر من معرب الشيخ خالد لمتن الألفية ، إحداهما مفقوده الآخر ، وشرح الشيخ المكودى، ونبذة من آخر شرح الفاكهي ،والله أعلم .
22- ثم مختصر الإمام السنوسي في علم المنطق .
23- ثم شرح الملوي الكبير على السمرقندية في الاستعارات .
24- ثم المنازي على خصائص السيوطي .
25- ثم شرح مبسوط على السلّم.
26- ثم حاشية الإمام السكتاني على شرح السنوسي لعقيدته الصغرى المعروف بأم البراهين.
27- ثم شرح الخبيصي على مختصر السعد في المنطق، غير تام .
28- ثم شرح الأشموني وحاشية الصبّان عليه ، تامة.
29- ثم شرح السنوسى لمؤلفه .(لعله السوسى؟)
30- ثم حاشية مختصرة على الشنشوري ، مفقود آخرها ، وحاشية على صغير الملوي ، كذلك مع نبذة من شرح العروض ، مع رسالة الشيخ أحمد العدوى في المسائل المستثناة من قاعدة كل صلاة بطلت على الإمام بطلت على المأموم إلا ما استثني من هذه المسائل .
31- ثم متن الجوهرة .
32- ثم شرح التفتازاني على مختصر الزنجانية (كذا) في التصريف .
33- ثم شرح الورقات في الأصول وكراس من متن الكافي في علمي العروض والقوافي ، ونبذة (أظن) بها من أول الفاكهي).

5 .3 .3 – بعض المعطيات المختارة من مخطوطات زاوية أبي ماضي (في سياق تراتبي)

ر.م	المؤلف	العنوان	الناسخ	التاريخ
1.	أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي.	(الجزء الثاني) من كتاب الموضوعات (في الحديث) أوله: باب دخول الحمام.	نسخة مشرقية (إقتناء).	يوم الأحد 8 رجب 857هـ
2.	القاضي عياض.	الشفا بتعريف حقوق المصطفى.	؟ في أوله: (انتقلت ملكية هذا الكتاب إلى يد موسى بن محمد بن بلقاسم بن الحارص، اشتراه في مدينة طرابلس عام أربعة وستين ومائة وألف).	يوم الأحد 24 ربيع الآخر 1002 هـ
3.	محمد بن علي الخروبي الطرابلسي.	مجموع في 134 ورقة: 1– التعبير عما لاح في الضمير (1–ب إلى 4–أ). 2– رسالة لم نتبين عنوانها، أولها: وبعد لما كانت المواهب الربانية والنفحات الإلهية..إلخ. (4–ب إلى 10– ب) 3– شفاء الألم في التنبيه على بعض مقاصد الحكم. (10–ب إلى النهاية).	أبو القاسم ابن الفقيه خليفة الورفلي الزكريوي.	يوم الجمعة 28 رجب 1078 هـ
4.	أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الغدامسي.	شرح عقيدة السنوسي (تنقصه أوراق قليلة من البداية)	بخط المؤلف.	2 ربيع الثاني 1094 هـ
5.	التتائي.	(شرح) على الشيخ خليل.	محمد بن أحمد بن سالم التومي بن خليفة ابن محمد المطردي نسباً من جانب غربي طرابلس القاطن المتولد ببلد زمورة أحد قبايل مسراتة من شرقية طرابلس.	كان الفراغ منه ضحوة يوم الجمعة 14 شعبان 1105 هـ
6.	محمد الخرشي.	(شرح) علي خليل (الربع الأول).	علي ين عبد الله بن علي الطرابلسي وذلك بمدرسة الشيخ الأستاذ الجامع بين الطريقة والحقيقة أبي إسحاق إبراهيم الجمني.	1140 هـ
7.	محمد بن أحمد ميّارة.	شرح المرشد المعين.	محمد بن أبي القاسم بن مَحمد بن مُحمد ابن أحمد بن سالم المطردي نسباً	آخر صفر 1164 هـ

ر.م	المؤلف	العنوان	الناسخ	التاريخ
8.	إبراهيم بن مرعي بن عطية الشبرخيتي.	الفتوحات الوهبية شرح الأربعين النووية.	(نسخة مشرقية).	أول جمادى الأولى 1166
9.	أحمد شهاب الدين بن عبد الفتاح الملوي الشافعي.	شرح الاستعارات.	محمد بن أحمد أبي زغاية المقرحي نسباً القويي [بيائين] عشيرة الطرابلسي وطناً.	يوم السبت 13 جمادى الثانية 1175 هـ
10.	يوسف بن سعيد الصفتي المالكي.	(كلمات قليلة على شرح العلاّمة ابن تركي على العشماوية).	أبو القاسم بن محمد بن أحمد شهر طق [طق من سكان قرية أولاد عبد المولى]	يوم الخميس 16 ربيع الأول 1241 هـ
11.	عمر بن محمد السوداني.	الفتاوى.	عبد النبي بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو سيف.	آخر ذي القعدة 1241 هـ
12.	ابن هشام.	نكث على قطر الندى وبل الصدى.	عبد الرحمن بن الأمين بن عبد الرحمن بن عبد الحفيظ بن إنبيَّة	1247 هـ
13.	علي أبو الحسن المالكي.	تعليق لطيف لخصته من شرحي الوسيط والصغير على رسالة ابن أبي زيد القيرواني.	محمد بن أحمد بن بشر بن نصر بن بشر بن نصر (كذا) الكميشي نسبة ، العلوي موطناً، المالكي مذهباً، الأشعري ، إنْ شاء الله اعتقاداً.	وكان الفراغ منه قيلولة الأحد أوايل ذي القعدة 1248 هـ
14.	خالد بن عبد الله الأزهري.	شرح الآجرومية.	محمد بن أبي القاسم بن محمد بو إبنيدقة شهر المشاي، لأخيه محمد بن محمد بن أحمد أبو حميرة.	1265 هـ
15.	أحمد بابا السوداني التنبكتي.	سؤال الكشف والبيان بحكم مجلوب السودان. رسالة في (4 ورقات).	محمد بن عبد النبي بن أحمد المريض .	1267 هـ
16.	الخرَّاز.	منظومة في الرسم.	محمد بن أحمد بن الحاج محمد الزين السبهاوي.	1300 هـ بزاوية مرده
17.	محمد النعاس.	حاشية محمد النعاس (في النحو).	؟ آخرها: (هذا ما وجد من هذه الحاشية ومات مؤلفها قبل تمامها).	(؟)

(من كنَّاش العمل الميداني)

4.5- المساهماتُ الوصفيةُ/ التوثيقيةُ المعاصرة (ثَبَتٌ تراتبي)

ر.م	الباحث/ المؤسسة	العنوان/ العمل	التاريخ
1.	اليونسكو.	تقرير (مرقون على الآلة الكاتبة) عمَّا تمَّ تصويره تحت إشراف الدكتور فرنسيسكو سيفيلانو خبير التصوير باليونسكو: (نحو 112 مخطوطاً من مكتبة الأوقاف، وعدد من المطبوعات، مع ما صورته من الوثائق والسجلات من دار المحفوظات التاريخية).	1962
2.	أ. محمد مرسي الخولي (السكرتير الثاني بالمعهد).	"تقرير عن مهمة استطلاع المخطوطات في الجمهورية العربية الليبية" مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 20 ج1 (مايو 1974) ص 181 – 189.	1974
3.	الأستاذ علي مصطفى المصراتي.	مؤرخون من ليبيا: مؤلَّفاتهم ومناهجهم (عرض ودراسة) طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع.	1977
4.	عمار جحيدر.	فهرس المخطوطات العلمية في الجماهيرية العربية الليبية (قدِّم إلى الندوة الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب [معهد التراث العلمي العربي بحلب 1979] وهو يقوم على جمع البطاقات المعنية من: مكتبة الأوقاف بطرابلس، والمكتبة المركزية لجامعة قاريونس ببنغازي، مع فهرسة بعض المخطوطات المزيدة بشعبة الوثائق والمخطوطات].	1979
5.	د. عبد الكريم أبو شويرب.	"مخطوطات الطب والصيدلة بمكتبة الأوقاف بطرابلس" مجلة الثقافة العربية (بنغازي) العدد السابع (يوليو 1980) ص 117 – 126؛ العدد الثامن (أغسطس 1980) ص 111 – 118.	1980
6.	أ. فرج ميلاد شميش.	فهرس مخطوطات مكتبة جامعة قاريونس المركزية – بنغازي. الجزء الأول – طبعة مرقونة [الطبعة الجديدة 2001].	1982
7.	أ. فرج ميلاد شميش.	فهرس مخطوطات مكتبة جامعة قاريونس المركزية – بنغازي. الجزء الثاني – طبعة مرقونة. [الطبعة الجديدة 2001].	1983
8.	أ. محمد الطوير.	"مكتبة مدرسة مصطفى خوجه الكاتب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بمدينة طرابلس" مجلة الفصول الأربعة (طرابلس السنة 6 – العدد 22 (أغسطس 1983) ص 22 – 43.	1983
9.	د. يحيى عبد الرؤوف جبر.	"مخطوطات مكتبة الزاوية الإسلامية في غات" المجلة الثقافية (الجامعة الأردنية) العدد الثاني (كانون الأول 1983) ص173– 176.	1983
10.	أ. عبد الحميد عبد الله الهرامة.	"أهم مراكز المخطوطات العربية في العالم" مجلة الناشر العربي (طرابلس) العدد الثاني (فبراير 1984) ص 80 – 92.	1984
11.	أ. إبراهيم سالم الشريف.	"من المخطوطات الليبية الحلقة الأولى" مجلة كلية الدعوة الاسلامية (طرابلس) العدد الثاني (1985).	1985

12.	أ. محمد الطوير.	"من تاريخ المكتبات في ليبيا: [مكتبة أحمد باشا القرمانلي]. مجلة الناشر العربي، العدد الخامس (يوليو 1985) ص 147 – 158.	1985
13.	أ. إبراهيم سالم الشريف.	"من المخطوطات الليبية – الحلقة الثانية" مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الثالث (1986).	1986
14.	أ. إبراهيم سالم الشريف.	"من الخزائن العلمية: فهرس مخطوطات مجموعة درج" مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد الأول (1986).	1986
15.	أ. بشير قاسم يوشع.	فهرس مخطوطات غدامس، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.	1986
16.	مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.	مجلة الوثائق والمخطوطات. (العدد الأول). وهي أول مجلة عربية جامعة بين هذين الفرعين فيما أعلم.	1986
17.	أ. إبراهيم سالم الشريف.	المخطوطات الليبية بالخارج، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الرابع، 1987.	1987
18.	د. عبد الله محمد الشريف. أ. محمد إمحمد لطوير.	دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية، مصراته: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1987.	1987
19.	أ. الفرجاني سالم الشريف.	"من المكتبات الخاصة: فهرس المخطوطات المصوَّرة" مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد الثاني 1987.	1987
20.	أ. إبراهيم سالم الشريف.	فهرس المخطوطات بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، من منشورات المركز (الجزء الأول).	1989
21.	مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.	جائزة ابن الإجدابي للوثائق والمخطوطات – الدورة الأولى (طرابلس 1989). عدد المشاركين: 25. عدد الوثائق: 70. عدد المخطوطات: نحو (115) منها (23) مخطوطة ليبية.	1989
22.	أ. محمد الطوير. د. عبد الله الشريف.	"مكتبة أحمد النائب الأنصاري في نهاية العهد العثماني الثاني" مجلة الناشر العربي، العدد التاسع عشر (1991) ص 100 – 117.	1991
23.	أ. مختار الهادي بن يونس.	علماء الغلابنة وآثارهم العلمية، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1991.	1991
24.	مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية. (بالتعاون مع المعهد العالي لتكوين المعلمين – كلية الآداب فيما بعد – بزليطن).	المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات في ليبيا: واقعها وآفاق العمل حولها (زليطن 1988) – (مجلّدان).. (تضمنت أعمال المؤتمر نحو عشر مساهمات عن المخطوطات في ليبيا، والمخطوطات الليبية في الخارج – المغرب العربي).	1992
25.	أ. الفرجاني سالم الشريف.	"قائمة مخطوطات مكتبة زاوية أبي ماضي بمنطقة ككلة بالجبل الغربي "مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد السابع والثامن (1992 – 1993).	1992/ 1993

.26	أ. إبراهيم سالم الشريف.	"مكتبة أسرة النائب في بقايا آثارها المخطوطة" ضمن أعمال ندوة : المؤرخ أحمد النائب الأنصاري (**1999**). لم تصدر بعد.	**1999**
.27	مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.	جائزة ابن الأجدابي للوثائق والمخطوطات، الدورة الثانية (غدامس **1999**). عدد المشاركين **38**. عدد الوثائق **103**. عدد المخطوطات: (**375**) منها (**60**) مخطوطة ليبية.	**1999**
.28	أ. إبراهيم سالم الشريف.	فهرس المخطوطات بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية. (الجزء الثاني)	**2000**
.29	أ. فرج ميلاد شمبش.	فهرس مخطوطات مكتبة جامعة قاريونس المركزية – بنغازي، (الجزء الثالث).	**2001**
.30	أ. الفرجاني سالم الشريف.	المخطوطات الليبية المحفوظة بالمكتبات التونسية والمغربية، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، **2002**.	**2002**
.31	أ. إبراهيم سالم الشريف.	"المخطوطات الطبية في ليبيا" ضمن أبحاث : الملتقى المغاربي الثالث حول المخطوطات العلمية في المغرب العربي، الجزائر (**2005**).	**2005**
.32	مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.	جائزة ابن الإجدابي للوثائق والمخطوطات – الدورة الثالثة (زويلة **2005**). عدد المشاركين: **70**. عدد الوثائق: **2555**. عدد المخطوطات: (**338**) منها (**36**) مخطوطة ليبية.	**2005**
.33	أ. إبراهيم سالم الشريف.	فهرس المخطوطات بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (الجزء الثالث).	تحت الطبع
.34	أ. محمود كعبور.	المخطوطات العربية في المكتبات الليبية: دراسة لتقويمها وسبل الإفادة منها. (أطروحة دكتوراه – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية).	قيد الإعداد منذ بضع سنوات.

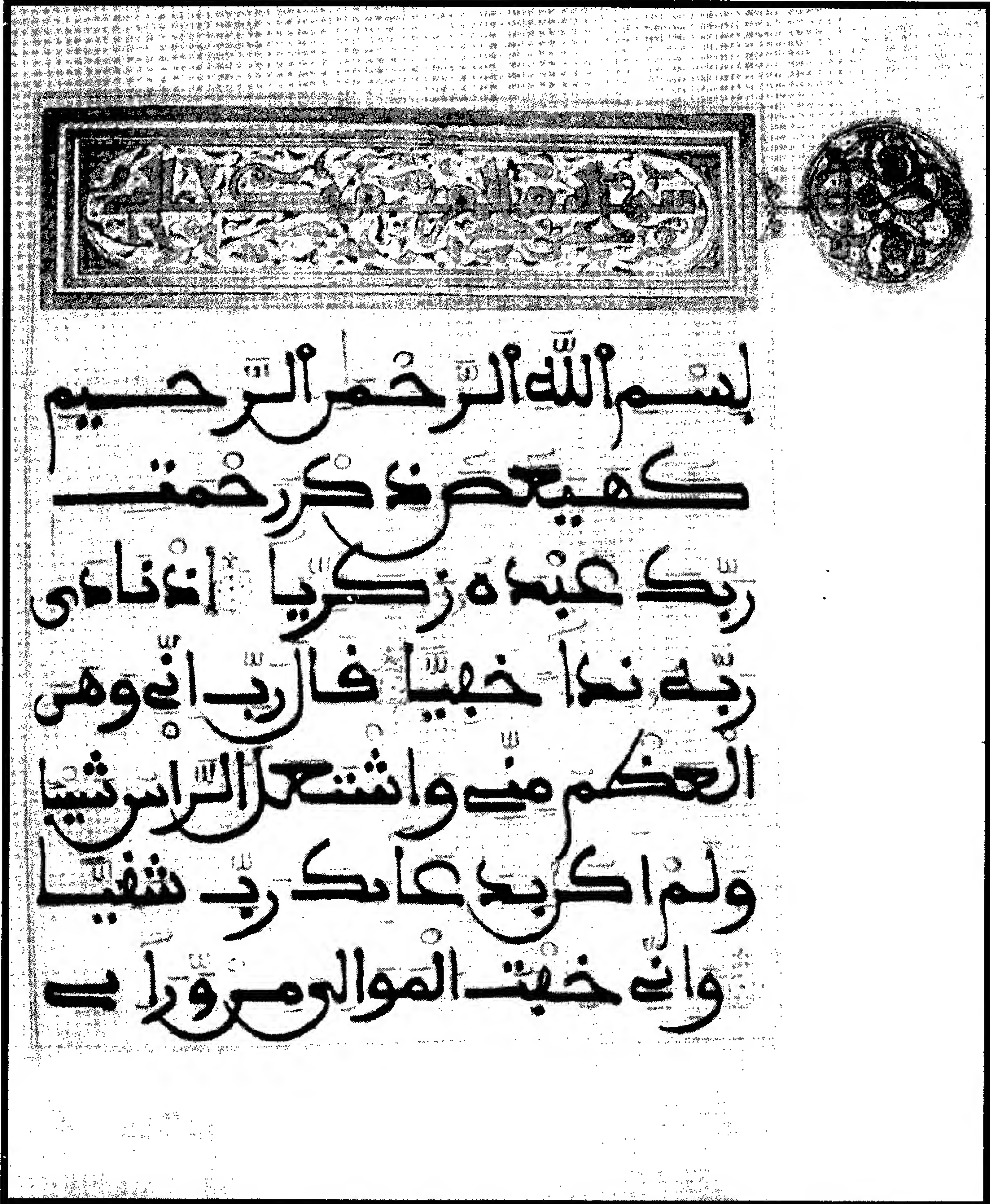
5.5 – لوحات مصورة مختارة

من المخطوطات العربية في ليبيا

(ملحق وراقي)

أ – مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

ب – المكتبة المركزية لجامعة قاريونس.


بسم الله الرحمن الرحيم
كهيعص ذكر رحمت
ربك عبده زكريا إذ نادى
ربه نداء خفيا قال رب إني وهن
العظم مني واشتعل الرأس شيبا
ولم أكن بدعائك رب شقيا
وإني خفت الموالي من ورا

1– صفحة مــن القرآن الكريــم (بداية سورة مريم)

نسخة تعود إلى أواخر العهد القرمانلي

(مجموعة الأوقاف تحت رقم (**21**)

قالوا والحمر من الابل أطهرها جلدا والورق
أطيبها لحما والحور أعزرها لبنا وأكثر
ما تكون النجابة في الأدم والصهب وقال
بعض العرب الرمكاء بهيا والحمراء صبرى
والخوارة غزرى والصهباء سرعى ولقد
بنوا عبس ما صبر معنا في حربنا من النساء الا بنات
العم ومن الابل الا الحمر ومن الخيل الا الكمت
باب في سير الابل
العنق ضرب من سير الابل وهو المشي السريع
الذي يتحرك به عنق البعير يقال
أعنق يعنق إعناقا وفوق ذلك الرتك وهو مقاربة
الخطو في إسراع ويسمى به الحفد يقال رتك
البعير رتكا ورتكانا وحفد يحفد
حفدا وحفدانا اذا ارتفع سيره حتى يكون
عدوا أو يراوح فيه ما بين يديه ثم ذلك الخبب
يقال

2- كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ (في علم اللغة)

المؤلف: إبراهيم بن إسماعيل بن الأجدابي من رجال القرن الخامس الهجري)

(مجموعة الأوقاف تحت رقم 922)

3- الصفحة الأخيرة من كتاب:

التذكرة في الوعظ

المؤلف: عبد الحميد بن أبي الدنيا الطرابلسي (ت 684 هـ)

الناسخ: حسين بن علي بن القاسم الحنفي (نسخ ببلد طرابلس الغرب عام 1080 هـ)

(مجموعة الأوقاف تحت رقم 809)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

قال الشيخ الامام علم الاعلام قدوة الاسلام ومصباح
الظلام شيخ الطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة
امام الايمة وناصح الامة شهاب الدين ابو العباس احمد
بن احمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي
الشهير بزروق رضي الله تعالى عنه ورحمه ونفعنا به امين
الحمد لله على ملة الاسلام والشكر له على نعمة السمع والبصر
والكلام واستغفر الله من جميع الاثام والصلاة والتسليم
على محمد النبي خير الانام وعلى اله واصحابه الكرام اما بعد
فالنصيحة من الايمان والتحقيق بها من علامة الايقان واعظم
الناس جهلا من جهل نفسه واهمل احواله حتى دخل رمسه
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى
على الله الاماني وقال عليه الصلاة والسلام الدين النصيحة
قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المسلمين
ولخاصتهم فالنصيحة لله باتباع امره ونهيه ونصرة دينه والتسليم
له في حكمه والنصيحة لرسوله باتباع سنته ومحارمه واكرام
قرابته والشفقة على امته عليه السلام والنصيحة لكتابه
بتحسين ايمانه واتباع مامورانه وتحسين تلاوته والنصيحة
لعامة المسلمين بالذب عن اعراضهم واقامة حرمتهم
والنصرة لهم في جميع احوالهم جلبا ودفعا والنصيحة
لخاصتهم بالطاعة للامراء الا في محرم وحكم عليه والتصديق

4– النصيحة الكافية لمن خصَّه الله بالعافية

المؤلف: أحمد زروق (نزيل طرابلس ت 899 هـ)

الناسخ: محمد الزروق أبو رخيص الغرياني(ت1248 هـ)

(مجموعة الأوقاف تحت رقم 810)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
هذه الدرة الشريفة في شرح أصول الطريقة
يقول عبيد الله سبحانه محمد بن علي الخروبي
الطرابلسي سامحه الله تعالى وعفا عنه وغفر له
ولوالديه ولذريته ولأزواجه وللمسلمين أجمعين آمين
أحمد الله تعالى في كل أمري في بال وعلى كل حال
وأشكره على ما من به علينا من سوابغ النعم وكامل
الأفضال والصلاة والسلام الدائمان على سيدنا
ومولانا محمد أفضل الأرسال صلاة وسلاما دائمين
بالغدو والآصال والرضى عن أصحابه وأزواجه وذريته
وآله أفضل آل وبعد فقد سألني بعض الفقراء
السالكين أنهض الله هممهم وقوى عزمهم أن
أبسط لهم الكلام على أصول الطريقة لشيخنا الإمام
العلامة القدوة العربي الجامع بين الشريعة والحقيقة
أبي العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي
الفاسي الشهير بزروق رحمه الله تعالى ورضي عنه
فأجبته في غرضهم وأسعفت رغبتهم مستعينا
بالله سبحانه راجيا الثواب منه وهو حسبنا
ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
قال رحمه الله تعالى بعد الحمد أصول طريقتنا
خمسة أشياء قلت مراده رحمه الله تعالى بأصول
الطريقة أساسها الذي يقوم عليه بناؤها إذ لا
قوام لبناء لا أساس له والطريقة نهج القوم الذي
مشوا عليه

5- الدرة الشريفة في شرح أصول الطريقة

المؤلف: محمد بن علي الخروبي الطرابلسي (ت 963 هـ)

نسخة منقولة من خط أبي بكر بن بلقاسم البصير

من مصورات جائزة ابن الأجدابي للوثائق والمخطوطات

(مكتبة محمد النعاس قرزة – نسمة)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله
وقال الشيخ سيدي عبد الرحمان ابن الحاج احمد التاجوري
غفر الله تعالى له مطلع الشمس يوصل المشا. جعلته لقبلة
اهل المغرب ومن اراد اصابة الكعبة بقطر طرابلس
فليرصد مطلع الشمس يوم سابع عشر اكتوبر او يوم سادس
مورا فانها تطلع في هاذين اليومين بقطر طرابلس على سمت
الكعبة المشرفة فمن نصب محرابه على ذالك المطلع وقف
وامه عين الكعبة ان شاء الله تعالى فصل في معرفة
اليوم الذي يدخل فيه ينار اطرح اربعة وعشرين من القرن
العاشر واعرف الباقي الى العام الذي تريد دخول ينار فيه
ثم اطرح عدد الازدلابات ان كان هناك ازدلاب وهو من كل
اربعة وثلاثين سنة اطرح سنة ثم اطرح الباقي ثمانية
وعشرين ثمانية وعشرين ثم ادخل بالباقي في بيوت الجدول
وخذ الحرف الذي فيه فان كان الالف فيكون دخوله بالاحد
وان كان الباء فبالاثنين وكذالك على التوالي وهذه الحروف
التي في الجدول دلائل حروف هذه الكلمات وهي زرت
[illegible]
[illegible]
[illegible]

6- رسالة في معرفة القبلة

المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد التاجوري (ت نحو 963 هـ)

الناسخ: محمد بن عبد السلام الأزدوي (1185 هـ)

(مجموعة الأوقاف تحت رقم 1181)

7- معينة الصبيان (منظومة)

المؤلف: أحمد البهلول الطرابلسي (1113 هـ)

الناسخ: يوسف بن محمد النفاتي (1182 هـ)

(مجموعة الأوقاف تحت رقم 420)

محاولت [illegible] في شهر ذي القعدة ١٢٥٧ سنة

٧٥٥ص

5569

٧٥٦ص [illegible]

انظر يوم الاربعاء في [illegible] من ذي القعدة ١٢٥٧ سنة
[illegible] الحكم امين باشا الشقر
علي باشا [illegible] فنظروا القايد [illegible] العينة
الاجل بتوجهوا الى [illegible] عبد الجليل والعساكر

٧٥٧ص

انظر يوم الاربعاء في [illegible] ذي القعدة ١٢٥٧ سنة
توجه القايد عبد [illegible] ترهونه الى بلاد ترهونه
[illegible] امين باشا الشقر [illegible] علي باشا [illegible] الى ترهونه

٧٥٨ص

انظر يوم الخميس في [illegible] من شهر القعدة ١٢٥٧ سنة
توجه عبد [illegible] حطرة افندي [illegible] علي باشا [illegible] المحلات
[illegible] احمد افندي [illegible]
[illegible]

٧٥٩ص

انظر يوم الثلاث في [illegible] شهر القعدة ١٢٥٧ سنة
[illegible]
[illegible]
[illegible]

8– صفحة مختارة من مخطوطة (اليوميات الليبية)

المؤلف: حسن الفقيه حسن (ت نحو 1284 هـ)

(نسخة المؤلف الفريدة).

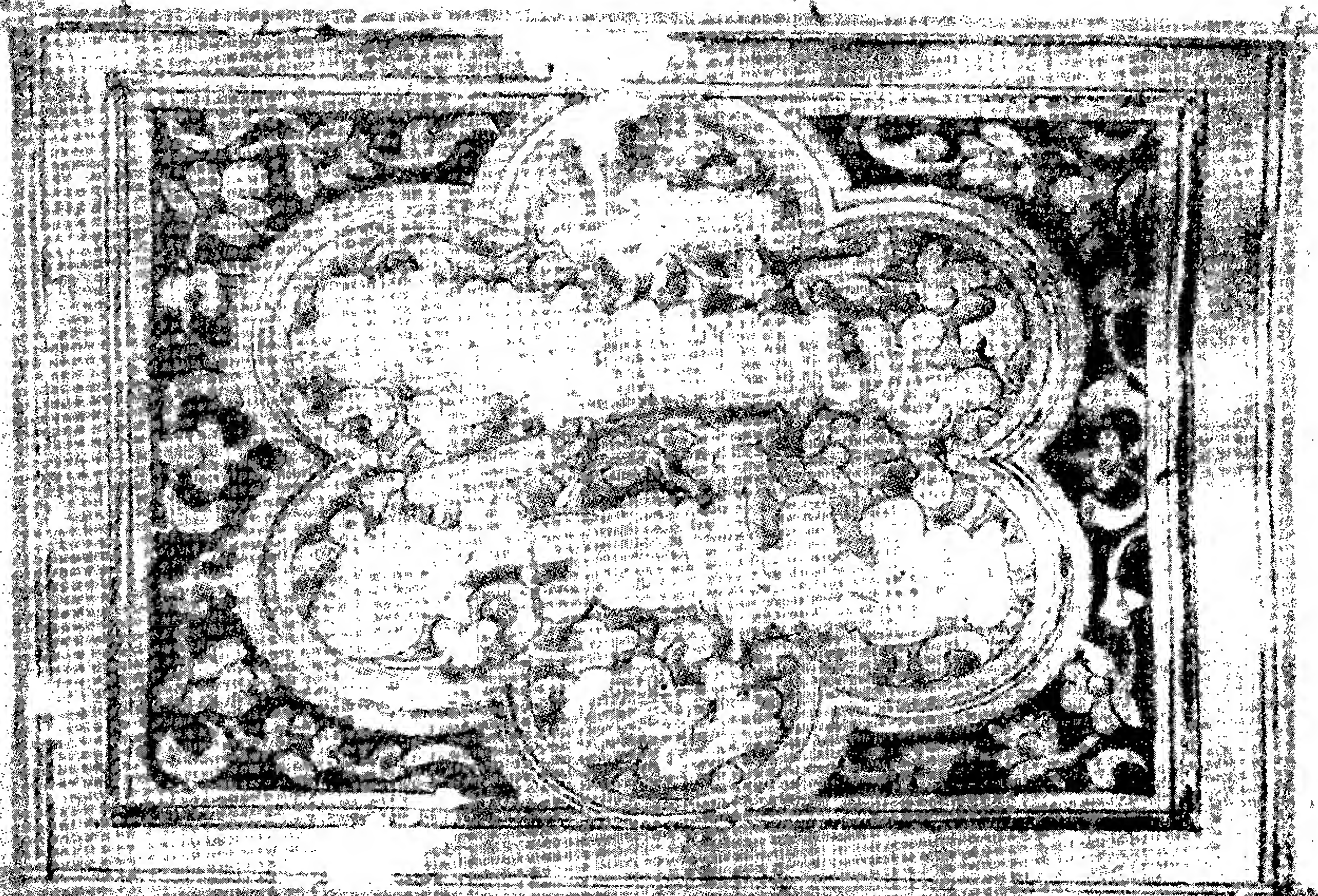
(ويبدو بهذا النموذج الإجراء الرقمي الذي ابتدعه المؤلِّف لربط كل ورقة من ورقاته بسابقتها في مخطوطة عمله، وكأنَّه بديل جديد عن التعقيبة المعتادة).

الجزء العشرون من الجامع الصحيح

تأليف الإمام أبي عبد الله

محمد بن إسمعيل البخاري

رحمه الله



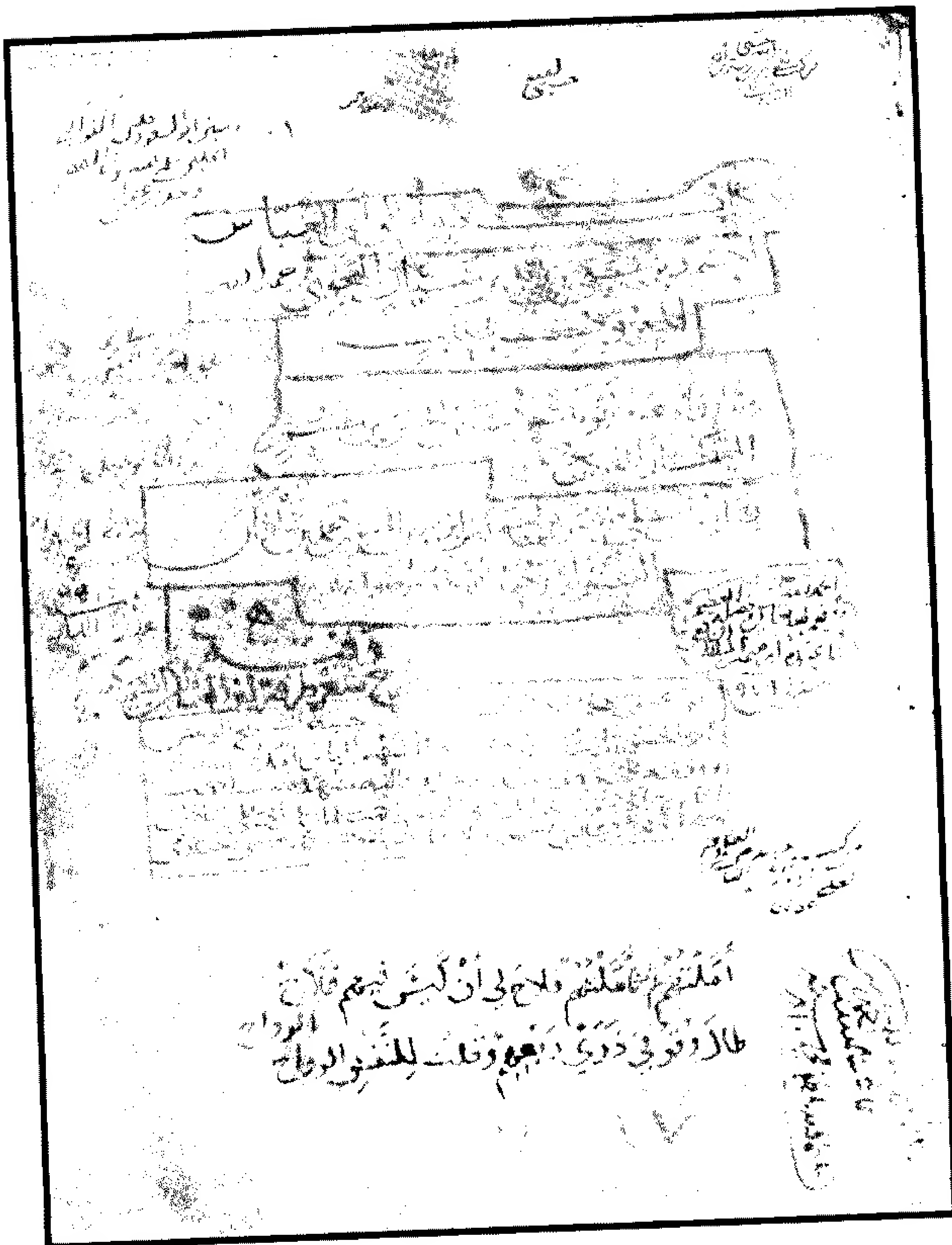
[illegible]

1- صحيح البخاري

(نسخة خزائنية)

(بآخره نص سماع.. .في رمضان 782 هـ بالجامع الأزهر).

(رقم 69).



2. أمالي ثعلب

المؤلف: أحمد بن يحيى الشيباني المعروف "بثعلب" (ت 291 هـ/ 904 م).

الناسخ: علي بن محمد بن أبي سعيد الشهرباني، تاريخ النسخ (583 هـ)

(رقم 809).

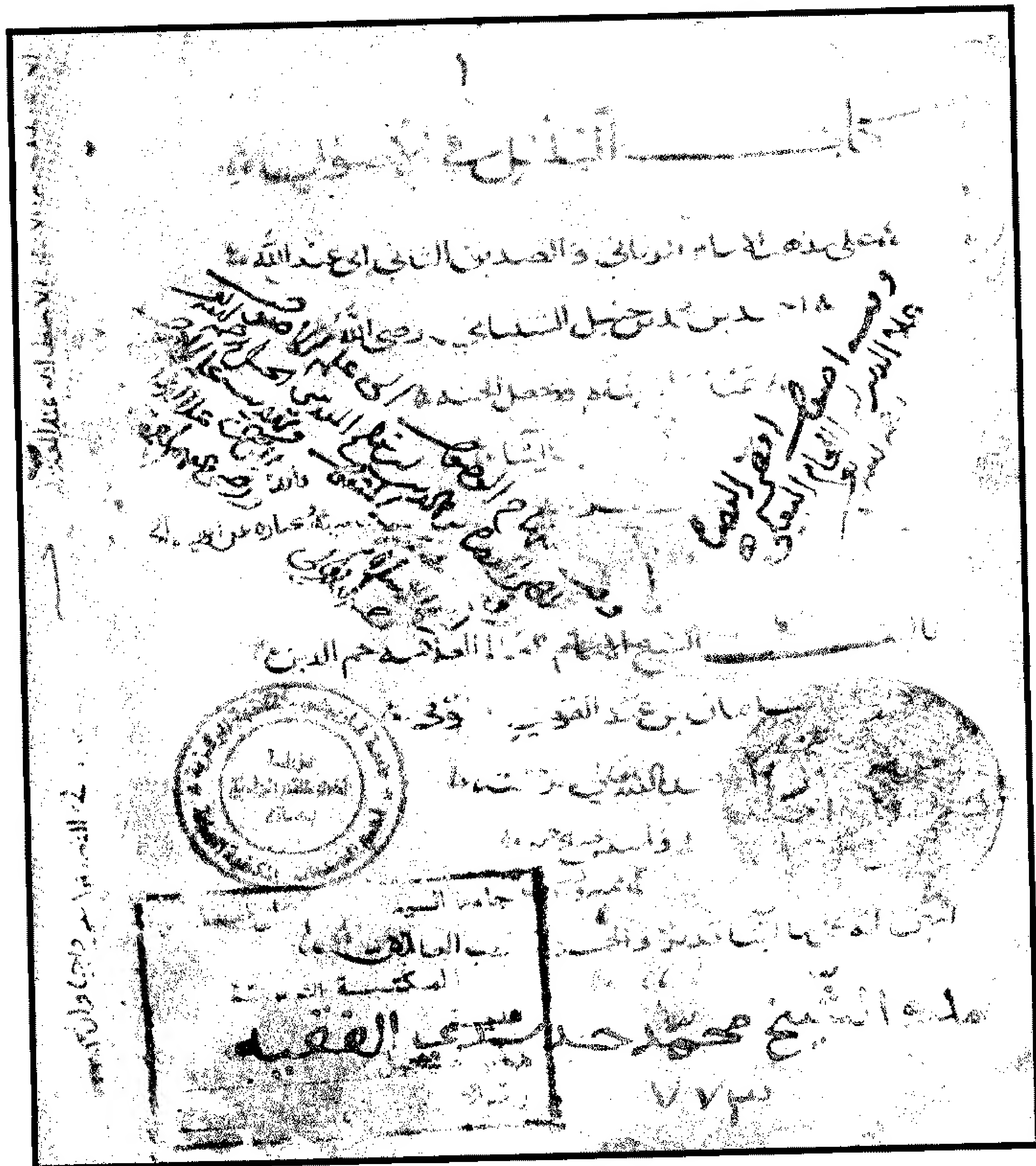
3- تاريخ دمشق

المؤلف: علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي، "ابن عساكر"

(ت 571 هـ/ 1176 م).

الناسخ: ؟ (يوجد في نهاية الجزء الثالث سماع... بتاريخ 554 هـ بجامع دمشق)

(رقم 1555)


كتاب البلبل في الأصول

يشتمل على مذهب الإمام الرباني والصديق الثاني أبي عبد الله

أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه

تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة نجم الدين

سليمان بن عبد القوي

4- البلبل في الأصول

المؤلف: سليمان بن عبد القوي الطوفي (ت 716 هـ/ 1316 م)

الناسخ: الحسني بن أحمد اليونيني، تاريخ النسخ (824 هـ) .

(رقم 652).

5- (السياسة في علم الفراسة)

المؤلف: محمد بن إبراهيم بن أبي طالب الدمشقي (ت 727 هـ/ 1327 م)

الناسخ: محمد بن عبد الغني البارودي، تاريخ النسخ (1306 هـ)

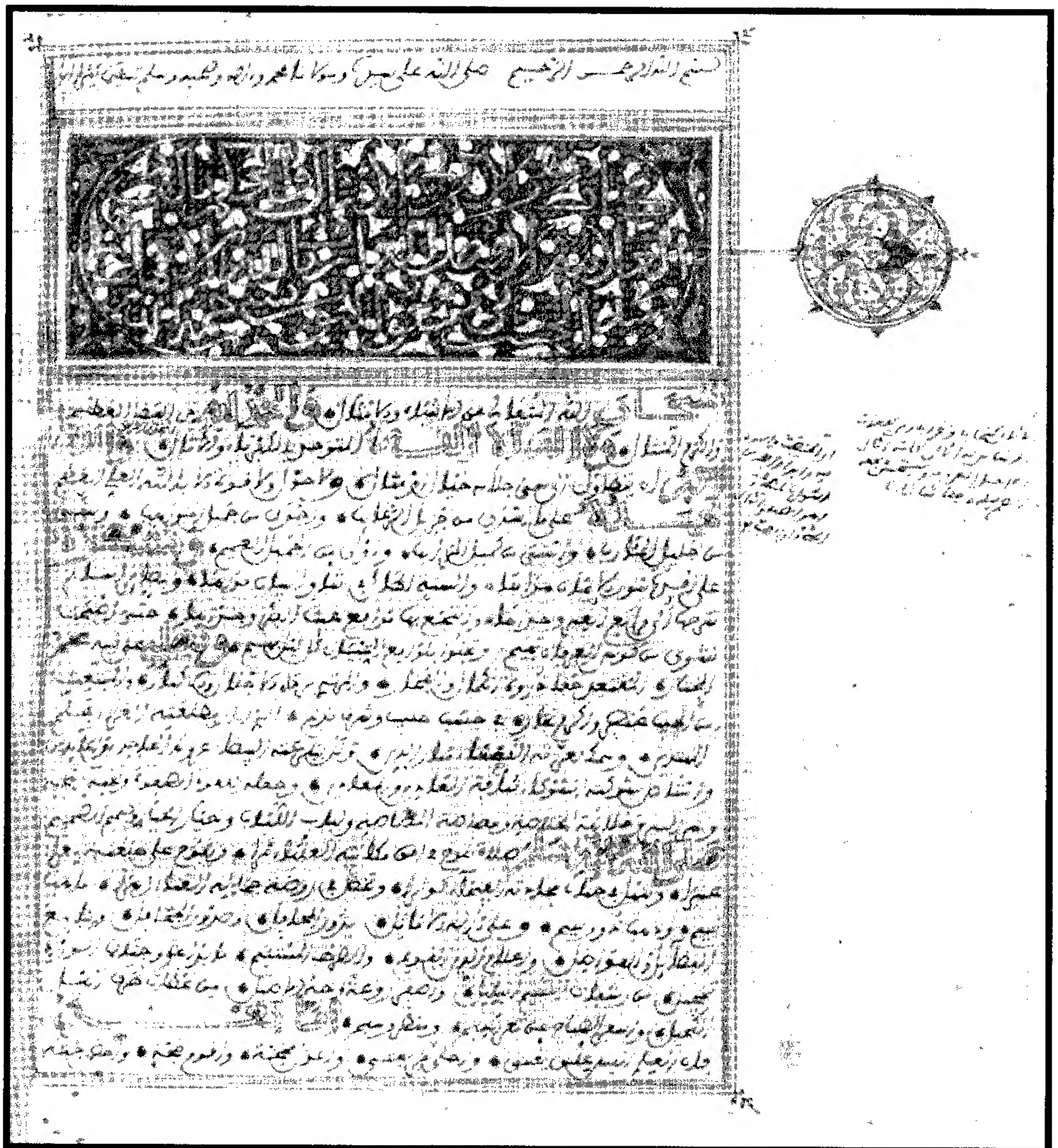
(رقم 109).

6- العمد في شرح (الزبد للبارزي الحموي)

المؤلف: أبو بكر بن الحسين بن عمر المراغي المصري الشافعي (ت816 هـ/ 1414 م)

الناسخ: يحيى بن عبد الرحمن بن إسماعيل المدني المصري، تاريخ النسخ (815 هـ)

(رقم 123).



7- زهر الأكم في الأمثال والحكم

المؤلف: الحسن بن مسعود اليوسي (ت 1102 هـ/ 1691 م).

الناسخ: ؟ (نقلت عن نسخة بخط المؤلف) .

(رقم 782).

8- الإعلام في طب أمراض القلوب على الوجه المطلوب

المؤلف: علي بن عبد الصادق العيادي الجبالي الطرابلسي (ت 1138 هـ/ 1725 م)

الناسخ: ؟ (به نقص يسير قبل آخره) تاريخ النسخ (1269 هـ) (رقم 242).

بسم الله الرحمن الرحيم

خاتمة

الحمد لله الذي به تتم الصالحات وبه البدء والختام، وبه استعنا واستهلينا، وإليه توجهنا بالشكر والثناء، فهو الذي مكننا من إنجاز هذا السفر الذي نعده إضافة متواضعة إلى المكتبة العربية الإسلامية، فإن حقق ذلك الهدف فهو مرادنا وما التوفيق إلا من عند الله، وإن شابه قصور أو تقصير أو نقص أو نقصان، فذلك لأنه عمل بشري وما الكمال إلا لله وحده، وحسبنا أننا بذلنا جهداً وجمعنا جهوداً حتى يرى هذا العمل النور، وها قد رآه ليُمكّن القارئ من الاطلاع على معالم الحضارة الإسلامية في قُطر عربي إسلامي يعتز بإسهامه فيها على مدى قرون طويلة.

ولا ندّعي أننا أتينا في هذا السفر بجديد، أو وضعنا بين دفتيه ما لم يسبقنا إليه باحث أو مجتهد أو وصلنا فيه إلى حقائق لم يلامسها غيرنا ولو على استحياء، لكننا بفضل الله استطعنا أن نُخرج إلى النور سفراً متخصصاً يجمع بين عنصري التاريخ والجغرافية لبلد عربي إسلامي إضافة إلى المعالم الحضارية التي كانت ثمرة تفاعل هذين العنصرين، ويجمع في صفحاته ما كان مبعثراً ويصنف ما كان غير ذلك، ويوضح بالكلمات والصور والرسوم ما اعتقدنا أن القارئ في حاجة إليه لتُستكمل المعلومة في ذهنه فيدرك الدور الحضاري الإسلامي لهذا البلد وهو ما سيكون بدون شك عاملاً في ترسيخ الهوية الإسلامية لديه وتعزيز الانتماء في نفسه إلى تلك الحضارة التي كانت من أهم مقومات الحضارة الإنسانية.

ورغم أن كتابنا هذا يركز على معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا إلا أننا ارتأينا استكمالاً لصورة تلك المعالم في ذهن القارئ ضرورة أن يُلم بشيء من تاريخ هذا البلد العربي المسلم ابتداءً بجزئه القديم وانتهاء بالحديث المعاصر مروراً بالفتح العربي

الإسلامي والاحتلال الإسباني والعهدين العثماني الأول والثاني وفترة الاستعمار الأوربي، غير أن التركيز فيه كان على معالم الحضارة الإسلامية التي تمثلت في المدن والرباطات والقلاع والمساجد وأنماطها المعمارية إضافة إلى تراجم لعدد من الشخصيات العلمية والفكرية في شتى العصور ومعلومات عن مراكز المخطوطات الليبية داخل البلاد وخارجها.

ويتزامن ظهور هذا المرجع مع الاحتفالات التي تُنظم في ليبيا احتفاءً باختيار طرابلس عاصمة للثقافة الإسلامية لعام 2007 مسيحي ليكون إحدى مظاهر ذلك الاحتفاء في المجال الثقافي والفكري، بل إنه المظهر الذي سيبقى مذكوراً بهذه المناسبة ناقلاً إلى الأجيال القادمة تراثاً حضاريًا تميز به ثغر من ثغور الإسلام دفاعاً عن الدين وتعزيزاً للهوية وترسيخاً للانتماء وحسبه أن يحقق شيئاً من ذلك، وأن يكون إضافة إلى جهود سابقة مقدرة، وبداية لاحقة واعدة بإذن الله.

وبالله التوفيق والسداد

الفهرس